القرآن الكريم

وروايات المدرستين

القرآن الكريم وروايات المدرستين

المجلّد الثاني

القرآن الكريم وروايات مدرسة الخلفاء

تأليف

السيد مرتضى العسكري

العسكرى، مرتضى، ١٢٩٣ هـ. ش
القرآن الكريم و روايات المدرستين / تأليف مرتضى العسكرى ـ قم: كلية اصول الدين، ١٤٢٤ ق. = ١٣٨٢ ش.
ثلاثة اجزاء.

الفهرسة على مبنى معلومات (فيپا):
عربى.
الموضوعات: ج. ١ ـ بحوث تمهيدية. ـ ـ ٢ ـ القران الكريم و روايات مدرسة الخلفاء. ـ ـ ٣ ـ مناقشة ما زعمه الأستاذ احسان ظهير.... ـ ـ
١. القران ـ ـ الاحاديث. ٢. القران ـ ـ معرفة و مناقشة الآراء.
الف. كلية اصول الدين. ب. العنوان.
٥ع ٤ ق/١٤١/٥ BP　　　٢٩٧/٢١٨
١٤٢٤ ق = ١٣٨٢ ش
المكتبة الوطنية الإيرانية.　رقم الأيداع ٤٢٠٨٣ ـ ٨١م *



كلية أصول الدين

القرآن الكريم وروايات المدرستين ـ الجزء الثاني ـ

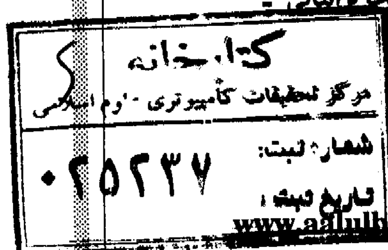
السيِّد مرتضى العسكري

الطبعة الثالثة: ١٤٢٤هـ.ق ـ ٢٠٠٣م

عدد النسخ: ٢/٠٠٠ نسخة

www.aalulbayt.org & www.al-shia.com

ISBN 964-5841-73-9



عنوان المراسلة مع المؤلف: قم ص.ب ٣٧١٨٥ / ٨٧٨
الجمهورية الاسلامية في إيران

يهدىٰ ثواب هذه الطبعة إلىٰ حضرة أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب (ع)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً * قَيِّماً لِيُنْذِرَ بَأساً شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً﴾. (الكهف / ١، ٢)

﴿وَبِالحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وبِالحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّراً وَنَذِيراً * وقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً﴾. (الإسراء / ١٠٥، ١٠٦)

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾. (القيامة / ١٦ ـ ١٩)

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيم * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ * تَنزِيلٌ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ * وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِاليَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾.

(الحاقة / ٤٠ ـ ٤٧)

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرآنٍ غَيْرِ هٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوم عَظِيم * قُلْ لَوْ شَاءَ اللهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾. (يونس / ١٥ ـ ١٧)

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً﴾. (النِّساء / ٨٢)

مقدّمة الطبعة الثانية

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة على خاتم أنبيائه محمّد وآله الطّاهرين، والسلام على أصحابه المنتجبين وأزواجه أمّهات المؤمنين.

وبعد، قام بتصحيح هذا الكتاب للطبعة الثانية ولدي الدكتور السيد كاظم العسكري، سائلاً العليّ القدير أن يتقبّل أعمالنا، إنّه سميعٌ مجيب.

المؤلف

مقدّمة الطبعة الأُولىٰ

في مؤلّفاتي أبهضني كـتابا «خمسون ومائة صحابي مُختلق»[1] و«القـرآن الكريم وروايات المدرستين».

أمّا الأوّل فلأنّه كي أطمئن أنّ أُولئكم الصحابة من مختلقات سيف كان عليَّ أن أراجع في جميع مصادر الدراسات الإسـلامية، الروايات والأخبار الّتي ورد في سندها أو متنها ذكر صحابة الرسول (ص)، وبعد التأكّد من عدم ورود تلكم الأسماء فيها، يثبت عندي أن ذكرها وما روي من أخبارها مـنحصران بروايات سيف فهي إذاً من مختلقاته.

و ـ أيضاً ـ كي لا يجابهني بعد نشر بحوثي عنهم باحث نيقد برواية واحدة أو خبر واحد، جاء ذكر أحدهم فيه عن غير طريق سيف، ودونكم أسماء ثلاثة وتسـعين منهم أوردت تراجمهم من روايات سـيف بمجلّدي «خمسـون ومـائة صحابي مختلق». فهل يجد باحث اسم أحدهم في غير روايات سيف؟

وأمّا الثاني منهما فكان خبره أني قبل أكثر من عشر سنوات عقدت العزم علىٰ دراسة ما جاء في كتاب «الشيعة والقرآن» لإحسان إلٰهي ظهير، واستناداً

(١) بلغ عدد من وجدتهم من مختلقات سيف من الصحابة نيفاً وستين ومائة صحابي مخـتلق أسأل الله أن يوفّقـني لطبع المجـلّد الثالث من الكـتاب ليرد فيه تراجـم ما ناف علىٰ ثلاثة وتسعين المترجمين في المجلّدين الأوّل والثاني من الكتاب.

إلىٰ مطالعاتي السابقة حول الموضوع قدرت أن أُجري البحوث في مقدّمة وبابين في قرابة ثلاثمائة صفحة، ولما بدأت بدراسة الروايات وجدت في بعضها ـ كما ذكرت في مقدّمة المجلّد الأوّل ـ مصطلحات قرآنية تغيّرت معانيها تدريجياً بعد عصر الصحابة مثل القراءة والإقراء والآية ممّا سبب عدم فهم مغزى الروايات، وقد أخذ مني معرفة معانيها وقتاً طويلاً سبق وسجلت نتيجة دراستي حولها في المجلّد الأوّل من هذا الكتاب.

ووجدت روايات كثيرة منها وُسِمَتْ بالصّحة في حين أنّها أُفتري بها على الله وكتابه ورسوله (ص) وأصحاب رسوله والأئمّة من أهل بيته (ع)، وسببت تلك المفتريات القول بنسخ بعض الآيات أو إنسائها، واختلق بسببها آلاف القراءات، وبناءً علىٰ ذلك كان يناسب أن نسمّي مجموعها (آلاف المختلقات حول القرآن الكريم) في مقابل خمسون ومائة صحابي مختلق.

وينبغي لنا في دراسة تلك المفتريات أن نقدّم في ما يأتي موجزاً ممّا بيناه في المجلّد الأوّل:

أ ـ خصائص المجتمعات الّتي تتحدّث الروايات عن شأن من شؤون القرآن فيها بدءاً بالمجتمع الجاهلي الّذي نزل القرآن فيه وانتهاءً بالمجتمع الإسلامي في أوّل عهد العباسيين.

ب ـ ما وصل إلينا من تاريخ القرآن في كلّ عصر تتحدّث الروايات المفتريات عن شأن من شؤون القرآن فيه.

ج ـ أن ندرس سيرة كثير ممّن روي عنه أمرٌ من شؤون القرآن في تلك العصور وتلك المجتمعات.

وكان يحزّ في نفسي ويؤلمني تسجيل كثير ممّا جرىٰ في تلكم المجتمعات وما جاء في سيرة بعض من درسنا سيرته، لا سيا وأنّ في المسلمين من يرىٰ أنّ القرن

الإسلامي الأوّل من بعد الرسول (ص) خير القرون، ولست أدري كيف يكون خير القرون وقد قتل فيه الخليفة عثمان وسيد أهل بيت النبي (ص) الإمام عليّ في المحراب وسائر ذرّيّة الرسول (ص) بكربلاء، وسبيت فيه بناته وأُحِلّت فيه المدينة ثلاثاً وهدمت الكعبة بالمنجنيق وأُحرِقت، ومهما يكن من أمر فإنّ دراسة تلكم الروايات وإثبات سلامة النصّ القرآني من كل تحريف وتبديل يتوقفان علىٰ دراسة خصائص تلكم المجتمعات وسيرة من روي عنه شأن من شؤون القرآن (والله علىٰ ما نقول وكيل).

د ـ أن ندرس كل ما انتهى إلينا ممّا نحتاج إلىٰ دراسته من روايات كل من مدرسة الخلفاء ومدرسة أهل البيت علىٰ حدة.

وبناءً علىٰ ذلك خصّصتُ المجلّد الثاني هذا لدراسة الروايات الّتي رويت في مدرسة الخلفاء حول القرآن الكريم، ولدراسة الروايات الّتي رويت في مدرسة أهل البيت المجلّد الثالث منه والّتي أراد أن يستوعبها إحسان إلٰهي ظهير في كتابه «الشيعة والقرآن»، وذلك لأنّه أراد أن يستوعب ـ كما ذكرت ـ كلّ شاردة وواردة جاءت حول القرآن الكريم في مدرسة أهل البيت ليجعلها نبزاً لهم.

وقد أساء بفعله مِن حيث لا يريد إلى القرآن الكريم. وبما أنّه نقل كل ما أورده في كتابه من كتاب «فصل الخطاب»، نبدأ أوّلاً بدراسة كتاب الشيخ النوري وبيان هدفه، ونستعين الله ونقول:

ألّف المحدِّث الشيخ ميرزا حسين النوري (ره) (ت: ١٣٢٠هـ) كتاب: «فصل الخطاب في تحريف كتاب ربِّ الأرباب»، وينبغي أوّلاً البحث عن اسم الكتاب: (التسمية بالتحريف) وعما استهدفه. وبعد ذلك ندرس أدلّته في أبواب الكتاب.

أ ـ التسمية بالتحريف:

جاء في معجم ألفاظ القرآن الكريم:

(حرّف الكلام تحريفاً: بدّله أو صرفه عن معناه ﴿... **يُحرِّفون الكَلِم عن مواضِعه**﴾ النساء / ٤٦، أي يصرفونه عن معناه، و﴿**يسمعون كلام الله ثمّ يُحرِّفونهُ من بعدِ ما عقلوه**﴾ البقرة / ٧٥، أي يصرفونه عن معناه)[١].

وفي البحوث القرآنية يقصد من التحريف أحياناً نقصان شيء من القرآن الكريم أو تبديله بغيره ـ معاذ الله ـ، فماذا قصد مؤلّف فصل الخطاب من التحريف في التسمية؟

ندرس ذلك بعد إيراد قصّة طريفة تناسب المقام:

قصّتي مع المُبشِّر المسيحي في بغداد

كانت صبيحة يوم جمعة من أيّام شبابي إبّان الحرب العالمية الثانية حين اقتحمت نادياً للتبشير المسيحي بشارع المتنبّي في بغداد، وجلست إلىٰ جنب منصّة المبشّر، ولما اكتظّ النادي بالشباب المسلم الّذي كان يرتاد النادي لقراءة الصحف اليوميّة المعدّة هناك للمطالعة، أو بالأحرى لاصطياد الشباب المسلم بتلك الوسيلة. بدأ المبشر عند ذاك بقراءة شيء من التوراة واستشهد به علىٰ ما رامه من التبشير، فأخذت منه زمام المبادرة وبدأت بسرد ما كنت أحفظ من أساطير التوراة المحرّفة، مثل أُسطورة خلق آدم وحواء وكيف خدعهما الله ـ معاذ الله ـ وكشف الحيّة لهما عن الخدعة وبصّرتهما.

وأُسطورة مصارعة الله ليعقوب، إلى الصباح، وأنّه لمّا ظهرت الغلبة ليعقوب ـ معاذ الله ـ منحه الله لقب إسرائيل، فكفّ عنه يعقوب.

---

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم، مادّة (حرف)، ١ / ٢٦٠.

وكيف زنىٰ لوط بابنتيه وداود بزوجة أوريا ـ معاذ الله ـ.

إلىٰ أمثالها من أساطير أُخرىٰ مع تعليقي علىٰ كل منها بما يثير الضحك للحاضرين والأسىٰ والغضب للمبشّر. وحاول المبشر أكثر من مرّة أن ينهي الجلسة قبل أوانها وكنت أمتنع عليه ويساعدني علىٰ ذلك الحاضرون. وأخيراً أردت أن أختم الجلسة بأخذ اعتراف من المبشر علىٰ تحريف العهدين: التوراة والإنجيل، فوجّهت إليه الأسئلة الآتية:

علىٰ من نزلت التّوراة علىٰ حدّ زعمك؟

فإن قلت: نزلت علىٰ موسىٰ بن عمران(ع)، قلت لك: إنّ في التوراة حكاية وفاته ودفنه وما جرىٰ علىٰ بني إسرائيل من بعده.

وإن قلت نزلت علىٰ داود أو سليمان أو أي نبي آخر من أنبياء بني إسرائيل، قلت لك: في التّوراة حكاية وفاته ودفنه وما جرىٰ علىٰ بني إسرائيل من بعده.

فقال: في التّوراة كلام الله وكلام الكهنة.

فقلت له: هذا هو معنى التحريف لكتاب الله!

وأنّىٰ لنا التميز بين كلام الله وكلام الكهنة؟

فانبرىٰ يقول لي بحماس: وإنّ في علمائكم من كتب كتاباً في تحريف القرآن.

فقلت في ما قلت له: أنا احتججت عليك بنفس التوراة ولا أستند إلىٰ تقوّلات المتقوّلين على التوراة والإنجيل. وإذا استندنا في هذا الشأن إلى القرآن وحده وجدناه يقول:

﴿وَإِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِن مِثْلِهِ﴾.

(البقرة / ٢٣)

ويقول: ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِن دُونِ اللهِ﴾.

ويقول: ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾.

ويقول: ﴿قُل لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هٰذَا الْـقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾. (الإسراء / ٨٨)

ولو كان في القرآن كلامُ غيرِ الله إذاً، فإنّ غير الله قادر علىٰ أن يأتي بمثل القرآن. فأتوا يا خصوم الإسلام بسورة واحدة مثل سورة (التوحيد)، أو (والعصر) ممّا لا يزيد علىٰ سطر واحد. وبعد ذلك يخضع لقولكم جميع المسلمين.

وأدليتُ بحجج أُخرىٰ فلم يُحِرْ جواباً. وانتهت الجلسة بانتصار الخط الإسلامي والحمد لله.

وجرىٰ لي بعد ذلك محاورة مع تلميذ الشيخ النوري كالآتي:

تلميذ الشيخ النوري يتحدّث عن مقصد استاذه من التحريف:

جمعتني جلسة مع الشيخ آغا بزرك مؤلف كتاب «الذريعة»، وهو أحد مشايخي في رواية الحديث، فسألته عن قصد أستاذه الشيخ النوري في تأليفه كتاب فصل الخطاب، فأجابني بأنّ الشيخ النوري لم يقصد إثبات تحريف القرآن، وإنّما الخطأ في التسمية.

وقد كتب (ره) في مادّة فصل الخطاب من الذريعة ما موجزه:

(إنّ الشيخ النوري كتب رسالة بعد نشر كتابه فصل الخطاب قال فيها: لم أقصد من التحريف: التغيير والتبديل، بل قصدت خصوص الإسقاط لبعض المحفوظ المنزل عند أهله وإنّ القرآن الموجود اليوم هو الّذي كتبه عثمان لم يزدد عليه ولم ينقص منه، وقد وقع الخطأ في التسمية وكان ينبغي أن يسمّى الكتاب

فصل الخطاب في عدم تحريف الكتاب)[1].

هذا ما نقله صاحب الذريعة عن أستاذه الشيخ النوري.

أمّا الشيخ النوري فقد قال في مقدّمته الأولىٰ من كتابه:

المقدّمة الأولىٰ:

في ذكر الأخبار الّتي جاءت في جمع القرآن وجامعه وسبب جمعه وكونه في معرض النقص بالنظر إلىٰ كيفية الجمع وانّ تأليفه يخالف تأليف المؤلفين.

المقدّمة الثانية:

في بيان أقسام التغيير الممكن حصوله في القرآن والممتنع دخوله فيه، كما ذكرناه.

المقدّمة الثالثة:

في ذكر أقوال علمائنا في تغيير القرآن وعدمه.

وقال في: **الباب الأوّل:**

في ذكر ما استدلّوا به علىٰ وقوع التغيير والنقصان في القرآن.

الدليل الأوّل:

مركب من أُمور:

أ ـ وقوع التحريف في التوراة والإنجيل بطرز حسن لطيف.

ب ـ في أنّ كلّ ما وقع في الأُمم السالفة يقع في هذه الأُمّة.

---

(١) الذريعة إلىٰ تصانيف الشيعة، تعريف كتاب: فصل الخطاب ١٦ / ٢٣١.

ج ـ في ذكر موارد شبّه فيها بعض هذه الأُمّة بنظيره في الأمم السابقة مدحاً أو قدحاً.

د ـ في أخبار خاصّة تدلُّ علىٰ كون القرآن كالتوراة والإنجيل في وقوع التغيير فيه.

الدليل الثاني:

إنّ كيفية جمع القرآن مستلزمة عادة لوقوع التغيير والتحريف فيه.

وفيه إجمال حال كُتّاب الوحي.

الدليل الثالث:

في إبطال وجود منسوخ التلاوة وأنّ ما ذكروه مثالاً له لابدّ وأن يكون ممّا نقص من القرآن.

الدليل الرابع:

في أنّه كان لأمير المؤمنين (ع) قرآنٌ خاصٌّ يخالف الموجود في الترتيب وفيه زيادة ليست من الأحاديث القدسية ولا من التفسير والتأويل.

الدليل الخامس:

إنّه كان لعبدالله بن مسعود مصحف معتبر فيه ما ليس في القرآن الموجود.

الدليل السادس:

إنّ الموجود غير مشتمل لتمام ما في مصحف أُبي المعتبر عندنا.

الدليل السابع:

إنّ ابن عفّان لما جمع القرآن ثانياً أسقط بعض الكلمات والآيات.

وفيه كيفية جمعه وبعض ما أسقطه واختلاف مصاحفه، وما أخطأ فيه الكُتّاب.

الدليل الثامن:

في أخبار كثيرة دالة صريحاً علىٰ وقوع النقصان زيادة علىٰ ما رواها المخالفون.

الدليل التاسع:

إنّه تعالىٰ ذكر أسامي أوصيائه وشمائلهم في كتبه المباركة السالفة فلابدّ أن يذكرها في كتابه المهيمن عليها.

وفيه ما وصل إلينا من ذكرهم (ع) في الصحف الأُولىٰ ممّا لم يجمع في كتاب.

الدليل العاشر:

إثبات اختلاف القرّاء في الحروف والكلمات وغيرها وإبطال نزوله علىٰ غير وجه واحد.

وفيه شرح أحوال القرّاء وإثبات التدليس في أسانيدهم.

الدليل الحادي عشر:

في أخبار كثيرة صريحة الدلالة علىٰ وقوع النقصان في القرآن عموماً.

الدليل الثاني عشر:

في أخبار خاصّة كذلك رتّبناها علىٰ ترتيب سور القرآن.

وفيه ذكر الجواب عن شبهات أوردها على الإستدلال بها.

وقال في: الباب الثاني:

ذكر أدلّة القائلين بعدم تطرّق التغيير مطلقاً من الآيات والأخبار والإعتبار والجواب عنها مفصلاً وفيه ذكر ـ وقوع التحريف في التوراة ثانياً في عهد الرسول (ص).

هكذا بَوّبَ الشيخ النوري كتابه، وما ذكره يخالف اعتذار تلميذه صاحب الذريعة عنه، وسوف ندرسُهُ بإذنه تعالىٰ وفق المنهج الآتي:

منهج البحث:

أوّلاً ـ لما كان المؤلف يكرّر ذكر الموضوع الواحد في أماكن مختلفة من كتابه قمنا في مقام دراستها بجمع ما نقلها في موضوع واحد في أماكن متعدِّدة تحت عنوان جديد نختاره للبحث كالآتي:

لما جاء في الدليل الأوّل من الباب الأوّل وما جاء في آخر الباب الثاني من أنّ القرآن جرىٰ عليه ما جرىٰ على التوراة والإنجيل من التحريف، فإنا ندرسهما في أوّل هذا المجلّد تحت عنوان الدليل المشترك.

ثمّ ندرس من الباب الأوّل ما جاء في المقدّمة الأُولىٰ وفي الدليل الثاني والسابع من الباب الأوّل حول جمع القرآن في بحث جمع القرآن، ونورد بعده بحث البسملة لصلته ببحث جمع القرآن، وندرس ما جاء في الدليل الخامس والسابع والثامن من الباب الأوّل حول اختلاف المصاحف وروايات الزيادة والنقصان في القرآن في بحث روايات زيادة القرآن ونقصانه ـ معاذ الله ـ من هذا المجلّد.

وندرس ما جاء في الدليل الثالث من الباب الأوّل حول النسخ في بحوث النسخ من هذا المجلّد.

وندرس ما جاء في الدليل العاشر من الباب الأوّل حول القرآن في بحث القراءات منه.

وندرس ما جاء في المقدمة الثالثة والدليل الرابع من الباب الأوّل والّذي يخصّ مدرسة أهل البيت في المجلّد الثالث من هذا الكتاب ضمن دراستنا لكتاب الشيعة والقرآن لإحسان إلٰهي ظهير لأنّه ـ أيضاً ـ استدل بها في كتابه.

كما ندرس في المجلّد الثالث ما عده الشيخ النوري الدليل الحادي عشر من الباب الأوّل وأورده إحسان في أوّل الباب الرابع من كتابه مع دراسة معنى التحريف في أحاديث أهل البيت (ع).

ثانياً ـ في دراسة أدلّة الشيخ النوري نرجع إلىٰ مصادره ونستخرج الرواية منها، وإذا وجدنا رواية من نوع أدلّته أقوىٰ ممّا أوردها الشيخ النوري نأتي بها تأييداً لمدعاه ثمّ ندرسها جميعاً.

ثالثاً ـ نحذف المكرّرات من أدلّته وخاصّة في المجلّد الثالث من هذا الكتاب الّذي ندرس فيه أدلّته ضمن دراسة كتاب الشيعة والقرآن لإحسان إلٰهي ظهير.

رابعاً ـ لمّا كان تذكار البحوث السابقة ضرورياً في بعض البحوث، اضطررنا إلىٰ تكرار موجز البحوث وخلاصاتها مرّة بعد أُخرىٰ. وتتسلسل البحوث في هذا المجلّد بإذنه تعالىٰ وفق المخطط الآتي:



مخطط البحوث للمجلّد الثاني

أ ـ الدليل المشترك بين المدرستين.

ب ـ روايات البسملة وتناقضها ومنشأه.

ج ـ روايات جمع القرآن وتناقضها.

د ـ روايات اختلاف المصاحف وروايات الزيادة والنقصان.

هـ ـ روايات نزول القرآن علىٰ سبعة أحرف وأربعون اجتهاداً خاطئاً في تأويلها.

و ـ القراءات والقرّاء.

ز ـ بحوث النسخ والإنساء.

ح ـ دراسة الروايات السابقة واجتهاداتهم الخاطئة.

خصائص المجتمع الإسلامي وأخبار القرآن:

١ ـ في عصر الخلفاء الصحابة الثلاثة.

٢ ـ في عصر الإمام عليّ.

٣ ـ في عصر بني أُميّة.

٤ ـ في عصر بني العباس.

دراسات مقارنة بين الروايات السابقة ونتائج البحوث الآنفة.

ط ـ المستشرقون والقرآن الكريم.

البحث الأوّل

الدليل المشترك بين المدرستين
علىٰ وقوع التحريف في شرائع الأنبياء

برهنَ الشيخ النوري أوّلاً في (ص ٣٥ ـ ٥٣) علىٰ وقوع التحريف في التوراة والإنجيل وقال في آخر ص ٥٣ ما موجزه:

(إنّ كل ما وقع في الأُمم السابقة خاصّة ببني إسرائيل يقع في هذه الأُمّة المرحومة وأنّها تتبع سنن السابقين وسيرة من كان قبلهم في كل أحوالهم وجميع أطوارهم خصوصاً في ما يتعلّق بأمر الدين).

ثمّ أيّد ما ادّعاه في (ص ٥٤ ـ ٦٩) بأنّ هذه الأُمّة شابهت في بعض أعمالها الأُمم السابقة، وأكّد ثانية ما ادعاه هنا في آخر الدليل الثاني عشر، ص ٣٦٦ ـ ٣٧٧.

هذا ما ادعاه الشيخ النوري وأقام عليه الأدلّة تلوَ الأدلّة، وهذا البحث من أقوىٰ أدلّته علىٰ مدّعاه في تحريف القرآن ـ معاذ الله ـ، وخنس إحسان إلٰهي ظهير في هذا المقام خنوساً شديداً. ولم يشر إلىٰ ما أورده الشيخ النوري في خمس وأربعين صفحة من كتابه، ونستعين الله ونقول:

لقد برهنّا في كتبنا علىٰ وقوع التحريف في الأُمم السابقة، مثل ما ذكرناه في باب الدين والإسلام من كتابنا (عقائد الإسلام من القرآن الكريم) وفي البحث التمهيدي الخامس من المجلّد الثاني من (خمسون ومائة صحابي مختلق)، ونورد هنا بعض تلك البحوث:

أوّلاً ـ مثال واحد ممّا وقع من التحريف في التوراة:

نورد في ما يلي صوراً للأعداد من الإصحاح الثالث والثلاثين من سفر التثنية عن طبعات مختلفة للتوراة لنرى التحريف فيهن عياناً:

أ ـ تصوير النسخة الّتي ترجمها القسيس رابنسن من الأصل العبراني إلى الفارسية وطبعت بمطبعة رجارد واطسن بلندن سنة ١٨٣٩م:

باب سي و سيوم

١ واينست دعاي خيركه موسى مرد خدا قبل از مردن بر بني اسرائيل خواند

٢ وگفت كه خداوند ازسيناي برآمد وازسعير نمودار گشت واز كوهٔ فاران نور افشان شد وبا ده هزارمقرّبان ورود نمود واز دست راستش شريعتي آتشين براي ايشان رسيد

٣ بلكه قبائل‌را دوست داشت و همگي مقدّساتش در قبضهٔ تو هستند ومقرّبان پاي تو بوده تعليم ترا خواهند پذيرفت

٤ موسى مارا بشريعتي امر كرد كه ميراث جماعت بني يعقوب باشد

ب ـ النسخة المطبوعة[1] بجامعة اكسفورد بلندن، دون تاريخ، ص ١٨٤:

CHAPTER 33

AND this *is* the blessing, wherewith Moses the man of God blessed the children of Israel before his death.

2 And he said, The LORD came from Sinai, and rose up from Seir unto them; he shined forth 'from mount Paran, and 'he came with ten thousands of saints: from his right hand *went* 'a fiery law for them.

3 Yea, 'he loved the people; all his saints *are* in thy hand: and they 'sat down at thy feet; *every one* shall 're-ceive of thy words.

4 'Moses commanded us a law, '*even* the inheritance of the congregation of Jacob.

(١) امتازت بطبع اللون الأحمر مع الأسود للكلمات ـ في العهد الجديد فقط ـ وسمّيت بـ *.RED LETTER EDITION*

ج ـ تصوير النسخة المطبوعة بمطبعة رجارد واطسن بلندن سنة ١٨٣١م عن النسخة المطبوعة في رومية العظمىٰ سنة ١٦٧١ لمنفعة الكنائس الشرقية:

الاصحاح الثالث والثلاثون

١ فهذه البركة التي بها بارك موسي رجل الله بني اسراييل قبل موته
٢ *وقال جآ الرب من سينا واشرق لنا من ساعير استعلى من جبل
٣ فاران ومعه الوف الاطهار في يمينه سُنّة من نار *احب الشعوب
جميع الاطهار بيده والذين يقتربون من رجليه يقبلون من تعليمه
٥ *موسي امرنا بسنّة: ميراثا لجماعة يعقوب[1].

د ـ تصوير النسخة المطبوعة بالمطبعة الأمريكية في بيروت سنة ١٩٠٧:

اَلأَصْحَاحُ ٱلثَّالِثُ وَٱلثَّلاَثُونَ

١ ١وَهٰذِهِ هِيَ ٱلْبَرَكَةُ ٱلَّتِي بَارَكَ بِهَا مُوسَى رَجُلُ ٱللهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَبْلَ مَوْتِهِ ٢فَقَالَ.
جَاءَ ٱلرَّبُّ مِنْ سِينَاءَ وَأَشْرَقَ لَهُمْ مِنْ سَعِيرَ وَتَلأْلأَ مِنْ جَبَلِ فَارَانَ وَأَتَى مِنْ رِبْوَاتِ
٣ ٱلْقُدْسِ وَعَنْ يَمِينِهِ نَارُ شَرِيعَةٍ لَهُمْ. ٣فَأَحَبَّ ٱلشَّعْبَ. جَمِيعُ قِدِّيسِيهِ فِي يَدِكَ وَهُمْ
٤ جَالِسُونَ عِنْدَ قَدَمِكَ يَتَقَبَّلُونَ مِنْ أَقْوَالِكَ. ٤بِنَامُوسٍ أَوْصَانَا مُوسَى مِيرَاثًا لِجَمَاعَةِ
٥ يَعْقُوبَ[2].

---

(١) جاء العدد الثالث من هذا الإصحاح من التوراة في وصف مَنْ كانوا مع خاتم الأنبياء، لعلّه يكون من مصاديق قوله تعالى:
﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ والَّذينَ مَعَهُ أشِدَّاءُ على الكُفَّارِ رُحماءُ بَيْنَهُم تَراهُم رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ ورِضْواناً سِيماهُم في وُجُوهِهِم مِنْ أثَرِ السُّجُودِ ذلِكَ مَثَلُهُمْ في التَّوْراةِ...﴾ الفتح / ٢٩.

(٢) كذلك النص في ط. نيويورك سنة ١٨٦٧ م.

المحرّف في هذا الإصحاح وسببه:

إنّ الأعداد (١ ـ ٤) من هذا الإصحاح تخبر أنّ موسىٰ بن عمران تكلم قبل موته عن ثلاثة أماكن أظهر الله فيهن أمره وأنزل شرائعه، وهي:

أ ـ سيناء ـ وهو المكان الّذي أنزل الله فيه شريعة التّوراة علىٰ موسىٰ (ع) ووصف تلك الشريعة في العدد الرابع منه بأنّها ميراث لجماعة يعقوب وهم بنو إسرائيل. إذاً فهي شريعة خاصة ببني إسرائيل.

ب ـ سعير أو ساعير ـ وهي الأراضي الّتي فيها الجبال المحيطة بالقدس كما في مادّة «سعير» من قاموس الكتاب المقدس ومادّة «ساعير» من معجم البلدان. وهو المكان الّذي نزلت فيه شريعة الإنجيل علىٰ عيسىٰ بن مريم (ع) ولم يرد حوله شرح في كلام موسىٰ (ع) هنا.

ج ـ جبل فاران ـ وفاران كما جاء في الإصحاح ٢١ من سفر التكوين من التوراة مكان كان قد سكنته هاجر وإسماعيل بعد أن صرفهما إبراهيم من منزله بطلب من سارة، وجاء في العدد ٢١ منه خاصّة في إسماعيل ما يلي:

«وسكن في برية فاران وأخذت أُمّه له امرأة من مصر».

هذا ومن المُجمَع عليه أن إسماعيل وهاجر بعد مغادرتهما منزل إبراهيم سكنا مكّة وعاشا بها حتّىٰ تُوفيا بها، ومدفنهما مشهور إلى اليوم بحجر إسماعيل، وعلىٰ هذا لابدّ أن يكون جبل فاران من جبال مكّة كما صرح بذلك ـ أيضاً ـ في مادّة «فاران» كل من ياقوت في معجم البلدان، وابن منظور في لسان العرب، والفيروز آبادي في القاموس، والزبيدي في تاج العروس.

وقد جاء شرح صفات الشريعة الّتي نزلت بجبل فاران وكيفية ظهور أمر الله فيه بنسخة القس رابنسن والنص الانجليزي ما ترجمته كما يلي:

«وأشرق من جبل فاران، وورد مع عشرة آلاف من المـقرّبين وآتـاهم بيمينه شريعة نارية، يحبّ القبائل، وجميع مقدّساته في يدك، ومقرّبين إلىٰ رجلك، يأخذون تعاليمك».

وجاء في المطبوعة عن النسخة الرومية ما يلي:

«استعلن من جبل فاران، ومعه أُلوف الأطهار، في يمينه سنّة من نار، أحبّ الشعوب، جميع الأطهار بيده، يقتربون من رجليه، يقبلون من تعليمه».

ولمّا كان الإشراق من جبل فاران يصدق علىٰ نزول شريعة القرآن علىٰ خاتم الأنبياء محمّد (ص) بغار حراء في جبل فاران حول مكّة، وهو الّذي جاء بعد ذلك إلىٰ مكّة ـ أراضي فاران ـ مع عشرة آلاف وفتح مكّة[1]، وهو الّذي كان في يمينه شريعة نارية أو (سنّة نارية) أي شريعة الحرب، وهو الّذي (أحبّ القبائل) أو (يحبّ الشعوب)، كما أعلن القرآن عنه بقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء/١٠٧)، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً﴾ (سبأ/٢٨).

لمّا كان هذا الإشراق يصدق علىٰ بعثة خاتم الأنبياء ولا يصدق علىٰ غيره فإنّ موسىٰ الّذي جاء مع أخيه وعيسىٰ الّذي كان معه نفر من الحواريين لا يصدق علىٰ أحدهما أنّه جاء (مع عشرة آلاف من المقربين).

وكذلك لا يصدق علىٰ عيسىٰ أنّه (في يمينه شريعة نارية).

ولا يصدق علىٰ موسى الّذي جاء بناموس يخصّ جماعة يعقوب أنّه أحبّ الشعوب أو يحب القبائل (؟).

---

(١) روىٰ ابن هشام في سيرته ٤ / ١٧، والطبري في تاريخه ١ / ١٦٢٨، عن ابن إسحاق قال: كان مع رسول الله (ص) في فتح مكّة «عشرة آلاف من المسلمين».

لهذا كلّه وقع التحريف في هذه النسخ كما يلي:

	أ ـ الجملة الأُولىٰ	ب ـ الجملة الثانية	ج ـ الجملة الثالثة
ترجمة نسخة رابنسن الانجليزية	ورد مع عشرة آلاف من المقرّبين	وآتاهم بيمينه شريعة نارية	يحبّ القبائل
النسخة الرومية	ومعه أُلوف الأطهار	في يمينه سنة من نار	أحبّ الشعوب
الطبعة الأمريكية	وأتى من ربوات القدس	وعن يمينه نار شريعة لهم	فأحبّ الشعب

في الفقرة (أ) حرّفت (وورد مع عشرة آلاف من المقربين) إلىٰ (ومعه ألوف الأطهار)، ثمّ رفعت الجملة نهائياً أخيراً ووضع مكانها (وأتىٰ من ربوات القدس) ليصدق هذا التحريف الأخير علىٰ ظهور عيسىٰ ابن مريم (ع) !!!

وفي الفقرة (ب) حرّفت (شريعة نارية) أو سنة من نار إلىٰ (نار شريعة)، لئلّا تدلّ علىٰ شريعة الحرب فتصدق علىٰ شريعة خاتم الأنبياء خاصّة.

وفي الفقرة (ج) حرّفت (القبائل) أو (الشعوب) الّتي جاءت بلفظ الجمع إلى (الشعب) بلفظ المفرد ليصدق علىٰ غير خاتم الأنبياء.

ثانياً ـ ما جاء في الأحاديث المروية عن الرسول (ص)

جاء في الأحاديث المرويّة عن رسول الله (ص) متابعة هذه الأمّة للأُمم السابقة في كل ما فعلوا حذو القذة بالقذة، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع في ما رواه كلٌّ من:

أ ـ الصدوق في كمال الدين وتمام النعمة عن جعفر بن محمّد الصادق (ع)، عن آبائه (ع)، قال: قال رسول الله (ص):

«كل ما كان في الأمم السالفة فانّه يكون في هذه الأمّة مثله، حذو النعل

بالنعل والقذّة بالقذّة»[1].

وروى الصدوق ـ أيضاً ـ في كمال الدين عن جعفر بن محمّد عن أبيه عن جدّه قال: قال رسول الله (ص):

«والّذي بعثني بالحق نبياً وبشيراً لتركبنّ أُمّتي سنن من كان قبلها حـذو النعل بالنعل، حتّىٰ لو أنّ حيّة من بني إسرائيل دخلت في جحر لدخلت في هذه الأُمّة حيّة مثلها»[2].

ب ـ قال ابن حجر في فتح الباري:

وفي حديث عبد الله بن عمرو عند الشافعي بسند صحيح:

«لتركبنّ سنّة مَنْ كان قبلكم حلوها ومرّها»[3].

---

(١) سلسلة رواة هذا الحديث من أئمّة أهل بيت النبيّ (ص) وهم جعفر الصادق (ت: ١٤٨ هـ) عن أبيه محمّد الباقر (ت: ١١٤ هـ) عن أبيه عليّ زين العابدين (ت: ٩٥ هـ) عن أبيه الحسين سبط رسول الله (ص) (ت: ٦١ هـ) عن أبيه عليّ بن أبي طالب (ع) (ت: ٤٠ هـ) عن ابن عمّه رسول الله (ص).

قال ابن رسته في الأعلاق النفيسة، ص ٢٢٩:

«ليس في الأرض خمسة يكتب عنهم الحديث توالوا غير جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب (رض)».

والقذّة: ريش السهم.

(٢) كمال الدين للصدوق، ط. الحيدري بطهران سنة ١٣٩٠ هـ، ص ٥٧٦، ورواه عنه المجلسي في البحار، ط. الكمباني ٨ / ٣، وأشار إليه كل من الطبري في مجمع البيان، وكازر في جلاء الأذهان بتفسير آية ﴿لتركبنّ طبقاً عن طبق﴾.

وسلسلة رواة هذا الحديث من أئمة أهل بيت النبيّ (ص):

جعفر الصّادق عن أبيه محمّد الباقر عن جدّه الحسين سبط النّبيّ عن جدِّه رسول الله (ص).

(٣) فتح الباري ١٧ / ٦٤.

←

ج ـ أحمد في مسنده ومسلم والبخاري في صحيحيهما واللفظ للأخير، عن أبي سعيد الخدري، عن النبيّ (ص) قال:

«لتتبعن سنن مَنْ كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، حتّىٰ لو دخلوا جحر ضبّ تبعتموهم.

قلنا: يا رسول الله! اليهود والنصارىٰ؟

قال: فمن؟».

وفي رواية أُخرىٰ بمسند أحمد:

«لتتبعنّ سنن بني إسرائيل حتّىٰ لو دخل رجل من بني إسرائيل جحر ضبّ لتبعتموه»[1].

← يروي هذا الحديث الشافعي عن عبد الله بن عمرو، والشافعي هو: أبو عبدالله محمّد بن إدريس ابن العباس بن شافع المطلبي واختلفوا في أُمّه أهاشمية هي أم أزدية، وعلىٰ هذا فقول بعضهم له «ما رأيت هاشمياً قط قدّم أبا بكر وعمر علىٰ عليّ (رض)»، كما في طبقات الشافعية يكون تغليباً للهاشمي على المطّلبي الّذي هو من أولاد أخي هاشم.

مات بمصر سنة أربع ومائتين وله أربع وخمسون سنة. تقريب التهذيب (٢ / ١٤٣).

وعبد الله بن عمرو بن العاص قرشي سهمي كان أصغر من أبيه باثنتي عشرة سنة أسلم قبل أبيه، قرأ القرآن والكتب المتقدمة وروىٰ عن رسول الله (ص) سبعمائة حديث. شهد صفين مع أبيه ثمّ ندم وكان يقول: وددت أنّي متّ قبله بعشرين سنة. اختلفوا في وفاته وهل توفّي سنة ٦٣ أو ٦٥ بمصر أو ٦٧ بمكّة أو ٥٥ بالطائف أو ٦٨ وكذلك اختلفوا في مدّة عمره.

أُسد الغابة (٣ / ٢٣٣ ـ ٢٣٥) وجوامع السيرة لابن حزم، ص ٢٧٦.

(١) مسند الطيالسي، الحديث ٢١٧٨؛ ومسند أحمد ٣ / ٨٤ و ٩٤؛ وصحيح مسلم بشرح النووي، كتاب العلم ١٦ / ٢١٩؛ وفتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة، باب (قول النبيّ (ص): لتتبعنّ سنن من كان قبلكم) ١٧ / ٦٣ و ٦٤؛ وصحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب (ما ذكر عن بني إسرائيل) ٢ / ١٧١؛ وكنز العمال ١١ / ١٢٣.

←

د ـ البخاري في صحيحه وابن ماجة في سننه وأحمد في مسنده والمتقي في كنز العمال واللفظ للأوّل، عن أبي هريرة، عن النبيّ (ص) قال:

«لا تقوم الساعة حتّىٰ تأخذ أُمّتي بأخذ القرون قبلها، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع».

فقيل: يا رسول الله! كفارس والروم!؟

فقال: «ومن الناس إلّا أُولئك».

ولفظ أحمد في مسنده:

«والّذي نفسي بيده لتتبعن سنن الّذين من قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، وباعاً فباعاً حتىٰ لو دخلوا جحر ضبّ لدخلتموه».

قالوا: ومن هم يا رسول الله! أهل الكتاب؟

قال: فمن؟[1].

هـ ـ الترمذي في صحيحه، والطيالسي وأحمد في مسنديهما والمتقي في كنز العمال واللفظ للأوّل:

في حديث أبي واقد الليثي، عن النبيّ (ص) قال:

← ولفظته في رواية أُخرىٰ للبخاري «لو سلكوا جحر ضبٍّ لسلكتموه». وأبو سعيد سعد بن مالك ابن سنان الأنصاري من بني خدرة عرضه أبوه علىٰ رسول الله (ص) يوم الخندق وهو ابن ثلاث عشرة وأخذ بيده وهو يقول: يا رسول الله (ص) انّه عبل العظام فردّه رسول الله (ص) وشهد غزوة بني المصطلق وهو من الرواة المكثرين، روىٰ عن رسول الله (ص) (١١٧٠ حديثاً) وأخرجها جميع أصحاب الحديث وتوفّي سنة ٧٤هـ. أُسد الغابة، وجوامع السيرة، ص ٢٧٦.

(١) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة، باب قول النبيّ (ص) «لتتبعنّ سنن من كان قبلكم» ٤ / ١٧٦؛ وفتح الباري ١٧ / ٦٣؛ وسنن ابن ماجة، الحديث ٣٩٩٤؛ ومسند أحمد ٢ / ٣٢٧ وفيها «فمه» تصحيف و٢ / ٣٦٧ و ٤٥٠ و ٥١١ و ٥٢٧؛ وكنز العمال ١١ / ١٢٣.

«والّذي نفسي بيده لتركبنّ سنّة مَنْ كان قبلكم».

ولفظ أحمد في مسنده:

«لتركبنّ سنن من قبلكم سنّة سنّة»[1].

و ـ الترمذي في صحيحه والحاكم في مستدركه حسب ما رواه السيوطي في تفسيره واللفظ للأوّل، عن عبدالله بن عمرو، قال: قال رسول الله (ص):

«ليأتين علىٰ أُمّتي ما أتىٰ علىٰ بني إسرائيل؛ حذو النعل بالنعل حتىٰ إن كان في بني إسرائيل من أتىٰ أُمّه علانية لكان في أُمّتي من فعل ذلك»[2].

ز ـ البزار في مسنده ـ كما في مجمع الزوائد ـ والحاكم في مستدركه كما في كنز العمال، عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله (ص):

«لتركبنّ سنن مَنْ كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، وباعاً بباع، حتّىٰ لو أنّ أحدهم دخل جحر ضبّ لدخلتم، حتىٰ لو أنّ أحدهم جامع أُمّه لفعلتم»[3].

---

(١) سنن الترمذي ٩ / ٢٧ و ٢٨؛ ومسند الطيالسي، الحديث ١٣٤٦؛ ومسند أحمد ٥ / ٢١٨؛ وكنز العمال ١١ / ١٢٣، باب الأقوال من كتاب الفتن.

وأبو واقد الليثي من بني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة اختلفوا في اسمه وفي زمن اسلامه وهل حضر بدراً أم حضر الفتح أو لم يشهدهما وأسلم بعدهما، روىٰ عن رسول الله (ص) (٢٤ حديثاً) وأخرج حديثه البخاري في الأدب المفرد، جاور مكّة وتوفّي بها سنة ثمان وستين وله خمس وسبعون أو خمس وثمانون سنة.

أُسد الغابة ٥ / ٣١٩، وجوامع السيرة، ص ٢٨٢.

(٢) سنن الترمذي ١٠/ ١٠٩، أبواب الإيمان؛ والدر المنثور للسيوطي ٤/ ٦٢ في تفسير الآية: ﴿ولا تكونُوا كالّذينَ تفرّقوا﴾ من سورة آل عمران، عن المستدرك للحاكم.

(٣) مجمع الزوائد ٧ / ٢٦١، رواه عن البزّار والحاكم؛ وكنز العمال ١١ / ١٢٣، عن مستدرك الحاكم.

وعبدالله بن عباس روىٰ عن رسول الله (١٦٦٠ حديثاً)، أخرج حديثه جميع أصحاب الحديث. جوامع السيرة، ص ٢٧٦، وبقية ترجمته في عبدالله بن سبأ ١ / ١١٤.

ح ـ أحمد في مسنده ومجمع الزوائد عن سهل بن سعد الأنصاري عن النبيّ (ص) قال:

«والّذي نفسي بيده لتركبنّ سنن من كان قبلكم مثلاً بمثل».

وزاد الطبراني كما في مجمع الزوائد: «حتّىٰ لو دخلوا جحر ضبّ لاتبعتموه».

قلنا: يا رسول الله! اليهود والنصارىٰ؟

قال: فمن إلّا اليهود والنصارىٰ؟[1].

ط ـ الطبراني كما في مجمع الزوائد عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله (ص):

«أنتم أشبه الأُمم ببني إسرائيل، لتركبنّ طريقهم حذو القذّة بالقذّة حتّىٰ لا يكون فيهم شيء إلّا فيكم مثله...»[2].

---

(١) مسند أحمد ٥ / ٣٤٠؛ ومجمع الزوائد ٧ / ٢٦١.

وسهل بن سعد بن مالك الأنصاري الساعدي كان له يوم توفّي رسول الله (ص) خمس عشرة سنة. أدرك الحجّاج وأرسل إليه ثمّ أمر به فختم عنقه لأنّه لم ينصر عثمان، روىٰ عن رسول الله (ص) (١٨٨ حديثاً) أخرج حديثه أصحاب الحديث جميعاً. توفّي سنة ثمان وثمانين أو إحدىٰ وتسعين، ويقال: انّه آخر من بقي من أصحاب رسول الله (ص) بالمدينة.

أُسد الغابة (٢ / ٣٦٦) وجوامع السيرة (ص ٢٧٧) والتقريب (١ / ٣٣٦).

(٢) مجمع الزوائد ٧ / ٢٦١ عن الطبراني.

وأبو عبد الرحمٰن عبدالله بن مسعود بن غافل الهذلي من بني سعد بن هذيل وحليف بني زهرة من قريش. أسلم قديماً بمكّة. قالوا كان أوّل من أجهر بالقرآن بها، وهاجر إلى الحبشة والمدينة وشهد مشاهد رسول الله (ص) كلّها، وروىٰ عنه (٨٤٨ حديثاً) وأخرج حديثه أصحاب الحديث جميعاً وعينه الخليفة عمر معلماً لأهل الكوفة وخازناً لبيت مالهم، وعلىٰ عهد عثمان شكاه الوليد إلى الخليفة فجلبه إلى المدينة وأمر به فضرب به الأرض فدق ضلعه، وحرمه عطاءه سنتين فلمّا مرض مرض الوفاة أراد أن يعطيه عطاءه فلم يقبل وأوصىٰ ألّا يصلّي عليه عثمان وتوفّي سنة ٣٢ هـ، ودفن

←

ي ـ الطبراني في الأوسط كما في مجمع الزوائد وكنز العمال عن المستورد بن شدّاد أنّ رسول الله (ص) قال:

«لا تترك هذه الأُمّة شيئاً من سنن الأوّلين حتّىٰ تأتيه»[1].

ك ـ أحمد في مسنده والطبراني كما في مجمع الزوائد عن شدّاد بن أوس عن حديث رسول الله (ص):

«ليحملنّ شرار هذه الأمّة علىٰ سنن الّذين خلوا من قبلهم أهل الكتاب حذو القذّة بالقذّة» وبترجمته في أُسد الغابة (خلوا من قبلكم)[2].

* * *

← بغير علم عثمان.

أُسد الغابة ٣ / ٢٥٦ ـ ٢٥٨؛ وجوامع السيرة، ص ٢٧٦؛ وتقريب التهذيب ١ / ٤٥٠؛ وكتابنا: أحاديث أُمّ المؤمنين عائشة ١ / ٦٢ ـ ٦٥.

(١) مجمع الزوائد ٧ / ٢٦١؛ وكنز العمال ١١ / ١٢٣ عن الطبراني في الأوسط.

المستورد بن شداد بن عمرو القرشي الفهري وأُمّه دعد أُخت كرز بن جابر بن حسل كان غلاماً حين قُبضَ النبيّ (ص) وروىٰ عنه سبعة أحاديث، أخرج حديثه أصحاب الحديث والبخاري معلّقاً، سكن الكوفة ومصر وتوفّي سنة ٤٥ هـ.

أُسد الغابة ٤ / ٣٥٤؛ وجوامع السيرة، ص ٢٨٧؛ وتقريب التهذيب ٢ / ٢٤٢.

وستأتي ترجمته مفصّلة في فصل (خصائص المجتمع الإسلامي علىٰ عهد الخليفة عثمان).

(٢) مسند أحمد ٤ / ١٢٥؛ ومجمع الزوائد ٧ / ٢٦١ عن الطبراني، وقاموس الكتاب المقدّس تأليف المستر ماكس الأمريكي، المطبعة الأمريكية ببيروت سنة ١٩٠٧م.

وشدّاد بن أوس، ابن أخي حسان بن ثابت الأنصاري الخزرجي روىٰ عن رسول الله (ص) خمسين حديثاً وأخرج حديثه جميع أصحاب الصحاح، سكن بيت المقدس، توفّي بالشام سنة ٤١ أو ٥٨ أو ٦٤.

أُسد الغابة ٢ / ٢٨٧ ـ ٢٨٨؛ وجوامع السيرة، ص ٢٧٩؛ وتقريب التهذيب ١ / ٣٤٧، الترجمة رقم ٢٦.

وجدنا في ما سبق أنّ الله سبحانه أخبر عن وقوع التحريف في الأُمم السابقة وأخبر رسوله عن متابعة هذه الأمّة للأُمم السابقة في كل ما فعلوه.

وإذا قارنّا بين ما وقع من التحريف في هذه الأمّة وما وقع منه في الأمم السابقة وجدنا أنّ التحريف قد وقع في الأُمم السابقة في الكتب السماوية كما أخبر الله سبحانه بذلك في قوله:

﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَابَ ٱلَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُوراً وَهُدىً لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً﴾. (الأنعام / ٩١)

صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم في ما أخبرا عن تحريف الأُمم السابقة لكتب الله ومتابعة هذه الأُمّة الأمم السابقة في تحريفها كتاب الله، غير أنّ الله تبارك وتعالىٰ حفظ كتابه العظيم ـ القرآن الكريم ـ عن كل ما فعلوه في تحريف القرآن كما حفظ خليله إبراهيم (ع) من الإحتراق بالنار الّتي ألقاه قومه فيها، ومنع لهيب النار من الوصول إليه وإحراقه. كذلك حفظ الله القرآن من وصول التحريفات الّتي جاءت في الروايات من الوصول إلىٰ نسخ القرآن الكريم. وبقيت نسخ القرآن محفوظة بمشيئة الله من تلكم التحريفات أبد الدهر. وسيأتي بيانه في البحوث الآتية بإذنه تعالىٰ.

روايات تحريف القرآن الكريم ـ معاذ الله ـ وحفظ الله كتابه من التحريف

حرّف بعض أفراد هذه الأُمّة القرآن الكريم بالقراءات المختلفة، فانّهم ـ مثلاً ـ حرّفوا ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّالِّينَ﴾ بتسعة أنواع من التحريف كالآتي:

أ ـ غير المغضوب عليهُمْ وغير الضّالّين.

ب ـ غير المغضوب عليهِمي.

ج ـ غيرِ المغضوب عليهِمُو.

د ـ غيرِ المغضوب عليهُمُو.

هـ ـ غيرِ المغضوب عليهُمُ.

و ـ غيرِ المغضوب عليْهُمِي.

ز ـ غيرِ المغضوب عليهُمِ.

ح ـ غيرِ المغضوب عليهِمُ.

ط ـ غيرِ المغضوب عليهِمِ[1].

والصحيح غيرِ المغضوب عليهِمْ.

هكذا قام في هذه الأُمّة مَنْ سمّوا بالقرّاء بتحريف القرآن الكريم آلاف المرّات باسم القراءات المختلفة كما سندرسها إن شاء الله في بحث القراءات، ولكن الله حفظ قرآنه الكريم كما وعد عن أن تناله أيدي المحرّفين وأبقىٰ كتابه الكريم سالماً عن كل ذلك التحريف بأيدي كلّ الناس، والحمد لله علىٰ هذه النعمة العظيمة.

ولم يكن الشيخ النوري، الوحيد ممّن شوّش فكره من تلك الأحاديث، بل سبقه إلىٰ ذلك علماء مدرسة الخلفاء، وقالوا بالتحريف ولكنّهم بدّلوا اسم التحريف وسمّوه باسم النسخ والإنساء أو بأسماء أُخرىٰ وفق اجتهاداتهم، كما سيأتي دراسته في بحث روايات السبعة أحرف، وأخيراً نشر المستشرقون تلك الروايات وتلك القراءات بهدف التشكيك بثبوت النصّ القرآني، كما سنذكر بعضها في آخر هذا المجلّد إن شاء الله تعالىٰ.

---

(١) راجع تفسير سورة الحمد من تفسير القرطبي ١ / ١٤٨ ـ ١٥١.

البحث الثاني

روايات البسملة وتناقضها ومنشأه

١ ـ ما يدلّ علىٰ أنّ البسملة آية من سور القرآن. ٢ ـ أنّ البسملة آية من سورة الحمد وقرأها النبيّ (ص) في الصلاة وأمر بها. ٣ ـ الجهر بالبسملة في الصلاة. ٤ ـ من قال: صلّيتُ خلف رسول الله (ص) فأجهر بالبسملة. ٥ ـ من قال صلّيتُ خلف بعض الخلفاء فأجهر بالبسملة. ٦ ـ لفظ (يفتتح القراءة بالبسملة ويستفتح) بمعنىٰ يجهر بها. ٧ ـ أقوال الصحابة والتابعين والفقهاء في البسملة بالإضافة إلىٰ كيفية قراءتهم إيّاها. ٨ ـ تواتر القول بجزئية البسملة من السورة. ٩ ـ إجماع مدرسة أهل البيت (ع) علىٰ وجوب قراءة البسملة في الصلاة. ١٠ ـ أفرد عدّة من العلماء كتباً في وجوب قراءة البسملة. ١١ ـ الروايات المناقضة لروايات وجوب قراءة البسملة. ١٢ ـ اختلاف الفقهاء بمدرسة الخلفاء في شأن قراءة البسملة. ١٣ ـ أُسّ العلل في ما روي مناقضاً لروايات وجوب قراءة البسملة. ١٤ ـ منشأ تناقض الروايات في البسملة. ١٥ ـ هل يتيسّر الرجوع إلى القرآن الكريم دون الحديث؟

البسملة لدى المدرستين [1]

اختلف المسلمون في شأن البسملة.

فذهبت طائفة: إلىٰ أنّه يجب قراءة ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، في أوّل الحمد وأوّل كلّ سورة.

وذهبت طائفة أُخرىٰ: إلىٰ أنّه لا يجب.

والأوّل أَصح!!

لأنّ يقين البراءة يحصل به، فانّ مَن قرأها صحّت صلاته إجماعاً؛ ومَن تركها في أحد الموضعين، صحّت صلاته عند بعضهم، وبطَلت عند الباقين؛ فتعيّن قراءتها في الموضعين، لِيَحصل الخروج عن هذه التكاليف، بالإجماع.

* * *

هذا ما نذهب إليه في هذا الشأن، وفي ما يأتي نورد بإذنه تعالى الروايات المختلفة في شأن البسملة لندرسها بعد ذلك إن شاء الله تعالىٰ.

---

(١) كتب المحدّث النوري صفحة واحدة عن البسملة في كتابه (فصل الخطاب)، ص ١٢٢ في كون ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ آية من القرآن وجزءاً من كل سورة، ولم يأت في ما ذكر بشيء نافع.

أوّلاً ـ ما يدلّ علىٰ أنّ البسملة آية من سور القرآن:

أ ـ عن عبد الله بن عباس قال: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، آية[1].

ب ـ عن طلحة بن عبيدالله قال: قال رسول الله (ص): «من ترك ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فقد ترك آية من كتاب الله»[2].

ج ـ عن الصحابي أنس، قال: بينا رسول الله (ص) ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفىٰ إغفاءة ثمّ رفع رأسه متبسماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: أنزلت عليّ آنفاً سورة، فقرأ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ ٱلْكَوْثَرَ ...﴾[3].

د ـ عن ابن عمر، قال: نزلت ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ في كلّ سورة[4].

---

(١) الدرّ المنثور ١ / ٧، عن ابن الضريس.

(٢) الدرّ المنثور ١ / ٧، عن الثعلبي.

والثعلبي، العلّامة أبو إسحاق أحمد بن محمّد بن إبراهيم النيسابوري (ت: ٤٣٧ هـ). من تآليفه: الكشف والبيان في تفسير القرآن.

تذكرة الحفاظ، ص ١٠٩٠، وهدية العارفين ١ / ٧٥.

وطلحة بن عبيدالله الصحابي أبو محمّد التيمي، رووا عنه ٣٨ حديثاً. قتل في حرب الجمل سنة ٣٦ هـ.

جوامع السيرة، ص ٢٨١؛ وتذكرة الحفاظ، ص ١٠٩٠؛ تقريب التهذيب ١ / ٣٧٩.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب (حجّة مَنْ قال: إنّ البسملة آية من كلّ سورة سوىٰ براءة) الحديث ٥٣، واللّفظ له ١/ ٣٠٠؛ وسنن النّسائي، كتاب الإفتتاح، باب قراءة البسملة؛ وسنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب من لم ير الجهر بالبسملة ١ / ٢٠٨؛ ومسند أحمد ٣ / ١٠٢؛ وسنن البيهقي ١ / ٤٣.

وأنس بن مالك ترجم له في معالم المدرستين ١ / ١٣٤، ط. الرابعة.

(٤) الدرّ المنثور ١ / ٧، عن الواحدي.

والواحدي، الإمام أبو الحسن عليّ بن أحمد بن محمّد، المفسّر النيسابوري، من تآليفه: أسباب ←

هـ ـ عن ابن عمّ النبيّ (ص)؛ ابن عباس: أنّ النبي (ص) كان إذا جاءه جبريل فقرأ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، علم أنّها سورة[1].

و ـ عن ابن عباس قال: كان النبيّ (ص) لا يعرف فصل السورة، وفي لفظٍ، خاتمة السورة حتّىٰ ينزل عليه ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾. زاد البزار والطبراني: فإذا نزلت عرف أنّ السورة قد ختمت واستقبلت أو ابتدأت سورة أُخرىٰ[2].

ز ـ عن ابن عباس قال: كان المسلمون لايعرفون انقضاء السورة حتّىٰ تنزل: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، فإذا نزلت عرفوا أنّ السورة قد انقضت[3].

ح ـ في رواية ابن مسعود: كنّا لا نعلم فصل ما بين السورتين حتّىٰ تنزل: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

ط ـ قال سعيد بن جبير: في عهد النبيّ (ص) كانوا لا يعرفون انقضاء السورة حتّىٰ تنزل: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، فإذا نزلت علموا أنْ قد انقضت السورة ونزلت أُخرىٰ[4].

← النزول في تبليغ الرسول (ص)، والبسيط والوجيز في تفسير القرآن (ت: ٤٦٨ هـ).
هدية العارفين ٢ / ٦٩٢، ومادّة الوجيز بكشف الظنون.
وابن عمر ترجم له في الجزء الأوّل، ص ١٩٥، ط. الرابعة من معالم المدرستين.

(١) في مستدرك الحاكم ١ / ٢٣١، هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه. ونقله السيوطي ـ أيضاً ـ في الدرّ المنثور ١ / ٧، عن الطبراني والبيهقي في شعب الإيمان.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب من جهر بها ١ /٢٠٩؛ وسنن البيهقي ٢ /٤٣؛ ومستدرك الحاكم ١ / ٢٣٢، وقال هذا حديث صحيح ولم يخرجاه. وقال الذهبي: أمّا هذا فثابت؛ وراجع مجمع الزوائد للهيتمي ٦ / ٣١٠؛ وفي الدرّ المنثور ١ / ٧؛ عن الطبراني والبيهقي.

(٣) مستدرك الحاكم ١ / ٢٣١ ـ ٢٣٢؛ وسنن البيهقي ٢ / ٤٣؛ والدر المنثور ١ / ٧.

(٤) رواية ابن مسعود في الدرّ المنثور ١ / ٧، عن البيهقي في شعب الإيمان. والواحدي، وخبر ←

ي ـ عن ابن عباس قال: سألت عليّ بن أبي طالب (رض)، لِمَ لَمْ تُكتب في براءة: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾؟ قال: لأنّ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ أمان، وبراءة نزلت بالسيف[1].

ثانياً ـ أنّ البسملة آية من سورة الحمد وقرأها النبيّ في الصلاة وأمر بها:

أ ـ عن أُمّ سلمة قالت: إنّ النبي (ص) كان يقرأ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ * ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ ٱلدِّين * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * ٱهْدِنَا ٱلصِّرَاطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّالِّينَ﴾[2].

وفي روايةٍ، سُئلت أُمّ سلمة عن قراءة رسول الله (ص)، فقالت: كان يُقَطِّع قراءته آية آية: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ * ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ...﴾[3].

← سعيد بن جبير فيه عن أبي عبيد، ومصنف عبد الرزاق ٢ / ٩٢.

وسعيد بن جبير الكوفي الوالبي ولاءً، الفقيه، المقرئ من التابعين. أخرج حديثه أصحاب الصحاح والسنن. خرج مع عبدالرحمٰن بن الأشعث على الحجّاج، فلمّا غلبهم الحجّاج قتله سنة ٩٥ هجرية.

تذكرة الحفاظ، ص ٧٦ ـ ٧٧؛ وتقريب التهذيب ١ / ٢٩٢.

(١) الدرّ المنثور بتفسير سورة التوبة: أخرج أبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس.

(٢) مستدرك الحاكم وتلخيصه ٢ / ٢٣٢، ولفظه: (يقرأ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ يقطعها حرفاً حرفاً).

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وأيّده الذهبي في تلخيصه، والفخر الرازي أخرجها بسندين في تفسيره ١ / ١٩.

وأُمّ سلمة ترجمت في الجزء الأوّل من معالم المدرستين، ص ١٣٣، الطبعة الرابعة.

(٣) مسند أحمد ٦ / ٣٠٢؛ وسنن أبي داود ٤ / ٣٧١، كتاب القراءات والحروف؛ وسنن ←

ب ـ عن ابن عباس قال: (كان النبيّ (ص) يفتتح صلاته بـ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾)[1].

ج ـ عن جابر، قال: قال لي رسول الله (ص): كيف تقرأ إذا قمتَ إلى الصلاة؟ قلت: أقرأ الحمد لله ربّ العالمين، قال: قل ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[2].

د ـ عن نافع، أنّ ابن عمر كان إذا افتتح الصلاة يقرأ بـ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ في أُمّ القرآن وفي السورة الّتي تليها. ويذكر أنّه سمع ذلك من رسول الله (ص)[3].

← البيهقي ٢ / ٤٤، وفي ٥٣ منه بإيجاز.

وأضاف السيوطي في الدرّ المنثور ١ / ٧ وقال: أخرج أبو عبيد وابن سعد في الطبقات وابن أبي شيبة وابن خزيمة وابن الأنباري في المصاحف والدارقطني والخطيب وابن عبدالبرّ، كلاهما في كتاب المسألة عن أمّ سلمة ... وفي آخره: (وعدّ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ آية).

وابن خزيمة، أبو بكر محمّد بن إسحاق الشافعي النيسابوري، انتهت إليه الإمامة والحفظ في خراسان. قالوا: مصنفاته تزيد علىٰ مائة وأربعين كتاباً.

تذكرة الحفاظ، ص ٧٢٠ ـ ٧٣١؛ وهدية العارفين ٢ / ٢٩.

والدارقطني، الحافظ أبو الحسن عليّ بن عمر بن أحمد الشافعي. إمام عصره في الحديث، وأوّل من صنف القراءات وعقد لها أبواباً. من تآليفه: السنن والإلزامات على الصحيحين (ت: ٣٨٥ هـ).

تذكرة الحفاظ ٣ / ٩٩١؛ وهدية العارفين ١ / ٦٨٣.

(١) سنن الترمذي ٢ / ٤٤، أبواب الصلاة، باب ما جاء في الجهر ببسم الله الرّحمٰن الرّحيم. والدرّ المنثور ١ / ٨، عن الدارقطني وأبي داود، كتاب الصلاة، باب من جهر بها ـ البسملة ـ، ح: ٧٨٨، ١ / ٢٠٩.

(٢) في الدرّ المنثور ١ / ٨، عن الدارقطني والبيهقي في شعب الإيمان.

(٣) سنن البيهقي ٢ / ٤٧؛ والسيوطي ١ / ٨ عن الطبراني في الأوسط والدارقطني والبيهقي واللفظ للسيوطي لإيجازه. وفي لفظ البيهقي: أنّ رسول الله (ص) كان إذا افتتح الصلاة يبدأ ببسم الله ...

هـ ـ عن أبي هريرة أنّ النبيّ (ص) كان إذا قرأ وهو يؤمّ الناس، افـتتح بـ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، قال أبو هريرة: هي آية من كتاب الله، اقرؤا[1] إن شئتم فاتحة الكتاب فإنّها الآية السابعة[2].

و ـ عن قتادة، قال: سُئل أنس بن مالك، كيف كانت قراءة رسـول الله (ص)؟ قال: كانت مدّاً ثمّ قرأ ﴿بسم الله الرّحمٰن الرّحيم﴾ يُمدّ: ﴿بسم الله﴾ ويُمدّ ﴿الرّحمٰن﴾ ويُمدّ ﴿الرّحيم﴾[3].

ز ـ عن أبي هريرة (رض) قال: قال رسول الله (ص): إذا قرأتم الحـمد فأقرؤا[4] ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، إنّها أُمّ القرآن وأُمّ الكتاب والسبع المثاني، و ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ إحدىٰ آياتها[5].

وفي رواية: أنّ النبيّ (ص) كان يقول: الحمد لله ربّ العالمين، سبع آيات إحداهن: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾... ويعدّه كالحديث السابق[6].

ح ـ عن أبي هريرة قال: كنتُ مع النبيّ (ص) في المسجد إذ دخل رجل

---

(١) هكذا في الأصل.

(٢) في سنن البيهقي ٢ / ٤٧؛ وفي الدرّ المنثور ١ / ٣ نقله عن الدارقطني ـ أيضاً ـ.

وأبو هريرة الدوسي الصحابي، اختلفوا في اسمه واسم أبيه. رووا عنه (٥٣٧٤) حديثاً (ت: ٥٧ أو ٥٨ أو ٥٩ هـ).

جوامع السيرة، ص ٢٧٥؛ وتقريب التهذيب ٢ / ٤٨٤.

(٣) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب مدّ القرآن ٣ / ١٥٦؛ وسنن البيهقي، بـاب افتتاح القراءة في الصلاة بـ ﴿بسم الله الرّحمٰن الرّحيم﴾، والجهر بها إذا أجهر بالفاتحة ٢ / ٤٣.

(٤) هكذا في الأصل.

(٥) و(٦) الحديثان بسنن البيهقي ٢/٤٥؛ وفي الدرّ المنثور ١/٣؛ قال عن الحديث الأوّل: أخرج الدارقطني وصحّحه، وقال عن الحديث الثاني: أخرج الطبراني في الأوسط وابن مردويه في تفسيره.

ونقل الأوّل بإيجاز، كلّ من الرازي في تفسيره ١ / ١٩٦؛ والمتقي في كنز العمال، ط. الثانية ١ / ٤٩٧؛ والسيوطي في الإتقان ١ / ٨١.

يصلّي، فافتتح الصلاة وتعوّذ، ثمّ قال: الحمد لله ربّ العالمين، فسمع النبيّ (ص) فقال له: يا رجل! قطعت علىٰ نفسك الصلاة، أما علمت أنّ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ من الحمد؟ فمَنْ تركها فقد ترك آية، ومَنْ ترك آية فقد أفسد عليه صلاته[1].

ثالثاً ـ الجهر بالبسملة في الصلاة:

أ ـ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ص): علّمني جبريل الصلاة فقام فكبّر لنا ثمّ قرأ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ في ما يجهر به في كلّ ركعة[2].

ب ـ عن عائشة، أنّ رسول الله (ص) كان يجهر بـ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[3].

ج ـ عن عليّ بن أبي طالب، قال: كان النبيّ (ص) يجهر بـ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ في السورتين جميعاً[4].

د ـ عن أبي الطفيل، قال: سمعتُ عليّ بن أبي طالب وعمّاراً يقولان إنّ رسول الله (ص) كان يجهر في المكتوبات بـ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ في فاتحة

---

(١) في الدرّ المنثور ١ / ٧، قال أخرج التعلبي.

(٢) في الدرّ المنثور ١ / ٧، قال أخرجه الدارقطني، وعلىٰ هذه الرواية يحمل ما رواه الدارقطني عن النعمان بن بشير، قال: قال رسول الله (ص) «أمّني جبريل (ع) عند الكعبة فجهر بـ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾».

والنعمان بن بشير، أبوعبدالله الأنصاري الخزرجي، استعمله معاوية وابنه يزيد، ولمّا مات معاوية ابن يزيد دعا الناس في الشام إلىٰ بيعة ابن الزّبير، فخالفه أهل حمص وقتلوه سنة ٦٤ أو ٦٥ هـ. رووا عنه ١١٤ حديثاً.

جوامع السيرة، ص ٢٧٨؛ وأُسد الغابة ٥ / ٢٢ ـ ٢٣؛ وتقريب التهذيب ٢ / ٣٠٣.

(٣) و (٤) في الدرّ المنثور ١ / ٨، قال: أخرج الدارقطني عن عائشة. وفي الثانية عن عليّ.

الكتاب[1].

هـ ـ عن أبي هريرة قال: كان رسول الله (ص) يجهر بـ ﴿بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحمٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ في الصلاة، فترك الناس ذلك[2].

ز ـ عن أبي الطفيل قال: سمعتُ رسول الله (ص) يجهر بـ ﴿بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحمٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[3].

ح ـ عن أنس بن مالك، قال: سمعتُ رسول الله (ص) يجهر بـ ﴿بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحمٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[4].

رابعاً ـ مَنْ قال صلّيتُ خلف رسول الله (ص) فجهر بالبسملة:

أ ـ عن ابن عمر، قال صلّيتُ خلف النبيّ (ص) وأبي بكر وعمر فكانوا يجهرون بـ ﴿بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحمٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[5].

ب ـ عن محمّد بن أبي السري العسقلاني قال: صلّيتُ خلف المعتمر بن

---

(١) في الدرّ المنثور ١ / ٨، قال: أخرج البزار والدارقطني والبيهقي في شعب الإيمان من طريق أبي الطفيل.

وأبو الطفيل، عامر بن واثلة بن عبد الله اللّيثي، وربّما سمّي عَمْراً، روىٰ عنه أصحاب الصحاح تسعة أحاديث (ت: ١١٠ هـ).

جوامع السيرة، ص ٢٨٦؛ وتقريب التهذيب ١ / ٣٨٩.

(٢) سنن البيهقي ٢ / ٤٧؛ وفي مستدرك الحاكم ١ / ٢٣٢؛ وفي الدرّ المنثور ١ / ٨ عنهما وعن الدارقطني، ولفظهم: إلىٰ ... فترك الناس ذلك.

(٣) في الدرّ المنثور ١ / ٨، قال: أخرج الطبراني والدارقطني والبيهقي في شعب الإيمان عن طريق أبي الطفيل.

(٤) مستدرك الحاكم ١ / ٢٣٣، وقال: رواة الحديث عن آخرهم ثقات، وأيّده الذهبي في تلخيصه، ورواه في الدرّ المنثور عن الدارقطني أيضاً.

(٥) في الدرّ المنثور ١ / ٨، عن الدارقطني.

سليان ما لا أُحصي صلاة الصبح والمغرب، فكان يجهر بـ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قبل فاتحة الكتاب وبعدها. وسمعتُ المعتمر يقول: ما آلو أن أقتدي بصلاة أبي، وقال أبي: ما آلو أن أقتدي بصلاة أنس بن مالك، وقال أنس بن مالك، ما آلو أن أقتدي بصلاة رسول الله (ص)[1].

ج ـ روى الحاكم عن أنس قال: صلّيتُ خلف النبيّ(ص) وخلف أبي بكر وخلف عمر وخلف عثمان وخلف عليّ فكلّهم كانوا يجهرون بقراءة ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

قال الحاكم: (إنّما ذكرتُ هذا الحديث شاهداً لما تقدّمه، ففي هذه الأخبار الّتي ذكرناها معارضة لحديث قتادة الّذي يرويه أئمتنا عنه، وقد بقي في الباب عن أمير المؤمنين عثمان) وذكر أسماء جمع من الصحابة ترك إيراد حديثهم وقال: (كلّها مخرجة عندي، إيثاراً للتخفيف...)[2].

---

(١) مستدرك الحاكم وتلخيصه ١/٢٣٤، وقال الحاكم: رواة هذا الحديث عن آخرهم ثقات، وأيّده الذهبي.

ومحمّد بن أبي السري، محمّد بن المتوكل بن هاشم العسقلاني الهاشمي ولاءً. أخرج حديثه أبو داود (ت: ٢٣٨ هـ). تقريب التهذيب ٢ / ٢٠٤.

والمعتمر بن سليان، الحافظ أبو محمّد التيمي البصري الملقّب بالطفيل ثقة، حدّث عن أبيه. أخرج حديثه أصحاب الصحاح (ت: ٢٨٢ هـ).

تذكرة الحفاظ، ص٢٦٦؛ ومادّة (عسقلان) من أنساب السمعاني؛ وتقريب التهذيب ٢/٢٦٣.

(٢) مستدرك الحاكم ١ / ٢٣٤، وكذّب الخبر الذهبي في تلخيصه اعتباطاً دون أن يذكر للحديث علّة من ضعف السند وما شابهه.

وفي الباب عن الحكم بن عمير أو عمرو الثمالي، وكان بدريّاً، أنّه صلّىٰ خلف النبّي (ص) صلاة اللّيل والغداة والجمعة فجهر بالبسملة. رواه عنه بترجمة الحكم في أُسد الغابة ٢ / ٣٧، وقال: (يعدّ في الشاميين، سكن حمص). ونقله السيوطي عن الدارقطني في الدرّ المنثور ١ / ٨؛ ونقل الرواية ←

خامساً ـ من قال صلّيتُ خلف بعض الخلفاء فجهر بالبسملة:

بالإضافة إلى الروايات السابقة الّتي رويت عمّن صلّىٰ خلف النبيّ (ص) والخلفاء وجهروا بالبسملة، في ما يأتي روايات عمّن صلّىٰ خلف بعض الخلفاء ورآهم يجهرون بالبسملة.

الخليفة عمر بن الخطّاب:

روىٰ عبدالرّحمٰن بن أبزي وقال: صلّيتُ خلف عمر بن الخطاب، فجهر بـ ﴿بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحمٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[1].

الإمام عليّ بن أبي طالب:

ب ـ روى الشعبي وقال: رأيت عليّ بن أبي طالب وصلّيتُ وراءه فسمعته يجهر بـ ﴿بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحمٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

ج ـ في تفسير الرازي بسنده أنّ الإمام علـيّاً كان إذا افتتح السـورة في

→ ـ أيضاً ـ ابن حجر بترجمة موسىٰ بن أبي حبيب في لسان الميزان ٦ / ١١٥.

وانّما تركناه لأنّهم تكلّموا في رواية موسىٰ بن أبي حبيب. وكذلك تركنا حديث الصحابي بريدة في الدرّ المنثور ١ / ٧، عن أبي حاتم والطبراني والدارقطني والبيهقي في سننه: (أنّ النبيّ (ص) سأله عمّا يفتتح به من القرآن في الصلاة، فقال: بسم الله ... فقال النبيّ (ص) له: هي هي)، لأنّ السيوطي ضعّف سنده.

(١) سنن البيهقي ٢ / ٤٨.

وعبدالرّحمٰن بن أبزي هو عبدالله بن عبدالرّحمٰن، أبوه عبدالرّحمٰن بن أبزي الكوفي، الخزاعي ولاءً كان في عهد عمر رجلاً، صحابي صغير، قال فيه الخليفة عـمر: ممّن رفعه الله بالقـرآن. ولي خراسان للإمام عليّ. رووا عنه ١٢ حديثاً.

جوامع السيرة، ص ٢٨٤؛ وأُسد الغابة ٣ / ٤٢١؛ وتقريب التهذيب ١ / ٤٧٢.

الصلاة يقرأ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ...﴾، وكان يقول من ترك قراءتها فقد نقص[1].

عبدالله بن الزّبير:

روى الأزرق بن قيس وقال: صلّيتُ خلف ابن الزبير فقرأ فجهر بـ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

قال البيهقي: وروينا عن أبي هريرة بإسناد صحيح عنه[2].

ويتبع هذا الباب ما جاء في تفسير ابن كثير، قال:

أ ـ روى النِّسائي في سننه وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما والحاكم في مستدركه عن أبي هريرة أنّه صلّىٰ فجهر بقراءته بالبسملة. وقال بعد أن فرغ إنِّي لأشبهكم صلاة برسول الله (ص)، وصحّحه الدارقطني والخطيب والبيهقي وغيرهم[3].

ب ـ روى الدارقطني في سننه بسنده عن يحيىٰ بن حمزة قال:

---

(١) سنن البيهقي ٢ / ٤٩؛ وفي تفسير الرازي ١ / ١٩٦.

والشعبي، هو أبو عمرو عامر بن شراحيل الكوفي، كان يتحامل علىٰ شيعة عليّ بن أبي طالب. وذكر له ابن عبد البرّ في (جامع بيان العلم) قصّة في هذا الصدد. مات بعد المائة. أخرج حديثه أصحاب الصحاح.

تذكرة الحفاظ ١ / ٧٩؛ وتقريب التهذيب ١ / ٣٨٧؛ وهدية العارفين ١ / ٤٣٥.

(٢) سنن البيهقي ٢ / ٤٩.

وابن الزبير، أبو خبيب، عبدالله بن الزبير، بويع بالخلافة بمكّة سنة إحدىٰ وستّين هجرية، وقتله الحجّاج سنة ٧٣ هـ. رووا عنه ٣٣ حديثاً.

جوامع السيرة، ص ٢٨١، وتقريب التهذيب ١ / ٤١٥.

والأزرق بن قيس الحارثي البصري، ثقة من التابعين. أخرج حديثه البخاري والنِّسائي وأبو داود. مات بعد العشرين والمائة. تقريب التهذيب ١ / ٥١.

(٣) تفسير ابن كثير ١ / ١٦.

صلّىٰ بنا المهدي المغرب، فجهر بـ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، قال: فقلت: يا أمير المؤمنين! ما هذا؟ فقال: حدثني أبي عن أبيه عن جدّه عن ابن عباس:

أنّ النبي (ص) جهر بـ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

قال: فقلت: نأثره عنك؟

قال: نعم[١].

سادساً ـ يفتتح القراءة بالبسملة ويستفتح، أي يجهر بقراءتها:

أ ـ روى البيهقي، عن ابن عباس أنّ النبيّ (ص) كان يستفتح القراءة بـ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، يقرأ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ في الصلوة[٢]، يعني كان يجهر بها. قال: وله شواهد عن ابن عباس ذكرناها في الخلافيات[٣].

ويؤيّد قول البيهقي (يستفتح القراءة... يعني كان يجهر بها)، ما رواه هو والذهبي عن ابن شهاب أنّه قال: من سنّة الصلاة أن يقرأ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، ثمّ فاتحة الكتاب، ثمّ يقرأ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، ثمّ يقرأ سورة، فكان ابن شهاب يقرأ أحياناً بسورة مع فاتحة الكتاب يفتتح كلّ سورة منها بـ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، وكان يقول: أوّل مَنْ قرأ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ

---

(١) سنن الدارقطني ١ / ٢٠٣ و ٢٠٤.

ويحيىٰ بن حمزة بن واقد الحضرمي، أبو عبدالرّحمٰن الدمشقي القاضي (ت: ١٣٨ هـ) على الصحيح وله ثمانون سنة، أخرج حديثه جميع أصحاب الصحاح. تقريب التهذيب ٢ / ٣٤٦.

(٢) كذا في الأصل.

(٣) سنن البيهقي ٢ / ٤٧، وقال في كشف الظنون، ص ٧٢١:

وخلافيات البيهقي جمع فيه المسائل الخلافية بين الشافعي وأبي حنيفة.

ورواه الشافعي في الأُمّ ١ / ١٠٧، إلىٰ قوله: يفتتح القراءة.

﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ سرّاً بالمدينة عمرو بن سعيد بن العاص وكان رجلاً حييّاً[1].

فإنّ ابن شهاب لمّا قال: (يفتتح كلّ سورة منها ببسم الله... وأوّل من قرأ بسم الله... سرّاً بالمدينة عمرو)، جعل (يفتتح كلّ سورة) مقابل (قرأ سرّاً).

وبناءً علىٰ هذا، كلّ ما جاء في الحديث: يفتتح أو يستفتح القراءة بالبسملة، يعني يقرأها جهراً مثل الرواية الآتية:

عن بكر بن عبد الله قال: كان ابن الزبير (رضي الله عنهما) يستفتح القراءة في الصلاة بـ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ويقول ما يمنعهم منها إلّا الكبر[2].

سابعاً ـ أقوال الصحابة والتابعين والفقهاء في البسملة مضافاً إلىٰ قراءتهم إيّاها:

أ ـ قال البيهقي، عن عبد خير قال سُئل عليّ (رض) عن السبع المثاني فقال:

---

(١) سنن البيهقي ٢ / ٥٠؛ وتذكرة الحفاظ ١ / ١١٠؛ والدرّ المنثور ١ / ٨. وقول ابن شهاب من سنّة الصلاة، أي: من سنّة رسول الله (ص) في الصلاة.

وابن شهاب، أبو بكر محمّد بن مسلم القرشي الزهري المدني، الإمام الحافظ، الفقيه، تابعي. أخرج حديثه جميع أصحاب الصحاح (ت: ١٢٥ هـ)، وقيل قبل ذلك بسنة أو سنتين.

تقريب التهذيب ٢ / ٢٠٧؛ تذكرة الحفاظ ١ / ١٠٨ـ١١٢.

وعمرو بن سعيد بن العاص بن أُميّة، لُقِّب بالأشدق لفصاحته وكان والي مكّة والمدينة لمعاوية وابنه يزيد وجعله مروان وليّاً للعهد بعد ابنه عبدالملك وقتله عبدالملك سنة ٧٠ هـ. أخرج حديثه مسلم والترمذي والنّسائي وابن ماجة وأبو داود في المراسيل.

تقريب التهذيب ٢ / ٧٠؛ وتاريخ الطبري وابن الأثير وابن كثير في ذكر حوادث سنة (٤٢ـ ٧٠ هـ).

(٢) سنن البيهقي ٢ / ٤٩.

وبكر بن عبدالله، أبو عبدالله البصري المزني، ثقة، ثبت، جليل، من التابعين، أخرج حديثه أصحاب الصحاح (ت: ١٠٦ هـ). تقريب التهذيب ١ / ١٠٦.

الحمد لله، فقيل له إنّما هي ستّ آيات، فقال: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ آية[1].

ب ـ وعن عليّ، أنّه كان إذا افتتح السورة في الصلاة يقرأ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، وكان يقول: من ترك قراءتها فقد نقص، وكان يقول هي تمام السبع المثاني[2].

ج ـ وجاءت عن ابن عباس روايات متعدِّدة في ذلك في بعضها بيان وتأكيد على البعض الآخر، نذكر موجز روايتين منها:

١ ـ (قال: ولقد آتيناك سبعاً من المثاني، هي أُمّ القرآن، وأنّه قرأ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ الآية السابعة، وقال: أخرجها ـ الله ـ لكم وما أخرجها لأحد قبلكم).

قال الحاكم: صحيح علىٰ شرط الشيخين، أي: البخاري ومسلم في صحيحيهما، وأيّده علىٰ ذلك الذهبي[3].

٢ ـ (قال: إنّ السبع المثاني هي فاتحة الكتاب، وأنّه قرأها بـ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ سبعاً، فسُئل الراوي هل أخبرك أنّه قال ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ آية من كتاب الله؟ قال: نعم، ثمّ قال: قرأها ابن عباس بـ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ

---

(١) في سنن البيهقي ٢ / ٤٥؛ والدرّ المنثور ١ / ٣، قال: أخرج الدارقطني والبيهقي بسند صحيح؛ والإتقان ١ / ٨١؛ وكنز العمال ١ / ١٩١.

وعبد خير، أبو عمارة بن يزيد الهمداني الكوفي، مخضرم، ثقة، من كبار التابعين، وكان من أكابر أصحاب عليّ، سكن الكوفة. قال ابن حجر: من الثانية، لم يصحّ له صحبة. أخرج حديثه أصحاب الصحاح سوى الشيخين. أُسد الغابة ٣ / ٢٧٧؛ وتقريب التهذيب ١ / ٤٧٠.

(٢) في الدرّ المنثور ١ / ٧، قال: أخرج الثعلبي عن عليّ الحديث، وكنز العمال ٢ / ١٩١، ٣٧٥.

(٣) مستدرك الحاكم وتلخيصه ١ / ٥٥٠ ـ ٥٥١؛ وكنز العمال ٢ / ١٩٢.

ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ في الركعتين معاً)[1].

د ـ عن نافع عن عبدالله بن عمر، كان يفتتح أمّ الكتاب بـ ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[2]، وأنّه كان إذا افتتح الصلاة كبّر ثمّ قرأ ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ...﴾، فإذا فرغ قرأ ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، قال وكان يقول لِمَ كتبت في المصحف إن لم تقرأ[3]؟!

هـ ـ عن محمّد بن كعب القرظي، قال: فاتحة الكتاب سبع آيات بـ ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[4].

و ـ قال البيهقي:

(وروينا) الجهر بها عن فقهاء مكّة، عطاء وطاوس ومجاهد وسعيد بن جبير[5].

---

(١) مستدرك الحاكم وتلخيصه ١ / ٥٥١؛ وسنن البيهقي ٢ / ٤٧ ـ ٤٨. وباقي روايات ابن عباس، فقد أخرج الحاكم في باب فضائل القرآن من مستدرك الحاكم ١ / ٥٥٠ ـ ٥٥٢، سبعاً منها. وقال السيوطي في الإتقان ١ / ٨٠ ـ ٨١: أخرج ابن خزيمة والبيهقي بسند صحيح، وفي الأُمّ للشافعي ١ / ١٠٧.

(٢) سنن البيهقي ٢ / ٤٨، ٤٩.

(٣) سنن البيهقي ٢ / ٤٤؛ والدرّ المنثور ١ / ٧. وفي رواية أنّ العبادلة أبناء عباس وعمر والزبير كانوا يجهرون بها.

ونافع، أبو عبدالله المدني، مولىٰ ابن عمر، ثقة، ثبت، فقيه، من التابعين. أخرج حديثه أصحاب الصحاح (ت: ١١٧ هـ أو بعدها).

تذكرة الحفاظ، ص ٩٩؛ تقريب التهذيب ٢ / ٢٩٦.

(٤) في الدرّ المنثور ١ / ٨، عن أبي عبيد.

ومحمّد بن كعب القرظي المدني قد نزل الكوفة مدّة، ثقة، عالم. أخرج حديثه أصحاب الصحاح (ت: ١٢٠ هـ). تقريب التهذيب ٢ / ٢٠٣.

(٥) سنن البيهقي ٢ / ٥٠.

←

ز ـ وفي مصنف عبد الرزاق، باب قراءة البسملة (... عن أُبيّ وآخرين من الصحابة والتابعين أنّهم كانوا يقرأونها)[1].

ثامناً ـ تواتر القول بجزئية البسملة من السورة في مدرسة الخلفاء:

أ ـ قال الرازي: إنّ النقل المتواتر ثابت بأنّ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ...﴾ كلام أنزله الله علىٰ محمّد (ص) وبأنّه مثبت في المصحف بخطّ القرآن[2].

وقال: وكلّ ما ليس من القرآن[3] غير مكتوب بخطّ القرآن، ألا ترىٰ أنّهم منعوا من كتابة أسامي السور في المصحف ومنعوا من العلامات على الأعشار والأخماس. والغرض من ذلك كلّه أن يمنعوا من أن يختلط بالقرآن ما ليس منه، فلو لم تكن التسمية من القرآن لما كتبوها بخطّ القرآن، ولمّا أجمعوا علىٰ كتبها بخطّ القرآن علمنا أنّها من القرآن[4].

← وعطاء بن يسار، أبو محمّد المدني، مولىٰ ميمونة، من صغار التابعين، ثقة، فاضل. أخرج حديثه جميع أصحاب الصحاح (ت: ٩٤ هـ وقيل بعده).

تقريب التهذيب ١ / ٢٣؛ تذكرة الحفاظ ١ / ٩٠.

وطاوس، أبو عبدالرّحمٰن بن كيسان اليماني، الفارسي، الحميري ولاءً، قيل اسمه ذكوان. وطاوس لقب، تابعي، ثقة، فقيه، فاضل. أخرج حديثه أصحاب الصحاح جميعاً (ت: ١٠٦ هـ).

تذكرة الحفاظ ١ / ٩٠؛ تقريب التهذيب ١ / ٣٧٧.

ومجاهد بن جبر أبو الحجّاج المخزومي، مولاهم، تابعي، ثقة، إمام في التفسير والعلم. أخرج حديثه جميع أصحاب الصحاح (ت: ١٠١ أو ١٠٢ أو ١٠٣ أو ١٠٤ هـ).

تقريب التهذيب ١ / ٢٢٩؛ وتذكرة الحفاظ ١ / ٩٢؛ وهدية العارفين ٢ / ٤.

(١) المصنف، كتاب الصلاة، باب قراءة ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، ١ / ٩٠ ـ ٩١.

(٢) تفسير الرازي ١ / ١٩٥.

(٣) في النسخة (من القرآن فانّه غير مكتوب) خطأ مطبعي، والصواب ما أثبتناه.

(٤) تفسير الرازي ١ / ١٩٧.

ب ـ وقال السيوطي في ردّ من أنكر تواتر جزئية البسملة من السورة:

(ويكفي في تواترها إثباتها في مصاحف الصحابة فَمن بعدهم بخطّ المصحف مع مَنْعِهم أن يكتب في المصحف ما ليس منه، كأسماء السور وآمين والأعشار، فلو لم تكن قرآناً لما استجازوا إثباتها بخطّه من غير تمييز، لأنّ ذلك يحمل علىٰ اعتقادها قرآناً، فيكونون مغرّرين بالمسلمين حاملين لهم على اعتقاد ما ليس بقرآن قرآناً، وهذا ممّا لا يجوز اعتقاده في الصحابة. فإن قيل لعلّها أُثبتت للفصل بين السور، أُجيب بأنّ هذا فيه تغرير ولا يجوز ارتكابه لمجرّد الفصل ولو كانت له لكتبت بين براءة والأنفال)[1].

تاسعاً ـ إجماع مدرسة أهل البيت علىٰ وجوب قراءة البسملة في الصلاة:

أجمعت مدرسة أهل البيت تبعاً لأئمّتهم في ما يروون عن رسول الله (ص) علىٰ أنّ البسملة آية من كلّ سورة، وانّ قراءتها واجبة في الحمد والسورة في كلّ صلاة، ويجب الجهر بها في الجهرية.

وقد ذكر السيِّد البروجردي (ت: ١٣٨٠ هـ) في كتابه (جامع أحاديث الشيعة) ما روي عن أئمّة أهل البيت بشأن البسملة في:

أ ـ باب أنّ البسملة آية من الحمد ومن كلّ سورة عدا براءة، فيجب قراءتها، ومن تركها يعيد.

ب ـ باب وجوب الجهر بالبسملة في الصلوات الجهرية وحكمه في الصلاة الإخفاتية.

ونقتصر بذكر ثلاث روايات ممّا أوردها في البابين المذكورين في ما يأتي:

---

(١) الإتقان ١ / ٨.

١ ـ نقل عن عيون الأخبار والأمالي للصدوق بسنده عن الحسن بن عليّ (ع)، قال: قيل لأمير المؤمنين ـ الإمام عليّ ـ: يا أمير المؤمنين! أخبرنا عن ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ أهي من فاتحة الكتاب؟ فقال: نعم، كان رسول الله(ص) يُقرئها ويعدّها آية منها، ويقول: فاتحة الكتاب هي السبع المثاني[1].

٢ ـ ونقل في علّة إسقاط البسملة من سورة براءة:

(أنّ البسملة أمان والبراءة كانت إلى المشركين، فأسقط منها الأمان)[2].

٣ ـ وعن صفوان الجمّال، قال: صلّيت خلف أبي عبدالله (ع) ـ الإمام جعفر ـ أيّاماً فكان إذا كانت صلاة لا يجهر فيها، جهر بـ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ وكان يجهر في السورتين جميعاً[3].

عاشراً ـ أفرد عدّة من العلماء كتباً في وجوب قراءة البسملة، مثل:

أ ـ كتاب البسملة لابن خزيمة (ت: ٣١١ هـ).

ب ـ كتاب الجهر بالبسملة للخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣ هـ).

ج ـ كتاب الجهر بالبسملة لأبي سعيد البوشنجي (ت: ٥٣٦ هـ).

د ـ كتاب الجهر بالبسملة لجلال الدين المحلي الشافعي (ت: ٨٦٤ هـ).

هـ ـ كتاب في بسم الله الرّحمٰن الرّحيم لعليّ بن عبدالعزيز الدولابي من أصحاب الطبري المؤرّخ.

---

(١) جامع أحاديث الشيعة، ط. قم، سنة ١٣٩٨، ٥ / ١١٥، وفي الباب أحاديث أُخرىٰ بمضمونه.

(٢) المصدر السابق، ص ١١٩.

(٣) المصدر السابق، باب وجوب الجهر، الحديث ٢، عن الكافي. وروى الحديث في الباب بأسانيد أُخرىٰ ٥ / ١٢٨ ـ ١٢٩.

و ـ وكتب الدارقطني (ت: ٣٨٥ هـ) جزءاً في البسملة وصحّحه[1].

ونقتصر في إيراد روايات البسملة بما قدمنا ذكره.

* * *

بعد إيراد روايات وجوب قراءة البسملة نستعرض في ما يأتي الروايات المناقضة لها:

حادي عشر ـ الروايات المناقضة لروايات وجوب قراءة البسملة:

مع كلّ تلكم الروايات الصحيحة والموثقة والصريحة بأنّ رسول الله (ص) والخلفاء وجمعاً من الصحابة والتابعين جهروا بقراءة البسملة في الصلاة وقالوا أنّها جزء من الحمد وأمروا بقراءتها إلىٰ زمن فقهاء الحرمين، نجد في كتب صحاح الحديث روايات تناقض الروايات المتواترة السابقة مثل رواية مسلم في صحيحه والنّسائي في سننه وأحمد في مسنده عن قتادة عن أنس بن مالك، قال: صلّيت مع رسول الله (ص) وأبي بكر وعمر وعثمان، فلم أسمع أحداً منهم يقرأ

---

(١) أ ـ في الدرّ المنثور ١ / ٧، وأخرج سعيد بن منصور في سننه، وابن خزيمة في كتاب البسملة، والبيهقي عن ابن عباس قال: استرق الشيطان من الناس... الحديث.

ب ـ في ترجمة الخطيب البغدادي من طبقات الشافعية للشيخ جمال الدين عبدالرّحيم بن حسن الأشنوي (ت: ٧٧٢ هـ) سنة ١٣٩هـ، ١ / ٢٠١، سمىٰ من تصانيفه: الجهر بالبسملة.

ج ـ في مادّة الجهر من ذيل كشف الظنون ١ / ٣٨٨ (الجهر بالبسملة) لأبي سعيد إسماعيل بن عبد الواحد البوشنجي الهروي الشافعي.

د ـ في مادّة الجهر من كشف الظنون ١ / ٦٢٣، الجهر بالبسملة لجلال الدين محمّد بن أحمد المحلي الشافعي.

هـ ـ فهرست النديم، ص ٢٩٩.

و ـ قال القرطبي بتفسير البسملة من تفسيره ١ / ٩٥: روىٰ جماعة قرآنيتها، وقد تولّى الدارقطني جمع ذلك في جزء وصحّحه. وذكره الدارقطني في سننه ١ / ٣١١.

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [1].

ومثل ما رواه الثلاثة ـ أيضاً ـ:

عن أنس أنّه قال: صلّيت خلف النبيّ (ص) وأبي بكر وعمر وعثمان، فكانوا يستفتحون بالحمد لله ربّ العالمين لايذكرون ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ في أوّل قراءة، ولا في آخرها [2].

وما رواه الترمذي في سننه وأحمد في مسنده عن يزيد بن عبد الله، قال: سمعني أبي وأنا أقول ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، فقال أي بني إياك. قال: ولم أر أحداً من أصحاب رسول الله (ص) كان أبغض إليه حدثاً في الإسلام منه، فإنّي قد صلّيت مع رسول الله (ص) ومع أبي بكر وعمر ومع عثمان، فلم أسمع أحداً منهم يقولها فلا تقلها. إذا أنت قرأت فقل: الحمد لله ربّ العالمين [3].

وعبدالله المذكور هو الصحابي عبدالله بن مغفل المزني سكن المدينة ثمّ بعثه عمر عاشر عشرة إلى البصرة ليفقّهوا الناس (ت: ٥٩ أو ٦٠ هـ) في البصرة أيّام ولاية ابن زياد. ترجمته في الإستيعاب وأُسد الغابة والإصابة، وابنه الراوي عنه مجهول الحال عندنا.

ثاني عشر ـ اختلاف الفقهاء بمدرسة الخلفاء في شأن البسملة:

من الطبيعي أن يؤدّي تناقض الروايات الآنفة في شأن البسملة إلىٰ

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب حجّة من قال لايجهر بالبسملة، الحديث رقم ٥٠ و٥٢؛ وسنن النّسائي، باب ترك الجهر بالبسملة من كتاب افتتاح الصلاة ١ / ١٤٤؛ ومسند أحمد ٣ / ١٧٧ و ٢٧٣ و ٢٧٨.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب حجة من قال لا يجهر بالبسملة، الحديث ٥٢؛ وسنن النّسائي، كتاب افتتاح الصلاة، الباب ٢٠؛ ومسند أحمد ٣ / ٢٠٣ و ٢٠٥ و ٢٢٣ و ٢٥٥ و ٢٧٣ و ٢٧٨ و ٢٨٦ و ٢٨٩.

(٣) راجع سنن الترمذي ٢ / ٤٣؛ ومسند أحمد ٤ / ٨٥؛ والمصنف لعبدالرزّاق ٢ / ٨٨.

اختلاف مدرسة الخلفاء في وجوب قراءة البسملة أو عدمه، وفي الجهر بهـا أو عدمه.

فقد قال الشافعي: إنّها آية من أوّل سورة الفاتحة ويجب قراءتها معها.

وقال مالك والأوزاعي: انّه ليس من القرآن ولا يقرأ لا سرّاً ولا جهراً إلّا في قيام شهر رمضان.

وقال أبو حنيفة: تقرأ ويسرّ بها، ولم يقل: إنّها آية من السورة أم لا. قال يعلىٰ: سألت محمّد بن الحسن عن ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ...﴾ فقال ما بين الدفتين قـرآن، قال: قلت فَلِمَ تسرّه ـ أي تقرأه سرّاً ـ قال فلم يجبني[1].

ثالث عشر ـ أُسّ العلل في ماروي مناقضاً لروايات وجوب قراءة البسملة:

لكلّ الأحاديث الّتي رويت مناقضة لروايات وجوب قراءة البسملة علل تكشف عدم صحّتها. وقد أفاض القول في دراية أحاديث البسـملة كـلّ مـن البيهقي في سننه والحاكم في مستدركه والرازي في تفسيره كلّ واحد منهم تحدّث باسلوبه الخاصّ به. وأشار إليها الذهبي في تلخيص المستدرك. وأقام الشافعي الدليل علىٰ ما اختاره في كتابه الأُم.

وإذا بحثنا عن منشأ اختلاف الروايات في قراءة البسـملة، أدركـنا بـعد دراسة بعض الملابسات الّتي حصلت في قراءتها، أُسّ علل الروايات المـناقضة للروايات المتواترة في وجوب قراءتها كالآتي:

---

(١) راجع أقـوال العلماء المذكورين في بحـوث مـن تـفسـير الرازي ١ / ١٩٤؛ وكـتاب الأُم للشافعي ١ /١٠٧؛ ومختصر المزني، ص١٤؛ والعدّة للصنعاني ٢ /٤١٠؛ والإتقان في علوم القرآن، طبعة بيروت ١ / ٧٨ و ٧٩؛ والبيان للسيّد الخـوئي، ط. ٣، ص ٤٦٧ ـ ٤٦٨ و ٥٥٢؛ والمـنتقىٰ ١/ ١٥١؛ وسُبل السلام في شرح بلوغ المرام للكحلاني ١ / ١٧٢.

رابع عشر ـ منشأ تناقض الروايات في البسملة:

أـ روى الشافعي في الأُم والحاكم في المستدرك بسندين والبيهقي في سننه بثلاثة أسانيد، وتبعهم الرازي والسيوطي في تفسيريهما، عن أنس بن مالك واللّفظ للحاكم:

(أنّ أنس بن مالك قال: صلّىٰ معاوية بالمدينة صلاةً فجهر فيها بالقراءة، فقرأ فيها ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ لأُمّ القرآن ولم يقرأ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ للسورة الّتي بعدها حتّىٰ قضىٰ تلك القراءة، فلمّا سلّم ناداه مَنْ سمع ذلك من المهاجرين والأنصار من كلّ مكان: يا معاوية! أسرقت الصلاة أم نسيت؟ فلمّا صلّىٰ بعد ذلك قرأ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ للسورة الّتي بعد أمّ القرآن وكبّر حين يهوي ساجداً. هذا حديث صحيح علىٰ شرط مسلم...).

قال الحاكم ـ أيضاً ـ: وهو علّة لحديث شعبة وغيره من قتادة علىٰ علو قدره، يدلّس ويأخذ عن كلّ أحد وإن كان قد ادخل في الصحيح حديث قتادة، فإنّ في ضدّه شواهد، أحدها ما ذكرناه، ومنها...، ثمّ ذكر الأحاديث الّتي رواها في قراءة البسملة والّتي ذكرناها سابقاً.

وقد أيّد الذهبي قول الحاكم في قتادة وقال: (فإنّ قتادة يدلّس).

وقال الرازي بعد ذكر الحديث:

وهذا الخبر يدلّ علىٰ إجماع الصحابة (رضي الله عنهم) علىٰ أنّه من القرآن ومن الفاتحة وعلىٰ أنّ الأولىٰ الجهر بها[1].

ب ـ روى البيهقي بثلاثة أسانيد والشافعي بسندين عن عبد الله بن عثمان ابن خثيم عن إسماعيل بن عبيد بن رفاعة عن أبيه: أنّ معاوية قدم المدينة فصلّىٰ

---

(١) الأُم للشافعي ١ / ١٠٨؛ ومستدرك الحاكم وتلخيصه للذهبي ١ / ٢٣٣؛ وسنن البيهقي ٢ / ٤٩ ـ ٥٠؛ وتفسير الرازي ١ / ١٩٨ و ١٩٩؛ والدرّ المنثور ١ / ٨.

بهم فلم يقرأ بـ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ولم يكبّر إذا خفض وإذا رفع، فناداه المهاجرون حين سلّم والأنصار: أن يا معاوية! سرقت صلاتك، أين ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾؟ وأين التكبير إذا خفضت ورفعت؟ فصلّىٰ بهم صلاة أُخرىٰ فقال ذلك فيها الّذي عابوا عليه[1].

الصّلاة الّتي لم يقرأ فيها معاوية البسملة

قال عبدالله بن أبي بكر بن حفص بن عمر بن سعد: أنّ معاوية صلّىٰ بالمدينة للناس العتمة، فلم يقرأ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، فلمّا انصرف ناداه من سمع ذلك من المهاجرين والأنصار، فقالوا: يا معاوية! أسرقت الصلاة أم نسيت؟ أين ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾... الحديث[2].

دراسة الخبر وما أنتج:

إنّ هذا الخبر يوضّح لنا ما غمض من بعض الروايات الّتي سبق إيرادها، منها قول ابن الزّبير: (ما يمنعهم منها إلّا الكبر).

وقول ابن شهاب: (أوّل من قرأ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ سرّاً بالمدينة

---

(١) سنن البيهقي ٢ / ٤٩ ـ ٥٠؛ والشافعي في الأمّ ١ / ١٠٨.

وإسماعيل بن عبيد بن رفاعة الأنصاري الزرقي المدني، قال ابن حجر في لسان الميزان ٦ / ٥٠٩: ما علمت روىٰ عنه سوىٰ ابن خثيم.

وعبد الله بن عثمان بن خثيم القارئ المكّي، وثّقه يحيىٰ بن معين والعجلي. لسان الميزان ٦ / ٨٢٤.

ترتيب مسند الإمام الشافعي ١ / ٨٠؛ سنن البيهقي ٢ / ٤٢ ـ ٤٤؛ مستدرك الحاكم ١ / ٢٣١، ٢٣٢؛ كنز العمال ٤ / ٣٠؛ تفسير الزمخشري، تفسير سورة الحمد.

(٢) المصنف لعبدالرزّاق ٢ / ٩٢؛ وراجع كنز العمال، ج ٤، الحديث ٤٤٩٤.

وعتمة الليل: ظلامه، ظلام أوّله بعد زوال نور الشفق، يقصد أنّه صلّى المغرب وهي جهرية فلم يقرأ بها البسملة.

عمرو بن سعيد بن العاص وكان رجلاً حيياً)[1].

لست أدري ممّ حياؤه في الجهر بالبسملة في الصلاة الجهرية الّتي يقرأ فيها الحمد والسورة جهراً؟ لعلّه الحياء من معاوية وعصبة الأمويين أن يجهر بها مع ما بدر من معاوية من عدم قراءتها، والحياء من المهاجرين والأنصار أن يترك قراءتها.

ومنها قول ابن عباس كما نقله السيوطي في الإتقان، قال:

أخرج ابن خزيمة والبيهقي في المعرفة بسند صحيح من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: استرق الشيطان من الناس أعم آية من القرآن: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[2].

وفي لفظ البيهقي في السنن: إنّ الشيطان استرق من أهل القرآن أعظم آية في القرآن[3].

وقال يحيىٰ بن جعدة: (قد اختلس الشيطان من الأئمّة آية بسم الله...)[4].

وكان الزهري يفتتح بـ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ويقول آية من كتاب

---

(١) تذكرة الحفاظ ١ / ١١٠ وحذف الذهبي جملة: (وكان رجلاً حيياً).

(٢) الإتقان ١ / ٨٠، وقال في الدرّ المنثور ١ / ٧؛ وأخرج سعيد بن منصور في سننه وابن خزيمة في كتاب البسملة والبيهقي عن ابن عباس ... الحديث.

وسعيد بن منصور بن شعبة الخراساني، الحافظ، أبو عثمان، من تآليفه: تفسير القرآن، السنن في الحديث (ت: ٢٢٧ هـ).

تذكرة الحفاظ ١ / ٤١٦؛ وهدية العارفين ١ / ٣٨٨.

(٣) سنن البيهقي ٢ / ٥٠؛ وراجع قول مجاهد في مصنف عبدالرزّاق ٢ / ٩٢.

(٤) المصنف لعبد الرزّاق ٢ / ٩١.

ويحيىٰ بن جعدة بن هبيرة بن أبي وهب المخزومي، ثقة، من الطبقة الوسطىٰ من التابعين. أخرج حديثه أبو داود والنّسائي وابن ماجة والترمذي في الشمائل. تقريب التهذيب ٢ / ٣٤٤.

الله تعالىٰ تركها الناس[1].

يقصدون من سرقة الشيطان البسملة واختلاسه إيّاها، ترك الناس إيّاها في الصلاة.

*   *   *

إذا جمعنا الروايات في البسملة وأخبارها، بعضها إلىٰ بعض، نرىٰ فيها مصداق قول ابن عباس كالآتي:

كان المسلمون في الحرمين الشريفين مذ عصر الرسول (ص) حتّىٰ خلافة معاوية يقرأون البسملة مع السور، كما يكتبونها كذلك في المصاحف، وكان معاوية لا يقرأها مع السورة في الصلاة وهو خليفة المسلمين بالشام، فلمّا جاء إلى المدينة وأمّ المهاجرين والأنصار بمسجد الرسول (ص) تركها في الصلاة علىٰ عادته، فناداه من سمعه من المهاجرين والأنصار من كلّ مكان أسرقت الصلاة أم نسيت؟ فلمّا صلّىٰ بعد ذلك قرأ البسملة للسورة وكان ذلك في المدينة، ويظهر من استعراض الأخبار أنّه عاد إلىٰ تركها في صلاته بالشام وتبعه علىٰ ذلك الخلفاء من آل أُميّة من بعده.

ويقول ابن الزّبير في وصف فعلهم: (ما يمنعهم إلّا الكبر)، ويقول ابن عمر محتجّاً عليهم (لِمَ كتبت في المصحف إن لم تقرأ)، ويستمر علىٰ قراءتها أهل الحرمين فلمّا ولي عمرو بن سعيد بن العاص الأموي، الحرمين، كان أوّل مَنْ قرأها سرّاً في المدينة، راعىٰ في قراءته كرامة معاوية من جانب ورأي المهاجرين والأنصار والتابعين من جانب آخر. ثمّ قويت شوكة الأمويين بعد قتل منافسهم ابن الزّبير بمكّة. ورويت بعض الأحاديث تأييداً لمعاوية وصَوْناً

---

[1] وكان يقول: من سنّة الصلاة أن يقرأ بسم الله الرّحمٰن الرّحيم ثمّ فاتحة الكتاب ثمّ بسم الله الرّحمٰن الرّحيم ثمّ سورة. تذكرة الحفاظ ١ / ١١٠؛ ومصنف عبدالرزّاق ٢ / ٩١.

لكرامته. واختلف المسلمون بمدرسة الخلفاء بعد ذلك، فمنهم من يقرأها، ومنهم من اتبع سنّة معاوية واجتهاده وترك قراءتها سواء من كان منهم في الحرمين الشريفين أم في غيرهما.

خامس عشر ـ هل يتيسر الرجوع إلى القرآن الكريم دون الحديث؟

قد تبعث موارد من تلكم الروايات المتناقضة بعض المصلحين ليرفع عقيرته منادياً بالدعوة للرجوع إلى القرآن الكريم وحده دون الرجوع إلى الأحاديث النبويّة الشريفة المختلفة حرصاً منه علىٰ حفظ وحدة المسلمين، وغيرة منه محمودة للحفاظ علىٰ مصلحة المسلمين. ولست أدري بماذا ينصح أُولئك المصلحون في أمثال روايات البسملة والّتي تخصّ تلاوة القرآن الكريم نفسه كما أنزله الله!؟

ثمّ انّ الإختلاف في شأن البسملة قد وقع بين المسلمين علىٰ أي حال فمنهم من يجهر بها في تلاوة سورة الفاتحة في الصلاة الجهرية ومنهم من يتركها فيها وكلتا القراءتين تنتشران على العالم بواسطة إذاعات البلاد الإسلامية. إذاً فلا جدوىٰ في ترك البحث عن الصحيح من الروايات المتناقضة حرصاً علىٰ حفظ الوحدة بين المسلمين. ثمّ إنّه لا يمكن الإقتصار على القرآن الكريم وحده وهو مساوق للقول بترك فهم الإسلام لأنّ الله سبحانه جعل بيان القرآن للناس في أحاديث الرسول (ص) وقال: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ (النّحل / ٤٤)، فلابدّ لنا إذاً من القيام بتمحيص سنّة الرسول للتمسّك بالصحيح منها وترك المدسوس فيها.

وفي صدد تمحيص سنّة الرسول ومعرفة الصحيح من رواياتها عن الضعيف منها، ركن علماء مدرسة الخلفاء إلىٰ ما ارتآه الشيخان البخاري ومسلم في ذلك وقلّدوهما في هذا الأمر وقالوا بصحّة جميع الروايات الّتي جاءت في

الصحيحين، وقد مرّ بنا ما جاء في صحيح مسلم وغيره عن أنس من أنّه قال:

صلّيت خلف النبيّ (ص) وأبي بكر وعمر وعثمان، فكانوا يستفتحون بالحمد لله ربّ العالمين لا يذكرون ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾. وجاء فيها ـ أيضاً ـ عن أنس وغيره انّ الرسول (ص) والخلفاء كانوا يجهرون بقراءة البسملة في سورة الحمد من الصلاة الجهرية. والمجموعتان من الروايتين متناقضتان ولا يمكن أن توصف كلتاهما بالصحّة، فلابدّ إذاً من البحث عن ميزان آخر لمعرفة الصحيحة منهما للعمل بموجبها وترك المجموعة الأُخرىٰ، ونقترح في مثل هذه الموارد أن ندرس المجتمع الّذي رُوي فيه الحديث، أي طرفي الزمان والمكان للحديث مع تجرّد علمي بحت، فإنّه ينير لنا السبيل للقيام بتمحيص سنّة الرسول (ص).

وإذا عملنا بهذا الإقتراح، رأينا أنّ المجتمع في المدينة في عصر الصحابة يناسب المجموعة الأُولىٰ من الأحاديث؛ لأنّ ضجة المصلِّين في مسجد الرسول (ص) علىٰ خليفة المسلمين معاوية، تتناسب مع رؤيتهم الرسول والخلفاء من بعده وهم يجهرون بالبسملة في صلواتهم، ولمّا خالف معاوية من سبقه في ذلك جابهوه مرّتين بذلك الإستنكار الشديد، ولا يصدق عكسه أي: أن يكونوا صلّوا خلف رسول الله (ص) والخلفاء من بعده وسمعوهم يقرأون الفاتحة دون البسملة ومع ذلك جابهوا خليفتهم بالإستنكار، فلابدّ إذاً أن نقول: إنّ روايات المجموعة الثانية لم تكن قد رويت في عصر الصحابة في المدينة بل رويت بعد واقعة عدم قراءة معاوية البسملة في الصلاة في مسجد الرسول (ص) وفضح صحابة الرسول (ص) إيّاه، ولا يناسب المدينة أن تكون مكان اختلاق تلكم الروايات في عصر الصحابة الّذين جهروا باستنكارهم على الخليفة عدم قراءتها.

إذاً فانّه ينبغي القول بأنّ تلكم الروايات رويت بادئ بدء خارج المدينة وفي الشام ـ مثلاً ـ واسندت روايتها إلى الصحابة وانتقلت روايتها بعد عصر

الصحابة إلى المدينـة وغيرها من البلاد الإسلامية وكل ذلك كان في عصر بني أُميّة، وأصبحت تقابل الروايات الصحيحة منذ ذلك العصر حتى العصر الحاضر.

وفي هذا المقام يوجّه إلينا السؤال الآتي: كيف لم يتعلّم معاوية ما عـلمه صحابة الرسول في قراءة البسملة؟ والجواب: إنّ معاوية لم يكن من المهاجرين الأوّلين ولا من السابقين إلى الإيمان من الأنصار بل بقي مشركاً إلىٰ ما بعد فتح مكّة، ولمّا أسلم أبوه أبو سفيان بعد فتح مكّة أنشد شعراً يُعيِّره علىٰ إسـلامه، وقال:

يا صخر لاتسلمن فتفضحنا   بعد الّذين ببدر أصبحوا مزقا

وبعد غزوة حنين أعطاه الرسـول (ص) سهم المؤلفة قلوبهـم من غنائم حنين بتألف قلبه على الإسلام، وتدل سيرته مع الرسول (ص) بعد ذلك أنّه كان غير آبه بالإسلام ليتعلمه، وبعد الرسول (ص) لم يمكث كثيراً في المـدينة فـقد أرسله الخليفة الأوّل مع أوّل جيش بعثه لغزو الشام.

ومن أجل معرفة سيرة معاوية بعد اسلامه في عصر الرسول (ص) وبعده ينبغي قراءة فصل (مع معاوية) من المجلّد الأوّل من كتابنا: «أحاديث أُمّ المؤمنين عائشة» فانّه يدفع الإستغراب في هذا الشأن.

وفي ختام البحث نذكر من روايات البسملة ما نرىٰ أنّها ـ أيضاً ـ وضعت للدفاع عن الخليفة الأموي كالآتي:

رواية أُخرىٰ مُفتراة في شأن البسملة:

روىٰ ابن سعد وغيره واللفظ لابن سعد بسنده عن الشعبي أنّه قال:

كان رسول الله (ص) يكتب كما تكتب قريش: (باسمك اللّهمّ) حتّىٰ نزلت عليه: ﴿ٱرْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ ٱللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾ فكتب: (بسم الله) حتّىٰ نزلت

عليه: ﴿قُلِ ٱدْعُوا اللهَ أَوِ ٱدْعُوا ٱلرَّحْمٰنَ﴾ فكتب: (بسم الله الرّحمٰن) حتّىٰ نزلت عليه: ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فكتب: (بسم الله الرّحمٰن الرّحيم)(١).

هكذا جاء الخبر في هذه الرواية وإذا رجعنا إلىٰ سيرة الرسول (ص)، وجدنا مكاتباته كانت في المدينة وبعد تشكيله الحكومة الإسلامية في حين انّ ﴿ٱرْكَبُوا فِيهَا ...﴾ جاءت في الآية ٤١ من سورة هود و﴿قُلِ ٱدْعُوا ٱللهَ ...﴾ في الآية ١١٠ من الإسراء و﴿وَإِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ...﴾ في الآية ٣٠ من النمل والسور الثلاث مكّية.

وبذلك ثبت اختلاق الرواية، وليس لنا بعد ذلك أن نلقي تبعة الأمر على الشعبي بدليل انّه كان يحتطب بحبال بني أُميّة ولا علىٰ من روىٰ عنه، ولكنّنا نقول: انّ هذا الحديث يشبه الأحاديث الّتي وضعتها الزنادقة موافقة لمصلحة السلطة بقصد تخريب الإسلام لأنّها تحقق الغايتين كالآتي:

أ ـ الدفاع عن الخليفة الأموي معاوية فانّها تثبت بصورة غير مباشرة أنّ البسملة لم تنزل في أوّل كل سورة لكي لا يكون عدم قراءة معاوية إيّاها في صلاته منقصة له.

ب ـ زعزعة الثقة بالنص القرآني عن طريق التشكيك بنزول البسملة أوّل كل سورة مع أنّها مدونة أوّل كلّ سورة عدا سورة براءة، وسوف ندرس غاية الزنادقة من وضع الأحاديث في ما يأتي إن شاء الله تعالىٰ.

ونرىٰ ـ أيضاً ـ انّ ما رواه الصحابي أبو هريرة من نسيان الرسول (ص)

---

(١) طبقات ابن سعد ١ / ٢٦٣ ـ ٢٦٤؛ والتنبيه والاشراف للمسعودي، ص ٢٢٥؛ وراجع كنز العمال ٥ / ٢٤٤، و ط. الثانية ٢ / ١٩٠؛ ومصنف عبدالرزّاق ٢ / ٩١؛ والسيرة الحلبية ٣ / ٢٤٤؛ والعقد الفريد ٣ / ٤؛ وتفسير روح المعاني ١ / ٣٧.

ركعتين من الصلاة كان احتساباً للخير ودفاعاً عن الخليفة معاوية في ادّعـائه نسيان البسملة[1].

وأخيراً نستطيع أن نعرف سنّة الرسول(ص) الصحيحة بعرض المجموعتين من الأحاديث المتناقضة علىٰ كتاب الله الّذي بأيدينا والّذي ورثـه المسـلمون خلفاً عن سلف عمّن كتبه في عصر الرسول (ص) وبارشاده، ونأخذ منها ما وافق النص القرآني المكتوب ونطرح مـا خـالفه. وإذا فـعلنا ذلك وجـدنا أنّ البسملة دوّنت في أوّل كلّ سورة من القرآن عدا سورة براءة وأنّ المسلمين كافة عندما يتلون أيّة سورة على المصحف يبدأون بقراءة البسملة عدا سورة براءة، ونستدل من ذلك انّ الروايات الّتي ذكرت أنّ الرسول (ص) وأصـحابه كـانوا يبدأون قراءة السور في الصلاة بالبسملة هي الروايات الصحيحة والمبينة لسنّة الرسول (ص) الصحيحة ونطرح الروايات الّتي خالفتها.

وبناءً علىٰ ما ذكرنا لابدّ لنا من دراسة متون الأحاديث ـ أيضاً ـ مثلاً: ندرس مع دراسة السند تناسب الخبر المروي مع زمان الخبر، فإذا روي لنا أنّ الرسول (ص) أرسل ابن عمّـه عليّاً إلى المدينـة، وأمره أن لا يدع بها وثناً إلّا كسره ولا قبراً إلّا سوّاه ولا صورة إلّا لطخها، فذهب وامتثل أمر الرسول (ص)، نعلم أنّ علّة هذا الحديث مع فرض صحّة سنده أنّه لا يصدق مع الزمان الّذي كان الرسول (ص) فيه بمكّة، ولا الزمان الّذي كان فيه في المدينة، كما بحثنا شأنه مفصلاً في الجزء الأوّل من كتاب معالم المدرستين[2].

وأحياناً نجد ملابسات أُخرىٰ تيسر لنا معرفة شأن الحديث كما وجدناه

---

(١) راجع بحث سهو النبيّ (ص) عن ركعتين من كتاب (أبو هريرة) لآية الله شرف الدين.

(٢) راجع معالم المدرستين ١/ ٦٧ ـ ٦٨ من الطبعة الرابعة، بحث الخلاف حول البناء علىٰ قبور الأنبياء.

في خبر ترك خليفة المسلمين معاوية البسملة في مسجد الرسول (ص) وما تبعه من ملابسات. وأحياناً نجد أدلّة أُخرىٰ تنير لنا السبيل لتشخيص سنّة الرسول (ص) الصحيحة.

نتيجة البحث:

تواترت الروايات الصحيحة بأنّ البسملة كانت تنزل في ابتداء كل سورة من القرآن، وأنّ الرسول (ص) والخلفاء كانوا يقرأونها جهراً في السورتين من الصلاة، غير أنّ معاوية كان لا يقرأها في الصلاة، ولمّا اعترض عليه الصحابة في مسجد الرسول (ص) قال: نسيتها. ويظهر أنّه ترك قراءتها عندما عاد إلىٰ مقر خلافته الشام وتبعه علىٰ ذلك عمّاله، مثل والي المدينة. ثمّ رويت روايات نسبت إلىٰ رسول الله (ص) أنّ الرسول (ص) لم يقرأها في الصلوات و ـ أيضاً ـ رويت روايات أُخرىٰ للدفاع عن الخليفة مثل رواية أبي هريرة نسيان الرسول (ص) ركعتين من الصلاة وأمثالها، ونرىٰ أنّ كل تلكم الروايات رويت احتساباً للخير ودفاعاً عن كرامة خليفة المسلمين معاوية.

والأنكىٰ من ذلك ما وجدنا في روايات البسملة من أنّ الرسول (ص) كان يقتدي في كتابة باسمك اللّهمّ في كتبه وانّه تدرج في كتابة البسملة مع نزول البسملة متدرجاً حتّىٰ كمل نزولها في سورة النمل، ومدلول هذه الرواية أنّ البسملة لم تنزل في بدء أيّة سورة من القرآن.

وأنتج كلّ ذلك وجود روايات متناقضة في شأن قراءة البسملة، ولم ينحصر الأمر في اختلاق الروايات في أمر القرآن بتلك الروايات وإنّما رويت روايات أُخرىٰ مختلفة في شأن جمع القرآن كما ندرس بعضها في البحث الآتي، إن شاء الله تعالىٰ.

البحث الثالث

روايات جمع القرآن وتناقضها

١ ـ تناقض روايات جمع القرآن

٢ ـ مناقشة روايات جمع القرآن استناداً إلىٰ ما جاء فيها

٣ ـ محاولة العلماء رفع تناقض الروايات بعضها مع بعض

تناقض روايات جمع القرآن واستدلال الشيخ النوري بها

إنّ أوّل ما آستدلّ به المحدّث النوري في فصل الخطاب علىٰ مدّعاه بعد الدليل الأوّل روايات جمع القرآن وما فيها من تناقض[1].

ونحن نرجع إلىٰ مصادرها، وننقل موجز الروايات منها، ثمّ ندرسها بحوله تعالىٰ.

أحاديث جمع القرآن:

مَنْ قال: أوّل من جمع القرآن أبو بكر

١ـ رووا عن الإمام عليّ[2]، وعبد خير[3]، ولفظ الحديث للثاني، قال: أوّل من جمع كتاب الله بين اللوحين أبو بكر.

٢ـ وقد أخرج ابن أشتة في المصاحف، عن الليث بن سعد وقال:

(أوّل من جمع القرآن أبو بكر، وكتبه زيد، وكان الناس يأتون زيد بن ثابت، فكان لا يكتب آية إلّا بشهادة عدلين.

وإنّ آخر سورة (براءة) لم توجد إلّا مع خزيمة بن ثابت، فقال: اكتبوها، فإنّ رسول الله (ص) جعل شهادته بشهادة رجلين، فكتب.

---

(١) فصل الخطاب، ص ٩ـ١٣.

(٢) المصاحف لابن أبي داود ١ / ٥ـ٦، باب جمع القرآن بأسانيد متعددة؛ وكنز العمال ٢ / ٣٦٢، ط. الهند؛ ومنتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ٢ / ٤٤؛ وفتح الباري ١٠ / ٣٨٩.

(٣) المصاحف ١ / ٥ـ٦.

وعبد خير بن يزيد الهمداني، مرّت ترجمته في ص ٥٤ من هذا الكتاب.

وإنّ عمر أتىٰ بآية الرجم، فلم نكتبها لأنّه كان وحده)[1].

٣ـ في صحيح البخاري:

روىٰ زيد بن ثابت، قال: (أرسل إليّ أبو بكر، مقتل أهل اليمامة[*]، فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر: إنّ عمر أتاني، فقال: إنّ القتل قد استحرَّ يوم اليمامة بقرّاء القرآن، وإنّي أخشىٰ أن يستحرّ القتل بالقرّاء بالمواطن، فيذهب كثير من القرآن، وإنّي أرىٰ أن تأمر بجمع القرآن.

قلت لعمر: كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله (ص)؟

قال عمر: هذا والله خير.

فلم يزل عمر يراجعني حتّىٰ شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الّذي رأىٰ عمر.

قال زيد: قال أبو بكر: إنّك رجل شابّ عاقل لا نتّهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله (ص)، فتتبع القرآن فاجمعه.

فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ ممّا أمرني به من جمع القرآن.

قلت: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله (ص)؟

قال: هو والله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتىٰ شرح الله صدري للّذي

---

(١) في الإتقان النوع الثامن عشر، ١ / ٦٠.

والليث بن سعد بن عبد الرّحمٰن الفهمي، أبو الحارث، المصري، ثقة، ثبت، فقيه، مشهور، أخرج حديثه جميع أصحاب الصحاح (ت: ١٧٥ هـ). تذكرة الحفاظ ص ٢٢٤.

(*) اليمامة: بلاد وسط الجزيرة العربية من مقاطعات نجد وهي اليوم واحة في المملكة العربية السعودية تدعى العارض، ويوم اليمامة كان في السنة الثانية عشرة للهجرة يوم قاتل المسلمون مسيلمة المتنبّئ الكذاب وقومه بني حنيفة وغلبوهم.

شرح له صدر أبي بكر وعمر، فتتبعتُ القرآن أجمعه من العسب، واللخاف، وصدور الرجال، حتّىٰ وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري، لم أجدها مع غيره: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ * فَإِن تَوَلَّوا فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ (التوبة / ١٢٨، ١٢٩)، حتّىٰ خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتّىٰ توفاه الله، ثمّ عند عمر حياته، ثمّ عند حفصة بنت عمر[١].

وفي لفظ آخر للبخاري وسنن الترمذي: فوجدت آخر سورة براءة ـ التوبة ـ مع خزيمة بن ثابت... الحديث[٢].

٤ـ وفي رواية أُخرىٰ:

(لمّا أسرع القتل في قرّاء القرآن يوم اليمامة، قُتِل منهم يومئذ أربعمائة رجل، لقي زيد بن ثابت عمر بن الخطاب، فقال له: إنّ هذا القرآن هو الجامع لديننا، فإن ذهب القرآن ذهب ديننا.

وقد عزمت علىٰ أن أجمع القرآن في كتاب.

فقال له: انتظر حتّىٰ أسأل أبا بكر، فمضيا إلىٰ أبي بكر، فأخبراه بذلك، فقال: لا تعجلا حتّىٰ أُشاور المسلمين، ثمّ قام خطيباً في الناس، فأخبرهم بذلك.

---

(١) صحيح البخاري ٣ / ١٥٠، كتاب فضائل القرآن؛ وبشرحه فتح الباري ١٠ / ٣٨٤ـ ٣٩٠؛ والمصاحف ١ / ٦ـ٧.

(٢) صحيح البخاري ٣ / ٩٤، آخر تفسير براءة؛ وشرحه فتح الباري ٩ / ٤١٤ و ٤ / ١٦٠ ـ ١٦٢، كتاب الأحكام، باب يستحب للكاتب أن يكون أميناً عاقلاً، و ١٦ / ٣٠٧ـ٣٠٨؛ وسنن الترمذي، شرح ابن العربي ١١ / ٢٥٨ـ٢٦٨؛ والمصاحف لابن أبي داود ١ / ٨ـ٩؛ وموجز الحديث في مسند أحمد ١ / ١٣.

فقالوا: أصبت، فجمعوا القرآن. فأمر أبو بكر منادياً فنادىٰ في النـاس: من كان عنده شيء من القرآن فليجئ به...)[1].

٥ـ وفي رواية أُخرىٰ:

لمّا استحرّ القتل بالقرّاء يومئذ فَرِقَ أبو بكر على القرآن أن يضيع، فقال لعمر بن الخطاب ولزيد بن ثابت: اقعدا علىٰ باب المسجد، فمن جاءكما بشاهدين علىٰ شيء من كتاب الله فاكتباه[2].

٦ـ وفي رواية:

(إنّ أبا بكر الصدّيق كان جمع القرآن في قراطيس، وكان قد سأل زيد بن ثابت النظر في ذلك، فأبىٰ، حتّىٰ استعان عليه بعمر، ففعل، فكانت تلك الكتب عند أبي بكر حتّىٰ توفّي، ثمّ عند عمر حتّىٰ توفّي، ثمّ كانت عند حفصة زوج النبيّ (ص)، فأرسل إليها عثمان فأبت أن تدفعها، حتّىٰ عاهدها ليردنّها إليها فبعثت بها إليه، فنسخها عثمان في هذه المصاحف ثمّ ردّها إليها فلم تزل عندها...)[3].

٧ـ وفي رواية:

عن أُبيّ بن كعب أنّهم جمعوا القرآن في مصاحف في خلافة أبي بكر (رض)، فكان رجال يكتبـون، ويملي عليهم أُبيّ بن كعب، فلمّا انتهوا إلىٰ هذه الآية من

---

(١) منتخب الكنز ٢ / ٤٦؛ وكنز العمال، ط. الثانية ٢ / ٣٦٤، عن ابن الأنباري في المصاحف.
وابن الأنباري، الحافظ، العلّامـة، شيخ الأدب، أبو بكر محـمّد بن القاسم بن بشـار، صـنّف التصانيف الكثيرة (ت: ٣٢٨ هـ).
تذكرة الحفاظ، ص ٨٤٢ـ ٨٤٥؛ وفي مادّة المصاحف من كشف الظنون، ذكر له: (المصاحف).

(٢) المصاحف ١ / ٦؛ وفتح الباري ١٠ / ٣٨٨؛ وكـنز العـمال ٢ / ٣٦٢؛ ومـنتخب الكـنز بهامش مسند أحمد ٢ / ٤٥.

(٣) المصاحف ١ / ٩؛ وكنز العمال ٢ / ٣٦٢ـ ٣٦٣؛ ومنتخب الكنز بهامش مسند أحمد ٢ / ٤٤؛ وفتح الباري ١٠ / ٣٩٠.

سورة براءة ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُوا صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ فظنّوا أنّ هذا آخر ما أُنزل من القرآن، فقال لهم أُبيّ بن كعب: إنّ رسول الله (ص) أقرأني بعدها آيتين: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ إلىٰ ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

ثمّ قال: هذا آخر ما نزل من القرآن، قال: فختم بما فتح به: (بالله الّذي لا إلهٰ إلّا هو) وهو قول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[1].

مَنْ قال: إنّ الخليفة عمر بن الخطاب جمع القرآن في المصحف

في المصاحف لابن أبي داود وغيره:

١ـ (إنّ عمر بن الخطاب سأل عن آية من كتاب الله، فقيل: كانت مع فلان، فقتل يوم اليمامة.

فقال: إنّا لله، وأمر بالقرآن، فجمع، وكان أوّل من جمعه في المصحف).

٢ـ وقال: وروىٰ عبد الله بن فضالة:

(لمّا أراد عمر أن يكتب الإمام، أقعد له نفراً من أصحابه، وقال: إذا اختلفتم في اللّغة، فاكتبوها بلغة مضر، فإنّ القرآن نزل علىٰ رجل من مضر).

٣ـ وقال:

قال عمر بن الخطاب (رض): (لا يملينّ في مصاحفنا إلّا غلمان قريش وثقيف)[2].

---

(١) مسند أحمد ٥ / ١٣٤؛ والمصاحف ١ / ٩، باب جمع القرآن؛ وفتح الباري ١٠ / ٣٨٩ـ ٣٩٠، باب جمع القرآن.

(٢) الروايات ١ و٢ و٣ ـ في المصاحف لابن أبي داود ١ / ١٠ ـ ١١، باب جمع عمر بن الخطاب

وفي منتخب كنز العمال، قال:

(لمّا جمع عمر بن الخطاب المصحف سأل: مَنْ أعرب الناس؟

قيل: سعيد بن العاص.

فقال: مَنْ أكتب الناس؟

فقيل: زيد بن ثابت.

قال: فليمل سعيد وليكتب زيد.

فكتبوا مصاحف أربعة، فأنفذ مصحفاً منها إلى الكوفة، ومصحفاً إلى البصرة، ومصحفاً إلى الشام، ومصحفاً إلى الحجاز)[1].

من قال: إنّ الخليفة عمر بدأ بجمع القرآن والخليفة عثمان أتمه

في المصاحف ومنتخب الكنز بسندهما قالا:

(أراد عمر بن الخطاب أن يجمع القرآن، فقام في الناس، فقال: من كان تلقىٰ من رسول الله (ص) شيئاً من القرآن فليأتنا به، وكانوا كتبوا ذلك في الصحف والألواح والعسب.

وكان لا يقبل من أحد شيئاً حتّىٰ يشهد شهيدان، فقتل وهو يجمع ذلك إليه، فقام عثمان، فقال: من كان عنده من كتاب الله شيء فليأتنا به، وكان لا يقبل من ذلك شيئاً حتىٰ يشهد عليه شهيدان.

فجاء خزيمة بن ثابت، فقال: إنِّي قد رأيتكم تركتم آيتين لم تكتبوهما.

قالوا: ما هما؟

← (رض) القرآن في المصحف، والرواية رقم ١ ـ بفتح الباري ١٠ / ٣٨٦، ومنتخب الكنز ١ / ٤٥، والرواية رقم ٢ ـ في منتخب الكنز ٢ / ٤٦؛ وكنز العمال ٢ / ٣٦٤.

(١) في منتخب كنز العمال ٢ / ٤٧؛ وكنز العمال ٢ / ٣٦٦ عن ابن الأنباري في المصاحف.

قال: تلقيتُ من رسول الله (ص): ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ إلىٰ آخر السورة، فقال عثمان: وأنا أشهد أنّهما من عند الله، فأين ترىٰ أن نجعلها؟ قال: اختم بها آخر ما نزل من القرآن، فختمت بها براءة)[1].

مَنْ قال: إنّ الخليفة عثمان جمع القرآن في المصحف

١ ـ روىٰ محمّد بن سيرين، قال: (قتل عمر ولم يجمع القرآن).

٢ ـ وروىٰ أبو قلابة، قال:

(لمّا كان في خلافة عثمان جعل المعلّم يعلّم قراءة الرجل ـ أي المقرئ ـ، والمعلّم يعلّم قراءة الرجل ـ أي الرجل المقرئ الآخر ـ، فجعل الغلمان يلتقون ويختلفون، حتّىٰ ارتفع ذلك إلى المعلّمين، حتّىٰ كفر بعضهم بقراءة بعض، فبلغ ذلك عثمان، فقام خطيباً، فقال: أنتم عندي تختلفون وتلحنون، فمن نأىٰ عنّي من الأمصار أشدّ اختلافاً، وأشدّ لحناً، فاجتمعوا يا أصحاب محمّد، فاكتبوا للناس إماماً.

قال مالك بن أنس: كنت فيمَن أُملي عليهم، فربّما اختلفوا في الآية، فيذكرون الرجل قد تلقاها من رسول الله (ص)، ولعلّه أن يكون غائباً أو في بعض البوادي، فيكتبون ما قبلها وما بعدها، ويدعون موضعها حتّىٰ يجيء أو يرسل إليه.

فلمّا فرغ من المصحف، كتب إلىٰ أهل الأمصار أنّي قد صنعت كذا وصنعت كذا، ومحوت ما عندي، فامحوا ما عندكم)[2].

٣ ـ وروىٰ ابن شهاب أنّ أنس بن مالك حدّثه:

---

(١) المصاحف لابن أبي داود ١ / ١٠ ـ ١١؛ وفتح الباري ١٠ / ٣٣٩ إلىٰ قوله (حتّىٰ يشهد شاهدان)؛ ومنتخب الكنز بهامش مسند أحمد ٢ / ٤٥؛ وكنز العمال ٢ / ٣٦٣ ـ ٣٦٤.

(٢) ابن أبي داود في المصاحف، ص ٢١؛ ومنتخب كنز العمال ٢ / ٤٩؛ وكنز العمال ٢ / ٣٦٩.

(أنّ حذيفة بن اليمان قدم علىٰ عثمان، وكان يغازي أهل الشـام في فـتح أرمينيا وأذربيجان مع أهل العراق.

فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين! أدرك هذه الأُمّة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارىٰ.

فأرسل عثمان إلى حفصة: أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، ثمّ نردّها إليك.

فأرسلت بها حفصة إلىٰ عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبدالله بن الزّبير، وسعيد بن العاص، وعبدالرّحمٰن بن الحرث بن هشام، فنسخوها في المصاحف.

وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثـابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنّما نزل بلسانهم، ففعلوا حتّىٰ إذا نسخوا الصحف في المصاحف ردّ عثمان الصحف إلىٰ حفصة، وأرسل إلىٰ كلّ أُفق بمصحف ممّا نسخوا، وأمر بسواه من القرآن في كلّ صحيفة أو مصحف أن يحرق).

قال ابن شهاب: (وأخبرني خارجة بن زيد بن ثابت قال: فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف، قد كـنت أسمـع رسـول الله (ص) يـقرأ بهـا، فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري: ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عاهَدوا ٱللَّهَ عَلَيْهِ ...﴾ (الأحزاب / ٢٣)، فألحقناها في سورتها في المصحف)[١].

٤ـ ورویٰ مصعب بن سعد، قال:

(قام عثمان فخطب الناس، فقال: أيُّها الناس! عهدكم بنبيِّكم منذ ثلاث عشرة وأنتم تمترون في القرآن، وتقولون قراءة أُبيّ، وقراءة عبدالله، يقول الرجل والله ما تقيّم قراءتك، فأعزم علىٰ كلّ رجل منكم ما كان معه من كتاب الله شيء

---

(١) المصاحف، ص١٨ـ١٩؛ وفتح الباري ١٠/ ٣٩٠ـ٣٩٦ و ٨/ ٣٥٩؛ وصحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن ٣ / ١٥٠.

لما جاء به.

وكان الرجل يجيء بالورقة والأديم فيه القرآن، حتّىٰ جمع من ذلك كثرة، ثمّ دخل عثمان فدعاهم رجلاً رجلاً، فناشدهم لسمعت رسول الله (ص) وهو أملاه عليك؟ فيقول: نعم.

فلمّا فرغ من ذلك عثمان، قال: من أكتب الناس؟

قالوا: كاتب رسول الله (ص) زيد بن ثابت.

قال: فأيّ الناس أعرب؟

قالوا: سعيد بن العاص.

قال عثمان: فليمل سعيد، وليكتب زيد.

وكتب مصاحف، ففرّقها في الناس، فسمعت بعض أصحاب محمّد (ص) يقول: قد أحسن)[1].

٥ـ وفي تاريخ الإسلام للذهبي:

(وقال أنس: إنّ حذيفة قدم علىٰ عثمان، وكان يغزو مع أهل العراق قبل أرمينية فاجتمع في ذلك الغزو أهل الشام وأهل العراق، فتنازعوا في القرآن حتّىٰ سمع حذيفة من اختلافهم ما يكره، فركب حتّىٰ أتىٰ عثمان، فقال: يا أمير المؤمنين! أدرك هذه الأُمّة قبل أن يختلفوا في القرآن اختلاف اليهود والنصارىٰ في الكتب.

ففزع لذلك عثمان، فأرسل إلىٰ حفصة أُمّ المؤمنين أن: أرسلي إليّ بالصحف الّتي جمع فيها القرآن.

فأرسلت إليه بها، فأمر زيد بن ثابت وسعيد بن العاص وعبدالله بن الزّبير

(١) المصاحف لابن أبي داود، ص ٢٣ ـ ٢٤؛ وكنز العمال ٢ / ٣٧٠ ـ ٣٧١؛ وتاريخ الإسلام للذهبي ٢ / ١٤٥؛ ومنتخب الكنز بهامش مسند أحمد ٢ / ٥٠ ـ ٥١؛ وفتح الباري ١٠ / ٣٩٠ ـ ٣٩٥.

وعبدالرّحمٰن بن الحرث بن هشام أن ينسخوها في المصاحف، وقال: إذا اختلفتم أنتم وزيد في عربية، فاكتبوها بلسان قريش فانّ القرآن إنّما نزل بلسانهم، ففعلوا حتّىٰ كتبت المصاحف، ثمّ ردّ عثمان الصحف إلىٰ حفصة وأرسل إلىٰ كل جند من أجناد المسلمين بمصحف، وأمرهم أن يحرقوا كل مصحف يخالف الّذي أرسل إليهم به، فذلك زمان حرقت فيه المصاحف بالنار)[1].

٦ـ ورویٰ أبو المليح، قال:

(قال عثمان بن عفان حين أراد أن يكتب المصحف: تملي هذيل، وتكتب ثقيف)[2].

٧ـ ورویٰ عطاء:

(أنّ عثمان بن عفان لمّا نسخ القرآن في المصاحف، أرسل إلىٰ أُبيّ بن كعب فكان يملي علىٰ زيد بن ثابت، وزيد يكتب، ومعه سعيد بن العاص يعربه، فهذا المصحف علىٰ قراءة أُبيّ وزيد)[3].

٨ـ ورویٰ مجاهد:

(أنّ عثمان أمر أُبيّ بن كعب يملي، ويكتب زيد بن ثابت، ويعربه سعيد بن العاص، وعبدالرّحمٰن بن الحرث)[4].

٩ـ ورویٰ عبدالأعلىٰ بن عبدالله بن عبدالله بن عامر القرشي، قال:

(لمّا فرغ من المصحف أتىٰ به عثمان فنظر فيه. وقال: قد أحسنتم وأجملتم،

---

(١) الذهبي في تاريخ الإسلام ٢ / ١٤٤ ـ ١٤٥.

(٢) كنز العمال ٢ / ٣٧٢؛ ومنتخب الكنز ٢ / ٥١، عن المصاحف لابن أبي داود؛ والمصاحف لابن الأنباري.

(٣) كنز العمال ٢ / ٣٧٢ ـ ٣٧٣؛ ومنتخب الكنز ٢ / ٥١ ـ ٥٢.

(٤) كنز العمال ٢ / ٣٧٣؛ ومنتخب الكنز ٢ / ٥٢.

أرىٰ شيئاً من لحن ستقيمه العرب بألسنتها)[1].

١٠ـ وروىٰ عكرمة، قال:

(لمّا أُتي عثمان بالمصحف رأىٰ فيه شيئاً من لحن، فقال: لو كان المُملي من هذيل والكاتب من ثقيف لم يوجد فيه هذا)[2].

خلاصة روايات جمع القرآن:

أوّلاً ـ جاء في صحيح البخاري وفتح الباري وغيرهما:

أ ـ إنّ أبا بكر أرسل إلىٰ زيد بن ثابت بعد مقتل أهل اليمامة وقال: استحرّ القتل بقرّاء القرآن، وإنّي أخشىٰ أن يستحرَّ بهم القتل، فيذهب كثير من القرآن فتتبع القرآن فاجمعهُ، فقال زيد: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله (ص)؟ ثمّ قبل الرأي، وتتبع القرآن، فجمعه، ولم يكن يقبل شيئاً منه إلّا بشهادة إثنين ووجد آخر سورة براءة ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ...﴾ مع خزيمة، ولم يجدها مع غيره، فكتبها، لأنّ الرسول (ص) جعل شهادة خزيمة بشهادة رجلين.

ب ـ وفي رواية أُخرىٰ: إنّ زيداً اقترح ذلك علىٰ عمر بعد قتل خمسمائة رجل من القرّاء يوم اليمامة، فذكر ذلك لأبي بكر، فاستشار المسلمين في جمع القرآن فصوّبوا الرأي، فأمر أبو بكر فنادىٰ في الناس من كان عنده شيء من القرآن فليجئ به، فكانوا يكتبونه حتّىٰ انتهوا إلىٰ ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُوا...﴾ من سورة براءة فظنّوا أنّها آخر ما نزل من القرآن فقال لهم أُبيّ إنّ رسول الله (ص) أقرأه بعدها آيتين هما: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ... رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ وقال: هذا آخر ما نزل من القرآن.

---

(١) كنز العمال ٢ / ٣٧٢؛ ومنتخب الكنز ٢ / ٥١، عن المصاحف لابن أبي داود؛ والمصاحف لابن الأنباري.

(٢) نفس المصدر السابق.

ثانياً ـ جاء في المصاحف لابن أبي داود وغيره:

أ ـ إنّ الخليفة عمر بدأ بجمع القرآن، وقال: من تلقىٰ من رسول الله (ص) شيئاً من القرآن فليأتنا به، وكان لا يقبل شيئاً حتّىٰ يشهد عليه شهيدان، وأخبرهم خزيمة أنّهم لم يكتبوا ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ ...﴾ وشهد معه عثمان.

ورأىٰ خزيمة أن يختم بهما ما نزل من القرآن في آخر براءة.

ب ـ انّ الخليفة عمر سأل عن آية من كتاب الله، فقيل: كانت مع فلان فقتل يوم اليمامة، فقال: إنّا لله. وأمر بالقرآن فجمع وكان أوّل من جمعه في مصحف.

و ـ أيضاً ـ جاء في المصاحف لابن أبي داود وغيره ما موجزه:

أنّ المسلمين اختلفوا في قراءة القرآن علىٰ عهد عثمان، فخطب فيهم، وقال: أنتم عندي تختلفون وتلحنون، فمن نأىٰ عنّي في الأمصار أشدّ اختلافاً وأشدّ لحناً، فاجتمعوا، واكتبوا للناس إماماً.

ففعلوا ذلك، وانّهم ربّما اختلفوا في آية فيذكرون الرجل قد تلقاها من رسول الله (ص)، ولعلّه أن يكون غائباً في بعض البوادي، فيكتبون ما قبلها وما بعدها، ويدعون موضعها حتىٰ يجيء أو يرسل إليه.

وانّ زيد بن ثابت قال: فقدنا آية من الأحزاب كنت أسمع رسول الله يقرأ بها فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة وهي: ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ ...﴾ فالحقناها في سورتها.

ولمّا فرغ من المصحف، أتىٰ به عثمان فنظر فيه، وقال: أرىٰ شيئاً من لحن ستقيمه العرب بألسنتها.

* * *

كانت تلكم روايات جمع القرآن، وفي ما يأتي نناقشها علىٰ وفق ما جاء فيها:

مناقشة روايات جمع القرآن استناداً إلىٰ ما جاء فيها

إذا اقتصرنا في دراسة روايات جمع القرآن علىٰ ما جاء فيها فحسب، وجدناها تتفق علىٰ أنّهم بعد مقتل خمسمائة من القرّاء يوم اليمامة اهتموا بأمر جمع القرآن خشية أن يفقدوه بسبب مقتل القرّاء، وانّ الرسول (ص) لم يكن قد جمع القرآن قبلهم!

وأنّهم كانوا يدوّنون ما شهد عليه شهيدان انّه من القرآن، وانّهم فقدوا آيتين من القرآن، فوجدوهما عند خزيمة وحده ولم يجدوهما عند غيره.

وفي رواية وجدوهما عند خزيمة وعثمان ولم تكونا عند غيرهما.

وفي رواية أنّ سبب جمعهم القرآن أنّ الخليفة عمر سأل عن آية فقيل كانت مع فلان فقتل يوم اليمامة.

فقال: إنّا لله.

فأمر بالقرآن فجمع.

وأنّ الخليفة عثمان أمر بجمع القرآن أو بتدوينه في المصحف الإمام، لأنّهم اختلفوا في قراءات القرآن.

وفي رواية أنّهم عندما كانوا يجمعون القرآن ربّما اختلفوا في آية، فيذكرون الرجل وقد تلقاها من رسول الله (ص) ولعلّه أن يكون غائباً في بعض البوادي فيكتبون ما قبلها وما بعدها يَدَعون موضعها حتّىٰ يجيء أو يرسل إليه.

وانّ الخليفة عثمان قال: أرىٰ شيئاً من لحن ستقيمه العرب بألسنتها.



هذه خلاصة روايات جمع القرآن، وفي ما يأتي ـ بإذنه تعالىٰ ـ نناقشها استناداً إلىٰ ما جاء فيها:

مناقشة الروايات:

نقول: هب أنّه قتل خمسمائة من ثلاثة آلاف قارئ في يوم اليمامة، فأين كان الألفان والخمسمائة قارئ الّذين سلموا من تلك المعركة عن آية أو آيتين لم يجدوهما عند غير خزيمة بن ثابت فكتبوهما لأنّ الرسول (ص) جعل شهادة خزيمة بشهادة رجلين؟

وكيف كانوا يحتاجون في كتابة الآية إلىٰ من كان بالبوادي، فيكتبون ما قبلها ومابعدها، ويدعون موضعها حتّىٰ يجيء أو يرسل إليه، وهل كان الرسول (ص) قد بلّغها ذلك الرجل وحده ولم يبلّغ الآية غيره وكتمها عن الآخرين؟

وعلىٰ هذا فما معنىٰ ما جاء في الروايات: انّ جمعاً من الصحابة كانوا قد جمعوا القرآن علىٰ عهد رسول الله (ص)؟

ثمّ ما السبيل إلى الجمع بين محتوى الروايات الّتي تقول: أوّل من جمع القرآن أبو بكر، ولكنّه لم يظهره. أو الّتي تقول: أوّل من جمعه عمر وأتمّ عمله عثمان. أو الّتي تقول: انّ القرآن جمع وأُودع عند حفصة وأخذه منها عثمان، وخطّ عليه المصحف الإمام.

كل هذه الروايات تصرّح بأنّه لم يكن القرآن قد جمع علىٰ عهد الرسول (ص) وأبي بكر وعمر، إذاً فما بال الروايات المتواترة والمصرّحة بأنّ سبب قيام الخليفة عثمان بكتابة المصحف الإمام اختلاف القراءات في المصاحف المنتشرة بين المسلمين سواء مصاحف الصحابة مثل مصحف ابن مسعود وأُبيّ أو سائر المسلمين!!

إذاً فقد كانت في المدينة وغيرها من البلدان نسخٌ كثيرة من القرآن لدى كثير من الصحابة وسائر المسلمين، ولم يكن أصحاب تلك المصاحف قد تركوا كتابتها في عصر الرسول (ص)، حتى إذا توفِّي الرسول (ص) بدأوا بكتابتها، بل كانت لدى الآلاف منهم آلاف النسخ المكتوبة منذ عصر الرسول (ص).



كانت تلكم مناقشتنا الموجزة لما جاء في روايات جمع القرآن، وقد حار العلماء واختلفوا في حل متناقضاتها كما سنذكرها في ما يأتي بإذنه تعالى.

محاولة العلماء رفع تناقض الروايات بعضها مع بعض

يظهر للباحث بوضوح تناقض الروايات الآنفة في من جمع القرآن من الخلفاء أوّل مرّة، هل أمر بذلك الخليفة أبو بكر؟ أو الخليفة عمر؟ أو الخليفة عثمان؟

ومن كان المملي والكاتب في عصر كلّ منهم؟ ومن أيّ السورتين: الأحزاب أم براءة افتقدوا آية أو آيتين؟

وقد انتبه العلماء منذ قرون طويلة إلىٰ ما أشرنا إليه من تناقض روايات جمع القرآن بعضها مع بعض، فقد قال ابن العربي في شرح سنن الترمذي[1]:

(من غريب المعاني أنّ القاضي أبا بكر بن الطيب، سيف السنّة ولسان الأُمّة، تكلّم بجهالات علىٰ هذا الحديث، لا تشبه منصبه، فانتصبنا لها لنوقفكم على الحقيقة فيها).

---

(١) شرح سنن الترمذي لابن العربي ١١ / ٢٦٣ ـ ٢٦٥، في المسألة الرابعة، بتفسير قوله تعالىٰ ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ...﴾.

وابن العربي هو أبو بكر محمّد بن عبدالله المعافري، قاضي أشبيلية بالأندلس.

قال الذهبي بترجمته في تذكرة الحفاظ، ص ١٢٩٦ ـ ١٢٩٧ ما موجزه: تذاكر فقهاء أشبيلية في حديث، فقال أحدهم: (لا يعرف إلّا من جدّ مالك، عن الزهري، فقال ابن العربي: قد رويته من ثلاثة عشر طريقاً غير طريق مالك، فقالوا أفدنا هذا. فوعدهم ولم يخرج لهم شيئاً) فقيل في ذلك:

فخذوا عن العربي أسمار الدجىٰ   وخذوا الرواية عن إمام متّقي

إنّ الفتىٰ حلو الكلام مهذّب   إن لم يجد خبراً صحيحاً يخلقِ

إنّ ابن العربي مع ذلك من أوعية العلم بمدرسة الخلفاء. انظر إلىٰ أسماء مؤلفاته بترجمته في هدية العارفين ٢ / ٩٠. توفّي على الأصح سنة ٥٤٣ هـ.

هكذا بدأ الكلام ابن العربي، ونذكر في ما يأتي موردين من كلام ابن الطيب وجواب ابن العربي:

أوّلها ـ (قال القاضي ابن الطيب[1]: هذا حديث مضطرب. وذكر فيه اختلاف روايات فيه، منها صحيحة ومنها باطلة، فأمّا الروايات الباطلة فلا نشتغل بها).

قال المؤلّف:

قصد ابن الطيب من الروايات الصحيحة: ما جاء منها في صحيح البخاري، ومن الروايات الباطلة: ما جاء في غيره.

وهكذا رمىٰ ابن الطيب جملة ما جاء في غير صحيح البخاري من الحديث بالبطلان، ولم أر مثل هذه الجرأة عند غيره من علماء المسلمين: أن يرمي أحدهم بالبطلان جملة ما لم يذكر في غير صحيح البخاري من حديث.

قال ابن العربي:

أما الصحيحة، فمنها أنّه قال:

(روىٰ أنّ هذا جرىٰ في عهد أبي بكر. وفي رواية أنّه جرىٰ في عهد عثمان، وبين التاريخين كثير من المدّة. وكيف يصحّ أن نقول: هذا كان في عهد أبي بكر، ثمّ نقول: كان هذا في عهد عثمان؟ ولو اختلف تاريخ الحديث في يوم من أوّله وآخره لوجب ردّه، فكيف أن يختلف بين هاتين المدّتين الطويلتين؟

قال القاضي أبو بكر بن العربي: يقال للسيف: هذه كهمة[2]. من طول الضراب!

هذا أمر لم يخف وجه الحقّ فيه، إنّما جمع زيد القرآن مرّتين: إحداهما لأبي

---

(١) في النص (أبو الطيب): تصحيف.

(٢) كهمة: كهم السيف كهامة: كلّ.

بكر في زمانه، والثانية لعثمان في زمانه.

أمّا الأوّل فكان لئلّا يذهب القرآن بذهاب القرّاء... وأمّا جمعه في زمان عثمان، فكان لأجل الإختلاف الواقع بين الناس في القراءة، فجمع في المصاحف ليرسل إلى الآفاق حتّىٰ يرفع الإختلاف...).

قال المؤلّف:

يبقىٰ سؤال يوجّه إلىٰ ابن العربي وهو:

إذا كان القرآن قد جمع علىٰ عهد أبي بكر، وافتقدوا يومئذ آخر سورة التوبة ووجدوها عند ابن خزيمة، وانتهىٰ بذلك كتابة المصحف، وكان عند أبي بكر ثمّ عمر، ثمّ أخذ عثمان المصحف من حفصة واستنسخه.

فكيف إذاً فقدوا آية من الأحزاب، ووجدوها عند خزيمة بن ثابت الأنصاري؟!

والمورد الثاني ممّا نذكر من كلامهما ما يأتي، قال ابن العربي:

(قال ابن الطيب: يشبه أن يكون هذا الخبر موضوعاً، لأنّه قال فيه: أنّ زيداً وجد الضائع من القرآن عند رجلين، وهذا بعيد، أن يكون الله قد وكّل حفظ ما سقط وذهب من الأجلّة الأماثل من القرآن برجلين: ابن خزيمة وأبي خزيمة.

قال القاضي[1]: قد بيّنا أنّه يجوز أن ينسى الرجل الشيء، ثمّ يذكره له آخر، فيعود علمه إليه، وليس في نسيان الصحابة كلّهم إلّا رجلٌ واحدٌ استحالة عقلاً، لأنّ ذلك جائز، ولا شرعاً، لأنّ الله ضمن حفظه، ومن حفظه البديع أن تذهب منه آية أو سورة إلّا عن واحد فيذكره ذلك الواحد، فيتذكره الجميع، فيكون ذلك من بديع حفظ الله لها، يقال له ـ أيضاً ـ هذا حديث صحيح متّفق

---

(١) يقصد نفسه، أي: ابن العربي.

عليه من الأئمّة. فكيف تدّعي عليه الوضع، وقد رواه العدل عن العدل وتدّعي فيه الإضطراب وهو في سلك الصواب منتظم.

وتقول أُخرىٰ إنّه من أخبار الآحاد وما الّذي تضمّن من الإستحالة أو الجهالة حتّىٰ أنّه خبر واحد).

قال المؤلِّف:

قصد ابن العربي بقوله: (رواه العدل عن العدل) رواية البخاري الروايتين عن شيوخه.

وإنّ ابن العربي في قوله هذا اجتهد في طلب الخير دفاعاً عن حديثين في صحيح البخاري وحفظاً لكرامة صحيح البخاري مع التضحية بكرامة القرآن.

وإنّ ابن الطيب كان قد اجتهد، وطلب الخير، وضحىٰ بحديثين في صحيح البخاري حفظاً لكرامة القرآن كما يظهر من كلامه الطيب الآتي في آخر البحث إن شاء الله تعالىٰ.

ولمناقشة كلام ابن العربي، نضرب مثلاً بألفية ابن مالك[1] الّتي مضىٰ علىٰ نظمها أكثر من سبعمائة سنة، ولم يفقد أحد من قراءته في بلد من بلاد العالم إلى اليوم بيتاً ولا شطراً منها.

وهؤلاء يقولون: إنّ كلّ أصحاب الرسول (ص) في بلد الرسول (ص) افتقدوا من قرآنه آية أو آيتين بعد سنتين أو عقدين من وفاته. بينا كان القرآن همّهم الوحيد يتلونه ليل نهار وهو كتابهم الوحيد وثقافتهم الوحيدة، لا شأن لغيره في حضارتهم.

* * *

---

(١) ألفية ابن مالك نظمها جمال الدين محمّد بن عبدالله الطائي الجياني الأندلسي (ت: ٦٧٢ هـ)، مادّة ألفية بكشف الظنون؛ وهدية العارفين ٢ / ١٣٠.

كانت تلكم محاولة العلماء لرفع تناقض روايات جمع القرآن، وكذلك الشأن في روايات اختلاف المصاحف الّتي ندرسها في ما يأتي، بإذنه تعالىٰ.

البحث الرابع

روايات اختلاف المصاحف
والزيادة والنقيصة في القرآن ـ معاذ الله ـ

روايات الزيادة والنقيصة في القرآن الكريم

أوّلاً ـ زيادة سورتين ونقصان سورتين ـ معاذ الله ـ:

أ ـ نقصان سورتين:

نقل المحدّث النـوري في شأن نقصان السـور، عن الحاكم في المسـتدرك والسيوطي في الدرّ المنثور والإتقان عن الصحابي أبي موسىٰ نقصان سورتين، ونحن نذكر الحديث من صحيح مسلم، باب [لو أنّ لابن آدم واديين من ذهب لابتغىٰ وادياً ثالثاً] من كتاب الزّكاة حيث روىٰ بسنده:

أنّ أبا موسىٰ الأشعري بعث إلىٰ قرّاء البصرة فدخل عليه ثلاثمائة رجل، فقال لهم في ما قال:

(وإنّا كنّا نقرأ سورة كنّا نُشبهها في الطول والشدّة ببراءة، فأُنسيتها غـير أنّي حفظت منها: [لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغىٰ وادياً ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلّا التراب].

وكنّا نقرأ سـورة نُشبهها بإحدى المسبحات، فأُنسيتها غير أنّي حـفظت منها: [يا أيُّها الّذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون فتكتب شهادة في أعـناقكم فتسألون عنها يوم القيامة]).

وفي لفظ مسلم في الباب عن أنس وابن عباس أنّ الآية المزعومة في السورة المنسية هكذا: [لو كان لابن آدم واديان...].

وفي الإتقان أخرج ابن أبي حاتم عن أبي موسىٰ قال: (كنّا نقرأ سورة نُشبهها بإحدى المسبحات...) الحديث[1].

ورُوي عن أُبيّ بن كعب بعنوان نقص سورة [لم يكن] كما رواه السيوطي وأحمد والحاكم والترمذي وصحّحاه، واللّفظ للترمذي:

عن زر بن حبيش عن أُبيّ بن كعب، (أنّ رسول الله (ص) قال: إنّ الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن فقرأ عليه: [لم يكن الّذين كفروا] وفيها: [أنّ ذات الدِّين عند الله الحنيفية المسلمة، لا اليهوديّة ولا النصرانيّة ولا المجوسيّة، من يعمل خيراً فلن يكفره]. وقرأ عليه: [لو أنّ لابن آدم وادياً من مال لابتغىٰ إليه

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الزّكاة، الحديث ١١٩، ص٧٢٦؛ وفصل الخطاب، ص ١٧١ و ١٧٢؛ والإتقان ٢ / ٢٥ في النوع السابع والأربعين في ناسخه ومنسوخه، الضرب الثالث، ما نسخ تلاوته دون حكمه؛ والدرّ المنثور ١ / ١٠٥ بتفسير سورة البقرة، الآية ١٠٦.

والحديث الثاني، في نفس الصفحة من الإتقان؛ وفي تفسير الدرّ المنثور للسيوطي ٦ / ٣٧٨ بتفسير سورة البيّنة؛ والحديث موزع في مستدرك الحاكم، وملخص أوّله بترجمة أُبيّ ٢ / ٢٢٤، وآخره بتفسير سورة البيّنة ٢ / ٥٣١، وصحّحه الحاكم والذهبي في تلخيصه.

والمسبحات من السور هي ما افتتح بـ﴿سُبْحَانَ﴾ و﴿سَبِّحِ﴾ و﴿يُسَبِّحُ﴾.

وأبو موسى الأشعري الصحابي رووا عنه ٣٦٠ حديثاً (ت: ٤٢ أو ٤٤ أو ٤٩ أو ٥٠ أو ٥٢ أو ٥٣ هـ).

أُسد الغابة ٣ / ٤٥؛ وجوامع السيرة، ص ٢٧٦؛ وتقريب التهذيب ١ / ٤٤١.

وابن أبي حاتم، حافظ الرّي وابن حافظها، كان بحراً في العلوم ومعرفة الرجال. صنّف في الفقه واختلاف الصحابة والتابعين والتفسير. (ت: ٣٢٧ هـ). ترجم له في الجزء الأوّل، ص ١٢٧، الطبعة الرابعة من كتاب معالم المدرستين؛ وتذكرة الحفاظ، ص ٨٢٩؛ وهدية العارفين ١ / ٥١٢.

وأنس بن مالك، ترجم له في الجزء الأوّل، ص ١٣٤، الطبعة الرابعة من معالم المدرستين.

وابن عباس: عبدالله بن عباس، ابن عمّ الرسول (ص)، الإمام البحر، شهد صفين مع عليّ وكان أحد الأُمراء. بقيّة ترجمته في الجزء الأوّل، ص ١٣٣، الطبعة الرابعة من معالم المدرستين.

تقريب التهذيب ١ / ٤٢٥؛ وتذكرة الحفاظ ١ / ٤٠ ـ ٤١.

ثانياً، ولو كان له ثانياً لابتغىٰ ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلّا التراب ويتوب الله علىٰ من تاب])).

قال الترمذي: (هذا حديث حسن).

وقال ـ أيضاً ـ في باب مناقب أُبيّ: (هذا حديث حسن صحيح)(1).

وروىٰ في الدرّ المنثور في رواية أُخرىٰ عن مسند أحمد عن ابن عباس بعد [فلن يكفره]، قال: (ثمّ قرأ آيات بعدها ثمّ قرأ: [لو أنّ لابن آدم...])

وروىٰ ـ أيضاً ـ عن مسند أحمد عن ابن عباس أنّه قال أمام الخليفة عمر: (صدق الله ورسوله: [لو كان لابن آدم... إلىٰ من تاب].

فقال عمر: ما هذا؟

---

(1) فصل الخطاب، ص ١٧؛ والدرّ المنثور للسيوطي ٦ / ٣٧٨؛ وسنن الترمذي ١٣ / ٢٠٣ ـ ٢٠٤، باب مناقب: معاذ وزيد وأُبيّ وص ٢٦٣، باب مناقب أُبيّ؛ وحديث أُبيّ بمسند أحمد ٥ / ١٣١ و ١٣٢، وحديث ابن عباس عن أُبيّ، ص ١١٧ منه. ونقلناه عن الدرّ المنثور، ورواه ـ أيضاً ـ في الإتقان ٢ / ٢٥. والحاكم في المستدرك والذهبي في تلخيصه بتفسير سورة ﴿لَمْ يَكُن﴾، ٢ / ٥٣١ وصحّحاه؛ وراجع مجمع الزوائد ٧ / ١٤٠.

وزر بن حبيش بن حباشة الأسدي الكوفي، مخضرم، أدرك الجاهلية ولم ير النبيّ (ص)، ثقة، جليل (ت: ٨١ أو ٨٣ هـ). أخرج حديثه جميع أصحاب الصحاح.

وعدّه ابن حزم من أصحاب القراءات المشهورة في الأمصار وممّن روى عنه من أهل الكوفة بعد الصحابة.

جوامع السيرة، ص ٢٠٧ و ٣٢٩. أُسد الغابة ٢ / ٢٠٠؛ وتذكرة الحفاظ، ص ٥٧؛ وتقريب التهذيب ١ / ٢٥٩.

وأُبيّ بن كعب، أبو المنذر الخزرجي، رووا عنه ١٦٤ حديثاً. اختلفوا في وفاته سنة: ١٩ أو ٢٠ أو ٢٢ أو ٣٠ أو ٣٢ هـ.

جوامع السيرة، ص ٢٧٧؛ وأُسد الغابة ١ / ٤٩ ـ ٥١؛ تذكرة الحفاظ، ص ١٦؛ تقريب التهذيب ١ / ٤٨.

فقلت: هكذا أقرأني أُبيّ.

قال: فَمُرّ بنا إليه، فجاء إلىٰ أُبيّ، قال: ما يقول هذا؟

قال أُبيّ: هكذا أقرأنيها رسول الله (ص).

قال: إذاً أثبتها في المصحف؟

قال: نعم)[1].

ب ـ زيادة سورتين ـ سورتي الحفد والخلع ـ:

نقل النوري[2] عن الإتقان والدرّ المنثور للسيوطي ومجمع الزوائد للهيتمي روايات نقصان سورتي الحفد والخلع، ونحن نخرجها من مصادره الّتي نقلها عنها:

في الإتقان عن ابن الضريس بسنده:

عن عبدالله بن عبدالرّحمٰـن عن أبيه (قال: في مصحف ابن عباس قراءة أُبيّ وأبي موسىٰ: [بسم الله الرّحمٰن الرّحيم اللّٰهمّ إنّا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك الخير ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك].

وفيه: [اللّٰهمّ إيّاك نعبد ولك نصلّي ونسجد وإليك نسعىٰ ونحفد، نخشىٰ عذابك ونرجو رحمتك، إنّ عذابك بالكفار ملحق])[3].

---

(١) الدرّ المنثور ٦ / ٣٧٨؛ وراجع مسند أحمد ٥ / ١١٧؛ ومجمع الزوائد ٧ / ١٤١.

(٢) فصل الخطاب، ص ١٤٢ و ١٤٣ و ١٤٥ و ١٧٢.

(٣) الإتقان، النوع التاسع عشر في عدد سوره وآياته وكلماته وحروفه ١ / ٦٧.

وابن الضريس، الحافظ أبو عبدالله محمّد بن أيّوب البجلي، محدّث الري. من تصانيفه: تفسير القرآن، فضائل القرآن (ت: ٢٩٤ هـ).

هدية العارفين ١ / ٢١.

←

وفي الإتقان عن الطبراني ما ملخّصه قال: (إنّه روىٰ عن عبدالله بن زرير، قال: لقد علّمني عليّ بن أبي طالب سورتين علّمهما إيّاه رسول الله (ص): [... اللّهمّ إنّا نستعينك...]) الحديث.

وروىٰ عن البيهقي وأبي داود عن خالد بن أبي عمران: (أنّ جبريل نزل بذلك على النبيّ وهو في الصلاة...) الحديث.

وقال وأخرج الطبراني بسند صحيح عن أبي إسحاق قال: (أمَّنا أُميّة ابن عبدالله بن خالد بن أُسيد بخراسان فقرأ بهاتين السورتين: [إنّا نستعينك] و [نستغفرك][1]، أي: أنّ أُميّة كان يقرأ في الصلاة سورتي الحفد والخلع اللّتين

→ وعبدالله بن عبدالرّحمٰن، مرّت ترجمته في البحث الثاني من هذا الكتاب، الهامش رقم ١، ص ٥٠.
وابنه عبدالله من التابعين. أخرج حديثه أبو داود والنّسائي والبخاري معلقاً.
تهذيب التهذيب ٥ / ٢٩٠؛ وتقريب التهذيب ١ / ٤٢٧.

(١) الإتقان ١ / ٦٧، النوع التاسع عشر، باب (عدد سوره وآياته ...).

والطبراني، أبو القاسم، سليمان بن أحمد اللخمي الشامي، من كبار المحدثين، أصله من طبرية الشام. له المعاجم الثلاثة: الكبير والصغير والأوسط في الحديث وكتاب التفسير وغيرها (ت: ٣٦٠ هـ).

ترجمته في وفيات الأعيان ٢ / ١٤١، الترجمة: ٢٦٠؛ تذكرة الحفاظ، ص ٩١٢؛ تهذيب ابن عساكر ٦ / ٢٤٠؛ هدية العارفين ١ / ٣٩٦.

عبدالله بن زرير الغافقي المصري، من كبار التابعين، أخرج حديثه أبو داود والنّسائي وابن ماجة (ت: ٨٠ هـ) أو ما بعدها. تقريب التهذيب ١ / ٤١٥.

خالد بن أبي عمران التجيبي، فقيه، صدوق، أخرج حديثه مسلم وأبو داود والترمذي والنّسائي (ت: ١٢٥ أو ١٢٩ هـ).

تقريب التهذيب ١ / ٢١٧.

والتجيبي نسبة إلىٰ محلة بمصر وإلىٰ أُمّ عدي وإلىٰ سعد بن أشرس السكوني، لباب الأنساب، مادّة تجيب.

←

فيهما: [إنّا نستعينك ونستغفرك]).

كما جاء التصريح بهذه التسمية في الأحاديث الآتية:

في تفسير الفاتحة من الدرّ المنثور:

(أخرج عبد بن حميد ومحمّد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة، وابن الأنباري في المصاحف عن محمّد بن سيرين، أنّ أُبيّ بن كعب كان يكتب (فاتحة الكتاب) و(المعوذتين) و [اللّهمّ إيّاك نعبد] و [اللّهمّ إيّاك نستعين]. ولم يكتب ابن مسعود شيئاً منهنّ. وكتب عثمان بن عفان الفاتحة والمعوذتين[1]. يعني أنّ أُبيّ

→ وأُميّة بن عبدالله بن خالد بن أُسيد بن أبي العيص أُميّة بن عبد شمس ولّاه الخليفة عبدالملك خراسان. أخرج حديثه النّسائي وابن ماجة (ت: ١٨٣ هـ).

راجع جمهرة النسب لابن الكلبي، تحقيق وخط فردوس العظم، الطبعة الثانية ١ / ٣٨. وتقريب التهذيب ١ / ٨٣.

وأبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق، عبسي، مولىٰ بني بنانة من بني سعد بن لؤي، نزيل مرو. أخرج حديثه الترمذي وأبو داود (ت: ٢١٥ هـ).

تهذيب التهذيب ١ / ١٠٣؛ وتقريب التهذيب ١ / ٣١.

(١) الدرّ المنثور ١ / ٣؛ ونقله في الإتقان ١ / ٦٧ عن أبي عبيد.

وعبد بن حميد بن نصر الكِسيّ، وقيل اسمه عبد الحميد، صاحب المسند والتفسير. أحد أئمّة الحديث (ت: ٢٤٩ هـ). نسب إلىٰ مدينة كِس بأرض السند. معجم البلدان، مادّة: (كِس)؛ تذكرة الحفاظ، ص ٥٣٤؛ وفي هدية العارفين ١ / ٤٣٧ (الكشي).

ومحمّد بن نصر، أبو عبدالله المروزي، الفقيه الشافعي، له تصانيف كثيرة، منها: تعظيم الصلاة. هدية العارفين ٢ / ٢١.

وابن الأنباري، الحافظ العلّامة محمّد بن القاسم بن محمّد بن بشّار، شيخ الأدب. صنّف التصانيف الكثيرة في القراءات والغريب والمشكل والتفسير، منها المصاحف (ت: ٣٢٨ هـ). تذكرة الحفاظ، ص ٨٤٢ ـ ٨٤٤. والعبر ٢ / ٢١٤. ومادّة المصاحف في كشف الظنون.

وابن سيرين، أبو بكر محمّد بن سيرين البصري الأنصاري ولاءً، ثقة، ثبت، كان لا يرى ←

ابن كعب كان يكتب في مصحفه الفاتحة والمعوذتين والسورتين المزعومتين: الحفد والخلع وأنّ ابن مسعود لم يكتب الفاتحة والمعوذتين في مصحفه وأنّ عثمان كتب في المصحف الفاتحة والمعوذتين).

ونقل الزركشي عن المنادي في (الناسخ والمنسوخ) أنّه قال: ولا خلاف بين الماضين والغابرين أنّهما مكتوبتان في المصاحف المنسوبة إلىٰ أُبيّ بن كعب. وأنّه ذكر عن النبيّ (ص) أنّه أقرأه إيّاهما، وسميتا سورتي الخلع والحفد[1].

تسجيل السورتين المزعومتين في عداد السور القرآنية

إنّ كثرة الأحاديث المروية في شأن السورتين المزعومتين أدّت بالسيوطي إلىٰ أن يدونهما في تفسيره الدرّ المنثور بعد سورة الناس ٦ / ٤٢٠ ـ ٤٢٢، كالآتي تصويره:

← الرواية بالمعنىٰ. أخرج حديثه أصحاب الصحاح والمسانيد (ت: ١١٠ هـ). تذكرة الحفاظ للذهبي، ص ٧٧ ـ ٧٩، وعدّه من الثالثة؛ تقريب التهذيب ٢ / ١٦٩؛ هدية العارفين ٢ / ٧.

وابن مسعود (ت: ٣٥ هـ)، عبدالله بن مسعود بن غافل الهذلي، من السابقين الأوّلين من الصحابة. رووا عنه ٨٤٨ حديثاً. (ت: ٣٢ هـ) أو الّتي بعدها.

جوامع السيرة، ص ٢٧٦؛ تقريب التهذيب ١ / ٤٥٠.

وعثمان بن عفان الأموي، ثالث الخلفاء. رووا عنه (١٤٦) حديثاً. جوامع السيرة، ص ٢٧٧؛ تقريب التهذيب ٢ / ١٢.

(١) البرهان في علوم القرآن ٢ / ٣٧.

والمنادي أو ابن المنادي هو الحافظ أبو الحسين أحمد بن جعفر، من كبار القرّاء. من تآليفه: الناسخ والمنسوخ (ت: ٣٣٤ أو ٣٣٦ هـ). تذكرة الحفاظ، ص ٨٤٩؛ وكشف الظنون ٢ / ١٩٢١ في مادّة الناسخ والمنسوخ.

(ذكر ما ورد في سورة الخلع وسورة الحفد)

قال ابن الضريس في فضائله أخبرنا موسى بن اسمعيل أنبأنا حماد قال قرأنا في مصحف أبي بن كعب اللهم انا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك الخير ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك قال حماد هذه الآن سورة وأحسبه قال اللهم اياك نعبد ولك نصلي ونسجد واليك نسعى ونحفد نخشى عذابك ونرجو رحمتك ان عذابك بالكفار ملحق * وأخرج ابن الضريس عن عبد الله بن عبد الرحمن عن أبيه قال صليت خلف عمر بن الخطاب فلما فرغ من السورة الثانية قال اللهم انا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك الخير كله ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك اللهم اياك نعبد ولك نصلي ونسجد واليك نسعى ونحفد نرجو رحمتك ونخشى عذابك ان عذابك بالكفار ملحق وفي مصحف ابن عباس قراءة أبي وأبي موسى بسم الله الرحمن الرحيم اللهم انا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك الخير ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك وفي مصحف حجر اللهم انا نستعينك وفي مصحف ابن عباس قراءة أبي وأبي موسى اللهم اياك نعبد ولك نصلي ونسجد واليك نسعى ونحفد نخشى عذابك ونرجو رحمتك ان عذابك بالكفار ملحق * وأخرج أبو الحسن القطان في المطولات عن أبان بن أبي عياش قال سألت أنس بن مالك عن الكلام في القنوت فقال اللهم انا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك الخير ولا نكفرك ونؤمن بك ونترك من يفجرك اللهم اياك نعبد ولك نصلي ونسجد واليك نسعى ونحفد نرجو رحمتك ونخشى عذابك الجد ان عذابك بالكفار ملحق قال أنس والله ان أنزلتا الا من السماء * وأخرج محمد بن نصر والطحاوي عن ابن عباس ان عمر بن الخطاب كان يقنت بالسورتين اللهم اياك نعبد واللهم انا نستعينك * وأخرج محمد بن نصر عن عبد الرحمن بن أبزى قال قنت عمر رضي الله عنه بالسورتين * وأخرج محمد بن نصر عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ان عمر قنت بهاتين السورتين اللهم انا نستعينك واللهم اياك نعبد * وأخرج البيهقي عن خالد بن أبي عمران قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو على مضر اذ جاءه جبريل فأومأ اليه ان اسكت فسكت فقال يا محمد ان الله لم يبعثك سبابا ولا لعانا وانما بعثك رحمة للعالمين ولم يبعثك عذابا ليس لك من الامر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون ثم علمه هذا القنوت اللهم انا نستعينك ونستغفرك ونؤمن بك ونخضع لك ونخلع ونترك من يفجرك اللهم اياك نعبد ولك نصلي ونسجد واليك نسعى ونحفد نرجو رحمتك ونخشى عذابك ان عذابك الجد بالكفار ملحق * وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف ومحمد بن نصر والبيهقي في سننه عن عبيد بن عمير ان عمر بن الخطاب قنت بعد الركوع فقال بسم الله الرحمن الرحيم اللهم انا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك بسم الله الرحمن الرحيم اللهم اياك نعبد ولك نصلي ونسجد ولك نسعى ونحفد نرجو رحمتك ونخشى عذابك ان عذابك بالكفار ملحق وزعم عبيد أنه بلغه انهما سورتان من القرآن في مصحف ابن مسعود * وأخرج ابن أبي شيبة عن عبد الملك بن سويد الكاهلي ان عليا قنت في الفجر بهاتين السورتين اللهم انا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك اللهم اياك نعبد ولك نصلي ونسجد واليك نسعى ونحفد نرجو رحمتك ونخشى عذابك ان عذابك بالكفار ملحق * وأخرج ابن أبي شيبة ومحمد بن نصر عن ميمون بن مهران قال في قراءة أبي بن كعب اللهم انا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك اللهم اياك نعبد ولك نصلي ونسجد واليك نسعى ونحفد نرجو رحمتك ونخشى عذابك ان عذابك بالكفار ملحق * وأخرج محمد بن نصر عن ابن اسحق قال قرأت في مصحف أبي بن كعب بالكتاب الاول العتيق بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله احد الى آخرها بسم الله الرحمن الرحيم قل أعوذ برب الفلق الى آخرها بسم الله الرحمن الرحيم قل أعوذ برب الناس الى آخرها بسم

الله الرحمن الرحيم اللهم انا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك الخير ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك بسم الله الرحمن الرحيم اللهم اياك نعبد ولك نصلي ونسجد واليك نسعى ونحفد نرجو رحمتك ونخشى عذابك ان عذابك بالكفار ملحق بسم الله الرحمن الرحيم اللهم لا تنزع ما تعطي ولا ينفع ذا الجد منك الجد سبحانك وغفرانك وحنانيك اله الحق * وأخرج محمد بن نصر عن يزيد بن أبي حبيب قال بعث عبد العزيز بن مروان الى عبد الله بن رزين الغافقي فقال له والله اني لاراك جافيا ما أراك تقرأ القرآن قال بلى والله اني لاقرأ القرآن وأقرأ منه ما لا تقرأ به فقال له عبد العزيز وما الذي لا أقرأ به من القرآن قال القنوت حدثني علي بن أبي طالب انه من القرآن * وأخرج محمد بن نصر عن عطاء بن السائب قال كان أبو عبد الرحمن يقرئنا اللهم انا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك الخير ولا نكفرك ونؤمن بك ونخلع ونترك من يفجرك اللهم اياك نعبد ولك نصلي ونسجد واليك نسعى ونحفد نرجو رحمتك ونخشى عذابك الجد ان عذابك بالكفار ملحق وزعم أبو عبد الرحمن ان ابن مسعود كان يقرئهم اياها ويزعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرئهم اياها * وأخرج محمد بن نصر عن الشعبي قال قرأت أو حدثني من قرأ في بعض مصاحف أبي بن كعب هاتين السورتين اللهم انا نستعينك والاخرى بينهما بسم الله الرحمن الرحيم قبلهما سورتان من المفصل وبعدهما سور من المفصل * وأخرج محمد بن نصر عن سفيان قال كانوا يستحبون أن يجعلوا في قنوت الوتر هاتين السورتين اللهم انا نستعينك واللهم اياك نعبد * وأخرج محمد ابن نصر عن ابراهيم قال يقرأ في الوتر السورتين اللهم اياك نعبد اللهم انا نستعينك ونستغفرك * وأخرج محمد بن نصر عن خصيف قال سألت عطاء بن أبي رباح أي شيء أقول في القنوت قال هاتين السورتين اللتين في قراءة أبي اللهم انا نستعينك واللهم اياك نعبد * وأخرج محمد بن نصر عن الحسن قال نبدأ في القنوت بالسورتين ثم ندعو على الكفار ثم ندعو للمؤمنين والمؤمنات * وأخرج البخاري في تاريخه عن الحارث بن معاقب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في صلاة من الصلوات بسم الله الرحمن الرحيم غفار غفر الله لها واسلم سالمها الله وشيء من جهينة وشيء من مزينة وعصية عصت الله ورسوله ورعل وذكوان ما أنا قلته الله قاله قال الحارث فاختصم ناس من أسلم وغفار فقال الاسلميون بدأ بأسلم وقالت غفار بدأ بغفار قال الحارث فسألت أبا هريرة فقال بدأ بغفار * وأخرج ابن أبي شيبة ومسلم عن خفاف بن ايماء بن رحضة الغفاري قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر فلما رفع رأسه من الركعة الآخرة قال لعن الله لحيانا ورعلا وذكوان وعصية عصت الله ورسوله أسلم سالمها الله غفار غفر الله لها ثم خر ساجدا فلما قضى الصلاة أقبل على الناس بوجهه فقال أيها الناس اني لست قلت هذا ولكن الله قاله [1].

---

(١) صوّرنا من الأحاديث التي أوردها السيوطي ما فيها صراحة بأنّ الحفد والخلع سورتان .

روايات حك ابن مسعود سورتي المعوّذتين من القرآن بزعم أنّهما زائدتان

في تفسير سورة الفلق بتفسير السيوطي:

أخرج أحمد والبزار والطبراني وابن مردويه عن طرق صحيحة عن ابن عباس وابن مسعود: أنّه كان يحكّ المعوّذتين من المصحف ويقول: لا تخلطوا القرآن بما ليس منه، إنّهما ليستا من كتاب الله، إنّما أمر النبيّ أنْ يتعوّذ بهما.

وكان ابن مسعود لا يقرأ بهما[1].

وقال في الإتقان:

أخرج عبدالله بن أحمد في زيادات المسند والطبراني وابن مردويه:

(... قال كان ابن مسعود يحكّ المعوّذتين من مصاحفه ويقول: إنّهما ليستا من كتاب الله).

وأخرج البزار والطبراني من وجه آخر عنه، (أنّه كان يحكّ المعوّذتين من المصحف ويقول: إنّما أمر النبيّ أنْ يتعوّذ بهما وكان عبدالله لا يقرأ بهما).

وقال ابن حجر في شرح البخاري: (قد صحّ عن ابن مسعود إنكار ذلك، فأخرج أحمد وابن حبّان عنه أنّه يحكّ المعوّذتين في مصحفه)[2].

---

(١) الدرّ المنثور للسيوطي ٦ / ٤١٦.

(٢) الإتقان ١ / ٨١؛ ومسند أحمد ٥ / ١٢٩ ولفظه: يحكّه من مصاحفه.

وعبدالله أبو عبدالرّحمٰن بن أحمد بن حنبل الشيباني، ثقة، له زوائد المسند ـ أي الأحاديث الّتي أضافها علىٰ مسند والده ـ أخرج حديثه النّسائي. (ت: ٢٩٠ هـ). تقريب التهذيب ١ / ٤٠١؛ وهدية العارفين ٢ / ٤٤٢.

وابن مردويه، الحافظ الثبت العلّامة أبو بكر أحمد بن موسىٰ بن مردويه الإصبهاني صاحب التفسير المسند للقرآن، والتاريخ وغير ذلك. (ت: ٤١٠ هـ). تذكرة الحفاظ، ص ١٠٥١؛ وهدية العارفين ١ / ٧١.

والبزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن الحافظ (ت: ٢٩٢ هـ)، له مسندان: كبير وصغير.

←

وفي الإتقان ـ أيضاً ـ :

وفي مصحف ابن مسعود مائة واثنتا عشرة سورة لأنّه لم يكتب المعوّذتين.

وفي مصحف أُبيّ ستّ عشرة ـ بعد المائة ـ لأنّه كتب سورتي الحفد والخلع.

أخرج أبو عبيد عن ابن سيرين، قال: كتب أُبيّ بن كعب في مصحفه فاتحة الكتاب والمعوّذتين و [اللّهمّ إنّا نستعينك] و [اللّهمّ إيّاك نعبد]، وتركهنّ ابن مسعود وكتب عثمان منهنّ فاتحة الكتاب والمعوّذتين[1].

وفات المحدّث الاخباري النوري أن ينقل عن تفسير ابن كثير أيضاً، فإنّه روىٰ ذلك عن الحافظ أبي يعلىٰ وعبدالله بن أحمد[2].

وفاته أن ينقل ما جاء في فهرست النديم (باب ترتيب نزول القرآن في مصحف عبدالله بن مسعود).

قال الفضل بن شاذان (ت: ٢٦٠ هـ): وجدت في مصحف عبدالله بن مسعود تأليف سور القرآن علىٰ هذا الترتيب: البقرة. النِّساء... فذلك مائة سورة

← ترجمته بتاريخ بغداد ٤ / ٣٣٤؛ وتذكرة الحفاظ، ص ٢٠٤؛ وهدية العارفين ١ / ٥٤.

ابن حبان، الحافظ العلّامة أبو حاتم محمّد بن حبان البستي، أخرج من علوم الحديث ما عجز عنه غيره. (ت: ٣٥٤ هـ). تذكرة الحفاظ، ص ٩٢٠؛ وهدية العارفين ٢ / ٤٤.

(١) الإتقان ١ / ٦٧، النوع التاسع عشر: في عدد سوره.

وأبو عبيد، القاسم بن سلام (ت: ٢٢٤ هـ)، كان أبوه عبداً روميّاً من هراة، وكان ثقة، حافظاً للحديث، إماماً في القراءات، رأساً في اللّغة. من تصانيفه: القراءات ومعاني القرآن، وناسخ القرآن ومنسوخه. أخرج حديثه أبو داود والبخاري في جزء القراءة، ١ / ١١٣.

تذكرة الحفاظ، ص ٤١٧ ـ ٤١٨؛ تقريب التهذيب ٢ / ١١٧؛ وهدية العارفين ١ / ٨٢٥.

(٢) تفسير المعوذتين بتفسير ابن كثير ٤ / ٧١.

وأبو يعلىٰ، أحمد بن عليّ التميمي (ت: ٣٠٧ هـ). الحافظ، الثقة، محدث الجزيرة، صاحب المسند الكبير. تذكرة الحفاظ، ص ٧٠٧ ـ ٧٠٩؛ ومجمع الزوائد، كتاب التفسير، باب ما جاء في المعوّذتين ٧ / ١٤٩ عن عبدالله بن أحمد؛ وأحمد والبزار والطبراني.

وعشر سور.

وفي رواية أُخرىٰ: وكان عبدالله بن مسعود لا يكتب المعوذتين في مصحفه ولا فاتحة الكتاب.

قال محمّد بن إسحاق: رأيت عدّة مصاحف ذكر نسّاخها أنّها مصحف ابن مسعود، ليس فيها مصحفان متفقان وأكثرها في رق كثير النسخ، وقد رأيت مصحفاً قد كتب منذ مائتي سنة فيه فاتحة الكتاب[1].

ثانياً ـ روايات نقصان آيات من بعض سور القرآن الكريم ـ معاذ الله ـ:

نقل النوري[2] عن السيوطي وغيره نقصان عشرات الآيات من بعض السور، ونحن نرجع إلىٰ مصادره، وننقل البعض منها في ما يأتي:

نقل السيوطي في تفسير الدّر المنثور عن تاريخ البخاري، عن حذيفة أنّه قال: قرأت سورة الأحزاب على النبيّ (ص)، فنسيت منها سبعين آية ما وجدتها[3].

وعن عائشة قالت: كانت سورة الأحزاب تقرأ في زمان النبيّ (ص) مائتي آية، فلمّا كتب عثمان المصاحف لم يقدر منها إلّا علىٰ ما هو الآن[4].

---

(١) فهرست النديم، ط. مصر سنة ١٣٤٨ هـ، ص ٣٩ـ ٤٠.

(٢) فصل الخطاب، ص ١١٣ و ١٤٥.

(٣) الدرّ المنثور ٥ / ١٨٠، في أوّل تفسير سورة الأحزاب.

وحذيفة بن اليمان، حليف الأنصار، صحابي ابن صحابي، سمّاه قومه باليمان لمحالفته الأنصار وهم من اليمن، أعلمه رسول الله (ص) بالمنافقين. رووا عنه ٢٢٥ حديثاً.

جوامع السيرة، ص٢٧٧؛ وتقريب التهذيب ١ /١٥٦؛ وبقية ترجمته في الجزء الأوّل، ص١٩٨، الطبعة الرابعة من معالم المدرستين.

(٤) الدرّ المنثور ٥ / ١٨٠، عن أبي عبيد وابن الأنباري وابن مردويه.

وأُمّ المؤمنين عائشة، ترجم لها في الجزء الأوّل، ص ٢٧١، الطبعة الرابعة من كتاب معالم المدرستين.

وعن حذيفة قال: قال لي عمر بن الخطاب: كم تعدّون سورة الأحزاب؟

قلتُ: إثنتين أو ثلاثاً وسبعين آية.

قال: إن كانت لتعدل بسورة البقرة وإنْ كان فيها لآية الرّجم[1].

وفي تفسير ابن كثير ومستدرك الحاكم وتلخيص الذهبي وصحّحاه، وابن مردويه والضياء في المختارة.

عن زر عن أُبيّ بن كعب قال: كانت سورة الأحزاب توازي سورة البقرة وكان فيها (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتّة)[2].

وفي تفسير التوبة من الدرّ المنثور للسيوطي قال:

وأخرج ابن أبي شيبة والطبراني في الأوسط وأبو الشيخ والحاكم وابن مردويه عن حذيفة (رض) قال:

الّتي تسمّون سورة التوبة هي سورة العذاب. والله ما تركت أحداً إلّا نالت منه، ولا تقرأون منها ممّا كنّا نقرأ ربعها [3].

---

(١) الدرّ المنثور ٥ / ١٨٠، قال: وأخرج ابن مردويه عن حذيفة. الحديث.

(٢) المستدرك وتلخيصه ٤١٥/٢، تفسير سورة الأحزاب؛ والإتقان، النوع السابع والأربعون في ناسخه ومنسوخه ٢ / ٢٥.

والضياء، الإمام العالم، الحافظ، ضياء الدين أبو عبدالله محمّد بن عبدالواحد المقدسي. من تآليفه: المختارة في الحديث، التزم فيه الصحّة. (ت: ٦٤٣ هـ).

تذكرة الحفاظ، ص ١٤٠٥؛ وكشف الظنون ١ / ١٦٢٤.

(٣) تفسير التوبة من الدرّ المنثور ٣ / ٢٠٨؛ والمستدرك للحاكم وتلخيصه للذهبي ٢ / ٣٣١ وصحّحا أسانيده.

وابن أبي شيبة الإمام الحافظ، أبو بكر، عبدالله بن محمّد بن شيبة العبسي (ت: ٢٣٥ هـ) له المصنف، كتاب كبير فيه فتاوى التابعين وأقوال الصحابة وأحاديث الرسول (ص) علىٰ طريقة

←

وفي الإتقان قال: قال مالك: إنّ أوّلها لما سقط، سقط معه البسملة، فقد ثبت أنّها كانت تعدل البقرة[1].

وفي الإتقان: قيل لبراءة: الفاضحة[2].

ومن ثمّ قال الصحابي عبدالله بن عمر:

لا يقولنّ أحدكم قد أخذت القرآن كلّه، ما يدريه ما كلّه، قد ذهب منه قرآن كثير، ولكن ليقل قد أخذت ما ظهر منه[3].

وفي الإتقان وكنز العمال عن الطبراني في الأوسط وابن مردويه وأبو نصر السجزي في الإبانة، عن الخليفة عمر بن الخطاب أنّه قال:

(القرآن ألف ألف حرف وسبعة وعشرون ألف حرف)[4].

بينا نقل الزركشي: أنّهم عدّوا حروف القرآن، فأجمعوا على أنّه ثلاثمائة ألف حرف وأربعون ألف وسبعمائة وأربعون حرفاً[5].

← المحدّثين بالأسانيد. تذكرة الحفاظ، ص ٤٣٢؛ وكشف الظنون ٢ / ١٧١١. مادّة المصنف.

وأبو الشيخ الحافظ عبدالله محمّد بن جعفر بن حيّان (وحبّان خطأ)، الأنصاري الإصبهاني (ت: ٣٦٩ هـ)، مسند زمانه. من مؤلّفاته التفسير. تذكرة الحفاظ، ص ٩٤٥؛ ولباب الأنساب لابن الأثير ١ / ٣٣١؛ وكشف الظنون، ص ١٤٠٦؛ وهدية العارفين ١ / ٤٤٧.

(١) الإتقان ١ / ٦٧.

(٢) الإتقان ١ / ٥٦ عن ابن أبي حاتم؛ والدرّ المنثور ٣ / ٢٠٨.

(٣) في تفسير: ﴿مَا نَنْسَخْ مِن آيَةٍ﴾ البقرة / ١٠٦ في الدرّ المنثور ١ / ١٠٦، عن أبي عبيد وابن الضريس وابن الأنباري في المصاحف والإتقان ٢ / ٢٥.

(٤) كنز العمال ١ / ٤٦٠، الحديث ٢٣٠٩، وص ٤٨١، الحديث ٢٤٢٧؛ والإتقان ١ / ٧٢ في آخر النوع التاسع عشر في عدد سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه؛ والدرّ المنثور ٦ / ٤٢٢.

والحافظ أبو نصر السجزي، عبيدالله بن سعيد بن حاتم الوابلي، (وابل قرية بسجستان)، (ت: ٤٤٤ هـ) بمكّة، له تصانيف كثيرة منها: الإبانة الكبرىٰ في الحديث. تذكرة الحفاظ، ص ١١١٨؛ وكشف الظنون ١ / ٢ وذيله ص ٦٤٨؛ وهدية العارفين ١ / ٦٤٨.

(٥) البرهان في علوم القرآن ١ / ٢٤٩، فصل في عدد سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه.

وبناءً علىٰ ما روي عن الخليفة عمر، فقد ذهب ثُلثا القرآن ـ معاذ الله ـ.

ثالثاً ـ روايات نقصان آيات فيها أحكام شرعية ـ معاذ الله ـ:

ونقل النوري عن مسند أحمد وصحيح البخاري وسنن الترمذي ومستدرك الحاكم ومحاضرات الراغب والإتقان[1] (نقصان آيات فيها أحكام شرعية) ونحن نرجع إلىٰ مصادره، ونضيف إليها مصادر أُخرىٰ من الصحاح والسنن والمسانيد، وننقل منها في ما يأتي:

أ ـ نقصان آية الرجم

في الصحاح الستّة: البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي وابن ماجة والدارمي وغيرها: عن الخليفة عمر (رض) أنّه قال وهو على المنبر:

إنّ الله بعث محمّداً (ص) بالحقّ، وأنزل عليه الكتاب، فكان ممّا أنزل الله (آية الرجم)، فقرأناها وعقلناها ووعيناها. رجم رسول الله (ص) ورجمنا بعده، فأخشىٰ إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، والرجم في كتاب الله حقّ علىٰ من زنىٰ إذا أحصن، ثمّ إنّا كنّا نقرأ من كتاب الله (أن لا ترغبوا عن آبائكم فإنّه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم)[2].

---

(١) فصل الخطاب، ص ١١٠ ـ ١١٩؛ ومحاضرات الأُدباء ٢ / ٤٣٣؛ ومستدرك الحاكم ٢ / ٤١٥، وستأتي بقية المصادر في الهامش الآتي.

(٢) أ ـ صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب رجم الحبلىٰ من الزّنا، ٤ / ١٢٠.

ب ـ صحيح مسلم، كتاب الحدود، باب رجم الثيب في الزّنىٰ، ط. الأُولىٰ ٥ / ١١٦. وتصحيح محمّدفؤاد عبدالباقي، ص ١٣١٧.

ج ـ سنن أبي داود، كتاب الحدود، باب في الرجم ٢ / ٢٢٩.

←

ب ـ نقصان حكم رضاع الكبير

والحديث المروي عن أُمّ المؤمنين عائشـة (رض) أنّها قالت: كان في ما نزل من القرآن: [عشر رضعات معلومات يحرمنّ] ثمّ نسخن بـ[خمس معلومات] فتوفّي رسول الله (ص) وهن في ما يقرأ من القرآن(١).

وفي لفظ ابن ماجة: (نزل القرآن بعشر رضعات...) الحديث.

وفي لفظ آخر: (نزل في القرآن [عشر رضعات معلومات]، ثمّ نزل أيضاً: [خمس معلومات]).

وفي سنن ابن ماجة أيضاً، عن عائشة، قالت: (نزلت آية الرجم [ورضاع الكبير عشراً]. ولقد كان في صحيفة تحت سريري، فلمّا مات رسول الله (ص) تشاغلنا بموته فدخل داجنٌ فأكلها)(٢).



← د ـ سنن الترمذي، كتاب الحدود، باب ما جاء في تحقيق الرّجم ٦ / ٢٠٤ ـ ٢٠٥.

هـ ـ سنن ابن ماجة، كتاب الحدود، باب الرجم، الحديث رقم: ٨٥٣، 2553.

و ـ سنن الدارمي، كتاب الحدود، باب في حدّ المحصنين بالزّنا ٢ / ١٧٩.

ز ـ موطأ مالك، كتاب الحدود، باب ما جاء في الرّجم ٣ / ٤٢.

ح ـ مسند أحمد ١ / ٢٣، ٢٩، ٣٦، ٤٠، ٤٣، ٤٧، ٥٠، ٥٥ و ٥ / ١٣٢، في حديث السقيفة وموجزه: في ص ٤٧ منه.

ط ـ تاريخ الطبري، ط أوربا ١ / ١٨٢١.

(١) أ ـ صحيح مسلم، كتاب الرّضاع، باب التحريم بخمس رضعات، ط. الأولىٰ ٤ / ١٦٧، وتحقيق محمّد فؤاد عبدالباقي، ص ١٠٧٥، الحديث: ٢٤ و ٢٥.

ب ـ سنن أبي داود، كتاب النّكاح، باب هل يحرم ما دون خمس رضعات، ٢ / ٢٢٤.

ج ـ سنن النّسائي، كتاب النّكاح، باب القدر الّذي يحرم من الرضاعة، ٢ / ٨٢.

د ـ سنن الدارمي، كتاب النّكاح، باب كم رضعة تحرم، ١ / ١٥٧.

هـ ـ موطأ مالك، كتاب الرّضاع، باب جامع ما جاء في الرّضاعة، ٢ / ١١٨، الحديث: ٦٢٥.

(٢) سنن ابن ماجة، كتاب النّكاح، باب رضاع الكبير ١ / ٦٢٦، الحديث: ١٩٤٤.

ما ذكرنا إلىٰ هنا وإلىٰ أكثر من ألف مورد غيرها نقلها المحدّث النوري من كتب مدرسة الخلفاء مباشرة أو بواسطة تصرّح بوجود نقص أو زيادة أو اختلاف في القراءة في كتاب الله الّذي بأيدينا ـ معاذ الله ـ سوف ندرسها في موارد من البحوث الآتية ـ إن شاء الله تعالىٰ ـ، وندرس في ما يأتي ما رووا أنّه كان لبعض الصحابة وأُمّهات المؤمنين مصاحف تختلف عمّا بأيدينا من المصاحف بحوله تعالىٰ. قال ابن أبي داود في كتابه المصاحف:

باب اختلاف مصاحف الصحابة

إنّما قلنا مصحف فلان لما خالف مصحفنا هذا من الخطّ أو الزيادة أو النقصان أخذته عن أُبيّ (ره)، هكذا فعل في كتاب التنزيل.

ثمّ ذكر ابن أبي داود اخبار اختلاف عشرة مصاحف للصحابة وأحد عشر مصحفاً للتابعين من الكتاب وآخرها باب ما غيّر الحجّاج[1] في مصحف عثمان، ونحن نقتصر علىٰ ذكر خمسة منها.

ونسأل الله أن يوفقنا في ما يأتي من هذا البحث، لبيان علل بعض الروايات المروية في كتب المدرستين في هذا الصدد بمنّه وكرمه.

أوّلاً ـ مصاحف أُمّهات المؤمنين:

مصحف أُمّ المؤمنين عائشة

نقل النوري عن صحيح مسلم والدّر المنثور للسيوطي وابن حجر في فتح

---

(١) المصاحف لابن أبي داود، ص ٥٠ ـ ١١٧.

وأبو محمّد الحجّاج بن يوسف الثقفي (ت: ٩٥ هـ). ولّاه عبد الملك مكة والمدينة والعراق، رمى الكعبة بالمنجنيق في حرب ابن الزبير سنة ٧٢ هـ، واحترقت أستارها. تاريخ الطبري وابن الأثير وابن كثير، حوادث سنة ٧٢ و ٩٥هـ.

الباري والزمخشري في الكشاف والجزء الثاني من تاريخ نيسابور عن أُمّ المؤمنين عائشة وأُمّ المؤمنين حفصة أنّ كلّاً منهما أمرتْ أن يُكتب لها مصحف ويكتب فيه: (والصلاة الوسطىٰ وصلاة العصر)[1].

وهذا نصّ الحديث في صحيح مسلم عن أبي يونس مولىٰ عائشة، أنّه قال: أمرتني عائشة أن أكتب لها مصحفاً، وقالت: إذا بلغت هذه الآية فآذني: ﴿حَافِظُوا عَلَى ٱلصَّلَوَاتِ وَٱلصَّلَاةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾، فلمّا بلغتها آذنتها، فأملَتْ عليّ: (حافظوا على الصّلوات والصّلاة الوسطىٰ وصلاة العصر وقوموا لله قانتين). قالت عائشة: سمعتها من رسول الله (ص).

وأخرج الحديث بلفظه مسلم والترمذي وقال في آخره:

(وفي الباب عن حفصة). والنِّسائي في سننه وأحمد في مسنده[2].

مصحف أُمّ المؤمنين حفصة

وفي تفسير الآية بتفسير الطبري والدّر المنثور للسيوطي، وأخرج

---

(١) فصل الخطاب، ص ١٧٤ و١٧٥.

أُمّ المؤمنين حفصة ابنة ثاني الخلفاء عمر بن الخطاب. رووا عنها ٦٠ حديثاً. (ت: ٤١ أو ٤٥ هـ). جوامع السيرة، ص ٢٧٩؛ وأُسد الغابة ٥ / ٤٢٥.

(٢) صحيح مسلم، كتاب المساجد، باب الدليل لمن قال: الصلاة الوسطىٰ هي صلاة العصر ١ /٤٣٧ـ٤٣٨؛ وسنن أبي داود، كتاب الصّلاة، باب وقت صلاة العصر ١ / ١١٢؛ وسنن الترمذي، كتاب التفسير، تفسير سورة البقرة ١١ / ١٠٥؛ وسنن النِّسائي، كتاب الصّلاة، باب المحافظة علىٰ صلاة العصر ١ / ٨٢ـ٨٣؛ وموطأ مالك، كتاب الصلاة، باب الصلاة الوسطىٰ ١ / ١٥٧ـ١٥٨؛ وتفسير الآية في الدرّ المنثور ١ / ٣٠٢ و٣٠٣. وفي فتح الباري ٩ / ٢٦٥؛ ومسند أحمد ٦ / ٧٣ و ٨٧٨ منه؛ وفصل الخطاب، ص ١٧٤ ـ ١٧٥.

وأبو يونس مولىٰ عائشة، ثقة من الطبقة الوسطىٰ من التابعين. أخرج حديثه مسلم وأبو داود والترمذي والنِّسائي والبخاري في الأدب المفرد. تقريب التهذيب ٢ / ٤٩٢.

عبدالرزّاق والبخاري في تاريخه وابن أبي داود في المصاحف عن أبي رافع مولىٰ حفصة، قال: استكتبتني حفصة مصحفاً، فقالت: إذا أتيت علىٰ هذه الآية فتعال حتّىٰ أُمليها عليك كما قرأتها.

فلمّا أتيت علىٰ هذه الآية: ﴿حَافِظُوا عَلَى ٱلصَّلَوَاتِ ...﴾.

قالت: أُكتب: (حافظوا على الصّلوات والصّلاة الوسطىٰ، وصلاة العصر).

فلقيت أُبيّ بن كعب فقلت: أبا المنذر، إنّ حفصة قالت كذا وكذا.

فقال: هو كما قالت[1].

مصحف أُمّ سلمة

وأخرج وكيع وابن أبي شيبة في المصنف وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي داود في المصاحف وابن المنذر عن عبدالله بن رافع عن أُمّ سلمة، أنّها أمرته أن يكتب لها مصحفاً.

فلمّا بلغتُ: ﴿حَافِظُوا عَلَى ٱلصَّلَوَاتِ وَٱلصَّلَاةِ ٱلْوُسطَىٰ﴾ قالت: اكتب: (حافظوا على الصّلوات والصّلاة الوسطىٰ وصلاة العصر وقوموا لله قانتين)[2].

---

(١) الدّر المنثور ١ / ٣٠٢؛ وفي موطأ مالك، كتاب الصّلاة، باب الصلاة الوسطىٰ ١ / ١٥٨ عن عمرو بن رافع. وفي لفظه بعد الصلاة الوسطى: ﴿وَقُومُوا لله قَانِتِينَ﴾. وعبدالرزّاق في المصنف، كتاب الطّهارة، باب صلاة الوسطى، الحديث رقم ٢٢٠٢؛ وتفسير الطبري ٢ / ٣٤٣؛ والمصاحف لابن أبي داود، ص ٨٥ـ٨٦.

وأبو رافع مولىٰ حفصة، لعلّه نفيع الصائغ المدني مولى آل عمر، أدرك الجاهلية، ثقة، ثبت، مشهور بكنيته. أخرج حديثه جميع أصحاب الصحاح، وموته قريب من موت أنس. تذكرة الحفاظ، ص ٦٠؛ وتقريب التهذيب ٢ / ٣٠٦.

(٢) الدّر المنثور ١ / ٣٠٣؛ والمصاحف لابن أبي داود، ص ٨٧.

←

ورواها ـ أيضاً ـ بتفسير الآية القرطبي والرازي عن عائشة والزمخشري عن حفصة، وفي لفظه، قالت:

(لاتكتبها حتىٰ أُمليها عليك كما سمعت رسول الله (ص) يقرأها...) الحديث.

وقال: وروي عن عائشة وابن عباس (رض): والصّلاة الوسطىٰ وصلاة العصر[1].

ثانياً ـ مصاحف الصحابة:

أ ـ مصحف الإمام عليّ

نقل النوري عن الإستيعاب والإتقان وغيرهما، أنّ الإمام عليّاً آلىٰ بعد وفاة النبيّ أن لا يرتدي حتىٰ يجمع القرآن، وأنّه رتّب القرآن علىٰ حسب نزوله[2].

وروى السيوطي عن ابن حجر عن ابن أبي داود، أنّ الإمام عليّاً جمع القرآن علىٰ ترتيب نزوله عقيب موت النبيّ (ص)[3].

وفي الإستيعاب عن ابن سيرين أنّه قال: بلغني أنّه كتب علىٰ تنزيله، ولو

← وكيع الحافظ، أبو سفيان، وكيع بن الجراح الرؤاسي الكوفي، الفقيه، محدث العراق. من تصانيفه: تفسير القرآن، كتاب السنن (توفّي سنة: ١٩٧ هـ) بفيد راجعاً من الحجّ.

تذكرة الحفاظ، ص ٣٠٦؛ وكشف الظنون، ص ٤٦١؛ وهدية العارفين ٢ / ٥٠٠.

ابن المنذر. أبو بكر محمّد بن إبراهيم النيسابوري، شيخ الحرم بمكّة، فقيه، مجتهد، من الحفاظ صاحب الكتب الّتي لم يؤلّف مثلها، منها تفسير القرآن (ت: ٣١٠ هـ).

تذكرة الحفاظ، ص ٧٨٢؛ ولسان الميزان ٥ / ٢٧؛ وهدية العارفين ٢ / ٣١.

(١) تفسير القرطبي ٢٠٩/٣؛ والتفسير الكبير للرازي ٦/ ١٥٠؛ وتفسير الكشاف ١/ ٣٧٦؛ والمصاحف لابن أبي داود، ص ٨٣ ـ ٨٤؛ والدرّ المنثور ١ / ٣٠٢.

(٢) فصل الخطاب، ص ٦ و ٧.

والإمام عليّ (ع) ترجم له في الجزء الأوّل، ص ١٣٣، الطبعة الرابعة من كتاب معالم المدرستين.

(٣) الإتقان، النوع العشرون في حفاظه ورواته، ١ / ٧٤.

أُصيب ذلك الكتاب لوجد فيه علم كثير.

وفي الإتقان، قال ابن سيرين: تطلبت ذلك الكتاب وكتبت فيه إلى المدينة فلم أقدر عليه[1].

وقال اليعقوبي وروىٰ ما موجزه:

أنّ عليّ بن أبي طالب جمع القرآن لما توفّي رسول الله (ص) وأتىٰ به وقال: «هذا القرآن قد جمعته».

وقال: وكان قد جزّأه سبعة أجزاء، في كلّ جزء ٨٨٦ آية ونقل كيفية تقسيم السور على الأجزاء[2].

ونحن لانعرف صحّة ما زعمه.

وقال السيوطي في الإتقان:

(إنّ جمهور العلماء اتّفقوا علىٰ أنّ ترتيب السور كان باجتهاد الصحابة. وأنّ ابن فارس استدلّ لذلك بأنّ منهم من رتّبها على النزول، وهو مصحف عليّ، كان أوّله: إقرأ ثمّ نون ثمّ المزمل ثمّ تبّت ثمّ التكوير...)، هكذا ذكر السور إلىٰ آخر المكّي ثمّ المدني[3].

ب ـ مصحف أُبيّ بن كعب

أوّلاً ـ ترتيب السور فيه:

---

(١) بترجمة عبد الله بن أبي قحافة، أبي بكر من الإستيعاب ١ / ٣٣٤؛ وراجع الإتقان، النوع الثامن عشر في جمعه وترتيبه، ١ / ٥٩.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٣٥.

(٣) الإتقان ١ / ٦٦.

وابن فارس اللغوي أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا الرازي المالكي الهمداني، من تصانيفه: جامع التأويل في تفسير التنزيل. هدية العارفين ١ / ٦٨.

نقل السيوطي عن ترتيب السور في مصحفه وقال:

هذا تأليف مصحف أُبيّ: (الحمد، البقرة، النِّساء... إلىٰ قوله: الفلق ثمّ الناس)[1].

ثانياً ـ قد رووا الكثير في اختلاف القراءة بين مصحف أُبيّ وغيره من مصاحف الصحابة[2]. ونكتفي بما ذكرناه في ما سبق في ذكر السور الأربع المزعومات، وما نضطر إلىٰ ذكره خلال البحوث الآتية إن شاء الله تعالىٰ.

وفي تفسير الطبري عن حبيب بن أبي ثابت قال: أعطاني ابن عبّاس مصحفاً فقال: هذا علىٰ قراءة أُبيّ قال: وفيه فما استمتعتم به منهنّ ـ إلىٰ أجل مسمّىٰ[3] ـ.

ج ـ مصحف عبدالله بن مسعود

أوّلاً ـ ترتيب السور فيه:

روىٰ في الإتقان كيفية ترتيب مصحف ابن مسعود كالآتي:

(البقرة والنِّساء وآل عمران... إلىٰ قوله: وألم نشرح وليس فيه الحمد ولا المعوذتان)[4].

ثانياً ـ اختلاف القراءات في مصحفه عن غيره من مصاحف الصحابة وما روي عنه في نقصان القرآن ـ معاذ الله ـ فسيأتي ذكر ما نضطر إلى ذكره

---

(١) الإتقان ١ / ٦٨، عن المصاحف لابن أشته.

(٢) الإتقان ١ / ٦٦.

(٣) تفسير الآية بتفسير الطبري ٥ / ٩؛ وراجع تفسيرها بتفسير القرطبي ٥ / ١٣٠؛ والزمخشري ١ / ٥١٩؛ وابن كثير ١ / ٤٧٤؛ وسنن البيهقي ٧ / ٢٠٥؛ وشرح النووي علىٰ صحيح مسلم ٩ / ١٧٩.

(٤) الإتقان ١ / ٦٦، عن المصاحف لابن أشته.

خلال البحوث إن شاء الله تعالى، بالإضافة إلى ذكر ما روي عنه في الفاتحة والمعوّذتين.

* * *

كان ذلكم ما رووا عن شأن القرآن في عصر الصحابة، وقالوا عن شأن القرآن في عصر الحجّاج ما يأتي:

ما قيل إنّ الحجّاج غيّر في مصحف عثمان

قال ابن أبي داود في هذا الباب من كتابه اختلاف المصاحف، باب ما كتب الحجّاج بن يوسف في المصحف:

(بسنده عن عوف بن أبي جميلة أنّ الحجّاج بن يوسف غيّر في مصحف عثمان أحد عشر حرفاً، قال: كانت في سورة البقرة / ٢٥٩ ﴿لَمْ يتسنَّ وَٱنظر﴾ فغيّرها (لم يتسنّه) بالهاء...).

وقال:

كانت في سورة يونس / ٢٢ ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُنشِّركُم﴾ فغيّره «يُسيّركم».

وقال:

وكانت في سورة محمّد / ١٥ ﴿مِنْ مَاء غَير يَاسن﴾ فغيّرها «من ماء غير آسن».

وكانت في سورة الحديد / ٧ ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَاتَّقُوا مِنْكُمْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيْر﴾ فغيّرها «منكم وانفقوا»[1] وهكذا أتمّ عدد الأحد عشر تغييراً علىٰ حدّ زعمه.

---

(١) المصاحف لابن أبي داود، ص ٤٩ ـ ٥٠.

أوردنا بعض أخبار اختلاف المصاحف وبعض روايات الزيادة والنقيصة في القرآن الكريم في هذا البحـث، وأوردنا قبله روايات جمع القرآن، ولا بدّ في دراسة المجمـوعتين من إيراد بحـوث مفصّـلة سوف نوردها في آخر الكـتاب، وندرس إن شاء الله تعالىٰ في ضوئها جميع الأخبار الواردة في هذا المجـلّد، وفي ما يأتي ندرس بحوله تعالىٰ روايات السبعة أحرف.

البحث الخامس

روايات «أُنزل القرآن علىٰ سبعة أحرف»
و «علىٰ سبعة أوجه»

أشار الشيخ النوري في الدليل العاشر من كتابه إلىٰ روايات السبعة أحرف، ونحن نخرجها أدناه بإيجاز من مصادرها بحوله تعالىٰ:

في صحيحي البخاري ومسلم وسنن أبي داود والنّسائي والترمذي وابن ماجة ومسند أحمد وتفسير الطبري وأُسد الغابة بسندهم عن:

أ ـ الخليفة عمر بن الخطاب

أنّه قال:

سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله (ص)، فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ علىٰ حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله (ص)، فكدت أُساوره في الصلاة، فتصبرت حتّىٰ سلّم فلببته بردائه، فقلت من أقرأك هذه السورة الّتي سمعتك تقرأ؟

قال: أقرأنيها رسول الله (ص)، فقلت: كذبت، فإنّ رسول الله (ص) قد أقرأنيها علىٰ غير ما قرأت.

فانطلقت به أقوده إلى رسول الله (ص)، فقلت: إنّي سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان علىٰ حروف لم تقرئنيها.

فقال رسول الله (ص): أرسله، اقرأ يا هشام!

فقرأ عليه القراءة الّتي سمعته يقرأ، فقال رسول الله (ص): كذلك أنزلت.

ثمّ قال: اقرأ يا عمر! فقرأت القراءة الّتي أقرأني، فقال رسول الله (ص):

كذلك أُنزلت. إنّ هذا القرآن أُنزل علىٰ سبعة أحرف، فاقرؤا[1] ما تيسّر منه[2].

وفي رواية بتفسير الطبري ما موجزها:

قرأ رجل عند عمر فغيّر عليه، فقال: لقد قرأت علىٰ رسـول الله (ص)، فلم يغيّر عليّ، فاختصما عند النبيّ (ص)، فقال: يا رسول الله (ص)!

ألم تقرئني آية كذا وكذا؟

قال: بلىٰ.

فوقع في صدر عمر شيء.

---

(١) هكذا في النص.

(٢) لفظ الحـديث للبخاري في صحيحه، كتاب فضل القرآن، باب أُنزل القـرآن عـلىٰ سـبعة أحرف ٣ / ١٥١، وباب من لم ير بأساً أن يقول سورة البقرة ٣ / ١٥٦.

وكتاب التوحيد باب قول الله تعالىٰ: ﴿فاقرأوا ما تيسّرَ مِنَ القُرآن﴾ ٤ / ٢٠٤، وكتاب استتابة المرتدِّين، باب ما جاء في المتأولين ٤ / ١٣٢، وكتاب الخصومات، باب كلام الخصوم بـعضهم في بعض ٢ / ٤١.

ومسند الطيالسي، ح ٤٠، ص ٩.

وصحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب بيان أنّ القرآن نزل علىٰ سبعة أحرف، الحديث ٢٧٠ و ٢٧١، ص ٥٦٠ و ٥٦١.

وسنن أبي داود، كتاب الصّلاة، باب أُنزل القرآن علىٰ سبعة أحرف ٢ / ٧٥.

وسنن النِّسائي، كتاب الإفتتاح، باب جامع ما جاء في القرآن ١ / ١٤٩.

وسنن الترمذي، أبواب القراءات، باب ما جاء: أُنزل القرآن علىٰ سبعة أحرف ١١ / ٦٢.

وتفسير الطبري ١ / ١٠.

ومسند أحمد ١ / ٢٤و ٤٠و ٤٢.

ولببته بردائه: أخذته بردائه من عنقه وجررته.

وهشام بن حكيم بن حزام القرشي الأسـدي، صحابي ابن صحابي. أخـرج حـديثه مسـلم وأبو داود والنِّسائي. قيل استشهد بأجنادين. رووا عنه ستّة أحاديث. جوامع السيرة لابن حزم، ص ٢٨٨ وترجمته في تقريب التهذيب وأُسد الغابة.

فعرف النبيّ (ص) ذلك في وجهه، قال: فضرب صدره وقال: أبعد شيطاناً، قالها ثلاثاً.

ثمّ قال: يا عمر! إنّ القرآن كلّه صواب، ما لم تجعل رحمة عذاباً أو عذاباً رحمة[1].

وفي رواية بعدها قال: أُنزل القرآن علىٰ سبعة أحرف كلّها شافٍ كافٍ[2].

ب ـ أمّ أيّوب

في مسند أحمد وتفسير الطبري: عن أُمّ أيّوب قالت: قال رسول الله (ص): نزل القرآن علىٰ سبعة أحرف، أيُّها قرأت أجزاك.

وفي تفسير الطبري: أيّما قرأت أصبت[3].

ج ـ عمرو بن العاص

في مسند أحمد قال: سمع عمرو بن العاص رجلاً يقرأ آية من القرآن، فقال: من أقرأكها؟ قال: رسول الله (ص).

قال: فقد أقرأنيها رسول الله علىٰ غير هذا.

فذهبا إلىٰ رسول الله (ص). فقال أحدهما: آية كذا وكذا ثمّ قرأها.

فقال رسول الله (ص): هكذا أُنزلت.

---

(١) جامع البيان في تفسير القرآن للطبري ١ / ١٠ ـ ١١.

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) مسند أحمد ٦ / ٤٣٣ و٤٦٣؛ وتفسير الطبري ١ / ١١.
وأُمّ أيّوب بنت قيس بن عمرو الخزرجي، زوجة أبي أيّوب، رووا عنها ثلاثة أحاديث. أخرج حديثها أبو داود وابن ماجة، ترجمتها في أُسد الغابة ٥ / ٥٦٨؛ وتقريب التهذيب ٢ / ٦١٩؛ وجوامع السيرة، ص ٢٩٣.

فقال الآخر: يا رسول الله! فقرأها علىٰ رسول الله (ص)، فقال: أليس هكذا يا رسول الله؟

قال: هكذا أُنزلت؟

فقال رسول الله (ص): إنّ هذا القرآن أُنزل علىٰ سبعة أحرف، فأيّ ذلك قرأتم فقد أحسنتم، ولا تماروا فيه. فإنّ المراء فيه كفر أو آية الكفر[1].

د ـ أبو جهيم الأنصاري

في مسند أحمد، قال أبو جهيم:

إنّ رجلين اختلفا في آية من القرآن، فقال هذا: تلقيتها من رسول الله (ص).

وقال الآخر: تلقيتها من رسول الله (ص).

فسألا النبيّ (ص).

فقال: القرآن يقرأ علىٰ سبعة أحرف. فلا تماروا في القرآن، فإنّ مراء[2] في القرآن كفر[3].

هـ ـ أُبيّ بن كعب

في صحيح مسلم وغيره واللفظ لمسلم قال:

كنتُ في المسجد فدخل رجل يصلّي، فقرأ قراءة أنكرتها عليه، ثمّ دخل

---

(١) مسند أحمد ٤ / ٢٠٥ وفي ٢٠٤ منه بإيجاز.

(٢) هكذا في الأصل.

(٣) مسند أحمد ٤ / ١٦٩ ـ ١٧٠.

وأبو جهيم بن عبدالله بن الصمة بن عمر الأنصاري. اختلفوا في اسمه واسم أبيه. ابن أُخت أُبيّ ابن كعب، صحابي معروف بقي إلىٰ خلافة معاوية، أخرج حديثه جميع أصحاب الصحاح، ترجمته في تقريب التهذيب ٢ / ٤٠٧.

آخر، فقرأ قراءة سوىٰ قراءة صاحبه.

فلمّا قضينا الصلاة، دخلنا جميعاً علىٰ رسول الله (ص)، فقلت: إنّ هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه، ودخل آخر فقرأ سوىٰ قراءة صاحبه.

فأمرهما رسول الله (ص) فقرآ، فحسن النبيّ (ص) شأنهما، فسُقِط في نفسي من التكذيب، ولا إذْ كنت في الجاهلية، فلمّا رأىٰ رسول الله (ص) ما قد غشيني ضرب في صدري ففضت عرقاً، وكأنّما أنظر إلى الله عزّ وجلّ فرقاً.

فقال لي: يا أُبيّ! أُرسِلَ إليّ: أنِ اقرأ القرآن علىٰ حرف. فرددتُ إليه: أن هون علىٰ أُمّتي.

فردّ إليّ الثانية: اقرأه علىٰ حرفين. فرددتُ إليه: أن هون علىٰ أُمّتي.

فردّ إليّ الثالثة: اقرأه علىٰ سبعة أحرف[1].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب بيان أنّ القرآن نزل علىٰ سبعة أحرف. الحديث ٢٧٣، ص ٥٦١ و ح: ٢٧٤، ص ٥٦٢ ـ ٥٦٣.

فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية، معناه: وسوس لي الشيطان تكذيباً للنبوّة أشدّ ممّا كنت عليه في الجاهلية. لأنّه في الجاهلية كان غافلاً أو متشككاً. فوسوس لي الشيطان الجزم بالتكذيب.

قال القاضي عياض: معنىٰ قوله: سقط في نفسي، أنّه اعترته حيرة ودهشة.

قال: وقوله: ولا إذ كنت في الجاهلية، معناه أنّ الشيطان نزغ في نفسه تكذيباً لم يعتقده. قال: وهذه الخواطر إذا لم يستمر عليها، لا يؤاخذ بها.

قال القاضي: قال المازريّ: معنىٰ هذا أنّه وقع في نفس أُبيّ بن كعب نزغة من الشيطان غير مستقرة ثمّ زالت في الحال، حين ضربه النبيّ (ص) بيده في صدره ففاض عرقاً.

و(ضرب في صدري ففضت عرقاً) قال القاضي: ضربه (ص) في صدره تثبيتاً له حين رآه قد غشيه ذلك الخاطر المذموم قال: ويقال: فضت عرقاً وفصت. بالضاد المعجمة والصاد المهملة. قال وروايتنا هنا بالمعجمة. قال النوويّ: وكذا هو في معظم أُصول بلادنا. وفي بعضها بالمهملة.

←

وفي لفظ الطبري:

فأمرني أن أقرأ علىٰ سبعة أحرف من سبعة أبواب الجنّة كلّها شافٍ[1].

وفي رواية أُخرىٰ، قال:

ما حاك في صدري منذ أسلمت إلّا أنّي قرأت آية، وقرأها آخر غير قراءتي، فقلت: أقرأنيها رسول الله (ص).

وقال الآخر: أقرأنيها رسول الله (ص). فأتيت النبيّ (ص)، فقلت يا نبيّ الله! أقرأتني آية كذا وكذا؟

قال: نعم.

وقال الآخر: ألم تقرئني آية كذا وكذا؟

قال: نعم، إنّ جبريل وميكائيل (ع) أتياني، فقعد جبريل عن يميني وميكائيل عن يساري، فقال جبريل (ع): اقرأ القرآن علىٰ حرف.

فقال ميكائيل: استزده استزده حتّىٰ بلغ سبعة أحرف، فكلّ حرف شافٍ كافٍ[2].

وفي رواية أُخرىٰ، بسنن أبي داود:

← رجعنا في شرح الحديث إلىٰ نسخة تحقيق محمّد فؤاد عبدالباقي، ص ٥٦٢، الهامش (١) و(٢).

وصحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب أُنزل القرآن علىٰ سبعة أحرف ٣٠ / ١٥١، وكتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة ٢ / ١٤٢.

وسنن النّسائي ١ / ١٥٠.

ومسند أحمد ١ / ٢٦٤ و ٢٩٩ و ٣١٣، و ٥ / ٤١ و ١١٤ و ١٢٤ و ١٢٥ و ١٢٧ ـ ١٢٩.

(١) تفسير الطبري ١ / ١٢ ـ ١٣.

وسنن النّسائي ١ / ١٥٠؛ ومسند ٥ / ١٢٢، وقريب منه في ٥ / ١٢٧.

(٢) نفس المصدر السابق.

ليس منها إلّا شافٍ وكافٍ. إن قلت: سميعاً عليماً، عزيزاً حكيماً، ما لم تختم آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب[1].

وفي رواية أُخرىٰ بسنن النِّسائي:

قال رسول الله (ص) لكلّ منهما حين قرأ ما يخالف الآخر: أحسنت[2].

وفي رواية أُخرىٰ عند الطبري:

فأمرني أن أقرأه علىٰ سبعة أحرف من سبعة أبواب الجنّة، كلّها شافٍ كافٍ[3].

وفي لفظ رواية أُخرىٰ عنده:

فقرأتُ النحل، ثمّ جاء رجل آخر، فقرأها علىٰ غير قراءتي، ثمّ دخل رجل آخر، فقرأ بخلاف قراءتنا. فدخل في نفسي من الشكّ والتكذيب أشدّ ممّا كان في الجاهلية، فأخذت بأيديهما، فأتيت بهما النبيّ (ص)، فقلتُ: يا رسول الله (ص)! استقرئ هذين.

فقرأ أحدهما.

فقال: أصبتَ.

ثمّ استقرأ الآخر، فقال: أصبتَ.

فدخل قلبي أشدّ ممّا كان في الجاهلية من الشكّ والتكذيب، فضرب رسول الله (ص) صدري، وقال: أعاذك الله من الشكّ وأخسأ عنك الشيطان... الحديث[4].

---

(١) سنن أبي داود ٢ / ٧٦، الحديث ١٤٤٧ و ١٤٤٨.

(٢) سنن النِّسائي ١ / ١٥٠.

(٣) تفسير الطبري ١ / ١٣.

(٤) نفس المصدر السابق.

وفي رواية أُخرىٰ عنده:

فأمرني أن أقرأه علىٰ سبعة أحرف من سبعة أبواب الجنّة، كلّها شافٍ كافٍ[1].

وفي مسند أحمد، قال أُبيّ:

قرأت آية، وقرأ ابن مسعود خلافها. فأتيتُ النبيّ (ص)، فقلت: ألم تقرئني آية كذا وكذا؟

قال: بلىٰ.

فقال ابن مسعود: ألم تقرئنيها كذا وكذا؟

فقال: بلىٰ، كلاكما محسن مجمل.

قال: فقلت له[2] فضرب صدري، فقال: يا أُبيّ بن كعب! إنّي قرأت القرآن، فقيل لي: علىٰ حرف أو علىٰ حرفين، قال: فقال الملك الّذي معي: علىٰ حرفين. فقلت: علىٰ حرفين؟ فقال علىٰ حرفين أو ثلاثة ـ واستمرّت المحاورة ـ حتّىٰ بلغ سبعة أحرف، ليس منها إلّا شافٍ كافٍ.

إن قلت: غفوراً رحيماً، أو قلتَ: سميعاً عليماً، أو: عليماً سميعاً، فالله كذلك، ما لم تختم آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب[3].

وفي رواية أُخرىٰ:

إنّ أُمّتك يقرأون القرآن علىٰ سبعة أحرف، فمن قرأ منهم علىٰ حرف، فليقرأ كما عُلّم ولا يرجع عنه... فلا يتحوّل منه إلىٰ غيره رغبة عنه[4].

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) هكذا النصّ.

(٣) مسند أحمد ٥ / ١٢٤.

(٤) مسند أحمد ٥ / ٣٨٥.

ورووا عن لسان أُبيّ محاورة الرسول (ص) مع جبريل كالآتي:

في صحيح مسلم وغيره واللفظ لمسلم، قال أُبّي:

أتىٰ جبريل رسول الله (ص) عند إضاءة بني غفار، فقال: إنّ الله يأمرك أن تُقرِئ أُمّتك القرآن علىٰ حرف.

فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإنّ أُمّتي لا تطيق ذلك.

ثمّ أتاه الثانية، فقال: إنّ الله يأمرك أن تُقرِئ أُمّتك القرآن علىٰ حرفين.

فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإنّ أُمّتي لا تطيق ذلك.

ثمّ جاءه الثالثة، فقال: إنّ الله يأمرك أنّ تُقرِئ أُمّتك القرآن علىٰ ثلاثة أحرف.

فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإنّ أُمّتي لا تطيق ذلك.

ثمّ جاءه الرابعة، فقال: إنّ الله يأمرك أن تقرئ أُمّتك القرآن علىٰ سبعة أحرف، فأيّما حرف قرأوا عليه فقد أصابوا[1].

وفي رواية أُخرىٰ قال أُبيّ:

لقي رسول الله (ص) جبريل عند أحجار المراي، فقال: يا جبريل! إنّي بعثت إلىٰ أُمّة أُمّيين، منهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية والرجل الّذي لم يقرأ كتاباً قط، قال: يا محمّد! إنّ القرآن أُنزل علىٰ سبعة أحرف[2].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، الحديث ٢٧٤؛ والنّسائي ١ / ١٥٠؛ ومسند أحمد ٥ / ١٢٧ ـ ١٢٨؛ ومسند الطيالسي، ح ٥٥٨٠، ص ٧٦.

وإضاءة بني غفار، الإضاءة ـ بفتح الهمزة وتخفيف الضاد بوزن حصاة ـ هو الغدير.

(٢) سنن الترمذي ١١ / ٦٣؛ ومسند الطيالسي، ح ٥٤٣، ص ٧٣ عن أُبيّ بن كعب؛ ومسند أحمد ٥ / ١٣٢؛ وتفسير الطبري ١ / ١٢. واللفظ لمسند أحمد.

وأحجار المراي لم أجد ترجمتها في البلدانيات.

وروىٰ أحمد هذه الرواية عن حذيفة ـ أيضاً ـ[1].

و ـ أبو بكرة

وفي مسند أحمد وتفسير الطبري، واللفظ للأوّل:

عن أبي بكرة:

إنّ جبريل (ع) قال: يا محمد! اقرأ القرآن علىٰ حرف.

قال ميكائيل: استزده، حتّىٰ بلغ سبعة أحرف، قال: كلّ شافٍ كافٍ، ما لم تختم آية عذاب برحمة، وآية رحمة بعذاب، نحو قولك: تعال وأقبل وهلمّ، واذهب وأسرع وعجّل.

وفي لفظ الطبري، كقولك: هلمّ وتعال[2].

ز ـ أبو هريرة

في مسند أحمد وتفسير الطبري: قال أبو هريرة، قال رسول الله (ص):

أُنزل القرآن علىٰ سبعة أحرف: عليماً حكيماً، غفوراً رحيماً[3].

وفي رواية:

عليمٌ حكيمٌ، غفورٌ رحيمٌ[4].

وفي رواية:

قال أبو هريرة: إنّ رسول الله (ص) قال:

إنّ هذا القرآن أُنزل علىٰ سبعة أحرف، فاقرأوا ولا حرج، ولكن لا تختموا

---

(١) مسند أحمد ٥ / ٤٠٠ و ٤٠٥.

(٢) مسند أحمد ٥ / ٤١ و ٥٠؛ وتفسير الطبري ١ / ١٤.

(٣) مسند أحمد ٢ / ٣٣٢؛ وتفسير الطبري ١ / ٩.

(٤) مسند أحمد ٢ / ٤٤٠.

ذكر رحمة بعذاب ولا ذكر عذاب برحمة[1].

ح ـ عبدالله بن مسعود

في صحيح البخاري، قال ابن مسعود:

سمعت رجلاً قرأ آية، سمعت من النبيّ (ص) خلافها، فأخذت بيده، فأتيت به رسول الله (ص)، فقال: كلاكما محسن. لا تختلفوا، إنّ من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا[2].

وفي مسند أحمد:

سمعتُ رجلاً يقرأ الأحقاف، فقرأ وقرأ رجلٌ آخر حرفاً لم يقرأه صاحبه، وقرأت أحرفاً لم يقرأها صاحباي، فانطلقنا إلى النبيّ (ص) فأخبرناه، فقال: لا تختلفوا فإنّما هلك من كان قبلكم باختلافهم، ثمّ قال: انظروا أقرأكم، فخذوا بقراءته[3].

وفي مستدرك الحاكم وتلخيصه:

قال عبد الله:

أقرأني رسول الله (ص) سورة (حم)، ورحتُ إلىٰ المسجد عشية فجلس إليّ رهط، فقلت لرجلٍ من الرهط: اقرأ عليَّ، فإذا هو يقرأ حروفاً لا أقرأها، فقلت له: من أقرأكها؟

قال: أقرأني رسول الله (ص).

---

(١) تفسير الطبري ١ / ١٥.

(٢) البخاري، كتاب الخصومات، باب ما يذكر في الأشخاص والخصومة بين المسلم واليهود، ٢ / ٤٠؛ ومسند أحمد ١ / ٤١١ و ٤٢٤، واللفظ للأوّل.

(٣) مسند أحمد ١ / ٤٠١.

فانطلقنا إلىٰ رسول الله (ص) وإذا عنده رجل، فقلت له: اختلفنا في قراءتنا، فإذا وجه رسول الله (ص) قد تغيّر ووجد في نفسه حين ذكرت له الإختلاف، فقال: إنّما أهلك من قبلكم الإختلاف.

ثمّ أسرّ إلىٰ عليّ، فقال عليّ: إنّ رسول الله (ص) يأمركم أن يقرأ كلّ رجل منكم كما عُلّم.

فانطلقنا وكلّ رجل منا يقرأ حروفاً لا يقرؤها[1] صاحبه[2].

وفي تفسير الطبري ومسند أحمد، قالا ما موجزه:

لمّا خرج ابن مسعود من الكوفة، اجتمع إليه أصحابه فودّعهم، ثمّ قال: لا تنازعوا في القرآن، فإنّه لا يختلف... وإنّ شريعة الإسلام وحدوده وفرائضه فيه واحدة، ولو كان شيء من الحرفين ينهىٰ عن شيء يأمر به الآخر كان ذلك الإختلاف... ولقد رأيتنا نتنازع فيه عند رسول الله (ص) فيأمرنا، فنقرأ عليه، فيخبرنا أنّ كلّنا محسن...، ولقد قرأت من لسان رسول الله (ص) سبعين سورة. وكان يعرض عليه القرآن في كلّ رمضان. وعرض عليه في عام قبض مرّتين، فكان إذا فرغ أقرأ عليه، فيخبرني أنّي محسن، فمن قرأ علىٰ قراءتي فلا يدعنّها رغبة عنها، ومن قرأ شيئاً من هذه الحروف فلا يدعنّه رغبة عنه، فمن جحد بآية جحد به كلّه[3].

وفي رواية بمسند أحمد، قال:

---

(١) هكذا في الأصل.

(٢) مستدرك الحاكم وتلخيصه ٢ / ٢٢٣ ـ ٢٢٤. وقد صحّح الحديث الحاكم والذهبي كلاهما.

(٣) تفسير الطبري ١ / ١١؛ ومسند أحمد ١ / ٤٢١ باختصار. وقد أوجزت لفظ الحديث عند الطبري.

... إنّ هذا القرآن أُنزل علىٰ حروف، والله إن كان الرجلان ليختصمان أشدّ ما اختصما في شيء قطّ. فإذا قال القارئ: هذا أقرأني، قال: أحسنت، وإذا قال الآخر، قال: كلاكما محسن... فمن قرأه علىٰ حرف فلا يدعه رغبة عنه، ومن قرأه علىٰ شيء من تلك الحروف الّتي علم رسول الله (ص)، فلا يدعه رغبة عنه، فانّه من يجحد بآية منه يجحد به كلّه، فإنّما هو كقول أحدكم لصاحبه: أعجل وحيّ هلا... وإنّي عرضت في العام الّذي قبض فيه مرّتين، فأنبأني أنّي محسن، وقد قرأت من في رسول الله سبعين سورة[1].

خلاصة محتوى الروايات:

نجد في الروايات الآنفة:

إنّ هشام بن حكيم قرأ سورة الفرقان علىٰ حروف تخالف قراءة عمر بن الخطاب.

وأنّ ابن مسعود وإثنين آخرين اختلفت قراءاتهم لسورة الأحقاف.

وفي رواية: في سورة (حم).

وأنّ تُبيّاً اختلفت قراءته مع ابن مسعود في آيات من القرآن.

وأنّه ـ أيضاً ـ اختلفت قراءته مع قراءتين لرجلين آخرين في سورة النّحل.

وأنّ عمرو بن العاص اختلفت قراءته لآية مع قراءة رجل آخر.

وأنّهم جميعاً تحاكموا إلى الرسول (ص)، وأنّه استقرأ كلّ واحد منهم علىٰ حدة، وقال لكلّ واحد حين قرأ ما يخالف الآخر: أحسنت أو أصبت، هكذا نزلت السورة أو الآية.

---

(١) مسند أحمد ١ / ٤٠٥.

وأنّه وقع في صدر عمر شيء من ذلك، فضرب الرسول (ص) صدره، وقال ثلاثاً: أبعد شيطاناً!

وأنّه دخل في نفس أُبيّ من الشكّ والتكذيب للنبوّة أشدّ ممّا كان في الجاهلية، وأنّ الرسول ضرب صدره ـ أيضاً ـ وقال له: أعاذك الله من الشّكّ وأخسأ عنك الشيطان.

ورووا في بيان ذلك:

أنّ جبريل قعد عن يمين الرسول (ص) وميكائيل عن يساره، فقال له جبريل: اقرأ القرآن علىٰ حرف، فقال له ميكائيل: استزده، استزده حتّىٰ بلغ سبعة أحرف، كلّها شافٍ كافٍ.

وفي رواية:

لقي رسول الله (ص) جبريل عند أحجار المراي، فقال: يا جبريل! إنّي بعثت إلىٰ أُمّة أُمّيين، منهم العجوز والشيخ الكبير و... والرجل الّذي لم يقرأ كتاباً قط، فقال: يا محمّد! إنّ القرآن نزل علىٰ سبعة أحرف.

وفي رواية:

أنّ جبريل أتىٰ رسول الله (ص) في اضاءة بني غفار، وقال له: إنّ الله يأمرك أن تُقرئ أُمّتك القرآن علىٰ سبعة أحرف، فأيّما حرف قرأوا عليه، فقد أصابوا.

وفي رواية أنّ جبريل قال لرسول الله (ص):

إنّ أُمّتك يقرأون علىٰ سبعة أحرف، فمن قرأ منهم علىٰ حرف، فليقرأ كما علم ولا يرجع عنه... فلا يتحول عنه إلىٰ غيره رغبة عنه.

وفي رواية: أنّ الرسول (ص) قال:

أُنزل القرآن علىٰ سبعة أحرف، من سبعة أبواب الجنّة، كلّها شافٍ، فاقرأوا ما تيسر منه، وأيّ ذلك قرأتم فقد أحسنتم، فقد أصبتم.

وقال: أيّ حرف قرأوا أصابوا.

وقال لبعضهم: أيّ حرف قرأت أجزأك، وأيّما قرأت أصبت، ليس منها إلّا شافٍ كافٍ، إن قلت سميعاً عليماً، عزيزاً حكيماً، ما لم تختم آية عذاب برحمة، أو آية رحمة بعذاب.

وفي رواية، قال:

ان قلت: غفوراً رحيماً، أو سميعاً عليماً، أو عليماً سميعاً، فالله كذلك، ما لم تختم آية عذاب برحمة، أو آية رحمة بعذاب، نحو قولك: تعال وأقبل وهلمّ، واذهب وأسرع وعجّل.

وفي رواية أبي هريرة:

أنزل القرآن علىٰ سبعة أحرف: عليماً حكيماً، غفوراً رحيماً.

وفي رواية الصحابيين عمرو بن العاص وأبي جهيم واللفظ للأوّل:

أنّ الرسول (ص) قال:

ولا تماروا فيه، فإنّ المراء فيه كفر أو آية الكفر.

وفي رواية ابن مسعود:

أنّ الرسول أقرأه سورة (حم) وسمع رجلاً في المسجد يقرأ حروفاً لا يقرأها، فانطلقا إلىٰ رسول الله (ص)، وقال ابن مسعود للرسول (ص): اختلفنا في قراءتنا، فتغيّر وجهه، ووجد في نفسه، وقال: أهلك من قبلكم الإختلاف.

وأسرّ إلىٰ عليّ، فقال عليّ: إنّ الرسول يأمركم أن يقرأ كلّ رجل منكم كما عُلِّم، فانطلقا وكلّ واحد منهم يقرأ حروفاً لا يقرأها صاحبه.

وفي رواية، قال ابن مسعود:

من قرأ علىٰ شيء من تلك الحروف الّتي علّم رسول الله (ص) فلا يدعه رغبة عنه، فإنّ من يجحد بآية منه جحد به كلّه. فإنّما هو كقول أحدكم لصاحبه: أعجل وحيّ هلا.

مغزىٰ هذه الروايات:

إنّ هؤلاء الرواة قالوا: لك أن تبدّل كلام الله بكلامك لو شئت بمحض رغبتك! لا حرج عليك في ذلك! لأنّ الله ورسوله قد أذنا للنّاس، كلّ النّاس أن يحرّفوا القرآن كلّ القرآن، علىٰ أن يحتفظوا بأمرين:

١ ـ ألّا يزيد عدد التحريف في الكلمة الواحدة علىٰ سبعة أنواع من التحريف!

٢ ـ ألّا يتبدّل بالتحريف آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب، وألّا يتبدّل الحلال بالحرام ولا الحرام بالحلال!

وهنا يرد سؤال، وهو:

هل تجرّأ أحد من المسلمين علىٰ ذلك وفعله!؟

هذا ما سنفهمه ـ إن شاء الله ـ في بحث القراءات.

والّذي ينبغي أن نقوله هنا:

إنّه لم يسمع عن كاتب أو شاعر من البشر في غابر الدهر ولا حاضره أن يكون قد سمح للناس كلّ الناس أن يغيّروا من لفظه ما شاؤوا كما شاؤوا بشرط أن يحافظوا ـ مثلاً ـ على المدح كي لا يتبدّل بالذمّ وعلىٰ الذمّ كي لا يتبدّل بالمدح، بل الّذي شاهدناه في عصرنا أنّهم يحاسبون أصحاب المطابع عن الخطأ في نسخ كلمة بدل أُخرىٰ إلّا أن يكون الكاتب أو الشاعر خَرِفاً لا يعي ما يقول

وما يصنع مع قوله.

هكذا شأن البشر في ما يخصّ انتاجهم شعراً كان أو نثراً موزوناً كان النثر أو غير موزون.

أما شأن كلام الله: القرآن فهو موزون في جميع جوانبه:

موزون في إيراد المعاني في السور!

موزون في التعبير اللفظي في الآيات!

موزون في إيراد الكلمة في الجمل!

موزون في إيراد الحروف في كلّ ذلك!

ويفسد كلّ تلك الأوزان تبديل كلمة واحدة منها بغيرها.

هكذا شأن القرآن كلام الله المجيد، بل إنّ شأنه أعظم من هذا وأعظم.

وأمّا شأن تلكم الروايات المصرِّحة أنّ الله قد رضي بأن يبدل البشر كلامه، وأنّ رسوله بلّغ أصحابه بذلك، فسندرسه ـ بإذنه تعالىٰ ـ بعد إيراد أقوال العلماء في توجيه تلكم الروايات في ما يأتي:

أربعون اجتهاداً خاطئاً في توجيه الأحرف السبعة والأوجه السبعة

أدرك علماء مدرسة الخلفاء عظم الكارثة على المسلمين في روايات الإنساء، والسبعة أحرف والسبعة أوجه. فاجتهدوا وعالجوا روايات الإنساء بالقول بالنسخ. وأخطأوا، كما سنبيّنه في ما سيأتي بحوله تعالىٰ. واجتهدوا أيضاً وعالجوا روايات السبعة أحرف بأقوال كثيرة، بلغت في عصر ابن حبّان (ت: ٣٥٤ هـ) خمسة وثلاثين اجتهاداً خاطئاً، حيث قال:

«اختلف الناس فيها علىٰ خمسة وثلاثين قولاً»[1].

وبلغتْ في عصر ابن حجر (ت: ٨٥٢ هـ) علىٰ نحو أربعين قولاً.

وبعد أن أورد معظمها، قال: (ومنها أشياء لا أفهم معناها)[2].

وكان كلّ واحد من أُولئك العلماء يردّ قول الآخر واجتهاده. ونحن نرجع في ما يأتي إلى الطبري إمام المفسِّرين بمدرسة الخلفاء، وندرس أهمّ ما نقل من اجتهاداتهم في الباب وأشهرها، بإذن الله تعالىٰ.

النوع الأوّل:

قولهم: بأنّ المقصود من السبعة أحرف: سبعة أوجه

اجتهد بعض العلماء، وحاول أن يجمع بين روايات السبعة الأحرف

---

(١) راجع البرهان في علوم القرآن للزركشي ١ / ٢١٢، النوع الحادي عشر: معرفة كم نوع؛ والإتقان ١ / ٥٠.

(٢) راجع الإتقان ١ / ٤٧ ـ ٥١، المسألة في الأحرف السبعة.

الماضية وروايات أُخرىٰ جاء فيها لفظ سبعة أحرف، كالآتي:

في تفسير الطبري ومسند أحمد واللفظ للأوّل: عن ابن مسعود قال:

كان الكتاب الأوّل نزل من باب واحد وعلىٰ حرف واحد. ونزل القرآن من سبعة أبواب وعلىٰ سبعة أحرف: زجر وأمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال، فأحِلّوا حلاله وحرِّموا حرامه، وافعلوا ما أُمِرتُم به، وانتهوا عمّا نُهيتُم عنه، واعتبروا بأمثاله واعملوا بِمُحكَمه وآمنوا بمتشابهه، وقولوا: آمنا به كلّ من عند ربّنا[1].

وفي رواية أُخرىٰ:

خمسة أحرف، بدون (زجر وأمر)[2].

وروى الطبري عن أبي قلابة:

أنّ النبي قال: أُنزل القرآن علىٰ سبعة أحرف: أمر وزجر وترغيب وترهيب وجدل وقصص ومثل[3].

واختلفوا في تعيين المقصود من السبعة أوجه. وذكروا أنواعاً من التوجيه والتأويل، كالآتي:

الأوّل: أنّ المقصود من الحروف السبعة، وجوه سبعة. ثمّ اختلفوا في تعيين تلك الوجوه، فقال بعضهم، انّ الأوجه السبعة:

---

(١) مسند أحمد ١ / ٤٤٥؛ وتفسير الطبري ١ / ٢٣ ـ ٢٤.

(٢) تفسير الطبري ١ / ٢٤.

(٣) تفسير الطبري ١ / ٢٤.

وأبو قلابة، عبدالله بن زيد بن عمرو الجرمي البصري، كثير الإرسال. أخرج حديثه جميع أصحاب الصحاح. توفّي سنة ١٠٤ هـ بالشام. تقريب التهذيب ١ / ٤١٧.

حلال وحرام وأمر ونهي وزجر وخبر ما هو كائن بعد وأمثال.

وقال الآخر:

وعدٌ ووعيد وحلال وحرام ومواعظ وأمثال واحتجاج.

وقال الثالث:

زجر وأمر وحلال وحرام ومُحكم ومتشابه وأمثال. إلىٰ غيرها من الأقوال[1].

وقد أطال الطبري في ردّ هذه الأقوال، وقال ما موجزه:

لو كان تماري الصحابة في ما تماروا فيه تمارياً واختلافاً في ما دلّت عليه تلاواتهم من التحليل والتحريم وما أشبه ذلك، لكان مستحيلاً أن يصوّب الرسول (ص) جميعهم، ويأمر كلّ قارئ أن يلزم قراءته على النحو الّذي عليه. لأنّ ذلك لو صحّ كان الله ـ جلّ ثناؤه ـ قد أمر بفعل شيء في تلاوة من دلّت تلاوته علىٰ وجوب ذلك الفعل ونهىٰ عنه في تلاوة من دلّت تلاوته على النهي، وأباحه في تلاوة من دلّت تلاوته على التخيير.

في حين أنّ الله لم ينزل كتابه إلّا بحكم واحد لجميع خلقه، لا بأحكام مختلفة. وأنّ النبيّ (ص) لم يقض في شيء واحد في وقت واحد بحكمين مختلفين[2].

النوع الثاني:

قولهم: إنّ المقصود من الحروف السبعة: سبع لغات

قال ابن الأثير في مادّة الحرف بنهاية اللّغة:

أراد بالحرف: اللّغة، يعني سبع لغات من لغات العرب، أي أنّها متفرقة في

---

(١) الإتقان ١ / ٥٠، القول السادس عشر من النوع السادس عشر.

(٢) تفسير الطبري ١ / ١٦ ـ ١٧.

القرآن، فبعضه بلغة قريش، وبعضه بلغة هذيل، وبعضه بلغة هوازن، وبعضه بلغة اليمن.

وقال: وممّا يبيِّن ذلك، قول ابن مسعود:

إنّي قد سمعت القرّاء فوجدتهم متقاربين، فاقرأوا كما علمتم، إنّما هو كقول أحدكم: هلمّ وتعال وأقبل[1].

وقال غير ابن الأثير:

الأحرف السبعة: هي اللّغات السبع، وخمس منها: لهوازن واثنتان لسائر العرب.

وقال الآخر: أربع لعجز هوازن، سعد وجشم ونظر، وثلاث لقريش.

وقال الثالث: هي لقريش واليمن وجرهم وهوازن وقضاعة وتميم وطيِّئ.

وقال الرابع: سبع لغات لكعب بن عمرو وكعب بن لؤي.

وقال الخامس: سبع لغات متفرقة، لجميع العرب كلّ منها لقبيلة مشهورة[2].

وردّ الطبري هذا القول: بأنّ الصحابة تماروا في تلاوة بعض القرآن وسورة منه، واختلفوا في قراءته دون تأويله، وأنكر بعضهم قراءة بعض في السورة الواحدة.

ولو كانت الأحرف السبعة: لغات متفرقة في جميع القرآن، فلا موجب للاختلاف. وإنّما قال الرسول (ص): إنّما هو بمنزلة قولك: هلمّ وتعال.

وإنّ الأحرف السبعة الّتي أنزل الله بها القرآن هي لغات سبعة في حرف واحد وكلمة واحدة باختلاف الألفاظ واتّفاق المعاني. كقول القائل: هلمّ وتعال وأقبل وإليّ وقصدي ونحوي وقربي.

---

(١) مادّة الحرف في نهاية اللّغة.

(٢) تفسير الطبري ١/٢٣؛ والإتقان ١ / ٥٠، القول العشرون إلى القول الخامس والعشرين.

ونحو ذلك ممّا تختلف فيه الألفاظ بضروب من المنطق وتتّفق فيه المعاني، وإن اختلفت بالبيان به الألسن[1].

هكذا ردّ الطبري النوعين من التوجيه والتأويل، ثمّ حاول أن يجمع بين روايات السبعة أحرف والسبعة أوجه من الحلال والحرام وغيرهما، وقال ما موجزه:

إنّ الرسول (ص) أخبر عمّا خصّ الله رسوله وأُمّته من الفضيلة والكرامة الّتي لم يؤت بها أحد من قبل، وذلك أنّه أنزل الكتب السابقة بلسان واحد ووجه واحد، وأنزل القرآن علىٰ سبعة أحرف وسبعة أوجه، ثمّ فسّر السبعة أحرف بأنّ الله أنزل الكتب السابقة بلسان واحد، متىٰ حوّل عنه إلىٰ لسان آخر كان ذلك اللسان ترجمة له وتفسيراً، وليس تلاوة له علىٰ ما أنزله الله.

وأنزل كتاباً بألسن سبعة بأيّها تلي كانت التلاوة علىٰ ما أنزله الله، وليست ترجمة وتفسيراً للقرآن حتّىٰ يحوّل عن تلك الألسن السبعة إلىٰ لسان آخر وحرف آخر فيكون عندئذ ترجمة للقرآن وتفسيراً، وليس تأويلاً للقرآن.

وفسّر الأوجه السبعة بأنّ كلّا من الكتب السابقة نزل من باب واحد، خالياً من الحدود والأحكام والحلال والحرام، كزبور داود والّذي هو تذكير ومواعظ. وإنجيل عيسىٰ الّذي هو تمجيد، وحضّ على الصّفح والإكرام دون غيرها من الأحكام والشرائع وما أشبه ذلك... فكان المتعبّدون بتلك الكتب ينالون الجنّة من وجه واحد وباب واحد من أبواب الجنّة الّذي نزل في كتابهم. وخصّ الله نبيّنا وأُمّته بإنزال القرآن علىٰ سبعة أوجه من الوجوه الّتي يدخل العامل بكلّ وجه من أوجهه السبعة في باب من أبواب الجنّة الّذي نزل منه القرآن، فيدخل العامل بما أمر الله به من باب، والتارك لمّا نهىٰ عنه من باب ثانٍ،

---

(١) تفسير الطبري ١ / ١٨ ـ ٢٠.

والمحلّ لمّا أحلّه الله من باب ثالث، والمحرِّم لمّا حرّم الله من باب رابع، والمؤمن بمحكمه من باب خامس، والتسليم بمتشابهه من باب سادس، والاتّعاظ بعظاته من باب سابع[1].

وبناءً علىٰ ما نقلناه فإنّ الطبري فسّر الأحرف السبعة باللّغات السبع، واستدلّ لما اختار وقال ما موجزه:

إنّ الأُمّة أُمِرَت بحفظ القرآن وقراءته وخُيِّرَت في قراءته بأيّ الأحرف السبعة شاءت، ثمّ إنّ الأُمّة ـ لعلة من العلل ـ أوجبت عليها الثبات على القراءة بحرف واحد ورفض القراءة بالأحرف الستّة الباقية.

ثمّ ذكر تلك العلّة، وروى أنّه لمّا استشهد جمع من القراء في معركة اليمامة، أمر أبوبكر زيد بن ثابت بكتابة القرآن، فكتبه في قطع الأدم وكسر الأكتاف والعسب، فلمّا توفّي أبو بكر جمعها عمر في صحيفة واحدة، فلمّا توفّي عمر كانت تلك الصحيفة عند حفصة، وعلىٰ عهد عثمان أخبر حذيفة عثمان بتكفير أهل العراق أهل الشام لقراءتهم القرآن بقراءة أُبيّ، وتكفير أهل الشام أهل العراق لقراءتهم القرآن بقراءة ابن مسعود، فأمر عثمان زيد بن ثابت بكتابة القرآن، فنسخه في مصحف، وعرضه فلم يجد فيه آية من القرآن فاستعرض المهاجرين والأنصار، فلم يجدها عندهم، وقد وجدها عند خزيمة بن ثابت فكتبها. ثمّ عرضه مرّة ثانية فلم يجد فيه آية أُخرىٰ، فاستعرض المهاجرين والأنصار، فلم يجدها عند أحدهم، ووجدها أخيراً عند رجل آخر يدعىٰ خزيمة ـ أيضاً ـ فأثبتها في آخر براءة. وقال زيد: لو تمّت ثلاث آيات لجعلتها سورة علىٰ حدة.

وفي رواية:

أنّهم عندما كانوا ينسخون القرآن ربّما اختلفوا في آية فيذكرون الرجل قد

---

(١) تفسير الطبري ١ / ٢٤ ـ ٢٥.

تلقاها من رسول الله (ص)، ولعلّه يكون غائباً في بعض البوادي، فيكتبون ما قبل الآية وما بعدها ويدعون موضعها حتّىٰ يجيء الرجل، أو يرسل إليه. وأنّه لمّا فرغ زيد من نسخ المصحف، عرضه عثمان على الصحيفة الّتي عند حفصة فلم يختلفا في شيء.

وبعدما انتهىٰ عثمان من ذلك، كتب إلىٰ أهل الأمصار:

أنِّي صنعت كذا وكذا، ومحوت ما عندي فامحوا ما عندكم.

ثمّ قال الطبري: أنّ عثمان جمعهم علىٰ قراءة واحدة خشية ارتدادهم عن الإسلام، لتكذيبهم بعض الأحرف السبعة الّتي نزل القرآن عليها مع نهي الرسول عن التكذيب بشيء منها، وإخباره أنّ المراء فيها كفر. فجمعهم علىٰ مصحف واحد وتلاوة حرف واحد وحرق ما عداه من المصاحف.

فتركت القراءة بالأحرف الستّة الّتي أمر بتركها حتّىٰ درست من الأُمّة معرفتها، وتتابع المسلمون علىٰ رفض قراءتها من غير جحود لصحّة شيء منها.

فلا قراءة اليوم للمسلمين إلّا بالحرف الواحد الّذي اختاره لهم إمامهم ـ عثمان ـ لأنّهم كانوا مختارين في القراءة بأيّ الأحرف السبعة شاؤوا، فإنّ أمر الرسول (ص) بقراءة السبعة أحرف كان أمر إباحة ورخصة، ولم يكن أمر إيجاب وفرض[1].

ونقول في جواب الطبري علىٰ ما اختاره تفسيراً للأوجه السبعة والأحرف السبعة:

أوّلاً ـ جواب ما اختاره في تأويل الأوجه السبعة:

إنّ الرسل ينقسمون إلىٰ: أصحاب شرائع ناسخة للشرائع السابقة، ومن لم

(١) تفسير الطبري ١ / ٢٠ ـ ٢٢.

يأتوا بشريعة جديدة، وإنّما دعوا إلىٰ شريعة سلفهم.

وكان من القسم الأوّل، الرسول الكريم موسى بن عمران (ع) الّذي جاء بشريعة جديدة لبني إسرائيل.

ومن القسم الثاني: عيسىٰ (ع). الّذي لم يأت بشريعة جديدة، وإنّما كان داعياً للعمل بشريعة موسىٰ بن عمران(ع). كما سنشرح الأمرين ـ بحوله تعالىٰ ـ في ما يأتي:

ونضرب مثالاً لمن جاء من الرسل بشريعة جديدة تحوي العقائد والأحكام الإسلامية، بما كان في شريعة موسى بن عمران لأُمّته من الحلال والحرام والأمر والنهي، كما بيّنه القرآن الكريم، وقال في ما أحلّ الله لهم وحرّم عليهم:

﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾.

(آل عمران/ ٩٣)

وقال:

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ ... وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ ...﴾ (النّحل / ١١٥ ـ ١١٨) وراجع الأنعام / ١٤٦.

وأخبرنا عن بعض ما أمرهم به ونهاهم عنه، في قوله تعالىٰ:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَامَىٰ وَٱلْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ...﴾. (البقرة / ٨٣)

﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَا وقَدْ نُهُوا عَنْهُ ...﴾. (النّساء / ١٦١)

وأخبر عن زجرهم في قوله تعالىٰ:

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلٰهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * إِنَّ هٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ

﴿مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ . (الأعراف / ١٣٨، ١٣٩)

وأخبر عن موعظته إيّاهم في قوله تعالىٰ:

﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَوعِظَةً وَتَفصِيلاً لِكُلِّ شَيءٍ ...﴾ .
(الأعراف / ١٤٥)

وأخبر عمّا واعدهم في قوله تعالىٰ:

﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً ...﴾ . (البقرة / ٥١ ـ ٥٨)

وأخبر عمّا ضرب لهم من المثل بقوله تعالىٰ:

أ ـ ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذٰلِكَ يُحْيِي ٱللهُ ٱلْمَوْتىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ . (البقرة / ٧٣)

ب ـ ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ ٱللهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ ٱللهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ ...﴾ . (الفتح / ٢٩)

وأخبر عمّا جاء في شريعتهم من الإحتجاج بما دار بين نبيّيه موسىٰ وهارون (ع) مع فرعون وقومه، في سورة الأعراف، ويونس، وهود، وطه، وغيرها.

وأخبر أنّه أخبرهم عمّا هو كائن في أخبارهم ببعثة خاتم الرُّسل (ص) فقد قال:

﴿ٱلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة / ١٤٦) وراجع الأنعام / ٢٠.

وأنّهم لمعرفتهم به، وببركته كانوا يستفتحون باسمه في قتالهم مع المشركين قبل بعثته. وقال:

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِندِ ٱللهِ ـ أي القرآن ـ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ ـ في التوراة من خبر بعثته ـ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا ـ أي: الّذي عرفوه ـ كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ ٱللهِ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ﴾. (البقرة / ٨٩)

أمّا المحكم والمتشابه في التوراة، فكان كلّ ما أوردناه من المحكمات في التوراة.

وأخبر عن وجود الأمر المشتبه عندهم في حكاية أمرهم بذبح البقرة، وقال:

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وإِنَّا إِنْ شَاءَ ٱللهُ لَمُهْتَدُونَ﴾. (البقرة / ٧٠)

* * *

ولو استعرضنا ما جاء في القرآن الكريم من أخبار بني إسرائيل وأنبيائهم، لوجدنا أمثلة كثيرة ممّا زعم الطبري وغيره من علماء مدرسة الخلفاء من أنّ الله خصّ هذه الأُمّة بسبع أو بخمس: الحلال والحرام والأمر والنهي والمحكم والمتشابه والموعظة ـ مثلاً ـ لأنّ الله سبحانه أخبر أنّه أرشد أُمّة موسىٰ بن عمران، أي بني إسرائيل، بها، وبطل ما افترضوه في معاني تلك الروايات.

ولا يصحّ قولهم إنّ هذه الأُمّة اختصّت بشريعة فيها الحلال والحرام والأمر والنهي والموعظة و... لأنّ الله لم يخصّ هذه الأُمّة وحدها بالدين والشريعة، ولم ينزل لغيرهم شريعة ولا ديناً يدينون به، فقد أخبر الله سبحانه عن نوح وشريعته وأُمّته، وقال:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً...﴾. (العنكبوت / ١٤)

وأخبر سبحانه عمّا أرسل به نوحاً والنبيّين من بعده في قوله تعالىٰ:

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ـ إلىٰ قوله ـ رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ...﴾. (النِّساء / ١٦٣ ـ ١٦٥)

وكيف تتمّ الحجّة على الناس إن لم يرسل الرُّسل بالدين ويوحِ إليهم الشريعة الّتي تبين للناس الحلال والحرام والأمر والنهي وأمثالها، وقد أخبر الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ أنّه شرع للأُمم السابقة ما شرع لأُمّة محمّد (ص):

في قوله تعالىٰ:

﴿شَرَعَ لَكُم مِنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحاً وَٱلَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا ٱلدِّينَ ...﴾. (الشورىٰ / ١٣)

وفي هذه الآية أوّلاً قال الله ـ سبحانه ـ: شرع لكم من الدين ما وصّىٰ به نوحاً وإنّ (وصية الله) في القرآن: بمعنى التشريع، كما نفهم ذلك من قوله تعالىٰ:

﴿يُوصِيكُمُ ٱللهُ فِي أَوْلَادِكُم لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾. (النِّساء / ١١)

تبيِّن هذه الجملة وما بعدها في الآية، ما شرع الله في الإرث، وبين أنّه شرع في كلّ طبقة من الورّاث للأُنثىٰ سهماً واحداً في مقابل الذّكر الّذي له سهمان، وعبّر عن هذا التشريع بلفظ (وصّىٰ).

وعلىٰ هذا فإنّ معنىٰ شرع لكم من الدين ما وصّىٰ به نوحاً: أنّ الله شرع لنا من الدين وأوحىٰ إلى النبيّ الخاتم (ص) ما شرع لنوح (ع).

وفي قوله تعالىٰ:

﴿... وَٱلَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا ٱلدِّينَ ...﴾. (الشورىٰ / ١٣)

هذه الجملة مفسّرة لقوله تعالىٰ:

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ... رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾. (النِّساء / ١٦٣ ـ ١٦٥)

أي: أنّ الله أوحىٰ إلىٰ نبيّنا وإلىٰ الأنبياء السابقين: أن أقيموا الدين. والدين كما ذكرناه آنفاً هو مجموعة الأحكام الإلٰهيّة الّتي شرعها للناس.

وبذلك تتمّ الحجّة علىٰ سائر الناس في الأُمم السابقة. وما فضلت به هذه الأُمّة هو أنّ الشريعة الّتي نزلت علىٰ خاتم الأنبياء (ص) هي أكمل الشرائع وأتمها.

وأمّا ما قالوه: (من أنّ زبور داود هو تذكير ومواعظ، وإنجيل عيسىٰ هو تمجيد وحضّ على الصفح والإكرام دون غيرها من الأحكام والشرائع...)[1]، فإنّ خلوّ زبور داود، وإنجيل عيسىٰ (ع) من الأحكام والشرائع لا يعني أنّ الله لم يشرع للناس في عصر داود وعيسىٰ الأحكام والشرائع، وتركهم هملاً ـ معاذ الله ـ، بل لأنّ النبيّين داود وعيسى كانا من القسم الثاني من الأنبياء الّذين لم يأتوا بشريعة جديدة، وإنّما كانوا يدعون للعمل بشريعة النبيّ السابق عدا ما أحلّ عيسىٰ بن مريم لبني إسرائيل بعض ما حرّم عليهم. وكان النبيّ السابق لهما، الّذي كانا يدعوان الناس للعمل بشريعته هو موسىٰ بن عمران (ع)، وإنّ جميع الأنبياء بعد موسىٰ (ع) مثل اليسع وسليمان كانوا كذلك، يدعون الناس إلى العمل بشريعة موسىٰ بن عمران (ع) حتّىٰ بعث الله خاتم الأنبياء (ص)، ونسخ بشريعته بعض ما كان في شريعة موسىٰ بن عمران (ع).

كما قال الله في شأن عيسىٰ بن مريم:

---

(١) تفسير الطّبري، ١ / ٢٤ ـ ٢٥.

﴿وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيل ... وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾.

(آل عمران / ٤٩، ٥٠)

وقال في سبب ما حرّم عليهم:

أ ـ في سورة النِّساء / ١٦٠:

﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللهِ كَثِيراً﴾.

ب ـ في سورة الأنعام / ١٤٦:

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ ... ذٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ ...﴾.

إذاً فانّ عيسىٰ بن مريم (ع) لم يغيِّر من شريعة موسىٰ (ع) عدا تحليل بعض ما حرّم علىٰ بني إسرائيل، ولم يتغيّر ما عدا ذلك من شريعة موسىٰ (ع) في شريعة عيسىٰ (ع)، وفي كلتا الشريعتين لم تنسخ لبني إسرائيل من حنيفية إبراهيم عدا استقبال الكعبة والحج وعيد الأضحىٰ والجمعة، وبقيت الحنيفية لمن تبعها من غير بني إسرائيل في ما عدا الصلاة إلى الكعبة الّتي جاز فيها استقبال بيت المقدس[1].

وكانت الحكمة في ما حرّم علىٰ بني إسرائيل تقوية نفوسهم الهَشّة الخوّارة[2] وتمريناً لهم على المقاومة في مشتهياتها في داخل نفوسهم والمقاومة في مقابلة الأمم المعادية لها في الخارج.

ولعلّه كان ممّا أحلّ عيسىٰ (ع) لبني إسرائيل في شريعته ما حرّم عليهم

---

(١) راجع تفصيل الخبر في بحثي (النسخ) و (مبلغون عن الله) من كتاب عقائد الإسلام من القرآن الكريم.

(٢) الهشّة: الهشّ من كل شيء ما فيه رخاوة ولين.

الخوّار: خار خُوُراً؛ ضعف وانكسر فهو خائر وخوّار.

من الصيد عندما تأتيهم حيتانهم شرّعاً يوم السبت وما حرّم عليهم من شرب ألبان الإبل وأكل لحومها وأمثال ذلك، لانتفاء الحاجة إلىٰ تـقوية نـفوسهم في مقابل أعدائهم في الخارج.

وفي عصر خاتم الرسل (ص) اقتضت الحكمة الرّبّانية أن لا تـبقىٰ أُمّـة إسرائيليّة ترىٰ لنفسها الإمتياز علىٰ كل البشر، وبذلك تكون تلك التشريعات أغلالاً في أعناقهم، وبتلك التشريعات يصـبحون غرباء في كل مجتمع انساني يعيشون فيه، وتبق العداوة قائمة أبد الدهر بينهم وبين المجتمعات البشريّة الّـتي يعيشون فيها، وليصبحوا أبد الدهر جزءاً من كل مجتمع يعيشون فيه تنتشر بينهم المحبّة والاخوّة والمساواة، فنسخ في الشريعة الخاتمة السبت والمناسك الخـاصّة ببني إسرائيل، وأُمروا باتباع الحنيفية الّتي جاء بها خاتم الرسل (ص) كما أخبرنا سبحانه وتعالىٰ عن ذلك وقال:

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَاةِ وَٱلإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلأَغْلاَلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ... ﴾.

(الأعراف / ١٥٧)

وبناءً علىٰ ما ذكرنا، فإنّ شريعة عيسىٰ (ع) لم تغيّر من شريعة موسىٰ (ع) عدا بعض ما احلّ لبني إسرائيل ممّا كان قد حرّم عليهم في شريعة موسىٰ بن عمران (ع).

أمّا ما يعمله النصارىٰ من ترك الختان واتّخاذ يوم الأحد عيداً بدلاً من السبت، خلافاً لليهود، فلم يأت بها عيسىٰ بن مريم (ع) وانّما هي كالرهبانية الّتي ابتدعها أحبارهم ورهبانهم، كما قال الله سبحانه:

﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾. (الحديد / ٢٧)

وبما أنّ النصارىٰ اتّخذوا ما ابتدعه أحبارهم ورهبانهم ديناً، قال الله في حقّهم:

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ ...﴾. (التّوبة / ٣١)

تفسير الكلمات:

إصرهم: الاصر: القيد والتكاليف الشاقة.

أرباباً: ومفرده الربّ.

وقد كثر استعمال الرّبّ في المربّي وحده، كما قال الله سبحانه: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ﴾. (التّوبة / ٣١)

والمربّي هنا هو الّذي يشرع نظاماً لحياة المربوب كما فسّره النبيّ (ص) لعدي بن حاتم كما جاء في تفسير الآية بمجمع البيان عن تفسير الثعلبي عن عدي بن حاتم، قال:

أتيتُ رسول الله (ص) وفي عنقي صليب من ذهب، فقال لي: يا عدي! اطرح هذا الوثن من عنقك، قال: فطرحته، ثمّ انتهيت إليه وهو يقرأ: ﴿... اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ ...﴾، فقلتُ: إنّا لسنا نعبدهم، فقال: أليس يحرّمون ما أحلّ الله فتحرّمونه ويحلّون ما حرّم الله فتستحلّونه؟

فقلت: بلىٰ.

قال: فتلك عبادتهم[1].

وروي أيضاً عن أبي جعفر وابنه أبي عبدالله (ع)، أنّهما قالا:

---

(١) تفسير الآية في مجمع البيان ٣ / ٢٣ ـ ٢٤؛ والبرهان ٣ / ١٣٠؛ والدرّ المنثور ٣ / ٢٣٠ ـ ٢٣١.

أما والله ما صاموا لهم ولا صلّوا، ولكنّهم أحلّوا لهم حراماً، وحرّموا عليهم حلالاً، فاتّبعوهم، وعبدوهم من حيث لا يشعرون[1].

إذاً فإنّ الناس في عصر داود وسليمان (ع) لم يخلوا من دين يأمرهم بما فرض الله لهم وينهاهم عمّا حرّم عليهم، وإنّما كانوا يتلون التوراة ويتبعون أحكامها وشرائعها.

وكان عليهم أن يهتدوا بما فيها من أحكام وشرائع.

وأُضيف إلىٰ ذلك في زمن داود (ع) مواعظ في زبور داود (ع)، وفي زمن عيسىٰ (ع)، تمجيد الله والحضّ على الصفح والإكرام في الإنجيل.

ثانياً ـ روايات نزول القرآن علىٰ سبعة أحرف، أي: بسبع لغات

هذا الإفتراض علىٰ ما قرروه، قائم علىٰ أساس صحّة افتراضين:

الإفتراض الأوّل: أنّ يكون القرآن قد نزل علىٰ سبع لغات من لغات العرب وقد اختلفوا في تعيينها على الأقوال الآتية:

أ ـ أن يكون خمس منها لهوازن واثنتان لسائر العرب.

ب ـ أن يكون أربع منها لهوازن وثلاث لقريش.

ج ـ أن تكون لقريش واليمن وجرهم وهوزان وقضاعة وتميم وطيّئ.

د ـ أن تكون اللّغات السبع لكعب بن عمرو وكعب بن لؤي.

هـ ـ أن تكون سبع لغات متفرقة لجميع العرب، كلّ حرف لقبيلة.

وفي اختلافهم في تعيين اللّغات السبع دليل واضح علىٰ أنّ ليس لهذا الإفتراض مقومات الإفتراض العلمي. وإنّ الظّنّ لا يغني من الحقّ شيئاً.

---

(١) تفسير الآية في مجمع البيان ٣ / ٢٣.

إضافةً إلىٰ ذلك نقول: إنّ هذا الإفتراض باطل من أساسه بالأدلّة التالية:

أ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ...﴾ (إبراهيم / ٤).

وكان لسان قوم النبيّ لسان قريش.

ب ـ إنّ مكّة كانت أُمّ القرى العربية في الجزيرة العربية، وكان لسانهم أفصح ألسنة القبائل العربية.

وفي كلّ الألسنة والأزمنة والبلاد لا يتكلّم الناس في العاصمة بلهجات أهل البوادي والأرياف والقرى النائية عن العاصمة.

وأمّا ما قيل من وجود لغات غير عربية أو ألفاظ غير قرشية في القرآن، فنقول في الجواب:

إنّ الألفاظ تنتقل من لغة إلىٰ أُخرىٰ في جميع الألسنة، غير أنّ أهل اللسان الثاني يجرون عليها من النقل والإبدال ما يحوّلها إلىٰ سنخ لغتهم.

ومثال ذلك كلمة (سجّيل) في سورة الفيل الّتي قالوا: إنّها كانت في الأصل (سنك كل) وهي كلمة فارسية، وبعد أن جرىٰ هذا القلب والإبدال عليها أصبحت عربية.

والدليل علىٰ ذلك أنّ أهل الفارسية لا يفهمون معنىٰ كلمة (سجّيل)، وأصبحت بعد القلب والإبدال كلمة عربية وقرشية، لأنّ قبيلة قريش استعملتها.

وكذلك شأن بعض كلماتٍ جاءت في القرآن، قيل إنّ أصلها من لغات غير قريش من القبائل العربية، فإنّ تلك الكلمات بعد استعمال قريش لها في محاوراتهم تصبح قرشية.

وبناءً علىٰ ما قرّرنا، ليس في القرآن كلمة غير قرشية.

وصرّح بذلك الخليفة عثمان عندما أمر ثلاثة قرشيين وزيداً من الأنصار أن ينسخوا المصاحف (كما جاء في باب مناقب قريش، وباب كيف نزل الوحي،

وباب جمع القرآن من كتاب فضائل القرآن بصحيح البخاري) فقال ما موجزه:

(إذا اختلفتم في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنّما نزل بلسانهم ففعلوا ذلك)[1].

كان ذلكم افتراضهم الأوّل وجوابنا عنه. وافتراضهم الثاني وجوابنا عليه كالآتي:

الإفتراض الثاني:

قالوا بوجود ألفاظ مترادفة في لغة العرب بأنّها قرأت القرآن أصبت، في حين أنّه لاتوجد في لغة العرب ألفاظ مترادفة، لا يختلف معنىٰ بعضها عن بعض، بل أنّ الألفاظ الّتي يقال عنها: إنّها مترادفة في حين أنّها تشترك في المصداق.

والمصداق يتضمّن كلّ لفظ منها معنىً يختصّ به ويمتاز به عن مرادفه، ويعرف ذلك بدراسة موارد آستعمالها في كلام فصحاء العرب.

فإنّ للرقبة والعنق والجيد ـ مثلاً ـ مصداقاً واحداً، غير أنّ الجيد يتضمّن معنى الحسن، ومن ثمّ يقال: (جيد الفتاة)، و(جيد الغزال)، ولا يقال عند وصف حسنها: ما أجمل عنق الفتاة أو ما أحسن رقبة الغزال!.

والرقبة جزء من الإنسان، وقد يتضمّن معنى الكلّ، فيقال: ﴿عتق رقبة﴾ ولا يقال: أعتق جيداً أو عنقاً. ويتضمن العنق في ما يتضمن معنى الطول. ومن ثمّ يقال: طويل العنق، ومدّ عنقه. ولا يقال: مدّ رقبته أو جيده.

ومن ثمّ ندرك بعض وجوه البلاغة في قوله تعالىٰ في ذمّ أُمّ جميل زوجة أبي لهب: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾ (المسد / ٥). فإنّه ـ تعالىٰ ـ وصفها بأنّها جعلت في جيدها ـ بدلاً من القلادة الّتي تزين جيد الفتاة ـ حبلاً من ليف النخل تحمل به الحطب، إمّا لإلقائها الشوك في طريق الرسول (ص)، أو لقيامها بإيقاد

---

(١) صحيح البخاري ٣ / ٢٢٥ ـ ٢٢٦.

نار الفتنة بين رسول الله (ص) وزوجها أبي لهب عمّ رسول الله (ص).

ولا يصحّ هنا تبديل لفظ (الجيد) بـ (العنق) أو بـ (الرقبة)، فإنّه يفسد بلاغة المعنى في الكلام، وكذلك يفسد تبديل الجيد بـ (العنق) و (الرقبة) جمال الآيات ذات الوزن الفنّي، كما يدرك ذلك بلغاء اللّغة العربية[1].

* * *

كان ما ذكرناه شأن الألفاظ الّتي قيل: إنّها مترادفة في لغة العرب.

أمّا ما نسبوا إلىٰ رسول الله (ص) أنّه ذكر: هلمّ وتعال وأقبل وغيرها كأمثلة للمترادف في لغة العرب، وحاشا رسول الله (ص) أن يكون قد قاله، فنقول: إنّها تنقسم إلى المجموعات الثلاث التالية:

أ ـ أقبل وتعال وحيهلا وهلمّ.

ب ـ اذهب وأسرع وعجّل.

ج ـ عليماً حكيماً، غفوراً رحيماً.

زعم الراوون للروايات السابقة أنّ أفصح من نطق بالضاد رسول ربّ العالمين (ص) قال عن المجموعتين الأُوليين: بأيّ هذه الألفاظ قرأت القرآن، أصبت.

وحاشا رسول الله (ص) من هذا القول، لأنّ الخبير باللّغة العربية يدرك من موارد استعمال تلك الألفاظ في الكلام العربي الفصيح أنّ لكلّ لفظ منها معنىً يختلف عن معاني مثيلاته الأُخر، ولا يصحّ استعمال غيره مكانه.

---

(١) لقد اقتصرنا في بيان فروق معاني (الجيد) و (الرقبة) و (العنق)، وفي بيان جمال التعبير في الآية وفصاحتها وبلاغتها بأقلّ ما يمكن الإقتصار عليه في المقام. وإنّ استيفاء البحث فيهما بحاجة إلىٰ تفصيل لا يناسب المقام.

راجع لسان العرب وغيره من كتب اللّغة.

فإنّ من المجموعة الأُولىٰ:

أقبل، تعال، حيهلا، هلمّ

أ ـ أَقْبِلْ: فعل الأمر من باب الافعال.

الإقبال: الإتيان من قِبَل الوجـه، نقيض الإدبار، مثل أقبل إليه راكـباً. ويستعمل في:

١ ـ الأُمور المعنوية بمعنىٰ توجه النفس إلى الشيء في العمل مثل: أقـبل علىٰ تعلّم العلم.

٢ ـ في الأُمور المادّية: مثل أقبل بوجهه إلىٰ مَنْ كان جالساً عن يمينه وأدبر عمّن كان جالساً عن شماله.

ب ـ تعال:

دعوة للمخاطب أن يفكّر ويهيِّئ نفسه للقيام بعمل يذكر بعد لفظ (تعال)، ويكون العمل في الأغلب من صنف أعمال النفس، ويلازمه القيام بأعمال جسدية، مثل قوله تعالىٰ:

﴿تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ ...﴾. (آل عمران / ٦١)

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللهِ لَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ ...﴾. (المنافقون / ٥)

﴿إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ﴾. (الأحزاب / ٢٨)

ج ـ حيهل وحيهلا:

إنّ هذه الكلمة مركّبة في الأصل من كلمة: (حيّ) أي: أقبل، مثل: (حيّ على الصلاة) و(هلا) أي: أسرع واستعجل.

ويُقال حيهل إلى الطعام، أي: أسرع إلىٰ أكله.

ويُقال ـ مثلاً ـ إذا ذكر الصالحون: حيّهلا لسلمان المحمّدي، أي: عليك به، أو ابدأ به أو بذكره.

وفي هذه الكلمة المركّبـة كما شاهدنا، دعوة إلىٰ عمل أو إلىٰ شخص مع الترحيب بالمدعو أو المدعو إليه.

كما جاء بهذا المعنىٰ في الكتاب الآتي من أهل الكوفة إلى السبط الشهيد بعد موت معاوية:

(إلى الحسين بن عليّ من شيعته المؤمنين والمسلمين

أمّا بعد، فحي هلا، فإنّ الناس ينتظرونك ولا رأي لهم في غيرك فالعجل العجل والسلام عليك)[1].

د ـ هلمّ:

اسم فعل يستعمل في الدعوة للإشتراك في القيام بعمل يهتمّ به الداعي إليه.

وفيه معنىٰ: ضُمّ نفسك إلينا في هذا العمل.

كما جاء في قول الخليفة عمر لابن عباس عندما أخبره عن سبب عدم توليته امارة البلاد قال له عمر:

(إنِّي خشيت أن يأتي عليٌّ الّذي هو آت وأنت في عملك، فتقول هلمّ إلينا ولا هلمّ إليكم دون غيركم)[2].

---

(١) تاريخ الطبري ٥ / ٣٥٣، ط. مصر، تحقيق محمّد أبي الفضل إبراهيم.

(٢) راجع معالم المدرستين، الجزء الأوّل، فصل كتمان فضائل الإمام عليّ (ع) ونشر سبّه ولعنه ١ / ٣٤٦.

المجموعة الثانية:

اذهب ، أسرع ، عجّل

أ ـ اذهب :

الذهاب: المضي والحركة من مكان إلىٰ آخر علىٰ سبيل الإدبار عن الأوّل والتوجه إلى الثاني.

ويكون في الأجسام المادّية مثل: ﴿اذْهَبْ إِلىٰ فِرْعَوْنَ ... ﴾ . (طه / ٢٤)

﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي ... ﴾ . (يوسف / ٩٣)

وفي الأُمور المعنويّة، مثل قوله تعالى للشيطان:

﴿قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ ... ﴾ . (الإسراء / ٦٣)

وذهب في الأرض: سار إلى الأبد مثل قوله تعالىٰ:

﴿فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ .. ﴾ . (طه / ٩٧)

ب ـ أسرع :

السرعة في العمل خلاف البطء فيه، وأسرع وسارع: خفّ لأداء عمل ما، ماديّاً كان العمل، مثل الأكل والشرب، أم معنوياً مثل قوله تعالىٰ:

﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ... ﴾ . (آل عمران / ١٣٣)

ج ـ عجّل :

العجلة: حالة نفسية تبعث الإنسان على المبادرة بعمل ما، بدافع نفسي، سواء أكان الدافع: الشوق والرغبة في العمل، أو الخشية والخوف من فوت الأمر، أو بدافع السخط والغضب.

ومثال الأوّل: قوله ـ تعالىٰ ـ في حكاية قول نبيّه موسىٰ (ع):

﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾ . (طه / ٨٤)

وكان نبيّ الله موسىٰ (ع) تقدّمهم في الذهاب إلى المكان الموعود.

وقوله لخاتم الأنبياء (ص):

﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ ...﴾ . (طه / ١١٤)

ومثال الثاني: قوله تعالىٰ:

﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدّاً﴾ . (مريم / ٨٤)

ومثال الثالث: قوله تعالىٰ:

﴿عَجِّل لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ . (ص / ١٦)

أي: عجّل لنا نصيبنا من العذاب.

وفي الحديث: «عجّلوا بالصلاة قبل الفوت».

والفرق بين السرعة والعجلة: أنّ العجلة من الإنسان تكون في المبادرة للقيام بالعمل، والسرعة تكون: تسريعاً في إنجاز العمل نفسه.

المجموعة الثالثة:

عليماً، حكيماً، غفوراً، رحيماً

نترك الحديث حول هذه المجموعة لوضوح الفرق في معانيها.

* * *

بعد ذكرنا بعض الفروق في معاني هذه الكلمات، نرجع إلى القرآن الكريم لندرس بعض ما جاء منها في ضوء الروايات الآنفة إن شاء الله تعالىٰ:

المجموعة الأُولىٰ: أقبل وتعال وحيّهلا وهلمّ

أ ـ أقبل:

جاء (أقبل) في قوله تعالىٰ:

﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْآمِنِينَ﴾ . (القصص / ٣١)

تصرّح الآية بأنّ نبيّ الله موسىٰ (ع) أدبر عن عصاه الّتي انقلبت إلىٰ حيّة تتحرّك، فناداه ربّه وقال له: أقبل إليها ولا تخف.

ويقال في اللّغة العربية: أقبل إلى الشيء لمن أدبر عنه. وقد جوّزت لنا الروايات الآنفة الذكر أن نحرّف الآية ونقول: فلمّا رآها تهتزّ كأنّها جانّ ولّىٰ مدبراً، ولم يعقب يا موسىٰ تعال!! أو يا موسىٰ هلمّ!!

ولا يقول ذلك إلّا من كان هازئاً أو جاهلاً باللّغة.

وحاشا رسول الله (ص) من أن يقول ما رووا عنه.

ب ـ تعال:

جاء (تعال) في عدّة آيات من القرآن الكريم، منها قوله تعالىٰ:

﴿إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَاةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً * وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْراً عَظِيماً﴾ . (الأحزاب / ٢٨، ٢٩)

تصرّح الآيتان بأنّ الله أمر نبيّه أن يدعو زوجاته إلى القيام بالتفكير والتدبّر في اختيار أحد أمرين يخترن أحدهما:

إن كنّ يردن سعة العيش في الدُّنيا، فإنّ النبيّ يعطيهنّ متعة الطلاق، ثمّ يسرحهنّ، أي: يطلقهنّ.

وإن أردن طاعة الله ورسوله (ص) والصبر علىٰ ضيق العيش في الدُّنيا، والجنّة في الآخرة. فإنّ الله أعدّ للمحسنات منهنّ أجراً عظيماً.

إذاً فإنّ الله ورسوله (ص) قد دعوا أُمّهات المؤمنين بعد (تعالين) إلى التفكّر والتدبّر في أحد الأمرين.

وهذا هو الصواب في التعبير في مثل هذا المقام، بينما جوّزت الرواية تحريف الآية الكريمة، وأن يقال: بدل (تعالين) ـ مثلاً ـ (حيهلا)، ولم يدرك الراوي أنّ المقام ليس مقام ترحيب كي يقال لهن: حيّهلا، ولا مقام دعوة إلى الإنضمام إلىٰ رسول الله للقيام بعمل، كي يقال لهن (هلممن) أو (أسرعن) أو (عجّلن) أو غيرها من الألفاظ.

ج ـ حيهلا:

لم يرد (حيهلا) في القرآن لندرسَهُ علىٰ حدة.

د ـ هلمّ:

جاء هلمّ في قوله تعالىٰ:

﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا﴾. (الأنعام / ١٥٠)

معنى الآية: هاتوا شهداءكم الّذين ينضمون في هذا الرأي إليكم ويشهدون بأنّ الله حرّم هذا.

وجوّز الراوون أن نُحرّف الآية، ونقول: قل حيهلا شهداءكم الّذين يشهدون ...، أو نقول: أقبلوا شهداءكم الّذين يشهدون...، أو نقول: تعالوا شهداءكم الّذين...

وحاشا رسول الله (ص) أن يكون قد حدّث بما رووا.

المجموعة الثانية: اذهب وأسرع وعجّل

وقال الراوون ـ أيضاً ـ:

لكَ أن تُحرّف الآيات الّتي جاء فيها: اذهب وأسرع وعجّل، وتأتي ببعضها بدلاً من الآخر.

وفي ضوء ما رووا نرجع إلى القرآن الكريم وندرس موارد استعمال كلّ منها:

أ ـ اذهب:

جاء (اذهب) في قوله تعالىٰ للشيطان:

﴿قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُوراً﴾.

(الإسراء / ٦٣)

يفهم العربي من لفظ (اذهب): الإبعاد والطرد، كأنّ الله ـ سبحانه ـ قال للشيطان: ابعد عن التقرّب إليَّ.

ولو حرّفنا الآية كما جوّزه الرواة، وقلنا: (عجّل فَمن تبعك منهم...)، أو (أسرع فمن تبعك منهم...)، ماذا كان يعني الكلام؟!

ب و ج ـ أسرع وعجّل:

إنّ معرفة الفرق في صيغة الأمر: أسرع وعجّل دقيق وبحاجة إلىٰ تدبّر الخبير في فقه اللّغة العربية. ونحن نذكر هنا غير صيغة الأمر منهما، ليتّضح الفرق بينهما لعامّة الناس. وقد جاء من الأوّل قوله تعالىٰ:

﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَاسِبِينَ﴾. (الأنعام / ٦٢)

وجاء من الثاني، حكاية قول موسىٰ لقومه حين عبدوا العجل:

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ...﴾. (الأعراف / ١٥٠)

وإنّ كلّ عربي اللّسان يدرك عدم صحّة تبديل (أسرع الحاسبين) بـ (أعجل الحاسبين)، وتبديل (أعجلتم أمر ربّكم) بـ (أسرعتم أمر ربّكم).

المجموعة الثالثة: عزيزاً حكيماً، غفوراً رحيماً، سميعاً عليماً:

روىٰ رواة تلك الأحاديث أنّ الله ورسوله (ص) قد أذنا للنّاس كلّ الناس ـ معاذ الله ـ أن يُحرّفوا أواخر آيات القرآن الكريم في تبديل أسماء الله الّتي تختم

بها الآيات، علىٰ أن لا يتبدّل بالتحريف آية رحمة بآية عذاب، وآية عذاب بآية رحمة، وضربوا مثلاً لذلك بجواز تبديل: (سميعاً عليماً) بـ(عزيزاً حكيماً) أو (غفوراً رحيماً)، ولا حاجة في هذا المقام للإستدلال علىٰ ما بين معاني أسماء الله هذه من الفروق، لوضوحها.

ونقتصر على الرجوع إلى القرآن الكريم ودراسة موارد استعمال هذه الأسماء، لنرىٰ كيف تكون نتيجة هذا التقوّل في الآيات الآتية:

أ ـ أخبر الله ـ سبحانه ـ عن إبراهيم وإسماعيل (ع) في سورة البقرة وقال:

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

(البقرة / ١٢٧ ـ ١٢٩)

وأخبر الله ـ سبحانه ـ عن قوم موسىٰ بعد عبادة بني إسرائيل العجل، وقال:

﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ ٱلرَّاحِمِينَ * إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِن رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَكَذٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُفْتَرِينَ * وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا ٱلسَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مَن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. (الأعراف / ١٥١ ـ ١٥٣)

في خبر إبراهيم وإسماعيل (ع) أخبر ـ سبحانه ـ في الآية الأولىٰ أنّهما كانا يرفعان القواعد من البيت ويدعوان ربّهما ويقولان: إنّكَ سميعٌ عليمٌ، فهو يسمع دعاءهما ويعلم عملهما.

وفي الآية الثانية: أنّهما دعوا أن يتوب عليهم فهو التوّاب الرّحيم.

وفي الآية الثالثة: أنّهما دعوا أن يبعث لأهل مكّة رسولاً يعلّمهم الكتاب والحكمة وهو العزيز ـ الغالب الّذي لا يقهره شيء ـ الحكيم في فعله.

وفي خبر موسىٰ وهارون (ع) وقومهما، أخبر ـ سبحانه ـ أنّه طلب المغفرة والرّحمة له ولأخيه، وأخبر أنّ الّذين عملوا السيّئات وتابوا، أنّ الله بعد ذلك غفور رحيم.

والرّحمة جاءت في الآيتين بعد ذكر التوبة والمغفرة، لأنّ الرّحمة تكون بعد التوبة والمغفرة.

يا ترىٰ لو عملنا بتلكم الروايات، وحرّفنا الآيات، وقلنا في الآية الأُولىٰ بدل (السميع العليم): (ربّنا تقبّل منّا إنّك أنت التوّاب الرّحيم) أو (إنّك أنت العزيز الحكيم)، وقلنا في الآية الثانية: بدل (التوّاب الرّحيم) (وتُب علينا إنّك أنت العزيز الحكيم)، وقلنا في الآية الأخيرة بدل (غفور رحيم): (ثمّ تابوا من بعدها وآمنوا إنّ ربّك من بعدها لسميع عليم)، أو (عزيز حكيم).

كم كان الكلام مجانباً للبلاغة وهذراً من القول تعالى الله عمّا قاله هؤلاء الرواة وتقدّست أسماؤه (*).

وإنّ أقوال هؤلاء الرواة بعينها قالها عبدالله بن سعد بن أبي سرح الأموي. وكان خبره وخبر قوله كالآتي:

عبدالله بن سعد بن أبي سرح بن الحارث القرشي العامري أخو عثمان من

(*) ويُحكىٰ عن الأصمعي قال: كنت أقرأ: (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله والله غفور رحيم) وكان بجنبي اعرابي فقال: كلام من هذا؟ فقلت: كلام الله، فقال: أعد، فأعدت، فقال: ليس هذا كلام الله! فانتبهت فقرأت: «والله عزيز حكيم» فقال: أصبت هذا كلام الله! فقلت: أتقرأ القرآن؟ قال لا. فقلت: فمن أين علمت؟ فقال: يا هذا! عزَّ فحكم بقطع، ولو غفر ورحم لما قطع!

تحفة الأحباب للمحدث القمّي، ص ٢٠٢.

الرضاعة. ارضعت أمّه عثمان.

أسلم قبل الفتح، وهاجر إلى المدينة، وكتب الوحي لرسول الله (ص) ثمّ ٱرتدّ مشركاً، وصار إلىٰ قريش بمكّة، فقال لهم: إنّي كنت أصرف محمّداً حيث أُريد. كان يُملي عليَّ: (عزيز حكيم)، فأقول: (عليمٌ حكيم)؟ فيقول: نعم، كلّ صواب، فأنزل الله تعالىٰ فيه:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلُ مَا أَنْزَلَ ٱللهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ ٱلظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ ٱلمَوتِ وَٱلْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾. (الأنعام / ٩٣)

فلمّا كان يوم الفتح، أهدر رسول الله (ص) دمه، وأمر بقتله ولو وجد متعلّقاً بأستار الكعبة، ففرّ عبدالله إلىٰ عثمان، فغيّبه حتّىٰ أتىٰ به إلىٰ رسول الله (ص) فاستأمنه له، فصمت رسول الله (ص) طويلاً، ثمّ قال: نعم.

فلمّا انصرف عثمان قال لمن حوله: ما صمتّ إلّا ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه.

فقالوا: هلا أومأتَ إلينا، فقال: إنّ النبيّ لا ينبغي أن يكون له خائنة الأعين... الخبر[1].

إنّ عبدالله بن سعد روىٰ عن رسول الله (ص) في حال ارتداده عين ما رواه هؤلاء الرواة عنه، فأمر الرسول (ص) بقتله، ولو كان متعلّقاً بأستار الكعبة.

ترىٰ ماذا كان يحكم الرسول (ص) علىٰ هؤلاء الرواة لو رآهم يروون عنه

---

(١) الإستيعاب ١ / ٣٨١ ـ ٣٨٢؛ والإصابة ٢ / ٣٠٩ ـ ٣١٠ و ١ / ١١ ـ ١٢؛ وأُسد الغابة ٣ / ١٧٣ ـ ١٧٤؛ وأنساب الأشراف ٥ / ٤٩؛ والمستدرك ٢ / ٤٥ ـ ٤٦. والمفسّرون كالطبري والقرطبي وغيرهما، في تفسيرهم الآية: ٩٣ من سورة الأنعام؛ وابن أبي الحديد ١ / ٦٨.

عين ما رواه عبدالله بن سعد؟

وإذا كان الرسول (ص) لم يرهم في هذه الدُّنيا، فإنّه يراهم في الآخرة ويرونه (ص) والحكم يومئذ الله!

تناسب الآيات مع ما يرد من أسماء الله فيها

إنّ أُولئكم الرواة رووا ما رووا مع عدم تفقّه لمعاني الألفاظ في اللّغة العربية وعدم تدبّر للقرآن الكريم.

وأمّا ما أشرنا إليه من تناسب أسماء الله مع الآية الّتي جاء الاسم في آخرها، فإنّ الأمر في تناسب الآيات مع اسم الله الوارد فيها أعظم ممّا ذكرناه وأجلّ خطراً.

ونقتصر لتوضيح ذلك بإيراد موجز من معاني بعض أسماء الله، ثمّ ندرس أمثلة من مواردها في القرآن الكريم في ما يأتي إن شاء الله تعالىٰ.

الله والإلٰه والربّ

أ ـ الإلٰه:

أله إلٰهة، أي: عبد عبادة. و(الإلٰه) اسم لكلِّ معبود، وجمعه: الآلهة. وكان المشركون يعتقدون أنّ أصنامهم آلهة تضرّهم وتنفعهم من دون الله، ولذلك كانوا يقدمون لها القرابين، ويعبدونها لتقضي حوائجهم. وكذلك شأن من بقي منهم في عصرنا، وقد أخبر الله عنهم وقال:

﴿وَٱتَّخَذُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزّاً﴾ . (مريم / ٨١)

وقال: ﴿وَٱتَّخَذُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾ . (يس / ٧٤)

وأخبر عن قوم هود أنّهم قالوا لنبيّهم (ع):

﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ . (هود / ٥٤)

ولمّا كان كلُّ ما يعتقدون لآلهتهم من التأثير في العالمين هو من أنواع الإيجاد والخلق، نفى الله أن يكون لآلهتهم أيّ أثر في الإيجاد والخلق، أو القدرة على الدفاع عن أنفسها فضلاً عن غيرها، وقال ـ سبحانه ـ:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ . (الحجّ / ٧٣)

وحصَرَ الخَلق بذاته جلّ اسمه، وقال:

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (الفرقان / ٢)، وراجع الأنعام / ١٠١.

وقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾. (الشورىٰ / ١١)

وبناءً علىٰ ذلك فإنّ قولنا: (لا إله إلّا ٱلله) يعني: أن لا خالق ولا رازق ولا ضارّ ولا نافع ولا مؤثر في الوجود إلّا الله.

وهذا لا يعني ما يقوله أتباع بعض المذاهب، فإنّا نؤمن بأنّ الله لو شاء أن يجعل شيئاً غيره ضارّاً أو نافعاً له، فعل، وإن اقتضت حكمته أن يمنح غيره قدرة الخلق بإذنه، فعل، كما أخبر عن ذلك في ما حكاه من قول عيسىٰ بن مريم (ع) لبني إسرائيل:

﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْئَةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ ٱللهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِي ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾. (آل عمران / ٤٩)

وبناءً علىٰ ما شرحناه فإنّ الله أحدٌ في الأُلوهية، وليس واحداً من الآلهة، وليس كبير الآلهة، ولم يلد الآلهة ملائكة وغير ملائكة، وليست الملائكة بناته، بل هو إله أحد، خلق الخلق أجمعين ولم يلدهم، كما ولدت الأرض الشّجر، والشّجر الثمر، ولم يولد من شيء كما ولدت الأحياء من الماء، والماء من الأوكسجين والهيدروجين، ولا يتغيّر من حال إلىٰ حال، كما يتغيّر المخلوق بعد الولادة مولوداً ووالداً.

إذاً فإنّ الله هو الأحد، والأحد هو الصمد، والصمد هو الّذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

وهكذا نرى الآيات بعد الصمد في سورة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللهُ أَحَدٌ﴾ تفسّر (الصمد)، و(الصمد) وما بعده تفسّر (الأحد)، و (الأحد) وما بعده من صفات الله [1].

---

(١) تفسير السورة في البرهان في تفسير القرآن ٤ / ٥٢٥.

والسورة بمجموع آياتها وكلماتها وحدة منسجمة في المعنىٰ، ولا يصحّ تبديل كلمة منها بكلمة أُخرىٰ، اسماً كان لله أو شرح اسم.

فلايصحّ تبديل (قل هو الله أحد) بـ(قل هو السميع الأحد) ولا بـ(قل هو الله السميع) ولا تبديل (الله الصمد) بـ(السميع الصمد) أو (الله السميع) مع أنّنا لم نختم فيها آية رحمة بعذاب أو آية عذاب برحمة، كما أجازت ذلك الروايات الماضية.

وكان ذلك بسبب انسجام معنى الآيات في السورة، وإضافةً إلىٰ ذلك فإنّ لكلّ سورة صغيرة في القرآن أو لكلّ مجموعة آيات نزلت مرّة واحدة وزناً خاصّاً بها لم يكتشف حتّى اليوم، ينتبه إليها اللبيب مع قراءتها بتدبّر في ذلك كما أنّ لكلّ نوع من الشعر وزناً خاصّاً به لم يكن معروفاً قبل أن يكتشف الخليل بن أحمد (ت: ١٧٠ هـ) أوزان الشعر، ويقيسها بالتفعيلات الّتي وضعها لمعرفة أوزان الشعر.

وفي هذه السورة يختلّ الوزن إذا بدّلنا في الآية الأُولىٰ: الـ ﴿أَحَد﴾ بأيّ اسم من أسماء الله، مثل: (الغفور) أو (الرّحيم) أو (القهّار) ونقول ـ مثلاً ـ: (قل هو الله الغفور الله الصمد...).

هكذا يختلّ المعنىٰ والوزن في السورة بتبديل أية كلمة منها بأُخرىٰ، ويفهم الأوّل كلّ عربي اللسان، والثاني يفهمه كلّ إنسان لبيب عربيّاً كان أم أعجمياً.

ب ـ الربّ

الربّ بمعنى التربية، وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً حتّىٰ يبلغ درجة الكمال.

وربّ الولد وربّاه، فهو رابّ، والولد مربوب وربيب.

وربَّ الضيعة: أصلحها وأتمها.

ويستعمل الربّ بمعنىٰ الرابّ ويقصد به مالك الشيء ومـدبِّره، وفي مـثل هذه الحالة يضاف الربّ إلى المربوب ويقال:

ربّ الضيعة والفرس. ولا يقال الربّ مطلقاً إلّا لله تعالى المتكفّل لتربية جميع الخلق، نحو قوله تعالىٰ:

﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾. (سبأ / ١٥)

وبالإضافة، يقال له ولغيره: مثل ربّ العالمين، وربّ الدار وربّ الفرس.

وعلىٰ ما سبق، فالربّ بمعنى المالك والمدبّر للشيء، وقد يستعمل الربّ في أحد المعنيين: المالك أو المربّي، أي في جزء من معناه. وهذا الإستعمال شائع في لغة العرب.

قال الراغب في مادّة (القرء): إنّ كلّ اسم موضوع لمعنيين معاً يطلق علىٰ كلّ واحد منهما إذا انفرد، كالمائدة للخوان وللطعام، ثمّ قد يسمّىٰ كلّ واحد منهما بانفراده به.

عود علىٰ بدء:

إنّ شرح صفات الربوبيـة يرد في القرآن يسيراً موجزاً أحياناً، ومفصّلاً حيناً آخر، ونجد أنّ جلّ معارك الأنبياء مع أُممهم واحتجاجاتهم كانت حـول توحيد الربوبية، وأنّ ربّ الإنسان الّذي يشرِّع له النظام في إدامة حياته هو ربّ جميع الخلق الّذي شرّع نظاماً لجميع الخلق. ويحكي مجادلة إبراهيم مع طاغوت عصره نمرود ويقول:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ ٱللهُ ٱلْمُلْكَ...﴾.

(البقرة / ٢٥٨)

إنّ نمرود كان يزعم أنّه الربّ الّذي من حقّـه أن يشرِّع النظام للمجتمع

الّذي يحكمه، ومن ضمنهم إبراهيم، ولكنّ إبراهيم (ع) أبىٰ ذلك وقال: إنّ الّذي يُحيي ويُميت هو ربّي.

ويلقي نمرود في هذا الإحتجاج شبهة ويقول: أنا أُحيي وأُميت.

ويأمر بإنسان سجين محكوم بالإعدام، فيطلق سراحه، ويسمّي هذا بالإحياء.

ويأمر بإنسان طليق لا ذنب له بالقتل فيقتل.

ويردّ عليه إبراهيم أنّ الربّ هو الّذي شرّع النظام الكوني، وجاء بالشّمس من المشرق، فإن كنت ربّاً، فأت بالشّمس من المغرب وغيّر هذا النظام، فبهت الّذي كفر!

وحكىٰ عن الفتية المؤمنين من أصحاب الكهف الّذين أبوا قبول ربوبية طاغوت زمانهم وأنّهم:

﴿إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ...﴾. (الكهف / ١٤)

إنّ الربّ الّذي شرّع النظام للسماوات والأرض هو ربّنا الّذي شرّع لنا نظاماً نتبعه.

وحكىٰ عن مُحاجّة موسىٰ طاغوت عصره، وقال:

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهٰذِهِ ٱلْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾. (الزخرف / ٥١)

وقال: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾. (النازعات / ٢٣، ٢٤)

إنّ فرعون احتجّ علىٰ استحقاقه الربوبية ـ معاذ الله ـ أنّه يملك مصر وما فيها من أنهار، وهو الّذي يطعم أهل مصر ويؤمّن حاجاتهم، وإن كان للمزارع في مصر أرباب يربّونها وللدواجن أرباب يربّونها وللمصانع أرباب يديرونها

وكلّ يشرِّع نظاماً لما يربّه، فهو ربّهم الأعلىٰ ـ معاذ الله ـ يحق له أن يشرِّع نظاماً يدينون به.

وينكر عليه موسىٰ وهارون (ع) أن يكون له ذلك، فسأله فرعون وقال:

﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ * قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾. (طه / ٤٩، ٥٠)

قال موسىٰ (ع) : ربّنا الّذي أعطىٰ كلّ شيء ما خلق فيه من خواصّ جسميّة ونفسيّة ومواهب وغرائز والّتي منها غريزة قبول هداية الله، ثمّ هداه ليديم حياته وفق الّذي قدّر له متناسباً مع فطرته.

وقد أوجز القرآن هنا ذكر استدلال موسىٰ علىٰ فرعون في الربوبية، وجاء تفصيل هذا الإستدلال في الآيات:

﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَىٰ * ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ * وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ...﴾ . (الأعلىٰ / ١ـ٣)

وفي الموردين اشارة إلىٰ هداية الله لجميع الخلق، وقد بيّن الله في آيات أُخرىٰ كيفية هدايته للخلق، وذكر أربعة أنواع من الهداية للخلق:

١ ـ الهداية التسخيريّة.

٢ ـ الهداية الإلهاميّة أو الغريزيّة.

٣ ـ الهداية بواسطة الوحي.

٤ ـ الهداية التعليميّة.

أ ـ الهداية التسخيريّة:

من أنواع الهداية التسخيريّة، ما أخبر الله عنه، وقال:

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى

ٱلْعَرْشِ يُغْشِي ٱللَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللهُ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾. (الأعراف / ٥٤)

فحوى الآية:

أيُّها النّاس! إنّ ربّكم الّذي يشرِّع لكم نظام حياتكم هو الّذي خلق السماوات والأرض في ستّ مراحل، ثمّ استولىٰ عليها يدبّر أمرها ويربّيها.

يغشي ظلام اللّيل علىٰ ضياء النهار، يعقّبه سريعاً، والشّمس والقمر والنجوم مسخّرات بأمره، فهو الّذي سخّر القمر ليدور حول الأرض والأرض حول الشّمس بأمره. هو الّذي خلقها وهو الّذي يربّها ويهديها تسخيرياً لتسير وفق أمره، وذلك هدايته لهذا النوع من الخلق.

وقد يعبر عن الهداية التسخيريّة بلفظ: جعل، مثل قوله ـ تعالىٰ ـ:

﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَاءً وَٱلْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ... ﴾. (يونس / ٥)

وقوله تعالىٰ:

﴿وَجَعَلَ ٱللَّيْلَ سَكَناً وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَاناً ﴾. (الأنعام / ٩٦)

وهذا النوع من الهداية تكوينية، وتخصّ الجمادات والنباتات والإنسان وجميع أصناف الحيوان في تكوينها.

ب ـ الهداية الإلهاميّة:

ومن أمثلتها ما أخبر الله عنها بقوله تعالىٰ:

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً... ﴾. (النّحل/ ٦٨، ٦٩)

هذا النوع من الهداية يسمّىٰ في عُرف الناس بالغريزة، وهو يخصّ

الحيوانات، فإنّ النّحل بهداية الله الغريزية إيّاه، يبني خلايا سداسيّة لسكناه ويجرس نور الأشجار للتعسيل.

ج ـ الهداية بواسطة الوحي:

قال ـ سبحانه وتعالىٰ ـ:

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ... رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾. (النّساء / ١٦٣ ـ ١٦٥)

﴿شَرَعَ لَكُم مِنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحاً وَٱلَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا ٱلدِّينَ﴾ (الشورىٰ / ١٣)

وهذا النوع من الهداية يخصّ الإنسان، قال سبحانه:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنيفاً فِطْرَةَ ٱللهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللهِ ذٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾. (الروم / ٣٠)

شرع له الدِّين بعد أنّ هيّأه بين جميع الخلق[1]، لتلقي هذا النوع من الهداية بوسيلتين لنقل الأفكار: التكلم والكتابة كالآتي بيانه:

أ ـ التكلّم، وعبّر عنه القرآن بـ(البيان) في قوله تعالىٰ:

﴿خَلَقَ ٱلْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾. (الرّحمٰن / ٣، ٤)

ب ـ الكتابة: وقال سبحانه:

﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ * ٱلَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾. (العلق / ٣، ٤)

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي ٣ / ٢٣.

د ـ الهداية التعليمية للملائكة:

كما حكى الله سبحانه قول الملائكة له: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾. (البقرة / ٣٢)

وبحثنا هنا يخصّ الهداية بواسطة الوحي، وبناءً علىٰ ما بيّناه فإنّ الخلق والإنشاء وما يتبعهما من صفات الألوهيّة والهداية وما يتبعها من صفات الربوبية، مثل إرسال الرسل وتشريع الدين وإثابة المطيعين وعقاب العاصين وقبول توبة العاصين وما شابهها إلى الأمم.

ومن ثمّ يرد في القرآن لفظ: (الإلٰه) مع ذكر أمر الخلق والإنشاء، ولفظ (الربّ) مع ذكر التشريع وإرسال الرسل وما يتبعها. ولمّا كان لفظ (الله) اسماً للذات المستجمع لجميع الأسماء الحسنىٰ، فإنّ الله: هو الربّ وهو الإلٰه وهو الحيّ وهو القيوم و... ومن ثمّ يرد اسم (الله) في مكان كلّ اسم من أسمائه الحسنىٰ.



بعد إيراد المقدّمة الآنفة نتقدّم إلىٰ رحاب القرآن الكريم، لندرس فيه حكمة ذكر كلّ اسم من أسماء الله في المورد الّذي جاء فيه من أوّل الآية أو السورة أو في آخرها، ثمّ نرىٰ كيف لا يصحّ تبديله باسم آخر من أسماء الله في ذلك المورد كما ذكرته الروايات السابقة.

أ ـ سورة الأعلىٰ:

استفتح ـ جلّ اسمه ـ سورة الأعلىٰ بعد البسملة بقوله:

﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ثمّ سلسل ذكر ما يتّصل بصفات الربوبيّة إلىٰ آخر السورة وقال:

﴿سَنُقْرِئُكَ ـ القرآن ـ فَلَا تَنسَىٰ ... فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ... قَدْ أَفْلَحَ مَن

تَزَكَّىٰ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ ـ صفات الربوبية ـ فَصَلَّىٰ ... إِنَّ هٰذَا ـ البيان ـ لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾.

وإنّ صحف الأنبياء الأُولىٰ كانت تدعو إلىٰ قبول ربوبيّة الربّ والإهتداء بأوامره كما يدعو إليه القرآن.

هكذا نرىٰ آيات السورة إلىٰ آخرها ذات وحدة منسجمة في معنى الربوبيّة، وذات وزن واحد في اللفظ، ويفسدهما جميعاً تبديل آخر الآية الأُولىٰ منها ـ مثلاً ـ بلفظ (سبّح اسم السميع العليم) أو (ربّك السميع العليم) أو (الغفور الرحيم) بدلاً من (اسم ربّك الأعلىٰ).

وكذلك يفسد الوزن والمعنىٰ تبديل (ربّك) في آخر الآية الأخيرة منها بأيّ اسم من أسماء الله تقدست أسماؤه.

ب ـ سورة العلق:

كذلك شأن أوّل سورة أنزلها الله علىٰ رسوله (ص) فقد استفتحها بعد البسملة بـ ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾، ثمّ سلسل ذكر صفات الربوبيّة ببيان تعليمه الإنسان وهدايته بوسيلة القلم، وأخبر في آخرها أنّ مرجع الخلق إلى الربّ.

في هذه السورة ـ أيضاً ـ يفسد الوزن والمعنىٰ تبديل لفظ الرّبّ في ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ في الآية الأُولىٰ بأيّ اسم آخر من أسماء الله الحسنىٰ، وكذلك يفسدهما تبديل لفظ الربّ في الآية الأخيرة: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰ﴾ بأيّ اسم آخر من أسماء الله ـ تعالىٰ ـ، كما زعمت الروايات جواز ذلك في آخر الآيات.

ج ـ سورة الفاتحة:

افتتح سورة فاتحة الكتاب بعد البسملة بـ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ ثمّ ذكر من صفات الربوبيّة موجزاً: رحمته للعالمين في الدُّنيا بتربيته للعالمين، كما

مضىٰ شرحها. ومن ضمن العالمين الإنسان، وأنّه رحيم بالمؤمنين يوم الدين بما يثيبهم علىٰ قبولهم الهداية، وأنّ الربّ هو المالك ليوم الدين.

ثمّ يوجهنا إلىٰ خطاب الربّ، وأن نقول له: إنّا نعبده وحده عبادة طاعة وخضوع، ونستعينه لذلك، ونطلب منه أن يأخذ بأيدينا في السير علىٰ طريق الهداية بعد أن هدانا طريق الهداية بمقتضىٰ ربوبيته، ذلك الصراط الّذي أنعم بسلوكه علىٰ عباده المخلصين غير صراط اليهود المغضوب عليهم ولا النصارى الضّالّين.

إنّ مجموع آيات السورة بيان لصفات ربّ العالمين، كما أنّ أكثر آيات القرآن شرح لهذه السورة.

وفي السورة براعة استهلال[1] لما جاء في كتاب الله بعده. وإنّ أكثر آيات السورة ـ كما ترىٰ ـ وحدة منسجمة تبين معنىٰ ربّ العالمين، ويخلّ بالوزن والمعنىٰ أن نغيّر آخر الآية الأُولىٰ، ونقول: (الحمدُ لله السميع العليم) ـ مثلاً ـ أو (الغفور الرحيم) كما زعمت تلكم الروايات.

وإنّ التدبّر في سورة الشعراء يشخّص لنا موارد استعمال الربّ من أسماء الله ـ سبحانه ـ.

وبالتدبّر في مجموع الآيات والسور اللاتي جاء فيها لفظ الربّ ندرك أنّ من صفات الربّ في القرآن الكريم:

أ ـ الهداية التسخيريّة للجمادات والنباتات.

ب ـ الهداية الغريزيّة للحيوانات.

---

(١) براعة الإستهلال في الشعر والنثر: هو أن يبدأ الشاعر أو الخطيب بمطلع يشدّ السامع إلىٰ قصيدته أو خطبته ـ ما يبغيه ـ ويختمه ـ أيضاً ـ بما يلتقي والموقف.

ج ـ الهداية التشريعية بوسيلة الوحي إلى الأنبياء، ومنهم بالتعليم بوسيلتي البيان والقلم للإنسان[1].

د ـ الهداية التعليمية للملائكة.

ومن صفات الربّ إرسال الرسل وإنزال الكتب وتشريع الشرائع وإنشاء الأوامر التكوينيّة والتشريعيّة والنواهي التشريعيّة.

وكلّ ما ذكرناه إلىٰ هنا من صفات الربّ من مصاديق رحمة الربّ للعالمين أجمعين في الدُّنيا، أي: (الرّحمٰن).

ومن لوازم هذه الصفات إثابة المطيعين وعقاب العاصين في الدُّنيا وفي يوم الدين، وقبول التوبة والمغفرة للتائبين المستغفرين.

وبناءً علىٰ ما ذكرنا يرد في القرآن من أسماء الله لفظ الربّ خاصّة في كلّ تلك الموارد، سواء أكان المورد في أوّل السورة والآية أم في آخرهما، وسواء جاءت موجزة أم مفصلة، ولا يصحّ تبديل اسم الربّ في تلكم الموارد بأيّ اسم آخر من أسماء الله كـ (الأحد الصمد) ـ مثلاً ـ أو (الحيّ العزيز)، وسواء أكان في الآية والسورة ذكر رحمة أم عذاب، إلّا في المورد الّذي تضمن مع ذكر صفة أُخرىٰ من صفات الله فيرد اسم تلك الصفة، وقد جاء ذلك نادراً في القرآن ممّا يفهمه الباحث اللبيب بالتدبّر.

* * *

شرحنا معنىٰ (الربّ) من أسماء الله بشيء من التفصيل، ليكون مثلاً لمعرفة ما في أسماء الله من دلالات علىٰ صفاته تبارك وتعالىٰ.

---

(١) إنّ الجنّ يشاركون الإنسان في الإهتداء بالأنبياء، كما يعرف ذلك من سورة الجنّ والأحقاف، ولكنّا لا نعلم عن كيفية تدينهم شيئاً.

وبذلك يتيسر معرفة بطلان محتويات الروايات اللّاتي نسبت إلىٰ رسول الله (ص) أنّه قال: يصحّ تبديل أسماء الله الواردة في آخر الآيات بغيرها ما لم تختم آية رحمة أو آية عذاب بما يناقضها، حاشا رسول الله (ص) من هذا القول.

فقد عرفنا أنّه يفسد المعنىٰ تبديل أيّ اسم من أسماء الله جاء في مورد ما من القرآن الكريم.

وقد يفسد المعنىٰ والوزن جميعاً.

وبملاحظة ما ذكره الباحثون بالكامبيوتر عمّا وجدوا من توازن في ألفاظ القرآن الكريم، نجد الأمر في شأن ما جاء من الألفاظ في القرآن الكريم أعظم ممّا ذكرناه بكثير، كما سنشير إلىٰ شيء منه في ما يأتي بإذن الله تعالىٰ:

توازن الألفاظ في القرآن الكريم

جاء ذكر كلّ من مادّة: الدُّنيا والآخرة ١١٥ مرّة.

جاء ذكر كلّ من مادّة: الملائكة والشياطين ٨٨ مرّة.

جاء ذكر كلّ من مادّة: الحياة والموت للخلق ١٤٥ مرّة.

جاء ذكر كلّ من مادّة: حيّاً ـ ميّتاً ٥ مرّات.

جاء ذكر كلّ من مادّة: السيِّئات والصّالحات ١٨٠ مرّة.

جاء ذكر كلّ من مادّة: النفع والفساد ٥٠ مرّة.

جاء ذكر كلّ من مادّة: النفع والضرر ١٠ مرّات.

جاء ذكر كلّ من مادّة: النّاس والإنسان مع الرسل ٣٦٨ مرّة.

جاء ذكر كلّ من مادّة: الصبر والشدّة ١٠٣ مرّات.

جاء ذكر كلّ من مادّة: الهدىٰ والرحمة ٧٩ مرّة.

جاء ذكر كلّ من مادّة: العقل والنور ٤٩ مرّة.

جاء ذكر كلّ من مادّة: البعث والصراط ٤٥ مرّة.

جاء ذكر كلّ من مادّة: المحبّة والطاعة ٨٣ مرّة.

جاء ذكر كلّ من مادّة: الشريعة وروح القدس ومحمّد (ص) والملكوت ٤ مرّات.

جاء ذكر كلّ من مادّة: (أسباط موسىٰ) و (حواريّي عيسىٰ) ٥ مرّات.

وجاء لفظ (الجزاء) ١١٧ مرّة، وجاء لفظ (المغفرة) ثلاثة أضعافه (٣٥١) مرّة.

وجاء لفظ (العسر) ١٢ مرّة، وجاء لفظ (اليسر) ثلاثة أضعافه ٣٦ مرّة.

وجاء لفظ (الشهر) ١٢ مرّة بعدد شهور السنة، ولفظة (اليوم) ٣٦٥ مرّة بعدد أيام السنة[1].

* * *

هذا بعض ما وجدناه من توازن الكلمات القرآنية عند العلماء الّذين أحصوا ألفاظ القرآن في الحاسبات الالكترونية ثمّ راجعنا بشأنها معجم ألفاظ القرآن الكريم، فوجدناها موافقة للاحصاء الّذي جاء منها في المعجم. ونستنتج من هذا الإستقراء وجود توازن في الكلمة القرآنية مع نظيرها ومع ضدّها ونقيضها في جميع القرآن بحيث لا يمكن تبديل أيّة كلمة منها بغيرها في أي مكان من القرآن، ولعلّ ذلك من مصاديق قوله تعالىٰ:

﴿اللهُ ٱلَّذِي أَنزَلَ ٱلْكِتَابَ بِالحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ﴾. (الشورىٰ / ١٧)

ومثال الموازنة في الكلمات القرآنية كالموازنة في أعضاء جسد الإنسان.

---

(١) وقد طابق الإحصاء ما جاء من الموارد المذكورة في المتن مع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

وكما أنّه لا يمكن نقْل عضو من أعضاء الإنسان من مكانه إلىٰ مكان عضو آخر، مثل نقل العينين من مكانهما إلىٰ مكان الأذنين، والأُذنين إلىٰ مكان العينين، فإنّه بالإضافة إلىٰ زوال جمال الوجه وحصول قبح المنظر، تزول الحكمة البالغة في الخلق، فإنّ الإنسان علىٰ هذا الإفتراض يصبح كالأعمىٰ لا يبصر طريقه في السير إلى الأمام، ويستطيع السير إلىٰ الجانبين اليمين واليسار، لأنّه يبصرهما، غير أنّ قدميه خلقتا للسير إلى الأمام وليس إلى الجانبين.

إذاً فهناك توازن بين العينين والقدمين في الخلقة.

وكذلك الشأن في جميع أعضاء الإنسان وأصناف الحيوان، وكذلك الشأن في جميع الكلمات في القرآن لا يمكن أن نبدّل كلمة منها بكلمة أُخرىٰ. ولو أمكن تبديل (عزيز حكيم) مثلاً بـ (سميع عليم) أو (غفور رحيم) وبالعكس لأمكن الإتيان بمثل القرآن، ﴿لَا يأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ و ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ حين رووا جواز ذلك عن رسول الله (ص).



كان كل ما رووه وأجبنا عنه يبرهن علىٰ عدم وجود المترادف في لغة العرب.

وهذا القول مشهور عند علماء لغة العرب كما نبيّنه في ما يأتي بإذنه تعالىٰ.

اشتهار عدم وجود المترادف في اللّغة:

وما ذكرناه من عدم وجود المترادف في لغة العرب لا ينحصر القول به بل هو ثابت عند كل ملم بمفردات اللّغة، وكذلك لكل باحث متدبِّر في القرآن الكريم.

وقاله علماء اللّغة العربيّة في كتب فروق اللّغة مثل:

أبي هلال العسكري (كان حيّاً سنة ٣٩٥ هـ) في كتابه: الفروق اللّغوية،

الّذي ذكر الفروق بين معاني:

السؤال والإستخبار والإستفهام.

والمستقيم والصحيح والصواب.

واللحن والخطاء والخطأ.

والعلم والمعرفة والإدراك والوجدان[1].

والزركشي (ت: ٧٩٤ هـ) في كتابه: البرهان في علوم القرآن، الّذي قال: (قاعدة يظنّ بها الترادف وليست منه) وذكر من مصاديقه في القرآن الكريم:

أ ـ الخوف والخشية.

ب ـ البخل والضَّن.

ج ـ السبيل والطريق.

د ـ جاء وأتىٰ.

هـ ـ فعل وعمل.

و ـ قعد وجلس.

ز ـ كمل وتمّ. وغيرها. وذكر الفروق بين معانيها[2].

ولمّا كنّا نحن قد تعلّمنا ما ذكرناه من الفروق بين معاني الكلمات، الّتي جاءت في بحث من محاورات العرب في عصر الرسول (ص) ومن القرآن الكريم، فليس لنا مع ذلك أن نصدّق أنّ الرسول (ص) وهو أفصح من نطق بالضاد وأصحابه مثل: عمر وعمرو بن العاص وأُبيّ بن كعب وعبدالله بن مسعود وأبي

---

(١) الفروق اللّغوية، الباب الثاني، فصل: ومن قبيل الكلام السؤال، وفصل: وممّا يوصف به الكلام المستقيم، والباب الرابع، فصل: في الفروق بين أقسام العلوم، وفصل: وممّا يجري مع ذلك وليس من الباب.

(٢) البرهان في علوم القرآن ١ / ٧٨ ـ ٨٦.

هريرة وأبي جهيم الأنصاري وأُمّ أيّوب قد صدرت عنهم تلك الروايات، ولو أنّ تلك الروايات كانت قد رويت عن واحد منهم أو اثنين لجاز لنا أن نقول ـ مثلاً ـ قد تحدّث الصحابي بما تحدّث به أو تحدّثا بما تحدّثا به عن غفلة ودون انتباه لما يجري في محاوراتهم، امّا أن يكون الجميع قد غفلوا عمّا يجري في محاوراتهم وفي ما يتلونه من آيات القرآن الكريم، وتحدّثوا بتلك الروايات فانّنا لا نستطيع أن نصدِّق ذلك! بل نقول: إنّ شأن تلكم الروايات شأن الروايات الّتي بحثنا عن منشئِها ورواتها في البحوث السابقة، وأنّها رويت عن رسول الله وعن أصحابه دون أن يتحدّثوا بها، وركّب عليها أسانيد إلى الصحابة مقبولة لدى المحدّثين، ثمّ دُسّت في أحاديث الصحابة.

وإنّ كل ذلك قد فعل بعدما يقارب نصف قرن من عصر الصحابة وفي أُخريات العصر الأموي، ثمّ دوّنت في كتب الحديث في عصر تدوين الحديث كما سندرسه في ما يأتي من البحوث إن شاء الله تعالىٰ.

ولعظيم ما في تلكم الروايات من الإفتراء على الله جلّ اسمه ورسوله (ص) وكتابه الكريم وصحابة رسوله (ص) بقيت مدّة من الزمن في حيرةٍ من أمري عمّا ينبغي لي أن أقِفَهُ مِن تلكم الروايات، كما سأذكره في ما يأتي.

حيرتي في العمل مع الروايات الآنفة:

تركت بادئ ذي بدء ذكر روايات السبعة أحرف لما كنت أجد نفسي بين أمرين أحلاهما مرّ:

أ ـ هل أُورد الروايات ولا أُفنّدها، فأكون عندئذ كالباحث عن حتفه بظلفه في تنبيهي خصوم الإسلام عليها فانّهم لابدّ أن يستدلوا بها في الطعن بثبوت النصّ القرآني.

ب ـ أُورد تلكم الروايات، ثمّ أقوم بتفنيدها وهي عشرات من الروايات

المتواترة الثابتة في كتب الصحاح والسنن والمسانيد والمتسالَم علىٰ صحّتها في مدرسة الخلفاء منذ أكثر من ألف سنة!

وعندئذ كيف يتلقّىٰ ذلك منّي إخواني المسلمون الّذين يعتقدون بصحّة كل ما جاء في الصحاح وخاصّة في صحيحي البخاري ومسلم، فإنّهم يرمون مَن شكّ في صحّة بعض أحاديثها بالمروق عن الدّين والقيام بالطعن بسنّة سيّد المرسلين (ص) ولا يقبلون القول بلزوم تمحيص الأحاديث المرويّة فيها وقبول ما أثبت البحث صحَّتَهُ وترك ما عداه.

من أجل ذلك كلّه تركت أوّلاً إيراد روايات الأحرف السبعة وما شابهها من الروايات، لأنّي وجدتُ الشيخ النوري أشار إليها إشارة عابرة وترك إحسان إلٰهي ظهير الإجابة عنها، ولذلك لم أر من الحكمة ذكرها وإثارتها، حتّىٰ إذا بلغت آخر هذا الجزء من الكتاب وراجعت مؤلّفات المستشرقين لدراستها وتبيان مواطن الضعف فيها وجدتهم قد سبقوني إلىٰ إيراد كل تلك الروايات، وانّهم استفادوا منها للطعن بثبوت النصّ القرآني، عندئذ اضطررت إلى العودة إلىٰ جميع تلك الروايات وإيرادها ومناقشتها، وعقدت هذا الفصل لدراسة روايات الأحرف السبعة، وأضفت كثيراً من الروايات إلى البحوث السابقة.

وعندما أنهيت دراسة روايات السبعة أحرف كما مضت راجعت كتب الحديث بمدرسة أهل البيت (ع)، فوجدت الجواب الكافي عنها عند أئمّة أهل البيت في جملتين قصيرتين يكاد هذا البحث الطويل أن يكون شرحاً لهما، وسنوردهما بعد توجيه السؤال الآتي إلى العلماء بمدرسة الخلفاء:

إنّ الروايات الآنفة تدلّ علىٰ عدم ثبوت النصّ القرآني، فهل يرى العلماء انّ تلكم الروايات صحيحة ومصونة عن الخطأ والنسيان والزيادة والنقصان وانّ النص القرآني غير مصون عن ذلك كما تدل عليه تلكم الروايات!!! أضف إليه أنّ الرواة بمدرسة الخلفاء رووا وقالوا: انّ رسول الله (ص) نسي آيات وسوراً

من القرآن الكريم كما مرّ بنا في ما سبق.

وقالوا: انّ رسول الله عندما كان يتلو في بيت الله من سورة النجم ﴿... ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ * وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰ﴾ وضع الشيطان علىٰ لسانه: (تلك الغرانيق العلىٰ منها الشفاعة تُرتجىٰ) فتلاها خطأ، كما سندرسها في الباب الثاني إن شاء الله تعالىٰ.

ومع ذلك فهل يسمح لنا علماء مدرسة الخلفاء أن نقول: إنّ الرواة بمدرسة الخلفاء عندما كانوا يروون حديث الرسول (ص) ويؤلّفون، دسّت الزنادقة في رواياتهم أمثال روايات السبعة أحرف، فرواها مشايخ الحديث خطأ، أو لا يسمحون لنا بذلك ويقولون بعصمة رواة الحديث وعصمة كتب الحديث في حين أنّهم لم يقولوا ذلك في كتاب الله وفي رسول الله (ص)؟!

أمّا أئمّة أهل البيت (ع)، فقد قالوا في شأن تلك الروايات ما يأتي:

قول أئمّة أهل البيت في روايات السبعة أحرف:

في الكافي عن الفضيل بن يسار، أنّه قال:

قلتُ لأبي عبدالله ـ الصادق ـ (ع):

إنّ النّاس يقولون: إنّ القرآن نزل علىٰ سبعة أحرف!

فقال: كذبوا أعداء الله! ولكنّه نزل علىٰ حرف واحد من عند الواحد.

وشخّص والده ـ أبو جعفر ـ الإمام الباقر ـ وصيّ رسول الله (ص) الخامس ـ مصدر البلاء، وقال (ع): إنّ القرآن واحد، نزل من عند واحد ولكنّ الإختلاف يجيء من قبل الرواة[1].

---

(١) أُصول الكافي ٢ / ٦٣٠، الحديث ١٢ و ١٣.

دراسة روايتي الإمامين:

أوّلاً ـ برهنّا في ما سبق علىٰ أنّ القرآن واحد ولا يجوز قراءته علىٰ سبعة أحرف وقال كلا الإمامين ذلك في سطر واحد وتكاد الستون صفحة من بحـثنا تكون شرحاً لقولها.

ثانياً ـ لم يقل الإمام محمّد الباقر: الإختلاف يجيء من قبل الصحابة، بينا كل الروايات مرويّة عنهم، بل قال: من قبل الرواة وبذلك نزّه الصحابة عن تقوّل تلكم الأقوال.

ونفهم من قوله هذا انّ الصحابة افتري عليهم رواية تلكم الروايات.

وكان ذلك ما توصّلنا إليه في بحثنا الطويل.

ثالثاً ـ قال ابنه الإمام جعفر الصادق: كذبوا أعداء الله.

ونستنبط من قوله هذا أنّه كان يرى القائلين أعـداء الله، وليسـوا من المسلمين.

ويصدق هذا القول على الزنادقة.

* * *

وأخيراً فانّ أمثال الروايات السـابقة أدّت إلى اختلاق آلاف القـراءات المختلفة للقرآن الواحد كما سندرسها بإذنه تعالىٰ في البحث الآتي:

البحث السادس

القراءات المختلقة وقرّاؤها

١ ـ ما روي عن الصحابة في تفسير القرآن وظُنَّ أنّها قراءة أُخرىٰ للنص القرآني.

٢ ـ ما روي من اجتهادات الصحابة في تبديل النصّ القرآني بألفاظ استحسنوها.

٣ ـ أثر روايات مختلقة في جواز تبديل النص القرآني بغيره.

٤ ـ أخطاء في رسم خط المصاحف العثمانية.

٥ ـ قياس النص القرآني بقواعد اللّغة العربية.

٦ ـ اجتهاد القرّاء وتبديلهم النصّ القرآني بغيره استناداً إلىٰ ما سبق ذكره.

قال الشيخ النوري في كتابه «فصل الخطاب»:

(الدليل العاشر: اثبات اختلاف القرّاء في الحروف والكلمات وغيرها).

ونقول: ذكرنا في بحث المصطلحات من الجزء الأوّل من هذا الكتاب أنّه جاء في اللّغة:

قرأ الكتاب قراءة وقرآناً: تتبع كلماته نظراً ونطق بها.

وفي المصطلح الإسلامي: القارئ وجمعه القرّاء من تعلّم تلاوة لفظ القرآن مع تعلّم معانية، والمقرئ من امتهن من القرّاء تعليم لفظ القرآن مع تعليم معناه.

كان ذلكم معنى القراءة والإقراء في عصر الرسول (ص).

واتّضح ممّا ذكرنا انّ للفظ: (اَقرأ) و(نُقرئ) و(اِقرأ) وسائر مشتقاتها في المصطلح الإسلامي (معنىٰ له جزءان) وان شئت فقل: (له معنيان)، قال الراغب في أمثاله: (كل اسم موضوع لمعنيين معاً يطلق علىٰ كل واحد منهما إذا انفرد، كالمائدة للخوان وللطعام، ثمّ قد يسمّىٰ كل واحد منهما بإنفراده به).

وقال:

(القرء في الحقيقة اسم للدخول في الحيض عن طهر، ولما كان اسماً جامعاً للأمرين: الطهر والحيض المتعقب له أُطلق علىٰ كل واحد منهما)[1].

(١) مادّة (قرأ) من مفردات القرآن للراغب.

ولمّا كانت مادّة الإقراء بمعنىٰ تعليم لفظ القرآن وتعليم معناه استعملت في عصر الرسول (ص) في المعنيين معاً، واستعملت في عصر الصحابة أحياناً في أحد المعنيين كما فصلنا في ذلك في بحث المصطلحات.

ثمّ تغيّر معنى القراءة والإقراء في مصطلح المسلمين بعد عصر الصحابة حتّى اليوم.

تبدل معنىٰ أقرأ والقارئ بعد عصر الصحابة من تعلم تلاوة النصّ القرآني وتعلّم معناه إلىٰ تعلّم تبديل النص القرآني بلغات القبائل العربية.

وكان سبب هذا التغيير أنّ السلطة الحاكمة منذ عصر معاوية إلىٰ آخر عهد الخلافة الأموية في الشام ـ عدا عمر بن عبدالعزيز ـ عمدت في جميع البلاد الإسلامية إلىٰ إحياء التراث العربي الجاهلي وآدابه لغة وشعراً وتاريخه حسباً ونسباً وكان العصر عصر الترف العقلي، فتسابق المحققون في جمع أشعار العرب ودراسة لغاتها وأحسابها وأنسابها.

وظهر كذلك بعد عصر الصحابة نشاط الزنادقة المحموم في تخريب السنّة النبويّة سيرةً وحديثاً، وكان من أنواع نشاطهم وضع روايات في جواز تبديل النصّ القرآني افتروا فيها على الله ووحيه ورسوله وصحابته واختلقوا لتلك الروايات أسانيد ودسوها في مصادر الدراسات الإسلامية في عصر التأليف.

ومن كلا النشاطين تكوّن علم تبديل لغة القرآن بلغات القبائل العربية، وتسابق المتخصّصون بلغات القبائل العربية في ذلك، ونبغ فيهم رجال أخذوا يبدّلون النصّ القرآني بما تعلّموه من لغات العرب المختلفة.

وهكذا تكوّنت القراءات المختلفة للقرآن الواحد، وسمّوا عملهم بعلم القراءة، ونشروا علمهم المختلق في البلاد الإسلامية كافّة، وسمّوا من تعلّمه بالقارئ ومن يعلّمه بالمقرئ.

واشتهر في أوائل القرن الثاني الهجري مصطلح المسلمين أي: القراءة بمعنىٰ تعلّم تبديل النصّ القرآني بلغات العرب بدلاً من المصطلح الإسلامي: القراءة بمعنىٰ تعلّم النصّ القرآني وتعلّم معانيه، ونسي المصطلح الإسلامي، وبعد ذلك فسّر خطأً ما جاء من مادّة (القراءة) في الكتاب والسنّة ومحاورات الصحابة بالمعنى المصطلح عند المسلمين (القراءة) بمعنىٰ تبديل النصّ القرآني بلغات العرب، بينا ينبغي أن نفسّر ما جاء من مادّة (القراءة) في الكتاب والسنّة ومحاورات الصحابة ومحاورات المسلمين في عصر الصحابة بمعنى المصطلح الإسلامي، وما جاء منها في المحاورات منذ القرن الثاني الهجري في ما عدا ما جاء منها في أحاديث أئمّة أهل البيت (ع) نفسّرها بمعنىٰ مصطلح المسلمين، كما سنشرحها في آخر هذا البحث بحوله تعالىٰ.

منشأ القراءات المختلفة للقرآن الواحد:

نشرت ولله الحمد والمنّة بحوثي في سبيل تمحيص سنّة الرسول (ص) وكيفية اختلاق صحابة للرسول (ص) في مجلّدي «خمسون ومائة صحابي مختلق»، وفي ما يأتي من هذا البحث نكشف بحوله ـ تعالىٰ ـ عن كيفية انتشار آلاف القراءات المختلقة بين المسلمين الّتي افتري بها علىٰ كلام الله، وحرّف بها كتاب الله العظيم مع بيان منشئها إن شاء الله تعالىٰ.

منشأ القراءات المختلفة:

تولدت القراءات المختلفة للقرآن الواحد ونشأت ثمّ تكاثرت وازداد عددها بسبب العوامل الستّة الآتية:

أ ـ ما روي عن الصحابة في تفسير القرآن وظُنَّ أنّها قراءة أُخرىٰ للنص القرآني.

ب ـ ما روي من اجتهادات الصحابة في تبديل النصّ القرآني بألفـاظ استحسنوها.

ج ـ أثر روايات مختلقة في جواز تبديل النصّ القرآني بغيره.

د ـ أخطاء في رسم خط المصاحف العثمانية.

هـ ـ قياس النصّ القرآني بقواعد اللّغة العربية.

و ـ اجتهادات القرّاء في تبديل النصّ القرآني بغيره استناداً إلىٰ:

١ ـ ما روي عن الصحابة من روايات واجتهادات.

٢ ـ ما يوافق قواعد اللّغة العربية.

٣ ـ ما يوافق بعض اللّغات العربية من غير قريش.

أوّلاً ـ ما روي عن الصحابة في تفسير القرآن وظُنّ أنّها قراءة أُخرىٰ للنصّ القرآني:

مرّ بنا في بحث اختلاف المصاحف أنّ كلّاً من أُمّ المؤمنين عائشة وأُمّ المؤمنين حفصة أمرتا الكاتب الّذي كتب لهما المصحف إذا بلغ في كتابته قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّلَاةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ أن يؤذنهما فلمّا بلغها وآذنهما أمرتاه أن يكتب بعدها (وصلاة العصر)، انّهما لم تقصدا من ذلك أنّ (وصلاة العصر) جزء من الآية وإنّما أرادتا وصلاة العصر تفسير (للصلاة الوسطىٰ)، ومن هذا القبيل ما جاء:

أ ـ في تفسير الطبري بسنده عن حبيب بن ثابت قال: أعطاني ابن عباس مصحفاً فقال: هذا علىٰ قراءة أُبيّ قال: وفيه فما استمتعتم به منهنّ ـ إلىٰ أجل مُسمّىٰ ـ[1].

ب ـ في تفسير السيوطي بسنده عن ابن مسعود قال: كنّا نقرأ علىٰ عهد رسول الله (ص) (يا أيُّها الرسول بلّغ ما أُنزل إليك من ربّك ـ إنّ عليّاً مولى المؤمنين ـ وان لم تفعل فما بلّغت رسالته...)[2].

وكما أنّ أُمّ المؤمنين عائشة وأُمّ المؤمنين حفصة لم تقصدا أنّ «وصلاة العصر» جزء من الآية وإنّما قصدتا انّها تفسير للصلاة الوسطىٰ كذلك شأن كل ما روي من هذا القبيل.

---

(١) بتفسير الآية في تفسير الطبري ٥ / ٩.

(٢) بتفسير الآية في الدرّ المنثور للسيوطي ٢ / ٢٩٨.

وأمّا ما روي من تعبير الصحابة في أمثالها أنّهم كانوا يقولون في قـراءة (ابن مسعود) أو (أُبيّ بن كعب) أو غيرهما فقد مرّ بنا أنّ (القراءة والإقراء) كان في عصرهم بادئ ذي بدء بمعنىٰ تعليم لفظ القرآن ومعناه، وأخيراً اسـتعمل في عصر الصحابة خاصّة في جزء معناه وهو تعليم المعنىٰ فحسب، إذاً يكون معنىٰ قولهم في قراءة فلان أي ما كان يفسِّر الكلمة وهكذا فسّر الكلمة.

ثانياً ـ ما روي من اجتهادات الصحابة في تبديل النصّ القرآني بألفاظ استحسنوها

أ ـ ما روي عن الصحابة في تبديل النصّ القرآني حسب اجتهادهم:

قال السيوطي بتفسير: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا﴾:

أخرج عبدالرزّاق وسعيد بن منصور وأبو داود في ناسخه وابنه في المصاحف والنّسائي وابن جرير وابن منذر وابن أبي حاتم والحاكم، وصحّحه عن سعد ابن أبي وقّاص، أنّه قرأ: (ما ننسخ من آية أو ننساها)، فقيل: له إنّ سعيد بن المسيب يقرأ: نُنْسِها، فقال سعد: إنّ القرآن لم ينزل على المسيب ولا على آل المسيب، قال الله: ﴿سَنقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَىٰ﴾، ﴿وَٱذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾.

وعرفنا من آخر الحديث أنّ منشأ هذا الإجتهاد المنسوب إلى الصحابي في تحريف كلمة (نُنْسِها) إلىٰ (ننساها) مجيء (تنسىٰ) و(نسيت) في مكانين آخرين من القرآن وقياس هذا المورد علىٰ ذينك الموردين.

وروى السيوطي ـ أيضاً ـ بسنده، أنّ في قراءة أُبيّ: (ما ننسخ من آية أو نُنْسِكَ)، وأنّ في قراءة ابن مسعود: (ما نُنْسِكَ من آية ننسخها)[1].

وروى القرطبي عن ابن عباس أنّه قرأها (أو نُنْسها) بضمّ النون[2].

---

(١) القراءات الثلاث في تفسير الآية بتفسير الدرّ المنثور ١ / ١٠٤ ـ ١٠٥. وتفسير الطبري ١ / ٣٧٩. وقراءة سعد خاصّة في المصاحف لابن أبي داود، ص ٩٦.

(٢) بتفسير القرطبي ٢ / ٦٨.

وروى الطبري عن عبيد بن عمير الليثي أنّه قرأها (أو ننساها)[1].

* * *

وجدنا في المثال السابق كيف رووا اختلاف الصحابة في قراءة الآية اعتماداً على اجتهادهم وليس اعتماداً علىٰ ما سمعوه من رسول الله (ص)، كما رووا ذلك عن سعد بن أبي وقّاص.

ب ـ اجتهادات الصحابة في تبديل النصّ القرآني ليوافق المألوف من لغتهم:

رووا أنّه اجتهد كلّ من أُمّ المؤمنين عائشة والخليفة عثمان، فقالا في ﴿إِنْ هٰذانِ لَسَاحِرَانِ﴾: (إنّ هٰذين لَساحران)، وتبعهم علىٰ ذلك الحسن وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعي وغيرهم من التابعين، ومن القرّاء عيسىٰ بن عمرو وعاصم وغيرهما من العلماء.

ورووا أنّ أبان بن عثمان قال: قرأت هذه الآية عند أبي عثمان بن عفان، فقال لحن وخطأ.

فقال قائل: ألا تُغيِّروه؟

فقال عثمان: دعوه، فإنّه لا يحرِّم حلالاً ولا يحلِّل حراماً[2].

وقال القرطبي: (وهذه القراءة موافقة للإعراب مخالفة للمصحف). وروىٰ عن ابن مسعود قراءتين:

أ ـ (إنْ هٰذان إلّا ساحران).

ب ـ (إنّ هٰذان ساحران)!!

---

(١) تفسير الطبري ١ / ٣٨٠؛ والدرّ المنثور ١ / ١٠٥.

وعبيد بن عمير الليثي كان قاصّ أهل مكّة، عدّه ابن الأثير في أُسد الغابة ٣ / ٥٤٥.

(٢) تفسير القرطبي ١١ / ٢١٦.

وروىٰ عن الصحابي أُبيّ: (إنّ ذان إلّا ساحران).

وعن جماعة من العلماء والقرّاء: (إنْ هٰذان لساحران).

وقال: وهذه القراءة سلمت من مخالفة المصحف ومن فساد الإعراب، ويكون معناها: ما هٰذان إلّا ساحران.

قال المؤلّف: وحاول بعض العلماء أن يجد مسوّغاً لمخالفة هذه الآية كلام العرب، فوجد ضالته المنشودة في لغة بني الحرث بن كعب وزبيد وخثعم، فاطمأنوا لما وجدوا في كلام القبائل العربية ما يقيسون عليه كلام الله جلّ آسمه[1].

ونجد نظير هذه المحاولات كثيراً في كتب التفسير والقراءات، وسوف ندرسها بعد دراسة الحكمة في الإلتزام بقواعد اللّغة العربية إذ لا يصحّ في الكلام غير الموزون مخالفتها، أمّا الكلام الموزون فله قواعد خاصّة به نذكرها في ما يأتي إن شاء الله تعالىٰ.

---

(١) رجعنا في جميع ما ذكرناه إلى تفسير القرطبي ١١ / ٢١٦.

ثالثاً ـ أثر روايات مختلقة في جواز تبديل النصّ القرآني بغيره:

من أهمّ العوامل في اختلاق القراءات المختلفة ما رووا في روايات متواترة موصوفة بالصحّة انّ الرسول(ص) أقرأ الورة الواحدة لأصحابه بألفاظ مختلفة، فتمارىٰ كل منهم في قراءة الآخر، وقال الرسول (ص) في جواب اعتراضهم إنّ القرآن نزل علىٰ سبعة أحرف نحو قولك: تعال وأقبل وهلمّ وآذهب وأسرع وعجِّل فاقرأوا ولا حرج: عليماً حكيماً، أو غفوراً رحيماً، ولكن لا تختموا ذكر رحمة بعذاب، ولا ذكر عذاب برحمة.



إنّ تلكم الروايات إضافة إلىٰ ما روي عن الصحابة من اجتهادات في تبديل النصّ القرآني شجعت جماعات من العلماء أن يعتمدوا المجموعتين من الروايات، ويقوموا بتأسيس علم القراءات، كما سنبيِّنه في ما يأتي إن شاء الله تعالىٰ.

رابعاً ـ أخطاء في رسم خط المصاحف العثمانية:

أخذ الخليفة عثمان من أُمّ المؤمنين حفصة المصحف الّذي تمّ نسخه علىٰ عهد الخليفة عمر وأودعه عندها، ونسخ عليه المصحف الإمام ولمّا جيء به إليه قال: إنّ في المصحف لحناً ستقيمه العرب بألسنتها، ثمّ أمر أن يُنسخ عليه سبع نسخ أو تسع، وبعث بها إلىٰ أُمّهات البلاد الإسلامية مع قرّاء يقرأونه فبعث مع المصحف:

أ ـ المكّي عبدالله بن السائب.

ب ـ الشامي المغيرة بن شهاب.

ج ـ الكوفي أبا عبدالرّحمٰن السلمي.

د ـ البصري عامر بن عبدالقيس.

هـ ـ وكان مقرئ المدينة زيد بن ثابت.

وإضافة إليها ذكروا أنّه بعث نسخة لكل من: البحرين واليمن ومصر والجزيرة[1].

تراجم المذكورين:

أ ـ أبو السائب أو أبو عبدالرّحمٰن عبدالله بن السائب المخزومي، قال الذهبي: قارئ أهل مكّة.

---

(١) أوجزت الأخبار وأدمجت بعضها ببعض ممّا سبق ذكره في بحوث الكتاب ومن المصاحف لابن أبي داود ص، ٣١ و٣٤؛ وتاريخ اليعقوبي ٢ / ١٦٠؛ ومناهل العرفان لمحمّد عبدالعظيم الزرقاني ط. عيسى البابي الحلبي بمصر ١ / ٣٩٥ ـ ٣٩٧.

له صحبة ورواية يسيرة، قرأ القرآن علىٰ أُبيّ بن كعب وروىٰ وعرض عليه القرآن مجاهد وعبدالله بن كثير، توفِّي حدود سنة سبعين في إمرة ابن الزّبير[1].

ب ـ المغيرة بن شهاب، اسم أبيه عبدالله بن عمرو المخزومي ويقال السدوسي البصري، قرأ علىٰ أبي موسى الأشعري، وسمع من عليّ وعبادة بن الصامت، توفِّي سنة نيف وسبعين[2].

ج ـ أبو عبدالله أو أبو عمرو عامر بن عبدالله ويعرف بعامر بن عبد قيس العنبري، روىٰ عن عمر وسلمان.

قال أبو عبيد القاسم بن سلام (ت: ٢٢٤ هـ) كان يقرئ الناس.

وعن الحسن البصري أنّ عامراً كان يقول: من أُقرئ؟

فيأتيه ناس، فيقرئهم القرآن، ثمّ يقوم فيصلّي إلى الظهر، ثمّ يصلّي إلى العصر، ثمّ يقرئ الناس إلى المغرب، ثمّ يصلّي ما بين العشاءين ثمّ ينصرف إلىٰ منزله.

وشي به إلى الخليفة عثمان فأمر بنفيه إلى الشام علىٰ قتب، وتوفِّي زمن معاوية[3].

ومضت ترجمة أبي عبدالرّحمٰن السلمي وزيد بن ثابت.

واللّحن الّذي ذكره الخليفة في رسم خطّ المصحف بقي في المصاحف حتّى اليوم مثل:

---

(١) معرفة القرّاء الكبار للذهبي، ط. مصر الأُولىٰ، ١ / ٤٢ ـ ٤٣.

(٢) معرفة القرّاء الكبار، ١ / ٤٣.

(٣) ترجمته في سير أعلام النبلاء للذهبي، ط. بيروت ١٤٠١ هـ، ٤ / ١٥ ـ ١٩؛ وراجع تاريخ الإسلام ٣ / ٢٦؛ وترجمته بتاريخ ابن عساكر وحلية الأولياء ٢ / ٩١.

أ ـ كتابة نون التأكيد الخفيفة كتنوين النصب على الألف، كما جاء في سورة:

العلق / ١٥: ﴿لَنَسْفَعاً﴾ بدل لنسفعن.

يوسف / ٣٢: ﴿وَلَيَكُوناً﴾ بدل ليكونن.

ب ـ حذف الألف كما جاء في سورة:

الزخرف / ٣٨: ﴿يٰلَيْتَ﴾ بدل يا ليت.

وآل عمران / ٥٥ والمائدة / ١١٠ و١١٦: ﴿يٰعِيسَىٰ﴾ بدل يا عيسىٰ.

والمؤمنون / ٨: ﴿لِأَمٰنٰتِهِمْ﴾ فيقرأها بعضهم: لأماناتهم، ويقرأها آخر لأمانتهم.

الأنعام / ٩٤: ﴿شُرَكٰؤُا﴾ بدل شركاء.

هود / ٨٧: ﴿مَا نَشٰؤُا﴾ بدل ما نشاء.

إبراهيم / ٢١: ﴿فَقَالَ الضُّعَفٰؤُا﴾ بدل الضُّعفاء.

ص / ١٣: ﴿وَأَصْحَابُ لْئَيْكَةِ﴾ بدل الايكة.

الكهف / ٧٧: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ﴾ بدل لاتخذت.

ج ـ إضافة الواو أو الياء أو الألف كما جاء في سورة:

الأنعام / ٥٢: ﴿بِالْغَدٰوةِ﴾ بدل بالغداة.

الأنعام / ٩٤: ﴿شُرَكٰؤُا﴾ بدل شركاء.

هود / ٨٧: ﴿مَا نَشٰؤُا﴾ بدل ما نشاء.

يوسف / ٨٧: ﴿انَّهُ لَا يَاْيْئَسُ﴾ بدل لا ييأس.

إبراهيم / ٩: ﴿أَلَمْ يَأتِكُمْ نَبَؤُا﴾ بدل نبأ.

إبراهيم / ٢١: ﴿فقال الضُّعَفٰؤُا﴾ بدل الضُّعفاء.

الكهف / ٢٣: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاىْءٍ﴾ بدل لشيء.

النّمل / ٢١: ﴿لَأَاْذْبَحَنَّهُ﴾ بدل لأذبحنّه.

الزُّمر / ٦٩: ﴿وَجِاْىءَ بِالنَّبِيِّينَ﴾ بدل وجيء.

الذّاريات / ٤٧: ﴿بأَيْيدٍ﴾ بدل بأيدٍ.

الحشر / ١٧: ﴿جَزٰؤُا ٱلظّٰلِمِينَ﴾ بدل جزاء الظّالمين.

الأنعام / ٥: ﴿يَأْتِيهم أَنبٰؤُا﴾ بدل أنباء.

قريش / ١ و ٢: ﴿لِإِيلٰفِ قُرَيْشٍ * إۦلٰفِهِمْ﴾ بدل لإيلاف قريش، إيلافهم.

وكذلك كتبوا الكلمة الواحدة بصورة في مكان، وكتبوها بصورة أُخرىٰ في مكان آخر كما هو في الآيات التالية:

١ ـ (فيما) فانّها كتبت متصلة (فيما)، إلّا في اثني عشر مورداً، فإنّها كتبت فيها مفصولة (في ما).

٢ ـ (ممّا) كتبت متّصلة، إلّا في ثلاثة مواضع، كتبت فيها مفصولة (من ما).

٣ ـ (أنّما) متّصلة، إلّا في مورد في سورة الحج، ثمّ في موردين في سورة لقمان.

٤ ـ (لكي لا) منفصلة، إلّا في ثلاثة مواضع.

٥ ـ (بئس ما) كسابقتها.

٦ ـ (أين ما) منفصلة، إلّا في أربعة مواضع.

٧ ـ (ألّا) متّصلة، إلّا في عشرة مواضع.

٨ ـ (إلّا) متّصلة مدغمة، بإسقاط النون في جميع القرآن.

٩ ـ (ألّم) متّصلة مدغمة، إلّا في موضعين.

١٠ ـ (إلّم) متّصلة مدغمة في سورة هود، منفصلة مقطوعة في القصص.

إلىٰ غير ذلك من الموارد الكثيرة[1].

غير أنّ المقرئين الّذين أرسلهم الخليفة عثمان مع المصاحف كانوا قد تعلّموا قراءة القرآن قبل كتابة تلك المصاحف من أفواه الصحابة الّذين تلقّوا قراءة القرآن من فم رسول الله (ص) والّذي تلقاها عن طريق الوحي، وكان زيد بن ثابت قد تلقّىٰ قراءة القرآن من فم رسول الله (ص) وكان كلّهم يقرأون القرآن كما تعلّموه.

وذلك معنىٰ قول الخليفة عثمان (فيه لحن ستقيمه العرب بألسنتها) واستمرّ المقرئون علىٰ ذلك جيلاً بعد جيل يقيمون لحن رسم خط مصحف عثمان في إقراء القرآن، ويعلّمون التلاوة صحيحة ومخالفة لرسم الخطّ الملحون.

---

(١) غرائب القرآن للنيسابوري، بهامش الطبري ١ / ٢٩ ـ ٣٥ وفيه موارد أُخرىٰ؛ والمقنع للداني، ص ٣٠ـ٩٢؛ واتحاف فضلاء البشر ١ / ٣٢٩ ـ ٣٣١.

خامساً ـ قياس النصّ القرآني بقواعد اللّغة العربيّة:

من قواعد اللّغة العربية ما وضع دفعاً للالتباس في الكلام الموزون وغير الموزون مثل:

أ ـ الحاق تاء التأنيث لاسم الفاعل المؤنث في قولنا: امرأة باسمة وضاحكة وناطقة، وتجريد اللّفظ منها لغير الأُنثىٰ في قولنا: رجل باسم وضاحك وناطق.

ب ـ تقديم الفاعل على المفعول في مواضع اللبس بين الفاعل والمفعول مثل قولنا: أقرأ موسىٰ عيسى القرآن في ما إذا كان المقرئ موسىٰ، فإذا لم يكن في الكلام لبس جاز مخالفة القاعدتين المذكورتين في مثل قولنا، أحياناً: أكرم محمّداً الحسن، وأكل الكمثرىٰ يحيىٰ، وخرق الثوب المسمار.

وكذلك الشأن في حذف علامة التأنيث إذا لم يكن ثمة لبس؛ في مثل قولنا للمرأة الّتي ترى العادة الشهرية حائض وللحبلىٰ حامل وللمطلقة طالق.

ومن قواعد اللّغة العربية ما وضعت أيضاً للكلام الموزون وغيره لدفع الالتباس، ودونت في كتب علمي النحو والصرف، مثل قواعد علامات الإعراب بالحركات والحروف في آخر الكلمات دفعاً للالتباس في مثل قولنا:

أكرمَ اللّبنانيُّ السوريَّ.

والعراقيّانِ الكويتيَّينِ.

والسعوديونَ اليمانِيّينَ.

فانّنا نميّز الفاعل من المفعول بالضمّة والفتحة في المثال الأوّل والألف والياء المفتوح قبلها في الثاني، والواو والياء المكسور ما قبلها في الثالث.

* * *

كانت تلكم أمثلة لقواعد اللّغة العربية في الكلام الموزون وغيره.

وأمّا الكلام الموزون بصورة خاصّة، فلم تدوّن قواعده كعلم خاص يدرس في المعاهد العلمية، ومن مصاديق قواعد الكلام الموزون في لغة العرب الشعر الّذي اكتشف أوزانه الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٠ هـ).

وكذلك من مصاديق الكلام الموزون في لغة العرب: السور القرآنية، فإنّ لها أوزاناً خاصّة بها لم تكتشف حتّى اليوم، وإن كان الشعر وبعض النثر الفني موزوناً في جانب اللّفظ فحسب، فإنّ القرآن موزون في جوانب متعددة منه في لفظه ومعناه وغيرهما، وإنّه ليس بشعر ولا نثر كما بيّناه في بحث المصطلحات في الجزء الأوّل من هذا الكتاب وسيأتي بيانه في البحوث الآتية إن شاء الله تعالىٰ.

ويستطيع الباحث الخبير بالأدب العربي أن يدرك ذلك بأدنىٰ تأمل لبعض السور القرآنية الصغيرة، مثل قوله تعالىٰ:

بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلضُّحىٰ وَٱللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ

مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ

وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ

وَلَسَوفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ

أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَىٰ

وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَىٰ

وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَىٰ

فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ

وَأَمَّا ٱلسَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ

وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾.

وفي السور المتوسّطة مثل قوله تعالىٰ في سورة الرّحمٰن:

بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلرَّحْمٰنُ

عَلَّمَ ٱلْقُرْآنَ

خَلَقَ ٱلْإِنْسَانَ

عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ

ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ

وَالنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾.

إلىٰ آخر قوله ـ تعالىٰ ـ في آخر السورة:

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ

تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي ٱلجَلَالِ وَٱلإِكْرَامِ﴾.

وفي السور الكبيرة قد يكون لكل مجموعة من آيات نزلت فيها مرّة واحدة وزن خاصّ بها وقد يكون لجميع السـورة وزن واحد، غير انّ معرفة أوزانها ورويّها بحاجة إلىٰ تدبّر أكثر مثل قوله تعالىٰ في أكبر سورة من القرآن:

المجموعة الأُولىٰ:

بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الم ذٰلِكَ ٱلْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ

ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ

وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾.

إلىٰ قوله تعالىٰ:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٦).

﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٧).

﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٢٨).

﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ ٱسْتَوَى إِلَى ٱلسَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٢٩).

المجموعة الثانية:

وَعَلَّمَ آدَمَ ٱلْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هٰؤُلَاءِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٣١).

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (٣٢).

﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (٣٦).

﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (٣٧).

وكذلك سائر الآيات إلىٰ آخر سورة البقرة لها جميعاً وزن خاص ورويّ خاص.

ومن ثمّ استطاع بعض الشعراء أن يضمّن قصيدته آية من القرآن مثل:

أ ـ قول السيّد رضا الهندي في قصيدته الّتي مدح الرسول (ص) فيها:

(أمفلج ثغرك أم جـوهر

أرحيق رضابك أم سـكّر

قد قال لثـغرك صانعــه

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ ٱلْكَوثَر﴾).

ب ـ قول السيّد إسماعيل الشيرازي في مدحه:

إنّ يك يجعل لله البنون

﴿وَتَعَالىٰ الله عَمَّا يَصفون﴾.

* * *

كانت تلكم أمثلة للكلام الموزون غير الشعر في كلام العرب، وللكلام الموزون قانون يجب التزامه كما سنذكره في ما يأتي بحوله تعالىٰ:

القانون في الكلام الموزون

لمّا كان الكلام الموزون يمتاز علىٰ غير الموزون منه ويؤثر في النفوس تأثير السحر في ما يدعو إليه من أمر، إذاً لابدّ في الكلام الموزون من مراعاة الوزن وإلّا لما كان الكلام موزوناً، ومن ثمّ إذا تعارضت قواعد الوزن مثل أوزان البحور الّتي اكتشفها الخليل في الشعر مع قواعد اللّغة العربية يجب مراعاة الوزن وطرح قواعد اللّغة فيه. وعلىٰ ذلك جرىٰ جميع البلغاء والفصحاء أبد الدهر.

قواعد خاصّة بالكلام الموزون

ما سبق ذكره في أوّل البحث وموارد كثيرة أُخرىٰ غيرها ممّا سمّاها علماء النحو بالشذوذ يصحّ وصفها بالشاذّ لو جاء ذلك في الكلام غير الموزون مثل ما روي عن أحدهم أنّه قال (أكلوني البراغيث) بدل (أكلتني البراغيث).

وهذا يصحّ وصفه باللحن والشاذّ والنادر وما شابهها من الأوصاف، ولا ينبغي لفصيح أن يرد مثل ذلك في كلامه.

أمّا الكلام الموزون، فقد بلغ ما جاء فيه ممّا سمّي عندهم بالشذوذ من السعة والكثرة والشمول حدّاً نستطيع أن نكتشف منه قواعد عامّة تخصّ الكلام الموزون في محاورات الفصحاء والبلغاء، مثل القواعد الآتية:

أوّلاً ـ قاعدة جواز دمج الكلمتين في كلمة واحدة:

أ ـ وجاء ذلك في شعر عبد يغوث الحارثي: عبشميّة في قوله:

تضحك منّي شيخةٌ عَبشَمِيّةٌ كأن لَم ترىٰ[1] قَبلي أَسِيراً يمانِيا[2]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: عبد شمسيّة.

ب ـ والغاشيك، في قول الحارث بن وعلة الذهلي:

قَوِّض خِيامَكَ وَالتَمِس بَلَداً يَنأىٰ عَنِ الغَاشِيكَ بِالظُّلمِ[3]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: عن الّذين يغشونك.

ج ـ ومِلأوس، مِلخزرج، في قول حسان بن ثابت:

لما رَأىٰ بَدراً تَسِيلُ جِلاهُها بِكَتَائبٍ مِلأوسِ أو مِلْخَزرَجِ[4]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: من الأوس أو من الخزرج.

د ـ ومِلبغايا، أيضاً في قوله:

فَأَشهَدُ أَنَّ أُمّكَ مِلْبَغايا وَأَنَّ أَباكَ مِن شَرّ العِبادِ[5]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: من البغايا.

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) شرح شواهد المغني للسيوطي، الشاهد رقم ٤٣٤.

وعبد يغوث بن وقاص أو صلاءة الحارثي، شاعر جاهلي، يماني، من شعراء قحطان، توفّي نحو ٤٠ ق هـ.

(٣) شرح شواهد المغني، الشاهد رقم ١٧٠.

راجع ترجمته في الأغاني لأبي الفرج الإصفهاني ١٩ / ١٣٩.

(٤) ديوان حسان بن ثابت، حرف الجيم.

وأبو الوليد حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، شاعر النبيّ (ص). مخضرم. سكن المدينة، من شعراء الجاهلية، يهجو في شعره بني عائذ بن عمرو بن مخزوم، توفّي سنة ٥٤ هـ.

(٥) ديوان حسان، حرف الدال؛ وشرح شواهد المغني، الشاهد رقم ٤٧٧.

ثانياً ـ قاعدة جواز حذف حرف واحد أو أكثر من الكلمة:

أ ـ حذف حرف واحد من الكلمة، وجاء ذلك:

١ ـ في شعر طرفة بن العبد: تصطَدِ في قوله:

فإن تَبغني في حَلقةِ القَومِ تَلقَني وإن تَقْتَنصني في الحوانِيت تَصْطَدِ[1]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: تصطدني.

٢ ـ وتحذري، أيضاً في قوله:

قَد رُفع الفخُّ فَماذا تَحذَري ونَقِّري ما شئتِ أَن تنقِّري[2]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: فماذا تحذرين؟

٣ ـ والجاعلو، في شعر الأعشىٰ:

المـطعِمُونَ الضَّيفَ لَمّا شَتوا والجَاعِلُو القُوَّةَ عَلىٰ اليَاسِرِ[3]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: الجاعلون.

٤ ـ والحافظو، في شعر عمرو بن امرئ القيس:

الحافِظُو عَورَةَ العَشِيرَة لا يَأتِيهِمُ مِن وَرائِنا نُطفُ[4]

---

(١) ديوان طرفة بن العبد، تحقيق كرم البستاني.

وأبو عمر طرفة بن العبد بن سفيان البكري الوائلي، شاعر جاهلي، من الطبقة الأُولىٰ (ت: ٦٠ ق هـ).

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) شرح شواهد المغني، الشاهد رقم ٧٨٢.

وأبو بصير، ميمون بن قيس بن جندل من بني بكر بن وائل من ربيعة. من شعراء الطبقة الأُولىٰ في الجاهلية وأحد أصحاب المعلقات، لقب بالأعشىٰ لضعف بصره (ت: ٧ هـ).

(٤) خزانة الأدب، الشاهد رقم ٢٩٨، ٤ / ٢٧٢.

وعمرو بن امرئ القيس الخزرجي، وهو جد عبدالله بن رواحة، شاعر جاهلي.

وفي غير الموزون من الكلام يقال: الحافظون.

٥ ـ والخَلْخَل، في شعر الشاعر:

صِفر الوِشَاحَينِ صَمُوت الخَلْخَلِ[١]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: الخَلخال.

٦ ـ والحَمِي، في شعر العجاج:

قَواطناً مَكّة مِن وُرْقِ الحَمِي[٢]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: وُرْقِ الحَمامِ.

٧ ـ ولاكِ، في شعر الشاعر:

ولَسْتُ بِآتِيهِ ولا أستَطِيعُه ولاكِ اسقني إن كانَ ماؤك ذَا فَضلِ[٣]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: ولكن.

ب ـ حذف أكثر من حرف من الكلمة، وجاء ذلك:

١ ـ في شعر الشاعر: يا لا، في قوله:

فَخيرٌ نَحنُ عِندَ النَّاسِ مِنكُم إذا الدَّاعِي المثَوِّبُ قَالَ يا لا[٤]

---

(١) العقد الفريد، العسجدة الأُولىٰ، فرش كتاب التوقيعات والفصول والصدور، ٤ / ١٨٥.
والبيت لم يُسمّ قائله.

(٢) العقد الفريد ٤ / ١٨٥، وفي الكلمة (الحَمِي) تبديل حرف بحرف.
وأبو الشعثاء عبدالله بن رؤبة بن لبيد بن صخر السعدي التميمي، ولد في الجاهلية وقال الشعر فيها، ثمّ أسلم (ت: ٩٠ هـ).

(٣) العقد الفريد ٤ / ١٨٥.
والبيت لم يسمّ قائله.

(٤) شَرح شواهد المغني، الشاهد رقم ٣٥٥؛ وخزانة الأدب، الشاهد رقم ٤، ٢ / ٦.
قال البغدادي: نَسب أبو زيد في نوادره البيت إلىٰ زهير بن مسعود الضبّي.

وفي غير الموزون من الكلام يقال: يا لَفُلان.

٢ ـ وفا، تا، في شعر الشاعر:

بالخيرِ خَيراتٍ وإنْ شَرّاً فَا ولا أُريد الشرَّ إلّا أنْ تا[١]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: وإنْ شرّاً فشرٌّ إلّا أن تشاءَ.

٣ ـ وألا تا، بلىٰ فا، في شعر الشاعر:

نادَوْهُم أنْ أَلْجِمُوا ألا تَـا قَالُوا جَمِيعاً كُلُّهم ألا فَـا[٢]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: ألا تركبون، ألا فاركَبُوا.

٤ ـ وفلان عن فلِ، في شعر أبي النجم العجلي:

تـدافُـعَ الشّـيبِ ولم تِـقتّـلِ في لجَّةٍ أَمْسِكْ فُلاناً عن فُلِ[٣]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: فلان عن فلان.

ثالثاً ـ قاعدة جواز حذف الكلمة في الكلام:

أ ـ حذف الاسم، وجاء ذلك:

١ ـ في شعر الشاعر: يَفْضلُها، في قوله:

لو قُلتُ ما في قَوْمها لَم تـيثَمِ يفضُلُها في حَسَبٍ ومِيسَمِ[٤]

---

(١) الكتاب لسيبويه، باب إرادة اللّفظ بالحرف الواحد، ٣ / ٣٢١؛ ولسان العرب، مادّة (تا).
ينسب البيت للقيّم بن أوس بن أبي ربيعة.

(٢) لسان العرب، باب تفسير الحروف المقطعة.
والبيت لم يسمّ قائله.

(٣) شرح شواهد المغني، الشاهد رقم ٢٤٣.
وأبو النجم العجلي: الفضل بن قدامة، من بني بكر بن وائل، من أكابر الرّجّاز توفّي سنة ١٣٠ هـ.

(٤) الكتاب لسيبويه، باب يحذف المستثنىٰ فيه استخفافاً ٢ / ٣٤٥؛ وخزانة الأدب، الشاهد

←

وفي غير الموزون من الكلام يقال: مَن يَفضُلها.

٢ ـ وفميتٌ، في شعر مجنون ليلىٰ:

أتـارِكَتي لِـلمَوتِ أَنْتِ فَمَــيِّتٌ وَما لِلنفُوسِ الخَائِفَاتِ بَقاءُ(١)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: فأنا ميّتٌ.

٣ ـ وشاءُ في شعر الشاعر:

إذا شاءُ أضَرُّوا مَـن أرادوا ولا يألوهُمُ أحدٌ ضِرارا(٢)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: شاؤوا.

٤ ـ وكانُ، في شعر الشاعر:

فلو أنّ الأطِبّا كَانُ حَـولي وكانَ مع الأطِبّاء الأُساةُ(٣)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: كانُوا.

٥ ـ وسابقٌ دَمعُه، في شعر ذي الرّمة:

فَضَلُّوا ومـنهم سـابقٌ دَمْـعُهُ له وَآخرُ يُثْني دَمْعةَ العَينِ بالمهْلِ(٤)

← رقم ٣٤٤، ٥ / ٦٢. وفي البيت أيضاً تبديل الفعل تأثم بـ(تيثم).

وحكيم بن معية الرَّبعي، من بني ربيعة بن مالك. وهو راجز اسلامي، كـان في زمـن العـجاج وحُميد الأرقط.

(١) الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني، أخبار مجنون بني عامر ونسبه، ٢ / ٣٧.

وقيس بن الملوح بن مزاحم العامري شاعر غزل من المتيمين، من أهل نجد (ت: ٦٨ هـ).

(٢) شرح شواهد المغني، الشاهد رقم ٧٦٩.

والبيت لم يُسمّ قائله.

(٣) شرح المفصل، لابن يعيش، القسم الثاني في الأفعال، باب من أصناف الفعل الماضي، ٥/٧.

والبيت لم يسمّ قائله.

(٤) همع الهوامع للسيوطي، نواسخ الابتداء، باب كان وأخواتها ٢ / ٨٦.

وذو الرمّة، غيلان بن عقبة العدوي، أبو الحارث، من مضر، شاعر من الطبقة الثانية، توفّي سنة ١١٧ هـ.

وفي غير الموزون من الكلام يقال: مَنْ سَابقُ دَمعُه.

ب ـ **حذف الفعل**، وجاء ذلك:

١ ـ في شعر النابغة الذبياني: وكأن قد، في قوله:

أفدِ التَّرحلُ غَير أنَّ رِكَـابَنا لمَّا تَزل بِرحالِنَا وَكأنْ قَدِ[1]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: وكأن قد زالت.

٢ ـ وإن لم، في شعر ابن هرمة:

احفظ وَدِيعَتك الّتي اسْـتَودَعتَها يَومَ الأعَازِبِ إن وَصلتَ وإنْ لَمْ[2]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: وإن لم تصل.

٣ ـ وعلفتها تِبناً وماءً، في شعر الشاعر:

عَـلّفتُهَا تِـبناً ومَـاءً بَـارداً حَتَّىٰ شَتَت هَمَّالَةً عَينَاهَا[3]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: عَلّفتها تِبناً وسقيتها ماءً.

ج ـ **حذف الحرف**:

١ـ **حذف حرف الجر**، وجاء ذلك:

أ ـ في شعر المتلمِّس العبدي: حبّ العراق الدهر أطعمه، في قوله:

---

(١) مغني اللبيب، ص ٢٢، الشاهد رقم ٣١٣؛ وشرح شواهد المغني، الشاهد رقم ٢٧٦.
والنابغة الذبياني، زياد بن معاوية، شاعر جاهلي من الطبقة الأولىٰ، من أهل الحجاز، توفِّي نحو سنة ١٨ ق هـ.

(٢) شرح شواهد المغني، الشاهد رقم ٤٤٢.
وابن هرمة، أبو إسحاق إبراهيم بن عليّ، شاعر، من مخضرمي الأموية والعباسية. سكن المدينة توفِّي سنة ١٧٦.

(٣) شرح شواهد المغني، الشاهد رقم ٨١٦.
والبيت لم يسمّ قائله.

آليتَ حبَّ العِراقِ الدّهرَ أطعَمَه والحبُّ يأكلُه في القريةِ السُّوسُ[1]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: علىٰ حبّ العراق الدّهر لا أطعمه.

ب ـ وعَسلَ الطريق، في شعر ساعدة بن جؤيّة:

لَدْنٌ بهزِّ الكَفِّ يَعسِلُ مَتْنُهُ فِيهِ كَما عَسَلَ الطريقَ الثّعْلَبُ[2]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: عسلَ في الطريقِ.

٢ ـ حذف لام الأمر في الغائب، وجاء ذلك:

أ ـ في شعر الشاعر: محمدُ تَفدِ، في قوله:

مُحمّدُ تَفدِ نَفسَكَ كُلُّ نَفسٍ إذا ما خِفتَ مِن شَيءٍ تَبالا[3]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: لِتَفدِ.

ب ـ ولكن يَكُن، في شعر الشاعر:

فلا تَستطِل مِنِّي بَقائي ومُدّتي ولكن يكُن للخيرِ مِنكَ نَصِيبُ[4]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: ولكن لِيكُن.

ج ـ وأو يبكِ، في شعر متمم بن نويرة:

---

(١) شرح شواهد المغني، الشاهد رقم ١٣٥.
والمتلمّس العبدي، جرير بن عبدالعزىٰ أو عبد المسيح، شاعر جاهلي من أهل البحرين، مات ببصرىٰ نحو سنة ٥٠ ق هـ، وهو خال طرفة بن العبد.

(٢) شرح شواهد المغني، الشاهد رقم ٢.
وساعدة بن جؤيّة الهذلي، من بني كعب بن كاهل، شاعر من مخضرمي الجاهلية والإسلام.

(٣) شرح شواهد المغني، الشاهد رقم ٣٥٦.
والبيت قائله مجهول، يخاطب به النبيّ (ص).

(٤) شرح شواهد المغني، الشاهد رقم ٣٥٨.
والبيت لم يسمّ قائله.

عَلىٰ مثلِ أصحاب البَعـوضةِ فَـاخْمِشـي
لَكِ الوَيل حُرَّ الوَجهِ أوْ يَبكِ مَن بكىٰ[1]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: ليبكِ.

٣ ـ حذف نون الوقاية، وجاء ذلك:

أ ـ في شعر زيد الخيل: ليتي، في قوله:

كَـمُنْيةِ جَـابِرٍ إذْ قَـالَ لَـيْتي أُصَادِفُه وأفقِدُ بَعضَ مَالي[2]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: ليتني.

ب ـ وفَلَيني، في شعر عمرو بن معدي كرب:

تَراهُ كَـالثَّـغام يُـعَـلُّ مِسـكاً يَسوءُ الفَالياتِ إذا فَلَـيني[3]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: فلينني.

ج ـ وقَدي، في شعر حُميد الأرقط:

قَدنِي مِن نَصْرِ الخُبَيْبَيْنِ قَدي[4]

---

(١) شرح شواهد المغني، الشاهد رقم ٣٦١. وأبو نهشل، متمم بن نويرة بن جمرة بن شـداد اليربوعي التميمي، شاعر فحل، صحابي مخضرم، توفّي سنة ٣٠ هـ.

(٢) الكتاب لسيبويه، باب علامة اضمار المنصوب المتكلم والمجرور المتكلم، ٢ / ٣٧٠.

وأبو مكنف، زيد الخـيل، زيد بن مهلهل بن منهب بن عبـد بن أقصى من طيّئ، من أبـطال الجاهلية، وفد على النبي (ص) سنة ٩ هـ في وفد طيّئ، فأسلم (ت: ٩ هـ)، تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ / ٣٦.

(٣) خزانة الأدب، الشاهد رقم ٤٠٠، ٥ / ٣٧١.

وأبو ثور عمرو بن معدي كرب بن عبدالله بن عمرو صاحب الغارات والوقـائع في الجـاهلية والإسلام. وفد على النبيّ (ص) سنة تسع أو عشر (ت: ٢١ هـ). الأعلام للزّركلي.

(٤) خزانة الأدب، الشاهد رقم ٤٠٣، ٥ / ٣٨٢.

←

وفي غير الموزون من الكلام يقال: قدني.

٤ ـ حذف تنوين الاسم المنصرف وجعله غير منصرف، وجاء ذلك:

أ ـ في قول الشاعر، في قوله:

ومُصعبُ حِينَ جَـدَّ الأمـ ـــرُ أَكـبَرُها وأَطـيَبُها(١)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: ومصعبٌ.

ب ـ وعمرُو، في شعر الشاعر:

عمرُو الّذي هشمَ الثّرِيدَ لِـقَومِهِ ورِجالُ مَكّةَ مُسنِتُونَ عِجافُ(٢)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: عمرٌو.

ج ـ وحاتمُ الطائي، في شعر الشاعر:

حَـيدَةُ خـالِي ولَـقِيطُ وعَـلِي وحاتَمُ الطّائيُّ وَهَّابُ المِـئِي(٣)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: حاتمٌ الطّائيّ.

رابعاً ـ قاعدة جواز إضافة حرف أو أكثر في الكلمة:

وجاء ذلك:

أ ـ في شعر الشاعر: منون أنتم، في قوله:

← وحميد بن مالك بن ربعي، أحد بني ربيعة بن مالك، سمي بالأرقط لآثار كانت بوجهه، وهو شاعر اسلامي من شعراء الدولة الأموية، وهو معاصر للحجاج.

(١) شرح المفصل لابن يعيش، مبحث الاسم المعرب، ١ / ٦٨.
والبيت لم يسمّ قائله.

(٢) شرح المفصل، باب التنوين، ٩ / ٣٦.
والزبعرىٰ أبو سعد عبدالله بن قيس السهمي القرشي، شاعر قريش في الجاهلية (ت: ١٥ هـ).

(٣) لسان العرب، مادّة: مأي.
والبيت ينسب لامرأة من بني عامر، ولامرأة من بني عقيل، تفخر بأخوالها من اليمن.

أَتـوا نَـاري فـقلتُ مَـنُونَ أَنـتُم   فَقَالُوا الجِنُّ قلتُ عِموا ظلاماً[1]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: من أنتم.

ب ـ وفأنظور، في شعر أبي عليّ:

وإنّني حَيثُما يَثْنِي الهَـوىٰ بَـصَري   مِن حَوثُما سَلَكُوا أدنُو فَأنْظُور[2]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: فأنظُرُ.

ج ـ والوليد بن اليزيد، في شعر ابن ميادة:

رأيتُ الوليدَ بِن اليَزيدِ مُباركاً   شديداً بأعباءِ الخَلافَةِ كـاهِلُه[3]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: الوليد بن يزيد.

د ـ والعقراب، في شعر الشاعر:

أعـوذُ بِـاللهِ مِـنَ العَـقْرابِ   الشائِلاتِ عُقَدَ الأذْنَابِ[4]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: العَقرب.

---

(١) الكتاب لسيبويه، باب: إذا كنت مستفهماً عن نكرة، ٢ / ٤١١؛ وشرح المفصل لابن يعيش، بحث الموصولات، فصل «ما» ٤ / ١٦؛ وخزانة الأدب، الشاهد رقم ٤٥١، ٦ / ١٦٧.

ونسب ابن يعيش البيت إلىٰ شمر بن الحارث الطائي، وقال البغدادي: والبيت من أبيات أربعة رواها أبو زيد في نوادره ونسبها لشمير بن الحارث الضبي.

(٢) شرح شواهد المغني، الشاهد رقم ٥٨٤.

وأبو عليّ الفارسي، الحسن بن أحمد (٢٨٨ ـ ٣٧٧ هـ) إمام العربية في عصره، اتّصل بسيف الدولة وعضد الدولة. وصنف كتباً.

(٣) شرح شواهد المغني، الشاهد رقم ٦٦.

وأبو شرحبيل ويقال أبو حرملة، ابن ميادة، الرماح بن أبرد بن ثوبان الذبياني الغطفاني، شاعر، رقيق هجاء، اشتهر بنسبته إلىٰ أُمّه ميّادة. توفّي سنة ١٤٩ هـ.

(٤) شرح شواهد المغني، الشاهد رقم ٦٠٠.

والبيت لم يسمّ قائله.

خامساً ـ قاعدة جواز تبديل حرف بحرف آخر:

وجاء ذلك:

أ ـ في شعر الشاعر اللذون، في قوله:

نَحنُ اللّذون صَبّحُوا الصباحا يوم النّخِيل غَارةً مِلحاحا[1]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: الّذين.

ب ـ وحوثما، في شعر أبي عليّ:

وإنّني حَيثُما يَثني الهوىٰ بَصَري من حَوثُما سَلَكُوا أَدنو فأنظور

وفي غير الموزون من الكلام يقال: حيثما.

ج ـ وأعارت أم لم تعارا، في شعر الشاعر:

تسائِلُ يابنَ أَحمـرَ مَن رَآهُ أَعارَت عَينُـهُ أَم لَم تَعارا[2]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: أعورت عينه أم لم تعور.

د ـ ولئام النات، ولا أكيات في رجز الشاعر:

يا قاتـلَ اللهُ بني السَّـعلاتِ

عمرو بنَ يَربُوعٍ شِرار النَّاتِ

غَـيْرَ أَعِـفاءَ ولا أكيـات[3]

---

(١) شرح شواهد المغني، الشاهد رقم ٦٤٧.

وهو رجل جاهلي من بني عقيل اسمه أبو حرب الأعلم.

(٢) شرح المفصل لابن يعيش، باب: الاعلال، الواو والياء عينين، ١٠ / ٧٥؛ ولسان العرب، مادّة: عور.

نسب محقق شرح المفصل لابن يعيش البيت لعمرو بن أحمر الباهلي.

(٣) شرح المفصل لابن يعيش، فصل: ومن أصناف المشترك إبدال الحروف، ١٠ / ٣٦؛ ←

وفي غير الموزون من الكلام يقال: شرار الناسِ، ولا أكياسِ.

هـ ـ وما بقا، في شعر زيد الخيل:

لَعمرُكَ مَا أَخْشَى التَّصَعْلُكَ مَـا بَـقَا   على الأرضِ قيسيٌّ يَسُوق الأباعِرا[1]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: ما بَقِيَ.

و ـ والثعالي، أرانيها، في شعر الشاعر:

لَهَـا أشـاريرَ مِـن لَحـمٍ تُـتَمِّرُهُ   من الثّعالي ووَخزٌ من أرانيها[2]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: من الثعالب ومن أرانبها.

ز ـ ولضفادي، في رجز الشاعر:

ومَنْهَلٍ لَيسَ لَهُ حَـوازِقُ   ولِضَفَادي جَمّـهِ نَـقانِقُ[3]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: ولضفادِع.

ح ـ والتالي، في رجز الشاعر:

يَفدِيكَ يَا زَرعُ أبي وخالي   قَد مَرَّ يَومانِ وهذا التّـالي

← وجمهرة اللّغة لابن دُريد، مادّة: سعل، ٣ / ٣٣؛ ولسان العرب، مادّة: ثا.

نسب ابن دريد وابن منظور البيت إلىٰ علباء بن أرقم اليشكري.

(١) تفسير الطبري، بتفسير آية ﴿قُلْ لَو شَاءَ الله مَا تَلوته عَليكُم ...﴾ من سورة يونس.

(٢) الكتاب لسيبويه، باب: ما رخمت الشعراء في غير النداء اضطراراً، ٢ / ٢٧٣؛ وجمهرة اللّغة، مادّة ت ر م ٢ /١٣؛ وشرح المفصل لابن يعيش، فصل: ومن أصناف المشترك إبدال الحروف ١٠ / ٢٤؛ ولسان العرب، مادّة: ثعلب ورنب.

نسب سيبويه البيت لرجل من بني يشكر، ونسبه ابن دُريد وابن منظور لأبي كاهل اليشكري.

(٣) الكتاب لسيبويه، ٢ / ٢٧٣: وشرح المفصل لابن يعيش، فصل: ومن أصناف المشترك ابدال الحروف، ١٠ / ٢٤؛ ولسان العرب، مادّة: ضفدع.

نسب سيبويه البيت لرجل من بني يشكر، وقال محقق الكتاب الشنتمري: هو مصنف، لخلف الأحمر.

وأَنْتَ بِالهِجْرَانِ لا تُبالي[1]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: الثالث.

سادساً ـ قاعدة جواز تبديل السكون بالحركة:

١ ـ في علامات الإعراب، وجاء ذلك:

أ ـ في شعر عنترة بن شداد، لم تحرمِ، في قوله:

يَا شَاةَ مَا قَنَصٍ لِمن حَلَّت لَهُ حَرُمت عليَّ وَلَيتَها لَم تَحرُمِ[2]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: لم تحرمْ.

ب ـ ولمّا نناضلِ، في شعر أبي طالب:

كَذِبتُم وَبَيْتِ اللهِ نُبْزِي مُحمّداً ولما نُطاعِنْ دُونَه ونُناضِلِ[3]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: لما نناضلْ.

ج ـ وفضنّتِ، زلتِ، ذلتِ، في شعر كثير عزّة:

ومَا كُنتُ أدْري قَبلَ عزَّةَ مَا البُكَا ومَا مُوجِعَاتُ القَلْبِ حَتّىٰ تَولَّتِ

ومَا أَنْصَفت أَمّا النِّسَاءَ فَبَغَّضَت إليـنا وأمـا بـالنَّوال فَضَنَّتِ

وَكُنَّا سَلَكنا في صُعُودٍ مِنَ الهوىٰ فَلَمَا تَوافَينا ثَبُت وَزَلّتِ

---

(١) شرح المفصل، فصل: ومن أصناف المشترك إبدال الحروف. ١٠ / ٢٨؛ ولسان العرب، مادّة: ثلث.

والبيت لم يسمّ قائله.

(٢) شرح شواهد المغني، في الشاهد رقم ٢٦٨.

وعنترة بن شدّاد العبسي، شاعر جاهلي من الطبقة الأُولىٰ، توفّي سنة ٢٢ ق هـ.

(٣) شرح شواهد المغني، في الشاهد رقم ١٩٧.

وأبو طالب، عبدالمناف بن عبدالمطلّب بن هاشم، والد الإمام عليّ عليه السلام وعمّ النبيّ (ص) وكافله وناصره ومربّيه، مولده ووفاته بمكّة. توفّي سنة ٣ ق هـ.

فَوا عَجَباً لِلقَلبِ كَيفَ اعترافُه   وللنّفسِ لما وُطِّنت كيفَ ذَلّتِ[1]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: تولَّتْ، فَضنَّتْ، زلَّتْ، ذلَّتْ.

٢ ـ في بنية الكلمة، وجاء ذلك:

أ ـ والجلدا، في شعر عبد مناف الهذلي:

إذا تأوَّبَ قَامَتا مَعَه   ضرباً أليماً بِسِبتٍ يَلعَجُ الجِلِدا[2]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: الجِلْدا.

ب ـ ولم يَلْدَهُ، في شعر الشاعر:

ألا رُبَّ مَولُودٍ ولَيسَ لَهُ أبٌ   وذي وَلَدٍ لم يَلْدَهُ أَبَوانِ[3]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: لم يَلِدْه.

ج ـ وزَفْراتها، في شعر الشاعر:

عَلَّ صُرُوفَ الدَّهرِ أو دُولاتِها   يُدلنَنا اللّمةَ مِن لَمّاتِها

فَتَستَريحَ النَّفسُ مِن زَفْراتِها[4]

---

(١) شرح شواهد المغني، الشاهد رقم ٦٢١.

وأبو صخر، كثير عزّة، كثير بن عبدالرّحمٰن الخزاعي، شاعر مشهور من أهل المدينة، توفّي سنة ١٠٥ هـ.

(٢) لسان العرب، مادّة لعج؛ ومعجم مقاييس اللّغة، مادّة لعج ٥/ ٢٥٤؛ وجمهرة اللّغة، مادّة: جعل، ٢/ ١٠٣.

وعبد مناف بن ربع الجربي، من هذيل، شاعر جاهلي نسبته إلىٰ جريب وهو بطن من هذيل.

(٣) شرح شواهد المغني، الشاهد رقم ١٩٨.

نسب السيوطي هذا البيت لرجل من أزد السراة، وأزد السراة: حي في اليمن. وقيل هو لعمرو الجنبي.

(٤) شرح شواهد المغني، الشاهد رقم ٢٤٦.

قال السيوطي: أنشده الفراء ولم يعزه إلىٰ أحد.

وفي غير الموزون من الكلام يقال: زَفَراتها.

سابعاً ـ قاعدة جواز مجيء الضمير المتصل بدل المنفصل وبالعكس:

أ ـ الضمير المنفصل بدل المتصل، وجاء ذلك:

١ ـ في شعر الشاعر يزيدهم حُباً إليّ هُمُ، في قوله:

لَم أَلقَ بَعدهُمُ حَيّاً فَأُخبرهُم إلّا يزيدُهُم حُبّاً إليّ هُـمُ(١)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: إلّا يزيدونهم حبّاً إليّ.

٢ ـ وبلغت إيّاكَ، في شعر حُميد الأرقط:

أَتَتْكَ عَنس تَقطَعُ الأَرَاكا إليكَ حَتّىٰ بَلَغَتْ إيّاكَـا(٢)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: حتّىٰ بلَغَتْك.

٣ ـ وضمنت إيّاهم، في شعر الفرزدق:

بالباعثِ الوارثِ الأمواتَ قَد ضَمِنَت إيّاهم الأرض في دَهـرِ الدَّهـارِير(٣)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: ضمنتهم.

ب ـ الضمير المتصل بدل المنفصل، وجاء ذلك:

في شعر الشاعر: إلّاك ديّارُ، في قوله:

وما نبالي إذا ما كُنْتِ جَارَتَنا ألّا يُجَـاوِرَنَا إلّاكِ دَيّـارُ(٤)

---

(١) شرح شواهد المغني، الشاهد رقم ٥٠.
يُنسَب البيت لزياد بن حمل بن سعد بن عميرة بن حريث. وقيل لزياد بن منقذ وهو أحد بلعدويّة من بني تميم. وقيل للمرّار بن منقذ. وفي الأغاني ينسب لبدر أخي المرار بن سعيد.

(٢) الكتاب لسيبويه، باب ما يجوز في الشعر من (إيّا) ولا يجوز في الكلام ٢ / ٣٦٢.

(٣) شرح ابن عقيل، النكرة والمعرفة، الضمير، الشاهد رقم ١٥؛ وخزانة الأدب، الشاهد رقم ٣٨٦، ٥ / ٢٨٨.

(٤) شرح شواهد المغني، الشاهد رقم ٦٨٠.

وفي غير الموزون من الكلام يقال: إلّا إيّاك.

ثامناً ـ قاعدة جواز ردّ المحذوف:

وجاء ذلك:

أ ـ في شعر لبيد بن ربيعة، وغَدْواً، في قوله:

وما النّاسُ إلّا كالدِّيار وأَهْـلُها   بِها يَوْمَ حَلوها وغَدْواً بلاقِعُ[1]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: غداً.

ب ـ وعلىٰ ما، في شرع حسان:

عَلىٰ مَا قَامَ يَشْـتُمُني لَـئِيمٌ   كَخِنزِيرٍ تَمَـرّغَ في رَمَـادِ[2]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: عَلىٰ مَ.

ج ـ وترأياهُ، في شعر سراقة البارقي:

أُري عَـينَيّ مـا لَم تَـرأَيـاهُ   كِـلانَا عَـالِمٌ بـالتُّرهاتِ[3]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: لم ترياهُ.

٦ ـ وما أرأىٰ، في شعر الشاعر:

← قال العيني: أنشده الفراء ولم يعزه لأحد.

(١) الصحاح للجوهري، مادّة: غدا، وشرح المفصل، ٤ / ٦.

وأبو عقيل وليد بن ربيعة بن مالك العامري، أحد الشـعراء الفـرسان الأشراف في الجـاهلية. أدرك الإسلام (ت: ٤١ هـ).

(٢) شرح شواهد المغني، الشاهد رقم ٤٧٧؛ وشرح المفصل لابن يعيش، مبحث المـوصولات، فصل من، ٤ / ٩.

(٣) جمهرة اللّغة، مادّة رأوىٰ، ١ / ١٧٦؛ ولسان العرب، مادّة: رأىٰ.

وسراقة بن مرداس بن أسماء بن خالد البارقي الأزدي، يماني الأصل (ت: ٧٩ هـ).

أَحِنُّ إذا رَأيتُ جِبالَ نَجْـدٍ   وَمَا أرأىٰ إلىٰ نَجدٍ سَبِيلا[1]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: ما أرىٰ.

هـ ـ وأترأينَهُ، في شعر الشاعر:

ألا تِلكَ جَـارَتُنَا بـالغَضَىٰ   تَقُول أَتَرْأَيْنَهُ لَن يَـضِيعا[2]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: أَتَرَيْنَهُ.

تاسعاً ـ قاعدة جواز فكّ الادغام

وجاء ذلك:

أ ـ في شعر زهير بن أبي سلمىٰ: رَكك، في قوله:

ثُمَّ اسـتَمَرُّوا وَقـالُوا إنّ مَـشْرَبكُم   مَاءٌ بِشَرقِيِّ سَلمىٰ فَيْدُ أو رَكَكُ[3]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: رَكٌّ.

ب ـ وأَلبُبُ، في شعر أنس بن مدركة الخثعمي:

عَزمتُ عَلىٰ إقامَةِ ذِي صَـباحٍ   لأمـرٍ مَـا يُسـوِّدُ مَنْ يَسـودُ

إلَيكُم ذَوي آلِ النَّبيِّ تَـطَلَّعتْ   نَوازعُ مِن قَلبِي ظِماءٌ وأَلْبُبُ[4]

---

(١) لسان العرب، مادّة: رأىٰ.

والبيت لم يسمّ قائله.

(٢) لسان العرب، مادّة: رأىٰ.

والبيت لم يسمّ قائله.

(٣) العقد الفريد، كتاب الزّمردة الثانية في فصائل الشعر ومخارجه، باب: ما يجوز في الشعر ممّا لا يجوز في الكلام ٥ / ٣٥٥.

وزهير بن أبي سلمىٰ، ربيعة بن رياح المزني من مضر. حكيم الشعراء في الجاهلية (ت: ١٣ ق هـ).

(٤) شرح المفصل لابن يعيش، مبحث اقحام المضاف ٣ / ١٢؛ ولسان العرب، مادّة: لبب.

وفي غير الموزون من الكلام يقال: وألبُّ.

ج ـ وضننُوا، في شعر قعنب بن أُم صاحب:

مَهلاً أَعاذِلَ قَد جَرَّبتِ مِن خُلُقِي أَنّي أَجُودُ لأقوامٍ وإن ضَنِنُوا[1]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: ضنُّوا.

د ـ وأَلْبَبِه، في شعر الشاعر:

قَدْ عَلِمت ذَاكَ بَنـاتُ أَلْبَبِـه[2]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: أَلَبِّه.

هـ ـ الأجلَلِ، في شعر أبي النجم العجلي:

الحَـــمْدُ للهِ العَــليِّ الأجــلَلِ الواسِعِ الفَضلِ الوَهُوبِ المجزِلِ[3]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: الأجلِّ.

و ـ مودَدَه، في شعر الشاعر:

إنَّ بَـــنيَّ لَـــلِئامٌ زَهَـــدَهْ مَا لِي في صُدُورِهِم من مَوْدَدَه[4]

← وأبو سفيان، أنس بن مدركة بن كعب الأكلبي الخثعمي، شاعر فارس من المعمرين، كان سيِّد خثعم في الجاهلية وفارسها (ت: ٣٥هـ).

(١) الكتاب لسيبويه، باب: ما يحتمل الشعر ١ / ٢٩؛ وشرح المفصل، مبحث اقحام المضاف ٣ / ١٢؛ ولسان العرب، مادّة: ضنن.

وقعنب بن ضمرة، من بني عبدالله بن غطفان من شعراء العصر الأموي، يُقال له ابن أُمّ صاحب (ت: ٩٥هـ).

(٢) الكتاب لسيبويه، باب: ما شذّ من المعتل على الأصل ٤ / ٤٣٠؛ ولسان العرب، مادّة: لبب.

والبيت لم يسمّ قائله.

(٣) خزانة الأدب، في الشاهد رقم ١٤٨، ٢ / ٣٩٠، ولسان العرب، مادّة جلل.

(٤) لسان العرب، مادّة: ودد.

والبيت لم يسمّ قائله.

وفي غير الموزون من الكلام يقال: مودَّة.

عاشراً ـ قاعدة جواز مخالفة القواعد النحوية:

أ ـ مجيء الرفع بدل النصب أو العكس، وجاء ذلك:

١ ـ في شعر الشاعر أن تقرآن، في قوله:

أن تــقرآنِ عَـلىٰ أسماءَ وَيحَـكُما   مِنِّي السَّلامَ وأن لا تُشعِرا أحدا[1]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: أن تقرآ.

٢ ـ وعقعقانَ وبومُ، في شعر الشاعر:

إنّ مَـن صَـادَ عَـقعَقاً لمشُـومُ   كَيفَ مَن صَادَ عَقعَقانِ وبومُ[2]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: عقعقين وبوماً.

٣ ـ وأن سيقتلُ، في شعر جرير:

زَعَمَ الفَرَزدَقُ أن سَيقتُلُ مَربَعاً   أَبْشِرْ بِطولِ سَلامَةٍ يا مَربعُ[3]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: أن سيقتلَ.

٤ ـ وأُسداً، في شعر عمرو بن أبي ربيعة:

إذا اسْوَدَّ جُنحُ الليلِ فلتأتِ وَلْتَكُن   خُطاكَ خِفافاً إنّ حُراسنا أُسدا[4]

---

(١) شرح شواهد المغني، الشاهد رقم ٣٢.

والبيت لم يسمّ قائله.

(٢) مغني اللبيب، الباب الثامن، القاعدة الحادية عشر، الرقم ١٢٠٠.

والبيت لم نقف علىٰ قائله.

(٣) شرح شواهد المغني، الشاهد رقم ٣٤.

وجرير بن عطية بن حذيفة الخطفي بن بدر الكلبي اليربوعي، من تميم. أشعَر أهل عصره، ولد ومات في اليمامة، وكان هجّاءً مرّاً، لم يثبت أمامه غير الفرزدق والأخطل (ت: ١١٠هـ).

(٤) شرح شواهد المغني، الشاهد رقم ٤٤.

وفي غير الموزون من الكلام يقال: أُسدٌ.

ب ـ مجيء الرفع بدل الجزم، وجاء ذلك:

١ ـ في شعر قيس بن زهير: ألم يأتيك في قوله:

أَلَمْ يَـأْتِيكَ والأنـباءُ تُـنمي ... بِما لاقَتْ لَبونُ بَني زِيادِ[١]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: ألم يأتِكَ.

٢ ـ ولم يوفون، في شعر الشاعر:

لولا فَوارِسُ مِن نُـعمٍ وأُسرَتُهـم ... يوم الصُّليفاءِ لَمْ يُوفُونَ بالجارِ[٢]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: لم يُوفوا.

ج ـ مجيء النصب بدل الجرّ، وجاء ذلك:

١ ـ في شعر ربيع بن ضبع الفزاري مائتين عاماً، في قوله:

إذا عَاشَ الفَتىٰ مائتين عـاماً ... فَقَد ذَهبَ اللّذاذةُ والفَـتَاءُ[٣]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: مائتي عامٍ.

← وأبو عبدالله أو أبو الخطاب عمر بن أبي ربيعة، المخزومي القرشي، أرق شعراء عصره، توفّي سنة ٩٣هـ.

(١) شرح شواهد المغني، الشاهد رقم ١٤٨.

وقيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة العبسي، أمير عبس وداهيتها، كان يلقب بـقيس الرأي لجودة رأيه. وهو معدود في الأُمراء والدهاة والخطباء والشعراء الجاهليين (ت: ١٠ هـ).

(٢) شرح شواهد المغني، الشاهد رقم ٤٣٢.

والبيت لم يسمّ قائله.

(٣) الكتاب لسيبويه، باب الصفة المشبهة بالفاعل في ما عملت فيه ١/٢٠٨؛ وشرح المفصل، مبحث العدد ٦ / ٢١؛ ولسان العرب، مادّة: فتا. وفي البيت شاهد علىٰ ردِّ نون الرفع عند الإضافة.

ورُبَيع بن ضَبُع بن وهب الفزاري الذبياني، شاعر جاهلي، أدرك الإسلام.

٢ ـ وأبا أباها، في رجز الشاعر:

شَالُوا عَلَيهِنَّ فَشل عـلاها   واشدُدْ بِمثنَا حَقبٍ حِقْواها

إنّ أبـــاها وأبـــا أبـــاها   قَد بَلَغَا في المجدِ غَايَتاهَا[1]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: وأبا أبيها.

د ـ مجيء الجزم بدل النصب، وجاء ذلك:

١ ـ في شعر امرئ القيس أن يأتنا، في قوله:

مَا غَـدَونا قَـالَ وِلـــدانُ أَهـــلِنا   تَعَالُوا إلىٰ أنْ يَأْتِنا الصَّيْدُ نُحطب[2]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: أن يأتِيَنا.

٢ ـ وأن تَعلَمْ، في شعر جميل بثينة:

أُحاذر أنْ تَعلَمْ بِها فَـتَرُدَّها   فَتَتْرُكَها ثِقلاً عَليَّ كما هِيا[3]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: أن تَعلَمَ.

هـ ـ مجيء الجرّ بدل الرفع والنصب:

١ ـ مجيء الجر بدل الرفع، وجاء ذلك:

أ ـ في شعر امرئ القيس كبيرُ أُناسٍ مُزَمَّلٍ في قوله:

كأنَّ ثَبِيراً في عَرَانِـينِ وَبْـلِهِ   كَبِيرُ أُناسٍ في بِجادٍ مُزَمَّلِ[4]

---

(١) شرح شواهد المغني، الشاهد رقم ٤٧.

قال السيوطي: قيل إنّ الرجز لرُؤبة، وعزاه الجوهري لأبي النجم.

(٢) شرح شواهد المغني، الشاهد رقم ٣٠.

(٣) شرح شواهد المغني، الشاهد رقم ٣١.

وجميل بن عبدالله بن معمر العذري القضاعي، أبو عمرو، شاعر من عشاق العرب. افتتن ببُثينة وعُرِفَ بجميل بُثينة. توفي سنة ٨٢هـ.

(٤) ديوان امرئ القيس، من معلقته المشهورة؛ وخزانة الأدب، الشاهد رقم ٣٥٠، ٥ / ٩٨.

وفي غير الموزون من الكلام يقال: كبيرُ أُناسٍ مُزَمَّلٌ.

ب ـ وحالكُ اللونِ أسودِ، في شعر دُريد بن الصمّة:

فـجئت إليـهِ والرِّمـاحُ تَـنُوشُه كوقع الصَّياصي في النَّسيجِ الممدَّدِ

فدافَعتُ عَنهُ الخَيلَ حَتّىٰ تَبَدَّدَتْ وَحَتّىٰ عَلاني حَالِكُ اللّونِ أَسودِ[1]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: حالكُ اللونِ أسودُ.

٢ـ مجيء الجر بدل النصب، وجاء ذلك:

أ ـ في شعر العجاج نسجَ العنكبوتِ المُرملِ، في قوله:

كَأَنَّ نَسجَ العَنكَبُوتِ المُرملِ

عَلَىٰ ذُرىٰ قَلامَـةِ المهـدَّلِ

سُبوبَ كَتّانٍ بَأيدي الغُسَّلِ[2]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: نسجَ العنكبوتِ المُرمَلَ.

ب ـ وقطناً محلوجٍ، في شعر ذي الرمّة:

كأنّـكَ ضَرَبتَ قُـدامَ أَعـينها قِطناً بِمُستَحصَدِ الأوتَارِ مَحلوجِ[3]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: قطناً محلوجاً.

---

(١) خزانة الأدب، في الشاهد رقم ٣٤٩، ٥ / ٩١.

ودُريد بن معاوية (الصمّة) بن الحارث الجشمي البكري، من هوازن، من الشعراء المعمرين في الجاهلية. أدرك الإسلام ولم يسلم (ت: ٨هـ).

(٢) الكتاب لسيبويه، باب: مجرى النعت على المنعوت ١ / ٤٣٧؛ وخزانة الأدب للبغدادي، في الشاهد رقم ٣٤٩، ٥ / ٨٨و ٩٧.

(٣) خزانة الأدب، في الشاهد رقم ٣٤٩، ٥ / ٩١؛ ولسان العرب، مـادّة: (حمش) وعـجزه كذا: قطناً بِمُسْتَحْمَش الأوتاد محلوج.

ج ـ وذوي الحاجَاتِ كلِّهم، في شعر الشاعر:

يَا صَاحِ بلِّغ ذَوي الحَاجَاتِ كُلِّهِم
أن لَيسَ وَصلٌ إذا انحلَّت عُرى الذَّنَبِ[1]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: بلّغ ذوي الحاجاتِ كُلَّهم.

و ـ جعل اسم (كان) نكرة وخبرها معرفة، وجاء ذلك:

١ ـ في شعر خداش بن زهير أظبيٌ أم حمارٌ كان أُمَّكَ، في قوله:

فإنَّكَ لا تُبالي بَعدَ حَوْلٍ أَظَبيٌ كانَ أُمَّكَ أم حِمَارٌ[2]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: أظبياً كان أُمُّكَ أم حماراً.

٢ ـ وأسِحرٌ كان طِبَّكَ أم جنونُ، في شعر أبي قيس بن الأسلت الأنصاري:

ألا مَنْ مُبْلغٌ حَسّان عَنِّي أَسِحْرٌ كَانَ طِبَّكَ أم جُنُونُ[3]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: أسحراً كان طبُّك أم جنوناً.

٣ ـ ويكون مزاجَها عسلٌ وماءٌ، في قول حسان بن ثابت:

كأنَّ سَبِيئَةً مِن بَيتِ رَأسٍ يَكون مِزَاجَها عَسَلٌ ومَاءُ[4]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: يكونُ مِزاجُها عسلاً وماءً.

---

(١) مغني اللبيب، الباب الثامن، القاعدة الثانية؛ وخزانة الأدب، في الشاهد رقم ٤٥٩، ٥ / ٩٣.

والبيت نسبه صاحب الخزانة لأبي الغريب الاعرابي وقال: أدرك الدولة الهاشمية.

(٢) الكتاب لسيبويه، باب: الفعل الّذي يتعدىٰ اسم الفاعل إلىٰ اسم المفعول ١ / ٤٨؛ وشرح شواهد المغني، الشاهد رقم ٨٠١.

وخداش بن زهير العامري من بني عامر بن صعصعة، شاعر جاهلي.

(٣) الكتاب لسيبويه، ١ / ٤٩.

وأبو قيس كان معاصراً لحسان بن ثابت.

(٤) نفس المصدر السابق.

٤ ـ وأسكرانُ كانَ ابنَ المراغةِ، في شعر الفرزدق:

أسَكرانُ كَانَ ابنَ المراغَةِ إذْ هَجا   تميماً بجوفِ الشّامِ أم مُتَساكِرُ[١]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: أسكراناً كانَ ابنُ المراغةِ أم هو مُتساكرٌ.

ز ـ تصغير فعل التعجب واسم الإشارة، وجاء ذلك:

في شعر العرجي يا ما أُميلِحَ، هؤليّائِكُنَّ، في قوله:

يَا مَا أُمَيلحَ غِزلاناً شَدَنَّ لَنا   مِن هؤلَيّائِكُنَّ الضَّالِ والسُّمُرِ[٢]

وفي غير الموزون من الكلام لا يصغر فعل التعجب ولا اسم الإشارة.

ح ـ الحاق نون التأكيد بالفعل الماضي واسم الفاعل، وجاء ذلك:

١ ـ في شعر الشاعر أقائلُنَّ، في قوله:

وَلا يَرىٰ مَالاً لَهُ مَعْدُودا   أَقَائِلُنَّ أَعْجلُوا الشُّهُودَا[٣]

وفي غير الموزون من الكلام لا تلحق نون التأكيد باسم الفاعل.

٢ ـ ودامَنَّ، في شعر الشاعر:

دامَنَّ سَعدُكِ رَحِمْتِ مُتَيماً   لَولاكِ لَمْ يَكُ لِلصَّبَابَةِ جَانِحا[٤]

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) شرح شواهد المغني، الشاهد رقم ٨٥٤.

والعرجي، عبدالله بن عمر بن عمر بن عثمان بن عفان الأموي، شاعر غزلي، ينحو نحو عمر بن أبي ربيعة، سجنه والي مكّة محمّد بن هشام وتوفّي في السجن (ت: ١٢٠ هـ).

(٣) شرح شواهد المغني، الشاهد رقم ٥٤٥.

قال السيوطي: قال السكري: قاله رجل من هذيل.

(٤) شرح شواهد المغني، الشاهد رقم ٥٤٨.

والبيت لم يسمّ قائله.

وفي غير الموزون من الكلام لا تلحق نون التأكيد بالفعل الماضي.

ط ـ الحاق نون التنوين بالاسم المفرد المنادىٰ، وجاء ذلك:

١ ـ في شعر الأحوص يا مطرٌ، في قوله:

سَلامُ اللهِ يـا مَـطَرٌ عَـلَيها   ولَيسَ عَليكَ يا مَطرُ السّلامُ[1]

وفي غير الموزون من الكلام لا تلحق التنوين اسم المفرد المنادىٰ.

٢ ـ ويا عدياً، في شعر عديّ بن ربيعة:

ضَرَبتْ صَـدرَها إلَيّ وقَـالَت   يَا عَدِياً لَـقَد وَقَـتكَ الأواقي[2]

وفي غير الموزون من الكلام لا تلحق التنوين اسم المفرد المنادىٰ.

ي ـ تنوين الاسم غير المنصرف، وجاء ذلك:

١ ـ في شعر النابغة الذبياني قصائدٌ، في قوله:

فـلنَأتِينْكَ قَـصَائدٌ ولتَرْكَـبَنْ   جَيشٌ إليكَ قَوادِمَ الأكـوَارِ[3]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: قصائدُ.

٢ ـ ودمشقاً في قول الشاعر:

---

(١) الكتاب لسيبويه، باب: ما ينتصب على المدح والتعظيم أو الشتم، ٢/٢٠٢؛ وشرح شواهد المغني، الشاهد رقم ٥٥٥.

وأبو عاصم، عبدالله بن محمّد بن عاصم الأنصاري الأوسي من بني ضـبيعة، شاعر هجاء من شعراء الدولة الأموية، من أهل المدينة (ت: ١٠٥ هـ).

(٢) شرح الألفية للسيوطي، النداء، الشاهد رقم ٢٩٢.

وأبو ليلىٰ، عدي بن ربيعة بن مرّة بن هبيرة من تغلب، المهلهل من أبطال العرب في الجاهلية من أهل نجد، وهو خال امرئ القيس، توفّي سنة ١٠٠ هـ.

(٣) ديوان النابغة الذبياني، حرف الراء، ص ٢٥٩؛ والكتاب لسيبويه، باب: ما يكون ما قبل المحذوف ٣/ ٥١١.

ثُمَّ نَـادي إذا دَخـلتَ دِمشـقاً   يَا يَزيدُ بنَ خَالِدِ بن يَـزيدِ[1]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: دمشقَ.

٣ ـ وأُحادُ، في قول أبي الطيب المتنبي:

أُحَادٌ أمَ سداسٌ في أُحادِ   لُـيَيْلَتُنا المـنُوطَةُ بِـالتَّـنَادِ[2]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: أُحادُ.

ك ـ مجيء أبيض وأسود بمعنىٰ أفعل التفضيل، وجاء ذلك:

١ ـ في شعر الراجز، أبيض، في قوله:

أبيَضُ مِن أُخْتِ بَني أَبَاضِ[3]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: أشدُّ بياضاً.

٢ ـ وأسود، في قول المتنبي:

أبعَدْ بَعِدتَ بَياضاً لا بَـياضَ لَـهُ   لأنتَ أسودُ في عَيني مِنَ الظُّلَمِ[4]

وفي غير الموزون من الكلام يقال: أشدُّ سواداً.

عود علىٰ بدء:

بعد ذكر ما تقدّم نعود إلىٰ كتاب الله الحكيم، ونورد أمثلة من مراعاة الوزن اللفظي في بعض آياته، مثل قوله تعالىٰ:

---

(١) الأغاني، أخبار موسىٰ شهوات ونسبه ٣ / ٣٥٤؛ والقرطبي، تفسير سورة يوسف ٩ / ٢٥٧.

(٢) كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري، الباب العاشر، الفصل الأوّل، ص ٤٥٦.

(٣) لسان العرب، مادّة: بيض.

والرجز لرؤبة بن العجاج.

(٤) مغني اللبيب لابن هشام، الباب الخامس، الجهة الثانية، الشاهد رقم ٩٤٣.

أ ـ ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ * لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾. (التين / ١ ـ ٤)

ب ـ ﴿إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِن أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا...﴾.

(طه / ٦٣)

في المورد الأوّل قال ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ بدل (وطور سيناء) مراعاة للوزن، وليس مراعاة للسّجع، فإن قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ ليس فيه مراعاة للسجع.

وفي المورد الثاني قال ـ عزّ اسمه ـ: ﴿إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ بدل (هٰذين) مراعاة للوزن.

وفي الموردين لا يلتبس الأمر علىٰ أحد، ولا حاجة فيهما لمراعاة قواعد اللّغة العربية الّتي وضعت للكلام غير الموزون، كي نختلق بسببها قراءة مخالفة للنصّ القرآني الّذي أوحى الله به إلىٰ رسوله (ص).

سادساً ـ اجتهاد القرّاء وتبديلهم النصّ القرآني بغيره استناداً إلىٰ ما سبق ذكره

في النصف الثاني من القرن الأوّل الهجري اجتهد القرّاء، واعتمدوا الروايات والإجتهادات اللّاتي أوردناها سابقاً، واختلقوا القراءات المختلفة وأسّسوا بذلك علم القراءات، فقد كان العلماء يروون يومئذ في ما يروون ما خلاصته:

أ ـ انّ الرسول (ص) ناجىٰ ربّه وطلب منه: أن يخفف عن أُمتّه في قراءة النصّ القرآني فأذن لهم أن يقرأوا بسبعة أحرف، أي : يبدلوا كلامه المجيد بما شاؤوا كما شاؤوا، وان لهم أن يبدلوا ما جاء من أسماء الله الحسنىٰ في القرآن الكريم بعضه ببعض الآخر بشرط أن لا يتبدل معنىٰ آية رحمة بآية عذاب أو آية عذاب بآية رحمة، وأنّ للنّاس كل النّاس أن يبدلوا ما جاء في آية ـ مثلاً ـ ﴿عزيز حكيم﴾ بـ (سميع بصير).

ب ـ أنّ الصحابة بدلوا النصوص القرآنية بما رأوه موافقاً لقواعد العربية أو بنصوص أُخرىٰ استحسنوها، وفق اجتهادهم.

ج ـ ان الخليفة عثمان قال: في المصحف لحن ستقيمه العرب بألسنتها، وظنّوا أنّه أراد أنّ في رسم الخط خطأً ستقيمه العرب بألسنتها، وكما جرىٰ ذلك إلىٰ يومنا هذا، وقرأوا النصّ المكتوب لحناً صحيحاً، ولم ينتبهوا إلىٰ أنّ الرواية قد تكون مختلقة ومفتراة من قبل الزنادقة.

وبسبب ما ذكرناه قامت جماعة من أُولئك العلماء بتبديل النصّ القرآني وفق اجتهادهم الخاص اقتداء منهم بما رووا عن الصحابة، وأخذوا بتلك الروايات، أي: أنّهم استقوا في عملهم من معينين:

١ ـ من كل رواية جاء فيها ذكر تبديل لفظ القرآن بغيره من قبل الصحابة صحيحة كانت الرواية حسب مقاييس علم الدراية بمدرسة الخلفاء أم ضعيفة وشاذّة.

٢ ـ من كل لغة لكل قبيلة من قبائل العرب سواء أكانت شائعة لديهم أم شاذة ونادرة، وكل قاعدة من قواعد اللّغة العربية دونما ملاحظة لموارد الإستثناء منها.

٣ ـ أضافوا إليهما اعتمادهم علىٰ ما استحسنوه في تبديل النصّ القرآني حسب اجتهادهم.

وفي ضوء ما ذكرناه قاموا بعرض النصوص القرآنية على المألوف عندهم من قواعد اللّغة العربية، وبدلوا من النصّ القرآني ما زعموه مخالفاً لها بلفظ يوافقها، وبحثوا في لغات العرب واختاروا منها لغات بدّلوا بها لغة القرآن وتسابقوا في جمع كل ما جاء لكل قبيلة وفي كل رواية وكل قاعدة، وأخضعوا جميع كلمات القرآن لجميع تلكم الروايات واللغات والقواعد، وسمّوا كل لفظ بدّلوا النصّ القرآني به شاذاً كان أم غير شاذ بـ(قراءة)، وسمّوا عملهم ذلك بـ(علم القراءة)، وسمّوا أنفسهم بـ(القرّاء)، وكسبوا بذلك جاهاً وسمعة في المجتمع الإسلامي زعماً من النّاس أنّهم علماء تخصّصوا بعلم قراءة كتاب الله المجيد، ولم يدركوا أنّ عملهم تغيير لكلام الله المجيد.

وإليكم مثالاً واحداً من أنواع عملهم المختلق واساءتهم الأدب ازاء القرآن العظيم كما أورده القرطبي في تفسيره سورة الفاتحة[١] وقال:

التاسعة والعشرون ـ ﴿صِرَاطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمتَ عَلَيهِمْ﴾.

---

(١) تفسير القرطبي، ط. مصر سنة ١٣٨٧هـ، ١ / ١٤٠ ـ ١٤٩.

وَلغة القرآن «الَّذين» في الرفع والنصب والجر؛ وهذيل تقول: اللّذونَ في الرفع، ومن العرب من يقول: اللذو[1]، ومنهم من يقول: الّذي[2]؛ وسيأتي.

وفي «عليهم» عشر لغات؛ قرئ بعامتها:

«عليهُمْ» بضم الهاء وإسكان الميم.

و «عليهِمْ» بكسر الهاء وإسكان الميم.

و «عليهِمِي» بكسر الهاء والميم وإلحاق ياء بعد الكسرة.

و «عليهِمُو» بكسر الهاء وضم الميم وزيادة واو بعد الضمة.

و «عليهُمُو» بضم الهاء والميم كلتيهما وإدخال واو بعد الميم.

و «عليهُمُ» بضم الهاء والميم من غير زيادة واو.

وهذه الأوجه الستّة مأثورة عن الأئمة من القرّاء.

وأوجه أربعة منقولة عن العرب غير محكية عن القرّاء: «عليهُمِي» بضم الهاء وكسر الميم وإدخال ياء بعد الميم، حكاها الحسن البصري[3] عن العرب.

و «عليهُمِ» بضم الهاء وكسر الميم من غير زيادة ياء.

و «عليهِمُ» بكسر الهاء وضم الميم من غير إلحاق واو.

و «عليهِمِ» بكسر الهاء والميم ولا ياء بعد الميم. وكلّها صواب، قاله ابن الأنباري.

---

(١) قال أبو حيان في البحر ١ / ٢٦: واستعماله بحذف النون جائز. كذا في اللسان.

(٢) أي إفراداً أو جمعاً في الرفع والنصب والجرّ؛ كما يؤخذ من لسان العرب.

(٣) في بعض نسخ الأصل: «الأخفش البصري» وهو أبو الحسن سعيد بن مسعدة.

دراسة الخبر:

أ ـ قال في أوّل كلامه: (وفي عليهم عشر لغات) واللّغات جمع اللّغة، ولغة كل قبيلة الكلمات الّتي تختص هي بتلفظها، وقد يقال لها (اللهجة)، وكذلك يقال لما جاء في القرآن: (لغة القرآن) كما قال القرطبي قبل إيراده اللغات العشر:

(ولغة القـرآن الّذين في الرفع والنصب والجرّ، وهذيل تقول: اللّـذون في الرفع...).

ولمّا كانت الثانية من اللّغـات الّتي ذكرها: (عَلَيهِمْ) بكسر الهاء وسكون الميم، هي لغة القرآن، كما كتبت في المصاحف، عرفنا انّ اللّغات التسع الباقية هي من اجتهادات القرّاء ولغات القبائل العربية، وبيان ذلك كالآتي:

ب ـ قال بعد إيراد ست لغات منها: (وهذه الأوجه الستّة مأثورة عن الأئمة القرّاء).

أي أن القرّاء الّذين يقتدىٰ بهم في قراءة القرآن قرأوا بهذه اللّغات الستّ، ويصحّ للمسلمين أن يقتدوا بهم، ويقرأوا بأيّ اللّغات الست شاؤوا.

ويظهر من كلامه أن بعض القرّاء قرأ (عَلَيهِمْ) بلغة القرآن والخمسة الباقين قرأوها حسب اجتهاداتهم.

ج ـ قال بعده: (وأوجه أربعة منقولة عن العرب غير محكيّة عن القرّاء)، وإنّما ذكر الأوجه الأربعة الّتي لم يقرأ بها القرّاء في عداد القراءات العشر، لأنّها نقلت من لغات العرب، ولغات العرب أحد المـنابع الّتي أخذوا منها القـراءات المختلفة مقابل النصّ القرآني، ويؤيّد ذلك ما جاء في أوّل كلامه:

أوّلاً ـ (قرئ بعامّتها) أي قرئ النصّ القرآني بعامّة تلكم اللّغات العشر لأنّه يقصد من (قرأ وقرئ) في علم القراءات قراءة النصّ القرآني كما انّ القارئ هو المتخصص بقراءة القرآن.

ثانياً ـ قال في آخر كلامه: (وكلّها صواب، قاله ابن الأنباري).

وابن الأنباري هو أبو بكر محمّد بن القاسم اللغوي النحوي، وصفوه بأنّه: كان علّامة وقته في الأدب، كان يحفظ عشرين ومائة تفسير للقرآن الكريم بأسانيدها ـ أي يرويها بأسانيدها عن مؤلفيها ـ وثلاثمائة ألف بيت شاهد في القرآن المجيد ـ أي أنه كان يحفظ ثلاثمائة ألف بيت من أشعار العرب يستشهد بها أحياناً علىٰ صحّة النصّ القرآني، وأحياناً علىٰ صحّة القراءات الّتي اكتشفها القرّاء، وأحياناً يستدل بها علىٰ معنى النصّ القرآني ـ وكان يحفظ ثلاثة عشر صندوقاً من الكتب (ت: ٣٢٨)[١].

وإنّما قال ابن الأنباري (كلّها صواب) لأنّه وجد ستّاً منها في قراءة القرّاء الكبار بما فيها لغة القرآن المجيد وأربعاً منها في لغات العرب.

د ـ إنّ اللغات التسع الّتي قرئت مقابل النصّ القرآني: (عَلَيْهِمْ) لم ينزل بها الله من سلطان، ولم تُروَ قراءتها عن الرسول (ص) ولا عن صحابته، لأنّ القراءة لو كانت مرويّة عنهم لنسبها إليهم كما قال قبله:

(والخامسة عشرة) اختلف العلماء أيّما أبلغ: ملك أو مالك؟ والقراءتان مرويتان عن النبيّ (ص) وأبي بكر وعمر، ذكرهما الترمذي.

وقال بعده:

الموفية الثلاثين: قرأ عمر بن الخطاب وابن الزّبير (رض) «صراط من أنعمت عليهم».

نتيجة دراسة قراءات «عليهم»:

أوّلاً ـ إنّ القراءة الثانية (عَلَيْهِمْ) كانت موافقة لخطّ المصحف الّذي بأيدي

---

(١) راجع ترجمته في الكنىٰ والألقاب للقمّي، وأنباه الرواة في طبقات النحاة ٣ / ٢٠١.

الناس كلّ الناس اليوم، وكذلك ورثوه خلفاً عن سلف جيلاً بعد جيل، ولذلك قرأها الناس كلّ الناس منذ عصر رسول الله (ص) حتّى اليوم ما عدا طبقة القرّاء منهم الّذين اختلقوا القراءات، وكذلك أنزلها الله ـ جلّ جلاله ـ علىٰ رسوله (ص)، وكذلك كتبها جميع من كتبها من المسلمين على العسب واللخاف وغيرهما علىٰ عهد رسول الله (ص) وبتعليم الرسول (ص) إيّاهم أن يقرأوها كذلك ومن فمه المبارك، وكذلك كتبها المسلمون منذ عصر الرسول (ص) حتّىٰ عصرنا الحاضر، وكذلك كتبها القرّاء أنفسهم في كل العصور، ولم يكتبوا معها ما اختلقوا من قراءات.

أمّا اللّغات التسع الباقية: فمنها ما اختلقها القرّاء بأنفسهم استحساناً منهم لها.

ومنها ما اقتبسوها من تلفّظ بعض القبائل العربية لكلمة (عَلَيْهِمْ) في محاوراتهم الخاصّة بهم.

ثمّ أخضعوا كلام الله المجيد لتلفظ تلك القبائل، وهكذا اختلقوا تسع قراءات في مقابل النصّ القرآني لم ينزل الله بها من سلطان ولم يقرأها الرسول (ص) ولا من كان في عصره سواء الصحابة منهم أم سائر المسلمين.

ثانياً ـ قال في الموفية الثلاثين:

(قرأ عمر بن الخطاب وابن الزّبير (رض) «صراط من أنعمت عليهم»)

أي: إنّ هذه القراءة رويت عن عمر وابن الزّبير خاصّة ولم ترد في النصّ القرآني ولم ترد عن رسول الله (ص).

ودليلنا علىٰ ذلك أنّه قال قبله: إنّ قراءة ملك ومالك رويت (عن النبيّ وأبي بكر وعمر).

وهكذا ذكر اسم النبيّ (ص) في عداد من قرأ (ملك ومالك) بينا نسب قراءة (صراط من أنعمت) إلىٰ عمر وابن الزّبير، ولم يذكر اسم النبيّ (ص) في

عداد من قرأ كذلك.

إذاً فإنّ هذه القراءة مقابل النصّ القرآني ﴿صِرَاطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ الّذي توارثه المسلمون خلفاً عن سلف وجيلاً بعد جيل إلىٰ أن ينتهوا إلى الّذين أخذوه من فم الرسول (ص)، وكتبوه بأمره، ونحن نعلم أنّ الرسول (ص) أخذ هذه القراءة من الله سبحانه حيث قال تعالىٰ: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَىٰ﴾.

وبناءً علىٰ ذلك قالوا: أقرأ الله ورسوله ﴿صِرَاطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ المسلمين كما هو في النصّ القرآني وقرأ عمر وابن الزّبير (صراط من أنعمت عليهم)!!!

ولست أدري كيف استساغوا أن يقولوا: قال الله ورسوله وقال الصحابة والقرّاء!!!

ولست أدري ممّن أخذ عمر وابن الزّبير وغيرهما تلك القراءة، لست أدري!!!

وإنّ عملهم في اختلاق القراءة لم يقتصر علىٰ ما اختلقوه لكلمة عليهم من قراءة، وإنّما هو دأبهم مع جميع الكلمات القرآنية في اخضاعها لما رووه عن الصحابة من قراءة، أو ما وجدوه في شتىٰ لغات القبائل العربية، أو ما ألفوه من قواعد اللّغة في غير الموزون من الكلام، أو لما استحسنوه من بديل آخر للنصّ القرآني الكريم.

وهكذا اختلقوا ما لا نستطيع له عداً من القراءات لكلام الله المجيد استناداً إلى اجتهادهم في تبديل كلام الله المجيد بغيره.

وكل تبديل لكلام الله بغيره تحريف.

وكذلك حرّفوا كلام الله بأنواع التحريف:

أ ـ تحريف كلمات كلام الله المجيد مثل ما مرّ تبديلهم: ﴿ننسه﴾ بـ(ننساه) و﴿وَلَا الضَّالِّين﴾ بـ(غير الضالّين).

ب ـ تحريف الحركات الإعرابية والحروف الإعرابية لكلام الله مثل ما مرّ تبديلهم: ﴿إِنْ هٰذَانِ﴾ بـ(إنّ هٰذين).

ج ـ تحريف ضبط الكلمات، مثل ما مرّ تبديلهم: ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بـ(عَلَيْهُمْ) و(عَلَيهُمُ).

وهكذا حرّفوا القرآن تحريفاً بما لا يتيسر عدّه ومزّقوه تمزيقاً لم يجر نظيره علىٰ أي نصّ آخر سماوياً كان مثل التوراة والإنجيل المحرّفين، أو من كلام البشر مثل قصائد شعراء الجاهليين كامرئ القيس أو مخضرمين كأبي طالب وحسان ابن ثابت، أو إسلاميين كالمتنبي والحمداني، وكذلك في خطب الخطباء وتصانيف المؤلِّفين في أيّ لغة من لغات الإنسان.

ثمّ سمّوا كل ذلك التحريف للقرآن بعلم القراءة.

وإليكم وصفاً موجزاً لكيفية انتشار تلك القراءات والّذي يسمّىٰ بعلم القراءات وكيفية ارتحال طلابها من بلد إلىٰ بلد لاقتناء هذا العلم المزيف من شيوخه نصاً من كتاب البرهان للزركشي (١ / ٣٢٤ و٣٢٥) حيث قال:

(فكان من قدماء علمائنا ممّن حجّ يأخذ بمصر شيئاً يسيراً، كأبي عمر الطلَمَنْكي[١] صاحب الروضة، وأبي محمّد مكّي بن أبي طالب[٢]. ثمّ رحل

---

(١) هو أحمد بن محمّد بن عبدالله بن لب، أبو عمر الطلمنكي، نزيل قرطبة، رحل إلى المشرق؛ ولقيَ كثيراً من العلماء بمصر، منهم ابن غلبون؛ وعاد إلى الأندلس، وألّف كتاب الروضة. توفّي سنة ٤٢٩هـ (طبقات القرّاء لابن الجزري ١ / ١٢٠).

(٢) ولد بالقيروان، وحجّ فسمع بمكّة، ورحل إلىٰ مصر فقرأ علىٰ ابن غلبون وابنه، ثمّ عاد إلى القيروان، ورحل إلى الأندلس، ومات سنة ٣٩٤هـ (طبقات القرّاء ٢ / ٣١٠).

أبو عمرو الداني[1] لطول إقامته بدانية[2] فأخذ عن أبي خافان، وفارس، وابن غَلْبون؛ وصنف كتاب «التيسير»، وقرأ علىٰ هؤلاء.

ورحَل أيضاً أبو القاسم يوسف بن جبارة الأندلسي[3]، فأبعد في الشقّة، وجَمع بين طريق المشرق والمغرب، وصنف كتاب الكامل، يحتوي على القراءات السبع وغيرها، ولم أرَ ولم أسمع أوسعَ رحلة منه، ولا أكثر شيوخاً.

وقد أقرأ القرآن بمكّة أبو معشر الطبري[4]، وأبو عبدالله الكارَزيني[5] وكانا متّسِعي الرواية.

وكان بمصر أبو عليّ المالكي[6] مؤلّف الروضة، وكان قد قرأ بالعراق، وأقرأ بمصر.

---

(١) هو عثمان بن سعيد أبو عمرو الداني القرطبي، شيخ مشايخ المقرئين في عصره؛ توفِّي سنة ٤٤٤هـ (وانظر ترجمته في طبقات القرّاء ١ / ٥٠٣ ـ ٥٠٥).

(٢) دانية: دانية بالأندلس، من أعمال بلنسية؛ كانت قاعدة ملك أبي الحسن مجاهد العامري؛ وأهلها أقرأ أهل الأندلس، لأنّ مجاهداً كان يستجلب القرّاء ويفضل عليهم، وينفق لهم الأموال فكانوا يقصدونه ويقيمون عنده؛ فكثروا في بلاده (ياقوت، مادّة دانية).

(٣) هو يوسف بن عليّ بن جبارة أبو القاسم الهذلي اليشكري؛ قال في كتابه الكامل: «لقيت في هذا العلم ثلاثمائة وخمسة وستين شيخاً، من آخر المغرب إلىٰ فرغانة يميناً وشمالاً وجبلاً وبحراً؛ ولو علمت أحداً تقدّم عليّ في هذه الطبقة في جميع بلاد الإسلام لقصدته ...»، توفِّي سنة ٤٦٥هـ (طبقات القرّاء ٢ / ٣٩٧).

(٤) هو عبدالكريم بن عبدالصمد أبو معشر الطبري، صاحب كتاب التلخيص في القراءات الثمان، توفِّي سنة ٤٧٨هـ (طبقات القرّاء ١ / ٤٠١).

(٥) في الأُصول «الكارزوني» تصحيف؛ وهو أبو عبدالله محمّد بن الحسين الكارزيني الفارسي؛ تنقل في البلاد وعاش بمكّة. قال الذهبي: كان حياً سنة ٤٤٠هـ (طبقات القرّاء ٢ / ١٣٢).

(٦) هو الحسن بن محمّد بن إبراهيم البغدادي. توفِّي سنة ٤٣٨هـ (طبقات القرّاء ١ / ٢٣٠).

وبعدهم التاج الكندي[1] فأقرأ الناس بروايات كثيرة لم تصل إلىٰ بلادنا.

وكان أيضاً ابن ماموية[2] بدمشق يقرئ القرآن بالقراءات العشر.

وبمصر النّظام الكوفي[3] يُقرئ بالعشر وبغيرها، كقراءة ابن محيصِن والحسن.

وكان بمكّة أيضاً زاهر بن رستم[4] وأبو بكر الزنجاني[5]، وكانا قد أخذا عن أبي الكرم الشَّهرزوري كتاب المصباح الزاهر في القراءات العشر البواهر؛ وأقرأه الزنجاني بعض شيوخنا.

وكان عزّالدين الفاروقي[6] بدمشق، يُقرئ القرآن بروايات كثيرة، حتّىٰ قيل إنّه أقرأ بقراءة أبي حنيفة.

والحاصل اتّساع روايات غير بلادنا، وأنّ الّذي تضمّنه التيسير، والتبصرة[7] والكافي[8] وغيرها من تآليفهم؛ انّما هو قُلٌّ من كُثْر، ونَزْر من بحر.

---

(١) هو زيد بن الحسن بن زيد أبو اليمن الكندي البغدادي نزيل بغداد، توفّي بدمشق سنة ٦١٣هـ (طبقات القرّاء ١ / ٢٩٨).

(٢) هو أحمد بن محمّد بن ماموية أبو الحسن الدمشقي، ذكره ابن الجزري في طبقات القرّاء ١ / ١٢٨، ولم يذكر تاريخ وفاته.

(٣) لعلّه محمّد بن عبدالكريم الملقّب بنظام الدين، وانظر طبقات القرّاء ٢ / ١٧٤.

(٤) زاهر بن رستم أبو شجاع الأصبهاني الشافعي، مات بمكّة سنة ٦٠٩هـ (طبقات القرّاء ١ / ٢٨٨).

(٥) هو أبو بكر محمّد بن إبراهيم الزنجاني المجاور بمكة؛ ذكره ابن الجزري في الطبقات ٢ / ٤٨.

(٦) خطيب دمشق أصله من واسط، ورحل إلىٰ دمشق ثمّ عاد إلى موطنه؛ وتوفّي سنة ٦٩٤هـ (طبقات القرّاء ١ / ٢٥).

(٧) التبصرة في القراءات السبع، لأبي محمّد مكّي بن أبي طالب القيسي.

(٨) الكافي في القراءات السبع، لمحمّد بن شريح الإشبيلي.

وبيانه أن في هذه الكتب مثلاً قراءة نافع من رواية ورش وقالون، وقد روى الناس عن نافع غيرهما؛ منهم إسماعيل بن أبي جعفر المدني وأبو خلف وابن حبّان، والأصمعي).

انتهىٰ نقل نصّ كتاب البرهان للزركشي.

دراسة بعض ما جاء في الصفحتين الآنفتين:

قال في ص ٣٢٥: انّ ابن مامويه بدمشق كان يقرئ القرآن بالقراءات العشر، وبمصر النظّام الكوفي يقرئ بالعشر وبغيرها.

وانّ عزّالدين الفاروقي بدمشق كان يقرئ بروايات كثيرة حتىٰ قيل: إنّه أقرأ بقراءة أبي حنيفة.

ومغزىٰ أقواله: أنّ ابن مامويه بدمشق كان يبدل لغة القرآن بعشرة أنواع من لغات غير القرآن، وأن عزّالدين فيها كان يبدل لغة القرآن بلغات كثيرة حتّىٰ لغة أبي حنيفة.

وقال: (والحاصل اتّساع روايات غير بلادنا).

ثمّ وصف مؤلّفات شيوخ بلاده في القراءة وقال: (هو قُلٌّ من كُثْر، ونزر من بحر) مع أنّه ذكر قبله في ص ٣٢٤ ان أبا القاسم الأندلسي أبعد في الشقّة وجمع بين طرق المشرق والمغرب، وذكر في الهامش ان أبا القاسم هذا قال: (لقيت في هذا العلم ثلاثمائة وخمسة وستّين شيخاً من آخر المغرب إلىٰ فرغانة يميناً وشمالاً وجبلاً وبحراً، ولو علمت أحداً تقدّم عليّ في هذه الطبقة في جميع بلاد الإسلام لقصدته) وانّ فرغانة في آخر بلاد الشرق.

أي أنّ هذا القارئ سافر برّاً وبحراً وسهلاً وجبلاً في كل بلاد الإسلام من أقصى المغرب إلىٰ أقصى المشرق.

وكان في بلنسية من الأندلس ملك يستجلب القرّاء، وينفق عليهم الأموال، وذلك مثال على اهتمام المسلمين بأمر القراءات المختلفة في سائر البلاد الإسلامية يومذاك!!!

نتيجة الدراسة:

نستنتج من الدراسة المستفيضة السابقة ما يأتي:

أوّلاً ـ انّ قواعد النحو والصرف اكتشفت من محاورات بلغاء العرب وبدئ بتدوين أُسسها بعد ربع قرن من نزول القرآن.

وأنّهم وجدوا ـ مثلاً ـ أنّ بلغاء العرب تُغير حركات أواخر الكلمات منعاً للّبس، فتُحرِّك آخر الفاعل بالضمّة وآخر المفعول بالفتحة، وتقول: درّس الحسنُ الحسينَ، ليعلم أنّ الحسنَ مدرسٌ والحسين تلميذٌ.

وفي كتابة الهمزة تكتب الهمزة المكسور ما قبلها علىٰ نبرة الياء مثل (فئة) ولمّا كان من الجائز في عدد (مئة) حكّ الهمزة في جملة (خمس مئة درهم) ـ مثلاً ـ وتقرأ عندئذ (خمس منه درهم) ويلتبس الأمر، خالفوا القاعدة هنا، وأضافوا في الكتابة قبل الهمزة ألفاً ليّنة لرفع هذا اللَّبس وكتبوها: مائة، وخمسمائة.

إذاً فالحكمة في وضع هذه القواعد رفع اللّبس في النطق والكتابة.

ثانياً ـ نجد البلغاء قد يتركون بعض تلك القواعد في الكلام الموزون مثل الشعر، ويسمّون المبرّر له (ضرورة الشعر) ونحن نسمّيه (قاعدة الكلام الموزون). كما فصلنا القول فيه بمنه تعالىٰ في ما سبق.

ثالثاً ـ إنّ لكلّ سورة من سور القرآن وزناً خاصّاً بها، تهفو لسماعه النفوس في مقابل أوزان الشعر والنثر الفني.

وقد بني هذا الوزن في آي القرآن علىٰ تناسق الكلمات الموزونة في الجمل،

والجمل بعضها مع بعض في السورة، وإذا تغيّر شيء من بنائه فقد النغم المحبب إلى النفس.

وهذا أحد وجوه إعجاز القرآن الكريم، فهو معجز في تشييد مبانيه كما هو معجز في اختيار معانيه، وهو معجز في جميع جوانبه، وهو فوق كلام بلغاء العرب كافّة.

فإن لم يؤمن أحد بأنّه وحي إلٰهي، فإنّه يقول عندئذ: إنّه من نطق سيّدٍ من صميم قريش أفصح قبائل العرب لساناً، وقد قال ـ (ص) ـ: «أنا أفصح العرب بيد أنّي من قريش»[1].

وعلىٰ هذا يجب أن يتّخذ القرآن ميزاناً لمعرفة صحّة الكلام العربي ويقاس بتعابيره قواعد لغتها، فما وافقه فهو صحيح وما خالفه فهو زائف وسقيم.

وبعد هذا البيان نقول: إنّ العلماء لما وجدوا في قوله تعالىٰ: ﴿إِنْ هَـٰذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ خلافاً للقاعدة المكتشفة من لسان العرب حيث يقولون: (إن هذين لساحران)، أجروا عليه التبديلات المذكورة كلّ حسب اجتهاده، ينوون بذلك الخير في عملهم حين يقومون بتصحيح كلام الله ـ نعوذ بالله ـ بما يوافق تعابيرهم في كلامهم غير الموزون.

وبناءً علىٰ عملهم هذا ينبغي لهم أن يصحّحوا شعر حسان (مِلأَوْسِ أو مِلخَزرج) ويقرأوه:

لمّا رأىٰ بَدْراً تَسيلُ جِلاهُها   بكتائبٍ من الأوسِ أو من الخزرج

ويفقدوه وزنه الّذي به امتاز علىٰ سائر محاورات العرب.

بعد بيان ما سبق، نقف وقفة تأمّل واستنتاج لما ذكرناه.

---

(١) نهاية اللّغة لابن الأثير، مادّة (بيد).

وقفة تأمّل واستنتاج مع الآية الكريمة إزاء اجتهادهم فيها:

أوّلاً ـ إنّ لفظ (إن هٰذين لساحران) ثقيل على السمع والنطق، ولفظ ﴿قَالُوا إِنْ هٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِنْ أَرْضِكُم﴾ خفيف على السمع والنطق، وموزون محبب للنفس.

ثانياً ـ لا يلتبس المعنىٰ مع هذا اللفظ على السامع، وذلك ـ أيضاً ـ ما عناه من رواه عن الخليفة عثمان في ما روىٰ ابنه أبان وقال: قرأتُ هذه الآية عند أبي عثمان بن عفان، فقال: لحن وخطأ!!!

فقال له قائل: ألا تُغيِّروه؟

فقال عثمان: دعوه فإنّه لا يحرِّم حلالاً ولا يحلِّل حراماً[1].

وقد برهنا علىٰ ان أمثال هذه الروايات افتري بها على الصحابة.

ثالثاً ـ كلّ ما قالوه من وجوه لتصحيح الآية أو لتحريفها كما نسمِّيه، لم يتعدّ أقوالاً دوّنت في كتب الحديث والتفسير والقراءات. وحفظ الله كتابه المجيد من أن تشوبه اجتهاداتهم، ولم يكتب فيه ممّا تداوله المسلمون منذ عصر القرّاء إلىٰ عصرنا الحاضر.

وقد قال الطبري في تفسير الآية: (قرأته عامّة قرّاء الأمصار (إن هذان) بتشديد (إن) وبالألف في (هذان)، وقالوا قرأنا ذلك كذلك).

وقال: (وإنّه كذلك هو في خطِّ المصحف)، وذكر خلاف بعض أهل العربية من أهل البصرة وبعض نحويي الكوفة[2].

---

(١) القرطبي بتفسير الآية ١١ / ٢١٦، معاذ الله أن يكون في كلام الله لحنٌ أو خطأٌ، وإنّما الخطأ في اجتهاداتهم، صحابة وتابعين وقرّاء.

(٢) بتفسير الطبري للآية ١٦ / ١٣٦ ـ ١٣٧.

رابعاً ـ وجدنا منشأ هذا النوع من اختلاف القراءة، أخذهم قواعد العربية من أقوال لغات القبائل العربية وتعبّدهم بتلك القواعد وقياسهم آي القرآن علىٰ تلك القواعد. فما خالفها من تعابير القرآن وصفوه بفساد الاعراب كما مرّ بنا آنفاً، وعدم دركهم بأنّ القرآن كلام موزون لا تجري عليه تلك القواعد، وأنّ عليهم أن يتعلّموا استثناء تلك القواعد من القرآن الكريم.

ولست أدري ما المسوّغ لاتّخاذ محاورات العرب ميزاناً لمعرفة صحّة تعابير كلام الله وليس العكس.

أما آن للعلماء أن يحرّروا عقولهم من ربقة التقليد الأعمى للسلف؟!

هَبْ أن مخاطبهم في البحث لا يؤمن بالوحي ورسالة خاتم الأنبياء (ص) فهل يشكّ أحد في بلاغة القرآن الّذي تحدّىٰ ببلاغته الناس أجمعين، ولا يزال تحدّيه باقياً إلى اليوم وإلىٰ يوم الدين. أضف إليه أن القرآن نزل بلغة قريش وهم أفصح العرب لغة.

خامساً ـ إنّ تلك القراءات جميعها رويت عن آحاد وأحياناً ينتهي سندها إلىٰ واحد، خلافاً للنصّ القرآني المتداول بين جميع البشر والّذي رواه الملايين من الناس عن الملايين، جيلاً بعد جيل إلىٰ أن ينتهي سندها إلىٰ مئات الأُلوف عن عشرات الأُلوف من المسلمين الّذين تلقّوها عن فم رسول الله (ص) سَماعاً وعِياناً.

سادساً ـ أخطأوا في فهم ما روي عن الخليفة عثمان أنّه قال: (فيه لحن ستقيمه العرب بألسنتها) وظنوا أنّه قال في النصّ القرآني من المصاحف الّتي نسخت بأمره لحن ستقيمه العرب، أي: ان العرب ستغيّر كلمات القرآن بألسنتها وكان ذلك من أسباب تولد القراءات المختلفة، بينا قصد الخليفة انّ في رسم نسخ المصاحف المكتوبة لحناً في مثل كتابة (يعيسىٰ) و(يأهل الكتاب) و(أيْمنهم) و(يوم

القيمة) وستقيمها العرب بألسنتها وتقرأها: يا عيسىٰ ويا أهل الكتاب وايمانهم ويوم القيامة كما تعلّموا قراءتها كذلك ممّن تعلّمها كذلك من الصحابة والصحابة من رسول الله (ص) عن جبرائيل (ع) عن الله جلّ آسمه. وكذلك جرت كتابة المصاحف علىٰ رسم خط مصحف عثمان جيلاً بعد جيل حتّى اليوم.

وأخيراً أوجدت ما رووا من اجتهادات الصحابة المختلفة في قراءة الآيات لزعمهم أنّ القرآن فيه لحن ـ معاذ الله ـ اختلافاً في القراءات من بعدهم، كما رأيناه في كلمة (عليهم) من سورة الفاتحة، وتعددت مدارس القراءة وتكاثر عدد القرّاء ومدارسهم ومؤلفاتهم.

وإنّ الذهبي ـ مثلاً ـ ترجم لنيف وسبعمائة من القرّاء الكبار منهم في كتابه: معرفة القرّاء الكبار، كان كلّ منهم له مدرسة متميزة عن غيرها في القراءة، وطلّاب يأخذون منه القراءات، ثمّ آقتصروا على قراءة سبعة من القرّاء.

ونقل السيوطي في الإتقان سبب ذلك عن مكّي بن حمّوش ما موجزه:

إنّ السبب في الاقتصار على السبعة مع أنّ في أئمّة القرّاء من هو أجلّ منهم قدراً أو مثلهم أكثر من عددهم، أنّ الرواة عن الأئمّة ـ أئمّة القرّاء ـ كانوا كثيرين جدّاً، فلمّا تقاصرت الهمم أفردوا من كلّ مصر إماماً واحداً، ولم يتركوا مع ذلك نقل ما كان عليه غير الأئمّة غير هؤلاء من القراءات ولا القراءة به، كقراءة يعقوب وأبي جعفر وشيبة والأعمش وغيرهم[1].

---

(١) ما نقلناه هنا عن السيوطي في الإتقان فهو من التنبيه الثاني والثالث من آخر الأنواع المرقمة ٢٢ ـ ٢٧ في معرفة المتواتر ... ١ / ٨٢ و ٨٣.

ومكّي بن حمّوش أبو محمّد القيسي الأندلسي (ت: ٤٣٧ هـ)، مقرئ، مفسّر. من مؤلّفاته: الهداية في علوم القرآن، في سبعين جزءاً، والكشف عن وجوه القراءات وعللها، في عشرين جزءاً. ترجمته بمعجم المؤلفين.

←

وكان الّذي ألّف كتاباً وأفرد من كلّ مصر إماماً واحداً هو المقرئ أحمد ابن جبير بن محمّد الكوفي، نزيل أنطاكية (ت: ٢٥٨ هـ)، قال في كشف الظنون: جمع كتاباً في القرءات الخمس[1].

قال الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، في البرهان في علوم القرآن والسيوطي في الإتقان ما موجزه[2]:

(ألّف ابن جبير كتاباً في القراءات سمّاه كتاب الخمسة واقتصر فيه علىٰ خمسة من القرّاء، اختار من كلّ مصر إماماً. وإنّما اقتصر علىٰ ذلك لأنّ المصاحف الّتي أرسلها عثمان كانت خمسة، إلىٰ هذه الأمصار.

ويقال: إنّه وجّه بسبعة: هذه الخمسة ـ أي المدينة ومكّة والشام والبصرة والكوفة ـ ومصحفاً إلى اليمن ومصحفاً إلى البحرين.

ولكن لما لم يسمع لهذين المصحفين خبر، وأراد ابن مجاهد وغيره مراعاة عدد المصاحف، أكملوا الخمسة بقارئين آخرين كمل بهما عدد السبعة).

← يعقوب: هو يعقوب بن إسحاق الحضرمي، إمام أهل البصرة (ت: ٢٠٥هـ). طبقات القرّاء ٢ / ٣٨٦ ـ ٣٨٩.

وقصد من أبي جعفر: يزيد بن القعقاع المترجم بالقرّاء العشرة.

وشيبة بن نصاح المخزومي (ت: ١٣٠ هـ)، إمام أهل المدينة في القراءة، له كتاب، ترجمته في الأعلام ومعجم المؤلفين.

والأعمش، أبو محمّد سليمان بن مهران الأسدي ولاءً، نشأ وتوفّي بالكوفة (ت: ١٤٨ هـ). قالوا بترجمته: كان عالماً بالقرآن والحديث والفرائض، يروي نحو ١٣٠٠ حديث.

(١) ترجمته في معرفة القرّاء الكبار، ص ١٧٠؛ وكشف الظنون، مادّة: كتاب القراءات، ص ١٤٤٩. وما ننقله عن كشف الظنون من هنا.

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي، ط. مصر الثانية ١/ ٣٢٩ ـ ٣٣٠؛ والإتقان للسيوطي ١ / ٨٣.

فمن هو ابن مجاهد؟ وماذا فعل؟

هو أحمد بن موسىٰ بن العباس، مجاهد (ت: ٣٢٤هـ)، مصنف كتاب القراءات السبع، شيخ القرّاء في بغداد، رُحل إليه من الأقطار وبَعُد صيته[1].

وقال الزركشي في بيان عمل ابن مجاهد:

إنّ القراءات لم تكن متميِّزة من غيرها إلّا في قرن الأربعمائة، جمعها أبو بكر بن مجاهد ولم يكن متسع الرواية والرّحلة كغيره ـ يقصد أنّه لم يسافر في طلب علم القراءة كغيره ـ وكان علمه بالقرّاء والقراءة ضئيلاً. وأنّه بتأليفه كتاب: القراءات السبع ميّزها من غيرها.

وفي ما يلي القرّاء السبعة على السياق الّذي ذكره الزركشي:

أ ـ أبو سعيد عبدالله بن كثير المكّي القرشي ولاءً، (ت: ١٢٠ أو ١٢٢هـ).

ب ـ أبو رويم نافع بن عبدالرّحمٰن بن أبي نعيم، المدني الليثي ولاءً، (ت: ١٦٩هـ).

ج ـ أبو عمرو عبدالله بن عامر اليحصبي الدمشقي، (ت: ١١٨هـ).

د ـ أبو عمرو العلاء بن عمّار البصري، (ت: ١٥٤هـ).

هـ ـ أبو بكر عاصم بن أبي النجود الأسدي الكوفي، (ت: ١٢٧ أو ١٢٨هـ).

و ـ أبو عمارة حمزة بن حبيب الزيات الكوفي التيمي ولاءً، (ت: ١٥٦ أو ١٥٨هـ).

ز ـ أبو الحسن عليّ بن حمزة الكسائي الكوفي الأسدي ولاءً (ت:١٩٨هـ)[2].

---

(١) ترجمته في معرفة القرّاء الكبار، ص ٢١٦؛ وكشف الظنون، وطبقات القرّاء ١ / ١٣٩.

(٢) لخّصنا تراجمهم من البرهان في علوم القرآن ١ / ٣٢٧ ـ ٣٢٩.

ونقل عن مكّي بن حمّوش: أنّ يعقوب كان مقدّماً على الكسائي، وأنّ ابن مجاهد هو الّذي أثبت الكسائي سابع القرّاء بدلاً من يعقوب.

ثمّ قال: وليس في هؤلاء من العرب إلّا ابن عامر وأبو عمرو.

وقال: قال مكّي ـ أي ابن حمّوش ـ:

ونقل ـ أيضاً ـ عن مكّي أنّه قال: أوّل من اقتصر علىٰ هؤلاء السبعة أبو بكر بن مجاهد في سنة ثلاثمائة وتابعه الناس.

وأنّه قال:

وإنّما كانوا سبعة لوجهين:

أحدهما: أنّ عثمان (رض) كتب سبعة مصاحف، ووجّه بها إلى الأمصار فجُعِلَ عددُ القرّاء علىٰ عدد المصاحف.

الثاني: أنّه جعل عددهم علىٰ عدد الحروف الّتي نزل بها القرآن، وهي سبعة، علىٰ أنّه لو جعل عددهم أكثر أو أقلّ لم يمتنع ذلك، إذ عدد الرّواة الموثوق بهم أكثر من أن يحصىٰ.

وقال: قد ألّف ابن جبير قبل ابن مجاهد كتاباً في القراءات وسمّاه: كتاب الخمسة، وذكر فيه خمسة من القرّاء لا غير.

وألّف غيره كتاباً وسمّاه: الثمانية وزاد علىٰ هؤلاء السبعة يعقوب الحضرمي[1].

قال الزركشي: ومنهم من زاد ثلاثة وسمّاه كتاب العشرة.

قال السيوطي عن القرّاء السبعة:

---

(١) علوم القرآن ١ / ٣٢٩ ـ ٣٣٠.

(فوافق عددهم ما ورد في الخبر نزول القرآن بالأحرف السبعة، فظنّ من لم يعرف أصل المسألة ولم تكن له فطنة، أنّ المراد بالأحرف السبعة في الخبر القراءات السبع)[1].

قال المؤلّف:

وقد تعرض لابن مجاهد وعمله كلّ من القرّاب وابن عمّار، كما نقل عنهما السيوطي وقال:

قال القرّاب (ت: ٤١٤هـ) في الشافي: التمسك بقراءة سبعة من القرّاء دون غيرهم ليس فيه أثر ولا سنّة، وإنّما هو من جمع بعض المتأخرين، فانتشر، وأوهم أنّه لا تجوز الزيادة على ذلك، وذلك لم يقل به أحد[2].

وقال: قال أبو العباس بن عمّار[3]: لقد فعل مسبع هذه السبعة[4] ما لا ينبغي له. وأشكل الأمر على العامّة بإيهامه كلّ من قلّ نظره، أنّ هذه القراءات هي المذكورة في الخبر، وليته إذا اقتصر نقص عن السبعة أو زاد ليزيل الشبهة. وقال: وربّما بالغ من لا يفهم، فخطأ أو كفر[5]. (وقال) أبو بكر بن العربي[6] ليست هذه السبعة متعينة للجواز حتّى لا يجوز غيرها.

---

(١) الإتقان ١ / ٨٣.

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) قالوا بترجمته: أحمد بن عمّار أبو العباس المغربي، نحوي، لغوي، مقرئ، مفسّر. من تصانيفه: الجامع لعلوم التنزيل، تفسير كبير، والهداية في القراءات السبع. معجم المؤلّفين.

(٤) قصد بقوله (مسبع السبعة) ابن مجاهد الّذي جعل القرّاء السبعة.

(٥) الإتقان ١ / ٨٢.

(٦) من تصانيفه الكثيرة: قانون التأويل في تفسير القرآن. مرت ترجمته في بحث جمع القرآن، باب محاولة العلماء رفع تناقض الروايات.

ونقل عن ابن حيان[1] ما موجزه:

(ليس في كتاب ابن مجاهد ومن تبعه من القراءات المشهورة إلّا النزر اليسير، ثمّ ذكر أسماءهم وقال: ليس لهم مزية علىٰ غيرهم والجميع مشتركون في الضبط والإتقان والإشتراك في الأخذ، قال: ولا أعرف لهذا سبباً إلّا ما قضىٰ من نقص العلم) ـ أراد نقص علم ابن مجاهد ـ.

(وقال، قال أبو شامة[2]: ظنّ قوم أنّ القراءات السبع الموجودة الآن هي الّتي أُريدت في الحديث. وهو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة، وإنّما يظنّ ذلك بعض أهل الجهل).

ونقل عن مكّي أنّه قال ما موجزه:

(من ظنّ أنّ قراءة هؤلاء السبعة هي الأحرف السبعة، فقد غلط غلطاً عظيماً، ويلزم من هذا أنّ ما خرج عن قراءة هؤلاء السبعة ممّا ثبت عن الأئمّة ووافق خطّ المصحف ـ مصحف عثمان ـ أن لا يكون قرآناً وهذا غلط عظيم، فإنّ الّذين صنّفوا القراءات من الأئمّة المتقدّمين قد ذكروا أضعاف هؤلاء)[3].

---

(١) أبو حيان أثير الدين محمّد بن يوسف عليّ بن حيّان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ). قالوا في ترجمته: أديب، نحوي، لغوي، مفسّر، محدِّث، مقرئ، مؤرِّخ. سمعَ الحديث من نحو أربعمائة وخمسين شيخاً. درس التفسر والإقراء بمصر. من مؤلّفاته: عقد اللآلئ في القراءات. معجم المؤلّفين.

(٢) أبو شامة عبدالرّحمٰن بن إسماعيل المقدسي (ت: ٦٦٥هـ). من مؤلّفاته: إبراز المعاني في القراءات. معجم المؤلّفين.

(٣) أبو عبيد، القاسم بن سلام، قالوا في ترجمته: محدِّث، حافظ، فقيه، مقرئ، عالم بعلوم القرآن. من تصانيفه: كتاب القراءات، جعلهم ٢٥ قارئاً.

كشف الظنون ومعجم المؤلّفين.

وأبو حاتم السجستاني من القرّاء العشرة، له كتاب القراءات. كشف الظنون.

←

ونقل عن المرسي أنّه قال:

هذه الوجوه أكثرها متداخلة ولا أدري مستندها ولا عمّن نقلت ولا أدري لم خص كل واحد منهم هذه الأحرف السبعة بما ذكر مع أن كلّها موجودة في القرآن، فلا أدري معنى التخصيص ومنها أشياء لا أفهم معناها على الحقيقة وأكثرها معارضة حديث عمر وهشام بن حكيم الّذي في الصحيح، فانّهما لم يختلفا في تفسيره ولا أحكامه وانّما اختلفا في قراءة حروفه، وقد ظنّ كثير من العوام انّ المراد بها القراءات السبع وهو جهل قبيح[1].

وقال الزركشي:

قال الإمام أبو محمّد إسماعيل بن إبراهيم الهروي في كتابه الكافي[2]:

(ولا يتوهم أنّ قوله (ص) «أُنزل القرآن علىٰ سبعة أحرف» انصرافه إلىٰ قراءة سبعة من القرّاء يولدون من بعد عصر الصحابة بسنين كثيرة، لأنّه يؤدي إلىٰ أن يكون الخبر متعرّياً عن فائدة إلىٰ أن يحدثوا، ويؤدي إلىٰ أنّه لا يجوز لأحد من الصحابة أن يقرأوا إلّا بما علموا أنّ السبعة من القرّاء يختارونه)[3].

← والطبري: المفسّر والمؤرّخ الشهير في كشف الظنون، جمع في كتابه حافلاً سمّاه: الجامع، فيه نيف وعشرون قراءة، يقصد به تفسير الجامع.

والقاضي إسماعيل بن إسحاق المالكي (ت: ٢٨٢هـ)، جمع فيه قراءات عشرين إماماً منهم السبعة. كشف الظنون. والنصوص الثلاثة في الإتقان ١ / ٨٢.

(١) الإتقان ١ / ٥١.

والمرسي: القاسم بن أحمد بن الموفق أبو محمّد الأندلسي اللّورقي، رحل إلىٰ مصر وبغداد ودمشق وتوفّي بها سنة ٦٦١هـ. ومن تصانيفه: شرح الشاطبية وسمّاه المفيد في شرح القصيد. معجم الأُدباء ١٦ / ٢٣٤ ـ ٢٣٥، وطبقات القرّاء للجزري ٢ / ١٥، ١٦.

(٢) من مؤلّفاته: الشافي في القراءات، والكافي في القراءات السبع في عدّة مجلّدات. ترجمته في معجم البلدان.

(٣) البرهان في علوم القرآن للزركشي ١ / ٣٣٠.

وقال:

(القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، فالقرآن هو الوحي المنزل علىٰ محمّد (ص) للبيان والإعجاز.

والقراءات: اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف وكيفيتها من تخفيف وتشديد وغيرهما).

(والقراءات السبع متواترة عند الجمهور، وقيل: بل هي مشهورة.

والتحقيق أنّها متواترة عن الأئمة السبعة.

أمّا تواترها عن النبيّ (ص) ففيه نظر، فإن إسناد الأئمّة السبعة بهذه القراءات السبعة موجود في كتب القراءات، وهي نقل الواحد عن الواحد)[1].

وعن الأحرف السبعة قال السيوطي في تعليقه علىٰ سنن النِّسائي ٢ / ١٥٠: باب جامع ما جاء في القرآن: «أنّ هذا القرآن أُنزل علىٰ سبعة أحرف» في المراد به في أكثر من ثلاثين قولاً، حكيتها في الإتقان[2]، والمختار عندي أنّه من المتشابه الّذي لا يدرىٰ تأويله.

قال المؤلّف:

ولكنّا أدركنا الحقيقة عن الأحرف السبعة في ما سبق بحثه ولا حاجة للتكرار هاهنا، ونكتفي ـ أيضاً ـ بهذا المقدار من الحديث حول القرّاء ومنشأ تكونهم، ونشير بعده إلىٰ شيء من أثر اختلاف قراءاتهم على الأحكام الإسلامية.

أمثلة من أثر اختلاف قراءاتهم علىٰ معرفه حلال الله وحرامه:

قال الزركشي والسيوطي: باختلاف القراءات يظهر الإختلاف في الأحكام،

---

(١) البرهان في علوم القرآن ١ / ٣١٨؛ والإتقان للسيوطي ١ / ٨٢.

(٢) الإتقان للسيوطي ١ / ٤٧ ـ ٥١.

ولهذا بنى الفقهاء نقض وضوء الملموس وعدمه علىٰ اختلاف القراءات في ﴿لمستم﴾ و﴿لامستم﴾، وكذلك جواز وطء الحائض عند الإنقطاع وعدمه إلى الغسل على اختلافهم في ﴿حتّىٰ يطهرنَ﴾. وذكر القرطبي تفسير: ﴿أو لامستم النِّساء﴾ (النِّساء / ٤٣)، وقال قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وعاصم وابن عامر ﴿لامستم﴾ وقرأ حمزة والكسائي ﴿لمستم﴾[1].

وقال في ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ (البقرة / ٢٢٢): قرأ نافع وأبو عمرو وابن كثير وابن عامر «يَطْهُرنَ»، وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر والمفضَّل «يَطَّهَّرن» بتشديد الطاء والهاء وفتحهما. وفي مصحف أُبيّ وعبدالله «يَتطهّرن». وفي مصحف أنس بن مالك «ولا تقربوا النِّساء في مَحِيضهنّ واعتزلوهنّ حتّىٰ يتطهّرن» ورجح الطبري قراءة تشديد الطاء، وقال: هي بمعنىٰ يغتسلن، لإجماع الجميع علىٰ أن حراماً على الرجل أن يقرب امرأته بعد انقطاع الدّم حتىٰ تطهر. قال: وإنما الخلاف في الطهر ما هو؛ فقال قوم: هو الإغتسال بالماء. وقال قوم: هو وضوء كوضوء الصلاة. وقال قوم: هو غسل الفرج؛ وذلك يُحلّها لزوجها وإن لم تغتسل من الحيضة؛ ورجّح أبو عليّ الفارسيّ قراءة تخفيف الطاء، إذ هو ثُلاثيٌّ مضادٌّ لطمِث وهو ثلاثيّ[2].

وهكذا انتشرت القراءات المختلقة بين أتباع مدرسة الخلفاء.

وقد صنّفوا كتباً كثيرة في تدوين قراءات القرّاء، سجل منها في مادّة القراءة بكشف الظنون ١٨ كتاباً، وفي مادّة علم القراءة أكثر من عشرة ومائة كتاب[3]

---

(١) تفسير الآية بتفسير القرطبي ٥ / ٢٢٣؛ والزركشي ١ / ٣٢٦؛ والإتقان ١ / ٨٤.

(٢) القرطبي بتفسير الآية ٣ / ٨٨ ـ ٨٩، وذكر أنّ عاصماً روىٰ عنه القولين.

(٣) كشف الظنون ٢ / ١٤٤٩، في مادّة كتاب القراءات ومادّة علم القراءة، ص ١٣١٧ ـ ١٣٢٢، وما بعدها.

جمعوا فيها قراءات القرّاء.

منهم القاضي إسماعيل بن إسحاق المالكي صاحب قالون (ت: ٢٨٢ هـ)، قال حاجي خليفة: ألّف كتاباً في القراءات جمع فيه قراءات عشرين إماماً[١].

ونظير ذلك أثر المرويات عن الصحابة في نقص آيات القرآن مثل ما روي عن أُمّ المؤمنين عائشة أنها قالت: [ورضاع الكبير خمساً].

قال ابن رشد: (واختلفوا في رضاع الكبير، فقال مالك وأبو حنيفة والشافعي وكافّة الفقهاء لا يحرم رضاع الكبير، وذهب داود وأهل الظاهر إلىٰ أنّه يحرم، وهو مذهب عائشة)، وهو قوله وسبب اختلافهم تعارض الآثار في ذلك...[٢].

كان هذا كلّه في مدرسة الخلفاء، فما هو موقف مدرسة أهل البيت من اختلاف القراءات والأحرف السبعة؟

رأي مدرسة أهل البيت (ع) في القراءات:

قد مرّ بنا أنّ الإمام الباقر (ع) قال: القرآن واحد نزل من عند واحد، ولكن الإختلاف يجيء من قبل الرواة.

وفي حديث آخر بعده لمّا قيل له: (الناس يقولون إنّ القرآن نزل علىٰ سبعة أحرف)، كذّب القول وقال: (نزل القرآن علىٰ حرف واحد من عند الواحد).

---

(١) كشف الظنون ٢ / ١٤٤٩.

(٢) بداية المجتهد، ط. مصر، سنة ١٣٨٩هـ، ٢ / ٣٩.

وابن رشد محمّد بن أحمد بن محمّد (ت: ٥٩٥ هـ).

وراجع الفقه على المذاهب الأربعة لعبدالرّحمٰن الجزيري، ط. بيروت، سنة ١٩٦٩م، ٤ / ٢٥٧ الهامش.

وفي روايتين أُخرىٰين عن الإمام الصادق قال:

(اقرأوا كما يقرأ الناس)[1].

الحقيقة الناصعة والقول الفيصل:

لقد مرّت بنا أُمور هائلة وخطيرة في ما قالوه في شأن جمع القرآن واختلاف مصاحف الصحابة والتابعين وإسقاطهم سوراً وآيات فيها، وزيادات سور وآيات أُخرىٰ فيها، وأقوالهم في آيات ناسخة ومنسوخة في الحكم أو التلاوة أو الحكم والتلاوة معاً.

واختلافهم في قراءات كثيرة متضادّة، ملأوا فيها بطون موسوعات الحديث على اختلاف أنواعها، من صحاح وسنن ومسانيد ومصنفات وزوائد ومستدركات وموسوعات علوم القرآن من تفاسير وكتب الناسخ والمنسوخ والقراءات، ممّا يخيّل لقارئ تلك الكتب بادئ ذي بدء، أنّ الإختلاف في أمر القرآن أكثر ممّا في الأناجيل.

ولكنّه إذا رجع إلى القرآن الكريم الّذي بأيدي عامّة الناس وحده والّذي ورثه جيل من الناس عن جيل حتّى انتهوا إلى الجيل الّذي أخذه من فم رسول الله (ص) وسجّله في عصره وبأمره، لم يجد في هذا القرآن عيباً ولا أثراً من شيء ممّا ذكروه وسطروه.

وإذا وقف الإنسان السويّ علىٰ هذا المعين، ثمّ أعاد النظر إلىٰ كلّ تلكم الروايات مسندها ومرسلها وكل تلك العلوم قديمها وجديدها وجدها كلّها وجميعها: ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً﴾ (النّور / ٣٩).

---

(١) الحديث الأوّل والثاني في الكافي ٢ / ٦٣٠. والحديثان الآخران، ص ٦٣١ و ص ٦٣٣؛ ووسائل الشيعة ٤ / ٨٢١، وفيه عن الإمام الصادق أيضاً: واقرأوا كما علمتم.

وإذا أعاد النظر إلىٰ هذا القرآن الّذي بأيدي عامّة الناس أيقن أنّه: ﴿ذَٰلِكَ ٱلكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة / ٢).

وأيقن: ﴿وَإِنَّه لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ ٱلْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصّلت / ٤١، ٤٢).

وآمن بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر / ٩).

وأدرك أنّ الّذي يقول لصفيه: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ * فَمَا مِنكُم مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ (الحاقّة / ٤٤ـ٤٧).

هو الّذي منع غيره من أن يمسّ هذا القرآن بتحريف أو زيادة أو نقصان.

وإذا قارن بين هذا القرآن والأناجيل الأربعة وأمعن وتدبر وجد الإختلاف في الأناجيل بعضها مع بعض والتحريف في نسخ التوراة وليس الإختلاف والتحريف في كتب أُخرىٰ ـ خارجة عنها ـ تحدّثت عن التوراة والإنجيل، خلافاً لما عليه أمر القرآن الّذي بأيدي الناس والأخبار الّتي تحدّثت عنه فإنّها في كتب أُخرىٰ خارجة عن القرآن والإختلاف والتناقض في تلك الروايات والتقولات، وليس في القرآن نفسه، المتداول بين الناس قرناً بعد قرن وجيلاً بعد جيل.

وعند ذاك يدرك الإنسان الباحث حقيقة قول الإمام الصادق (ع) حيث قال: (اقرأوا ـ القرآن ـ كما يقرأ الناس).

وإذا استرشدنا قول الإمام الصادق (ع)، ثمّ وجدنا في كتب الحديث والتفاسير ما روي من أن الصحابي سعد بن أبي وقاص كان يقول: ما ننسخ من آية أو تنساها.

أو سمعنا من المذياع القارئ المتنطّع يقرأ:

والضّحى واللّيل إذا سجىٰ...

والضّحَ واللّيل إذا سجَ...

والضّحى واللّيل إذا سجي...

والضّحِ واللّيل إذا سجِ...

والضّحِي واللّيل إذا سجِي...

وجوقته المرائية تزعق: الله الله تشجيعاً له.

ثمّ وجدنا الناس يقرأون في القرآن الّذي بأيديهم:

﴿حَافِظُوا عَلَى ٱلصَّلَوَاتِ وَٱلصَّلَاةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾.

ويقرأون:

﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا ...﴾.

ويقرأون:

﴿وَٱلضُّحَىٰ * وَٱللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ...﴾.

قرأناها كما يقرأها الناس، وبذلك يتّحد المسلمون حول القرآن الكريم رايتهم السماويّة وننسىٰ كل ما تَقوَّله المتقوِّلون عليه.

* * *

وندرس في ما يأتي بإذنه تعالىٰ ما انتج بعض تلك الروايات من القول بالنسخ والإنساء.

البحث السابع

بحوث النسخ والإنساء في القرآن الكريم

١ ـ مصطلح النسخ ٢ ـ المؤلفات في النسخ. ٣ ـ تحرير مورد الخلاف. ٤ ـ تناسب أحكام الإسلام مع فطرة الإنسان وحكمة نسخها. ٥ ـ كيف تُفسَّر الآيات في السور الكبيرة. ٦ ـ دراسة موارد استعمال مادّة (آية) بالمعنى الإصطلاحي واللّغوي في القرآن الكريم. ٧ ـ استدلالهم علىٰ قولهم بالنسخ بآيتين كريمتين. ٨ ـ مناقشة استدلالهم بالآيتين. ٩ ـ تسرب اجتهادات مدرسة الخلفاء في شأن النسخ ورواياتهم فيه إلىٰ تفاسير مدرسة أهل البيت. ١٠ ـ التنبيه علىٰ ثلاثة أُمور قبل دراسة (ما نسخ حكمها في قولهم):

أ ـ كثير من الأحكام تنزل أوّلاً بوحي غير قرآني، ثمّ ينزل بيان ذلك في القرآن.

ب ـ قد يأتي في القرآن ذكر المتأخّر زماناً قبل ذكر المتقدّم، لداعٍ بلاغي.

ج ـ تعدادهم في هذا الصنف ما ليس منه.

١١ ـ دراسة آيات تحكي الحكم المنسوخ:

أ و ب ـ موردان قالوا: إنّ الآية الناسخة تقدّمت في التلاوة على المنسوخة.

ج ـ مورد واحد قد يقال فيه إنّه ينقض قولنا في النسخ.

د ـ إكثارهم من تعداد هذا الصنف وذكرهم آية، قالوا: إنّ أوّلها منسوخ وآخرها ناسخ.

١٢ ـ حكمة ذكر الحكم المنسوخ بوحي غير قرآني في القرآن.

١٣ ـ درجهم روايات نقصان القرآن ـ معاذ الله ـ في صنفي منسوخ التلاوة. ١٤ ـ ردُّ بعض علماء مدرسة الخلفاء القول بنسخ التلاوة. ١٥ ـ رأي مدرسة أهل البيت في نسخ القرآن بالسنّة ونسخ التلاوة. ١٦ ـ دراسة روايات النسخ والإنساء:

أ ـ رواية منسوخ التلاوة والحكم جميعاً.

ب ـ سائر روايات النسخ.

١٧ ـ مناقشة روايات النسخ والإنساء. ١٨ ـ شأن الروايات المتضاربة في نقصان القرآن وزيادته وعلاجها. رواية أُمّ المؤمنين عائشة. نتيجتها ومناقشتها. ١٩ ـ الخلاصة والنتيجة.

قال الشيخ النوري:

(الدليل الثالث: في ابطال وجود منسوخ التلاوة وانّ ما ذكروه مـثالاً له لا بدّ وأن يكون ممّا نقص من القرآن) ـ معاذ الله ـ.

ونقول: ندرس أوّلاً معنى النسـخ، ثمّ ندرس الأقوال في النسـخ ضـمن تسعة عشر بحثاً ـ إن شاء الله تعالىٰ ـ كالآتي:

أوّلاً ـ مصطلح النسخ :

مرّ بنا في بحث المصطلحات ما موجزه:

النسخ في اللّغة: إزالة شيء بشيء يتعقبه، يقال: نسختِ الشمس الظلّ.

وفي المصطلح الإسلامي: نسخ أحكامٍ في شريعة بأحكامٍ في شريعة أُخرىٰ، مثل نسخ بعض أحكام الشرائع السابقة بأحكامٍ في شريعة خاتم الأنبياء (ص).

وكذلك نسخ حكمٍ مؤقتٍ بحكمٍ أبديٍّ في شريعة خاتم الأنـبياء (ص)، مثل نسخ حكم توارث المتآخيين من المهاجرين والأنصار في المدينة قبل فتح مكّة بحكم توارث ذوي الأرحام بعد فتح مكّة[1].

وقد صنّف أتباع مدرسة الخلفاء النسخ إلىٰ ثلاثة أصناف:

أ ـ نسخ التلاوة والحكم: ويقصدون منه أنّ الله ـ سبحانه ـ كان قد أنزل من القرآن آياً أو سوراً علىٰ رسوله (ص) ثمّ نسخ تلاوة ذلك القرآن، فلم يكتب في المصحف المتداول بين المسلمين ونسخ حكمه من شريعة الإسلام.

ب ـ نسخ التلاوة دون الحكم: ويقصدون منه أنّ الله ـ سبحانه ـ كان قد أنزل من القرآن آياً أو سوراً علىٰ رسوله (ص) ثمّ نسخ تلاوتها، فلم يكتب في المصحف المتداول بين المسلمين، وأبقىٰ حكمه في شريعة الإسلام.

---

(١) تفسير الآيتين ٧٢ و ٧٥ من سورة الأنفال في تفسير الطبري ١٠ / ٣٦ ـ ٣٧؛ وتفسير ابن كثير ٢ / ٣٢٨، ٣٣١؛ وتفسير الدرّ المنثور ٣ / ٢٠٧.

ج ـ نسخ الحكم دون التلاوة : ويقصدون منه أنّ الله ـ سبحانه ـ أنزل من القرآن آياً عمل بها المسلمون ثمّ نسخ تلك الآيات بآيات أُخرىٰ، وبقيت الآيات المسماة منسوخة مكتوبة في المصحف ونسخ حكمها.

وقد قال كلّ من الزركشي في كتابه: البرهان في علوم القرآن، والسيوطي في الإتقان في علوم القرآن: (النسخ في القرآن علىٰ ثلاثة أضرب).

وقال الزركشي: (الأوّل ـ ما نسخ تلاوته وبقي حكمه)، وضرب له مثلاً آية [الشيخ والشيخة إذا زنيا...].

وقال السيوطي: (وأمثلة هذا الضرب كثيرة) ثمّ أورد ما ذكرناه تحت عنوان: نقصان سور وآيات في أوّل الباب مع غيرها.

قال الزركشي: (الثاني ـ ما نسخ حكمه وبقي تلاوته) وقال: (وهو في ثلاث وستّين سورة).

أمّا السيوطي، فقد اختار عشرين مورداً منها، ونظم فيها وقال:

قد أكثر الناس في المنسوخ من عدد   وأدخلوا فيه آياً ليس ينحصر
وهاك تحرير آي لامزيد لها   عشرين حرّرها الحذّاق والكُبر

ثمّ عدّدها في بقية نظمه[1].

قال الزركشي:

(الثالث ـ نسخها جميعاً فلا تجوز قراءته ولا العمل به، كآية التحريم بـ [عشر رضعات]، فنسخن بـ [خمس]، قالت عائشة: كان ممّا أُنزل: [عشر رضعات معلومات] فنسخن بـ [خمس معلومات] فتوفي رسول الله (ص) وهي ممّا يقرأ من القرآن)، رواه مسلم.

---

(١) الإتقان للسيوطي ٢ / ٢٣.

وقال السيوطي: (ما نسخ تلاوته وحكمه معاً، قالت عائشة: كان في ما أُنزل... رواه الشيخان)[1].

وقد ألّف العلماء في بيان أنواع النسخ مؤلّفات كثيرة لا يتيسّر إحصاؤها، كما نشير إليها في ما يأتي:

---

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي، باب: التنبيه الثاني في ضروب النسخ في القرآن ٢ / ٣٥ ـ ٣٩؛ والإتقان للسيوطي، باب: النوع السابع والأربعون في ناسخه ومنسوخه ٢ / ٢٠ ـ ٢٧.
ونحن نقدم في تعداد أصناف النسخ لفظ الزركشي ثمّ نورد قول السيوطي.

ثانياً ـ المؤلّفات في النسخ:

قال السيوطي في الإتقان: (النوع السابع والأربعون في ناسخه ومنسوخه. أفرده بالتصنيف خلائق لا يحصون)، ثمّ ذكر أسماء بعض المؤلّفين في الناسخ والمنسوخ في القرآن وأسماء السور الّتي فيها ناسخ ومنسوخ علىٰ حدّ زعمهم.

وذكر في مادّة (ناسخ القرآن ومنسوخه) أسماء من صنّف فيه، كلّ من حاجي خليفة في كشف الظنون، ص ١٩٢٠ ـ ١٩٢١. والبغدادي في ذيله، ص ٦١٤ ـ ٦١٥.

* * *

ولا بدّ قبل الخوض في البحث من تحرير مورد الخلاف كالآتي:

ثالثاً ـ تحرير مورد الخلاف:

إنّ أُولئكم العلماء في ما صنّفوا في ناسخ القرآن ومنسوخه، لهم قولان نخالفهم فيهما:

أوّلاً ـ في نسخ التلاوة:

إنّهم يقولون بأنّ الله ـ سبحانه ـ كان قد أنزل علىٰ خاتم أنبيائه (ص) سوراً وآيات قرآنية ثمّ نسخ تلاوتها. وما نسخ تلاوتها صنفان:

أ ـ ما نسخ تلاوته وحكمه: مثل لفظ [عشر رضعات] في حديث أُمّ المؤمنين، فإنّه نسخ لفظه، فلم يكتب في المصحف، ونسخ حكمه، فلم يدون في عداد الأحكام الإسلامية.

ب ـ ما نسخ تلاوته دون حكمه: ويوردون في هذا الصنف أمثال رواية الرجم وسورتي أبي موسىٰ والحفد والخلع ونظائرها.

ثانياً ـ في ما اعتبروها آيات منسوخة في القرآن:

إنّ العلماء يقولون: في القرآن آيات نزلت بأحكام للمسلمين، وبعد أن عمل المسلمون بها، نزلت آيات أُخرىٰ، فنسخت تلك الآيات، ويُسمّون الآيات الأُولىٰ بالآيات المنسوخة والثانية بالآيات الناسخة.

وفي العلماء من يقول بجواز نسخ الآيات القرآنية بالسنّة، أي بحديث الرسول (ص).

وقد كتب جماهير من العلماء في بيان هذين النوعين من النسخ: نسخ

التلاوة ونسخ الآية الّتي جاءت بحكم عمل بها المسلمون ثمّ نسخت بأُخرىٰ أو بسنّة الرسول (ص). وأفرد التصنيف فيها جمّ غفير.

وكتب فيهما أو في أحدهما بعضهم بحوثاً مستقلة ضافية ضمن مؤلفاتهم.

ونحن نرىٰ: أنّ الله لم ينزل علىٰ نبيّه سوراً وآيات قرآنية ثمّ نسخ تلاوتها بتاتاً، سواء ما قيل عنه بمنسوخ الحكم والتلاوة معاً أو ما قيل عنه منسوخ التلاوة دون الحكم. كما سنبيّنه في ما يأتي بإذنه تعالىٰ.

أمّا نسخ الحكم المذكور في القرآن، فنرىٰ فيه أنّ الله سبحانه كان ينزل علىٰ رسوله حكماً مؤقتاً بوحي غير قرآني يعمل به المسلمون، وبعد انتهاء أمده، كان ينسخه الله ـ أيضاً ـ بوحي غير قرآني، أي: يعلمهم انتهاء أمد الحكم ثمّ ينزل الله وحياً قرآنياً يقصُّ فيه خبر الحكم ونسخه، ومن الجائز أن نقول في مورد واحد أو أكثر أنّ الحكم المؤقت بعد أن نزل بوحي غير قرآني وعمل به المسلمون، نزل في الذكر الحكيم بيان أنّ ذلك الحكم المؤقت قد نسخ.

وبناءً علىٰ هذا، فليس في القرآن آية واحدة منسوخة.



وقبل الإستدلال لما نرىٰ لابدّ من تقديم مقدّمات في ما يأتي:

رابعاً ـ تناسب الأحكام الإسلامية مع فطرة الإنسان وحكمة نسخ الأحكام

إنّ الله شرع الأحكام الإسلامية[1] بما تتناسب وفطرة الإنسان، وتؤمّن حاجاته الجسدية والنفسية، وتدفع عنه ما يضرّهما في كلّ أحواله بالتفصيل الآتي:

١ ـ أحكام اسلامية متناسبة مع فطرة الإنسان من حيث هو إنسان.

٢ ـ أحكام اسلامية متناسبة مع:

أ ـ الإنسان الذكر.

ب ـ الإنسان الأُنثىٰ.

٣ ـ أحكام اسلامية متناسبة مع فطرة الإنسان في حالة خاصّة به.

٤ ـ أحكام اسلامية متناسبة مع فطرة الإنسان الّذي يعيش في زمان خاصّ ومكان خاصّ وحالة خاصّة.

وفي ما يأتي بيان كلّ واحدة منها مع إيراد الأمثلة لها:

أوّلاً ـ الأحكام الإسلامية الّتي تحقّق مصالح الإنسان من حيث هو انسان:

من أمثلة الأحكام الإسلامية الأبدية والدائمة ما عبّر عنها القرآن بلفظ من مادّة:

---

(١) لقد برهنا في البحث الأوّل من سلسلة (قيام الأئمّة بإحياء السنّة) أنّ جميع شرائع الأنبياء كان اسمها الإسلام و ﴿إِنَّ الدين عِندَ الله الإِسْلام﴾ آل عمران / ١٩.

أ ـ أحلَّ.

ب ـ حرَّم.

ج ـ (كُتِبَ) على الإنسان.

د ـ وصَّىٰ.

علىٰ أن تكون كلّها منسوبة إلى الله تعالىٰ. وفي ما يأتي بيانه:

أ وب ـ أمثلة من أحكام الإسلام الأبدية الّتي جاءت في القرآن بلفظ (أحلَّ) و(حرَّم) كقوله تعالىٰ:

١ ـ ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَا﴾. (البقرة / ٢٧٥)

٢ ـ ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ ... وَأَخَوَاتُكُم مِنَ ٱلرَّضَاعَةِ ... وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾. (النِّساء / ٢٣)

٣ ـ ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ ...﴾. (المائدة / ٣)

أي: حرّم الله عليكم أُمّهاتكم و... وحرّم عليكم الدم و...

ج ـ مثالان من أحكام الإسلام الأبدية الّتي جاء ذكرها في القرآن بلفظين من مادّة (كُتِبَ)، قوله تعالىٰ:

١ ـ ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ (البقرة / ١٨٣)، أي: كتب الله عليكم الصِّيام كما كتبه على الّذين من قبلكم وفرضه عليكم كما فرضه علىٰ من كان قبلكم.

٢ ـ ﴿وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبِعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ﴾. (الأنفال / ٧٥)

أي: أنّ أُولي الأرحام بعضهم أولىٰ ببعض في التوارث في ما كتب الله علىٰ عباده وحكم.

د ـ مثال واحد من أحكام الإسلام الأبدية الّتي جاء ذكرها في القرآن

بلفظ (يوصي)، قوله تعالىٰ:

﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾. (النِّساء / ١١)

بيان حكمة التشريع في الأمثلة المذكورة:

أ ـ الصِّيام وحاجة الإنسان إليه جسدياً ونفسياً:

إنّ الإنسان الّذي له معدة بها قوام حياته، يحتاج لحفظ سلامتها إلى الصوم أيّاماً معدودات في شهر رمضان من كلّ سنة، أو في غيره من الأزمنة سنويّاً، للمسافر في شهر رمضان. ولغير الأُمّة المحمديّة في أيام أُخرىٰ ـ مثلاً ـ.

وكذلك الإنسان الّذي له ميول وشهوات نفسيه يلزمه السيطرة الكاملة عليها كي لا توره موارد الهلكة، فهو بحاجة إلى التمرّن علىٰ ضبطها وكبح جماحها بصيام أيامٍ معدودات في السنة، ومن ثمّ فإنّ الإنسان أبداً ودائماً بحاجة إلى الصِّيام لحفظ سلامته الجسديّة والنفسيّة، إلّا إذا منعه المرض عنه.

ب ـ تناول الدم ولحم الخنزير وضررهما علىٰ نفس الإنسان وجسده:

بما أنّ الأطعمة تؤثر في جسد الإنسان ونفسه ضرّاً ونفعاً كما هو مبحوث في محلّه، فقد أحلّ الله له ما ينفعه وحرَّم عليه ما يضرّه.

وإنّ تناول الدم ولحم الخنزير وما أُهلّ به لغير الله يؤثر في نفسه، فإنّ تناول الأوّل يجعله يتطبّع بطبع الحيوانات المفترسة، وبتناول الثاني تنعدم فيه الغيرة الشريفة، وبتناول الثالث يبتعد عن الله نفسيّاً.

وبيان ضرر الأوّلين نفسيّاً وجسديّاً بحاجة إلىٰ تفصيل لا يسع المجال لشرحه، وإنّما نكتفي هنا بالإشارة إلىٰ أنّ التحليل والتحريم على البشر جاء في الشرع الإسلامي وفق حكم ومصالح لهم، قال الله ـ سبحانه ـ:

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَاتُ ...﴾. (المائدة / ٤)

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللهِ ٱلَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَٱلطَّيِّبَاتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ... قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾. (الأعراف/ ٣٢، ٣٣)

وقال: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَائِثَ﴾. (الأعراف / ١٥٧)

ج ـ ضرر الزواج بالمحارم بالنسب والرضاع:

من ضرر الزواج بالأُمّ والأُخت وسائر المحارم بالولادة والرضاعة؛ إضواء النسل كما هو ثابت في محلّه، وفي الحديث: «اغتربوا لا تضووا»[١] وفيها حِكَم أُخرىٰ بيانها بحاجة إلىٰ تفصيل أكثر، لا يسعه هذا البحث.

ولتوضيح أنّ الأحكام الإسلامية شرّعت متناسبة مع مقتضيات فطرة الإنسان، نضرب مثالاً بما في حرمة الزّواج بحليلة الوليد والرضيع دون الولد المتبنّىٰ من سبب طبيعي، بما يأتي:

أ ـ إذا غرسنا نواة الليمون في الأرض، تنبت شجرة فيها جميع ما في الأصل من مزايا وخواصّ.

ب ـ إذا طعّمنا شجرة النارنج ببرعم من شجرة اللّيمون فنبت البرعم فصار غصناً وأثمر، يحوي هذا الثمر شيئاً من خواصّ النارنج وشيئاً من خواص الشجرة الّتي طعّمناها ببرعم الليمون.

ج ـ إذا غرسنا شتلة الليمون إلىٰ جانب شجرة النارنج ونمت الشّتلة حتّىٰ صارت شجرة مثمرة والتفّت أغصان بعضها ببعض، لا تأخذ ثمرة اللّيمون شيئاً من خواصّ النارنج ولا العكس.

---

(١) ضوي: ضعف وهزل، وأضوىٰ: أتىٰ بولد أو نسل ضاوٍ. راجع مادّة: ضوى في نهاية اللّغة لابن الأثير والمعجم الوسيط.

في الأوّل من الأمثلة : (أ) مثال للابن الوليد ـ من أصلابكم ـ.

وفي الثاني: (ب) مثال للابن الرضيع.

وفي الثالث: (ج) مثال للابن المتبنّىٰ.

ويوضّح هذا المثال، حكمة ما بيّنته السنّة النبويّة من شرط في الرضاع، كما جاءت في صحيح مسلم وسنن أبي داود وسنن النّسائي واللّفظ للأوّل، عن مسروق، قال قالت عائشة: دخل عليَّ رسول الله (ص) وعندي رجل قاعد، فاشتد ذلك عليه، ورأيت الغضب في وجهه.

قالت: فقلت: يا رسول الله (ص)! إنّه أخي من الرضاعة.

قالت: فقال: «أُنظرن إخوتكن من الرضاعة، فإنّما الرضاعة من المجاعة»[1].

ولفظ الحديث في سنن ابن ماجة، (باب الإرضاع بعد فصال):

«أُنظروا من تدخلنّ عليكنّ من الرجال، فإنّ الرضاعة من المجاعة»[2].

وفي آخر رواية الترمذي عن أُمّ سلمة:

«إلّا ما فتق في الأمعاء من الثدي وكان قبل الفطام».

قال أبو عيسىٰ: هذا حديث حسن صحيح.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الرضاع، الحديث ٣٢.

وسنن أبي داود ٢ / ٢٢٢، الحديث ٢٠٥٨، وفي لفظه: فشقّ ذلك عليه وتغير وجهه:

وفي سنن النّسائي، باب القدر الّذي يحرِّم من الرضاع ٢ / ٨٣.

وسنن ابن ماجة، كتاب النّكاح، باب لا رضاع بعد فصال ١ / ٦٢٦.

ومسروق بن أجدع بن مالك الحمداني الكوفي توفّي سنة اثنتين أو ثلاث وستّين. تقريب التهذيب ٢ / ٢٤٢.

(٢) نفس المصدر السابق.

والعمل علىٰ هذا عند أكثر أهل العلم من أصحاب النبيّ (ص) وغيرهم أنّ الرضاعة لا تحرّم إلّا من كان دون الحولين، وما كان بعد الحولين الكاملين فإنّه لا يحرم شيئاً[1].

في سنن أبي داود عن ابن مسعود عن النبيّ (ص) أنّه قال:

«لا رضاع إلّا ما شدّ العظم وأنبت اللحم وأنشز العظم»[2].

قال النووي في شرحه علىٰ صحيح مسلم:

(قوله عليه السلام: « أُنظرن إخوتكن» أي: تأملن وتفكّرن ما وقع من ذلك! هل هو رضاع صحيح بشرطه من وقوعه في زمن الرضاعة؟

فإنّما الرضاعة من المجاعة. وهو علّة لوجوب النظر والتأمل.

و(المجاعة) مفعلة من الجوع، يعني أنّ الرضاعة الّتي تثبت بها الحرمة، وتحلّ بها الخلوة، هي حيث يكون الرضيع طفلاً يسدّ اللبن جوعته، ولا يحتاج إلىٰ طعام آخر، والكبير لا يسدّ جوعته إلّا الخبز، فليس كلّ مرتضع لبن أُمّ أخاً لولدها)[3].

وفي سنن الترمذي: («لا يحرم من الرضاع إلّا ما فتق الأمعاء»، أي: ما وقع من الصبي موقع الغذاء، بأن يكون في مدّة الرضاع...)[4].

* * *

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) نقلناه من شرح النووي المطبوع بهامش صحيح مسلم ٤ / ١٧٠.

(٤) سنن الترمذي، كتاب الرضاع، باب ما جاء ذكر انّ الرضاعة لا تحرم إلّا في الصغر دون الحولين ٥ / ٩٦ـ٩٧.

ما جاء في السنّة النبويّة من شرط انتشار الحرمة في الرضاع أن يكون في سنيّ الرِّضاع، وينبت اللّحم وينشز العظم، دليل لما قلناه من أنّ الأحكام الإسلامية شرّعت وفق فطرة الإنسان. فليس في التبنِّي من تأثّر في جسم المتبنّى عن والديه، كما في الولد الصّلبي والرضيع الّذي نبت لحمه ونشز عظمه من الرّضاع.

ومثال آخر لتناسب أحكام الإسلام مع فطرة الإنسان تعيين الحولين للرّضاع؛ قال سبحانه: ﴿وَٱلْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ...﴾ (البقرة / ٢٣٣).

إنّ هذا النظام في الرضاع يناسب فطرة الإنسان في عصر الحجر وهو يسكن الكهوف، وفي عصر الحديد والبخار والكهرباء وهو يسكن ناطحات السحاب، وفي عصر الذرّة وهو يصعد إلىٰ سطح القمر، ويناسبه إذا ولد علىٰ سطح الأرض ويناسبه إذا ولد في الأقمار الصناعيّة في الفضاء اللامتناهي، في كلّ هذه الأحوال وكلّ هذه الأماكن وكلّ تلكم الأزمنة، إنّ النظام المتناسب مع فطرة الإنسان الطفل الّذي لم تنبت أسنانه ولم يشتدّ عظمه ولحمه ولم تقو معدته، رضاع حولين كاملين لمن أراد أن يتمّ الرضاعة.

* * *

كانت تلكم أمثلة من الأحكام الإسلاميّة المتناسبة مع فطرة الإنسان من حيث هو إنسان.

ثانياً ـ تناسب الأحكام الإسلامية المشرعة للإنسان الذّكر وللإنسان الأنثىٰ مع فطرة كلّ منهما:

قال الله سبحانه: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾.

(النّساء / ١١)

وقال: ﴿وَٱسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِجَالِكُمْ فَإِن لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾.

(البقرة / ٢٨٢)

في هٰذين الحكمين، روعيت مقتضيات فطرة كلّ من الإنسان الذّكر والإنسان الأُنثىٰ. فإنّ الله ـ سبحانه ـ حين خلق الإنسان، فطره ـ رجلاً وامرأة ـ ليقوم كلّ منهما بما هُيِّئَ له من عمل في الأُسرة ليكمل أحدهما الآخر.

فطر المرأة لتحمّل تسعة أشهر، وترضع سنتين، ويستلزم الكمال في أداء الوظيفتين؛ الإستقرار في البيت ورقّة العواطف والإستجابة السريعة للعواطف، لتقوم بدور الأُمومة ورعاية النسل بكلّ وجودها.

وهي في نفس الوقت بحاجة إلىٰ من يتكفّل بإعالتها وإعالة وليدها بجميع مستلزمات الحياة والإعاشة.

وفطر الرجل، وهيّأه لأداء هذه الوظيفة من قوّة الجسد وصلابة الرأي والإستقامة في العزيمة وكلّ ما يتطلبه العمل لإعالة الأُسرة من تحمل الصعاب خارج البيت.

ثمّ شرّع في أحكام الإسلام ما يتناسب وما أُهّلا له. فللرجل الّذي يعيل نفسه وزوجه وولده وأحياناً أُمّه وأُخته: ﴿مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ في الإرث.

وشهادة الأُنثىٰ الّتي تستجيب لعواطفها وتضعف أمام إحساساتها وبموجبه قد تنسى الحقّ، مع شهادة أُنثىٰ أُخرىٰ تذكّرها الحقّ تقابل شهادة الرجل الواحد ذي الإرادة الصلبة والعزيمة القويّة.

كان ذان مثالين للأحكام الإسلامية الّتي شرّعها الله متناسبة مع فطرة الإنسان الذّكر والإنسان الأُنثىٰ.

ثالثاً ـ أحكام اسلاميّة تتناسب مع فطرة الإنسان في حالة خاصّة:

ونضرب لها مثالاً من النظام الإقتصادي المتناسب مع فطرة الإنسان في المجتمع.

الإنسان في مجتمع المدينة ينتج سلعاً، ويستهلك سلعاً أُخرىٰ، فهو أبداً ودائماً بحاجة إلىٰ بيع منتوجه وشراء منتوج غيره، ومن ثمّ يتكون مجتمع المدينة من البائع والمشتري، وأحياناً لا يملك منتوجاً يبيعه، بل يملك عملاً منتجاً يضطر إلىٰ بيعه لمن يشتريه، ومن ثمّ يتكوّن في المجتمع أجير ومستأجر. وقد تفصل المسافات بين المنتج والمستهلك، فيحتاجان إلى الوسيط وهو التاجر.

وهذه الحالات في المجتمع البشري من سنن الله الّتي لا تبديل لها. وقد شرّع الله لها البيع والشراء والتجارة والإيجار والاستئجار، قال الله سبحانه:

﴿أَحَلَّ ٱللهُ ٱلْبَيْعَ ...﴾.

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِنكُمْ ...﴾. (النِّساء / ٢٩)

وقال: ﴿... إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا﴾. (البقرة / ٢٨٢)

وقال يحكي وقوع الإيجار والاستئجار بين نبيّيه شعيبٍ وموسىٰ (ع):

﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ ٱسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَأْجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ * قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَىٰ ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ ...﴾.

(القصص / ٢٦، ٢٧)

شرّع الله هذه الأحكام للإنسان في المجتمع بشرط أن يعملوا بالعدل، ولا يأكلوا أموالهم بينهم بالباطل، كالرِّبا الّذي حرّمه الله.

شرّع الله هذه الأحكام للإنسان في المجتمع أبد الدهر، وقال عن بني إسرائيل: ﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ﴾. (النِّساء / ١٦١)

تلكم الأحكام الإسلاميّة ونظائرها، شرّعها الله متناسبة مع فطرة الإنسان الّذي يعيش في المجتمع.

وشاءت الأنظمة الشيوعيّة أن تغيّر سنن الله في الخلق، وترفع من المجتمع البيع والشراء ـ التجارة ـ والإيجار والاستئجار، وخسئت حين بدّلت في عملها الفرد المشتري والمستأجر بقادة الحزب والدولة، وحصرت المشتري والمستأجر بالحاكم، وأصبح الأجير والمنتج في مجتمعهم عبداً قِنّاً للدولة لا يملك من أمره شيئاً.

وفي مقابلها المجتمعات الرأسمالية، تأكل أموال الناس بالباطل بظلم فاحش مثل الرِّبا والإحتكار والقمار، إلىٰ ضلالات وجهالات لم تشهد الجاهلية الأُولىٰ نظيرها، وأصبح أفراد المجتمعين الرأسمالي والشيوعي في ضنك من العيش، ومن أعرض عن ذكر الله وحكمه، فإنّ له معيشة ضنكاً.

رابعاً ـ الأحكام الإسلاميّة الّتي تتناسب وفطرة الإنسان الّذي يعيش في زمان خاصّ ومكان خاصّ وحالة خاصّة

أوردنا في ما سبق أمثلة من الأحكام الإسلامية الّتي شرّعها الله متناسبة مع فطرة الإنسان بمفرده وفي الأُسرة والمجتمع، ووجدناها تتناسب مع مصلحته متىٰ ما كان وأينما كان.

ومن الأحكام الإسلاميّة ما تتناسب مع فطرة إنسان يعيش في زمان خاصّ ومكان خاصّ ومجتمع خاصّ، والحكم عندئذ محدود بحدود ذلك الزمان والمكان والمجتمع، فإذا تغيّرت، ارتفع ذلك الحكم ونسخ، ومثاله في الشرائع بعضها مع بعض: المناسك والشعائر، مثل أيام الأعياد والقبلة وأيام الصوم.

وفي ضوء ما تقدّم تتيسّر لنا دراسة حكمة نسخ بعض الأحكام أو نسخ صور بعض الأحكام في شرائع الأنبياء.

أ ـ حكمة نسخ بعض الأحكام أو صور بعض الأحكام في شرائع الأنبياء

إنّ الإنسان أينما كان وكيف ما كان يحتاج إلىٰ:

أ ـ الصوم أيّاماً معدودات في السّنة.

ب ـ عطلة يوم في الأُسبوع استجماماً للراحة.

ج ـ قبلة يتوجّه إليها في الصلاة والعبادة.

د ـ أيّامٍ خاصّة يعيّد فيها المجتمع الإنساني ويحتفل بها.

وشرّع الله لبني إسرائيل سدّاً لتلك الحاجات:

الصِّيام ـ مثلاً ـ في أيّام أنزل الله فيها بركاته عليهم. وكذلك في ما جعل الله لهم أيّام عيد خاصّة والسبت عطلتهم، وجعل قبلتهم بيت المقدس مسجد أنبيائهم ومحلّ نزول البركات عليهم.

ولمّا انقطعت صلتهم بأنبيائهم، خلطوا شريعتهم بضلالات وجهالات تحت عنوان تلك الشعائر والمناسك، وامتزج الحقّ بالباطل في ما يتمسكون به باسم الدين حتّىٰ لم يَعُدِ الحقّ صريحاً لأحد واستمروا علىٰ ذلك إلىٰ أن أرسل الله خاتم أنبيائه محمّداً (ص)، فبدّل الله الصوم من أيّام كانت لديهم إلىٰ أيّام شهر رمضان الّذي أنزل الله فيه القرآن في ليلة القدر، وكذلك بدّل الأعياد والعطلة الأُسبوعية.

وأوضح مثال لبيان حكمة التبديل والنسخ، أمر تحويل القبلة، فإنّ المسلمين لمّا كانوا بمكّة مخالطين للمشركين الّذين يرون أنفسهم ورثة دين إبراهيم ومستقبلي قبلة البيت الحرام، وخلطوا ذلك بجهالاتهم وضلالاتهم، جعل الله قبلة المسلمين بيت المقدس، ليمتازوا منهم ويكوّنوا أُمّة خاصّة متميزة من الوثنيين.

ولمّا هاجروا إلى المدينة، وخالطوا اليهود الّذين كانوا قد حرّفوا شريعة موسىٰ(ص) وخلطوها بجهالات وضلالات، استفاد اليهود من استقبال المسلمين قبلتهم بيت المقدس، وقاموا بإلقاء الشبهة وتشويش الأذهان بأقوالهم، فضاق الرسول ذرعاً بهم، فحوّل الله القبلة إلى الكعبة بعد سبعة عشر شهراً من هجرة الرسول إلى المدينة.



كانت تلكم أمثلة توضح الحكمة في نسخ بعض أشكال الأحكام من شرائع أنبياء السلف.

وندرس في ما يأتي بحوله تعالىٰ حكمة نسخ بعض أحكام شريعة خاتم الأنبياء وحقيقة الأمر فيها.

ب ـ حكمة النسخ في بعض أحكام شريعة خاتم الأنبياء وحقيقة الأمر فيها

نضرب مثالاً واحداً يبيّن حكمة النسخ في بعض أحكام شريعة خاتم الأنبياء وحقيقة الأمر فيها، بحكم توارث المتآخين من المهاجرين والأنصار في أوائل الهجرة حين كان أولو أرحام المهاجرين بمكّة مشركين.

ونسخ هذا الحكم بعد فتح مكّة، قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللهِ وَٱلَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَأُولُو ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ ٱللهِ ...﴾. (الأنفال / ٧٢ ـ ٧٥)

عن الصحابي الزّبير ما ملخّصه:

(قال: لمّا قدمنا المدينة، قدمنا ولا أموال لنا فوجدنا الأنصار نعم الإخوان فواخيناهم وتوارثنا... حتّىٰ أنزل الله هذه الآية فينا معشر قريش والأنصار،

فرجعنا إلىٰ مواريثنا)[1].

وعن ابن عباس، قال: آخىٰ رسول الله (ص) بين أصحابه وورث بعضهم بعضاً حتّىٰ نزلت هذه الآية: ﴿وَأُولُو ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ ٱللَّهِ﴾[2].

وبناءً علىٰ ما ذكرنا كان حكم التوارث بالمؤاخاة مخصوصاً بالمتآخين من المهاجرين والأنصار مدّة بقاء أُولي أرحامهم مشركين بمكّة، وبين الأعراب. وارتفع هذا الحكم، ونسخ بانقضاء ذلك الزمان ودخول الناس في دين الله أفواجاً، وأصبح حكمهم في الإرث ما في كتاب الله، أي ما كتب الله لجميع البشر، ﴿وَأُولُو ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾.

* * *

كذلكم شأن الأحكام الإسلاميّة في تناسبها مع فطرة الإنسان الّتي لاتبديل لها وتحقيقها لمصالحه في مختلف حالاته، ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الرُّوم / ٣٠).

وذلكم شأن النسخ: انتهاء الحكم المتناسب مع فطرة الإنسان في وقت خاصّ بانتهاء زمانه.

يوحي الله إلىٰ نبيّه نهاية الحكم الأوّل وبداية الحكم الثاني وفق حكمته وتحقيقاً لمصالح الإنسان.

وفي ضوء ما بيّناه يتيسّر لنا ـ بحوله تعالىٰ ـ بعد تمهيدين نذكرهما خامساً وسادساً دراسة أصناف النسخ الّتي ذكرها العلماء في ما يأتي.

---

(١) بتفسير الآية من الدرّ المنثور ٣ / ٢٠٧؛ وتفسير الطبري ١٠ / ٣٦ ـ ٣٧؛ وراجع تفسير الآية بتفسير ابن كثير ٢ / ٣٣٠ ـ ٣٣١.

(٢) نفس المصدر السابق.

خامساً ـ كيف نفسّر الآيات في السور الكبيرة ؟

قبل البدء بدراسة الآيات الّتي قالوا عنها ناسخة ومنسوخة ينبغي التنبيه علىٰ ما يأتي:

إنّ الآيات الكريمة في السور الكبيرة تنقسم بحسب نزولها إلىٰ نوعين:

أ ـ ما نزلت كلّ آية منها علىٰ حدة لتبيّن حكماً إسلاميّاً أو تكشف حقيقة من حقائق الغيب والشهادة مثل قوله تعالىٰ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُباً إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِن كُنتُم مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا ...﴾.

(النّساء / ٤٣)

فإنّ هذه الآية لا علاقة لها بما قبلها وما بعدها في مغزاها، بل هي وحدة متكاملة، وينبغي أن تدرس كذلك علىٰ حدة.

ومثل قوله ـ تعالىٰ ـ:

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾. (المائدة / ٦٧)

فإنّ هذه الآية لا علاقة بينها وبين الآية ٦٦ قبلها، ولا بينها وبين الآية ٦٨ بعدها، فإنّ الآيات تتسلسل بهذا النحو:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِم مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾.

(المائدة / ٦٦)

﴿يَا أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ ... ﴾. (الآية ٦٧)

﴿قُلْ يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا ٱلتَّوْرَاةَ وَٱلْإِنْجِيلَ ... ﴾.

(المائدة / ٦٨)

إنّ الآية ٦٧ ﴿يَا أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ ... ﴾ لا صلة بينها وبين الآية ٦٦ قبلها، بل إنّ الآية ٦٦ هي نهاية للكلام في سلسلة آيات سبقتها. وكذلك الآية ٦٨ بعدها بداية لسلسلة آيات تأتي بعدها. وإنّ الآية ٦٧ ﴿يَا أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ ... ﴾ بنفسها وحدة متكاملة، وينبغي أن تدرس علىٰ حدة.

ب ـ ما نزلت ضمن مجموعة تبيّن بمجموعها حكماً إسلاميّاً، أو تكشف عن حقيقة من حقائق الغيب والشهادة، ولا تصحّ عندئذ دراسة مثل تلك الآية بمفردها ومجزأة عمّا قبلها وما بعدها، بل يلزم أن ندرسها ضمن مجموعتها الّتي هي جزء منها كما سيأتي بيانها بحوله تعالىٰ.

سادساً ـ دراسة موارد استعمال مادّة (الآية) في المعنىٰ اللّغوي والمعنى الإصطلاحي في القرآن الكريم:

نذكر هنا ما مرّ بنا في بحث المصطلحات من الجزء الأوّل ونقول:

جاءت مادّة (الآية) في المعنى اللّغـوي والإصـطلاحي في اثنين وثمـانين وثلاثمائة مورد في القرآن الكريم بالتفصيل الآتي:

أ ـ جاءت بلفظ المفرد (آية) أربعاً وثمانين مرّة.

ب ـ جاءت بلفظ المثنىٰ (آيتين) مرّة واحدة.

ج ـ جاءت بلفظ الجمع (آيات) ثمانياً وأربعين ومائة مرّة.

د ـ وجاءت تسعاً وأربعين ومائة مرّة بلفظ: (آيتك، آياتك، آياتنا، آياته، آياتها، آياتي).

ومرّ بنا في بحث المصطلحات أنّ معنىٰ (الآية) اللّغوي: العلامة الظـاهرة علىٰ شيء محسوس أو الامارة الدالّة علىٰ أمر معقول.

وأنّها في المصطلح الإسلامي استعملت في المعاني الآتية:

أ ـ معجزات الأنبياء.

ب ـ كلّ حكمٍ من شريعة الله جاء في فصل أو فصول من القرآن أو الكتب السماوية الأُخرىٰ.

ج ـ جزء من السورة مشخص بالعدد.

وأنّه لم يرد بالمعنى الأخير في القرآن الكريم بغير لفظ الجمع.

وفي ما يأتي أمثلة ممّا جاء من المعاني الآنفة الذكر في القرآن الكريم:

أوّلاً ـ المعنى اللّغوي، مثل قوله تعالىٰ:

أ ـ ﴿وَجَعَلْنَا ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ ٱللَّيْلِ ...﴾. (الإسراء / ١٢)

ب ـ ﴿... وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾. (البقرة / ١٦٤)

ثانياً ـ المعنى الإصطلاحي:

أ ـ مثال ما جاء بالمعنى الإصطلاحي الأوّل، قوله تعالىٰ:

﴿هٰذِهِ نَاقَةُ ٱللهِ لَكُمْ آيَةً﴾ (الأعراف / ٧٣)، و (هود / ٦٤).

ب ـ مثال ما جاء بالمعنى الإصطلاحي الثاني قوله تعالىٰ مخاطباً أزواج الرسول (ص):

﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ ٱللهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾. (الأحزاب / ٣٤)

وقوله تعالىٰ:

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾. (القصص / ٥٩)

ج ـ ومثال ما جاء في المعنى الإصطلاحي الثالث ـ الجزء من السورة المشخّص بالعدد ـ قوله تعالىٰ:

﴿الر تِلْكَ آيَاتُ ٱلْكِتَابِ ٱلْمُبِينِ﴾. (يوسف / ١)

ولمّا كانت مادّة (الآية) مشتركة بين عدّة معانٍ إصطلاحية ولغوية، واستعمل في جميعها في الكتاب والسنّة، لابدّ أن يأتي في الكلام قرينة دالّة على المعنى المقصود من الآية، كما هو شأن غيرها من الألفاظ الّتي لها معان متعددة ـ اللّفظ المشترك ـ، ولنضرب لها مثالاً في المصطلح الإسلامي بـ (الصلاة):

إنّ الصلاة كانت في اللّغة بمعنى الدُّعاء.

وفي المصطلح الإسلامي وضعت لعدّة معان، منها: الصلاة اليومية وصلاة العيدين والجمعة والكسوف والخسوف وغيرها، فلابدّ في استعمالها من وجود قرينة تعيِّن المعنى المقصود من اللفظ، فيقال ـ مثلاً ـ: إذا انخسف القمر وجب عليك أن تصلّي ركعتين، تقرأ في الأُولى الحمد و... ثمّ تركع و...

وكذلك الشأن مع (الآية)، فإنّها لمّا كانت مشتركة في المصطلح الإسلامي بين عدّة معان كاللّاتي ذكرناها آنفاً، لا تستعمل في الكلام دونما قرينة تدلّ على المعنى المقصود منها.

فيقال ـ مثلاً ـ: ﴿هٰذِهِ نَاقَةُ ٱللهِ لَكُم آيَة﴾ ونفهم من ذكر الناقة في المثال الأوّل أنّ المقصود من الآية، الآية المعجزة للأنبياء عليهم السلام.

ونفهم من ذكر لفظي ﴿مَا يتلىٰ﴾ و ﴿الحِكْمَة﴾ في المثال الثاني، أنّ المراد من الآيات أحكام من الشرع الإسلامي جاءت في فصول من القرآن الكريم، وحِكَم إلٰهيّة، وذلك لأن معنىٰ: تلا الكتاب تلاوة: قرأه بتدبّر في معانيه، والتدبّر في المعنىٰ يصدق علىٰ تفهّم معاني الأحكام.

وكذلك ﴿الحِكْمَة﴾ يكون في ما جاء بمعاني الآيات.

وكذلك الشأن في قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَـاتِنَا﴾، فـإنّ المراد: (رسولاً) يتلو عليهم الأحكام في فصول كتاب الله.

وفي المثال الثالث، نفهم من ذكر ﴿آلر﴾ والإشارة بـ ﴿تِلْكَ﴾ إليها، أنّ المقصود من الآيات مجموعات تتكون من حروف كالألف واللّام والرّاء. إذاً فإنّ معنى الآيات هنا مجموعات لفظيّة، اعتبر فيها تجمع الألفاظ دون المعنىٰ، وهي المجموعات الّتي تشخّص بالأعداد، ومن مجموعها تتكوّن السورة.

وبناءً على القول بعدم وجود المشترك اللّفظي في القرآن، فلابدّ ـ أيضاً ـ من القول بلزوم وجود قرينة تدلّ على الفرد المقصود من مصاديق المعنى الكلّي

عند استعمال اللفظ الموضوع للمعنى الكلّي وإرادة فرد خاص من مصاديقه. وبناءً علىٰ ما قرّرناه لابدّ إذاً من وجود قرينة في الموارد المذكورة في البحث علىٰ كلا التقديرين.

إذاً فإنّ الآية في الكتب السماوية، إمّا أن تكون اسماً لمعان جاءت فيها وهي الأحكام أو اسماً لمجموعة كلمات مُيِّزت بالأعداد في القرآن الكريم.



بعد هذا البيان ندرس آيتين، استدلّوا بهما علىٰ قولهم بالنسخ في القرآن الكريم.

سابعاً ـ استدلالهم علىٰ قولهم بالنسخ، بآيتين كريمتين:

استدلّ القائلون بوجود آيات منسوخة في القرآن الكريم علىٰ وجه العموم بآيتين كريمتين ندرسهما في ما يأتي:

أ ـ آية ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ (البقرة/١٠٦).

فسّروا (آية) فيها بالجزء من السورة، ويكون المعنىٰ علىٰ زعمهم: ما ننسخ من آية من آيات القرآن أو نمحها من الأذهان، نأت بآيات قرآنية خير منها أو مثلها.

ب ـ آية ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ ...﴾. (النّحل / ١٠١)

فسّروا ـ أيضاً ـ لفظ (آية) فيها بالجزء من السورة، ويكون المعنىٰ علىٰ زعمهم: إذا بدّلنا آية من آيات سور القرآن مكان آية أُخرىٰ.

* * *

استشهدوا بالآيتين السابقتين علىٰ قولهم بنسخ آيات القرآن في مباحث النسخ[1]، وفسّروهما كذلك في تفاسيرهم، ولا سيّما مَنْ عنيَ بتفسير القرآن بالمأثور. وأوردوا في تفسير الآيتين: روايات الآيات المزعومة في حكم الرجم وما شابهها. وروايات سورتي أبي موسىٰ والحفد والخلع.

---

(١) راجع الإتقان ٢ / ٢٧ في السطر الثالث.

وبتفسيرهم[1] هذا، وجدوا حلّاً لمعضلة تلكم الروايات الّتي تحدّثت عن نقصان القرآن ـ معاذ الله ـ وقالوا: إنّها نسخت تلاوتها.

وندرس بإذنه تعالىٰ استدلالهم بالآيتين في ما ياتي.

---

(١) أورد الطبري بتفسير آية ﴿مَا نَنسَخْ ...﴾ قليلاً منها ١ / ٣٧٨ ـ ٣٨٣، وأورد السيوطي بتفسيرها جلّ تلكم الروايات ١ / ١٠٤ ـ ١٠٦؛ والحاكم ٣ / ٣٠٥ في كتاب معرفة الصحابة، ترجم الصحابي أُبيّ بن كعب.

ثامناً ـ مناقشة استدلالهم بالآيتين:

أ ـ مناقشة استدلالهم بآية ﴿مَا نَنسَخْ مِن آيَةٍ﴾:

مورد مناقشتنا فيها: تفسيرهم (آية) بمعنى الجزء من السورة، ويكون المعنىٰ علىٰ قولهم: ما ننسخ من آية من سور القرآن، أو ننسها حكماً وتلاوةً، نأت بخير منها. ونقول في مناقشتها:

أوّلاً ـ ذكرنا أن مادّة (الآية) مشتركة بين معناها اللّغوي وعدّة معان إصطلاحية، واللفظ المشترك بين عدّة معان لا يستعمل في الكلام دونما وجود قرينة تشخّص المعنى المقصود من بين تلك المعاني.

ثانياً ـ جاءت القرينة على المعنى المقصود من الآية في الكلام كالآتي:

إنّ هذه الآية جاءت ضمن مجموعة آيات يعاتب الله فيها اليهود إن لم يؤمنوا بهذا القرآن وبشريعة خاتم الأنبياء (ص) ولا بالإنجيل وشريعة عيسىٰ ابن مريم (ع)، فقد قال الله تعالىٰ فيها:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ * ـ إلىٰ قوله تعالىٰ ـ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ ٱللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ ... كَفَرُوا بِهِ ... * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ ٱللهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ ... * وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا ٱلْفَاسِقُونَ ... * مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ... * أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللهَ لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ... * وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ...﴾. (البقرة / ٨٧ ـ ١٢٠)

وعلىٰ هذا، فإنّ معنىٰ ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾: ما ننسخ من حكمٍ ـ مثل حكم القبلة والعيد في يوم السبت ـ من كتاب موسىٰ (ع) التوراة، أو كتاب عيسىٰ (ع) الإنجيل، نأت بخير منه، حكم استقبال الكعبة في القرآن الكريم والعيد في يوم الجمعة، في الكتاب وسنّة الرسول (ص).



كان هذا معنىٰ ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾.

أمّا ﴿نُنْسِهَا﴾ فإمّا أن يكون من مادّة أنساها ينسيها أو من أنسأها ينسئُها.

وإذا كان من مادّة (أنساها) يتضح معناها بعد التنبّه علىٰ أنّ الله سبحانه أرسل عشرات الأُلوف من الأنبياء في أُممٍ أُبيدت وانقرضت ممّن لم ترد أسماؤهم في القرآن، ولم يذكر الله أخبارهم فيه، وإنّما ذكر الله في القرآن أسماء بعض أنبياء بني إسرائيل والعرب الّذين عاشوا في المنطقة ـ الجزيرة العربية ـ وما حولها.

وذكر بعض قصصهم وأنسىٰ قصص سائر الأنبياء أمثال هبة الله شيث بن آدم (ع) وعزير[1] الّذي قال اليهود: إنّه ابن الله. أنسى الله سبحانه قصص بعضهم، وأنسىٰ كتب البعض الآخر وذكر أسماءهم، وبعضهم أنسىٰ أسماءهم مع إنساء قصصهم وكتبهم.

وعلىٰ هذا يكون معنىٰ ﴿أَوْ نُنْسِهَا﴾ ما ننس ممّا في كتب السابقين، مثل كتاب شيث وغيره، نأت بخير منها وأكمل، مثل ما في القرآن وشريعة خاتم الأنبياء.

وإذا كان من مادّة (ينسئها) وأنسأه ينسئه، أي: أجّله وأخّره كما أوردناه

---

(١) عزير، جاء ذكره في سورة التوبة / ٣٠. وشيث بن آدم ذكرناه في باب الأوصياء من كتابنا عقائد الإسلام.

في بحث (الأشهر الحرم والنسيء) من البحث التمهيدي الأوّل؛ يكون المعنىٰ: والحكم نؤخّر تبليغه بما فيه خير للناس في ذلك الزمان مثل تأخير تبليغ نسخ حكم استقبال بيت المقدس إلىٰ هجرة الرسول (ص) إلى المدينة.

وهذا المعنىٰ هو المراد من (ننسها) وليس المعنى الأوّل.



يفهم العربي اللبيب بذوقه السليم ما ذكرناه إذا اقتصر علىٰ ما جاء في كتاب الله لدرك معناه.

وإذا رجعنا إلىٰ كتب التفسير، وجدناهم يعملون ما يأتي:

أوّلاً ـ يقتطعون الآية من مكانها في المجموعة الواحدة من الآيات ذات السياق الواحد.

ثانياً ـ يُجرون على الآية الكريمة أنواع التبديل والتحوير بحسب اجتهادات المفسّرين، مفسرين وقرّاء بعنوان اختلاف القراءات.

ثالثاً ـ يعتمدون لفهم معنى الآية الأحاديث المروية في باب نسخ التلاوة الّتي سندرسها في ما يأتي إن شاء الله تعالىٰ.

ب ـ مناقشة استدلالهم بآية ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكانَ آيَةٍ ...﴾:

في مناقشة استدلالهم بهذه الآية نقول: هذه الآية ـ أيضاً ـ نزلت ضمن مجموعة آيات يتحدّث فيها الله ـ جلّ اسمه ـ عن القرآن وأدب قراءته، وتشكيك المشركين من أهل مكّة، وإدحاض افترائهم، حيث يقول ـ عزّ اسمه ـ:

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ * إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَٱلَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ * وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَٱللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ

بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَبِّكَ بِالحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَهُدىً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسلِمِينِ * وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ ٱلَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ... إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ ٱللهِ وَأُولٰئِكَ هُمُ ٱلْكَاذِبُونَ ﴾ (النّحل / ٩٨ ـ ١٠٥) إلىٰ ما بعده.

يقول الله سبحانه: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ * إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى ٱلَّذِينَ آمَنُوا ... وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً ﴾ أي: بعض أحكام القرآن المذكورة في فصلٍ أو فصولٍ منه، ﴿مَكَانَ آيَةٍ ﴾ أي: مكان بعض أحكام التوراة أو الإنجيل المذكورة في فصلٍ أو فصولٍ من أحدهما، والله أعلم بما ينزِّل، وحكمته، قالوا: أنت مفترٍ في ما أتيتَ به من الكتاب المجيد، قل نزّله روح القدس من ربِّك، ليثبت به الّذين آمنوا وهدىٰ وبشرىٰ للمسلمين، ولقد نعلم أنَّهم يقولون: إنّما يعلِّمه بشر ـ قيل نصراني كان بمكّة ـ لسان الّذي يلحدون إليه ـ يطعنون به على القرآن ـ أعجميّ وهذا لسانٌ عربيّ مبين ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ ٱللهِ وَأُولٰئِكَ هُمُ ٱلْكَاذِبُونَ ﴾.

* * *

هذا التفسير لهذه المجموعة ومن ضمنها آية ﴿بَدَّلْنَا آيَةً ﴾ واضح لكلّ من له أدنىٰ إلمام باللّغة العربية والمصطلحات الإسلامية.

ويؤكّد ما ذكرناه أربعة أمور:

١ ـ بدء المجموعة بذكر القرآن.

٢ ـ إيراد الضمير المذكور في ﴿نزّله ﴾، فإنّه لو كان القصد من ﴿نزّله ﴾: الآية من السورة لكان ينبغي أن يقول ـ عزّ اسمه ـ (نزّلها)، أي نزّل الآية من السورة، ولما أعاد الله ـ سبحانه ـ الضمير إلى المذكّر، ظهر أنّ المقصود من الآية هو القرآن أو حكم في القرآن، ولهذا أعاد الضمير إلىٰ معنى (الآية) وهو القرآن أو الحكم المذكّر.

٣ـ حكايته قولهم بأنّه علّمه بشر، وكان قصد المشركين من تعليم البشر تعليم البشر إيّاه القرآن أو بعض أحكام القرآن ـ معاذ الله ـ ولم يقصدوا تعليمه آية واحدة من القرآن.

٤ـ أمره الرسول باتباع ملة إبراهيم وقوله تعالىٰ بعد ذلك: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ (النّحل / ١٢٤)، وهم بنو إسرائيل، ثمّ ختم الآيات بقوله تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾ (النّحل / ١١٨).

وأخيراً لم نجد في ما ذكروا من التفاسير رواية عن رسول الله (ص) أنّه فسّر لفظ (آية) في الموردين هنا بالآية الّتي هي جزء من السورة كما قالوا به، وإنّما نقلوا ذلك من المفسِّرين.

* * *

كان هذا استدلالهم القرآني علىٰ نسخ التلاوة وجوابه.

وندرس بحوله تعالىٰ تسرّب اجتهادات مدرسة الخلفاء في النسخ إلىٰ بعض تفاسير مدرسة أهل البيت (ع) في ما يأتي.

تاسعاً ـ تسرُّب اجتهادات مدرسة الخلفاء ورواياتهم في النسـخ إلىٰ تفاسير مدرسة أهل البيت (ع):

تسرّب تفسير أتباع مدرسة الخلفاء للآيتين أو بالأحرىٰ اجتهادهم فيهما مع الروايات الّتي استدلّوا بها إلىٰ بعض تفاسير مدرسة أهل البيت، مثل مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي. فقد قال بتفسير: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ ...﴾ في بيان لغة النسخ ما نصُّه كالآتي:

(والنسخ في القرآن علىٰ ضروب منها أن يرفع حكم الآيـة وتلاوتها، كما روي عن أبي بكر[1] أنّه قال:

كُنّا نقرأ [لا ترغبوا عن آبائكم فإنّه كفر بكم].

ومنها أن تثبت الآية في الخط، ويرفع حكمها كقوله: ﴿وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفّار فعاقبتم ...﴾ الآية، فهذه ثابتة اللفظ في الخط مرتفعة الحكم[2].

ومنها ما يرتفع اللّفظ، ويثبت الحكم، كآية الرجم، فقد قيل: إنّها كانت مُنزَلَة، فرفع لفظها. وقد جاءت أخبار كثيرة بأن أشياء كانت في القرآن، فنسخ تلاوتها، فمنها ما روي عن أبي موسىٰ أنّهم كانوا يـقـرأون: [لو أنّ لابـن آدم

(١) المشهور أنّ الرواية عن الخليفة عـمر، وليس عن الخليفـة أبي بكـر، كـما جـاء ذلك في الصحاح، وذكرنا مصادرها في بحث روايات الزيادةوالنقصان في القرآن ـ معاذ الله ـ بمدرسة الخلفاء.
ونسب الواحدي هذا القول إلىٰ أبي بكر وقد يكون خطأ منه.
راجع البرهان في علوم القرآن للزركشي ٢ / ٣٩.

(٢) مجمع البيان للطبرسي ١ / ١٨٥؛ والتبيان للطوسي ١ / ١٣٧.

واديين...])[1].

وقال في تفسير ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً ...﴾ من تفسيره:

(معناه وإذا نسخنا آية، وآتينا مكانها آية أُخرىٰ... إمّا نسخ الحكم والتلاوة، وإمّا نسخ الحكم مع بقاء التلاوة...)[2].

هكذا نقل الطبرسي قول مدرسة الخلفاء بأصناف النسخ دون أن يصرّح بمصدر القول، ونقل أستدلالهم برواياتهم دون أن يصرّح بمصدر الروايات، أو يقول إنّها من روايات مدرسة الخلفاء ومنقولة من كتب حديثهم.

وسبق الشيخ الطوسي الطبرسي بتفسير الآيتين في تفسيره التبيان، وأسند الرواية: (كنّا نقرأ [لا ترغبوا عن آبائكم فإنّه كفر بكم]) إلىٰ أبي بكر، بينما هي مروية عن عمر.

ومن ثمّ اتّضح أنّ الطبرسي نقلها عن تفسير التبيان للشيخ الطوسي.

ويظهر من كلامهما أنّهما تبنّيا القول بأصناف النسخ الّذي ابتكرته مدرسة الخلفاء.

ومن تفسير هذين العلمين من أعلام مدرسة أهل البيت، انتشر بعض ما نقلاه في تفسير الآيتين إلىٰ تفاسير أُخرىٰ بمدرسة أهل البيت مثل تفسير أبي الفتوح الرازي وتفسير كازر. ولا سيّما في تفسير لفظ (آية) في الموردين، فإنّهم فسّروها بمعنىٰ جزء من السورة، بينما المراد من (آية) فيها غير هذا المعنىٰ.

وخالفهم في ذلك صاحب أطيب البيان، فإنّه فسّرها كما تفسر في مدرسة أهل البيت (ع)[3].

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) أيضاً ٣ / ٣٨٥، ٣٨٦.

(٣) أطيب البيان في تفسير القرآن، ط. طهران سنة ١٣٨٦هـ، ٢ / ١٣٩. ويختلف معنا في ذكر المثال فحسب.

وندرس بحوله تعالىٰ روايات النسخ والآيات الّتي قالوا عنها: إنّها منسوخة في ما يأتي.

عاشراً ـ التنبيه علىٰ ثلاثة أُمور قبل دراسة (ما نسخ حكمها في قولهم):

قبل دراسة الآيات الّتي قالوا عنها: (نسخ تلاوته وبقي حكمه)[1] وقال بعضهم: (آية نسخت آية أُخرىٰ)[2]، ينبغي التنبيه على الأُمور الثلاثة الآتية:

أ ـ إنّ كثيراً من الأحكام كانت تنزل بوحي غير قرآني، وبعد عمل المسلمين بها كان ينزل في القرآن خبر ذلك. وفي هذا الصدد قال السيوطي في الإتقان:

(النوع الثاني عشر... ما تأخّر نزوله عن حكمه).

وقال: (ومن أمثلته قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ...﴾ الآية، فإنّها نزلت سنة تسع، وقد فرضت الزكاة قبلها في أوائل الهجرة)[3].

قال المؤلّف:

وكذلك شأن نزول حكم الصلاة بسجداتها وركعاتها وأذكارها ووضوئها، فإنّ رسول الله (ص) بعث يوم الإثنين، وعلّمه جبرائيل الصلاة يوم الثلاثاء، فصلّىٰ هو وعليّ بن أبي طالب وخديجة[4]، ثمّ تتابع نزول أحكام الصلاة وأجزائها وشرائطها في القرآن بعد ذلك.

وكثير من الأحكام الإسلاميّة ـ أيضاً ـ أُنزل علىٰ رسول الله ابتداءً بوحي غير قرآني وعمل به المسلمون، ثمّ نزل في القرآن خبره وحكمه.

---

(١) البرهان ٢ / ٣٥ـ٣٦.

(٢) الإتقان ٢ / ٢٢.

(٣) الإتقان ١ / ٣٧، ٣٨.

(٤) روىٰ ذلك من عني بكتابة بدء الوحي من كتّاب سيرة الرسول.

وفي الأحكام الإسلاميّة وعلومها ما نزل ابتداءً بوحي قرآني، ولعلّ منها قوله تعالىٰ: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ ...﴾ (النِّساء / ١٢٧)، وقوله تعالىٰ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ...﴾ (الإسراء / ٨٥).

ب ـ قد يأتي في القرآن ذكر المتأخّر زماناً قبل المتقدّم عليه لداعٍ بلاغي.

وفصّل الزركشي القول في أسباب التقديم والتأخير في القرآن في فصلين، ذكر في الأوّل أسبابه وفي الثاني أنواعه، بعد أن قال:

(القول في التقديم والتأخير وهو أحد أسباب البلاغة... وله في القلوب أحسن موقع، وأعذب مذاق...)[1].

وممّا ذكره مثالاً للمتأخّر الّذي تقدّم ذكره ما يأتي:

قال: (وأمّا قوله: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ * وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ﴾ (النّجم / ٣٦، ٣٧). فإنّما قدّم ذكر موسىٰ لوجهين:

أحدهما أنّه في سياق الإحتجاج عليهم بالترك، وكانت صحف موسىٰ منتشرة أكثر انتشاراً من صحف إبراهيم. وثانيهما مراعاته رؤوس الآي)[2].

وفي مكان آخر قال:

(وقد جاء: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾ (النازعات / ٢٥)، و﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّىٰ * فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ﴾ (النَّجم / ٢٤ـ٢٥) ـ بتقديم الآخرة على الأُولىٰ ـ لمناسبة رؤوس الآي)[3].

---

(١) البرهان في علوم القرآن ٣ / ٢٣٣، ولم يعقد باباً لما نحن بصدده، وإنّما ذكر هذا النوع استطراداً، واستشهدنا بقوله ليعلم أنّ التقديم والتأخير في ذكر الأخبار جاء لأسباب بلاغية، ولا يصحّ ما زعموا ممّا سنذكره بُعيد هذا إن شاء الله.

(٢) البرهان في علوم القرآن ٣ / ٢٣٩.

(٣) البرهان في علوم القرآن ٣ / ٢٦٤.

قال المؤلّف:

ومن هذا النوع ما حكاه سبحانه وتعالىٰ في خبر ذبح بني إسرائيل البقرة وقال:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ ٱللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً ... * ... فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ * وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَٱللهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ * فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذٰلِكَ يُحْيِي ٱللهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ ...﴾. (البقرة / ٦٧ ـ ٧٤)

فإنّ قوله تعالىٰ ﴿وَإِذْ قَتَلْتُم نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾ مقدّم زماناً علىٰ تمام ما جاء سابقاً عليه، إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾.

قال البغوي: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ﴾: هذا أوّل القصة وإن كانت مؤخرة في التلاوة[1].

وإذا أمعنّا النظر في الآيات الآنفة الذكر، نرىٰ أن الله ـ سبحانه ـ بعد ما ذكر تعنّت بني إسرائيل في تنفيذ ما أمرهم به، أوجز القصّة أخيراً مع ذكره نهاية الأمر لأخذ العبرة منها في قدرته على إحياء الموتى، ثمّ وصله بقوله لبني إسرائيل: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ﴾.

ونبّه المسلمين بعد ذلك ألّا يطمعوا في إيمان بني إسرائيل بخاتم الأنبياء وشريعته مع حالتهم الّتي ذكرها مع نبيّهم موسىٰ بن عمران (ع).

ومن هذا النوع ـ أيضاً ـ ما قصّه سبحانه من خبر نوح مع ابنه وقال:

﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ ٱلْكَافِرِينَ * قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ ٱلْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللهِ إِلَّا مَن

(١) البرهان ٣ / ٢٧٦، وقوله هذا يسبب التوهّم بأنّ ترتيب نزول هذه الآية لم يراع في كتابة المصحف.

رَحِم وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَـوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ * وَقِيلَ يَا أَرْضُ ٱبْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ ٱلْمَاءُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَىٰ الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ * وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ ٱلْحَاكِمِينَ * قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ... ﴾.

(هود / ٤٢ ـ ٤٦)

إنّ هذه الآيات الّتي جاءت ضمن مجموعة آيات ٤٢ ـ ٤٦ من سورة هود تقصُّ خبر نوح مع قومه وصنعه السفينة وغرق قومه ونجاته وأهل السفينة وهبوطهم بسلام، وقد جاء ذكر نوح وابنه فيها مرّتين، واتّصال كلّ منهما مع ما قبلها وما بعدها واضح لمن تدبّر الآيات.

وقد جاء في الأخيرة بعد إخباره ـ تعالىٰ ـ عن استواء السفينة على الجودي، أي تأخّر ذكره هنا، وهو متقدّم على استواء السفينة.

ونظائره، أي تقديم ذكر المتأخّر كثيرة في القرآن، كما شاهدنا ذلك في ذكر: ﴿صحف إبراهيم﴾ بعد ﴿صحف موسىٰ﴾ في سورة النّجم.

ج ـ تعدادهم في هذا الصنف ما ليس منه:

قال السيوطي في شأن هذا الصنف: ما نسخ حكمه دون تلاوته:

(وهو في الحقيقة قليل جدّاً وإنْ أكثَرَ الناس من تعديد الآيات).

وقال: (وإنّ الّذي أورده المكثرون أقسام: قسم ليس من النسخ في شيء ولا من التخصيص).

ثمّ عدّ تسع عشرة أو عشرين آية اعتبرها ممّا نسخ حكمه دون تلاوته[1] ونحن نقول:

---

(١) الإتقان ٢ / ٢٢ في الضرب الثاني: ما نسخ حكمه دون تلاوته.

إنّ بعض ما عدّه السيوطي: ممّا نسخ حكمه ـ أيضاً ـ ليس من هذا الصنف.

وقد فصّل القول أستاذ الفقهاء السيِّد الخـوئي في بيان نيف وثلاثين مورداً منه في تفسيره (البيان)[1] ولا حاجة لبيانها هنا.

* * *

بعد إيراد المقدّمات الثلاث، ندرس ـ بحوله تعالى ـ الآيات الّتي قالوا: إنّها منسوخة في ما يأتي.

---

(١) تفسير البيان للسيِّد الخوئي، ص ٣٠٦، ٣٠٧.

حادي عشر ـ دراسة آيات تقصُّ حكاية الحكم المنسوخ:

إنّ الآيات الّتي قال العلماء فيها: (آية نسخت آية)؛ أي أنّ الله سبحانه أنزل حكماً إسلاميّاً بوحي قرآني، وبعد أن عمل المسلمون بتلك الآية نسخها بآية قرآنية أُخرىٰ.

وبناءً علىٰ ذلك يكون في القرآن آيات منسوخة وآيات ناسخة، نقول:

إنّ قولهم هذا وتعريفهم له غير صحيح.

والصحيح: أنّ الله ـ سبحانه ـ كان قد أنزل بعض الأحكام المؤقتة بوحي غير قرآني وبعد عمل المسلمين بها في الوقت المحدّد له في علم الله وانتهاء ذلك الوقت أنزل نسخ تلك الأحكام بوحي غير قرآني، وبلّغ الرسول (ص) ذلك للمسلمين، ثمّ بعد كلّ ذلك أنزل في القرآن أخبار تلك الأحكام مع شرح ملابساتها لأخذ العبرة منها.

ولايسع المجال لدراسة جميع مواردها، وإنّما نكتفي بدراسة أربعة منها قالوا عنها: إنّ الآية الناسخة تقدّمت في الذكر على الآية المنسوخة[1]، كالآتي:

آية ﴿يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ ...﴾ (الأحزاب / ٥٠).

قالوا: إنّها ناسخة لقوله تعالىٰ: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ﴾ (الأحزاب / ٥٢).

وبناءً علىٰ ذلك فإنّ الآية الناسخة متقدّمة في الذكر على الآية المنسوخة. والواقع علىٰ حدّ زعمهم خلاف ذلك، كما سنشرحه بُعيدَ هذا.

---

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي ٢ / ٣٨.

قوله تعالىٰ: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَاءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ...﴾ (البقرة / ١٤٢)، قالوا: (إنّها متقدّمة في التلاوة ولكنّها منسوخة لقوله تعالىٰ: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجهِكَ فِي ٱلسَّمَاءِ ...﴾ البقرة / ١٤٤)[١].

وسوف نذكر الموردين الثالث والرابع منها بعد دراسة المـوردين الأوّلين ونقول في الجواب عنهما:

أوّلاً ـ حكم تعدّد أزواج الرسول (ص):

إنّ الآية قد جاءت ضمن المجموعة الآتية من الآيات في الذكر الحكيم:

﴿يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْـنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ ٱللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ ٱللهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَـمَّاتِكَ وَبَـنَاتِ خَـالِكَ وَبَـنَاتِ خَالَاتِكَ ٱللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ ٱللهُ غَفُوراً رَحِيماً * تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَٱللهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ ٱللهُ عَلِيماً حَلِيماً * لَا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَاءُ مِن بَعْدُ وَلَا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ ٱللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَقِيباً﴾.

(الأحزاب / ٥٠، ٥١)

دراسة الآيات:

لقد ذكرنا في أوّل كتاب أحاديث عائشة[٢] تفصيل ما حقّقته زواجات

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) أحاديث أُمّ المؤمنين، ط. طهران ١٤١٤هـ، ص ٢٥ في بيان حكمة تعدّد زوجات النبيّ (ص) بأوّل الكتاب.

الرسول الأكرم (ص) من مصالح الإسلام التشريعية والسياسيّة ومصالح المسلمين الإجتماعية ومصالح أمّهات الأيامى الفردية وكذلك مصالح ذوي قرباهنّ، وكيف كانت تلك المصالح السبب في أن يحلّ الله له، بعد هجرته إلى المدينة، تعداد الزوجات وقبول الواهبات أنفسهنّ له، وكيف انتهت تلك المصالح بعد فتح مكّة وكانت في عصمته عندئذ تسع منهن فحبسه الله عليهن، وقال سبحانه: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَاءُ مِن بَعْدُ ...﴾، ولم يكن ذلك قصراً له على العدد (التسع منهنّ) كي يحلّ له أن يطلّق بعضهنّ إذا شاء ويستبدل بهنّ غيرهنّ مهما بلغت إحداهنّ من الكهولة والعجز.

وما ذكرناه حقيقة ناصعة يجدها من قرأ البحث هناك وحقيقة واضحة لمن درس أحوال الإسلام التشريعية والسياسية يومذاك، وأحوال المسلمين الإجتماعية وأحوال أُمّهات المؤمنين الفردية وأحوال من وهبت له نفسها منهنّ، وما عامل بعضهنّ النبيّ (ص) حين زوّجها بأحدهم بمهر قدره تعليمها ما حفظ من القرآن، لأنّه كان مُعدَماً. ـ نِعْمَ المهر ونِعْمَ العاقد ونِعْمَ مجلس العقد ونعمت حفلة الزواج ـ.

من درس الآيات الثلاث مع ملاحظة ما جاء في الحديث الصحيح في شأن نزولها ودراسة تلك الأحوال والملابسات يتضح له ما قلناه بلا لبس فيه ولا غموض.

وهذا النوع من الدراسة أساس لدرس كلّ مجموعة من آيات الله البيّنات، ولكنّ بعضهم شاء أن يغضّ النظر عن تلك الأحوال والملابسات، ويعتمد علىٰ اجتهاده الخاصّ، وقطّع هذه المجموعة من الآيات تقطيعاً وعدّ في الناسخ الّذي تقدم على المنسوخ قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ ...﴾.

وقال: إنّها ناسخة لقوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَاءُ مِن بَعْدُ﴾[1].

---

(١) راجع البرهان في علوم القرآن للزركشي ٢ / ٣٨.

لست أدري كيف لم ينتبه لقولـه ـ تعالىٰ ـ: ﴿مِن بَعْدُ﴾ أي بعدما تقدّم ذكره من تحليل الأزواج: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ ...﴾.

ولست أدري كيف قال، إنّ قوله تعالىٰ: ﴿مِن بَعْدُ﴾ نزل قبلاً؟

كان هذا واقع الأمر في المورد الأوّل من أقوالهم في النسخ.

وحقيقة الأمر في المورد الثاني كالآتي:

ثانياً ـ آيات القبلة:

قبل دراسة آيات القبلة ينبغي أن ندرس أوّلاً خبر تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة مع الإشارة إلىٰ ما سـبقه من أخبار وما تبعـه من حوادث ـ بحوله تعالىٰ ـ ثمّ نورد آيات القبلة وندرسها.

أ ـ أخبار ما قبل تحويل القبلة

كانت الكعبة قبلة الأنبيـاء قبل موسىٰ بن عمران (ع)، وبعد موسىٰ بن عمران(ع) أصبح بيت المقدس قبلة بني إسرائيل، ولم تنسخ إلىٰ أن هاجر الرسول (ص) إلى المدينة.

وكان رسول الله (ص) في مكّة يستقبل في صلاته الكعبة وبيت المقدس معاً، وعندما هاجر إلى المدينة لم يكن ذلك ميسوراً، فاستقبل في صلاته بـيت المقدس، وكان يعلم أنّ القبلة ستتحوّل إلى الكعبة[1].

ويدل علىٰ ذلك ما رواه ابن هشام في خبر البيعة الثانية الكبرىٰ بالعقبة، عن كعب بن مالك، وكان قد حضر البيعة الثانية، قال كعب ما موجزه:

خرجنا في حجّاج قومنا من المشركين، وقد صَلَّينا وفَقُهنا، ومعنا البراء

(١) راجع تفسير الطبري ٢ / ٣ـ ٤؛ وتفسير السيوطي ١ / ١٤٦.

ابن معرور سيِّدنا وكبيرنا، فلما وجَّهنا لسفرنا فخرجنا من المدينة، قال البراء لنا: يا هؤلاء إنِّي قد رأيت رأياً ووالله ما أدري أتوافقونني عليه أم لا؟ قال: قلنا: وما ذاك؟

قال: قد رأيت ألَّا أدع هذه البَنِيّة منِّي بِظَهْرٍ (يعني الكعبة) وأن أُصلِّي إليها.

قال: فقلنا: والله ما بلغنا أنّ نبيّنا (ص) يصلِّي إلّا إلى الشام، وما نريد أن نخالفه.

قال: فقال: إنِّي لَمُصَلٍّ إليها.

قال: فقلنا له: لكنّا لا نفعل، قال: فكنّا إذا حضرت الصلاة، صلّينا إلى الشام، وصلّىٰ إلى الكعبة، حتّىٰ قدمنا مكَّة.

قال: وقد كنَّا عِبْنَا عليه ما صنع، وأبىٰ إلّا الإقامة علىٰ ذلك، فلمّا قدمنا إلىٰ مكّة قال لي: يا ابنَ أخي! انطلق بنا إلىٰ رسول الله (ص) حتّىٰ أسأله عمّا صنعت في سفري هذا، فإنّه والله لقد وَقَع في نفسي منه شيء لما رأيت من خلافكم إيّاي فيه.

قال: فخرجنا نسأل عن رسول الله (ص) فقيل لنا يجلس مع العباس بن عبدالمطلّب، فقد كنّا نعرف العباس كان لا يزال يقدم علينا تاجراً فدخلنا المسجد، فإذا العباس (رض) جالس ورسول الله (ص) جالس معه، فسلّمنا ثمّ جلسنا إليه... فقال البراء بن معرور: يا نبيَّ الله! إنِّي خرجت في سفري هذا وقد هداني الله للإسلام، فرأيت ألّا أجعل هذه البَنِيَّة منِّي بظهر، فصلّيتُ إليها، وقد خالفني أصحابي في ذلك، حتىٰ وقع في نفسي من ذلك شيء، فماذا ترىٰ يا رسول الله؟

قال: «قَدْ كُنْتَ عَلَىٰ قِبْلَةٍ لَوْ صَبَرْتَ عَلَيْهَا».

قال: فرجع البراء إلىٰ قبلة رسول الله (ص)، وصلّىٰ معنا إلى الشام، قال:

وأهله يزعمون أنّه صلّى إلى الكعبة حتّىٰ مات.

قال ـ كعب ـ: وليس ذلك كما قالوا[1].

* * *

قال المؤلّف:

مهما يكن من أمر صلاة البراء بعد ذلك فإنّ الرسول (ص) لم ينكر عليه استقبال الكعبة.

ومفهوم كلام الرسول (ص) له: «لو صبرت عليها» حتّىٰ يحين موعد التحوّل إلى الكعبة.

وهذا الكلام إقرار من الرسول (ص) بصحّة عمله وإرشاد منه له أن يصبر فعلاً حتّىٰ يحين موعد تحويل القبلة.

ب ـ أخبار تحويل القبلة وما بعدها

لمّا هاجر النبيّ (ص) إلى المدينة بقي ـ على الأشهر ـ سبعة عشر شهراً يستقبل في صلاته بيت المقدس، فقالت اليهود: (يخالفنا محمّد ويتبع قبلتنا).

فكان رسول الله (ص) إذا سلم من صلاته إلىٰ بيت المقدس، رفع رأسه

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ / ٤٧ ـ ٤٨؛ وأُسد الغابة بترجمة البراء بن معرور.

وكعب بن مالك بن القين الخزرجي السلمي. كان أحد شعراء النبيّ (ص)، وأحد الثلاثة الّذين تخلفوا عن تبوك، وتاب الله عليهم. رووا عنه ثمانين حديثاً. توفّي في خلافة الإمام عليّ (ع). سورة التوبة / ١١٨.

أُسد الغابة ٤ / ٢٤٧ ـ ٢٤٨؛ وجوامع السيرة، ص ٢٧٨؛ وتقريب التهذيب ٢ / ١٣٥.

والبراء بن معرور الخزرجي السلمي، كان أوّل من بايع الرسول في العقبة. وتوفّي في صفر قبل قدوم رسول الله (ص) المدينة مهاجراً بشهر، وأوصىٰ أن يدفن وتستقبل به الكعبة. فـفعلوا ذلك، ولمّا قدم النبيّ المدينة صلّىٰ علىٰ قبره وكبر أربعاً. أُسد الغابة ١ / ١٧٣.

إلى السماء ينتظر أمر الله، فولّاه الله قبلة يرضاها وكان اليهود يعلمون ـ شأن القبلتين ـ ويكتمون صفة النبيّ (ص)، وأمر القبلتين.

ولمّا صرف الله نبيّه إلى الكعبة، قال أهل الكتاب: اشتاق الرجل إلىٰ بيت أبيه ودين قومه!

وقال المشركون من أهل مكّة: تحير علىٰ محمد دينه، فتوجه بقبلته إليكم وعلم أنّكم أهدىٰ منه سبيلاً ويوشك أن يدخل في دينكم!

وأشفق المسلمون علىٰ من صلّىٰ منهم ـ إلىٰ بيت المقدس ـ ألّا تقبل صلاتهم الماضية، فقالوا: يا رسول الله! فكيف بالّذين ماتوا وهم يصلّون إلىٰ بيت المقدس؟

وقيل ـ أيضاً ـ إنّ ناساً من أسلم ـ من الأنصار ـ رجعوا ـ عن الإسلام ـ وقالوا: مرّة هاهنا! ومرّة هاهنا[1]!

* * *

كانت تلكم أخبار تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، وفي ما يأتي آياتها:

قال الله سبحانه:

﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَاءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ

---

(١) ما أوردناه من أخبار تحويل القبلة موجز من الروايات في تفسير آيات القبلة بتفسير الطبري ٢ / ٣ ـ ٥؛ والسيوطي ١ / ١٤٦. وما أضفناه إليها للتوضيح كتبناه بين خطين تمييزاً له من نصوص الروايات.

لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللهُ وَمَاكَانَ ٱللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللهَ بالنَّاسِ لَرؤُوفٌ رَحِيمٌ * قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَبِّهِمْ وَمَا ٱللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ * وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَمِنَ ٱلظَّالِمِينَ * ٱلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * ٱلْحَقُّ مِن رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ * وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا ٱلْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ ٱللهُ جَمِيعاً إِنَّ ٱللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَبِّكَ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ * وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَاكُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

(البقرة / ١٤٢ـ ١٥٠)

دراسة مجموعة آيات القبلة

في ضوء ما درسناه من شأن نزول آيات القبلة، يتيسّر لنا فهم معنى الآيات بوضوح، وللإيجاز ندرس منها ما يخصُّ شأن القبلة دون ما ذكره الله بضمنها لأخذ العبرة منها.

* * *

بدأ الله سبحانه في ذكر أخبار تحويل القبلة وقال: ﴿سيقول السُّفهاء من النَّاس ـ سواء اليهود منهم أو المشركون ـ ما ولّاهم عن قِبْلَتِهِم الّتي كانُوا عَلَيْها قُلْ لِلهِ المَشْرِق والمَغْرب﴾ أي: له كلتا القبلتين، أو جميع الأرض، وما جعلنا

قبلتكم بيت المقدس إلّا امتحاناً للنّاس، فإنّ الذيـن اتـبعوا الرسـول (ص) في صلاتهم بمكّة كانوا قد خالفوا قبلة قومهم، وانفصلوا عنهم.

وفي المدينة عندما تحوّلت القبلـة أيضاً، كان منه امتـحاناً لمن أسلم من اليهود وحلفائهم ولغيرهم في اتباعهم أمر الرسول (ص) في ما يوحى إليه، وإن كانت لكبـيرة إلّا علىٰ من هداه الله، وكانت نتيجة عمل مـن صـلّىٰ إلى بـيت المقدس في ما سبق تبديل القبلة، سواء الأحياء مـنهم أو الأمـوات، فـإنّ الله لا يضيع عملهم.



كان هذا ما تحدّث الله به ـ سبحانه ـ من أمر الناس في هذه القصّة.

أمّا ما كان من أمر الرسول (ص)، فكان شأنه فيها ما أخبر الله عنه وقال: ﴿قد نرىٰ تقلّب وجهك في السّـماء فلنولينّك قبلةً ترضاها فولِّ وجـهكَ شـطرَ المسجدِ الحرام ...﴾ وإنّ الّذين أوتوا الكتاب علموا أن هذا التحول في القبلة هو الحقّ من ربّهم غير أنّه: ﴿ولئن أتيت الّذين أُوتوا الكتاب بكلّ آية مـا تـبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم﴾ ـ كما زعموا ـ ﴿ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنّك إذاً لمن الظالمين﴾.

قد يكون المقصود من هذا الخطاب أُمّة الرسول (ص)، وخاطب نبيّه بذلك من باب: (إيّاك أعني واسمعي يا جارة). كما له نظائر كثيرة في القرآن، ويدلّ علىٰ ذلك ما في الآية الّتي قـبلها: ﴿قد نرىٰ تقلب وجهك في السماء فلنولينّك قـبلة ترضاها﴾.

إذاً فالرسول (ص) هو الّذي كان يطلب تحويل القبلة، وينتظر الإذن له. ويظهر من فحوى الكلام أنّه كان في أُمّته مَن ثَقُل عليه هذا الأمر، وهو المعنيّ بهذا الخطاب.

ثمّ تصرّح الآيات، أنّ أهل الكتاب: اليهود والنصارىٰ يعرفون النبيّ وصفاته، وأنّه النبيّ الّذي يصلّي إلىٰ قبلتين، وأنّ الأخيرة منهما الكعبة الّتي بناها إبراهيم، يعرفونه بهذا وبأكثر من هذا كما يعرفون أبناءهم، ثمّ يؤكّد الله ـ سبحانه ـ الأمر بالتوجّه إلى الكعبة، ويقول: ﴿وحيث ما كنتم فولّوا وجُوهَكم شَطرَهُ لِئلّا يَكون للنّاسِ عليكم حُجّة ـ في اتّباع قبلتهم ـ إلّا الّذين ظلمُوا منهم ـ وهم المشركون بمكّة ـ فلا تخشوهم واخشوني﴾.



كان ذلكم تفسير الآيات مع ملاحظة ما جاء في الروايات بياناً لشأن نزولها، أمّا ما قال علماء مدرسة الخلفاء، فإنّهم علىٰ عادتهم في تجزئة المجموعة الواحدة من الآيات القرآنية، ثمّ درسهم كلّ آية علىٰ حدة، قالوا ورووا عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة وعن عدد غير الصحابة كذلك[1] في تفسير آية:

﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ البقرة / ١١٥: إنّ الناس كانوا يصلّون نحو بيت المقدس، فنزلت آية: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ (البقرة / ١٤٩) فنسخت تلك الآية.

في حين أنّ الآية الّتي زعموا أنّه كان فيها حكم القبلة إنّما جاءت تكملة لآيات سبقتها، ومنها الآية الّتي قبلها: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَنَعَ مَسَاجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا ...﴾ (البقرة / ١١٤)، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهُ﴾ (البقرة / ١١٥)، وهما بقية الآيات السابقة، ولا صلة بين

---

(١) راجع تفسير القرطبي ٢ / ٨٣؛ والدرّ المنثور ١ / ١٠٨، وعدّه السيوطي في الإتقان ١ / ٢٣، من العشرين الّذي نسخ حكمه دون تلاوته.

المجموعة وبين القبلة، وإنّما الكلام حول منع المصلّين من الصلاة إلى بيت المقدس أو البيت الحرام، وأنّ الأرض كلّها لله أين ما صلّوا فثمّ وجه الله.

إنّهم في ما قالوا: اقتطعوا من تلك المجموعة آية ومن هذه المجموعة نصف هذه الآية، أو نصف تلك، وجعلوا منها ناسخاً ومنسوخاً، باجتهادهم الخاصّ، دون أن يكون لهم أي دليل على اجتهادهم! ولم ينحصر اجتهادهم في آيات القبلة بهذا، بل لهم فيها اجتهاد آخر وقول آخر في كشف الناسخ والمنسوخ بتلك الآيات.

وفي الإجتهاد الثاني ضرر كبير في البحوث القرآنية وهو ما ذكره القرطبي وقال:

قوله ـ تعالىٰ ـ ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ...﴾.

قال العلماء هذه الآية مقدمة في النزول علىٰ قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾[١].

وعدّ الزركشي ـ أيضاً ـ هذا المورد من الناسخ الّذي تقدّم على المنسوخ في القرآن[٢].

نتيجة هذا النوع من الدراسة:

أنتج هذا النوع من الدراسة المبنيّة على الاجتهادات الفرديّة، أن يقول القائل من أمثال المحدِّث النوري: أنّ ترتيب نزول الآيات لم يراع في تدوين المصحف المتداول بين المسلمين!

---

(١) تفسير القرطبي ٢ / ١٥٨.

(٢) البرهان في علوم القرآن ٢ / ٣٨.

ثالثاً ـ مورد واحد ذكر فيه الحكم المنسوخ في القرآن قد يوهم أنّه ينقض ما ذهبنا إليه:

كان في ما تتبّعنا من موارد الحكم المنسوخ في القرآن الكريم نظير ما ذكرناه، عدا مورداً واحداً قد يقال: انّه يخالف ما قلناه وهو قوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذٰلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. (المجادلة / ١٢)

فقد قال أكثر العلماء إنّها منسوخة بقوله تعالىٰ: ﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾. (المجادلة / ١٣)

خبر هذا الحكم المؤقت:

كان رسول الله (ص) يوزع كلامه ونظره بين حضّار مجلسه بالسوية، لا يميز في ذلك أحداً علىٰ غيره[١].

كان هذا في ما يملك أمره، وكان بعضهم يغتصب منه التناجي معه، يبتغي بذلك الإمتياز على الآخرين[٢].

وكان رسول الله (ص) حييّاً كريماً لا يردّ طلب أحد، ما لم يكن محرّماً شرعاً[٣]، وكان الله ـ سبحانه ـ هو الّذي يؤدّب المسلمين في مثل هذه الحالات ويعلمهم كيف يعاشرون نبيّه (ص)، مثل قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ ...﴾ (الحجرات / ٢)، وقوله

(١) السيرة الحلبية عند ذكر كرائم أخلاق رسول الله (ص) في باب يذكر فيه صفته (ص).

(٢) فحوى الأحاديث بتفسير الآية في تفسير الطبري ٢٨ / ١٥؛ والسيوطي ٦ / ١٨٥.

(٣) السيرة الحلبية ٣ / ٣٣٩.

تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ ٱلْحَقِّ ...﴾ (الأحزاب / ٥٣).

وفي مورد التناجي ثقل ذلك علىٰ رسول الله (ص) وصبر عليه كعادته في سائر الموارد المشابهة له فأنزل الله حكم دفع الصدقة لكلّ مناجاة إيّاه، فكفّ أُولئك من عملهم ولم يعمل بهذا الحكم كما أجمعت عليه روايات الفريقين غير الإمام عليّ(ع)، كانت له حاجة فتصدّق وناجى الرسول في حاجته أو حاجاته[1]. وانتهىٰ أمد هذا الحكم بكف المناجين رسول الله (ص) في غير ما حاجة، فنسخ الله هذا الحكم إشفاقاً علىٰ من له حاجة ولا يستطيع دفع الصدقة، ولم يكن من الطبيعي أن يعود إلى التناجي المعتادون عليه بلا حاجة إليه بعد أن لم يقدموا علىٰ دفع الصدقة للمناجاة في حينه. فنزلت الآيتان تحكي القصة عقيب ذلك كما يعلم ذلك من سياق القول في الآية الثانية: ﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا...﴾ فإنّ هذا الكلام تفريع على الكلام في الآية السابقة وتتمة له وليس مستقلّاً بنفسه، كي يقال جاءت الآية السابقة بالحكم علىٰ حدة، وبعد عمل الإمام عليّ بها نزلت الآية الثانية بنسخ الآية السابقة ومستقلة عنها في التعبير.

هذا إذا اقتصرنا في دراسة المورد على الأعم الأغلب ممّا جاء في القرآن من أخبار النسخ، حيث وجدنا الآيات في تلك الموارد تنزل لتحكي خبر الناسخ والمنسوخ بعد نزول الحكم ونسخه بوحي غير قرآني. وإذا رجعنا إلى الأحاديث الّتي ذكرت شأن نزول الآيتين نجد في بعض ألفاظها ما يوهم أنّ الآية الأُولىٰ نزلت بحكم الصدقة لمن أراد أن يناجي الرسول (ص) ثم عمل بها الإمام عليّ (ع)، ثمّ نزلت الآية الثانية ونسختها. ونحن نرىٰ أنّ تلك الأحاديث رويت بالمعنىٰ

(١) تفسير الآية بتفسير الطبري ٢٨ / ١٤ ـ ١٥؛ والسيوطي ٦ / ١٨٥.

ولم يتقيّد الرواة بالألفاظ وقالوا: عمل الإمام عليّ (ع) بالآية[1] بدل أن يقولوا عمل بالحكم، ومن ثمّ أوجدوا هذا التوهم. هذا ما نراه ولا ندخل في نقاش مع مَنْ أصرّ علىٰ رأيه.

رابعاً ـ آية أوّلها منسوخ وآخرها ناسخ:

أكثر العلماء من تعداد هذا الصنف من النسخ علىٰ حد زعمهم في شأن النسخ. قال الزركشي في بيان نوع من هذا الصنف:

(الرابع ما اجتمع فيه الناسخ والمنسوخ وهي إحدىٰ وثلاثون سورة) ثمّ عدّها وقال:

ومن غريب هذا النوع آية أوّلها منسوخ وآخرها ناسخ... وهي قوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ (المائدة / ١٠٥)، فهذا ـ أي لا يضركم ـ ناسخ لقوله: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾[2]. انتهىٰ كلام الزركشي.

لست أدري هل يرىٰ قائل هذا القول: أنّ النصف الأوّل من هذه الآية هبط به جبرائيل على النبيّ (ص) وبلّغه النبيّ (ص) للمسلمين وعمل به المسلمون، ثمّ هبط جبرائيل مرّة ثانية من قِبَل الله بالنصف الثاني، وبلّغه النبيّ (ص) للمسلمين ثمّ ألصق النبيّ (ص) نصفي الآية بعضها ببعض بأمر من الله وأصبحت آية واحدة! لست أدري ماذا يقول؟!

ثمّ لست أدري أين الناسخ والمنسوخ في هذه الآية! لست أدري؟!



---

(١) نفس المصدر السابق.

٢) البرهان في علوم القرآن ٢ / ٣٥.

يكفينا ما ذكرنا من الأمثلة من الثلاث والستين سورة الّتي حسبوها في ما نسخ حكمه وبقي تلاوته[1] لمعرفة مدىٰ تثبّتهم في ما كتبوا حول النسخ في القرآن.

وينبغي أن نشير هنا إلىٰ جواب تساؤل قد يرد بأنّه إذا كانت الأحكام المنسوخة المذكورة في القرآن، كان الحكم ونسخه قد جاء بوحي غير قرآني، فما حكمة ذكرها في القرآن؟ والجواب كالآتي:

---

١) راجع البرهان في علوم القرآن ٢ / ٣٧.

ثاني عشر ـ حكمة ذكر الحكم المنسوخ بوحي غير قرآني في القرآن:

أوّلاً ـ في عصر الرسول (ص):

لقد مرّ بنا التشويش العظيم الّذي أُصيب به المجتمع الإسلامي يومذاك بعد نسخ حكم القبلة بوحي غير قرآني بفعل اليهود وغيرهم، ثمّ تساؤل المسلمين عن حكم ما مضىٰ من صلاتهم، وكان فيصل القول في الأمر ما فصله القرآن في هذا الصدد، وأدحض أباطيل المشكّكين وأجاب عن تساؤل المتسائلين، وأكّد بوحي قرآني الحكم الموحىٰ بوحي غير قرآني، وانتهىٰ بما أنزلـه الله كلّ بـلبلة وتشويش.

ثانياً ـ بعد الرسول (ص):

إنّ في حكاية حكم الناسخ والمنسوخ في القرآن بعد تبليغ الرسول (ص) إيّاهما للمسلمين رفع الإلتباس الّذي قد يحدث في الأُمّة بعد الرسول (ص) في بعض الحالات، فقد يقصّ بعض الصحابة ـ مثلاً ـ لذريّته بعد رسول الله (ص) أنّهم ائتمّوا برسول الله (ص)، وصلّىٰ بهم الفرائض مستقبلاً بيت المقدس، ومع مرور الزمن يتوهّم الخلف جواز استقبال القبلتين في الصلاة، ويرتفع هذا الإلتباس بما حكاه الله في قرآنه عن خبر تحويل القبلة.

هذه بعض حكم ذكر خبر الحكم المنسوخ في القرآن، وثمّة حكم أُخرىٰ لا مجال لذكرها هنا.

تنبيه لرفع توهّم

لقد كرّرنا القول في هذا البحث بخطأ تجزئة المجموعة القرآنيـة الواحـدة وتفسير بعض آياتها علىٰ حدة.

وهذا القول لا يطّرد في ما جاء في الحديث الصحيح عن رسول الله (ص) في بيان معنىٰ آية جاءت ضمن ما نراها مجموعة قرآنيّة واحدة، فإنّ قولنا يخصّ اجتهادات فرديّة للمفسِّرين في هذا المقام.

أمّا حديث الرسـول (ص)، فإنّنا نُؤمن به، ونصـدِّقه، وليس لأحـدٍ من المسلمين أن يجتهد ويعمل برأيه في مقابل نصوص السنّة النبويّة.



كان هذا نزراً يسيراً ممّا ينبغي البحث عنه في باب منسوخ الحكم دون التلاوة.

وفي ما يأتي نسـتعين الله وندرس الصنفين الآخرين اللّذين ذكروهما في بحث النسخ.

ثالث عشر ـ درجهم روايات نقصان القرآن ـ معاذ الله ـ في صنفي منسوخ التلاوة:

أدرجَ العلماء روايات نقصان القرآن ـ معاذ الله ـ تحتَ صنفَي منسوخ التلاوة، وهما حسب تصنيفهم:

أ ـ ما نسخت تلاوته دون حكمه

أي النصّ القرآني الّذي نسخت تلاوته من القرآن، وبقي حكمه في الشرع الإسلامي[1].

ب ـ ما نسخت تلاوته وحكمه جميعاً

أي النصّ القرآني الّذي نسخت تلاوته من القرآن ونسخ حكمه من الشرع الإسلامي[2].

إنّ ما ذكروه في بحث النسخ بكلا الصنفين يبتني علىٰ أساس ثبوت نصّ قرآني أوحى الله به إلىٰ خاتم أنبيائه، ثمّ نسخ الله تلاوته وحكمه، وأنساه، أو نسخ تلاوته، وأبقىٰ حكمه.

وقد قال العلماء في كيفيّة ثبوت النصّ القرآني ما يأتي:

قال الزركشي في علوم القرآن والسيوطي في الإتقان واللفظ للأوّل:

---

(١) سيأتي مثالها بعيد هذا.

(٢) سيأتي مثالها بعيد هذا.

(لا خلاف أنّ كلّ ما هو من القرآن، يجب أن يكون متواتراً في أصله وأجزائه.

وأمّا في محلّه ووضعه وترتيبه، فعند المحققين من علماء أهل السنّة كذلك، أي: يجب أن يكون متواتراً، فإنّ العلم اليقينيّ حاصل أنّ العادة قاضية بأنّ مثل هذا الكتاب العزيز، الّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأنّه الهادي للخلق إلى الحقّ، المعجز الباقي علىٰ صفحات الدّهر، الّذي هو أصل الدِّين القويم، والصراط المستقيم، فمستحيل ألّا يكون متواتراً في ذلك كلّه، إذ الدواعي تتوافر علىٰ نقله علىٰ وجه التواتر، وكيف لا، وقد قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، والحفظ إنّما يتحقّق بالتواتر، وقال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾.

والبلاغ العام إنّما هو بالتواتر، فما لم يتواتر ممّا نقل آحاداً، نقطع بأنّه ليس من القرآن)[1].

(١) البرهان في علوم القرآن ٢ / ١٢٥، النوع التاسع والثلاثون: معرفة وجوب تواتره؛ والإتقان ١ / ٧٩، في (تنبيهات الأوّل) من النوع الخامس والثلاثون.

رابع عشر ـ ردُّ بعض علماء مدرسة الخلفاء القول بنسخ التلاوة :

نقل الزركشي والسيوطي عن القاضي أبي بكر في الإنتصار أنّه حكىٰ عن قوم إنكار هذا القسم، لأنّ الأخبار فيه أخبار الآحاد، ولا يجوز القطع علىٰ إنزال القرآن ونسخه بأخبار آحاد لا حجّة فيها[1].

ويعرف ـ أيضاً ـ شأن نسخ التلاوة بالقياس علىٰ ما قاله أبو الوليد الباجي في نسخ الحكم الشرعي، حيث قال:

(النسخ: إزالة حكم ثابت بشرع متقدم، بشرع متأخّر عنه علىٰ وجه لولاه لكان ثابتاً)[2].

وبالقياس علىٰ هذا القول، فإنّ نسخ التلاوة إزالة آي أو سور من القرآن بآي أو سور متأخّرة عنها علىٰ وجه لولاها لكانت تلك الآيات أو السور ثابتة في المصحف.

ونقل الزركشي عن ابن ظفر في كتاب الينبوع أنّ: (الخبر الواحد لا يثبت القرآن)[3].

---

(١) البرهان في علوم القرآن ٢ / ٣٩ ـ ٤٠؛ والإتقان للسيوطي ٢ / ٢٦، ورجعنا إلى الأوّل في النقل؛ والإنتصار لأبي بكر محمّد بن الطيب الباقلاني (ت: ٤٠٣هـ). انتهت إليه رئاسة الأشاعرة ببغداد. ردّ على المعتزلة والشيعة والخوارج والجهمية وغيرهم. من تآليفه: الإنتصار وإعجاز القرآن. تذكرة الحفاظ، ص ١٠٧٩؛ وهدية العارفين ٢ / ٥٩؛ وترجمة الإنتصار من كشف الظنون.

(٢) كتاب الحدود في الأصول، ط. الأولىٰ، سنة ١٣٩٢، ص ٤٩. تأليف الحافظ أبي الوليد سليمان بن خلف الأندلسي، الباجي (ت: ٤٧٤هـ)، ترجمته في الوفيات وتذكرة الحفاظ، ص١١٧٨ ـ ١١٨٣ وطبقات المفسّرين للسيوطي.

(٣) البرهان في علوم القرآن ٢ / ٣٦.

ومن المتأخرين، قال الدكتور صبحي الصالح ما موجزه:

أمّا الجرأة العجيبة، ففي ما زعموا أنّها نسخت تلاوة آيات معينة إمّا مع نسخ الحكم وإمّا من دونه.

والناظر في صنيعهم هذا سرعان ما يكتشف فيه خطأً مركباً، فتقسيم المسائل إلى أضراب إنّما يصلح إذا كان لكلّ ضرب شواهد كثيرة أو كافية ـ علىٰ الأقلّ ـ ليتيسّر ٱستنباط قاعدة منها.

وما لعشاق النسخ إلّا شاهد أو ٱثنان من هذين الضربين، وجميع ما ذكروه منها أخبار آحاد ولا يجوز القطع علىٰ إنزال القرآن ونسخه بأخبار آحاد لا حجّة فيها.

وبهذا الرأي السديد أخذ ٱبن ظفر في كتاب الينبوع إذ أنكر أنّ هذا ممّا نسخت تلاوته، وقال: لأنّ الخبر الواحد لا يثبت القرآن[1].

كان هذا أقوال بعض علماء مدرسة الخلفاء في روايات النسخ. وفي ما يأتي رأي بعض علماء مدرسة أهل البيت (ع) في ذلك.

← وكتاب ينبوع الحياة في التفسير في مجلّدات لأبي عبدالله بن ظفر محمّد بن محمّد الصقلي (ت: ٥٦٨هـ).

كشف الظنون ٢ / ٢٠٥٢، مادّة ينبوع؛ وبهامش علوم القرآن ٢ / ٣٦، منه. أجزاء متفرقة خطية بدار الكتب المصرية، رقم ٣١٠ التفسير؛ وراجع مباحث علوم القرآن للدكتور صبحي الصالح، ص ٢٦٦.

(١) مباحث علوم القرآن، ص ٢٦٥ ـ ٢٦٦.

خامس عشر ـ رأي مدرسة أهل البيت في نسخ القرآن بالسنّة ونسخ التلاوة:

إنّ القول بنسخ التلاوة ـ كما قلنا في حقيقته ـ قول بثبوت نصّ قرآني بروايات الآحاد، ونسخ النصّ القرآني ـ أيضاً ـ بروايات الآحاد. وقد قال في ذلك الشيخ المفيد في أوائل المقالات:

(إنّ القرآن ينسخ بعضه بعضاً ولا ينسخ شيئاً منه السنّة، بل تنسخ السنّة به كما تنسخ السنّة بمثلها من السنّة. قال الله عزّ وجلّ: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَـةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾. وليس يصحّ أن يماثل كتاب الله تعالىٰ غيره، ولا يكون في كلام أحد من خلقه خير منه)[1].

يقصد أنّ حديث الرسول هو كلام الرسول (ص) الّذي خلقه الله، ولا يصحّ أن يقال إنّ كلام الرسول (ص) مثل كلام الله أو خير من كلام الله ـ معاذ الله ـ لينسخ به القرآن وهو كلام الله.

وقال صاحب المعالم:

(ولا تنسخ الكتاب والسنّة المتواترة بالآحاد عند أكثر العلماء، لأنّ خبر الواحد مظنون وهما معلومان، ولا يجوز ترك المعلوم بالمظنون)[2].

ويقصد بغير الأكثر من العلماء: بعض العلماء من الأخباريين.

---

(١) أوائل المقالات، ط. النجف، سنة ١٣٩٣، ص ١٥٥ ـ ١٥٦ للشيخ المفيد (ت: ٤١٣هـ).

(٢) معالم الدين وملاذ المجتهدين للشيخ حسن بن زين الدين العاملي (ت: ١٠١١هـ)، ط. النجف، تحقيق البهبهاني، ص ٣٦٩، (أصل في نسخ الكتاب والسنّة).

وقد أفصح القول في نسخ التلاوة متأخّرو علماء مدرسة أهل البيت، فقد جاء في تفسير البيان وأُصول المظفر واللفظ للأوّل:

(إنّ القول بنسخ التلاوة عين القول بالتحريف)[1].

وهذا هو معنىٰ قول الإمام الباقر (ع): (أمّا كتاب الله فحرّفوا، وأمّا العترة فقتلوا).

أمّا الكتاب، فقد حرّفوه في كتبهم بأقوالهم بالنسخ.

وأمّا العترة فقد قتلوهم بكربلاء بأنواع السلاح، ولكن الله حفظ كتابه من التحريف كما حفظ خليله إبراهيم من التحريق.

أُولئك حرّقوا إبراهيم، ولكنّ الله حفظه من لظى النار.

وهؤلاء حرّفوا القرآن، ولكنّ الله حفظه من عبث التحريف.

* * *

بعد عرض ما تقدم، ندرس ـ بحوله تعالىٰ ـ روايات نقصان القرآن ـ معاذ الله ـ والّتي سمِّيت بروايات النسخ والإنساء في ما يأتي:

---

(١) البيان في تفسير القرآن لأستاذ الفقهاء السيِّد الخوئي، ط. النجف، سنة ١٣٩٠، ص ٢٢٤ و ٢٢٥؛ وأُصول الفقه للشيخ المظفّر، ط. النجف ٣ / ٥٢، بحث نسخ الكتاب العزيز ـ حقيقة النسخ ـ.

سادس عشر ـ دراسة روايات النسخ والإنساء:

إنّ روايات النسخ والإنساء شيء واحد. وقد قسّموا النسخ في القرآن كما سبق ذكره إلىٰ ثلاثة أصناف، درسنا منه منسوخ الحكم في ما سبق، وندرس الصنفين الآخرين في ما يأتي:

أوّلاً ـ روايات منسوخ التلاوة والحكم جميعاً:

وجدوا لهذا الصنف مورداً واحداً علىٰ حسب قولهم، وهو ما روته أُمّ المؤمنين عائشة، قال الزركشي:

الثالث: نسخهما جميعاً، فلا تجوز قراءتها ولا العمل بها، كآية التحريم [بعشر رضعات]، فنسخن [بخمس]، قالت عائشة: كان ممّا أُنزل [عشر رضعات معلومات]، فنسخن [بخمس معلومات]، فتوفّي رسول الله (ص) وهي ممّا يقرأ من القرآن. رواه مسلم[1].

وقال السيوطي: (ما نسخ تلاوته وحكمه معاً، قالت عائشة: كان في ما أُنزل، [عشر...] رواه الشيخان)[2].

وبما أنّ هذا المورد منحصر عندهم بالرواية عن أُمّ المؤمنين عائشة، إذاً نحن نسمّيه بفتوىٰ أُمّ المؤمنين عائشة. وندرس أوّلاً ظروف هذه الرواية وملابساتها ونقول:

---

(١) الزركشي في البرهان ٢ / ٣٩.

(٢) السيوطي في الإتقان ٢ / ٢٢.

فتوىٰ أُمّ المؤمنين عائشة في الرضاع وظروفها

كانت أُمّ المؤمنين عائشة علىٰ أثر إرجاع الخلفاء إليها في السنن منذ عهد الشيخين حتّىٰ عصر معاوية ـ عدا عليّ بن أبي طالب ـ أكثر أُمّهات المؤمنين حاجة لملاقاة المستفتين.

وقد شاركت في حوادث سياسيّة عنيفة، ممّا لم نعهد لغيرها من أُمّهات المؤمنين أن شاركنَ في نظائرها.

ولعلّ هذا وذاك كان الباعث لها أن تتأول وتفتي بأنّ الرجل الكبير إذا أرضعته امرأة خمس رضعات تنتشر الحرمة بينه وبين المرضع. وتعمل بفتواها وترسل الرجل الّذي (أحبّت أن يراها ويدخل عليها) إلىٰ أخواتها وبنات أخيها، فيرضعنه كذلك، ويدخل عليها بتلك الرضاعة.

وكان سالم بن عبدالله بن عمر من أُولئك، فقد بعثته إلىٰ أُختها أُمّ كلثوم فأرضعته، وقالت في جواب إنكار أزواج الرسول عليها: إنّ الرسول أمر سهلة زوجة أبي حذيفة أن ترضع مولاهم سالماً الّذي كان متبناهم قبل ذلك أن ترضعه خمس رضعات، ويدخل عليها بذلك، وأبت أزواج الرسول أن يدخل عليهنّ أحد حتّىٰ يرضع في المهد[1].

وفي سنن أبي داود وفتح الباري في شرح صحيح البخاري واللفظ للأوّل:

(كانت عائشة (رض) تأمر بنات أخواتها وبنات إخوتها أن يرضعن من أحبّت عائشة أن تراه، ويدخل عليها، وان كان كبيراً، خمس رضعات، ثمّ يدخل عليها بتلك، وأبت أُمّ سلمة وسائر أزواج النبيّ (ص) أن يدخل عليهن بتلك

---

(١) طبقات ابن سعد ٨/٢٧١، بترجمة سهلة، وفيه خبر إفتاء عائشة بذلك وإرضاع أُمّ كلثوم سالماً. وفي ص ٤٦٢ منه بترجمة أُمّ كلثوم ابنة أبي بكر، إرسال أُمّ المؤمنين سالماً إليها وإرضاعها إيّاه. وفي ٣ / ٨٧ منه بترجمة سالم مولىٰ أبي حذيفة إباء سائر أزواج الرسول من ذلك.

الرضاعة أحد من الناس حتّىٰ يرضع في المهد، وقلن لعائشة والله ما ندري لعلّها كانت رخصة من النبيّ (ص) لسالم دون الناس).

وفي لفظ النّسائي:

(أبىٰ سائر أزواج النبيّ (ص) أن يدخل عليهنّ بتلك الرضعة أحد من الناس، يريد رضاعة الكبير... وقلن: والله لا يدخل علينا أحد بهذه الرضعة ولا يرانا)[1].

* * *

هكذا كانت القالة حول رضاع الكبير من أُمّهات المؤمنين واسعة. وكان خير علاج لها الرواية الآتية الّتي رواها إمام الحنابلة أحمد في مسنده[2] وابن ماجة[3] في سننه:

عن أُمّ المؤمنين عائشة قالت:

(لقد أُنزلت آية الرجم ورضاعة الكبير عشراً)، ولقد كان في صحيفة تحت سريري، فلمّا مات رسول الله (ص) وتشاغلنا، دخل علينا داجن فأكله.

وروت، أيضاً:

كان في ما أُنزل من القرآن [عشر رضعات معلومات يحرمن] ثمّ نسخن

---

(١) سنن أبي داود، كتاب النّكاح ٢ / ٢٢٣، باب: في من حرم به، أي حرم برضاع الكبير، الحديث: ٢٠٦١؛ وفتح الباري ١١ / ٥٣، باب: لا رضاع بعد الحولين، وقال ابن حجر في شأن الحديث: (إسناده صحيح)؛ وسنن النّسائي ٢ / ٨٤، باب: رضاع الكبير؛ وموطأ مالك، باب: الرضاع، الحديث: ٦٢٧؛ وروىٰ ـ أيضاً ـ مسلم: إباء أزواج الرسول (ص) من ذلك في صحيحه، باب: رضاعة الكبير، الحديث: ٣٠ و ٣١، ص ١٠٧٧ و ١٠٧٨ منه.

(٢) مسند أحمد ٦ / ٢٦٩.

(٣) سنن ابن ماجة، كتاب النّكاح، باب رضاع الكبير، الحديث ١٩٤٤، ص ٦٢٥.

بـ [خمس معلومات]، فتوفي رسول الله وهنّ في ما يقرأ من القرآن[1].

والحديثان يكمل أحدهما الآخر علىٰ هذا النحو:

لقد نزلت رضاعة الكبير عشراً وآية الرجم الّتي أخبر عنها الخليفة على المنبر معاً وأكلهما الداجن.

ونسخت رضاعة الكبير عشراً بخمس معلومات.

ومن ثمّ كانت تفتي أمّ المؤمنين بخمس رضعات للكبير يحرمن، وتعمل بفتواها.

ومن ثمّ قالوا: إنّها الآية الوحيدة الّتي نسخت تلاوتها وحكمها!

انحصرت هذه الروايات كلّها بأُمّ المؤمنين عائشة، وهي جميعاً مخالفة لفطرة الإنسان، فلم يسمع قبل فتوىٰ أمّ المؤمنين عن إنسان رضع في الكبر. ولا تبديل لخلق الله.

ومخالفة ـ أيضاً ـ لقوله تعالىٰ: ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ فإنّها تدلّ علىٰ أنّ إتمام الرضاعة في الحولين: سنتي الرضاعة.

ومخالفة لسنّة الرسول الجامعة لقوله (ص): «الرضاعة من المجاعة»، وقوله: «لا رضاع إلّا ما فتق من الأمعاء»، وقوله: «لا رضاع إلّا ما شدّ العظم، وأنبت اللّحم وأنشز العظم».

وانتبه البعض إلىٰ هذا التناقض فرده قسم كالاستاذ السايس بقوله علىٰ حديث عائشة:

حديث لا يصحّ الإستدلال به لاتفاق الجميع علىٰ انّه لا يجوز نسخ تلاوة شيء من القرآن بعد وفاة الرسول (ص) وهذا هو الخطأ الصراح[2].

---

(١) سبق ذكر اسناده في بحث (نقصان حكم رضاع الكبير) بأوّل الباب.

(٢) فتح المنان، عليّ حسن العريض، ص ٢١٦ ـ ٢١٧.

وحاول علاجه آخرون بأوهىٰ من بيت العنكبوت ولا يستحق الإطالة بإيراده، وإنّما نحن بصدد مناقشة قولهم بصنفين من النسخ في القرآن استناداً إلىٰ هذه الأحاديث.



كانت تلكم ظروف رواية أُمّ المؤمنين عائشة وملابساتها، وسوف نناقش رواياتها ضمن مناقشتنا سائر روايات النسخ الآتية إن شاء الله تعالىٰ.

ثانياً ـ روايات منسوخ التلاوة وسائر روايات النسخ

أوردنا في ما سبق حديث الصحابي أبي موسىٰ أنّه أُنسي سورتين كبيرتين، ونقل الطبري وابن كثير والسيوطي إضافةً إليه روايات نظيره في تفسير آية: ﴿مَا نَنسَخْ مِن آيَةٍ ...﴾، أربع منها رووها من الصحابة يعضد بعضها بعضاً.

إحداها ـ عن أبي إمامة، قال فيها ما موجزه:

(قام رجل من جوف اللّيل يريد أن يفتتح سورة، فلم يقدر علىٰ شيء منها إلّا بسم الله الرّحمٰن الرّحيم، ووقع ذلك لناس من أصحابه، فأصبحوا، فسألوا رسول الله (ص)، فقال: نسخت البارحة، فنسخت من صدورهم ومن كلّ شيء)[1].

---

(١) في الدرّ المنثور ١ / ١٠٥، قال أخرج أبو داود في ناسخه، وابن المنذر وابن الأنباري في المصاحف وأبو ذر الهروي في فضائله، عن أبي إمامة.

وفي رواية ثانية بعدها: وأخرج أبو داود في ناسخه والبيهقي في الدلائل من وجه آخر عن أبي إمامة، الحديث.

وأبو إمامة، أسعد، وقيل سعد بن سهل بن حنيف الأنصاري، معدود في الصحابة وله رؤية ولم ←

والثانية عن ابن عمر، قال: قرأ رجلان من الأنصار سورة أقرأهما رسول الله (ص)، وكانا يقرآن بها، فقاما يقرآن ذات ليلة يصلّيان، فلم يقدرا منها علىٰ حرف، فأصبحا غاديين علىٰ رسول الله (ص)، فقال: إنّها ممّا نسخ أو نسي فالهوا عنه.

والروايتان الأُخريان نظيرهما [1].

لست أدري هل تعدّ مدرسة الخلفاء السورة أو السور المنسيّة المذكورة في هذه الروايات ضمن السور الأربع الّتي أوردناها سابقاً أي: سورتي الحفد والخلع، وسورتي أبي موسى المنسيتين، أم أنّها تضيف المنسيات في هذه الروايات إلىٰ تلك الأربع، ويزداد بذلك عندهم عدد المنسيات!؟

وفي الدرّ المنثور ـ أيضاً ـ عن ابن عباس قال: كان ممّا ينزل على النبيّ (ص) الوحي باللّيل وينساه بالنهار، فأنزل الله ﴿مَا نَنسَخْ مِن آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ [2].

وبناءً علىٰ هذه الروايات رووا الرواية التالية:

← يسمع النبيّ (ص). أخرج حديثه جميع أصحاب الصحاح (ت: ١٠٠هـ). تقريب التهذيب ١ / ٦٤.

وأبو ذر الحافظ عبد بن أحمد بن محمّد شيخ الحرم. من تصانيفه: فضائل وتفسير القرآن (ت: ٤٣٤ هـ)، كما في تذكرة الحفاظ، ص ١١٠٣ ـ ١١٠٥. واسم تأليفه في هدية العارفين ١ / ٤٣٧.

(١) في الدرّ المنثور ١ / ١٠٤، قال أخرج الطبراني عن ابن عمر ... الحديث.

(٢) في الدرّ المنثور ١ / ١٠٤، قال أخرج ابن أبي حاتم والحاكم في الكنىٰ وابن عدي وابن عساكر عن ابن عباس ... الحديث.

وابن عدي، الحافظ الكبير أبو أحمد عبدالله بن عدي بن عبدالله الجرجاني، ويعرف ـ أيضاً ـ بابن القطان. من تصانيفه: كتاب الإنتصار علىٰ مختصر المزني في الفروع. (ت: ٣٦٥هـ).

تذكرة الحفاظ ص ٩٤٠؛ وهدية العارفين ١ / ٤٤٧.

قال السيوطي: أخرج البخاري والنِّسائي وابن الأنباري في المصاحف والحاكم والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس قال: قال عمر: أقرأُنا أُبيّ، وأقضانا عليّ.

وإنّا لندع شيئاً من قراءة أُبيّ وذلك أنّ أُبيّاً يقول لا أدع شيئاً سمعته من رسول الله (ص) وقد قال الله: (مَا نَنسَخْ مِن آيَةٍ أَوْ نُنْسِئْها)[1].

وفي لفظ رواية بمسند أحمد: وأُبيّ يقول أخذت من فم رسول الله (ص).

ومدلول هذه الرواية أنّ أُبيّاً يعتمد كلّ ما سمع من القرآن من فم رسول الله (ص)، وقد يكون ما سمعه أُبيّ من القرآن من فم رسول الله (ص)، ممّا نسخ وأنسي رسول الله (ص)، وبقي علمه عند أُبيّ.

إذاً لا اعتبار بما سمعه أُبيّ أقرأ الصحابة من فم رسول الله (ص)!![2].

ومن رواية النسيان أو الإنساء ما رواها البخاري ومسلم وغيرهما واللفظ للأوّل عن أمّ المؤمنين عائشة أنّها قالت:

سمع النبيّ رجلاً يقرأ آية، فقال: «رحمه الله لقد أذكرني آية كنت نسيتها».

وفي رواية ثانية (سمع رجلاً يقرأ من اللّيل فقال: «رحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا آية أسقطتها من سورة كذا وكذا»).

وفي لفظ البخاري (... يقرأ في المسجد فقال: «رحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا آية أسقطتها من سورة كذا وكذا»)[3].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله (ما ننسخ من آيةٍ أو نُنسِئْها)، ٣ / ٦٧، بتفسير الآية، وفي أوّل تفسير أُبيّ من مسند أحمد ٥ / ١٣، ثلاث روايات عن أُبي مع اختلاف يسير في ألفاظ الروايات؛ وفي الدرّ المنثور ١ / ١٠٤.

(٢) قم يا ناعي الإسلام فانعه، إن صحت هذه الرواية أنّ الخليفة قال: لا نأخذ من الصحابي الأقرأ الّذي أخذ القرآن من فم رسول الله (ص).

(٣) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، الحديث: ٢٢٤ و ٢٢٥؛ وصحيح البخاري،

كانت تلكم خلاصة روايات النسخ والإنساء، وقد ردّها بعض علماء مدرسة الخلفاء كما مرّ في البحث الرابع عشر. أمّا مناقشتنا لها فكالآتي:

← كتاب الشهادات، باب شهادة الأعمى ٢ / ٩٦؛ ومسند أحمد ٦ / ٦٢.

سابع عشر ـ مناقشة روايات زيادة القرآن ونقصانه والّتي تسمّىٰ بالنسخ والإنساء

أوردنا في البحث الرابع أمثلة من روايات مدرسة الخلفاء في زيادة القرآن ونقصانه ـ معاذ الله ـ والّتي توصف بروايات نسخ التلاوة، ومهّدنا لمناقشتها البحوث الماضية. وآن أن ندرسها في ما يأتي بحوله تعالىٰ، ونقول:

أوّلاً ـ يرد علىٰ تلكم الروايات أنّ جلّها تنسب النسيان أو الإنساء إلىٰ رسول الله (ص) وحده أو مع أصحابه، وذلك ينافي عصمته في التبليغ، وقد أرسله الله بالقرآن ليبلّغ به البشر كافّة، فكيف لم يعصمه الله من النسيان كما تزعم الروايات؟

وكيف أسقط آيات من سور القرآن كما تصرِّح به الرواية الموسومة بالصحّة؟

وكيف لم يتداركه الوحي، ولم يذكّره جبرائيل الّذي كان يعارضه القرآن في كلّ سنة، وبقي ناسياً للآيات حتّىٰ ذكّرته قراءة صحابي إيّاها في مسجده؟

ثانياً ـ إنّ إنساء الرسول ونسيانه يناقض نصّ القرآن الكريم في محكم بيانه. فكيف تصحّ كلّ تلكم الأحاديث وقد قال الله سبحانه وتعالىٰ:

﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ * إِلَّا مَا شَاءَ ٱللَّهُ﴾. (الأعلىٰ / ٦، ٧)

إنّ هذه السورة مكّية وكلّ أحاديث النسيان والإنساء تتحدّث عن زمان كان الرسول (ص) فيها بالمدينة. فهي جميعاً تعارض نصَّ القرآن الكريم وتطرح، ولا يقال: إنّ الآية استثنت وقالت: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ ٱللَّهُ﴾، وإنّ موارد إنساء الرسول (ص) من مصاديق مشيئة الله لإنسائه، فإنّ آيات أُخرىٰ نظيرها تفسّر معنىٰ

مشيئة الله فيها، مثل قوله تعالىٰ:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِناً ... ﴾. (الفرقان / ٤٥)

وقوله تعالىٰ:

﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾. (الحجّ / ٦٥)

بلىٰ لو شاء الله لجعل الظِّلّ ساكناً، وانتقض نظام إضاءة الشمس وتدفئته للكون، وانعدمت حياة الأحياء علىٰ هذا الكوكب، ولكنّ الله لم يشأ ذلك لصلاح عباده بمقتضىٰ ربوبيته.

وكذلك أمسك السماء أن تقع على الأرض وتدمر ما فيها ومن فيها رحمة منه لهم بمقتضىٰ ربوبيته، إلىٰ أجل مسمّىٰ.

وكذلك لم ينس الرسول (ص) شيئاً من القرآن بمقتضىٰ ربوبيته، لئلّا يخلّ ذلك بعصمته في التبليغ، وينتقض كون الرسول والكتاب حجّة على الخلق أبد الدهر.

ومن ثمّ نعلم أنّ الإستثناء بالمشيئة في هذه الموارد بمعنىٰ أنّ الأمر المذكور في كلّ مورد ليس خروجاً عن إرادة الله وقدرته ومشيئته، وإنّما هو بمقتضىٰ مشيئته وإرادته وقدرته وحكمته، جلّت قدرته وعظمت حكمته الّتي شاء بموجبها ما شاء وأراد.

ثالثاً ـ يرد عليها تناقض بعضها مع بعض ومع حكمة التشريع الإلٰهي، كالآتي بيانه:

١ ـ إذا كان الله قد أنسىٰ السورتين الصحابي أبا موسىٰ وأنسىٰ الآيات من الأحزاب والتوبة بعض الصحابة، فلماذا الخلف في ما أنساهم الله إيّاها ليتذكروا بعض ما أنساهم الله إيّاها دون بعض؟

٢ـ إذا كان الإنساء من الله، فكيف لم يُنْسِ أبا موسىٰ وأُبيّاً وغيرهما من الصحابة وأنسىٰ نبيّـه (ص) في بعضها دونهم، فتذكروا من السور والآيات ما تحدّثت عنها الروايات السابقة.

رابعاً ـ ما حكمة نسخ بعض ما ذكروا من أحكام الإسلام؟!

ما حكمة تبديل حكم عشر رضعات بخمس رضعات؟

هل كان حكم عشر رضعات محدوداً بزمان وظرف خاصّ وانتهىٰ أمد الحكم بانتهاء ذلك الظرف والزمان كما شاهدنا ذلك في سائر الأحكام المنسوخة في الإسلام، فنسخت العشر بالخمس؟

وما حكمة تشريع خمس رضعات للكبير؟

وهل من فطرة الإنسان أن يرضع الإنسان الكبـير، ليترتب عليه حكم إسلامي؟

وما حكمة نسخ تلكم الأحكام من الإسلام وتلكم الآيات؟ والإسـلام نظام قدّره لحياة الإنسان من قدّر نظام سير الكهيربات للذّرّة وتناسق الذرّات في الأجسام ونظام سير الكواكب والنجوم في المجموعات الشمسيّة والمجموعات الشمسيّة في المجرّات والمجرّات في الفضاء اللامتناهي، كلّ نظام متناسب مع فطرة ما خلق الله عليها، ونظام الإسلام للإنسان متناسب مع: ﴿فِطْرَةَ ٱللهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللهِ ذٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الرّوم / ٣٠).

خامساً ـ لماذا كان الله يوحي إلىٰ نبيّه (ص) ليلاً وينسيه صباحاً؟ أكان ذلك وحياً، أم لعبة من لعب الهواة!؟



كان ما ذكرناه أمثلة ممّا يرد علىٰ تلك الروايات وما يشاكلها وليس علاج المعضلة وحلّ المشكلة في ما وصفوه بنسخ التلاوة، فإنّه يأتي بتسلسل من المتناقضات. والحلّ في نظرنا في ما يأتي بيانه بحوله تعالىٰ:

ثامن عشر ـ شأن الروايات المتضـاربة في نقصان القرآن وزيـادته وعلاجها

إنّ تلكم الروايات تنقسم إلىٰ ثلاثة أصناف:

أ ـ ما روي فيها تأويل القرآن عن رسول الله (ص) وتفسيره ولم يفسِّر العلماء الحديث على الوجه الصحيح، وزعموا أنّ الرسول (ص) تلا نصّ القرآن، وليس قوله تفسيراً للقرآن.

ب ـ ما روي فيها سنّة الرسول (ص)، وفي لفظ بعض رواياته إيهام بأنّ ما في الرواية لفظ القرآن، وليس بسنّة الرسول (ص).

ج ـ روايات لا يصحّ محتـواها بوجه من الوجوه، ويجب طرحها جمـلة وتفصيلاً، لأنّها تخالف محكم الكتاب وسنّة الرسول (ص) الجامعة.

وفي ما يأتي أمثلة من الأصناف المذكورة:

أوّلاً ـ ما روي فيها تأويل القرآن عن رسول الله (ص) وحسب العلماء أنّ الرسول (ص) كان قد تلا في حديثه نصّ القرآن، مثل ما روي عن أُمّي المؤمنين عائشة وحفصة أنّهما أمرتا بكتابة (صلاة العصر) بعد ﴿وَٱلصَّلَاةِ ٱلوسْطَىٰ﴾ في مصحفيهما، فإنّهما كانتا سمعتا من رسول الله (ص) (صلاة العصر) تفسيراً للصلاة الوسطىٰ، وأمرتا بكتابتها في مصحفيهما علىٰ أنّه تفسير للصلاة الوسطىٰ.

وإنّما التوهّم ممّن ظنّ أنّهما أمرتا بكتابتـه علىٰ أنّه قرآن يتلىٰ، راوياً كان المتوهم أم عالماً، حسبه من قسم منسوخ التلاوة.

ثانياً ـ ما روي فيها سـنّة الرسـول (ص)، غير أنّ في لفظ بعض تلك

الروايات ما يوهم بأنّ المروي كان من سور القرآن أو من آيات القـرآن، وفي بعض الروايات تصريح بذلك كالأمثلة الآتية:

أـ ما روي في شأن ما سُـمّيتا بسورتي الحفد والخلع. في دراسة هـذه الروايات إذا جمعناها وقارنّا بعضها ببعض وجدنا أمرهما في الروايات كالآتي:

ـ في بعض الروايات لم يبدأ فيهما بالبسملة كما يبدأ بها في السور القرآنية.

ـ في بعض الروايات أنّ الإمام عليّاً علّم الراوي إيّاهما كدعاء يـقرأه في القنوت. وفي هذه الروايات لم تسميا باسم السورة.

ـ في بعض الروايات سميتا باسم السورة.

ـ وإلىٰ جانب هذه الروايات روايات أُخرىٰ توهم بأنّهما كانتا من سـور القرآن كالآتي:

ـ في بعض الروايات بدئتا بالبسملة كما يبدأ بالسور القرآنية وفيها إيهام بأنّهما سورتان.

ـ في لفظ بعض الروايات وزاد (أقرأني النبيّ)، وفي لفظ (أَقْرَأَ) إيهام بأنّهما سورتان أقرأهما النبيّ (ص) الصحابي كما كان يقرئهم السور القرآنية.

وكذلك الشأن بالنسبة إلىٰ جمل أُخرىٰ جاء في لفظ روايتها: أنّ الصحابي قال: أقرأني رسول الله (ص) كذا.

ولعلّ ذكر أمثال هذه الألفاظ في الروايات كان من تسامح الرواة في التعبير، ونقل الحديث بالمعنىٰ مع عدم تنبّه وعدم وعي لأثر التسامح في التعبير.

ويصحّ أن نفترض هكذا إذا أحسنّا الظنّ بالرواة.

وقد ذكرنا في ما سبق انّ الزنادقة دسّوا في كتب المحدّثين أكاذيب عداءً للإسلام.

ومن دراسة الروايات دراسة مقارنة يثبت لنا أنّ الخطأ في شأنهما من العلماء الّذين سمّوهما وأمثالها بمنسوخ التلاوة من القرآن، أي أنّهم زعموا أنّهما وأمثالها كانت من النصوص القرآنية الثابتة وقد نسخت تلاوتها.

في مثل هذه الحالات نأخذ بلفظ الرواية الّتي ليس فيها لفظ (أقرأني) ـ مثلاً ـ أو ما لم يبدأ فيها الدعاء بالبسملة، ونرىٰ أنّ الخطأ في عدم دراسة تلك الروايات دراسة مقارنة لتنجلي الحقيقة، ثمّ في تسميتها باسم قرآنٍ قد نسخت تلاوته.

وفي شأن ما سميتا بسورتي الحفد والخلع أخطأ السيوطي خطأً فاحشاً حين سجّلها في تفسيره مشابهاً لتسجيله السور القرآنية.

وإنّما الصحيح في أمرهما وأمر أمثالها أن تسجل في عداد سنّة الرسول (ص) بعد التأكّد من صحّة أسانيدها، وليس في عداد السور القرآنية وآياتها مع وصفهم بأنّها منسوخ التلاوة.

وإذا لم تصحّ أسانيدها، لنا أن نطرحها ولا نسجّلها في عداد السور القرآنية، ولا في عداد روايات سنّة الرسول (ص).

ب ـ ما روي في شأن رجم الشيخ والشيخة، إذا قارنّا بين ألفاظ رواياتها وجدنا في لفظ بعضها نصّاً علىٰ أنّه كان قرآناً يُتلىٰ، واعتماداً علىٰ لفظ أمثال هذه الرواية حسبوا الجملة قرآناً كان يتلىٰ، ولمّا كانت غير مكتوبة في المصحف قالوا: انّ الجملة كانت قرآناً نسخت تلاوتها وبقي حكمها.

وإلىٰ جانب هذه الروايات وجدنا روايات أُخرىٰ ليس في لفظها ما يوهم أنّه كان قرآناً يتلىٰ.

وفي أمثال هذه الموارد نأخذ بالرواية الّتي ليس فيها ما يوهم أنّ الجملة كانت قرآناً يتلىٰ ونسجّلها في عداد سنّة الرسول (ص) إن صحّت أسانيدها.

وكذلك الشأن في روايات سورتي أبي موسى الأشعري وروايات كثيرة غيرها من مثيلاتها.

ولا يفوتنا أن نقول: إنّنا حين نطلب تسجيل أمثال تلك الروايات بعد دراستها دراسة مقارنة في عداد سنّة الرسول (ص)، نرىٰ أنّ في بعض ألفاظها ما هو دون بلاغة كلام الرسول (ص).

وعلىٰ هذا فينبغي اعتبار تلك الروايات في عداد سنّة الرسول (ص) في محتواها دون ألفاظها، أي أنّها رويت بالمعنىٰ دون التقيد بروايتها بلفظ الرسول (ص).

ثالثاً ـ روايات تخالف محكم القرآن وسنّة الرسول (ص) الجامعة وكالموارد الآتية:

أ ـ ما روي عن ابن مسعود إسقاطه المعوّذتين من مصحفه بزعم أنّهما ليستا من القرآن. ومغزىٰ هذا القول والعمل أنّ المصحف المتداول بين المسلمين منذ العصر الإسلامي الأوّل إلى اليوم فيه سورتان زائدتان وليستا من القرآن[1] ـ معاذ الله ـ.

وقد سبق أن قلنا في مثل هذه الموارد إنّ ذلك ممّا افتري به على الله وكتابه ورسوله وأصحابه. والصحيح هو المكتوب في المصاحف الّتي تداولها المسلمون منذ دوّنت المصاحف ودوّنت السور حتّى اليوم.

إذاً فقد كان ذلك ممّا افتراه أمثال الزنادقة في مقابل نصّ الكتاب ورواية ما لا يحصىٰ من أبناء الأمّة كما درسنا ذلك في ما سبق.

ب ـ ما روي عن أمّ المؤمنين عائشة أنّها قالت: كان في ما أُنزل من القرآن

---

(١) راجع بحث (روايات الزيادة والنقيصة في القرآن)، ص ١٠٤ و ١١٠ من هذا الكتاب.

[عشر رضعات يحرمن] فنسخن بـ [خمس معلومات]، فتوفّي رسول الله (ص)، وهنّ ممّا يقرأ من القرآن. وفي حديث آخر لها [ورضاع الكبير عشراً] [1].

وفسّرت الآية المزعومة بما روته هي من رضاع سالم مولىٰ أبي حذيفة [2] وإرسالها سالم بن عبدالله إلىٰ أختها أم كلثوم لترضعه أمّ كلثوم خمس رضعات، فيحرم بتلك الرضعات الخمس، ومن ثم أوردها ابن ماجة في باب: (رضاع الكبير). وكذلك مسلم وأبو داود والنّسائي جميعهم أوردوا روايتها في باب: رضاع الكبير.

ولعلها قصدت ان هذه الجملة كانت مكتوبة كبيان من الرسول (ص) في حكم الرضاع نظير أمرها بكتابة (وصلاة العصر) بعد ﴿وَٱلصَّلَاةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ من مصحفها تفسيراً للصلاة الوسطىٰ.

ج ـ ما روي عن ابن عباس أنّه قال: كان ممّا ينزل على النبيّ الوحي باللّيل وينساه بالنهار! [3]

لست أدري، هل كان وحي الله لنبيّه من قبيل: كلام اللّيل يمحوهُ النهار؟

د ـ ما روي عن الخليفة عمر أنّه قال: إنّ أقرأنا أُبيّ، وإنّا لندع شيئاً من قراءة أُبي وذلك أنّ أُبيّاً يقول: لا أدع شيئاً سمعته من رسول الله (ص).

وفي رواية يقول: أخذت من فم رسول الله (ص) ـ وقد قال الله: (ما ننسخ من آية أو ننساها...) [4].

وإذا لم يعتمد على الأقرأ الّذي سمع القرآن من فم رسول الله، فعلىٰ من

---

(١) راجع بحث (روايات الزيادة والنقيصة في القرآن)، ص ١٠٤ و ١١٠ من هذا الكتاب.

(٢) وكان سالم وأبو حذيفة قد استشهدا قبل ذاك أي: يوم اليمامة وسبعة أشهر بعد استخلاف أبي بكر.

(٣) و (٤) راجع بحوث (النسخ والانساء في القرآن الكريم)، ص ٣٣٥ من هذا الكتاب.

يعتمد؟!

مرّ بنا ان هذه الروايات ممّا افتري بها على الله وكتابه ورسوله وأصحابه.

* * *

هذه أربع روايات أتيت بها مثلاً للروايات الّتي لا علاج لها، ويطول بنا المقام لو أردنا مناقشتها جميعاً، ولذلك نقتصر علىٰ مناقشة واحدة منها وجدناها أقواها سنداً وأكبرها أثراً.

ومناقشتنا إيّاها هنا خلاصة لدراستنا السابقة لها، وأخذ العبرة والنتيجة منها كالآتي:

مناقشة رواية أُمّ المؤمنين عائشة في الرضاع وبيان أثرها

استفاد عشاق النسخ في القرآن من روايتها:

[عشر رضعات معلومات] فنسخن بـ [خمس معلومات]، فصنفوا النسخ إلىٰ ثلاثة أصناف: منها ما نسخ حكمه وتلاوته وله مورد واحد وهو قولها: [عشر رضعات معلومات] فقد نسخت حسب روايتها: بـ [خمس معلومات]، ونسخت تلاوتها ـ أيضاً ـ لأنّها غير موجودة في المصحف.

وأمّا [خمس معلومات] فقد بقي حكمها حسب فتواها وعملها، ولمّا كانت ـ أيضاً ـ غير مكتوبة في المصحف ذكروها في عداد ما نسخ تلاوتها دون حكمها. ووجدنا في رواية ابن ماجة وأحمد بن حنبل عنها، أنّها قالت:

(لقد نزلت آية الرجم ورضاع الكبير عشراً، ولقد كانت تحت سريري، فلمّا مات رسول الله (ص) وتشاغلنا بموته، دخل داجن فأكلها)[1].

---

(١) سنن ابن ماجة، كتاب النّكاح، باب رضاع الكبير، الحديث رقم ١٩٤٤؛ ومسند أحمد ٦/ ٢٦٩.

إنّ العلماء استفادوا من نصف هذه الرواية، وهو قولها [عشر رضعات] واعتبروه صنفاً من أصناف النسخ، وهو نسخ التلاوة والحكم، ولم يجدوا له نظيراً. واستفادوا من النصف الآخر مثالاً من أمثلة نسخ التلاوة دون الحكم.

ومن آثار هذا الحديث ما حصل عند فقهاء مدرسة الخلفاء من الإختلاف في رضاع الكبير، وأنّه هل يحرم أم لا؟ وإذا كان يحرم، كيف يرضع الكبير؟ هل يلتقم الثدي أم يشرب اللبن من الإناء[1]؟

مناقشة الحديث

إنّ حديث رضاع الكبير بمجموعه يخالف كتاب الله وسنّة رسوله وفطرة الإنسان.

أمّا كتاب الله، فلقوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾، وعليه فإنّ الرضاع لا يكون إلّا في الحولين.

وأما سنّة الرسول، فلقوله (ص): «إنّما الرضاعة من المجاعة» وفسّره (ص) في حديث آخر وقال: «ولا يحرّم الرضاع إلّا ما فتق في الأمعاء في الثدي وكان قبل الفطام»، وقال في حديث آخر: «لا رضاع إلّا ما شدّ العظم وأنبت اللحم وأنشز العظم».

وأمّا الفطرة، فقد ذكرنا أمرها سابقاً.

وفي خصوص الآية الّتي أكلها الداجن لست أدري كيف انحصر علمها بأُمّ المؤمنين عائشة، ولم يأت ذكرها علىٰ لسان أي إنسان آخر من أزواج الرسول (ص) وأصحابه وأهل بيته، مع قولها: (فتوفي رسول الله وهنّ ممّا يقرأ من القرآن)؟

---

(١) راجع فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١١ / ٤٩ ـ ٥٣ و ص ٣٣ ـ ٣٦ منه، باب الأكفّاء في الدِّين من كتاب النِّكاح.

وكيف ذهبت الآية بأكل داجن لها مع قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ !؟

والصواب في القول ما ذكرناه من أنّها قصدت أنّ الجملة كانت مكتوبة مع آية الرضاع في قوله تعالىٰ: ﴿حولين كاملين ...﴾ كبيان رسول الله (ص) ممّا أنزل الله عليه بوحي غير قرآني.

خلاصة القول

إن تلك الروايات الّتي كان فيها تهوين بأمر التشريع الإسلامي واستهانة بالوحي والقرآن والرسول وأمر الربّ تنقسم إلىٰ قسمين:

منها ما هي مخالفة لكتاب الله المجيد وسنّة الرسول (ص) الجامعة وعلّتها في متونها ومحتواها فهي تُرفَض وتُطرَح.

ومنها ما في ألفاظها تشويش للأذهان وإبهام بما ذكرنا أعلاه.

وهذه إن صحّت أسانيدها يؤخذ بمحتواها، ويُدرج منها ماليس في ألفاظها اضطراب وتشويش في عداد سنّة الرسول (ص)، ولا يقال لتبرير أيّ منها انّ الله سبحانه كان قد أنزل قرآناً، ثمّ نسخه بعد أن تلاه المسلمون وعملوا به وأنساهم إيّاه.

وإنّ أمثال تلكم الروايات هي الّتي شوّشت علىٰ بعض الأخباريين من محدِّثي الشيعة، مثل الشيخ النوري، واستدلّ بها وكتب: (فصل الخطاب). وجوابه ما ذكرناه، فإن لم يقبل العلماء ما قلناه وأصرّوا على القول بنسخ التلاوة، فليسمّوا إذاً كتاب المحدث النوري: (فصل الخطاب في بيان منسوخ التلاوة من كتاب ربّ الأرباب) ولا مشاحة في التسمية والإصطلاح.

ولست أُريد بقولي هذا أن أُصوِّب عمل صاحب (فصل الخطاب) ولا قوله،

ولكنّي أقول: قد أخطأ من قبله من قال: إنّ الله كان أنزل قرآناً علىٰ نبيّه (ص)، ثمّ نسخ تلاوته وحكمه أو تلاوته دون حكمه، ثمّ أصرّ علىٰ قوله.

وأخطأ بعدهم من استدلّ علىٰ مدّعاه بتلكم الإجتهادات وتلكم الروايات.

وأخطأ المحدِّث النوري حين جمعها في كتاب، ولم يبيّن وجه الصواب فيها، وأخطأ ثانياً حين سمّاها (تحريف كتاب ربّ الأرباب) ـ معاذ الله ـ، وفيصل القول ما قلناه، والحمد لله.

تاسع عشر ـ خلاصة بحوث النسخ في القرآن:

في مقدّمة هذا البحث القرآني ينبغي التنبيه على الأُمور الآتية:

١ـ إنّ هذا القرآن بحسب مقتضى الحال يستعمل من فنون البلاغة ما يقتضيه المقام، وعليه قد يتحدّث عن المفرد بلفظ الجمع، ويخاطب المفرد وهو الرسول (ص) ويريد أُمّته، ويخبر عن المستقبل بلفظ الماضي، ويكلّم الحاضر بلفظ الغائب، وقد يعكس الأمر في ما ذكرناه.

٢ـ يخبر عن القصّة الواحدة في موارد متعدِّدة، يفصل في كلّ مورد ما يناسب أخذ العبرة من القصة لما يناسب المقام، ويوجز الباقي، وقد يقتطع من القصة ما لا جدوىٰ لذكره في المقام ويأتي بالباقي المناسب ذكره للمقام.

وقد يأتي بتمام القصة موجزة، ثمّ يبدأ بتفصيل ذكر القصة من حيث يناسب المقام.

وفي مثل هذا المورد يأتي أحياناً ذكر المتأخِّر موجزاً قبل ذكر المتقدِّم الذي ذكره مفصلاً بعده.

وقد يكرّر من الخبر أو الحكم مفصّلاً ما ينبغي التأكيد عليه، ويوجز ذكر باقي الخبر قبله أو بعده أو قبله وبعده.

٣ـ في السورة الكبيرة:

أـ قد ترد مجموعة واحدة من الآيات تبيِّن بمجموعها حكماً إسلامياً واحداً، أو تكشف عن حقيقة واحدة من حقائق الغيب أو الشهادة مع إيراد الكلام بما يناسب المقام بالكيفيات الّتي ذكرناها.

ب ـ وقد ترد آية واحدة تبين بمفـردها حكماً اسلامياً، أو تكشف عن حقيقة من حقائق الغيب أو الشهادة.

وبناءً علىٰ ما ذكرناه ينبغي لدارسي القرآن الكريم أن يدرسوا الثانية علىٰ حدة ومنفصلة عما قبلها وما بعدها من الآيات، ويدرسوا الآيات الّتي في الأُولىٰ مجتمعة ولا يُجزِّئوا بعضها عن بعضها الآخر.

وينبغي في كلّ دراسة قرآنية أن يؤخذ بنظر الاعتبار كلّ ما ذكرناه عن الأُسلوب القرآني، وكلّ ما ذكروه في علوم القرآن من خصائص القرآن في فن التعبير والمحاورة.

بعد التنبيه علىٰ ما ذكرنا نأتي إلىٰ درس بحث النسخ في القرآن، ونقول: صنّفوا النسخ في القرآن إلىٰ ثلاثة أصناف:

أ و ب ـ ما نسخ تلاوته وحكمه، وما نسخ تلاوته وبقي حكمه، أي: أنّ الله ـ سبحانه ـ كان قد أنزل علىٰ نبيّه (ص) آيات وسوراً، ثمّ نسخها، منها ما نسخها مع حكمها ومنها ما نسخ نصوص الآيات والسور وأبقىٰ أحكامها.

وبهذا القول عالجوا رواياتهم الّتي ذكرت نقصان سور وآيات من القرآن المتداول بين المسلمين وقالوا: تلكم السور والآيات منسوخة التلاوة.

ج ـ آيات موجودة في القرآن قالوا عنها إنّها منسوخة، أي: انّ الله نسخ أحكامها إما بآيات قرآنية أُخرىٰ، أو بسنّة الرسول (ص).

ونقول في الجواب:

استدلّوا علىٰ قولهم بوجود آيات منسوخة في القرآن:

أوّلاً ـ بآيتي: ﴿مَا نَنسَخْ مِن آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا﴾ و﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾.

ثانياً ـ بآيات كثيرة في القرآن الكريم اعتبروها آيات منسوخة، أي أنّ

تلكم الآيات جاءت أوّلاً بحكم اسلامي وعمل بها المسلمون، ثمّ نسخ الله تلك الآيات أي أحكامها بآيات أُخرىٰ. وقال آحاد منهم: إنّها نسخت بسنّة الرسول (ص) أي حديث الرسول (ص).

وفي ما يأتي ندرس بحوله تعالى الإستدلالين على التوالي:

دراسة آيات مورد البحث في النسخ

أوّلاً ـ دراسة الآيتين:

أ ـ ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. (البقرة / ١٠٦)

ب ـ ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَٱللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ ...﴾. (النّحل / ١٠١)

لمّا كان محور الكلام في الآيتين الآية ونسخها ندرس معنى الآية لغة واصطلاحاً في ما يأتي:

الآية في اللغة بمعنىٰ: العلامة الظاهرة على الشيء المحسوس، أو الأمارة الدالة علىٰ أمر معقول.

وإذا قيل: آية من آيات الله، أي: أمارة تدلّ عليه أو علىٰ بعض صفاته.

والآية في المصطلح الإسلامي اسم لكل من المعاني الآتية:

أ ـ حكم من أحكام الشرع الإلهي، والّذي جاء في فصل أو فصول من كتب الله تبارك وتعالىٰ.

ب ـ معجزة من معجزات الأنبياء، كناقة صالح، وعصا موسىٰ (ع) وسائر الآيات التسع الّتي جاء بها.

ج ـ جزء من السور القرآنية المشخص بالعدد ـ الرقم ـ.

وقد تتبّعنا موارد استعمال الآية بهذا المعنىٰ في القرآن الكريم، فوجدناها لم تأت بغير لفظ الجمع. وقد ثبت في محلِّه أنّ اللفظ المشترك في عدّة معانٍ لا يستعمل في الكلام دونما قرينة تدل على المعنى المقصود من تلك المعاني.

وإذا رجعنا إلى المجموعة الّتي جاء فيها جملة: ﴿مَا نَنسَخْ مِن آيَـةٍ ...﴾، وجدناها تذكر قبلها خبر تعنت أهل الكتاب في قبول ما نزل علىٰ رسول الله (ص)، وبعدها تذكر خبر نسخ حكم استقبال بيت المقدّس في الصلاة إلى الكعبة، ومجادلة أهل الكتاب في هذا الشأن.

ومع وجود هذه القرائن قبل جملة: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَـةٍ أَوْ نُـنْسِهَا ...﴾ وبعدها نعلم أنّ المقصود من الآية هاهنا هو تبديل حكم استقبال بيت المقدس في الصلاة بحكم استقبال الكعبة فيها، ومن ثمّ ندرك أنّ المقصود من تبديل آية مكان آية في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ ...﴾ تبديل حكم استقبال الكعبة في الصلاة بحكم استقبال بيت المقدس أو نظائره مثل تبديل حكم عيد السبت بعيد الجمعة ـ مثلاً ـ.

وله نظائر أُخرىٰ في ذكر قصة واحدة عدّة مرّات في القرآن الكريم، موجزة تارة ومفصلة أُخرىٰ.

هذا ما كان من أمر الآيتين، وأمّا استدلالهم بالآيات الّتي رووا أنّها منسوخة أو منسيّة، فسنقتصر علىٰ دراسة مثال واحد من كلّ منها:

أ ـ مثال السورة المنسية

استدلّوا علىٰ ذلك بسورة الصحابي أبي موسى الأشعري الّتي قال: إنّه نسيها وإنّها كانت في الشدّة والطول مثل سورة براءة. وقد مرّ بنا تفصيل القول في شأن نظائره.

ب ـ الآية المنسوخة:

استدلّوا بالآية الّتي رويت عن أُمّ المؤمنين عائشة في شأن رضاع الكبير والّتي أكلها الداجن.

وحقيقة الأمر أنّه كان اجتهاداً خطأً منها في تفسير الآية في مقابل سائر أُمّهات المؤمنين اللّاتي خالفنها في شأن هذا الإجتهاد.

ولقائل أن يقول: إنّ الأحوال السياسيّة الّتي خاضتها أُمّ المؤمنين عائشة للتحريض علىٰ قتل الخليفة عثمان، ثمّ قيادتها الجيش الضخم لقتال الخليفة الوصي الإمام عليّ (ع) كانت قد ألجأتها إلىٰ محادثة الرجال ممّن لم يكونوا من محارمها مثل سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب، فاضطرت إلىٰ أن تجتهد وتفتي بانتشار الحرمة من رضاع الكبير كما هو الشأن في رضاع الطفل الصغير.

واستشهدت لذلك بالخبر الّذي روته عن أمر رضاع سالم مولىٰ أبي حذيفة في كبره، ولمّا خالفها سائر أُمّهات المؤمنين في هذا الأمر اجتهدت فروت خبراً عن الرسول (ص) في بيان حكم رضاع الكبير بياناً لآية الرضاع وقالت: إن الداجن أكل بيان الرسول (ص)، ونحن نرىٰ انها اجتهدت، وأخبرت ذلك عن الرسول (ص) وأن الرسول (ص) لم يقل بانتشار الحرمة من رضاع الكبير[1].

وكذلك الشأن في قصة السورة المنسيّة، وبيان ذلك أن القرّاء في صدر الإسلام كانوا هم علماء الأُمّة ومورد احترام الجميع.

ونرىٰ أنّ قرّاء البصرة كانوا يدلون بذلك على الناس أميراً كانوا أو سوقة فلم يرض ذلك أمير البصرة الصحابي أبا موسىٰ، فجمعهم وروىٰ لهم حديثاً عن الرسول (ص) لم يكن لأحدهم علم به ليفهمهم أن ما حفظوه وتدارسوه من بيان

---

(١) راجع تفصيل ذلك في فصل (مع الصّهرين) من كتاب أحاديث أُمّ المؤمنين عائشة، وكذلك بحث رأيها في رضاع الكبير.

القرآن ليس كل ما جاء في بيان القرآن عن الرسول (ص) وإنّما كان من بيان القرآن ما لم يعلم به أحد منهم، وكان علمه عند الأمير وقد جهلوه جميعاً.

في هذه القصّة ـ أيضاً ـ اجتهد الصحابي أبو موسىٰ وأخطأ، وإنّه لكلّ من أُمّ المؤمنين عائشة والصحابي أبي موسىٰ أجر لدىٰ أتباع مدرسة الخلفاء على اجتهادهما الخطأ.



نكتفي بدراسة هٰذين الموردين من الآيات اللّاتي رووا أنّها منسيّة أو منسوخة ـ معاذ الله ـ لأنّه من العسير استقصاؤها وشرح زيفها.

ونقتصر هنا على القول بأن القرآن الّذي بأيدي الناس اليوم هو القرآن الذي نزل علىٰ رسول الله (ص)، وعلّمه الرسول جميع من عاشره واستطاع أن يتعلّمه كما سبق بيانه مفصلاً.

بعد إيراد البحوث السبعة الماضية نقوم بإذنه تعالىٰ بدراستها في البحوث الآتية.

دراسة الروايات السابقة

والإجتهادات الخاطئة

خصائص المجتمع الإسلامي وأخبار القرآن علىٰ عهد:

- الخليفتين أبي بكر وعمر.
- الخليفة عثمان.
- الخليفة الإمام عليّ.
- بني أُميّة.
- بني العباس.

درسنا في الجزء الأوّل من هذا الكتاب ملامح المجتمع العربي في العصر الجاهلي وخصائصه في الجزيرة العربية وأخبار القرآن علىٰ عهد الرسول (ص)، ونبدأ بدراسة خصائص المجتمع الإسلامي علىٰ عهد كل خليفة ثمّ نتبعها بدراسة أخبار القرآن كذلك كما يأتي بحوله تعالىٰ.

خصائص المجتمع الإسلامي وأخبار القرآن علىٰ عهد الخليفتين أبي بكر وعمر

- خصائص المجتمع الإسلامي علىٰ عهد الخليفة أبي بكر.
- خصائص المجتمع الإسلامي علىٰ عهد الخليفة عمر.
- أخبار القرآن بعد الرسول (ص).
- أخبار القرآن علىٰ عهد الخليفة أبي بكر.
- أخبار القرآن علىٰ عهد الخليفة عمر.

خصائص المجتمع الإسلامي علىٰ عهد الخليفة أبي بكر

من أجل معرفة خصائص المجتمع بعد الرسول يلزمنا دراسة كيفية اقامة الحكومات المتعاقبة من بعده وما جرىٰ في ظل تلك الحكومات في المجتمع.

ونبدأ بذكر اخبار اخذ البيعة لأبي بكر وما بعدها.

اجتمع الأنصار ـ الأوس والخزرج ـ بعد وفاة الرسول (ص) في سقيفة بني ساعدة وبينما هم يداورون الرأي، بلغ نبأهم فريقاً من المهاجرين فأسرعوا إليهم وخطبوا فيهم.

وفي صحيح البخاري بسنده عن الخليفة عمر أنه قال:

إنّه كان من خبرنا حين توفّى الله نبيّه، أنّ الأنصار اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة، وخالف عنّا عليّ والزبير ومن معهما، فقلت لأبي بكر: انطلق بنا إلىٰ إخواننا الأنصار.

فانطلقنا حتّىٰ أتيناهم، فإذا رجل مزمّل، فقالوا: هذا سعد بن عبادة يوعك، فلمّا جلسنا قليلاً، تشهّد خطيبهم، فأثنىٰ على الله، ثمّ قال: أمّا بعد، فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام، وأنتم معشر المهاجرين رهط...

فأردت أن أتكلّم، فقال أبو بكر: علىٰ رسلك.

فتكلّم هو، والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلّا قال في بديهته مثلها أو أفضل؛ قال: ما ذكرتم فيكم من خير، فأنتم له أهل، ولن يعرف هذا

الأمر إلّا لهذا الحيّ من قريش، هم أوسط العرب نسباً وداراً[1].

روى الطبري[2] في تفصيل خبر السّقيفة وبيعة أبي بكر وقال:

اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة، وتركوا جنازة الرّسول يغسله أهله، فقالوا: نولّي هذا الأمر بعد محمّد سعد بن عبادة.

وأخرجوا سعداً إليهم وهو مريض...

فحمد الله وأثنىٰ عليه، وذكر سابقة الأنصار في الدين وفضيلتهم في الإسلام، وإعزازهم للنبيّ وأصحابه وجهادهم لأعدائه، حتّى استقامت العرب، وتوفِّي الرسول وهو عنهم راض، وقال: استبدُّوا بهذا الأمر دون النّاس.

فأجابوه بأجمعهم أن قد وفّقت في الرأي، وأصبت في القول، ولن نعدو ما رأيت، نولّيك هذا الأمر.

ثمّ إنّهم ترادّوا الكلام بينهم، فقالوا: فإن أبَت مُهاجِرَة قريش، فقالوا: نحن المهاجرون وصحابة رسول الله الأوّلون، ونحن عشيرته وأولياؤه، فعلامَ تنازعوننا هذا الأمر بعده؟ فقالت طائفة منهم: فإنّا نقول إذاً: منّا أمير ومنكم أمير. فقال سَعْد بن عبادَة: هذا أوّل الوهن[3].

سمع أبو بكر وعمر بذلك، فأسرعا إلى السّقيفة مع أبي عُبَيْدة بن الجرّاح

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب رجم الحبلىٰ من الزنا ٤ / ١٢٠.

(٢) نقلنا هذا الخبر ملخصاً من تاريخ الطبري في ذكره حوادث بعد وفاة الرسول، وما كان من غير الطبري أشرنا إليها في الهامش. وقد أوردنا تفصيل الخبر في كتاب عبدالله بن سبأ، الجزء الأوّل ـ بحث السقيفة.

(٣) الطبري في ذكره لحوادث سنة ١١هـ، ٢ / ٤٥٦، وط. أوربا ١ / ١٨٣٨، عن عبدالله بن عبد الرّحمٰن بن أبي عمرة الأنصاري. وابن الأثير ٢ / ١٢٥. وتاريخ الخلفاء لابن قتيبة ١ / ٥، قريب منه، وأبو بكر الجوهري في كتابه السقيفة في الجزء الثاني من شرح ابن أبي الحديد في خطبة (ومن كلام له في معنى الأنصار) ٢ / ٢.

وانحاز معهم أُسيد بن حُضَيْر[1] وعُويم بن ساعِدَة[2] وعاصم بن عَدِيّ[3] من بني العَجْلان[4].

تكلّم أبو بكر ـ بعد أن منع عمر عن الكلام ـ فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثمّ ذكر سابقة المهاجرين في التصديق بالرّسول دون جميع العرب، وقال: (فهم أول من عبد الله في الأرض وآمن بالرسول، وهم أولياؤه وعشيرته وأحقّ الناس بهذا الأمر من بعده، ولا ينازعهم ذلك إلّا ظالم).

ثمّ ذكر فضيلة الأنصار، وقال: (فليس بعد المهاجرين الأوّلين عندنا بمنزلتكم، فنحن الأمراء، وأنتم الوزراء).

فقام الحُباب بن المنذر[5] وقال: يا معشر الأنصار! املكوا عليكم أمركم

---

(١) جاء اسمه في سيرة ابن هشام ٤ / ٣٣٥، وأُسيد بن حضير بن سماك بن عتيك بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبدالأشهل بن الحرث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأشهلي، شهد العقبة الثانية وكان ممّن ثبت في أُحد، وشهد جميع مشاهد النبيّ، وكان أبو بكر لا يقدم أحداً من الأنصار عليه. توفّي سنة ٢٠ أو ٢١هـ فحمل عمر نعشه بنفسه. روىٰ عنه أصحاب الصحاح ١٨ حديثاً. ترجمته في الإستيعاب ١ / ٣١ـ٣٣. والإصابة ١ / ٦٤. وجوامع السيرة، ص ٢٨٣.

(٢) عويم بن ساعدة بن عائش بن قيس بن النعمان بن زيد بن أُميّة بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي: شهد العقبة وبدراً وما بعدها، وتوفّي في خلافة عمر، وبترجمته في النبلاء: أنّه كان أخا الخليفة عمر. وقال عمر علىٰ قبره: (لا يستطيع أحد من أهل الأرض أن يقول: أنا خير من صاحب هذا القبر). الإستيعاب ٣ / ١٧٠ والإصابة ٣ / ٤٥ وأُسد الغابة ٤ / ١٥٨.

(٣) عاصم بن عدي بن الجدّ بن العجلان بن حارثة بن ضُبَيْعَة بن حرام البلويّ العجلاني، حليف الأنصار وكان سيد بني عَجْلان. شهد أُحداً وما بعدها. توفّي سنة ٤٥ هجرية. الإستيعاب ٣ / ١٣٣. والإصابة ٢ / ٢٣٧، وأُسد الغابة ٣ / ٧٥.

(٤) سيرة ابن هشام، أخبار السقيفة ٤ / ٣٣٠ـ ٣٣٩.

(٥) الحباب بن المنذر بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة

فإن الناس في فيئكم وفي ظلّكم، ولن يجترئ مجترئ علىٰ خلافكم، ولا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم، وينتقض عليكم أمركم. فإن أبىٰ هؤلاء إلّا ما سمعتم، فمنّا أمير ومنهم أمير.

فقال عمر: هيهات! لا يجتمع اثنان في قرن... والله لا ترضى العرب أن يؤمّروكم ونبيّها من غيركم، ولكنّ العرب لا تمتنع أن تولّي أمرها من كانت النبوّة فيهم، وولي أُمورهم منهم. ولنا بذلك علىٰ مَنْ أبى الحجّة الظاهرة والسلطان المبين، من ذا ينازعنا سلطان محمّد وإمارته، ونحن أولياؤه وعشيرته[1] إلّا مدل بباطل أو متجانف لإثم أو متورّط في هلكة.

فقام الحباب بن المُنذر وقال: يا معشر الأنصار، املكوا علىٰ أيديكم ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه، فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر، فإن أبوا عليكم ما سألتموهم، فأجلوهم عن هذه البلاد، وتولّوا عليهم هذه الأُمور، فأنتم والله أحقّ بهذا الأمر منهم، فإنّه بأسيافكم دان لهذا الدين من لم يكن يدين به. أنا جُذَيْلُها المُـحَكّك[2] وعُذَيْقُها المُرَجّب[3]. أما والله لو شئتم لنُعيدنها جَذَعَة[4].

← الأنصاري، شهد بدراً وما بعدها، وتوفّي في خلافة عمر. الاستيعاب بهامش الإصابة ١ / ٣٥٣. والإصابة ١ / ٣٠٢. وأُسد الغابة ١ / ٣٦٤. ونسبه في جمهرة ابن حزم، ص ٣٥٩.

(١) لمّا سمع عليّ بن أبي طالب هذا الإحتجاج من المهاجرين قال: احتجّوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة. النهج وشرحه لابن أبي الحديد، ط. الأولىٰ ٢ / ٢.

(٢) جُذيلها، تصغير الجذل: أصل الشجرة. والمُـحَكّك: عود ينصب في مبارك الإبل لتتمرّس به الإبل الجربىٰ، أي قد جربتني الأُمور ولي رأي وعلم يُشتفىٰ بهما كما تشتفي هذه الإبل الجربىٰ بالجذل وصغره علىٰ جهة المدح.

(٣) عذيق: تصغير العذق، وهي: النخلة. والمرجب، ما جعل له رجبة، وهي: دعامة تبتنىٰ من الحجارة حول النخلة الكريمة إذا طالت وتخوفوا عليها أن تنقعر في الرياح العواصف.

(٤) أعدت الأمر جذعاً، أي جديداً كما بدأ، وإذا أُطفئت حرب بين قوم فقال بعضهم: إن شئتم أعدناها جذعة، أي: أوّل ما يبتدأ فيها.

قال عمر: إذاً يقتلك الله.

قال: بل إيّاك يقتل.

فقال أبو عُبيدة: يا معشر الأنصار! إنّكم كنتم أوّل من نصر وآزر، فلا تكونوا أوّل من بدّل وغيّر.

فقام بشير بن سعد الخزرجيّ أبو النعمان بن بشير فقال: يا معشر الأنصار! إنّا والله لئن كنّا أُولي فضيلة في جهاد المشركين، وسابقة في هذا الدين، ما أردنا به إلّا رضا ربّنا وطاعة نبيّنا والكدح لأنفسنا، فما ينبغي لنا أن نستطيل على النّاس بذلك، ولا نبتغي به من الدنيا عرضاً، فإنّ الله وليّ النعمة علينا بذلك، ألا إنّ محمّداً (ص) من قريش، وقومه أحقُّ به وأولىٰ، وأيم الله لا يراني الله أُنازعهم هذا الأمر أبداً. فاتّقوا الله، ولا تخالفوهم، ولا تنازعوهم.

فقال أبو بكر: هذا عمر، وهذا أبو عبيدة، فأيّهما شئتم فبايعوا. فقالا: والله لا نتولّىٰ هذا الأمر عليك... الخ[1].

وقام عبدالرّحمٰن بن عوف، وتكلّم فقال: يا معشر الأنصار! إنّكم وإن كنتم علىٰ فضل، فليس فيكم مثل أبي بكر وعمر وعليّ. وقام المنذر بن الأرقم فقال: ما ندفع فضل من ذكرت، وإنّ فيهم لرجلاً لو طلب هذا الأمر لم ينازعه فيه أحد ـ يعني عليَّ بن أبي طالب ـ[2].

(فقالت الأنصار أو بعض الأنصار: لا نُبايع إلّا عليّاً)[3].

---

(١) لم نسجّل هنا بقيّة الحوار وتعليقنا عليه طلباً للإختصار.

(٢) رواه اليعقوبي بعد ذكر ما تقدّم في تاريخه ٢ / ١٠٣، والموفقيات للزبير بن بكار، ص ٥٧٩.

(٣) في رواية الطبري ٣ / ٢٠٨، وط. أوربا ١ / ١٨١٨ عن إبراهيم، وابن الأثير ٢ / ١٢٣: «أن الأنصار قالت ذلك بعد أن بايع عمر أبا بكر».

قال عمر: فكثر اللّغط وارتفعت الأصوات حتّىٰ تَخَوّفت الإختلاف فقلت: ابسط يدك لأُبايعك[1].

فلمّا ذهبا ليبايعاه، سبقهما إليه بشير بن سعد فبايعه، فناداه الحُباب بن المنذر: يا بشير بن سعد عَقَقْتَ عَقاق[2]! أنفست علىٰ ابن عمّك الإمارة؟

فقال: لا والله، ولكنّي كرهت ان أُنازع قوماً حقّاً جعله الله لهم.

ولمّا رأت الأوس ما صنع بشير بن سعد وما تدعو إليه قريش وما تطلب الخزرج من تأمير سعد بن عبادة، قال بعضهم لبعض، وفيهم أُسَيْد بن حُضير ـ وكان أحد النُّقباء ـ: والله لئن وليَتها الخزرج عليكم مرّة، لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة، ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيباً أبداً، فقوموا فبايعوا أبا بكر[3].

فقاموا إليه فبايعوه، فانكسر علىٰ سعد بن عبادة وعلى الخزرج ما كانوا أجمعوا له من أمرهم... فأقبل النّاس من كلّ جانب يبايعون أبا بكر، وكادوا يطأون سعد بن عبادة.

فقال أُناس من أصحاب سعد: اتّقوا سعداً لا تطأوه.

فقال عمر: اقتلوه، قتله الله.

ثمّ قام علىٰ رأسه فقال: لقد هَمَمْتُ أن أطأك حتّىٰ تَنْدُر عُضوك. فأخذ قيس بن سعد بلحية عمر فقال: والله لو حصصت منه شعرة ما رجعت وفي فيك واضحة.

---

(١) عن سيرة ابن هشام ٤ / ٣٣٦، وجميع من روىٰ حديث الفلتة. راجع بعده حديث الفلتة في ذكر رأي عمر في بيعة أبي بكر.

(٢) الطبري، ط. أوربا ١ / ١٨٤٢. وفي رواية ابن أبي الحديد: عقّكَ عقاق.

(٣) وفي رواية أبي بكر في سقيفته: لمّا رأت الأوس أنّ رئيساً من رؤساء الخزرج قد بايع، قام أُسيد بن حضير ـ وهو رئيس الأوس ـ فبايع حسداً لسعد ومنافسة له أن يلي الأمر. راجع شرح النهج ٢ / ٢، في شرحه (ومن كلام له في معنى الأنصار).

فقال أبو بكر: مهلاً يا عمر! الرفق هاهنا أبلغ.

فأعرض عنه عمر[1].

وقال سعد: أمّا والله لو أنّ بي قوّة مَا أقوىٰ على النهوض لسمعت منّي في أقطارها وسككها زئيراً يُجْحِرُك وأصحابك. أما والله إذاً لألحقنّك بقوم كنتَ فيهم تابعاً غير متبوع. احملوني من هذا المكان. فحملوه فأدخلوه في داره[2].

وروىٰ أبو بكر الجوهري: أنّ عمر كان يومئذ ـ يعني يوم بويع أبو بكر ـ محتجزاً يهرول بين يدي أبي بكر ويقول: ألا إنّ الناس قد بايعوا أبا بكر... الخ[3].

بايع الناس أبا بكر وأتوا به المسجد يبايعونه، فسمع العبّاس وعليّ التكبير في المسجد ولم يفرغوا من غسل رسول الله (ص).

فقال عليّ: ما هذا؟

قال العباس: ما رئيَ مثل هذا قطّ!! أما قلت لك[4]؟!

النذير:

وجاء البراء بن عازب، فضرب الباب علىٰ بني هاشم، وقال:

---

(١) إن هذا الموقف يوضح بجلاء جماع سياسة الخليفتين من شدّة ولين.

(٢) الطبري ٣ / ٤٥٥ ـ ٤٥٩، وط. أوربا ١ / ١٨٤٣. (وتندر عضوك) كذا جاء ويعني تسقط أعضاؤك.

(٣) في كتابه السقيفة، راجع ابن أبي الحديد ١ / ١٣٣، وفي ص ٧٤ منه بلفظ آخر.

(٤) ابن عبد ربّه في العقد الفريد ٤ / ٢٥٨، وأبو بكر الجوهري في كتابه السقيفة برواية ابن أبي الحديد عنه في ١ / ١٣٢، ويروي تفصيله في ص ٧٤ منه. والزبير بن بكار في الموفقيات، ص ٥٧٧ ـ ٥٨٠ و ٥٨٣ و ٥٩٢. كما يروي عنه ابن أبي الحديد في شرح النهج ٢ / ٢ ـ ١٦، في شرحه: (ومن كلام له في معنى الأنصار).

يا معشر بني هاشم! بويع أبو بكر.

فقال بعضهم لبعض: ما كان المسلمون يحدثون حدثاً نغيب عنه ونحن أولىٰ بمحمّد.

فقال العباس: فعلوها وربِّ الكعبة!

وكان عامّة المهاجرين وجلّ الأنصار، لا يشكّون أنّ عليّاً هو صاحب الأمر بعد رسول الله (ص)[1].

وكان المهاجرون والأنصار لا يشكُّون في عليّ[2].

روى الطبري: أنّ (أسلم) أقبلت بجماعتها حتىٰ تضايق بهم السِّكك فبايعوا أبا بكر، فكان عمر يقول:

(ما هو إلّا أن رأيتُ اسلم، فأيقنت بالنصر)[3].

فلمّا بويع أبو بكر، أقبلت الجماعة الّتي بايعته تزفُّه زفّاً إلىٰ مسجد رسول الله (ص)، فصعد على المنبر ـ منبر رسول الله (ص) ـ فبايعه الناس، حتّىٰ أمسىٰ، وشُغِلُوا عن دفن رسول الله (ص) حتىٰ كانت ليلة الثلاثاء[4].

البَيْعَة العامّة:

ولمّا بويع أبو بكر في السَّقيفة وكان في الغد، جلس أبو بكر على المنبر،

---

(١) الموفقيات للزبير بن بكار، ص ٥٨٠.

(٢) اليعقوبي ٢ / ١٠٣، وشرح النهج لابن أبي الحديد ١ / ٧٤.

(٣) الطبري ٢ / ٤٥٨، وط. أوربا ١ / ١٨٤٣. وفي رواية ابن الأثير ٢ / ٢٢٤: (وجاءت أسلم فبايعت). وقال الزّبير بن بكار في الموفقيات برواية النهج ٦ / ٢٨٧، «فقوي بهم أبو بكر» ولم يعيِّنا متىٰ جاءت أسلم، ويقوى الظنّ أن يكون ذلك يوم الثلاثاء. وقال المفيد في كتابه «الجَمَل»: إنّ القبيلة كانت قد جاءت لتمتار من المدينة. (الجمل، ص ٤٣).

(٤) الموفقيات، ص ٥٧٨. والرياض النضرة ١ / ١٦٤. وتاريخ الخميس ١ / ١٨٨.

فقام عمر، فتكلّم قبل أبي بكر، فحمد الله وأثنىٰ عليه...، وذكر أنّ قوله بالأمس لم يكن من كتاب الله ولا عهداً من رسوله، ولكنَّه كان يرىٰ أن الرسول سيدبِّر أمرهم ويكون آخرهم. ثمّ قال:

وإنّ الله قد أبقىٰ فيكم كتابه الّذي به هدىٰ رسوله.

فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له.

وإنّ الله قد جمع أمركم علىٰ خيركم صاحب رسول الله (ص) ثاني اثنين إذ هما في الغار؛ فقوموا فبايعوه.

فبايع الناس أبا بكر بيعته العامَّة بعد بيعة السَّقيفة.

وفي البخاري: (وكان طائفة منهم قد بايعوه قبل ذلك في سقيفة بني ساعدة، وكانت بيعة أبي بكر العامّة على المنبر). قال أَنس بن مالك: (سمعت عمر يقول لأبي بكر يومئذ: إِصعد المنبر. فلم يزل به حتّىٰ صعد المنبر فبايعه الناس عامّة).

ثمّ تكلّم أبو بكر، فحمد الله وأثنىٰ عليه ثمّ قال:

(أمّا بعد، أيُّها الناس! فإنِّي قد وُلِّيتُ عليكم، ولستُ بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوّموني ـ إلىٰ قوله ـ: أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله، فلا طاعة لي عليكم. قوموا إلىٰ صلاتكم، يرحمكم الله)[1].

---

(١) ابن هشام ٤ / ٣٤٠. والطبري ٣ / ٢٠٣ (وط. أوربا ١ / ١٨٢٩). وعُيون الأخبار لابن قتيبة ٢ / ٢٣٤. والرياض النضرة ١/ ١٦٧. وابن كثير ٥/ ٢٤٨. والسيوطي في تاريخ الخلفاء، ص ٤٧. وكنز العمال ٣ / ١٢٩، ح ٢٢٥٣. والحلبية ٣ / ٣٩٧. وذكر البخاري في صحيحه ٤ / ١٦٥، كتاب الأحكام، باب الإستخلاف عن أنس، خطبة عمر باختلاف يسير.

وممّن ذكر خطبة أبي بكر فقط، أبو بكر الجوهري في كتابه: السقيفة، حسب رواية ابن أبي الحديد عنه ١ / ١٣٤. وصفوة الصفوة ١ / ٩٨.

بعد بيعة أبي بكر العامّة:

(توفِّي رسـول الله يوم الاثنـين حين زاغت الشّمس، فشغل الناس عـن دفنه)[1].

شُغِلَ الناس عن رسول الله بقيّة يوم الاثنين حتّىٰ عصر الثلاثاء:

أوّلاً: بخُطب السَّقيفة.

ثمّ: ببيعة أبي بكر الأُولىٰ ثمّ ببيعته العامّة وخُطبته وخُطبة عمر حتّىٰ صلّىٰ بهم.

قالوا: (فلمّا بويع أبوبكـر، أقبل النـاس عـلىٰ جـهاز رسـول الله يـوم الثلاثاء)[2]. (ثمّ دخل الناس يصلّون عليه)[3]. (وصُلّي على رسول الله بغير إمام. يدخلُ عليه المسلمون زُمَراً زُمَراً يصلّون عليه)[4].

بعد دفن الرسول (ص):

اندحر سعد ومرشِّحوه، وبقي عليّ وجماعته ـ بعد أن أصبحوا أقـلّية ـ يتناحرون وحزب أبي بكر الظافر وكلّ يجتهد في جلب الأنصار لحوزته.

قال الزّبير بن بكار: لمّا بويع أبوبكر واستقرّ أمره، ندم قوم كثير من الأنصار علىٰ بيعته، ولامَ بعضهم بعضاً، وذكروا عليّ بن أبي طالب، وهتفوا باسمه[5].

---

(١) طبقات ابن سعد ٢ / ق ٢ / ٧٨، ط. لِيدن.

(٢) سيرة ابن هشام ٤ / ٣٤٣. والطبري ٢ / ٤٥٠ وط. أوربا ١ / ١٨٣٠. وابن الأثير ٢ / ١٢٦. وابن كثير ٥ / ٢٤٨. والحلبيّة ٣ / ٣٩٢ و ٣٩٤. وهذا الأخير لم يعيِّن اليوم الذي انتهوا فيه من بيعة أبي بكر وأقبلوا علىٰ جهاز رسول الله (ص).

(٣) ابن هشام ٤ / ٣٤٣.

(٤) طبقات ابن سعد ٢ / ق ٢ / ٧٠. والكامل لابن الأثير، ج ٢، في ذكر حوادث سنة ١١ هـ.

(٥) الموفقيات، ص ٥٨٣.

قال اليعقوبي وابن أبي الحديد[1]:

وتخلّف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين والأنصار، ومالوا مع عليّ بن أبي طالب، منهم العبّاس بن عبد المطّلب والفضل بن العبّاس، والزّبير بن العوام، وخالد بن سعيد، والمقداد بن عمرو[2]، وسلمان الفارسيّ، وأبو ذر الغفاري، وعمّار ابن ياسر، والبراء بن عازب[3]، وأُبيّ بن كعب[4]، فأرسل أبو بكر إلىٰ عمر بن الخطاب وأبي عُبيدة بن الجرّاح، والمغيرة بن شعبة.

فقال: ما الرأي؟

---

(١) في تاريخه ٢ / ١٢٤ ـ ١٢٥. والسّقيفة لأبي بكر الجوهري حسب رواية ابن أبي الحديد ٢ / ١٣، والتفصيل في ١ / ٧٤ منه. وبلفظ قريب منه في الإمامة والسياسة ١ / ١٤.

(٢) المقداد بن الأسود الكندي: هو ابن عَمْرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن عامر بن مطرود البهراني. أصاب دماً في قومه، فلحق بحَضْرَموت، فحالف كندة، وتزوّج امرأة، فولدت له المقداد. فلمّا كبر المقداد، وقع بينه وبين أبي شمر بن حجر الكندي، فضرب رجله بالسيف، وهرب إلىٰ مكّة فحالف الأسود بن عبد يغوث الزّهري فتبنّاه الأسود، فصار يقال له: المقداد بن الأسود الكندي. فلمّا نزلت: ﴿أُدعُوهم لِآبَائِهِم﴾ الأحزاب / ٥ قيل له: المقداد بن عَمْرو.
وقال الرسول: «إن الله عزّ وجلّ أمرني بحبِّ أربعة من أصحابي وأخبرني أنه يحبّهم» فقيل: من هم؟ فقال: «عليّ والمقداد وسلمان وأبو ذرّ». توفّي سنة ٣٣هـ. الإستيعاب بهامش الإصابة ٣/ ٤٥١. والإصابة ٣ / ٤٣٣ ـ ٤٣٤.

(٣) أبو عمرو البراء بن عازب بن الحارث بن عَدِي بن جشم بن مجدعة بن الحارث بن عمرو ابن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي: كان ممّن استصغره الرسول يوم بدر وردّه. وغزا مع الرسول ١٤ غزوة وشهد مع عليّ الجمل وصفين والنّهروان. سكن الكوفة وابتنىٰ بها داراً وتوفّي بها في إمارة مصعب بن الزّبير. الإستيعاب بهامش الإصابة ١ / ١٤٣ ـ ١٤٤. والإصابة ١ / ١٤٦.

(٤) أُبيّ بن كعب بن قيس بن عُبيد بن زيد بن معاوية بن عَمْرو بن مالك بن النّجار: وهو تَيم اللّات بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج الأكبر. شهد العقبة الثانية وبايع النبيّ فيها وشهد بدراً وما بعدها، وكان من كتّاب النبيّ. مات في آخر خلافة عمر أو صدر خلافة عثمان. الإستيعاب ١ / ٢٧ ـ ٣٠. والإصابة ١ / ٣١ ـ ٣٢.

قالوا[1]: الرأي أن تلق العباس بن عبد المطّلب، فتجعل له في هذا الأمر نصيباً يكون له ولعقبه من بعده، فتقطعون به ناحية عليّ بن أبي طالب (وتكون لكما حجّة)[2] علىٰ عليّ إذا مال معكم.

فانطلق أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجرّاح والمغيرة، حتّىٰ دخلوا على العباس ليلاً[3]، فحمد الله أبو بكر وأثنىٰ عليه، ثمّ قال:

إنّ الله بعث محمّداً نبيّاً وللمؤمنين وليّاً، فمنّ عليهم بكونه بين أظهرهم حتّىٰ اختار له ما عنده، فخلّىٰ على الناس أُمورهم[4] ليختاروا لأنفسهم في مصلحتهم مشفقين[5]. فاختاروني عليهم والياً ولأُمورهم راعياً.

فوليت ذلك وما أخاف بعون الله وتسديده وَهناً، ولا حيرةً، ولا جُبناً، وما توفيقي إلّا بالله عليه توكّلت وإليه أُنيب.

وما أنفكّ يبلغُني عن طاعن بقولِ الخلاف علىٰ عامّة المسلمين يتّخذكم لجأً، فتكونوا حصنه المنيع، وخطبه البديع، فإمّا دخلتم مع الناس في ما اجتمعوا عليه، وإمّا صرفتموهم عمّا مالوا إليه. ولقد جئناك ونحن نريد أن نجعل لك في هذا الأمر نصيباً يكون لك، ويكون لمن بعدك من عقبك، إذ كنتَ عمَّ رسول الله، وإن كان الناس قد رأوا مكانك ومكان صاحبك (فعدَلوا الأمر عنكم)[6] علىٰ رسْلكم بني هاشم، فإنّ رسول الله منّا ومنكم.

---

(١) في نص الجوهري أنّ قائل هذا الرأي هو المغيرة بن شعبة، وهذا هو الأقرب إلى الصواب.

(٢) هذه الزيادة في نسخة الإمامة والسياسة ١ / ١٤.

(٣) في رواية ابن أبي الحديد أن ذلك كان في الليلة الثانية بعد وفاة النبيّ.

(٤) إنّ ضمير (هم) موجود في رواية ابن أبي الحديد.

(٥) في نسخة الإمامة والسياسة وابن أبي الحديد ١ / ٧٤: (متفقين) وهو الأشبه بالصواب.

(٦) الزيادة في نسخة ابن أبي الحديد والإمامة والسياسة.

فقال عمر بن الخطاب: وأُخرىٰ إنّا لم نأتكم لحاجةٍ إليكم، ولكن كُرهاً أن يكون الطعن في ما اجتمع عليه المسلمون منكم، فيتفاقم الخطب بكم وبهم، فانظروا لأنفسكم!

فحمد العبّاس الله وأثنىٰ عليه، وقال: إنّ الله بعث محمّداً كما وصفت نبياً، وللمؤمنين وليّاً، فمنّ علىٰ أُمّته به، حتّىٰ قبضه الله إليه واختار له ما عنده، فخلّىٰ على المسلمين أُمورهم، ليختاروا لأنفسهم مصيبين الحقّ لا مائلين بزيغ الهوىٰ.

فإن كنتَ برسول الله طلبتَ، فحقّنا أخذتَ، وإن كنتَ بالمؤمنين أخذتَ فنحن منهم. فما تقدّمنا في أمرك فَرَطاً، ولا حَلَلْنا وسطاً، ولا بَرحنا سخطاً، وإن كان هذا الأمر وجب لك بالمؤمنين، فما وجب إذ كنّا كارهين.

ما أبعد قولك من أنّهم طعنوا عليك من قولك إنّهم اختاروك ومالوا إليك!

وما أبعد تسميتك خليفة رسول الله من قولك خلّىٰ على الناس أُمورهم ليختاروا فاختاروك!

فأمّا ما قلت: إنك تجعله لي، فإن كان حقّاً للمؤمنين فليس لك أن تحكم[1] فيه، وإن كان لنا فلم نرض ببعضه دون بعض، وعلىٰ رسلك فإنّ رسول الله من شجرة نحن أغصانها وأنتم جيرانها.

فخرجوا من عنده.

نهاية أمر المعارضة

وروىٰ مُعَمَّر عن الزُّهري عن أُمّ المؤمنين عائشة في حديثها عمّا جرىٰ بين فاطمة وأبي بكر حول ميراث النبيّ (ص) قالت:

---

(١) في نسخة الجوهري والإمامة والسياسة: فإن يكن حقّاً لك فلا حاجة لنا فيه.

فهجرته فاطمة، فلم تُكَلِّمه حتّىٰ تُوفّيت، وعاشت بعد النبيّ (ص) ستّة أشهر.

فلمّا تُوفيت دفنها زوجها، ولم يؤذِن بها أبا بكر وصلّىٰ عليها.

وكان لعليّ من الناس وجـه حياة فاطمة، فلمّا تُوفّيت فاطمة انـصرفت وجوه الناس عن عليّ. ومكثت فاطمة ستّة أشهر بعد رسول الله (ص) ثمّ توفّيت.

قال معمّر:

فقال رجل للزُّهري: أفلم يبايعه عليّ ستّة أشهر؟

قال: لا[1]، ولا أحد من بني هاشم حتّىٰ بـايعه عـليّ. فـلمّا رأىٰ عـلي انصراف وجوه الناس عنه ضَرَع إلىٰ مصالحة أبي بكر... الحديث[2].

وقال البلاذري:

---

(١) في تيسير الوصول ٢ / ٤٦: (قال: لا والله ولا أحد من بني هاشم).

(٢) قد أوردت هذا الحديث مختصراً من كلّ من الطبري ٢ / ٤٤٨ (وط. أوربا ١ / ١٨٢٥). وصحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ٣ / ٣٨. وصحيح مسلم ١ / ٧٢، و٥ / ١٥٣، باب قول رسول الله: «نحن لا نورث؛ ما تركناه صدقة»، وابن كثير ٥ / ٢٨٥ ـ ٢٨٦، وابن عبد ربّه ٤ / ٢٦٠. وقد ذكره ابن الأثير ٢ / ١٢٦ مختصراً. والكنجي في كفاية الطالب، ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦. وابن أبي الحديد ١ / ١٢٢. والمسعودي ٢ / ٤١٤ من مروج الذهب. وفي التنبيه والإشراف له، ص ٢٥٠: (ولم يبايع عليّ حتىٰ توفِّيت فاطمة). والصواعق ١ / ١٢. وتاريخ الخميس ١ / ١٩٣. وفي الإمامة والسياسة ١ / ١٤: أن بيعة عليّ كانت بعد وفاة فاطمة. وأنها قد بقيت بعد أبيها ٧٥ يوماً. وفي الإستيعاب ٢ / ٢٤٤: أن عليّاً لم يبايعه إلّا بعد موت فاطمة. وأبو الفداء ١ / ١٥٦. والبـدء والتاريخ ٥ / ٦٦. وأنساب الأشراف ١ / ٥٨٦. وفي أُسد الغابة ٣ / ٢٢٢ بترجمة أبي بكر: (كانت بيعتهم بعد ستّة أشهر على الأصحّ). وقال اليعقوبي ٢ / ١٢٦ (لم يبايع عليّ إلّا بعد ستّة أشهر). وفي الغدير ٣ / ١٠٢ عن الفصل لابن حزم، ص ٩٦ ـ ٩٧: (وجدنا عليّاً رضي الله عنه تأخر عن البيعة ستة أشهر).

لمّا ارتدّت العرب، مشىٰ عُثمان إلىٰ عليّ فقال: يا ابن عمّ! انّه لا يخرج أحد إلىٰ قتال هذا العدوّ، وأنت لم تبايع.

فلم يزل به حتّىٰ مشى إلىٰ أبي بكر فبايعه. فسُرّ المسلمون، وجدّ الناس في القتال وقطعت البعوث[1].

ضرع عليّ إلىٰ مصالحة أبي بكر بعد وفاة فاطمة وانصراف وجوه الناس عنه، غير أنّه بقي يشكو ممّا جرىٰ عليه بعد وفاة النبيّ حتّىٰ في أيّام خلافته. وذكر شكواه في خطبته المشهورة بالشّقشقيّة[2].

المنافرة بين القبيلين بعد بيعة أبي بكر:

ونتج ممّا وقع بين الأنصار والمهاجرين[3] أن تهاجت الفئتان فقال ابن أبي عزة القرشي:

قل للأُلىٰ طلبوا الخلافة زلّة ... لم يخط مثل خطاهم مخلوق

إن الخلافة في قريش ما لكم ... فيها ورب محمّد معروق[4]

ولمّا بلغ قوله الأنصار طلبوا إلىٰ شاعرهم النعمان بن عجلان الزرقي أن يجيب، فقال شعراً منه:

فقل لقريش نحن أصحاب مكة ... ويوم حنين والفوارس في بدر

إلىٰ قوله:

---

(١) أنساب الأشراف ١ / ٥٨٧.

(٢) راجع الخطبة رقم ٣ من نهج البلاغة؛ وابن أبي الحديد ١ / ٥٠.

(٣) تاريخ الطبري ط. أوربا (١ / ١٨٣٨ ـ ١٨٤٩)؛ وابن أبي الحديد ٢ / ٧، ٨، ١٢ و١٣.

(٤) المعروق: ذو العرق أي الأصل والنسب.

وقلتم حرام نصب سعد ونصبكم   عتيق بن عثمان حلال أبا بكـر[1]

الأبيات

ثمّ اجتمع سفهاء قريش، وخطبوا في ذلك وهاجوا، فبلغ الخبر عليّاً، فأتىٰ المسجد مغضباً، وخطب فيه وقال:

(يا معشر قريش! ان حبّ الأنصار إيمان، وبغضهم نفاق، وقد قضوا ما عليهم وبقي ما عليكم...) الخطبة.

ثمّ أمر ابن عمه الفضل أن ينصر الأنصار بشعره، فأنشد أبياتاً منها:

إنّمـــا الأنـصار سـيف قــاطع   من تصبه ظبّة السيف هلك[2]

فطلب الأنصار من حسان أن يجيبه، فقال:

جـزى الله عـنّا والجـزاء بكـفه   أبا حسن عنّا ومن كأبي حسن

الأبيات

وخطب عليّ بعد ذلك في المسجد وقال في خطبته:

«فوَالله لو زالت الأنصـار لزلت معهم» لأنّ رسـول الله قـال: «لو زالت الأنصار لزلت معهم».

فقال المسلمون جميعاً: رحمك الله يا أبا الحسن! قلت قولاً صادقاً، وبذلك هدّأ الإمام عليّ الثائرة في الثانية كما هدّأها في الأولىٰ ابن عمّه الرسول[3].

وكانت هذه أوّل بادرة لانقسام الأُمّة إلىٰ قسمين: مضري، وفيهم الإمرة حتّى الخلافة العباسية، ويماني، وقد حرموا منها أبد الدهر، والتحق بكل قبيلة

(١) عتيق: اسم أبي بكر واسم أبيه عثمان.

(٢) ظبة السيف: حده. راجع أخبار السقيفة في الموفقيات للزبير بن بكار، ص ٥٧٩ ـ ٦٠١.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٢٩.

حلفاء نسبوا إليها، ونسي نسبهم ممّن انتسلوا منهم، وموالٍ دعوا بنسب العشيرة والتحقوا بها، وكان هذا الدخيل وذلك اللصيق يشاركان في سرّاء القبيلة وضرّائها، ويدافعان عن القبيلة كالأصيل، والقبيلة تحتضنها كما تحتضن أبناءها.

وبقيت الحالة في المجتمع الإسلامي كذلك إلىٰ عصر الخلافة العباسية.

أمّا سياسة الخلافة، فقد بقي الحكم قرشياً علىٰ عهد الخليفتين أبي بكر وعمر، فلم يولّيا على الأجناد: الكوفة والبصرة والشام ومصر[1] من الانصار أحداً، وكذلك لم يؤمّروهم على الجيوش الغازية. وفي هذا الصدد قال اليعقوبي عن خبر تجهيز أبي بكر الجيوش وتأميره الأُمراء في تاريخه:

(لمّا عقد لخالد بن الوليد قام ثابت بن قيس بن الشمّاس فقال: يا معشر قريش! أما كان فينا رجل يصلح لما تصلحون له؟

أمّا والله ما نحن عميا عما نرىٰ، ولا صما عما نسمع، ولكن أمرنا رسول الله (ص) بالصبر فنحن نصبر.

وقام حسان بن ثابت فقال:

يا للرجال لخلفة الأطوار ... ولما أراد القوم بالأنصار

لم يدخلوا منا رئيساً واحداً ... يا صاح في نقض ولا إمرار)[2]

فعظم علىٰ أبي بكر هذا القول، فجعل على الأنصار ثابت بن قيس، وانفذ خالداً على المهاجرين، وولىٰ ـ أيضاً ـ لقتال من تخلف عن بيعته ومنع الزكاة من أهل اليمن زياد بن لبيد البياضي من ذوي ارومتهم، وقد ذكرنا خبره في آخر الجزء الثاني من عبدالله بن سبأ.

* * *

(١) في فجر الإسلام كان يقال للبلد الّذي فيه معسكر المسلمين: الجند.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٢٩ ـ ١٣٠.

بناءً علىٰ ما أوردناه اتّضح أنّ قريشاً استولت على الحكم بعد الرسول (ص) على أساس قبلي وأصبح طابع الحكم قبليّاً قرشيّاً اسلاميّاً، وعلىٰ أساس العرف القبلي أبعدت الأنصار من الحكم وتولية الجيوش المقاتلة والبلاد المفتوحة.

وكان هذا وذاك خصيصة الحكم وخصيصة المجتمع علىٰ عهد الخليفة أبي بكر، وفي ما يأتي ندرس خصيصة المجتمع علىٰ عهد الخليفة عمر بإذنه تعالىٰ.

خصائص المجتمع الإسلامي علىٰ عهد الخليفة عمر

استخلاف عمر وبيعته:

عندما حضر أبو بكر دعا عثمان خالياً[1] فقال:

أُكتب: بسم الله الرّحمٰن الرّحيم هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة إلى المسلمين، أمّا بعد.

قال: ثمّ أُغمي عليه فذهب عنه، فكتب عثمان:

أمّا بعد، فإنّي استخلفت عليكم عمر بن الخطّاب ولم آلكم نصحاً.

ثمّ أفاق أبو بكر، فقال: إقرأ عليَّ.

فقرأ عليه، فكبّر أبو بكر وقال: أراك خفت أن يختلف النّاس إن افتُلتت نفسي في غشيتي؟

قال: نعم.

قال: جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله.

وأقرّها أبو بكر (رض) من هذا الموضع.

وذكر قبل ذلك عن عمر أنّه كان جالساً والنّاس معه وبيده جريدة ومعه شديد مولىٰ لأبي بكر معه الصحيفة الّتي فيها استخلاف عمر، وعمر يقول: (أيّها

---

(١) دعاه خالياً: انفرد به خلوة.

الناس اسمعوا وأطيعوا قول خليفة رسول الله إنّه يقول إنّي لم آلكم نصحاً)[1].

كم من الفرق بين موقف أبي حفص هذا وموقفه من كتابة وصيّة الرسول (ص) !؟

سياسة الخلافة علىٰ عهد الخليفة عمر:

اتضحت سياسة الخلافة القرشية علىٰ عهد الخليفة عمر أكثر ممّا كانت عليه في عهد الخليفة أبي بكر، فإنّه لم يولّ طول حكمه (١٢ سنة) من الأنصار أحداً على الجيوش الغازية، ولا على البلاد المفتوحة، بل كان ذلك حكراً لبطون قريش عدا بطن هاشم منهم.

وأفصح الخليفة عمر عن سبب ذلك في محاوراته الثلاث الآتية مع ابن عباس:

روى الطبري محاورتين جرتا بين الخليفة عمر وابن عباس وقال:

قال الخليفة في إحداهما لابن عباس:

ما منع قومكم منكم؟ ـ أي ما منع قومكم قريشاً من ولايتكم ـ.

قال ابن عباس: لا أدري!

قال عمر: لكنّي أدري، يكرهون ولايتكم لهم!

قال ابن عباس: لِمَ ونحن لهم كالخير!؟

قال: غفراً؛ يكرهون أن تجتمع فيكم النبوّة والخلافة فيكون بَجَحاً بَجَحاً. لعلّكم تقولون: إن أبا بكر فعل ذلك، لا والله ولكن أبا بكر أتىٰ أحزم ما حضره ... الحديث.

---

(١) تاريخ الطبري، ط. أوربا ١ / ٢١٣٨.

وفي الثانية قال:

يا ابن عباس! أتدري ما منع قومكم منكم بعد محمّد (ص)؟

فكرهتُ أن أُجيبه، فقلت: إن لم أكن أدري فأمير المؤمنين يُدريني.

فقال عمر: كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة والخلافة، فتَبْجَحوا علىٰ قومكم بجحاً بجحاً؛ فاختارت قريش لأنفسها فأصابت ووُفّقَتْ.

فقلت: يا أمير المؤمنين! إن تأذن لي في الكلام وتُمِط عنّي الغضب تكلّمتُ.

فقال: تكلم يا ابن عباس.

فقلت: أمّا قولك ـ يا أمير المؤمنين ـ اختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفقت، فلو أنّ قريشاً اختارت لأنفسها حيث اختار الله عزّ وجلّ لها لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود.

وأمّا قولك: إنهم كرهوا أن تكون لنا النبوة والخلافة؛ فإن الله عزّ وجلّ وصف قوماً بالكراهية فقال: ﴿ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾.

فقال عمر: هيهات والله يا ابن عباس؛ قد كانت تبلغني عنك أشياء كنت أكره أن أُقِرَّكَ عليها فتزيل منزلتك مني.

فقلت: وما هي يا أمير المؤمنين؟ فإن كانت حقّاً فما ينبغي أن تزيل منزلتي منك، وإن كانت باطلاً فمثلي أماط الباطل عن نفسه.

فقال عمر: بلغني أنك تقول: إنّما صرفوها عنا حسداً وظلماً.

فقلت: أما قولك ـ يا أمير المؤمنين ـ ظلماً فقد تبين للجاهل والحليم.

وأمّا قولك حسداً؛ فإن إبليس حسد آدم فنحن ولده المحسودون.

فقال عمر: هيهات! أبت والله قلوبكم ـ يا بني هاشم ـ إلّا حسداً ما يحول، وضغناً وغشاً ما يزول.

فقلت: مهلاً يا أمير المؤمنين! لا تصِف قلوب قوم أذهب الله عنهم

الرجس وطهرهم تطهيراً بالحسد والغش ؛ فإن قلب رسول الله (ص) من قلوب بني هاشم.

فقال عمر: إليك عنّي يا ابن عباس.

فقلت: أفعل.

فلما ذهبت أقوم، استحيا مني، فقال:

يا ابن عباس مكانك! فوَالله إنّي لراعٍ لحقّك محبٌّ لما سرك.

فقلت: يا أمير المؤمنين! إن لي عليك حقاً وعلىٰ كل مسلم؛ فمن حفظه فحظه أصاب، ومن أضاعه فحظه أخطأ. ثمّ قام فمضىٰ.

روى المسعودي محاورة ثالثة دارت بين الخليفة وابن عباس بعد موت عامل حمص حيث خاطب الخليفة ابن عباس بقوله:

يا ٱبن عباس! إنّ عامل حمص هلك، وكان من أهل الخير ـ وأهل الخير قليل ـ وقد رجوت أن تكون منهم، وفي نفسي منك شيء لم أره منك، وأعياني ذلك، فما رأيك في العمل؟

قال: لن أعمل حتّىٰ تخبرني بالّذي في نفسك.

قال: وما تريد إلىٰ ذلك؟

قال: أُريده، فإن كان شيئاً أخاف منه علىٰ نفسي، خشيتُ منه عليها الذي خشيتَ، وإن كنت بريئاً من مثله علمت أنّي لست من أهله، فقبلت عملك هنالك، فإنّي قلّما رأيتك طلبت شيئاً إلّا عاجلته.

فقال: يا ابن عباس! إنّي خشيت أن يأتي عليّ الّذي هو آت وأنت في عملك فتقول: هلمّ إلينا ولا هلمّ إليكم دون غيركم... الحديث[1].

---

(١) الأُولىٰ والثانية في ذكر سيرة عمر من حوادث سنة ٢١ هـ من تاريخ الطبري، ط. مصر ←

دراسة المحاورات الثلاث:

تدل المحاورتان الأُوليان أن أهل الحل والعقد من مهاجرة قريش، كانوا قد اتفقوا على السّعي لتولّي الحكم بعد الرسول (ص) دون بني هاشم، ومسار السياسة القرشية بعد الرسول (ص) يدلّ علىٰ أنّه كان منهم الخلفاء الثلاثة أبو بكر وعمر وعثمان وعبدالرّحمٰن بن عوف وأبو عبيدة وسالم مولىٰ أبي حذيفة أمّا الأربعة الأوائل فلاتفاقهم في تعيين الخلفاء الثلاثة واحداً بعد الآخر، وأما الأخيران فلقول الخليفة عمر عندما طعن:

لو كان أبو عبيدة حيّاً لاستخلفته... ولو كان سالم مولىٰ أبي حذيفة حيّاً لاستخلفته.

وتدل المحاورة الثالثة أن الخليفة كان مهتماً بأمر تعيين الخليفة من بعده وألّا يليها أحد من بني هاشم، وقد نفّذ رغبته ورغبة القرشيين في تعيينه كيفية عمل الشورىٰ من بعده عندما قال:

(... وإذا اجتمع رأي ثلاثة وثلاثة فاتّبعوا رأي عبدالرّحمٰن بن عوف، وإن صفّق عبدالرّحمٰن بإحدىٰ يديه على الأُخرىٰ فاتّبعوه).

وعلىٰ هذا فقد كان عند عبدالرّحمٰن بن عوف كلمة السرّ في تعيين الخليفة.

وكانت كلمة السرّ شرط عبدالرّحمٰن في البيعة أن يعمل الخليفة بكتاب الله وسنّة رسوله (ص) وسيرة الشيخين.

وكانوا يعلمون أنّ الهاشمي الوحيد بينهم الإمام عليّاً لا يوافق على البيعة بالعمل بسيرة الشيخين إلىٰ جنب العمل بكتاب الله وسنّة رسوله (ص)، ووقع ذلك عندما قال الإمام عليّ في جواب عبدالرّحمٰن:

← الأُولىٰ، ١/ ٣٠ـ ٣٢، وط. أوربا ١ / ٢٧٦٨ ـ ٢٧٧٢، والثانية منها أيضاً في تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٤ ـ ٢٥، واللفظ للطبري، والثالثة في مروج الذهب للمسعودي ٢ / ٣٢١ ـ ٣٢٣.

(إنّ كتاب الله وسنّة نبيّه لا يحتاج معهما إلىٰ إجّيري أحد).

والاجّيري: العادة والطريقة.

و (أيضاً ـ يُعرف التخطيط لتولي عثمان الخلافة بعد عمر من قوله لسعيد ابن العاص عندما خطّ له من الأرض ليوسع سعيد داره وقال: يا أمير المؤمنين! زدني، فقال: حسبك واختبئ عندك، إنّه سيلي الأمر من بعدي من يصل رحمك ويقضي حاجتك).

قال سعيد: فمكثت خلافة عمر بن الخطّاب حتّى استخلف عثمان وأخذها عن شورىٰ ورضا فوصلني وأحسن وقضىٰ حاجتي وأشركني في أمانته[1].

وفي ما يأتي تفصيل خبر الشورىٰ وبيعة عثمان:

الشّورىٰ وبيعة عثمان:

قال ابن عبد ربّه في العقد الفريد:

لمّا طعن الخليفة عمر قيل له: لو استخلفت. فقال:

لو كان أبو عبيدة بن الجرّاح حيّاً لاستخلفته، فإن سألني ربِّي قلت: نبيّك يقول: إنّه أمين هذه الأُمّة.

ولو كان سالم مولىٰ أبي حذيفة حيّاً لاستخلفته، فإن سألني ربِّي قلت: سمعت نبيّك يقول: إنّ سالماً ليحبّ الله حبّاً لو لم يخف الله ما عصاه[2].

وإنّهم قالوا له: يا أمير المؤمنين! لو عهدت.

فقال: لقد كنت أجمعت بعد مقالتي لكم أن أُولّي رجلاً أمركم أرجو أن

---

(١) راجع تفصيل هذه الأخبار ومصادرها في بحث: (أخبار السقيفة إلىٰ بيعة عثمان) من المجلد الأول من كتابنا معالم المدرستين.

(٢) العقد الفريد ٤ / ٢٧٤، أوردناه ملخصاً.

يحملكم على الحقّ ـ وأشار إلىٰ عليّ ـ ثمّ رأيت أن لا أتحمَّلها حيّاً وميّتاً... الخ.

وفي تاريخ الطبري أنّهم عادوا اليه، فقالوا: يا أمير المـؤمنين! لو عهدتَ عهداً!

فقال: قد كنت أجمعت بعد مقالتي لكم أن أنظر فأولّيَ رجلاً أمرَكم؛ هو أحراكم أن يحملكم على الحقّ ـ وأشار إلىٰ عليّ ـ ورَهِقتْني غَشية، فرأيت رجلاً دخل جنة قد غرسها، فجعل يقطف كل غضّة ويانعة، فيضمّه إليه ويصيّره تحته؛ فعلمتُ أنّ الله غالب أمزه، ومتوفٍّ عمر؛ فما أُريد أن أتحمّلها حيّاً وميتاً؛ عليكم هؤلاء الرّهط...[1].

وروى البلاذري في أنساب الأشراف[2]، قال عمر: أُدعوا لي عليّاً وعثمان وطلحة والزّبير وعبدالرّحمٰن بن عوف وسعد بن أبي وقّاص، فلم يكلِّم أحداً منهم غير عليّ وعثمان، فقال: يا عليّ! لعلَّ هؤلاء سيعرفون لك قرابتك من النَّبيّ(ص) وصهرك وما أَنالك الله من الفقه والعلم، فإن وليت هذا الأمر فاتَّق الله فيه.

ثمّ دعا عثمان وقال: يا عثمان، لعلّ هـؤلاء القوم يعرفون لك صهرك من رسول الله وسِنّك، فإن وليت هذا الأمر فاتّقِ الله ولا تحمل آل أبي مُعيط على رقاب النّاس.

ثمّ قال: ادعوا لي صُهَيْباً. فدُعي، فقال: صلِّ بالناس ثلاثاً، وليخل هؤلاء النفر في بيت، فإذا اجتمعوا علىٰ رجل منهم، فمن خالفهم فاضربوا رأسه. فلمّا خرجوا من عند عمر قال: إن وَلّوها الأجلح سلك بهم الطريق[3].

---

(١) تاريخ الطبري، ط. أوربا ١ / ٢٧٧٧.

(٢) أنساب الأشراف ٥ / ١٦.

(٣) وقريب منه ما في طبقات ابن سعد، ج ٤، ق ١، ص ٢٤٧. وراجع ترجمة عمر من ←

وفي الرِّياض النّضرة: (لله درّهم إن ولّوها الأُصيلع كيف يحملهم على الحقّ وإن كان السيف علىٰ عنقه)[1].

وروى البـلاذري في أنساب الأشراف: أنّ عمر بن الخطّاب أمر صهيباً مولىٰ عبدالله بن جُدعان حين طعن أن يجمع إليه وجوه المهاجرين والأنصار. فلمّا دخلوا عليه، قال: إنِّي جعلت أمركم شورى إلىٰ ستّة نفر مـن المـهاجرين الأوّلين الّذين قبض رسول الله (ص) وهو عنهم راضٍ ليختاروا أحدهم لإمامتكم ـ وسمّاهم ـ، ثمّ قال لأبي طلحـة زيد بن سهل الخزرجي: اختر خمسين رجلاً من الأنصـار يكونوا معك، فإذا توفّيت فاستَحِثّ هـؤلاء النّـفر حتّىٰ يختاروا لأنفسهم وللأُمّة أحدهم ولا يتأخَّروا عن أمرهم فوق ثلاث.

وأمر صهيباً أن يصلّي بالناس إلىٰ أن يتّفقوا علىٰ إمام.

وكان طلحة بن عبيدالله غائباً في ماله بالسراة[2]، فقال عـمر: إن قـدم طلحة في الثـلاثة الأيام، وإلّا فلا تنتـظروه بعدها وأبرموا الأمـر وأصرمـوه، وبايعوا من تتّفقون عليه، فمن خالف عليكم فاضربوا عنقه.

قال: فبعثوا إلىٰ طلحة رسولاً يستحثّونه ويستعجلونه بالقدوم، فلم يرد المدينة إلّا بعد وفاة عمر والبيعة لعثمان. فجلس في بيته وقال: أعلىٰ مثلي يُفتات!

فأتاه عثمان، فقال له طلحـة: إن رددت أتـرُدّه؟ قال: نعم. قال: فـانّي أمضيته. فبايعه. وقريب منه ما في العقد الفـريد ٢ / ٧٢. وط. دار التأليـف، القاهرة، سنة ١٣٦٣ هـ، ٤ / ٢٧٥ ـ ٢٨٠.

← الإستيعاب ومنتخب الكنز ٤ / ٤٢٩، وجلح فلان: سار سيراً شديداً، وجلح في الأمر: أقدم ومضىٰ وركب رأسه فيه، ويقصد منه الإمام عليّاً.

(١) الرياض النضرة، ط. ٢ بمصر ١٣٧٣هـ، ٢ / ٩٥. والاصلع: المنحسر شعر رأسه، وكان الإمام عليّ أصلع الرأس.

(٢) السّراة: الجبل الّذي فيه طرف الطائف ويقال لأماكن أُخرىٰ. معجم البلدان.

وروىٰ في ص ٢٠ منه، قال:

فقال عبدالله بن سعد بن أبي سرح: ما زلت خائفاً لأن ينتقض هذا الأمر حتّىٰ كان من طلحة ما كان، فوصلَته رَحِم، ولم يزل عثمان مكرماً لطلحة حتّىٰ حُصِر فكان أشدّ الناس عليه.

وروى البلاذري في ٥ / ١٨ من كتابه أنساب الأشراف بسند ابن سعد قال:

(قال عمر: ليتبع الأقل الأكثر، فمن خالفكم فاضربوا عنقه).

وروىٰ في ص ١٩ منه: عن أبي مِخْنَف أنّه قال:

(أمر عمر أصحاب الشورىٰ أن يتشاوروا في أمرهم ثلاثاً، فإن اجتمع اثنان علىٰ رجل واثنان علىٰ رجل، رجعوا في الشورىٰ، فإن اجتمع أربعة علىٰ واحد وأباه واحد كانوا مع الأربعة، وإن كانوا ثلاثة وثلاثة كانوا مع الثلاثة الّذين فيهم ابن عوف إذ كان الثقة في دينه، ورأيه المأمون على الإختيار للمسلمين). وقريب منه ما في العقد الفريد ٣ / ٧٤، وط. دار التأليف، القاهرة، سنة ١٣٦٣هـ، ٤ / ٢٧٦.

وروىٰ أيضاً عن هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، أنّ عمر قال: (إن اجتمع رأي ثلاثة وثلاثة، فاتّبعوا صفّ عبدالرّحمٰن بن عوف واسمعوا وأطيعوا) وأخرجه ابن سعد في الطبقات ٣/ ق ١ / ٤٣.

وفي تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٦٠: وروى البلاذري في أنساب الأشراف ٥ / ١٥ أنّ عمر قال:

(إنّ رجالاً يقولون إنّ بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرها، وإنّ بيعة عمر كانت عن غير مشورة، والأمر بعدي شورىٰ، فإذا اجتمع رأي أربعة فليتّبع الاثنان الأربعة، وإذا اجتمع رأي ثلاثة وثلاثة، فاتّبعوا رأي عبدالرّحمن بن عوف،

فاسمعوا وأطيعوا، وإن صفّق عبدالرّحمٰن بإحدىٰ يديه على الأُخرىٰ فاتّبعوه).

وروى المتّقي في كنز العمال ٣ / ١٦٠، عن محمّد بن جُبَيْر عن أبيه، أنّ عمر قال:

(إن ضرب عبدالرّحمٰن بن عوف إحدىٰ يديه على الأُخرىٰ فبايعوه).

وعن أسلم أنّ عمر بن الخطاب قال:

(بايعوا لمن بايع له عبدالرّحمٰن بن عوف، فمن أبىٰ فاضربوا عنقه).

إذاً فالخليفة عمر قد نبأ سعيد بن العاص أنّه سيلي بعده ذو رحم سعيد وهو عثمان وطلب منه أن يخبئ الأمر عنده؛ ويتّضح من هذه المحاورة أنّ أمر تولية عثمان الخلافة كان قد بُتّ فيه في حياة الخليفة عمر، وتعيين السـتّة في الشّورىٰ كان من أجل تمرير هذا الأمر بصورة مرضية لدى الجميع.

الإمام عليّ (ع) يعلم بأنّ الخلافة قد زُوِيَت عنه:

كان الإمام عليّ يعلم بأنّ الخلافة زُويت عنه وإنّما اشترك معهم في الشّورىٰ كي لا يقال: هو الّذي زهد في الخلافة. ويدلّ علىٰ أنّه كان يعلم ما بيِّت له، الحديث الآتي:

روى البلاذري في ٥ / ١٩ من كتابه أنساب الأشراف:

إنّ عليّاً شكا إلىٰ عمّه العبّاس ما سمع من قول عمر: كونوا مع الّذين فيهم عبد الرّحمن بن عوف، وقال: والله لقد ذهب الأمر منّا. فقال العبّاس: وكيف قلت ذلك يا ابن أخي؟ فقال: إن سعداً لا يخالف ابن عمّه عبد الرّحمن وعبد الرّحمن نظير عثمان وصهره فأحدهما لا يخالف صاحبه لا محالة. وإن كان الزبير وطلحة معي فلن انتفع بذلك إذ كان ابن عوف في الثلاثة الآخرين.

وقال ابن الكلبي: عبدالرّحمٰن بن عوف زوج أُمّ كلثوم بنت عقبة بن أبي

مُعيط وأُمّها أَزوىٰ بنت كُرَيز وأروىٰ أُمّ عثمان فلذلك قال صهره. وقريب منه ما في العقد الفريد ٣ / ٧٤. وفي ط. لجنة التأليف ٤ / ٢٧٦.

وفي تاريخ الطبري أنّ عمّاراً قال قبل بيعة عبد الرحمن لعثمان: إن أردت ألّا يختلف المسلمون فبايع علياً.

فقال المقداد بن الأسود: صدَق عمّار؛ إن بايعت عليّاً قلنا: سمعنا وأطعنا.

قال ابن أبي سرح: إن أردت ألّا تختلف قريش فبايع عثمان. فقال عبدالله ابن أبي ربيعة: صَدق؛ إن بايعتَ عثمان قلنا: سمعنا وأطعنا. فشتم عمّار ابن أبي سَرْح، وقال: متىٰ كنت تنصح المسلمين!

فتكلم بنو هاشم وبنو أُميّة، فقال عمار: أيُّها الناس! إنّ الله عزّ وجلّ أكرمنا بنبيّه، وأعزّنا بدينه، فأنّىٰ تصرفون هذا الأمر عن أهل بيت نبيّكم!

فقال رجل من بني مخزوم: لقد عدوتَ طورَك يا بن سميّة؛ وما أنت وتأمير قريش لأنفسهم!

فقال سعد بن أبي وقاص: يا عبدالرّحمٰن! افرغ قبل أن يفتتن الناس.

فقال عبدالرّحمٰن: إنّي قد نظرت وشاورت، فلا تجعلُنَّ أيُّها الرهط علىٰ أنفسكم سبيلاً.

ودعا عليّاً، فقال: عليك عهد الله وميثاقه لتعْمَلنّ بكتاب الله وسنّة رسوله وسيرة الخليفتين من بعده؟

قال: أرجو أن افعل وأعمل بمبلغ علمي وطاقتي.

ودعا عثمان فقال له مثل ما قال لعليّ، قال: نعم، فبايعه.

فقال عليّ: حبوتَه حَبْوَ دهر؛ ليس هذا أوّل يوم تظاهرتم فيه علينا؛ فصبر جميل والله المستعان علىٰ ما تصفون؛ والله ما ولّيتَ عثمان إلّا ليردّ الأمر

إليك؛ والله كلّ يوم هو في شأن.

فقال عبدالرّحمٰن: يا عليّ! لا تجعل علىٰ نفسك سبيلاً؛ فإنّي قد نظرت وشاورتُ الناس؛ فإذا هم لا يعدلون بعثمان.

فخرج عليّ وهو يقول: سيبلغ الكتاب أجله.

فقال المقداد: يا عبدالرّحمٰن! أمّا والله لقد تركتَه من الّذين يقضون بالحقّ وبه يعدلون.

فقال: يا مقداد؛ والله لقد اجتهدتُ للمسلمين؛ قال: إن كنتَ أردت بذلك الله فأثابك الله ثواب المحسنين. فقال المقداد: ما رأيتُ مثل ما أوتي إلىٰ أهل هذا البيت بعد نبيّهم. إني لأعجب من قريش أنّهم تركوا رجلاً ما أقول إنّ أحداً أعلم ولا أقضىٰ منه بالعدل. أما والله لو أجد عليه أعواناً!

فقال عبد الرّحمٰن: يا مقداد! اتّق الله؛ فإني خائف عليك الفتنة.

فقال رجل للمقداد: رحمك الله! مَن أهل هذا البيت ومَن هذا الرجل؟

قال: أهل البيت بنو عبد المطلب، والرجل عليّ بن أبي طالب.

فقال عليّ: إنّ الناس ينظرون إلىٰ قريش، وقريش تنظر إلىٰ بيتها فتقول: إن وُلِّيَ عليكم بنو هاشم لم تخرج منهم أبداً، وما كانت في غيرهم من قريش تداولتموها بينكم[1].

وروى البلاذري ـ أيضاً ـ وقال:

(لمّا دفن عمر، أمسك أصحاب الشورىٰ وأبو طلحة يؤمُّهم، فلم يحدثوا شيئاً، فلمّا أصبحوا جعل أبو طلحة يَحوشُهم للمناظرة في دار المال.

---

(١) تاريخ الطبري، ط. أوربا ١ / ٢٧٨٦ ـ ٢٧٨٧.

وكان دفن عمر يوم الأحد وهو الرابع من يوم طُعِنَ، وصلّىٰ عليه صهيب ابن سِنان.

قال: فلمّا رأىٰ عبدالرّحمٰن تناجي القوم وتناظرهم، وأنّ كلّ واحد منهم يدفع صاحبه عنها، قال لهم: يا هؤلاء أنا أُخرج نفسي وسعداً علىٰ أن أختار يامعشر الأربعة أحدكم، فقد طال التناجي وتطلّع الناس إلىٰ معرفة خليفتهم وإمامهم، واحتاج من أقام الإنتظار ذلك من أهل البلدان الرجوع إلىٰ أوطانهم.

فأجابوا إلىٰ ما عرض عليهم إلّا عليّاً، فإنّه قال: أنظر.

وأتاهم أبو طلحة، فأخبره عبدالرّحمٰن بما عرض، وبإجابة القوم إيّاه، إلّا عليّاً، فأقبل أبو طلحة علىٰ عليّ فقال: يا أبا الحسن إنّ أبا محمّد ثقة لك وللمسلمين، فما بالك تخالف وقد عدل الأمر عن نفسه، فلن يتحمّل المأثم لغيره؟

فأحلف عليّ عبدالرّحمٰن بن عوف أن لايميل إلىٰ هوىٰ، وأن يُؤثر الحقّ وأن يجتهد للأُمّة، وأن لايُحابي ذا قرابة، فحلف له، فقال: اختر مسدَّداً.

وكان ذلك في دار المال ويقال في دار المِسْوَرِ بن مَخرمة.

ثمّ إنّ عبدالرّحمٰن أحلف رجلاً رجلاً منهم بالأيمان المغلظة، وأخذ عليهم المواثيق والعهود أنّهم لا يخالفونه إن بايع منهم رجلاً، وأن يكونوا معه علىٰ من يناوئه، فحلفوا علىٰ ذلك، ثمّ أخذ بيد عليّ، فقال له: عليك عهد الله وميثاقه إن بايعتك أن لا تحمل بني عبد المطّلب علىٰ رقاب الناس، ولتسيرنَّ بسيرة رسول الله (ص) لا تحول عنها ولا تقصر في شيء منها.

فقال عليّ: لا أحمل عهد الله وميثاقه علىٰ ما لا أُدركه ولا يدركه أحد. من ذا يطيق سيرة رسول الله (ص)، ولكنّي أسير من سيرته بما يبلغه الإجتهاد منّي، وبما يمكنني وبقدر علمي.

فأرسل عبد الرّحمٰن يده.

ثمّ أحلف عثمان وأخذ عليه العهود والمواثيق أن لا يحمل بني أُميّة علىٰ رقاب الناس وعلىٰ أن يسير بسيرة رسول الله (ص) وأبي بكر وعمر ولا يخالف شيئاً من ذلك، فحلف له.

فقال عليّ: قد أعطاك أبو عبدالله الرِّضا فشأنك فبايعه، ثمّ إنّ عبد الرّحمٰن عاد إلىٰ عليّ فأخذ بيده وعرض عليه أن يحلف بمثل تلك اليمين أن لا يخالف سيرة رسول الله وأبي بكر وعمر.

فقال عليّ: عَلَيَّ الإجتهاد، وعثمان يقول نعم، عَلَيَّ عهد الله وميثاقه وأشدّ ما أخذ علىٰ أنبيائه أن لا أُخالف سيرة رسول الله (ص) وأبي بكر وعمر في شيء ولا أقصر عنها.

فبايعه عبد الرّحمٰن وصافقه وبايعه أصحاب الشورىٰ، وكان عليّ قائماً، فقعد، فقال له عبد الرحمن: بايع وإلّا ضربت عنقك.

ولم يكن مع أحد يومئذ سيف غيره، فيقال: إنّ عليّاً خرج مغضباً فلحقه أصحاب الشورىٰ، فقالوا: بايع وإلّا جاهدناك، فأقبل معهم يمشي حتّىٰ بايع عثمان)[1].

وفي هذا الخبر حذف من أوّله قول عبد الرّحمٰن (وسيرة الشيخين) ونقل أوّل كلام الإمام عليّ بتصرُّف وحذف آخره؛ وتمام الخبر في الرواية الآتية:

في تاريخ اليعقوبي، ط. بيروت ٢ / ١٦٢: أنّ عبد الرحمن خلا بعليّ بن أبي طالب، فقال: لنا الله عليك، إن وليت هذا الأمر، أن تسير فينا بكتاب الله وسنّة نبيّه وسيرة أبي بكر وعمر.

فقال: أسير فيكم بكتاب الله وسنّة نبيّه ما استطعت.

---

(١) أنساب الأشراف ٥ / ٢١ ـ ٢٢.

فخلا بعثمان فقال له: لنا الله عليك، إن وليت هذا الأمر، أن تسير فينا بكتاب الله وسنّة نبيّه وسيرة أبي بكر وعمر.

فقال: لكم أن أسير فيكم بكتاب الله وسنّة نبيّه وسيرة أبي بكر وعمر.

ثمّ خلا بعليّ فقال له مثل مقالته الأُولىٰ، فأجابه مثل الجواب الأول.

ثمّ خلا بعثمان، فقال له مثل المقالة الأُولىٰ، فأجابه مثل ما كان أجابه، ثمّ خلا بعلي فقال له مثل المقالة الأُولىٰ، فقال: إنّ كتاب الله وسنّة نبيّه لا يحتاج معهما إلىٰ إجّيري[1] أحد، أنت مجتهد أن تزوي هذا الأمر عنّي.

فخلا بعثمان فأعاد عليه القول، فأجابه بذلك الجواب، وصفق علىٰ يده.

دراسة الأخبار السابقة:

في خبر عبدالله بن أُبيّ وأبي عامر الفاسق اللّذين جاءا في المجلّد الأوّل وإن كان الدافع ممّا فعلاه الحسد على الرسول (ص) بسبب انّ الأوّل منهما كان الأوس والخزرج اتفقوا علىٰ تتويجه ملكاً عليهم وبعد هجرة الرسول (ص) إلى المدينة أهمل أمره.

والثاني منهما كان ينتظر أن يكون هو النبي الّذي بشرت اليهود ببعثته، فلما رأىٰ أن المبعوث بالرسالة غيره ـ أيضاً ـ قام بما قام به. غير أن أفراد قبائلهما الّذين التفوا حولهما كان ذلك منهم تعصباً لرئيس قبيلتهم ولم يكن له سبب آخر.

والأمر بالنسبة إلى المهاجرين من قريش أوضح فإن تعصّب الصحابي أبي بكر لرئيس من قبيلته قريش وهو كافر، واضح لا غموض فيه.

وخبر عبدالله بن عمرو بن العاص في نهي قريش إياه أن يكتب حديث

---

(١) الإجّيري ـ بالكسر والتشديد ـ: العادة والطريقة.

الرسول(ص) معللين نهيهم إياه بأنّ الرسول(ص) بشر يتكلّم في الرِّضا والغضب يدلّ إضافة إلى الدلالة علىٰ تعصّبهم القبلي، أنّ عبدالله كان قد كتب من حديث الرسول (ص) ما فيه إيضاح لمواقف بعض قريش من الرسول (ص) والرسالة ومواقف آخرين في تأييد الرسول والرسالة، وكان ذلك وصمة علىٰ قبيلة قريش في مقابل إثبات فضائل الآخرين، وأنّهم لدفع ذلك اجترأوا على الرسول (ص)، وقالوا: إنّه بشر يتكلّم في الرِّضا والغضب، ليمنعوا عبدالله عن كتابة حديث الرسول (ص) أوّلاً، ويسقطوا ما ينتشر من حديث الرسول في هذا الباب عن الإعتبار ثانياً، وإنّ جميع الأطراف الّذين ذكرناهم اتّخذوا تلك المواقف بسبب التعصّب القبلي.

وفي ضوء ما ذكرناه ندرس ما وقع بعد حياة الرسول (ص) في السقيفة:

توفّي الرسول (ص)، وانصرف عليّ والعباس ومن معهما بتجهيزه ودفنه، فاجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة وتركوا جنازة الرسول (ص) بين أهله، وخطب فيهم سعد بن عبادة الخزرجي وهو مريض، وقال: استبدّوا بهذا الأمر دون الناس، فأجابوه بأجمعهم أن وفّقت في الرأي وأصبت في القول، نولّيك هذا الأمر!!

من الواضح أنّ الأنصار لم يستندوا في ما فعلوا إلىٰ كتاب الله ولا سنّة رسوله بل كان باعثهم إلىٰ ذلك التعصّب القبلي الجاهلي، وصدق الله حيث يقول:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي ٱللهُ ٱلشَّاكِرِينَ﴾.

(آل عمران / ١٤٤)

وكذلك كان شأن المهاجرين من قريش، كما يتّضح ذلك ـ أيضاً ـ من أقوالهم.

فقد قال أبو بكر: (لن يعرف هذا الأمر إلّا لهذا الحي من قريش هم اوسط العرب نسباً وداراً).

وقال عمر:

من ذا ينازعنا سلطان محمّد وإمارته ونحن أولياؤه وعشيرته.

وقال الحباب بن المنذر:

لا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه، فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر، فإن أبوا عليكم ما سألتموهم فاجلوهم عن هذه البلاد.

ولمّا تمّت بيعة أبي بكر تهاجت القبيلتان فقال ابن أبي عزة القرشي:

قل للأُلىٰ طلبوا الخلافة زلّة ... لم يخط مثل خطاهم مخلوق

إنّ الخلافة في قريش ما لكم ... فيها وربّ محمّد معروق

فطلب الأنصار من شاعرهم النعمان بن عجلان ان يجيب فقال شعراً منه قوله:

فقل لقريش نحن أصحاب مكّة ... ويوم حنين والفوارس في بدر

الأبيات

ثمّ اجتمع سفهاء قريش وخطبوا في ذلك وهاجوا فبلغ الخبر عليّاً فأتى المسجد مغضباً وخطب فيه وقال:

يا معشر قريش! إنّ حبّ الأنصار إيمان وبغضهم نفاق... الخطبة.

فقال المسلمون جميعاً: (رحمك الله يا أبا الحسن، قلت قولاً صادقاً).

وهكذا هدّأ الإمام عليّ الثائرة بين الحيّين.

وبعد ذلك لمّا جهز أبو بكر الجيوش للقتال لم يؤمّر أحداً من الأنصار فقام ثابت بن قيس الشمّاس فقال: يا معشر قريش! أما كان فينا رجل يصلح لما تصلحون له؟

أما والله ما نحن عمياً عمّا نرىٰ، ولا صمّاً عمّا نسمع ولكن أمرنا رسول الله بالصبر فنحن نصبر.

وقام حسان بن ثابت فقال:

يا للـرِّجال لخـلفة الأطـوار ... ولـمّـا أراد القـوم بـالأنصار

لم يدخلوا منّا رئيساً واحداً ... يا صاح في نقض ولا إمـرار

فجعل أبو بكر على الأنصار ـ من الجيش ـ ثابت بن قيس، واستمرّت بعد ذلك سياسة الحكم القرشيّ علىٰ ما أُسس عليه دونما تغيير، ومن ثمّ عـيّن الخليفة أبو بكر من بعده الصحابي القرشيّ عمر للحكم وقام الخليفة الثاني بتنفيذ السياسة القرشية علىٰ عهده بكل شدّة وعنف كما ندرس اخبارها في بحث من تاريخ القرآن الآتي إن شاء الله تعالىٰ، وكان من أُصول سياسة الخلافة القرشية تداول الحكم في بطون قريش دون بطن هاشم كما مرّ بنا في محاورة الخليفة مع ابن عبّاس.

خلاصة البحوث:

كانت قبيلة قريش في الجاهلية بحكم أحوالها الإجتماعية والجغرافية ذات طبيعة استكبارية اسـتعلائية، فقد كانت ترىٰ في نسبها أنّها من سلالة نبي الله إسماعيل وإبراهيم (ع) دون جميع قبائل العرب، وأنّها في أحسابها تتشرّف بسدانة بيت الله الحرام، والقيام بإطعام ضيوف الله من جمـيع قـبائل العـرب في الحـج وإروائهم، وتقام حوالي بلدهم أسواق العرب.

وتضيف إلىٰ حسابها إهلاك الله جيش ابرهة الغازي لبـلدها، وازدادت تعالياً وبغياً وطغياناً بامتلاكها ثروات ضخمة بسبب تجارتها في رحلتي الشتاء والصيف، وصدق الله العظـيم، حيث يـقـول: ﴿إِنَّ ٱلْإِنْسَـانَ لَـيَطْغَىٰ * أَن رَآهُ ٱسْتَغْنَىٰ﴾.

وبسبب ما أنعم الله عليها من الأمن والدعة لمكان بيت الله الحرام في بلدهم في حين ان الإنسان العربي كان من حولهم يتخطف في غير الاشهر الحرم ويغزو بعضهم بعضاً ويقتل ويسبي ويسلب.

أدّىٰ كل ذلك بهم إلى التمادي في أنواع الدّعارة والفجور، في هذه الأحوال ومن هذه القبيلة المستكبرة المتغطرسة أرسل الله من أوسطها نسباً وأشرفها حسباً خاتم أنبيائه محمّداً (ص) إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً، فقابلته قريش وقاومته بكل ما أُوتيت من حَوْل وقوّة، وعذّبت المستضعفين ممّن آمن به إلىٰ حدِّ الموت كما مرّ بنا بعض أخبارهم في بحث المجتمع الّذي نزل فيه القرآن. فأوعز النبيّ إلى المؤمنين أن يهاجروا إلى الحبشة بعيداً عن بلدهم وعن كل ما يملكون فيه من وسائل الحياة، وحفظ الله نبيّه بحماية شيخ مكة وسيدها أبي طالب إيّاه، حتّىٰ إذا توفّي ناصره وحاميه تآمرت قريش علىٰ قتله بعد ان التقىٰ به رجال من الأوس والخزرج في الحج في عامين متواليين وبايعوه على القيام بنصرته وتسلّل إلى المدينة متدرّجاً من استطاع ممّن بقي من المؤمنين به، وخرج هو في ليلة تآمرهم علىٰ قتله من مكة والتحق بهم في المدينة وأشاد فيها أوّل مجتمع إسلامي أسّس بنيانه على التآخي بين أهله مِنَ الأوس والخزرج ومَنْ هاجر إليهم من قريش والتآلف والتحالف مع مواطني المدينة من اليهود، فلم تتركه قريش وشأنه في مهجره، بل جهّزت لقتاله جيشاً بعد جيش، فأذن الله لرسوله قتالهم وقال ـ سبحانه ـ:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۞ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا ٱللَّهُ ...﴾. (الحجّ / ٣٩، ٤٠)

وواجهت قريش رسول الله (ص) في معارك أشهرها: بدر وأُحد والخندق وفي خلال حروبه مع قريش قلبَ له حلفاؤه اليهود ظهر المجنّ، ونقضوا ما عاهدوا الله عليه، وحاولوا اغتياله فأجلىٰ منهم قبيلتين من المدينة.

وفي غزوة الخندق تآمرت عليه آخر قبيلة بقيت منهم في المدينة مع قريش وحلفائها فأخزاهم الله جميعاً ورجعت قريش خائبة، وقضى الله ورسوله علىٰ شأن اليهود في المدينة.

وفي السنة السادسة من الهجرة وقعت مناظرة بين الأنصار والمهاجرين بسبب شجار وقع بين أجيرين: القرشي المهاجري والأنصاري القحطاني، أظهر بسببه عبدالله بن أُبي أحد زعماء الأنصار نفاقه وقال: ﴿لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ (المنافقون / ٨).

قصد من الأعزّ نفسه ومن الأذلّ المهاجرين من قريش، فأخزاه الله وأذلّه، وكشف عن نفاقه في ما أنزل علىٰ نبيِّه من القرآن في سورة المنافقون.

كان ذلكم مثالاً واحداً يكشف عمّا يدور في خلد ضعاف النفوس من أفراد قبائل اليمانيين في المدينة.

ومثال آخر منه ما جرىٰ في خبر أبي عامر الفاسق كما سبق ذكره.

وإلىٰ هذا المجتمع انتقل المهاجري القرشي بأحسابه وأنسابه كما ينجلي ذلك:

أوّلا: في قول أبي بكر لسلمان وصهيب وبلال عندما قالوا في شأن أبي سفيان: والله ما أخذت سيوف الله من عنق عدوّ الله مأخذها. قال أبو بكر: أتقولون هذا لِشيخ قريش وسيِّدهم؟

ثانياً: في ما رواه عبدالله بن عمرو بن العاص وقال: نهتني قريش وقالوا تكتب كل شيء سمعته من رسول الله (ص) ورسول الله بشر يتكلّم في الرضا والغضب... الحديث، كما مرّ تفصيل الخبرين في ما سبق.

وفي السنة السابعة من الهجرة وادع رسول الله (ص) قريشاً، وتفرّغ بعد ذلك لليهود، واتّجه إلىٰ مراكز التآمر على المسلمين في خيبر وفتح حصونهم حصناً بعد حصن وقراهم في وادي القرىٰ قرية بعد قرية، ولم يبق بعد ذلك في الحجاز

قوّة يهودية تتآمر على الإسلام والمسلمين.

وعاهد نصارىٰ نجران الرسول (ص)، وعلىٰ أثر ذلك بدأت قبائل العرب ترسل وفودها إلى الرسول (ص) تعلن إسلامها، وفي هذا الحال نقضت قريش عهدها في صلح الحديبية مع الرسول (ص)، وقتلت من خزاعة حلفاء الرسول (ص) فسار الرسول إلىٰ مكة في السنة الثامنة من الهجرة مع عشرة آلاف من المسلمين فاستسلمت قريش، ودخلت في الإسلام زرافات ووحداناً.

وبعد ذلك انتقل أبو سفيان وغيره من سادة قريش إلىٰ عاصمة الإسلام المدينة واجتمعوا مع أفراد قبائلهم من مهاجرة قريش وتكاثر عددهم وامتهنوا التجارة ونمت ثرواتهم.

وهكذا انقسم سكان المدينة إلى اليمانيين من قبائل الأنصار والعدنانيين من قبائل قريش.



هذه بعض خصائص المجتمع القبلي علىٰ عهد أبي بكر وعمر، وفي ما يأتي ندرس بإذنه تعالىٰ أخبار القرآن بعد الرسول (ص).

أخبار القرآن بعد الرسول (ص)

أوردنا في ما سبق أخبار القرآن في حياة الرسول، ونذكر في ما يأتي أخبار القرآن بعد وفاة الرسول بدءاً بما يتصل خبره بحياة الرسول (ص) بحوله تعالىٰ.

من المؤسف حقاً: أن العلماء لم يفكّروا في أنّ الرسول (ص)، الّذي بُعث لتبليغ القرآن وجمعه وبيانه كما شرحناه في أوّل البحث، كان يستكتب أربعين كاتباً لما يعنيه من أمر، وكان كلما نزلت آية أمر بعضهم أن يكتبها في مكانها من السورة الّتي عينها الله كذلك، هل حفظ هذا الرسول (ص) نسخة من القرآن خاصة به في بيته أم لم يفعل؟

إنّ العلماء لم يفكروا في هذا الأمر ليبحثوا في مضامين الأخبار والأحاديث لعلهم يجدون في هذا الشأن خبراً وأثراً، ووفقنا الله تعالىٰ ذكره لذلك وتوصلنا إلى النتيجة الآتية بمنه وكرمه:

أمر الرسول (ص) الإمام عليّاً أن يجمع القرآن الّذي كان في بيته[1]:

أ ـ روى النديم في الفهرست، ص ٤١ بسنده عن عليّ (ع) وقال: انّه رأىٰ من الناس طيرة عند وفاة النبيّ (ص)، فأقسم انّه لا يضع عن ظهره رداءه حتىٰ يجمع القرآن، فجلس في بيته ثلاثة أيام حتّىٰ جمع القرآن، فهو أوّل مصحف جمع فيه القرآن من قلبه...[2].

---

(١) كما سيأتي في بحث: أين كان القرآن الّذي جمعه الإمام عليّ.

(٢) الفهرست للنديم، ص ٤١ ـ ٤٢، وقريب منه في الإتقان للسيوطي ١ / ٥٩، وطبقات ابن ←

ب ـ في حلية الأولياء لأبي نعيم بسنده عن الإمام عليّ أنّه قال: لمّا قبض رسول الله (ص) أقسمت أن لا أضع ردائي عن ظهري حتّىٰ أجمع ما بين اللوحين، فما وضعت ردائي حتىٰ جمعت القرآن[1].

ج ـ روى السيوطي في الإتقان بسنده عن ابن سيرين انّه قال عن الإمام عليّ (ع): (أنّه كتب في مصحفه الناسخ والمنسوخ وانّه قال: تطلبت ذلك الكتاب وكتبت فيه إلى المدينة فلم أقدر عليه)[2].

د ـ روىٰ ـ أيضاً ـ ابن سعد في الطبقات عن ابن سيرين انّه كتبه علىٰ تنزيله فلو اصيب ذلك الكتاب كان فيه علم[3].

هـ ـ في كتاب سليم بن قيس قال: روي عن الصحابي سلمان أنّه أخبر عن الإمام (ع) بعد وفاة النبيّ (ص) وقال:

لزم بيته، وأقبل على القرآن يؤلفه ويجمعه، فلم يخرج من بيته حتّىٰ جمعه، فكان في الصحف والشظاظ والاسيار والرقاع، فلمّا جمعه كلّه وكتبه بيده، تنزيله وتأويله والناسخ منه والمنسوخ، بعث إليه أبو بكر أن أُخرج فبايع.

فبعث إليه عليّ (ع) إنّي لمشغول، وقد آليت علىٰ نفسي ان لا أرتدي رداء

← سعد ٢ / ٣٣٨. وما جاء في بعض الروايات: (جمع فيه القرآن من قلبه) وفي أُخرىٰ: (وكتبه بيده) إمّا أن يكون من أوهام الرّواة أو من أوهام النسّاخ، فإنّه لا يتيسّر كتابة القرآن عن ظهر قلب في ثلاثة أيّام، ثمّ إنّهم اتفقوا علىٰ انّه كان في تلك النسخة علم، أي تفسير الآيات، وعليه فلا يتيسّر كتابته في ثلاثة أيّام، وإنّما الّذي قام به الإمام عليّ (ع) ربط ما كتب من آي السور بعضها ببعض بخيط.

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم ١ / ٦٧؛ وتاريخ القرآن للآبياري، ص ٨٤.

(٢) الإتقان للسيوطي ١ / ٥٩؛ ومناهل العرفان ١ / ٢٤٧؛ وطبقات ابن سعد ٢ / ٣٣٨؛ والصواعق المحرقة، ص ١٢٦؛ وتاريخ القرآن للزنجاني، ص ٤٨.

(٣) طبقات ابن سعد ٢ / ٣٣٨؛ وط. أوربا ٢ / ق٢ / ١٠١؛ وتاريخ الخلفاء، ص ١٨٥؛ وكنز العمال ٢ / ٣٧٣؛ والصواعق المحرقة، ص ١٢٦.

إلّا للصلاة، حتىٰ أؤلف القرآن وأجمعه. فسكتوا عنه أياماً، فجمعه في ثوب واحد وختمه، ثمّ خرج إلى الناس وهم مجتمعون مع أبي بكر في مسجد رسول الله (ص)، فنادىٰ عليّ (ع) بأعلىٰ صوته: أيُّها الناس! إنّي لم أزل منذ قبض رسول الله (ص) مشغولاً بغسله، ثم بالقرآن حتىٰ جمعته كله في هذا الثوب الواحد، فلم ينزل الله علىٰ رسول الله آية إلّا وقد جمعتها، وليست منه آية إلّا وقد أقرأنيها رسول الله وعلمني تأويلها، ثمّ قال لهم عليّ (ع): لئلّا تقولوا غداً إنّا كنّا عن هذا غافلين، ثمّ قال لهم عليّ (ع): لا تقولوا يوم القيامة إنّي لم أدعكم إلىٰ نصرتي، ولم أذكّركم حقي، ولم أدعكم إلىٰ كتاب الله من فاتحته إلىٰ خاتمته.

فقال له عمر: ما أغنانا بما معنا من القرآن ممّا تدعونا إليه، ثمّ دخل عليّ (ع) بيته[1].

وانفرد اليعقوبي في تاريخه (٢ / ١٣٤) وجاء عن بعضهم انّه قال: (ان عليّ ابن أبي طالب كان جمعه ـ أي القرآن ـ لما قبض النبي (ص) وأتىٰ به يحمله علىٰ جمل، فقال: هذا القرآن قد جمعته وكان قد جزّأه سبعة أجزاء، فالجزء الأوّل ...).

وقال الكلبي:

لمّا توفّي رسول الله (ص) قعد عليّ بن أبي طالب (ع) في بيته، فجمعه علىٰ ترتيب نزوله. ولو وجد مصحفه لكان فيه علم كبير[2].

وقال عكرمة:

لو آجتمعت الانس والجن علىٰ أن يُؤلّفوه كتأليف عليّ بن أبي طالب (ع) ما آستطاعوا[3].

---

(١) كتاب سليم بن قيس الهلالي، ص ١٨ ـ ١٩، وذكر ابن كثير موجز هذه الأخبار في (فضائل القرآن من ذيل تفسيره) ص ٢٨.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل ١ / ٤.

(٣) الإتقان للسيوطي ١ / ٥٩.

وأرى الصحيح في ذلك ما رواه الشهرستاني من أنّه حمله وغلامه، وانّه كان حمل بعير، في مقدّمة تفسيره مفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرار في تفسير القرآن:

أنّه كان في مصحفه المتن والحواشي.

ويروي انّه لما فرغ من جمعه أخرجه هو وغلامه قنبر إلى الناس، وهم في المسجد يحملانه ولا يقلانه.

وقيل انّه كان حمل بعير، وقال لهم: هذا كتاب الله كما أنزل الله علىٰ محمّد (ص) جمعته بين اللوحين.

فقالوا: ارفع مصحفك لا حاجة بنا إليه.

فقال: والله لا ترونه بعد هذا أبداً، إنما كان عليّ ان اخبركم به حين جمعته. فرجع إلىٰ بيته...[1].

اذاً فقد حمله الإمام مع غلامه قنبر، وكان حمل بعير، وليس حمله علىٰ جمل وذلك لأن بيت الإمام عليّ كان بابه يفتح إلى المسجد.

وينبغي لنا أن ندرس خبر سليم بن قيس وأصله.

أصل سليم أو كتاب سليم:

لأبي صادق سليم بن قيس الهلالي العامري صاحب الإمام عليّ(ع) كتاب. وأدرك سائر الأئمة إلى الإمام الباقر (ع).

روى الكتاب عنه مناولة أبان بن أبي عياش كما رواه عنه النديم في أخبار فقهاء الشيعة وما صنفوه من الكتب وقال:

قال محمّد بن إسحاق (ت: ١٥١هـ): من أصحاب أمير المؤمنين (ع) سليم

---

(١) تفسير الشهرستاني، المقدّمة، الورقة ١٥أ.

ابن قيس الهلالي، وكان هارباً من الحجّاج، لأنّه طلبه ليقتله، فلجأ إلىٰ أبان بن أبي عيّاش، فآواه، فلمّا حضرته الوفاة، قال لأبان: إنّ لك عليَّ حقاً، وقد حضرتني الوفاة ياابن أخي، إنّه كان من أمر رسول الله (ص) كيت وكيت وأعطاه كتاباً، وهو كتاب سليم بن قيس الهلالي المشهور رواه عنه أبان بن أبي عياش لم يروه عنه غيره.

وقال أبان في حديثه: وكان ـ سليم بن ـ قيس شيخاً له نور يعلوه... الحديث[1].

روىٰ عنه المسعودي في التنبيه والإشراف[2] وقال:

(... ما ذكره سليم بن قيس الهلالي في كتابه الّذي رواه عنه أبان بن أبي عياش أنّ النبيّ (ص) قال لأمير المؤمنين عليّ بن ابي طالب (ع)...) الحديث.

وروى الفضل بن شاذان (ت: ٢٦٠هـ) وقال: حدثنا محمّد بن إسماعيل بن بزيغ قال حدّثنا ابن عيسىٰ (ت: ٢٠٨هـ).. ذكرت هذا الحديث عند مولاي أبي عبدالله ـ أي الصادق (ع) ـ فبكىٰ، وقال: صدق سليم.

ويروي الكتاب عن سليم بغير مناولة جمع من الرواة ذكرهم الشيخ آغا بزرك في الذريعة (٢ / ١٥٢).

وقد روى عن الكتاب جمع من علماء الإمامية مثل الكليني والصدوق ومن جاء بعدهما.

وينبغي مقابلة الكتاب المتداول بيننا باسم (أصل سليم) بما رواه أُولئك

---

(١) الفهرست، الفن الخامس من المقالة السادسة، أخبار فقهاء الشيعة وأسماء ما صنّفوه من كتب، ص ٣٠٧، وط. طهران، ص ٢٧٥. وفي الأصل (قيس) ونراه من غلط الناسخ والصحيح ما أثبتناه.

(٢) كتاب التنبيه والإشراف، ص ١٩٨ ـ ١٩٩.

الأعلام عنه، فإنّ الكتاب المطبوع والمتداول بين أيدينا لم يسلم من التحريف، شأنه شأن مقتل أبي مخنف، فإنّ ما رواه عنه الطبري سليم، والكتاب المطبوع باسم مقتل أبي مخنف فيه بعض التحريف.

ينبغي أن ندرس من خبر تدوين الإمام عليّ القرآن ما يأتي:

١ ـ اهتمام الإمام عليّ (ع) بجمع القرآن:

من أجل أن نفهم مغزىٰ هذا العمل من الإمام ينبغي ان ندرسه مقارناً باهتمامه بتجهيز جثمان الرسول في حين أنّ الصحابة اهتمّوا بأمر الخلافة وانصرفوا.

ذكرنا في أخبار السقيفة الآنفة:

أنّ الأنصار عندما توفّي الرسول (ص) اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة وتبعهم المهاجرون يتجالدون علىٰ أمر الخلافة، وتركوا جثمان الرسول (ص) بين أهله يُغسله الإمام عليّ (ع) ومَنْ معه، ولما انتهى اليهم خبر السقيفة أراد العباس أن يبايع الإمام، فأبىٰ، وقال: لنا بجهاز رسول الله شغل.

ولم يفارق جثمان الرسول (ص) حتىٰ صلى المسلمون عليه بقية يوم الاثنين وتمام يوم الثلاثاء ثمّ دفنه (ص) ليلة الاربعاء بعد ان تمت البيعة لأبي بكر.

وكان عملهم ذلك بعد وفاة الرسول نظير عملهم في حياته كما أخبر الله ـ تعالىٰ ـ عنه وقال في سورة الجمعة:

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً قُلْ مَا عِندَ اللهِ خَيْرٌ مِنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَارَةِ ...﴾. (الجمعة / ١١)

وروى الطبري والقرطبي والسيوطي في شأن نزول هذه الآية بتفاسيرهم وقالوا:

قدمت المدينة تجارة معها طبل ـ فانصرفوا إليها ـ وتركوا رسول الله (ص)

قائماً على المنبر، وبقي منهم في المسجد اثنا عشر رجلاً وسبع نسوة أو أقل من ذلك يخطب خطبة صلاة الجمعة، فقال رسول الله (ص): لو تتابعتم لتأجج الوادي ناراً [1].

* * *

كان ذلك موقف الإمام عليّ من جثمان الرسول ومن القرآن بعد وفاة الرسول (ص)، وقد درسنا خبره مع جثمان الرسول في أخبار السقيفة، وندرس في ما يأتي عمل الإمام في جمعه للقرآن بعد وفاة الرسول.

٢ ـ كيف جمع الإمام عليّ القرآن مع تأويله وتنزيله بعد وفاة الرسول (ص):

قالوا ما موجزه: لما انتهى الإمام عليّ من جهاز رسول الله (ص) جلس في بيته وانكب على القرآن يجمعه مع تنزيله وتأويله وما فيه من ذكر الحكم الناسخ والحكم المنسوخ، فبعث إليه أبو بكر بعد أن تمّت البيعة له يدعوه إلىٰ بيعته، فأجابه إنّي لمشغول بالقرآن أجمعه، وآليت علىٰ نفسي ألّا أرتدي رداء إلّا للصلاة.

خلاصة الروايات:

أ ـ اتّفقت الروايات علىٰ ما ذكر مع اختلاف في التعبير، وشذّ مَنْ روىٰ مثل ابن أبي داود في ص ١٠ من المصاحف أن أبا بكر أرسل إلى الإمام فقال: (أكرهت إمارتي يا أبا الحسن؟ قال: لا والله...) [2].

---

(١) أخرج الروايات مسلم في كتاب الجمعة ٢ / ٥٩٠ من صحيحه مفصّلاً، والبخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب إذا نفر الناس عن الإمام ١ / ١١٦.

(٢) تاريخ الخلفاء، ص ١٦٥؛ والصواعق المحرقة، ص ١٢٦؛ وطبقات ابن سعد ٢ / ٣٣٨؛ وكنز العمال ٢ / ٣٧٣؛ وأنساب الأشراف ١ / ٥٨٧.

فقد أوردنا في خبر السقيفة عن صحيح البخاري وغيره ان الإمام لم يبايع حتّىٰ توفيت ابنة رسول الله (ص).

ب ـ اتفق محتوى الروايات علىٰ أنّ الإمام كان قد جمع القرآن جمعاً، كما نسمّيه اليوم بالتفسير، فقد قال ابن سيرين: كتب فيه الناسخ والمنسوخ، وليس المقصود الآيات الّتي تسمّىٰ بالناسخة والمنسوخة، وإلّا لقال: الناسخة والمنسوخة، ثمّ إنّ إيراد الآيات المسمّاة بالناسخة والمنسوخة لا يخص ما كتبه الإمام بل إنّه عام لكل من كتب القرآن.

ويؤيّد ذلك قول ابن سيرين «فلو أُصيب ذلك الكتاب كان فيه علم» فانّه لو كان ما كتبه الإمام مجرّداً عن التفسير كما دون القرآن بعد ذلك وتناولته الأيدي إلىٰ عصرنا لما خصّ ابن سيرين القول في ما كتبه الإمام بأنّ فيه علماً[1].

ج ـ اتّفق محتوى الروايات بأنّ أحداً لم ير ما كتبه الإمام عليّ، فما خبره؟

نجد تمام الخبر عند سليم حين يروي عن سلمان أن الإمام جاء به إلى المسجد، وعرضه عليهم، فامتنعوا من قبوله، فدخل عليّ بيته مع ما كتب.

د ـ وبناءً علىٰ ما أثبتناه، فإنّ كلّ مَنْ روىٰ شيئاً عن ذلك الكتاب غير الأئمة من أولاد الإمام عليّ كان عمله رجماً بالغيب ولا يصدق.

٣ ـ اين كان القرآن الّذي جمعه الإمام عليّ:

كل الروايات الماضية لم تعين أين كان القرآن الّذي جمعه الإمام بعد وفاة الرسول (ص)، وقد عيّن الإمام الصادق جعفر بن محمّد من أين أخذ الإمام ذلك القرآن، وقال: إنّ رسول الله (ص) قال لعليّ: يا عليُّ! القرآن خلف فراشي في

---

(١) تاريخ القرآن، ص ١٨٥؛ وأعيان الشيعة ١ / ٨٩، عن عدّة الرجال للأعرجي؛ وأوائل المقالات، ص ٥٥؛ وبحر الفوائد، ص ٩٩.

المصحف والحرير والقراطيس، فخذوه، واجمعوه، ولا تضيّعوه كما ضيّعت اليهود التوراة.

فانطلق عليٌّ فجمعه في ثوب أصفر، ثمّ ختم عليه في بيته. وقال: لا أرتدي حتّىٰ أجمعه.

وإن كان الرجل ليأتيه فيخرج إليه بغير رداء حتّىٰ جمعه.

قال: وقال رسول الله (ص): لو أنّ النّاس قرأوا القرآن كما أُنزل ما اختلف اثنان[1].

وفي البحار ـ ايضاً ـ عن أبي رافع أنّه قال: إنّ النبيّ (ص) قال في مرضه الّذي توفّي فيه لعليّ: يا عليٌّ! هذا كتاب الله خُذه إليك.

فجمعه عليٌّ في ثوب، فمضى إلىٰ منزله، فلمّا قبض النبيُّ (ص) جلس عليٌّ فألّفه كما أنزله الله، وكان به عالماً[2].

وقال السيوطي: (كان القرآن كتب كلّه في عهد رسول الله (ص) لكن غير مجموع في موضع واحد ولا مرتّب السور)[3].

وأصدق القول في هذا الخبر وأجمعه قول الإمام الّذي رواه الطبرسي وغيره، قال:

ولقد جئتهم بالكتاب كَملاً مشتملاً على التأويل والتنزيل[4].

---

(١) في البحار ٩٢ / ٤٨ و٥٢ نقلاً عن تفسير القمي، ص ٧٤٥؛ وعمدة القاري ٢٠ / ١٦؛ وفتح الباري ١٠ / ٣٨٦؛ والمناقب لابن شهر آشوب ٢ / ٤١؛ والإتقان للسيوطي ١ / ٥٩.

(٢) في البحار ٩٢ / ٥١ ـ ٥٢. أبو رافع مولىٰ رسول الله واختلفوا في اسمه، فقيل: أسلم وقيل إبراهيم وقيل صالح، توفّي في خلافة الإمام عليّ، راجع ترجمته في تراجم الأسماء المذكورة في أُسد الغابة. ومناقب آل أبي طالب ٢ / ٤١.

(٣) الإتقان للسيوطي ١ / ٥٩؛ ومناهل العرفان للزرقاني ١ / ٢٤٠.

(٤) الإحتجاج للطبرسي، ط. النجف الأشرف سنة ١٣٨٦هـ. ١/ ٣٨٣؛ والبحار للمجلسي ط. طهران، ٩٣ / ١٢٥ـ١٢٦.

دراسة الخبر:

أ ـ التنزيل: المراد بالتنزيل هنا القرآن الّذي أنزل الله لفظه على الرسول (ص)، كما يظهر ذلك من قوله تعالىٰ:

﴿حم * تَنزِيلٌ مِنَ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾. (فصّلت / ١ ـ ٣)

ب ـ التأويل: ما يؤول إليه اللّفظ، والمراد منه هنا بيان الآيات الّتي بلّغها الرسول (ص).

ج ـ الكتاب: جاء تفسيره في قوله بعده: (كملاً مشتملاً على التأويل والتنزيل) أي كان الكتاب الّذي حمله الإمام إليهم كاملاً مشتملاً على القرآن الّذي أوحىٰ الله لفظه إلىٰ رسوله (ص) مع بيان الآيات وتفسيرها، الّتي أوحىٰ الله إلى الرسول (ص) معناها وبلّغها الرسول (ص) بلفظه إلىٰ أصحابه عامّة وإلىٰ ابن عمّه خاصّة. وكذلك كانت مصاحف الصحابة قبل أن يجرِّدوها عن حديث الرسول (ص).

وعلىٰ هذا فإنّ في كلام الإمام تعريضاً بالمصاحف الّتي جردت من حديث الرسول (ص) بعد الرسول (ص) وتصريحاً بأنّ المصحف الّذي جاء به إليهم كان كاملاً لم ينقص منه حديث الرسول (ص) في بيان الآيات. وفي ضوء كلام الإمام يجوز لنا أن نفسّر اختلاف مصاحف الصحابة بوجود بيان الرسول (ص) في تفسير الآيات في بعض مصاحف الصحابة دون بعضها الآخر، وأنّه لم يكن الإختلاف بينها في النص القرآني.

ولولا أنّ القرآن الّذي جمعه الإمام عليّ بعد وفاة رسول الله (ص) مباشرة كان في بيت رسول الله (ص) ولم يكن قبل ذلك في بيت الإمام عليّ لما اقتضى الأمر أن يهتم الإمام بأمر جمعه بعد وفاة رسول الله (ص) مباشرة وأن لا يغادر

بيته ولا يرتدي رداءه، حتىٰ يجمعه.

وبناءً عليه فإنّ القرآن الّذي أخذه الإمام عليّ من بيت رسول الله (ص) وجمعه هو القرآن الّذي كان رسول الله (ص) يأمر كتّابه بتدوين آياته عند نزولها بإشرافه، غير ان ذلك القرآن كان موزّعاً في صحف ورقاع وما شابهها فجمعها الإمام بضم بعضها إلىٰ بعض في ثلاثة أيام.

ولا بدّ أن يكون مع الآيات الّتي دونت بأمر الرسول (ص) ما أوحى الله -تعالىٰ- إليه في شرح ما يحتاج إلى الشرح والبيان مثل بيان عدد ركعات الصلاة وأذكارها وشأن نزول الآيات وفي أي مناسبة نزلت، ولذلك كانوا يقولون (لو أُصيب ذلك الكتاب كان فيه علم).

ولو كان مكتوباً فيه الآيات دون شرح لما قالوا ذلك، وبما أن عصبة الخلافة كانوا يعلمون أن في ما دوّن في ذلك المصحف في بيان الآيات بأمر الرسول (ص) وممّا أُوحي إليه يخالف سياسة الحكم، فقد أبوا أن يقبلوا ذلك المصحف فرجعه الإمام إلىٰ بيته، وورثه من بعده الأئمة من بنيه كابراً بعد كابر.

وينبغي أن نشير هنا أن الرسول (ص) كان قد أعد وصيَّه الإمام عليّاً (ع) في حياته للقيام بهذا العمل، فقد روىٰ ابن سعد في طبقاته بسنده عن الإمام عليّ (ع) أنّه قال: والله ما نزلت آية إلّا وقد علمت في ما نزلت، وأين نزلت، وعلىٰ من نزلت، إن ربي أعطاني قلباً عقولاً ولساناً ناطقاً.

وقال: سلوني عن كتاب الله، فإنّه ليس من آية إلّا وقد عرفت بليلٍ نزلت أم بنهارٍ في سهلٍ نزلت أم في جبل[1].

وقد تأتّىٰ له ذلك بما اختصّ به من قربىٰ رسول الله (ص) وقربه.

---

(١) طبقات ابن سعد، ط. بيروت ١٣٧٦هـ، ٢ / ٣٣٨.

روى النِّسائي وابن ماجة وأحمد واللّفظ للأوّل بسندهم عن الإمام عليّ أنّه قال: كانت لي منزلة من رسول الله (ص) لم تكن لأحد من الخلائق، فكنت آتيه كلّ سحر، فأقول: السّلام عليك يا نبيّ الله، فإن تنحنح انصرفت إلىٰ أهلي، وإلّا دخلتُ عليه.

وقال: كان لي من رسول الله (ص) ساعة آتيه فيها فإذا أتيته استأذنت، إن وجدته يصلّي تنحنح، وإن وجدته فارغاً أذن لي.

وقال: كان لي من رسول الله (ص) مدخلان: مدخل باللّيل، ومدخل بالنهار، فكنت إذا دخلت باللّيل تنحنح[1].

وقد روىٰ زيد بن عليّ بن الحسين (ع) هذا الخبر عن جده وقال:

قال أمير المؤمنين (ع): ما دخل في رأسي نوم ولا عهد إليَّ رسول الله (ص) حتّىٰ علمت من رسول الله (ص) ما نزل به جبرائيل في ذلك اليوم من حلال أو حرام أو سنّة أو أمر أو نهي في ما نزل فيه وفي من نزل.

قال الراوي: فخرجنا، فلقينا المعتزلة، فذكرنا ذلك لهم، فقالوا: ان هذا الأمر عظيم كيف يكون هذا وقد كان أحدهما يغيب عن صاحبه فكيف يعلم هذا؟

قال: فرجعنا إلىٰ زيد فأخبرناه بردهم علينا، فقال: يتحفظ علىٰ رسول الله (ص) عدد الأيام الّتي غاب بها، فاذا التقيا، قال له رسول الله (ص): يا عليّ! نزل عليّ يوم كذا: كذا وكذا وفي يوم كذا: كذا وكذا، حتىٰ يعدهما إلىٰ آخر اليوم الذي وافىٰ فيه، فأخبرناهم بذلك[2].

---

(١) الروايات الثلاث في سنن النِّسائي ١ / ١٧٨، كتاب السّهو، باب التنحنح في الصلاة، وفي طبعة دار إحياء التراث العربي في بيروت ٣ / ١٢، والرواية الثالثة في سنن ابن ماجة (ح ٣٧٠٨) من باب الإستئذان بكتاب الأدب، والرواية الأُولىٰ بمسند أحمد ١ / ٨٥، والثالثة في ١ / ٨٠.

(٢) بصائر الدرجات، ص ١٩٥.

وقد يوجه إلينا في هذا المقام سؤال آخر وهو:

إنْ كان في ما جمعه الإمام (ع) من بيت الرسول (ص) ما يحتاجه الناس في فهم القرآن فما جدواه بعد أن أخذه الإمام إلىٰ بيته وأخفاه؟

والجواب: ان الله ـ سبحانه ـ بمقتضىٰ وعده في قوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ جمعه في صدر الرسول (ص) وبيّنه له، والرسول (ص) بمقتضىٰ رسالته بلّغ من حضره ما احتاجوه منه وأمر وصيّه الّذي كان قد أعدّه لذلك أن يجمعه في مصحف بعد وفاته، ففعل ذلك، ثمّ أخرجه إلى الناس، وعرضه عليهم، ولما امتنعوا من قبوله أخفاه يومذاك كي لا يصيب ما جمعه ما أصاب مصاحف سائر الصحابة من الحرق كما سنبينه في ما يأتي ـ إن شاء الله تعالىٰ ـ، وبفعله ذلك حفظ ما جمعه من بيت الرسول من التلف آنذاك، ثمّ ورثه الأئمة من ولده، ليفيضوا من علمه طوال القرون علىٰ من شاء أن يأخذ منهم علوم القرآن، وقد قال الله ـ سبحانه ـ: ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ * فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ وقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ حتّىٰ إذا ظهر المهدي (ع) من ولده وحكم الناس أظهره بأمر الله ـ جل اسمه ـ وأمر بتعليم الناس إياه في مسجد الكوفة: كما سنشرحه في المجلد الثالث من هذا الكتاب إن شاء الله تعالىٰ.

لاينافي ما ذكرناه حول هذه النسخة من القرآن وتفسيره الخاص بالرسول (ص) وجود نسخ أُخرىٰ لدى الصحابة ومن ضمنهم الإمام عليّ (ع) يكون مع بعضها ما انتهى إليهم من بيان من الرسول حول بعض الآيات، كما سندرسه في البحث الآتي، إن شاء الله تعالىٰ.

* * *

وقع ما ذكرناه بعد وفاة الرسول (ص) مباشرة، ولمّا استقام الأمر للخلفاء بعد الرسول (ص) كانت لهم سياسة خاصة بشأن القرآن، نذكرها في ما يأتي بحوله تعالىٰ.

أخبار القرآن علىٰ عهد الخليفة أبي بكر

تمهيد في بيان سياسة الحكم مع القرآن بعد الرسول (ص)

كانت سياسة جمع القرآن من قبل الخلفاء الثلاثة نابعة عن سياستهم مع حديث الرسول، كما درسناه في بحث اختلاف المصاحف، وفي ما عدا ذلك اتبع الحكام والمسلمون الأنظمة الّتي سنّها الرسول في شأن اقراء القرآن وتدوينه من حيث مواضع الآيات في السور وترتيب السور كما هو عليه القرآن في عصرنا الحاضر. وانتشر الإقراء والتدوين في كل بلد حلّ فيه المسلمون، ونبدأ في ما يأتي أوّلاً بايراد بعض أخبار التقارؤ والقرّاء ثمّ نتبعها بخبر تدوين القرآن، إن شاء الله تعالىٰ.

سياسة الحكم في شأن القرآن:

مرّ بنا في ذكر نظام الإقراء علىٰ عهد رسول الله أنّه (ص) كان يقرئهم عشر آيات فلا يجاوزونها حتّىٰ يعلمهم ما فيها من العلم والعمل، ولفظ الرسول (ص) الّذي كان يعلمهم به ما في الآيات من العلم والعمل يسمّىٰ في المصطلح الإسلامي بحديث الرسول، فإنّهم كانو يتعلّمون من الرسول (ص) القرآن وحديث الرسول الّذي يفسر القرآن.

هذا ما كان علىٰ عهد الرسول (ص)، ونرى في عصر أبي بكر ما رواه الذهبي وقال: إنّ أبا بكر جمع الناس بعد وفاة نبيّهم، فقال: إنّكم تحدّثون عن رسول الله (ص) أحاديث تختلفون فيها والناس بعدكم أشدّ اختلافاً، فلا تحدّثوا

عن رسول الله (ص) شيئاً، فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلّوا حلاله، وحرّموا حرامه[1].

نظرة في هذا الخبر وهذه التوصية:

إنّ هذه التوصية وردت بلفظ آخر من الخليفة عمر حين قال: (جرّدوا القرآن...) كما يأتي بيانه في خبر القرآن علىٰ عهده، وهو مؤدّى الشعار الذي رفعه عمر يوم وفاة الرسول (ص) عندما طلب منهم الرسول (ص) وقال «هلمّ أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده».

فقال عمر: عندنا كتاب الله، حسبنا كتاب الله.

إذاً فالغاية من كلِّ هذه المحاولات منع انتشار حديث الرسول (ص) سواءً كان تفسيراً للقرآن، أم كان في بيان أمر آخر.

ترىٰ ما السبب في ذلك؟!

أمّا الخليفة أبو بكر، فقد علّل نهيه عن التحديث عن رسول الله (ص) بأنّهم سوف يختلفون فيها.

* * *

وسوف نرىٰ في ما يأتي ـ إن شاء الله تعالىٰ ـ وندرك انّ سبب نهيهم عن نشر حديث الرسول (ص) تخوفهم من انتشار ما يخالف سياسة الحكم عندهم.

وكان من جملة حديث رسول الله (ص) المنهي عن نشره ما كان تفسير الآيات من القرآن الّتي فيها فضيلة لمنافسي سلطة الخلفاء أو منافسي قبيلتهم قريش، ولهذا السبب أصدر الخليفة أبو بكر مرسومَ (لا تحدّثوا عن رسول الله شيئاً، فَمَن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله، فاستحلوا حلاله، وحرّموا حرامه).

---

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي ١ / ٢ ـ ٣ بترجمة أبي بكر.

ورفع قبله عمر شعار: حسبنا كتاب الله.

وسوف نرىٰ في ما يأتي كيف أصبح الكلامان شعاراً لسياسة الخلفاء في شأن القرآن وحديث الرسول، وكيف نفّذوهما بكل اتقان، مصحوباً ـ غالباً ـ بشدة وعنف في عهد الخليفتين عمر وعثمان خاصة.

وندرس كل ذلك في البحوث الآتية إن شاء الله تعالىٰ.

تدوين القرآن:

أمر الخليفة أبو بكر بتدوين القرآن مجرّداً من حديث الرسول (ص) علىٰ عهده، وتم العمل علىٰ عهد عمر، كما سندرسه في أخبار التدوين علىٰ عهد الخليفة عمر إن شاء الله تعالىٰ.

من أخبار القرّاء في عصر أبي بكر:

من أخبار القراءة والقرّاء في عصر أبي بكر ما أورده ابن كثير في باب جمع القرآن من فضائل القرآن ذيل تفسيره وقال:

«ان مسيلمة التف معه من المرتدين قريب من مائة الف، فجهز الصِّديق لقتاله خالد بن الوليد في قريب من ثلاثة عشر ألفاً، فالتقوا معهم فانكشف الجيش الإسلامي لكثرة من فيه من الأعراب.

فنادىٰ القرّاء من كبار الصحابة يا خالد خلِّصنا. يقولون: ميِّزنا من هؤلاء الأعراب.

فتميّزوا منهم، وانفردوا، فكانو قريباً من ثلاثة آلاف.

ثمّ صدقوا الحملة، وقاتلوا قتالاً شديداً، وجعلوا يتنادون يا أصحاب سورة البقرة.

فلم يزل ذلك دأبهم، حتىٰ فتح الله...

وفي تاريخ خليفة بن خياط: كان جميع القتلىٰ من المسلمين أربعمائة وخمسين رجلاً أو خمسمائة رجل، وكان ممّن قتل من المهاجرين والأنصار مائة وأربعون رجلاً فيهم خمسون أو ثلاثون من حملة القرآن[1].

دراسة الخبر:

في هذا الخبر في الجيش كثرة من الأعراب، والأعراب هم سكان البوادي والّذين قال الله تعالىٰ فيهم في سورة التوبة: ﴿الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ ٱللهُ عَلَىٰ رَسُولِه ...﴾ الآية / ٩٧.

وعلىٰ هذا كان عدد غيرهم أقلّ منهم، ولا يتعدّون ستة آلاف من أهل المدن، لا سيّما مدينة الرسول، وكان ثلاثة آلاف منهم من القرّاء، وكان شعارهم: يا أصحاب سورة البقرة؛ أي يا من كسبتم فضيلة حفظ أكبر سورة في القرآن. وإذا كان هذا عدد من اشترك منهم في القتال فكم كان عدد من لم يشارك من الشيبة والنِّساء والفتيان من القرّاء القاعدين عن القتال في المدينة وحواليها؟

وكم كان عدد الشيوخ والمراهقين من القرّاء ومن كان منهم في مكة وسائر البلدان الإسلامية؟

---

(١) فضائل القرآن، ص ٨، تفسير ابن كثير، الجزء الرابع؛ وتاريخ خليفة بن خياط (ت: ٢٣٠ أو ٢٤٠هـ)، ط. النجف ١٣٨٦، ص ٧٧ ـ ٨٣. ذكر أسماء من استشهد وقبائلهم فرداً فرداً.

أخبار القرآن علىٰ عهد الخليفة عمر

أ ـ أمر الخليفة عمر بتجريد القرآن من حديث الرسول (ص):

نفذ الخليفة عمر الشعار الّذي رفعه الخليفة أبو بكر وأمر بتجريد القرآن من حديث الرسول (ص)، ومن ذلك ما رواه الطبري في ذكر سيرة عمر من تاريخه وقال:

كان عمر إذا استعمل العمال خرج معهم يشيعهم فيقول... جرّدوا القرآن وأقلّوا الرواية عن محمّد (ص) وانا شريككم[1].

في تذكرة الحفاظ عن قَرَظة بن كعب الأنصاري قال: لما سيرنا عمر إلىٰ العراق...

وفي طبقات ابن سعد قال: أردنا الكوفة فشيّعنا عمر إلىٰ صِرار، فتوضّأ، فغسل مرّتين، وقال: تدرون لِمَ شيّعتُكم؟

فقلنا: نعم، تكرمة نحن أصحاب رسول الله (ص).

فقال: إنّكم تأتون أهل قرية لهم دَويّ بالقرآن كدويّ النحل، فلا تصدّوهم بالأحاديث فتشغلوهم، جَرّدوا القرآن وأقلّوا الرواية عن رسول الله (ص)، امضوا وأنا شريككم.

وفي مستدرك الحاكم قال: فلمّا قدم قرظة قالوا: حدّثنا، قال: نهانا ابن الخطاب.

---

(١) تاريخ الطبري، ط. أوربا ٥ / ٢٧٤١، وط. دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٣م، ٤ / ٢٠٤.

وفي جامع بيان العلم وفضله، قال قرظة: فما حدّثت بعده حديثاً عن رسول الله (ص)[1].

ومن موارده ما رواه الطبري وابن كثير وقالا:

لمّا بعث أبا موسى إلى العراق قال له: إنّك تأتي قوماً لهم في مساجدهم دويّ بالقرآن كدويّ النّحل، فدعهم علىٰ ما هم عليه ولا تشغلهم بالأحاديث وأنا شريكك في ذلك[2].

وانّ قول الخليفة عمر (جرّدوا القرآن عن حديث الرسول (ص)) يدلّ علىٰ أنّه كان لدى الصحابة إلىٰ ذلك العصر مصاحف كُتب فيها مع آي القرآن حديث الرسول (ص) في بيان آي القرآن والّذي قلنا في ما سبق إنّه كان يتلقّ الرسول (ص) ما يبيّنه في معاني الآيات عن طريق الوحي من الله.

وكان الخليفة يطلب منهم أن يعلّموا المسلمين تلاوة القرآن، ولا يعلّموهم حديث الرسول (ص) في تفسير الآيات، كما كان ذلك شأن الإقراء في عصر الرسول (ص).

وقد بدأ بهذا الأمر الخليفة الأوّل أبو بكر عندما قال: (... فلا تحدّثوا عن رسول الله (ص) شيئاً، فمَن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله، فاستحلّوا

---

(١) جامع بيان العلم للخطيب البغدادي، ط. المدينة المنوّرة سنة ١٣٨٨هـ، ٢/ ١٤٧، وتذكرة الحفاظ ١ / ٧، وسنن الدارمي ١ / ٨٥، وسنن ابن ماجة، المقدّمة، باب التوقي في الحديث عن رسول الله (ص) ١ / ١٢، ومستدرك الحاكم ١ / ١٠٢. وطبقات ابن سعد، ط. بيروت ٦ / ٧. وكنز العمال ٢ / ١٨٣.

وقرظة بن كعب أنصاري خزرجي، في أُسد الغابة هو أحد العشرة الّذين وجههم عمر مع عمّار ابن ياسر إلى الكوفة. شهد أُحداً وما بعدها، وفتح الرّي سنة ٢٣. وولّاه عليّ على الكوفة لمّا سار إلى الجمل، وتوفّي بها في خلافته. أُسد الغابة ٤ / ٢٠٣.

(٢) الطبري ١ / ٢٧٤١، وتاريخ ابن كثير ٨/ ١٠٧.

حلاله، وحرّموا حرامه).

غير أنّ الخليفة الثاني كان أكثر صراحة في هذا الشأن من قول الخليفة الأوّل، كما ذكرنا ذلك في بحث جمع القرآن.

هكذا كان الخليفة يمنع من إقراء القرآن كما كان علىٰ عهد الرسول (ص).

وكان الخليفة أحياناً يظهر عدم اهتمامه بتفسير القرآن، ومن مصاديقه ما روى المفسّرون في تفسير سورة عبس واللفظ للسيوطي عن أنس:

(أنّ عمر قرأ على المنبر ﴿فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبّاً * وَعِنَباً وَقَضْباً - إلىٰ قوله - وَأَبّاً﴾، قال: كلّ هذا عرفناه، فما الأبّ؟ ثمّ رفع عصا كانت في يده فقال: هذا لعمر الله هو التكلف، فما عليك ان لا تدري ما الأبّ، اتبعوا ما بيّن لكم هداه من الكتاب فاعملوا به وما لم تعرفوه فكلوه إلىٰ ربّه)[1].

* * *

كان ذلكم في ما يخصّ نفسه، وأمّا مع الآخرين ممّن يسأل عن تفسير القرآن، فكان شأنه كالآتي خبره.

ونهىٰ عن السؤال عن تفسير القرآن وضرب عليه، كما روى السيوطي بتفسير ﴿وفاكهة وأبّاً﴾ وقال: (إنّ رجلاً سأل عمر عن قوله «وأبّاً» فلمّا رآهم يقولون كذا أقبل عليهم بالدرة)، والدرة سوط يضرب به، وقد جلد عليه وأدمىٰ وسجن ونفىٰ كما نقرأ كل ذلك في الخبر الآتي.

---

(١) تفسير الطبري ٣٠ / ٣٨، وتفسير السورة في مستدرك الصحيحين وتلخيصه ٢ / ٥١٤ وقالا: صحيح علىٰ شرط الشيخين، وتفسير الدرّ المنثور ٦ / ٣١٧، والإتقان ١ / ١١٥، وفتح الباري ١٧ / ٣٠. وتفسير ابن كثير ٤ / ٤٧٣.

ب ـ تنكيل الخليفة بمن يسأل عن تفسير القرآن:

جاء في سنن الدارمي وتفسير القرطبي والاكمال لابن ماكولا وتاريخ ابن عساكر خبر صبيغ بن عسل:

قال ابن ماكولا في الإكمال: صبيغ بفتح الصاد وكسر الباء، وعسل بكسر العين وسكون السين، وعسيل بضم العين وفتح السين. وكان يسأل عن المشكلات الّتي في القرآن فنفاه عمر من المدينة إلى العراق، وأمر أن لا يجالس.

وفي تاريخ ابن عساكر:

(صبيغ) بن عسل ويقال: ابن عسيل، ويقال: صبيغ بن شريك بن عمرو ابن يربوع بن حنظلة التميمي اليربوعي البصري الّذي سأل عمر بن الخطاب عمّا سأل فجلده وكتب إلىٰ أهل البصرة: لا تجالسوه.

وفي رواية فأرسل إليه عمر وقد أعدّ له عراجين النخل فقال: مَنْ أنت؟ فقال: أنا عبد الله صبيغ، فأخذ عمر عرجوناً من تلك العراجين، فضربه وقال: أنا عبد الله عمر، وما زال يضربه حتىٰ أدمىٰ رأسه فقال: يا أمير المؤمنين حسبك قد ذهب الّذي كنت أجد في رأسي.

وفي رواية أُخرىٰ:

انّه جعل يسأل عن متشابه القرآن في أجناد المسلمين حتىٰ قدم مصر فبعث به عمرو بن العاص إلىٰ عمر بن الخطاب، فلمّا أتاه الرسول بالكتاب فقرأه فقال: أين الرجل؟ أبصر لا يكون ذهب فتصيبك منّي العقوبة الوجيعة؟ فأتىٰ به فقال عمر: سبيل محدثة، فأرسل إلىٰ رطائب من جريد فضربه بها حتىٰ ترك ظهره دبرة، ثمّ تركه حتىٰ برئ، ثمّ عاد له ثمّ تركه حتىٰ برئ، فدعا به ليعود، فقال صبيغ: إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلاً جميلاً، وإن كنت تريد أن تداويني فقد والله برئت فأذن له إلىٰ أرضه، وكتب إلىٰ أبي موسى الأشعري أن لا يجالسه

أحد من المسلمين، فاشتدّ ذلك على الرجل فكتب أبو موسىٰ إلىٰ عمر أن قد حسن أمره، فكتب إليه عمر أن ائذن للناس بمجالسته.

وروى الخطيب هذه الحكاية بنحوها والحافظ ابن عساكر أيضاً عن أبي عثمان النهدي، ورویٰ عنه الخطيب أنّه قال: كتب إلينا عمر لا تجالسوا صبيغاً، فلو جاءنا ونحن مائة لتفرّقنا عنه، وروي عن ابن سيرين أمر أن يحرم من عطائه ورزقه، وروي أيضاً عن زرعة أنّه قال: رأيت صبيغاً كأنّه بعير أجرب يجيء إلى الحلقة ويجلس وهم لايعرفونه فتناديهم الحلقة الأُخرىٰ عزمة أمير المؤمنين عمر فيقومون ويدعونه. وفي رواية الخطيب: أنّ عمر أمر أن يقوم خطيب فيقول: ألا إنّ صبيغاً طلب العلم فأخطأه فلم يزل وضيعاً في قومه بعد أن كان سيداً فيهم[1].

* * *

ما ذكرناه آنفاً، يوضّح بجلاء سياسة الخليفة في تجريد القرآن عن حديث الرسول (ص)، ويوافق هذه السياسة سياسته في منع نشر حديث الرسول (ص) كالآتي خبره.

ج ـ سياسة الخليفة في منع نشر حديث الرسول (ص) وإحراقه ما كتب منه:

في طبقات ابن سعد قال: إنّ الأحاديث كثرت علىٰ عهد عمر بن الخطاب فأنشد الناس أن يأتوه بها، فلمّا أتوه بها أمر بتحريقها[2].

في كنز العمال: عن عبدالرّحمٰن بن عوف قال: ما مات عمر بن الخطاب

---

(١) ترجمته بمصورة مخطوطة ابن عساكر (٨ / ١ / ١١٦أ ـ ١١٨أ)، سنن الدارمي ١ / ٥٤ ـ ٥٦. تفسير ابن كثير ٤ / ٢٣١ ـ ٢٣٢. تفسير الدرّ المنثور ٦ / ١١١. تفسير القرطبي ١٧ / ٢٩. والإكمال لابن ماكولا ٥ / ٢٢١. واخترنا لفظ ابن عساكر في المتن.

(٢) طبقات ابن سعد، ط. بيروت ٥ / ١٤٠ بترجمة القاسم بن محمّد بن أبي بكر.

حتّىٰ بعث إلىٰ أصحاب رسول الله، فجمعهم من الآفاق عبدالله بن حذيفة وأبا الدرداء وأبا ذرّ وعقبة بن عامر، فقال: ما هذه الأحاديث الّتي أفشيتم عن رسول الله في الآفاق؟

قالوا: أتنهانا؟

قال: لا، أقيموا عندي، لا والله لا تفارقوني ما عشت، فنحنُ أعلم نأخذ ـ منكم ـ ونردّ عليكم، فما فارقوه حتّىٰ مات[1].

وروى الذهبي أنّ عمر حبس ثلاثة: ابن مسعود وأبا الدرداء وأبا مسعود الأنصاري، فقال: أكثرتم الحديث عن رسول الله[2].

وأخرج الخطيب البغدادي وابن عساكر عن سعد بن إبراهيم، عن أبيه قال:

---

(١) الحديث رقم ٤٨٦٥ من الكنز، ط. الأُولىٰ ٥ / ٢٣٩، والطبعة الثانية ١٠ / ١٨٠، الحديث ١٣٩٨، ومنتخبه ٤ / ٦٢.

وعبدالرّحمٰن بن عوف القرشي الزهري، آخى الرسول بينه وبين عثمان من المهاجرين، وجعل عمر تعيين الخليفة بيده في الشورىٰ فصفق علىٰ يد عثمان، توفّي بالمدينة عام ٣١ أو ٣٢ هـ. روىٰ عنه أصحاب الصحاح ٦٥ حديثاً. راجع فصل الشورىٰ من كتاب: (عبدالله بن سبأ)، الجزء الأوّل، ص ٢٦٧. وجوامع السيرة، ص ٣٧٩.

وعبدالله بن حذيفة لم أجد ترجمته، ولعلّه عبدالله بن حذافة القرشي السّهمي، من قدماء المهاجرين، مات بمصر في خلافة عثمان. تقريب التهذيب ١ / ٤٠٩.

وأبو الدرداء عويمر أو عامر بن مالك الأنصاري الخزرجي، وأُمّه محبة بنت واقد بن الاطنابة، تأخّر إسلامه وشهد الخندق وما بعدها، آخىٰ النبيّ بينه وبين سلمان، وُلّي قضاء دمشق علىٰ عهد عثمان، وتوفّي بها عام ٣٢ أو ٣٣ هـ. روىٰ عنه أصحاب الصحاح ١٧٩ حديثاً. أُسد الغابة ٥ / ١٥٩ ـ ١٦٠ و ١٨٧ و ١٨٨، وجوامع السيرة، ص ٢٧٧.

وعقبة بن عامر اثنان: جهني وروىٰ عنه أصحاب الصحاح ٥٥ حديثاً، وأنصاري سلمي، أُسد الغابة ٣ / ٤١٧، وجوامع السيرة، ص ١٧٩.

(٢) تذكرة الحفاظ للذهبي ١ / ٧.

بعث عمر بن الخطاب إلىٰ عبدالله بن مسعود وإلىٰ أبي الدرداء وإلىٰ أبي مسعود الأنصاري فقال: ما هذا الحديث الّذي تكثرون عن رسول الله (ص)! فحبسهم بالمدينة حتى استشهد[1].

وقال ابن كثير: وهذا معروف عن عمر[2].

* * *

كانت تلكم سياسة الخليفة عمر في منع نشر حديث الرسول (ص) وتجريد القرآن منه، وكان أثر تلكم السياسة كالآتي أخبارها.

د ـ أثر تنكيل الخليفة بمن يحدِّث عن رسول الله في تفسير القرآن وغيره:

عن السائب بن يزيد، قال: صحبت سعد بن مالك ـ أبي وقاص ـ من المدينة إلىٰ مكّة، فما سمعته يحدّث عن النبيّ (ص) بحديث واحد[3].

وفي تاريخ ابن كثير عن أبي هريرة، قال: ما كنّا نستطيع أن نقول: قال رسول الله (ص) حتىٰ قبض عمر[4].

وكان لتلك السياسة استثناء محدود كالآتي خبره.

هـ ـ استثناء بعض الصحابة وبعض علماء أهل الكتاب عن نهي نشر الحديث:

أذن الخليفة عمر لعدد معيّن في المدينة أن يسألوا عن تفسير القرآن وغيره فيجيبوا مثل أُمّ المؤمنين عائشة في زوجات الرسول (ص) وابن عباس في حاشيته.

---

(١) شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي، ص ٨٧؛ وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق، تحقيق سكينة الشهابي ٣١ / ٢٨٠.

(٢) تاريخ ابن كثير ٨ / ١٠٧.

(٣) سنن ابن ماجة ١ / ١٢، وسنن الدارمي ١ / ٨٥.

(٤) تاريخ ابن كثير ٨ / ١٠٧.

أوّلاً: أمّ المؤمنين عائشة.

روى ابن سعد وقال: (كانت عائشة قد استقلّت بالفتوىٰ في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وهلمّ جرّاً إلىٰ أن ماتت).

وروىٰ ـ أيضاً ـ وقال: كانت عائشة تفتي في عهد عمر وعثمان إلىٰ أن ماتت (ره)، وكان الأكابر من أصحاب رسول الله عمر وعثمان بعده يرسلان إليها، فيسألانها عن السنن[1].

استقلّت: أي انفردت بالفتوىٰ.

وقد درسنا أحاديثها في المجلّد الثاني من كتاب أحاديث أمّ المؤمنين عائشة.

ثانياً: عبدالله بن عباس.

قال ابن كثير في ترجمة ابن عباس: ثبت عن عمر بن الخطاب أنّه كان يجلس ابن عبّاس مع مشايخ الصحابة ويقول: نعم ترجمان القرآن عبدالله بن عبّاس[2].

وروى البخاري وغيره في تفسير سورة النصر واللّفظ للبخاري[3]:

عن ابن عباس قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فكأن بعضهم وجد في نفسه فقال لِمَ تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: انّه من حيث علمتم.

---

(١) طبقات ابن سعد ٨ / ٣٧٥.

(٢) تاريخ ابن كثير ٨ / ٢٩٩.

(٣) صحيح البخاري ٣ / ١٤٨، وتفسير القرطبي ٢٠ / ٢٣٢. وتفسير ابن كثير ٤ / ٥٦١. وتاريخه ٨ / ٢٩٩، والمستدرك للحاكم ٣ / ٥٣٩. وأنساب الأشراف للبلاذري ٣ / ٢٣٠ ـ ٢٣١ وفي لفظة: (كان ناس من المهاجرين قد وجدوا علىٰ عمر في ادنائه ابن عباس دونهم)، تاريخ الإسلام للذهبي ٣ / ٣٢ و ٣٣، وسير اعلام النبلاء ٣ / ٣٤٣، ط. مصر.

فدعاهم في ذات يوم، فأدخله معهم فما رُئيت انّه دعاني يومئذ إلّا ليريهم، قال: ما تقولون في قول الله تعالىٰ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾؟

فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً، فقال لي: أكذاك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله (ص) أعلمه له، قال: إذا جاء نصر الله والفتح وذلك علامة أجلك فسبح بحمد ربّك واستغفره انّه كان توّاباً، فقال عمر: ما أعلم منها إلّا ما تقول.

وروىٰ ابن كثير في تفسيره:

قال ابن عباس: دعا عمر بن الخطاب أصحاب محمّد (ص)، فسألهم عن ليلة القدر فأجمعوا أنّها في العشر الأواخر، قال ابن عباس: فقلت لعمر: إنّي لأعلم ـ أو إنّي لأظنّ ـ أي ليلة القدر هي. فقال عمر: وأي ليلة هي؟ فقلت سابعة تمشي تمضي ـ أو سابعة تبقىٰ ـ من العشر الأواخر، فقال عمر: من أين علمت ذلك؟ قال ابن عباس: فقلت: خلق الله سبع سماوات وسبع أرضين وسبعة أيام، وانّ الشهر يدور علىٰ سبع، وخلق الإنسان من سبع، ويأكل من سبع ويسجد علىٰ سبع، والطواف بالبيت سبع، ورمي الجمار سبع، لأشياءٍ ذكرها فقال عمر: لقد فطنت لأمر ما فطنّا له[1].

وفي المستدرك: فقال عمر لابن عباس: ما لك يا ابن عباس لا تتكلم؟

قال: إن شئت تكلمت.

قال: ما دعوتك إلّا لتتكلم.

فقال: أقول برأيي.

---

(١) تفسير ابن كثير ٤ / ٥٣٣، وتاريخه ٨ / ٢٩٩. وتاريخ الإسلام للذهبي ٣ / ٣٣.

فقال: عن رأيك اسألك، فقلت: إنِّي سمعت رسول الله (ص) يقول: إنّ الله تبارك وتعالىٰ أكثر ذكر السبع... الحديث.

فقال عمر: أعجزتم أن تقولوا مثل ما قال هذا الغلام الّذي لم تستو شؤون رأسه؟

ثمّ قال: إنِّي كنت نهيتك أن تكلم فإذا دعوتك معهم فتكلم[1].

قال ابن كثير في ترجمة ابن عباس: كان إذا أقبل يقول عمر: جاء فتى الكهول، وذو اللسان السؤول، والقلب العقول[2].

وفي سير اعلام النبلاء قال المهاجرون لعمر: ألا تدعو أبناءنا كما تدعو ابن عباس؟

فقال: ذاكم فتى الكهول...[3].

وروي عن ابن عباس وقال: قال لي أبي: إنّ عمر يُدنيك، ويُجلسك مع أكابر الصحابة، فاحفظ عنِّي ثلاثاً: لا تفشينّ له سرّاً، ولا تغتابنّ عنده أحداً، ولا يجربنّ عليك كذباً[4].

وروىٰ ابن كثير وقال: إن عمر وعثمان كانا يدعوان ابن عباس فيسير مع أهل بدر، وكان يفتي في عهد عمر وعثمان إلىٰ يوم مات[5].

وروى الذهبي في ترجمته عن طلحة بن عبيد الله انّه قال: وما كنت أرىٰ

---

(١) المستدرك: ٣ / ٥٣٩.

(٢) تاريخ ابن كثير ٨ / ٢٩٩، وتاريخ الإسلام للذهبي ٣ / ٣٣.

(٣) سير اعلام النبلاء ٣ / ٣٤٥.

(٤) تاريخ الاسلام للذهبي ٣ / ٣٣، وتاريخ ابن كثير ٨ / ٢٩٩.

(٥) تاريخ ابن كثير ٨ / ٢٩٩؛ وسير أعلام النبلاء ٣ / ٣٤٥ ـ ٣٤٧؛ وفي ط. دار المعارف مصر، ٣ / ٢٢٤ ـ ٢٤١. وطبقات ابن سعد ٢ / ٣٦٦ ـ ٣٧٠.

عمر يقدّم عليه أحداً.

وروى الذهبي ـ أيضاً ـ وقال: كان عمر يستشير ابن عباس في الأمر اذا همه، ويقول غصْ غواص.

وروىٰ عن سعد بن أبي وقاص انّه قال: لقد رأيت عمر يدعوه للمعضلات، ثمّ لا يجاوز قوله، وان حوله لأهل بدر[1].

هكذا استطاع عمر الخليفة أن يروّض كبار الصحابة، ليقترئوا القرآن عند هذا الفتىٰ، فقد روى البخاري بسنده عن ابن عباس أنّه قال:

(كنت أُقرئ رجالاً من المهاجرين منهم عبدالرّحمٰن بن عوف، فبينما أنا في منزله بمنىٰ وهو عند عمر بن الخطاب في آخر حجة حجها إذ رجع عبدالرّحمٰن ...)[2].

كلّ ما مرّ بنا من اسئلة الخليفة عمر من ابن عباس كان عن تفسير القرآن وسمّوا ذلك بالإفتاء.

إذاً فإنّ الإفتاء كان يستعمل في كلامهم، ويقصد به كلّ بيان رأي في أمر ديني، وكذلك الإفتاء في أخبار أمّ المؤمنين كما مرّ بنا ذكره.

ويظهر ممّا سئل من ابن عباس في ذلك العصر، وأجاب عنه ان ابن عباس كان يعلم ما ينبغي أن يحدّث به، فقد روىٰ ابن كثير وقال:

إنّ عمر كان يقول: أقلّوا الرواية عن رسول الله (ص) إلّا في ما يعمل به[3].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣ / ٣٤٦ ـ ٣٤٧.

(٢) صحيح البخاري ٤ / ١١٩، باب رجم الحبلىٰ من الزنا من كتاب الحدود.

(٣) تاريخ ابن كثير ٨ / ١٠٧ في ترجمة أبي هريرة.

دراسة في أمر الاستثناءَين:

ولد ابن عباس في السنة الثالثة قبل الهجرة، وتوفّي الرسول (ص) وقد ناهز الحلم.

ولدت أُمّ المؤمنين عائشة في السنة الرابعة من البعثة ودخلت بيت الرسول (ص) بعد غزوة بدر، وتوفّي الرسول (ص) وعمرها ثماني عشرة سنة وبقيت في بيته ثماني سنوات وخمسة أشهر.

وتزوّج الرسول (ص) سودة قبلها، ودخلت بيت الرسول (ص) قبلها، وتوفيت سنة أربع وخمسين.

وتزوّج الرسول (ص) أُمّ سلمة بعد غزوة أُحد، وتوفّيت في خلافة يزيد، بعد استشهاد الإمام الحسين (ع).

وعلىٰ هذا أدرك ابن عباس حياة الرسول (ص) وهو صبيّ لم يبلغ الحلم بينما أدرك كبار الصحابة حياة الرسول وهم في سنّ الرّشد الفكري والنضوج العقلي.

كما أدركت عائشة حياته وهي فتاة صغيرة تلعب مع أترابها باللّعب، كما حدّثت هي بذلك[1]، بينما أدركت سودة حياة الرسول (ص) قبلها وأُمّ سلمة مقارناً لزمانها، وقد بلغتا من جلال السنّ والنّضج العقلي ما يؤهّلهما لتفقّه سنّة الرسول (ص) أكثر من عائشة. يا ترىٰ ما السبب في أن يبلغ ابن عباس مقام المشير من الخليفة عمر، ولم تحنّكه التجارب في الحرب والسلم؟ وما الّذي أهله ليتربّع علىٰ دست الفتيا علىٰ عهد الخليفتين عمر وعثمان إلىٰ يوم مات!؟

---

(١) البخاري ٤ / ٤٧، كتاب الأدب، باب الانبساط؛ وطبقات ابن سعد، ط. اوربا ٨ / ٤٠ ـ ٤٥؛ ومسند أحمد ٦ / ١٦٦ و ٢٣٣ و ٢٣٤.

وما السبب في أن تنفرد أُمّ المؤمنين عائشة بالإفتاء علىٰ عهد عمر وعثمان وتستمر في الفُتيا إلىٰ يوم وفاتها؟!

والجواب: أن ما كان من قيامها بالإفتاء بعد عهد عمر فهو امتداد لعملها بالإفتاء علىٰ عهد عمر وبإرجاع الخليفة المهيب إليها!

وما كان من سبب إرجاع الخليفة عمر إلىٰ أُمّ المؤمنين عائشة وهي فتاة في مقتبل العمر فقد بيناه مفصّلاً في كتابنا أحاديث «أُمّ المؤمنين عائشة»، ونشير إليه هنا.

وأمّا ابن عباس فهل كان عنده من علم الرسول (ص) وسنته ما لم يكن عند الصحابة السبّاقين إلى الإسلام في مكّة أمثال الإمام عليّ (ع) وابن مسعود وعمّار بن ياسر وخبّاب بن الأرت ونظرائهم؟

وهل كان عنده ما رشحه لمقام المشير عند الخليفة من رجاحة العقل ما لم تكن عند الإمام عليّ؟ ومن الحنكة ما لم تكن عند عبدالرّحمٰن بن عوف؟ ومن الدراية في الأُمور ما لم تكن عند عثمان؟ ومن الخبرة في الحروب ما لم تكن عند أبي عبيدة وخالد بن الوليد؟ ومن الدّهاء ما لم يكن عند عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة!

ولنا أن نقول: كان في تعريف الخليفة ابن عباس إلىٰ ملأ من المسلمين حكمة، فقد كان المنافس القوي للخلافة عليّ بن أبي طالب ابن عمّ الرسول الذي قال فيه رسول الله (ص): «أنا مدينة العلم وعليّ بابها»[1]، وكان بمنزلة من العلم يعلمها العلماء وأهل البحث وكانوا يرجعون إليه في ما احتاجوا إلىٰ معرفته.

وترشيح ابن عباس لمقام الإفتاء وهو ضمن حاشية الخليفة فيه سدّ لهذه الخلّة.

---

(١) أُسد الغابة، ترجمة الإمام عليّ (ع) ٤ / ٢٢.

إضافة إلىٰ أنّه كان يتجمل بابن عم الرسول في حاشيته، وان ابن عباس وأُمّ المؤمنين عائشة كانا يعلمان كيف يفتيان ما لا يخالف سياسة الخلافة ويدل علىٰ هذا الأمر ما رواه ابن كثير وقال: كان يقول للصحابة (أقلّوا الرواية عن رسول الله (ص) إلّا في ما يعمل به)[1].

وما أوردناه عن عبد الرحمن بن عوف أنّه قال ما موجزه:

ما مات عمر بن الخطاب حتىٰ بعث إلىٰ أصحاب رسول الله (ص)، فجمعهم من الآفاق فقال: ما هذه الأحاديث الّتي أفشيتم عن رسول الله (ص) في الآفاق؟

قالوا: تنهانا؟!

قال: لا، أقيموا عندي، لا تفارقوني ما عشت، فنحن أعلم، نأخذ منكم ونرد عليكم.

فما فارقوه حتىٰ مات[2].

فقد كان عند الصحابة أحاديث عن رسول الله محظور عليهم روايتها وإذاعتها كما درسناها في بحث اختلاف المصاحف، ولا بدّ أن يكون عند كل من أُمّ المؤمنين عائشة وابن عباس علم بالحديث المحظور روايته وإذاعته. واعتماداً علىٰ درايتهما بسياسة الخلافة كان الخليفة يستفتيهما، ويُرجع الآخرين اليهما.

و ـ عمل الاثنين المذكورين بسياسة الخلافة في رواية الحديث:

إذا تدبّرنا في نوع الآيات الّتي كان الخليفة يوجّه الأسئلة عن تفسيرها إلىٰ

---

(١) تاريخ ابن كثير ٨ / ١٠٧.

(٢) كنز العمال، كتاب العلم، باب في آداب العلم والعلماء، فصل في رواية الحديث، طبعة حيدر آباد ١٠ / ١٨٠، الحديث رقم ١٣٩٨؛ ومنتخبه بهامش مسند أحمد ٤ / ٦٢.

ابن عباس، وجدناها تدور حول آيات ليس فيها مدح أو قدح لإنسان عملاً بسياسة قريش في نهيهم عن نشر حديث الرسول لما فيه مدح أو قدح لإنسان لزعمهم أنها صدرت في حال رضا الرسول أو سخطه علىٰ ذلك الإنسان.

كان ذلكم في العلن.

أمّا في الخفاء فكان أحياناً ونادراً ما يجري الحديث المحظور، ومن جملته ما رواه الطبري والبخاري ومسلم وغيرهم عن ابن عباس واللفظ للأول قال: قال ابن عباس:

مكثتُ سنة وأنا أُريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن المتظاهرتين ـ المذكورتين في سورة التحريم ـ فما أجد له موضعاً أسأله فيه، حتىٰ خرج حاجاً وصحبته حتىٰ إذا كان بمرّ الظهران ـ علىٰ مرحلة من مكة ـ ذهب لحاجته، وقال: أدركني باداوة من ماء، فلمّا قضىٰ حاجته ورجع أتيته بالاداوة أصبُّها عليه فرأيت موضعاً، فقلت:...[1].

كان في حمل ابن عمّ الرسول الاداوة للخليفة تجمُّل له، وفي مثل هذا المقام وجد الفتىٰ الذكي فرصة مناسبة ليسأل الخليفة في معزل عن الناس عن خبر محظور الحديث حوله.

وجلُّ ما روي عن ابن عباس في التفسير تفسير لفظي لآيات القرآن الكريم.

كان ذلكم شأن ابن عباس وأحاديثه حول القرآن الكريم.

وإذا تدبّرنا أحاديث أُمّ المؤمنين عائشة، وجدنا كثيراً ممّا روي في فضائل الخليفتين تنتهي أسانيدها إليها، ووجدنا في أحاديثها إنكاراً لبعض فضائل

---

(١) تفسير الآية بتفسير الطبري ٢٨ / ١٠٤ ـ ١٠٥، وصحيح البخاري ٣ / ١٣٧ ـ ١٣٨، و ٤ / ٢٢، وصحيح مسلم، كتاب الطلاق، الحديث ٣١ ـ ٣٤، ٢ / ١١٠٨، ومسند أحمد ١ / ٤٨.

الإمام عليّ، كما مرّ بنا شيءٌ منها في بحث الوصيّة من المجلّد الأوّل من كتاب معالم المدرستين، والدراسة المفصّلة لأحاديثها منشورة في كتابنا (أحاديث أُمّ المؤمنين عائشة) والحمد لله.

والحقّ أنّ كلاً من أُمّ المؤمنين عائشة وعبدالله بن عباس كانا يمتازان بذكاء مفرط يستفيد منهما الخليفة في حسن تنفيذ سياسة الخلافة، ويدرك ذلك بوضوح في ما روي عن ابن عباس في تفسير القرآن علىٰ عهد الخليفة عمر وما روي عن أُمّ المؤمنين عائشة في عامّة أيّام حياتها.

* * *

كان ذلكم شأن ابن عباس وأُمّ المؤمنين عائشة في أمر الإفتاء وتفسير القرآن ممّن صحب الرسول.

أمّا من علماء أهل الكتاب، فكان شأنهما في ذلك كالآتي.

ز ـ السماح لكعب الأحبار برواية الأخبار:

أبو إسحاق كعب بن ماتع الملقب بكعب الاحبار وكعب الحَبر، واشتهر بكعب الأحبار، والحبر عالم اليهود، وأحياناً يقال لغير علماء اليهود ـ أيضاً ـ الحبر، وكان اليهود يسمُّونه بكعب الأحبار لأنّه كان عنده جميع كتب اليهود أو لأنّه أحد كبار علمائهم، قالوا في ترجمته:

أ ـ كان من كبار علماء أهل الكتاب[1].

ب ـ كان من أحبار اليهود في اليمن، وجاء إلى المدينة في عصر الخليفة عمر، ويظهر ممّا ذكروا في ترجمته أنّه سافر من اليمن إلى المدينة، ليذهب منها إلى

---

(١) تذكرة الحفاظ ١ / ٥٢.

الأرض الموعودة لليهود: الشام[1].

يظهر ممّا ذكروا من أخبار كعب الأحبار مع الخليفة عمر أنّ الخليفة تدرّج في الركون إلىٰ أقوال كعب في تفسير القرآن.

فقد روى السيوطي عن ابن عمر أنّه قال: تلا رجل عند عمر ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا﴾ فقال كعب: عندي تفسير هذه الآية قرأتها قبل الإسلام.

فقال: هاتها ياكعب، فإن جئت بها كما سمعت من رسول الله (ص) صدّقناك.

قال: إنّي قرأتها قبل الإسلام ﴿كلّما نضجت جُلودهم بدّلناهم جلوداً غيرها﴾ في الساعة الواحدة عشرين ومائة مرّة.

فقال عمر: هكذا سمعت من رسول الله (ص)[2].

وفي رواية أُخرىٰ قال: ان عمر بن الخطاب قال: يا كعب ما عدن؟

قال: قصور من ذهب في الجنّة يسكنها النبيّون والصدِّيقون وأئمّة العدل.

وفي قوله ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾ قال: العذاب[3].

وارتفع مقامه عند الخليفة علىٰ حسب ما يظهر من الرواية الآتية:

عن كعب قال: كنت عند عمر بن الخطاب، فقال: خوِّفنا يا كعب، فقلت: يا أمير المؤمنين! أَوَليس فيكم كتاب الله وحكمة رسوله؟ قال: بلىٰ ولكن خوّفنا، قلت: يا أمير المؤمنين! لو وافيت القيامة بعمل سبعين نبياً لازدريت عملك مما

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ١ / ١٠٩.

(٢) تفسير الدرّ المنثور للسيوطي ٢ / ١٧٤، تفسير سورة النِّساء / ٥٦، وتفسير سورة الرّعد الآية ٢٣.

(٣) تفسير الدرّ المنثور للسيوطي ٥ / ٣٤٧، تفسير سورة غافر / ٧.

ترىٰ، قال: زدنا، قلت: يا أمير المؤمنين لو فتح من جهنم قدر منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب لغلى دماغه حتىٰ يسيل من حرها، قال: زدنا، قلت: يا أمير المؤمنين ان جهنم لتزفر زفرة يوم القيامة لا يبقىٰ ملك مقرب ولا نبي مرسل إلّا خرّ جاثياً علىٰ ركبتيه حتىٰ إن إبراهيم خليله ليخر جاثياً علىٰ ركبتيه فيقول رب نفسي نفسي لا أسألك اليوم إلّا نفسي، فأطرق عمر ملياً، قلت: يا أمير المؤمنين! أَوَليس تجدون هذا في كتاب الله؟ قال: كيف قلت قول الله في هذه الآية: **﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾**[1].

وقال عمر لكعب: ما أوّل شيء ابتدأه الله من خلقه؟

فقال كعب: كتب الله كتاباً لم يكتبه بقلم ولا مداد، ولكن كتب باصبعه يتلوها الزبرجد واللؤلؤ والياقوت: أنا الله لا إله إلّا أنا سبقت رحمتي غضبي[2].

وسأل كعباً فقال: أخبرني عن هذا البيت ما كان أمره؟

فقال: إن هذا البيت أنزله الله من السماء ياقوتة حمراء مجوفة مع آدم فقال يا آدم انّ هذا بيتي، فطف حوله وصلِّ حوله كما رأيت ملائكتي تطوف حول عرشي وتصلّي، ونزلت معه الملائكة فرفعوا قواعده من حجارة، ثمّ وضع البيت على القواعد، فلمّا أغرق الله قوم نوح رفعه الله إلى السماء وبقيت قواعده[3].

وسأل عمر بن الخطاب كعباً عن الحجر، فقال: مروة من مرو الجنة[4].

وعلىٰ أثر اعتماد الخليفة عليه، ركن الآخرون إلىٰ كعب، كما يظهر ذلك ممّا

---

(١) الدرّ المنثور للسيوطي ٤ / ١٣٣، تفسير سورة النّحل / ١١١.

(٢) نفس المصدر ٣ / ٦.

(٣) نفس المصدر ١ / ١٣٢.

(٤) نفس المصدر ١ / ٣٥.

رواه ـ أيضاً ـ السيوطي وقال:

وعن عبدالله بن الحارث قال: كنت عند عائشة، وعندها كعب، فذكر إسرافيل (ع)، فقالت عائشة: اخبرني عن إسرافيل (ع).

قال: له أربعة أجنحة جناحان في الهواء، وجناح قد تسرول به، وجناح علىٰ كاهله والقلم علىٰ أُذنه. فإذا نزل الوحي كتب القلم ودرست الملائكة وملك الصور أسفل منه جاث علىٰ احدىٰ ركبتيه وقد نصب الأُخرىٰ، فالتقمَ الصور فحنىٰ ظهره وطرفه إلىٰ إسرافيل ضمّ جناحيه ان ينفخ في الصور[1].

روىٰ كعب عن النبي (ص) مرسلاً، وعن عمر وصهيب وعائشة، وروىٰ عنه من الصحابة ابن عمر وأبو هريرة وابن عباس وابن الزّبير ومعاوية، ومن كبار التابعين أبو رافع الصائغ ومالك بن عامر وسعيد بن المسيب وابن امرأته تبع الحميري، وممّن بعدهم عطاء وعبدالله بن ضمرة السلولي وعبدالله بن رباح الأنصاري وآخرون[2].

وقال رأس الجالوت لهم: إن كل ما تذكرون عن كعب بما يكون أنّه يكون إن كان قال لكم إنّه مكتوب في التوراة، فقد كذبكم، إنما التوراة كتابكم إلّا أن كتابكم جامع يسبح لله ما في السماوات وما في الأرض وفي التوراة يسبح لله الطير والشجر وكذا وكذا.

وإنّما الّذي يحدّث به كعب عمّا يكون من كتب أنبياء بني إسرائيل وأصحابهم كما تحدّثون أنتم عن نبيّكم وعن أصحابه.

وأحياناً كان الصحابة يردّون علىٰ كعب ما يرويه كالخبر الآتي:

---

(١) الدرّ المنثور للسيوطي ٥ / ٣٣٨، تفسير سورة الزُّمر / ٦٨.

(٢) تهذيب التهذيب بترجمة كعب الأحبار ٨ / ٤٣٨.

قال: بلغ حذيفة أن كعباً يقول: إن السماء تدور علىٰ قطب كالرحىٰ، فقال كذب كعب، إنّ الله يقول ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾، ووقع ذكره في عدّة مواضع في الصحيح منها عند مسلم في حديث الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبيّ (ص) قال: «إذا أدّى العبد حقّ الله وحق مواليه كان له أجران»، قال أبو هريرة فحدثت به كعباً فقال ليس عليه حساب ولا علىٰ مؤمن زهد[1].

وذكر أبو الدرداء كعباً فقال: إنّ عند ابن الحميريّة لَعلماً كثيراً[2].

ح ـ أخبار القراءة والإقراء وتدوين القرآن:

روىٰ ابن أبي داود في باب كتابة المصاحف حفظاً من كتابه المصاحف، ص ١٣٧ بسنده وقال ما موجزه:

جاء رجل إلىٰ عمر وهو يعرفه، فقال: يا أمير المؤمنين! جئتك من الكوفة وتركت بها رجلاً يُملي المصاحف عن ظهر قلبه.

قال: فغضب عمر، وقال: من هو ويحك!؟

قال: هو عبدالله بن مسعود.

فتسرَّىٰ عنه الغضب وعاد إلىٰ حالته.

وإذا علمنا ان ابن مسعود كان الموفد من قبل الخليفة لإقراء القرآن في الكوفة وأن الإقراء كان في حالة كهذه في مسجد البلد أدركنا أن عدد تلاميذه كان يبلغ الألوف ممّن يكتبون في مصاحفهم ما يُملي عليهم ابن مسعود من القرآن.

---

(١) الإصابة ٣ / ٢٩٨ ـ ٢٩٩ في القسم الثالث، تهذيب التهذيب لابن حجر ٨ / ٤٣٨، ومصوّرة مخطوطة ابن عساكر ١٤ / ٢ / ٢٨٤ (ب).

(٢) طبقات ابن سعد ٧ / ١٥٦ من الطبقة الثانية، وقصد من العلم روايات كعب الآنفة.

وروى السيوطي بسنده في الإتقان ٢ / ١٧٠ وقال: إنّ الخليفة عمر وجد مع رجل مصحفاً قد كتبه بقلم دقيق، فكره ذلك وضربه، وقال: عظّموا كتاب الله تعالىٰ.

قال: وكان عمر إذا رأىٰ مصحفاً عظيماً سرّ به.

من أخبار القرّاء في عصر عمر:

في مصاحف ابن أبي داود السجستاني عن عطيّة بن قيس قال: انطلقَ ركبٌ من أهل الشام إلى المدينة يكتبون مُصحفاً لهم، فانطلقوا معهم بطعام وإدامٍ وكانوا يطعمون الّذين يكتبون لهم، فكان أُبي يمرُّ عليهم يقرأ القرآن فقال عمر: يا أُبيّ! كيف وجدت طعام الشام؟ قال: لأُوشك إذا ما نسيتُ أمرَ القوم ما أصبتُ لهم طعاماً ولا إداماً [١].

وروى البخاري وقال: كان القرّاء أصحاب مجلس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أم شبّاناً [٢].

وروى المتقي في كنز العمال، وقال: كتب عمر بن الخطاب إلىٰ أُمراء الأجناد أن ارفعوا إليَّ كلَّ من حمل القرآن حتى الحقهم في الشرف من العطاء وأُرسلهم في الآفاق يعلِّمون الناس، فكتب إليه الأشعري انّه بلغ من قبلي من حمل القرآن ثلاثمائة وبضع رجال [٣].

---

(١) كنز العمال ٢ / ٣٤٢، رقم الحديث ٤١٩٦، عن مصاحف ابن أبي داود.

وعطية بن قيس الكلابي: أبو يحيى الحمصي ويقال الدمشقي، وقال عبد الواحد بن قيس كان الناس يصلحون مصاحفهم علىٰ قراءة عطية بن قيس، وتوفّي سنة ١١٠هـ. تهذيب التهذيب ٧ / ٢٢٨.

(٢) البخاري، كتاب الإعتصام باب (٢٨) ٤ / ١٨١، وباب الإقتداء بسنن رسول الله (ص) ٤ / ١٧١. وكتاب التفسير، باب خذ العفو وأمر بالعرف ٣ / ٨٩.

(٣) كنز العمال ٢ / ١٨٣، الحديث ٢٠٣٧.

عن محمّد بن كعب القُرظي، قال: جمع القرآن في زمانِ النبي (ص) خمسةٌ من الأنصار: معاذ بن جبلٍ، وعبادةُ بن الصامتِ، وأُبيٌّ بن كعب، وأبو أيوب، وأبو الدرداء.

فلمّا كان زمانُ عمر بن الخطاب كتب إليه يزيد بن أبي سفيان، انّ أهل الشام قد كثروا وربَلوا وملأوا المدائن، واحتاجوا إلىٰ من يعلِّمهم القرآن، ويفقّهم فأعِن يا أمير المؤمنين برجالٍ يعلّمونهم.

فدعا عمر أُولئك الخمسة، فقال لهم: إنّ إخوانكم من أهل الشام قد استعانوني بمَن يعلِّمهم القرآن ويفقِّههم في الدِّين، فأعينوني رحمكم الله بثلاثةٍ منكم، إن أحببتم فاستهموا، وإن انتدب منكم ثلاثة فليخرجوا.

فقالوا: ما كنّا لنساهم، هذا شيخ كبير ـ لأبي أيوب ـ، وأمّا هذا، فسقيم ـ لأُبيّ ابن كعب ـ.

فخرج معاذ بن جبل وعبادة وأبو الدرداء، فقال عمر: ابدأوا بحمص، فإنّكم ستجدون الناس علىٰ وجوهٍ مختلفة، منهم من يلقن، فإذا رأيتم ذلك فوجهوا إليه طائفة من الناس فاذا رضيتم منهم فليقُم بها واحدٌ، وليخرج واحدٌ إلىٰ دمشق، والآخر إلىٰ فلسطين.

فقدموا حمص، فكانوا بها حتىٰ اذا رضوا من الناس أقام بها عبادة، ورجع أبو الدرداء إلىٰ دمشق، ومعاذ إلىٰ فلسطين.

فأمّا معاذ، فمات عام طاعون عَمواس، وأمّا عبادة، فسار بعد إلىٰ فلسطين فمات بها، وأمّا أبو الدرداء فلم يزَل بدمشق حتّىٰ مات[1].

---

(١) كنز العمال ٢ / ٣٦٥ ـ ٣٦٦، الحديث رقم ١٨٨٣، ط. حيدر آباد سنة ١٣٦٤هـ، وطبقات ابن سعد، ط. أوربا ٢ / ق ٢ / ١١٤، وط. بيروت ٢ / ٣٥٧.

دراسة الأخبار:

أ ـ كان القرّاء يشاركون جنود المسلمين في سكنىٰ مراكز الجنود مثل الكوفة والبصرة، فأراد الخليفة أن يوظّف القرّاء للإقراء في آلاف البلاد الّتي فتحت علىٰ عهده.

ب ـ كان الخليفة دوّن دواوين للعطاء، وفضّل فيه بعضهم علىٰ بعض، فقد فرض ـ مثلاً ـ لأهل بدر خمسة آلاف درهم، ولمن حضر أُحداً بعد أهل بدر أربعة آلاف، ولمن بعدهم أقلّ من ذلك إلىٰ ثلاثمائة درهم ومائتين[1]، وعليه يكون الشّرف من العطاء الّذي رفع إليه الخليفة عمر القرّاء خمسة آلاف درهم.

وبعث القرّاء للإقراء في البلاد الإسلامية مثل ابن مسعود الّذي بعثه للإقراء في الكوفة، وعبادة بن الصامت ومعاذ بن جبل وأبي الدرداء للشام، ونصب عبدالرّحمٰن بن ملجم مقرئاً لمصر.

وكان يضيف لبعضهم مع الإقراء وظيفة أُخرىٰ كما روىٰ ابن الأثير في أُسد الغابة بترجمة عبادة وقال: «أرسله عمر بن الخطاب وأرسل معه معاذ بن جبل وأبا الدرداء، ليعلّموا الناس القرآن بالشام ويفقّهوهم في الدّين، وأقام عبادة بحمص وأقام أبو الدرداء بدمشق ومضىٰ معاذ إلىٰ فلسطين»[2].

وقال: إنّ عبادة تولّىٰ قضاء فلسطين.

وبلغ كثرة القرّاء في البلاد الإسلامية إلىٰ حد أنّه خرج على الإمام بعد تحكيم الحكمين ثمانية آلاف من قراء الناس من بلد الكوفة[3].

وبسبب كل ما ذكرناه لم يكن يولد مولود في أي بقعة أرض من أراضي

---

(١) راجع ذكر العطاء في خلافة عمر بفتوح البلدان للبلاذري ٦٢٩ ـ ٦٤٦.

(٢) أُسد الغابة ٣ / ١٠٦.

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي ٢ / ١٨٥ في ذكر حوادث سنة ٣٨هـ.

المسلمين ولا يعتنق الإسلام إنسان ما علىٰ وجه الأرض منذ عصر الرسول حتىٰ عصر الإمام عليّ (ع) إلّا ويشترك مع سائر المسلمين في حلبة السباق في تقارؤ القرآن مؤمناً كان أو منافقاً، فالمؤمن طلباً لرضا الله والمنافق طلباً للشهرة في مجتمع كان القرآن فيه ميزاناً للمفاضلة بين أهله.

ولذلك لما انتشرت الفتوح في عصر الخليفة عمر بلغ عدد القرّاء بين المسلمين ما لا يحصيه غير الله سبحانه.

كثرة القرّاء في عصر عمر:

ومن أخبار القرّاء في هذا العصر ما رواه أبو نعيم بسنده عن أبي الأسود الدؤلي أنّه قال[1]: جمع أبو موسى القرّاء، فقال: لا تُدخِلوا عليَّ إلّا مَنْ جمع القرآن.

قال: فدخلنا عليه زهاء ثلاثمائة فوعظنا، وقال: أنتم قراء أهل البلد، فلا يطولن عليكم الأمد...

وأيضاً روىٰ عن أبي كنانة عن أبي موسى الأشعري: أنّه جمع الّذين قرأوا القرآن فاذا هم قريب من ثلاثمائة، فعظم القرآن وقال: إنّ هذا القرآن كائن لكم أجراً...

وقال: كان أبو موسى الأشعري يطوف علينا في هذا المسجد ـ مسجد البصرة ـ يقعد حلقاً، فكأنّي أنظر إليه بين بردين أبيضين يقرئني القرآن ومنه أخذت هذه السورة (اقرأ باسم ربّك الّذي خلق)، قال أبو رجاء: فكانت أوّل سورة نزلت علىٰ محمّد رسول الله (ص).



---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم ١ / ٢٥٦ و٢٥٧.

كان ذلكم بعض أخبار القرّاء في هذا العصر، وفي ما يأتي نذكر بحوله تعالىٰ خبر اثنين منهم أكثر تفصيلاً في ما يأتي:

أ ـ عبدالرّحمٰن بن ملجم المرادي:

قال ابن حجر في ترجمته من الإصابة:

(أدرك الجاهلية وهاجر في خلافة عمر وقرأ علىٰ معاذ بن جبل).

وقال في ترجمته بلسان الميزان:

شهد فتح مصر واختطّ بها.

وانّ عمرو بن العاص أمره بالنزول بالقرب منه، لأنّه كان من قرّاء القرآن وانّ عمر ـ الخليفة ـ كتب إلىٰ عمرو أن قرّب دار عبدالرّحمٰن بن ملجم من المسجد ليعلّم الناس القرآن والفقه[1].

ب ـ أبو الدرداء:

مثال عن كيفية الإقراء بعد الصحابة:

قال الذهبي في معرفة القرّاء الكبار، ص ٣٨ ـ ٣٩ ما موجزه:

أبو الدرداء: عويمر الأنصاري الخزرجي، اختلفوا في اسم أبيه، قرأ القرآن علىٰ عهد النبيّ (ص)، تأخّر إسلامه عن بدر، وآخى الرسول بينه وبين سلمان، وقال:

كان أبو الدرداء إذا صلّى الغداة في جامع دمشق اجتمع الناس للقراءة عليه، فكان يجعلهم عشرة عشرة، وعلىٰ كل عشرة عريفاً، ويقف هو في المحراب يرمقهم ببصره، فاذا غلط أحدهم رجع إلىٰ عريفه، فإذا غلط عريفهم رجع إلىٰ أبي الدرداء يسأله عن ذلك.

---

(١) الإصابة ٣ / ٩٩، ط. مصر سنة ١٣٥٨ هـ. لسان الميزان ٣ / ٤٣٩ ـ ٤٤٠.

قال: طلب أبو الدرداء أن يعدّوا مَنْ يقرأ عنده القرآن، فعدّوهم ألفاً وستمائة ونيفاً، وكان لكل منهم مقرئ.

وكان أبو الدرداء قائماً عليهم، وكان إذا حكم الرجل منهم تحوّل إلىٰ أبي الدرداء[1].

حصيلة الأخبار:

نجحت سياسة الخليفة في توجيه المسلمين إلى الاقتصار علىٰ ترديد النص القرآني دون معرفة شأن نزوله في جميع الموارد، واتّبعه المسلمون في الرجوع عمّا تعوّدوه في عصر الرسول (ص) من تعلّم جميع ما في الآيات من علم وعمل إلىٰ قراءة النص القرآني وحده[2].

ونشأ علىٰ أثر تلكم السياسة جيل من القرّاء فضّلتهم الخلافة علىٰ سائر المسلمين بمنحهم شرف العطاء، وكان كل ما لدىٰ هؤلاء القـرّاء، حفظ النـص القرآني عن ظهر قلب وتكراره صباح مساء دون التفقه في الدين، ونشأ بذلك في كل بلد اسلامي طبقة متميِّزة من سائر المسلمين يتمتعون باحترام خاصّ. وكان لهذه السياسة أثر بعيد كما بينا ذلك في بحث القرّاء، وأثر قريب سوف ندرسه في بحث تاريخ القرآن في عصر عليّ ـ إن شاء الله تعالىٰ ـ.



كانت تلكم سياسة الخليفة عمر في عمله بسياسة الخليفة أبي بكر وتجريده القرآن والإقراء من حديث الرسول، وفي ما يأتي ندرس بإذنه تعالىٰ خصائص المجتمع الإسلامي وأخبار القرآن علىٰ عهد الخليفة عثمان.

---

(١) معرفة القراء الكبار للذهبي، ص ٣٨ ـ ٣٩.

(٢) راجع قبله نظام تعلم القرآن في عصر الرسول في المدينة.

خصائص المجتمع الإسلامي علىٰ عهد الخليفة عثمان

بما أنّ فهم كثير من روايات مدرسة الخلفاء حول القرآن الكريم متوقّف علىٰ دراسة ما جرىٰ في الحكم الأموي لا سيّما ما جرىٰ من قبل الخليفتين عثمان ومعاوية والأمير الحجّاج، ندرس بإذنه تعالىٰ في ما يأتي ما جرىٰ علىٰ عهدهم بشيء من التفصيل بعدما بويع لعثمان مستهلّ محرّم عام ٢٤هـ.

في الاغاني:

وعندما ولي عثمان الخلافة دخل عليه أبو سفيان، فقال: يا معشر بني أُميّة! إنّ الخلافة صارت في تيم وعديّ حتىٰ طمعت فيها، وقد صارت إليكم فتلقّفوها بينكم تلقّف الصبيّ الكُرة؛ فوَالله ما من جنّةٍ ولا نارٍ؛ فصاح به عثمان: «قم عنّي، فعل الله بك وفعل»[1].

وفي رواية أُخرىٰ أنّه قال: يا بني أُميّة! تلقّفوها تلقّف الكُرة، فوَالذي يحلف به أبو سفيان مازلت أرجوها لكم، ولتصيرنَّ إلىٰ صبيانكم وراثةً، فانتهره عثمان وساءه ما قال[2].

وفي رواية أُخرىٰ: دخل أبو سفيان علىٰ عثمان بعد أن كفَّ بصره، فقال: هل علينا من عين؟ قال: لا. فقال: يا عثمان! إنّ الأمر أمرٌ عالميّة، والملك ملكٌ

---

(١) الأغاني ٦ / ٣٣٤ ـ ٣٣٥، والإستيعاب، ص ٦٩٠، راجع النزاع والتخاصم للمقريزي ص ٢٠، ط. النجف.

(٢) مروج الذهب بهامش ابن الأثير ٥ / ١٦٥ ـ ١٦٦.

جاهليّة، فاجعل أوتاد الأرض بني أُميّة[1].

وفي هذا العصر كان ما روي عنه: أنّه مرّ بقبر حمزة، وضربه برجله، وقال: يا أبا عمارة! إنّ الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيف أمس صار في يد غلماننا اليوم يتلعّبون به[2].

قال المؤلّف:

سوف نرىٰ في ما يأتي من بحوث ـ إن شاء الله تعالىٰ ـ كيف نفّذ بنو أُميّة وصيّة شيخهم وعميد أُسرتهم في مدّة حكمهم بكلّ اتقان.

أمّا الخليفة الأموي عثمان، فقد أدنىٰ أقرباءه، بدءاً بعمّه الحكم بن أبي العاص الّذي استقدمه من الطائف إلى المدينة وكان الرسول (ص) لعنه وطرده إليها لما كان يتجسّس على الرسول (ص)، ويغمزه باصبعه كما في ترجمته في الإصابة.

وكان أبو بكر وعمر قد رفضا طلب عثمان ولم يأذنا له بالعودة إلى المدينة[3].

روى اليعقوبي في تاريخه في هذا الصدد وقال:

كان على الحكم يوم قدم المدينة فزر خلق (فزر الثوب: انشقّ وتقطّع وبلي) وهو يسوق تيساً حتىٰ دخل دار عثمان والناس ينظرون إلىٰ سوء حاله

---

(١) الأغاني ٦ / ٣٣٥، وفي تهذيب ابن عساكر (٦ / ٤٠٩)، وهذا لفظه: «وعن أنس أنّ أبا سفيان دخل علىٰ عثمان بعدما عمي، فقال: هل هاهنا أحد؟ فقال: لا. فقال: اللّهمّ اجعل الأمر أمر جاهلية، والملك ملك غاصبية، واجعل أوتاد الأرض لبني أُميّة».

(٢) شرح النهج ٤ / ٥١، الطبعة المصرية الأُولىٰ. وطبعة دار إحياء الكتب العربية، تحقيق محمّد أبي الفضل إبراهيم، ١٦ / ١٣٦.

(٣) الإصابة ١ / ٣٤٤ ـ ٣٤٥، والإستيعاب ١ / ١١٨ ـ ١١٩.

وحال من معه، ثمّ خرج وعليه جبّة خزّ وطيلسان[١].

وقال ابن قتيبة في المعارف: أعطاه مائة ألف درهم[٢].

وقال البلاذري في الأنساب: ولّاه صدقات قضاعة ـ حيّ في اليمن ـ فبلغت ثلاثمائة ألف درهم، فوهبها له حين أتاه بها، وكان يجلسه علىٰ سريره، ولمّا مات بالمدينة ضرب علىٰ قبره فسطاطاً[٣].

وأدنىٰ مروان بن الحكم صهره من ابنته أمّ أبان، واتّخذه كاتباً وأعطاه خمسمائة ألف دينار (خُمس غنائم أفريقيا)[٤].

وأقطع الحارث بن الحكم صهره من ابنته عائشة سوق مهزور بالمدينة وكان تصدق بها رسول الله (ص) على المسلمين[٥] واعطاه ثلاثمائة ألف درهم وقدمت إبل الصدقة، فوهبها له[٦].

وأعطىٰ سعيد بن العاص بن أُميّة مائة ألف درهم[٧].

وأعطىٰ لعبدالله بن خالد بن أُسيد بن أبي العاص بن أُميّة ثلاثمائة ألف درهم ولكل رجل من قومه الف درهم[٨]، اعطىٰ عبدالله أربعمائة ألف درهم،

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٦٤.

(٢) المعارف لابن قتيبة، ص ٨٤.

(٣) أنساب الأشراف ٥ / ٢٨.

(٤) المعارف لابن قتيبة الدينوري، ص ٨٤، والنهج لابن أبي الحديد ١ / ٦٦، والعقد الفريد ٤ / ٢٨٣، وأنساب الأشراف ٥ / ٢٥ و٨٨، ومخطوطة تاريخ ابن عساكر، مصوّرة المجمع العلمي بطهران ١١ / ١ / ١٤٠ أ.

(٥) المعارف لابن قتيبة الدينوري، ص ٨٤، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ / ٦٧، العقد الفريد ٤ / ٢٨٣.

(٦) أنساب الأشراف ٥ / ٢٨.

(٧) أنساب الأشراف ٥ / ٢٨.

(٨) أنساب الأشراف ٥ / ٢٨.

وزوج ابنته من عبدالله بن خالد بن أسيد، وأمر له بستمائة ألف درهم[1].

وأعطىٰ أبا سفيان مائتي الف من بيت المال في اليوم الّذي أمر فيه لمروان ابن الحكم بمائة ألف من بيت المال[2]. قال البلاذري: كان في بيت المال سفط فيه حليّ وجوهر، فأخذ منه عثمان ما حلّىٰ به بعض اهله، فأظهر الناس الطّعن عليه في ذلك، وكلّموه فيه بكلام شديد حتىٰ أغضبوه، فقال:

هذا مال الله أُعطيه من شئت وأمنعه من شئت فأرغم الله أنف مَنْ رغم.

وفي لفظ: لنأخذنّ حاجتنا من هذا الفيء وإن رغمت أُنوف أقوام...[3].

وجاء إليه أبو موسىٰ بكيلة ذهب وفضّة، فقسّمها بين نسائه وبناته، وأنفق أكثر بيت المال في عمارة ضياعه ودوره[4].

وقال ابن سعد:

كان لعثمان عند خازنه يوم قتل ثلاثون ألف ألف درهم وخمسمائة ألف درهم، وخمسون ومائة ألف دينار.

وترك ألف بعير بالربذة وصدقات ببراديس وخيبر ووادي القرىٰ قيمة مائتي ألف دينار[5].

وفي ترجمة عثمان من انساب الأشراف للبلاذري وغيره: عن سليم، أبي عامر، قال: رأيت على عثمان برداً ثمنه مائة دينار.

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٦٨، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ / ٦٦، والعقد الفريد ٤ / ٢٨٣.

(٢) ابن أبي الحديد ١ / ٦٧.

(٣) أنساب الأشراف ٥ / ٥٨.

(٤) الصواعق المحرقة، ص ٦٨، والسيرة الحلبية ٢ / ٧٨.

(٥) طبقات ابن سعد ٣ / ٥٣.

وفي رواية أُخرىٰ عن محمّد بن ربيعة بن الحارث قال: رأيت علىٰ عثمان مطرف خز ثمّنته مائة دينار فقال: هذا لنائلة كسوتها إيّاه فأنا ألبسه لأسرّها بذلك[1].

وقال الذهبي: كان قد صار له أموال عظيمة (رض) وله ألف مملوك[2].

وقال المسعودي: بنىٰ في المدينة داراً وشيّدها بالحجر والكلس، وجعل أبوابها من الساج والعرعر، واقتنىٰ أموالاً وجناناً وعيوناً بالمدينة.

وذكر عبدالله بن عتبة انّ عثمان يوم قتل كان عند خازنه من المال خمسون ومائة ألف دينار وألف ألف درهم وقيمة ضياعه بوادي القرىٰ وحُنين وغيرهما مائة ألف دينار وخلف خيلاً كثيراً وابلاً[3].

ويتلخّص ما جرىٰ في مدّة خلافته ما رواه ابن سعد وقال: لمّا ولي عثمان عاش اثنتي عشرة سنة أميراً يعمل ست سنين لا ينقم الناس عليه شيئاً، وانّه لأحبّ إلىٰ قريش من عمر بن الخطّاب، لأنّ عمر كان شديداً عليهم، فلمّا وليهم عثمان لانَ لهم ووصلهم، ثمّ توانىٰ في أمرهم واستعمل أقرباءه وأهل بيته في السّت الأواخر، وكتب لمروان بخمس مصر، واعطىٰ أقرباءه المال، وتأوّل في ذلك الصّلة الّتي أمر الله بها، واتخذ الاموال، واستسلف من بيت المال، وقال: إنّ أبابكر وعمر تركا من ذلك ما هو لهما، وإنّي اخذته، فقسّمته في أقربائي، فأنكر الناس عليه ذلك.

وروىٰ ـ أيضاً ـ وقال:

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري ٥/٣، ط. بغداد، والرواية الثانية في طبقات ابن سعد ٣ / ٤٠ مع اختلاف في اللفظ.

(٢) دول الإسلام ١ / ٢٤، ط. مصر سنة ١٩٧٤م.

(٣) مروج الذهب للمسعودي ٢ / ٣٣٢.

إنّ عثمان كان يقول: أيُّها الناس! إنّ أبا بكر وعمر كانا يتأوّلان في هذا المال ظَلْفَ أنفسهما ـ يريدان المشقة لأنفسهما ـ وذوي أرحامهما، وانّي تأوّلت فيه صلة رحمي[1].

وروىٰ ابن عساكر في ترجمة عثمان عن الزهري وقال:

إنّ عثمان لما ولي كره ولايته نفر من الصحابة، لأنّ عثمان كان يحبّ قومه، فولي الناس اثنتي عشرة سنة، وكان كثيراً ما يولّي بني أُميّة ممّن لم يكن له مع النبيّ ـ عليه الصلاة والسلام ـ صحبة، فكان يجيء من امرائه ما ينكره أصحاب محمّد ـ عليه الصلاة والسلام ـ وكان عثمان يُسْتَعْتَبُ فيهم فلا يعزلهم، وذلك في سنة خمس وثلاثين، فلمّا كان في الستِّ الأواخر استأثر بني عمّه، فولّاهم وما أشرك معهم، وأمرهم بتقوى الله، فولّىٰ عبدالله بن سعد بن أبي سرح مصر، فمكث عليها سنين، فجاء أهل مصر يشكونه ويتظلّمون منه، وقد كان قبل ذلك من عثمان هَنَاة إلىٰ عبدالله بن مسعود، وأبي ذر، وعمّار بن ياسر، فكانت بنو هُذَيْل وبنو زهْرَة في قلوبهم ما فيها لحال ابن مسعود، وكانت بنو غفار وأحلافها ومن غضب لأبي ذر في قلوبهم ما فيها، وكانت بنو مخزوم قد حنقت علىٰ عثمان لحال عمّار بن ياسر[2].

تولية بني أُميّة علىٰ رقاب المسلمين:

كانت تلكم أمثلة من سيرة الخليفة الأمويّ عثمان في الأموال، وكانت سيرته في توليته بني عمومته علىٰ رقاب المسلمين كما يأتي بيانه:

---

(١) طبقات ابن سعد ٣ / ٤٤.

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر، مخطوطة مصوّرة المجمع العلمي الإسلامي بطهران ١١ / ١ / ١٤٠ أ، والعقد الفريد ٤ / ٢٨٧، وأنساب الأشراف للبلاذري ٥ / ٢٦.

قال الذهبي في دول الإسلام، ص ٢٤:

ثمّ أخذوا ينقمون علىٰ خليفتهم عثمان، لكونه يعطي المال لأقاربه ويولّيهم الولايات الجليلة، فتكلّموا فيه.

وفي ما يأتي تفصيل الخبر:

أ ـ اتّخذ مروان كاتباً ووزيراً، وكان مروان يقطع الأُمور دونه، قال اليعقوبي في تاريخه (٢ / ١٧٣): وكان الغالب عليه مروان بن الحكم وأبو سفيان ابن حرب.

ب ـ أقطع الحارث بن الحكم سوق المدينة[١].

ج ـ جمع بلاد الشام لمعاوية بن أبي سفيان[٢].

د ـ جمع البصره وبلاد فارس لابن خاله عبدالله بن عامر بن كريز[٣].

هـ ـ ولّىٰ على الكوفة أخاه لأُمّه الوليد بن عقبة بن أبي معيط ثمّ سعيداً[٤].

و ـ ولّىٰ علىٰ مصر وأفريقيا أخاه من الرضاعة عبدالله بن سعد بن أبي سرح[٥].

---

(١) المعارف لابن قتيبة الدينوري، ص ٨٤، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ / ٦٧، والعقد الفريد ٤ / ٢٨٣.

(٢) تاريخ الكامل لابن الأثير ٣ / ٤٤، والبداية والنهاية لابن كثير ٨ / ١٢٤.

(٣) أنساب الأشراف ٥ / ٣٠، تاريخ الكامل لابن الأثير ٣ / ٣٧، البداية والنهاية لابن كثير ٧ / ١٥٣ ـ ١٥٤.

(٤) أنساب الأشراف (٥ / ٢٩ و ٣٩)، وتاريخ الكامل لابن الأثير ٣ / ٣٩، وتاريخ اليعقوبي ٢ / ١٦٥، وتاريخ الطبري ٤ / ٣١٧، والاغاني (٤ / ١٧٥)، والبداية والنهاية لابن كثير ٧ / ١٥١.

(٥) أنساب الأشراف ٥ / ٢٦ ـ ٢٨، وأُسد الغابة ٣ / ١٧٣، والبداية والنهاية لابن كثير ٧ / ٢٥٠، وتاريخ الكامل لابن الأثير ٣ / ٣٣، وتاريخ اليعقوبي ٢ / ١٦٥، وذكر تفصيل أسماء عماله في تاريخ الكامل لإبن الأثير (٣ / ٤٢).

وبذلك أصبحت جميع المدن الشامية وأجنادها تحت حكم معاوية، والبصرة وجندها وما تبعها من المدن الخليجية تحت حكم عبدالله بن عامر، والكوفة وجندها والولايات الشرقية في إيران التابعة لها تحت حكم الوليد وسعيد، ومصر وجميع قارّة أفريقيا تحت حكم عبدالله بن سعد بن أبي سرح[1].

ونحن نورد مختصر أخبار ولاته على الشام والكوفة والبصرة ومصر، بإذن الله تعالىٰ:

أ ـ الشام:

كان واليه على الشام معاوية، وهذا خبره قبل ان يلي الشام وبعده:

(أسلم معاوية بعد فتح مكّة)[2] واخباره قبل اسلامه مع أبيه في حروبه لرسول الله مشهورة، ورأىٰ رسول الله (ص) ذات يوم أبا سفيان وهو راكب ومعاوية وأخوه أحدهما قائد والآخر سائق، فقال: (لعن الله الراكب والقائد والسائق)[3].

وتأخّر إسلامه بعد الفتح عن إسلام أبيه ولام أباه علىٰ إسلامه وأنشد قائلاً:

يا صخر لا تُسْلِمن يوماً فتفضَحَنا	بعد الّذين ببدر أصبحوا مِزَقا
خالي وعَمّي[4] وعم الامّ ثالثهم	وحنظل الخير قد أهدىٰ لنا الأرَقا
لا تَركَنَنَّ إلىٰ أمرٍ تكلّفنا	والراقصات به في مكة الخُرَقا

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر، مخطوطة مصوّرة المجمع العلمي الإسلامي بطهران ١١ / ١ / ١٤٠ ب.

(٢) أنساب الأشراف ١ / ٥٣٢.

(٣) تذكرة الخواص، ص ٢٠١، وجمهرة خطب العرب ٢ / ٢٣، شرح نهج البلاغة ٢ / ٢٣.

(٤) لم نعرف لمعاوية «عمّاً» قُتِلَ يوم بدر، ولعلّ الصّواب «جدّي» بدل «عمّي»، ومن الجائز أنّه يقصد بقوله «عمّي» أحد أبناء عمومة أبيه الّذين قُتلوا ببدر.

فالموت أهونُ من قول العداة لقـدْ «حاد ابنُ حرب عن العُزّىٰ إذا فَرَقا»[1]

ولمّا أسلم أعطاه الرسول (ص) (سهم المؤلّفة قلوبهم في غزوة حنين)[2] ثمّ استكتبه أشهراً قبل وفاتـه، وبعث إليه ذات يوم ابن عبّاس يدعوه ليكتب له، فوجده يأكل، فأعاده النبيّ في طلبه، فوجده يأكل إلىٰ ثلاث مرّات، فقال النبيّ (لا أشبع الله بطنه)[3].

وخرج رسول الله في سفره، فسمع رجلين يتغنّيان وأحدهما يجيب الآخر وهو يقول:

يـــزال حــواري تـلوح عـظامه زوى الحرب عنه أن يُجنَّ فَيُقبرا

فقال النبيّ: «انظروا من هما؟»، فقالوا: معاوية وعمرو بن العاص، فرفع رسول الله (ص) يديه، فقال: (اللّٰهمّ اركسهما في الفتنة ركساً ودُعّهما إلى النـار دعّاً)[4].

---

(١) رواه الزّبير بن بكار في المفاخرات، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢ / ١٠٢، وجمهرة خطب العرب ٢ / ٢٣، وفي تذكرة الخواص، ص ٢٠١ البيت الأوّل والثالث حيث قال «طـوعاً» بدل «يوماً» و «بنعمان به الحرقا» بدل «به في مكّة الخرقا»، والخرق: ضعف الرأي بسوء التصرّف، الجهل والحمق، وحادَ عنه: مالَ عنه، والفرق: الفزع.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٦٣.

(٣) أنساب الأشراف ١ / ٥٣٢، وفيه هذه التتمّة: فكان معاوية يقول: لحقني دعوة رسـول الله (ص)، وكان يأكل في كل يوم مرات أكلاً كثيراً، وراجع صفين، ومسلماً في صحيحه ٤ / ٢٠١٠، حديث ٩٦ في باب (من لعنه النبيّ (ص))، وشرح نهج البلاغة ١ / ٣٥٥، سير أعلام النبلاء ٣ / ١٢٣، والبداية والنهاية لابن كثير ٨ / ١١٩.

(٤) في مسند أحمد ٤ / ٤٢١ عن أبي برزة الأسلمي ولفظه «فقالوا فلان وفلان»، وفي صفين لنصر بن مزاحم، ص ٢٤٦ الحديث عن أبي برزة كذلك، وفيه تصريح باسميهما ـ معاوية وعمرو بن العاص ـ، وأخرجه ابن عقيـل في ص ٥٩ من النصائح الكافيـة عن أبي يعلىٰ بهذا السند، وعـن ←

وقال: (إذا رأيتموهما اجتمعا، ففرِّقوا بينهما، فانّهما لن يجتمعا علىٰ خير)[1].

ولمّا استخلف أبو بكر بعد الرسول، وأرسل في السنة الثالثة عشرة من الهجرة أخاه يزيد بن أبي سفيان مع الأُمراء لغزو الشام سار معاوية تحت لواء أخيه يزيد.

(وعلىٰ عهد عمر، لمّا طُعن يزيد سنة ثماني عشرة بالطاعون واحتضر، استعمل أخاه معاوية علىٰ عمله دمشق وجندها، فأقرّه الخليفة عليها)[2].

سيرة معاوية علىٰ عهد عمر:

(لمّا دخل عمر الشام، تلقّاه معاوية في موكب عظيم، فقال عمر: هذا كسرى العرب، فلمّا دنا منه سأله عمر عن ذلك مع وقوف ذوي الحاجات ببابه

← الطبراني في الكبير بسنده إلىٰ ابن عباس. وأخرجه السيوطي في اللآلئ المصنوعة، باب مناقب سائر الصحابة عن أبي يعلىٰ عن أبي برزة، وأخرجه أيضاً عن الطبراني في الكبير عن ابن عباس وأخرجه عن سيف بعد أن مسخه، راجعه في ١ / ٤٢٧.

و «يزال» حذف منه «لا» كما يقال «زلت أفعل» أي: ما زلت أفعل، و «الحواري»: الصاحب الناصح وأنصار الأنبياء، و «زوىٰ عنه» منع عنه، و «يجن»: يكفن ويدفن وفي بعض النسخ «يحس» والمعنىٰ في البيت لا يزال الناصر الناصح تلوح عظامه منع الحرب عن كفنه ودفنه. و «أركسه»: أعاده إلى الحالة السيئة، و «أركسه»: نكسه، وفي القرآن الكريم: «والله أركسهم بما كسبوا»، و «الدع»: الدّفع الشديد، العنيف.

(١) في العقد الفريد ٤ / ٣٤٥ ـ ٣٤٦ أن معاوية بعث إلىٰ عبادة بن الصامت يستنصره في حرب عليّ؛ فلمّا جاء جلس بين عمرو ومعاوية وحدّثهما بهذا الحديث.

في صفين ٢٤٥ ـ ٢٤٦ أن زيد بن أرقم دخل علىٰ معاوية فإذا عمرو بن العاص جالس معه على السرير فلمّا رأىٰ ذلك جاء حتّىٰ رمىٰ بنفسه بينهما وحدّثهما بهذا الحديث: «إذا رأيتم معاوية وعمرو ابن العاص مجتمعين، ففرّقوا بينهما فإنّهما لن يجتمعا علىٰ خير».

(٢) سير أعلام النبلاء ١ / ٣٣٠، ط. بيروت، وتاريخ الطبري ٤ / ٢٠٢، والبداية والنهاية لابن كثير ٨ / ١٢٤.

فاعتذر معاوية انّهم بأرض جواسيس العدو بها كثير، ولذلك ينبغي أن يعيش كذلك)[1].

وأرسل الخليفة عمر عبادة بن الصامت مقرئاً لأهل الشام، فغزا معاوية غزاة، فغنموا آنية من فضّة، فأمر معاوية أن تُباع في أعطية الناس بمثلَي ما فيه من الفضة فتسارع الناس إلىٰ شرائها، فبلغ عبادة بن الصامت فقال: إني سمعت رسول الله (ص) ينهىٰ عن بيع الذهب بالذهب والفضّة بالفضّة... إلّا سواءً بسواء وعيناً بعين، فمن زاد أو ازداد فقد أربىٰ.

فردّ الناس ما أخذوه؛ فبلغ ذلك معاوية، فقام خطيباً فقال: ألا ما بال رجال يتحدّثون عن رسول الله أحاديث قد كنّا نشهده ونصحبه فلم نسمعها منه.

فقام عبادة بن الصامت، فأعاد القصّة، ثمّ قال: لنحدّثن بما سمعنا من رسول الله (ص) وإن كره معاوية أو قال: وإن رغم، ما أُبالي أن لا أصحبه في جنده ليلةً سوداء[2]؛ وفي مسند أحمد ٥ / ٣١٩؛ والنِّسائي ٧ / ٢٧٤ إنّي والله لاأُبالي أن لا أكون بأرض يكون بها معاوية.

وفي أُسد الغابة والنبلاء بترجمه عبادة: أنّ عبادة أنكر علىٰ معاوية شيئاً فقال: لا أُساكنك بأرض، فرحل إلى المدينة، فقال له عمر: ما أقدمك؟ فأخبره

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٨ / ١٢٤، ولكنّه لم يذكر كلمة (هذا كسرى العرب).

(٢) في صحيح مسلم ٣ / ١٢١٠، حديث ٨٠، كتاب المساقاة، ط. بيروت سنة ١٣٧٥هـ، وتهذيب ابن عساكر ٧ / ٢١٥، ط. بيروت سنة ١٣٩٩هـ، وقد أوردته ملخّصاً من صحيح مسلم.

وعبادة بن الصامت الأنصاري الخزرجي، شهد مشاهد رسول الله كلّها وعاش إلىٰ سنة أربع وثلاثين، وتوفّي بالرملة أو ببيت المقدس، ودُفِنَ هناك، ترجمته في الاستيعاب، ص ٤١٢، وأسد الغابة ٣ / ١٦٠، وتهذيب ابن عساكر ٧ / ٢٠٩ ـ ٢١٧، والإصابة ٢ / ٢٦٠، وسير أعلام النبلاء ٢ / ٥ ـ ١١.

بفعل معاوية؛ فقال له: إرحل إلىٰ مكانك، فقبّح الله أرضاً لست فيها وأمثالك فلا إمرةَ له عليك[1].

* * *

كان ذلكم في عصر عمر، ولما استخلف عثمان الأموي ولّاه علىٰ جميع بلاد الشام وأرخىٰ له زمامه فانطلق معاوية علىٰ سجيته لا يردعه عمّا يشتهيه رادع.

وفي هذا العصر، جرىٰ له مع عبادة بن الصامت ما رواه ابن عساكر والذهبي[2] وقالا:

إنّ عبادة بن الصامت مرّت عليه قطارة[3] وهو بالشام تحمل الخمر؛ فقال: ما هذه؟ أزيت؟

قيل: لا، بل خمر يباع لفلان.

فأخذ شفرة من السوق، فقام إليها، فلم يذر فيها راوية إلّا بقرها ـ وأبو هريرة إذ ذاك بالشام ـ فأرسل فلان إلىٰ ابي هريرة، فقال: أتمسك عنا أخاك عبادة؛ أمّا بالغدوات فيغدو إلى السوق يفسد علىٰ أهل الذّمة متاجرهم، وأمّا بالعشيّ فيقعد في المسجد ليس له عمل إلّا شتم أعراضنا وعيبنا!

قال: فأتاه أبو هريرة فقال: يا عبادة! ما لك ولمعاوية؟ ذره وما حمل.

فقال: لم تكن معنا إذ بايعنا على السمع والطاعة؛ والأمر بالمعروف والنهي

---

(١) أُسد الغابة ٣ / ١٦٠، رقم الترجمة ٢٧٨٩، وسير أعلام النبلاء ٢ / ٥.

(٢) تهذيب ابن عساكر ٧ / ٢١٤، وسير اعلام النبلاء ٢ / ١٠، ومسند أحمد ٥ / ٣٢٥ عن ابن خيثم حدثني إسماعيل بن عبيد الأنصاري، غير انّ الحديث حذف من أوّله في مسند أحمد، وجاء هكذا: «حدثني إسماعيل بن عبيد الأنصاري» فذكر الحديث « فقال عبادة: يا أبا هريرة إنّك لم تكن معنا إذ بايعنا» ثمّ ساق الحديث إلىٰ آخره.

(٣) «القطارة»: الإبل تسير علىٰ نسق: واحداً خلف واحد.

عن المنكر، وألّا تأخذنا في الله لومة لائم، فسكت أبو هريرة.

وكتب معاوية إلىٰ عثمان: أنّ عبادة بن الصامت قد أفسد عليَّ الشام وأهله، فإمّا أن تكفّه إليك، وإمّا أن أُخلِّي بينه وبين الشام.

فكتب إليه: أن رحّل عبادة حتىٰ ترجعه إلىٰ داره بالمدينة.

قال: فدخل علىٰ عثمان، فلم يفجأه إلّا وهو معه في الدار؛ فالتفت إليه فقال: ما لنا ولك؟

فقام عبادة بين ظهرانيّ الناس؛ فقال: سمعت رسول الله (ص) يقول: سيلي أُموركم بعدي رجالٌ يعرّفونكم ما تنكرون؛ وينكرون عليكم ما تعرفون؛ فلا طاعة لمن عصىٰ ولا تضارّوا بربكم.

وفي رواية ابن عساكر بعد هذا: فوَالّذي نفس عبادة بيده إنّ فلاناً ـ يعني معاوية ـ لمن أُولئك فما راجعه عثمان بحرف؛ انتهىٰ.

وقصّة معاوية مع الصحابة في شربه الخمر، لم تقتصر علىٰ ما كان بين معاوية وعبادة؛ فقد رووا أنّ عبد الرحمن بن سهل بن زيد الأنصاري غزا في زمن عثمان ومعاوية أمير على الشام، فمرّت به روايا خمر، فقام إليها برمحه، فبقر كلَّ راوية منها؛ فناوشه الغلمان؛ حتىٰ بلغ شأنه معاوية؛ فقال: دعوه فإنّه قد ذهب عقله، فبلغه فقال: كلّا والله ما ذهب عقلي؛ ولكن رسول الله (ص) نهانا أن ندخل بيوتنا وأسقيتنا خمراً، وأحلف بالله لئن بقيت حتىٰ أرىٰ في معاوية ماسمعت من رسول الله (ص) لأبقرنّ بطنه أو لأموتنّ دونه[1].

---

(١) بترجمته في الإصابة ٢ / ٣٩٤، وفي أُسد الغابة ٣ / ٢٩٩ إلىٰ قوله و«أسقيتنا» ثمّ قال: وأخرجه الثلاثة، وفي الاستيعاب، ص ٤٠٠ ذكره مبتوراً، وأشار إليه في آخر ترجمته في تهذيب التهذيب ٦ / ١٩٢.

وأخرج ابن حنبل في مسنده ٥ / ٣٤٧ عن عبدالله بن بريدة، قال: دخلت أنا وأبي علىٰ معاوية، فأجلسنا على الفرش، ثمّ أُتينا بالطعام، فأكلنا، ثمّ أُتينا بالشراب، فشرب معاوية، ثمّ ناول أبي، ثمّ قال: ما شربته منذ حرّمه رسول الله (ص)... الحديث.

وله قصصٌ أُخرىٰ في الخمر أخرجها ابن عساكر في تاريخه[1].

وفي هذا العصر ـ عصر عثمان ـ كان لمعاوية مع أبي ذرّ قصصٌ يطول شرحها، ونحن نوردها هنا بإيجاز من ترجمة عثمان في أنساب الأشراف (٥ / ٥٤ ـ ٥٥)، قال البلاذري:

لمّا ولي عثمان، وأعطىٰ مروان بن الحكم ما أعطاه، وأعطى الحارث بن الحكم ثلاثمائة ألف درهم، وزيد بن ثابت الأنصاري مائة ألف درهم، جعل أبو ذر يتلو:

﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾. (التّوبة / ٣٤)

وجرىٰ بينه وبين عثمان في ذلك محاورات فأمره أن يلتحق بالشام، فكان أبو ذر ينكر علىٰ معاوية أشياء يفعلها، وبعث إليه معاوية بثلاثمائة دينار، فقال: إن كان من عطائي الّذي حرمتمونيه عامي هذا قبلتها، وإن كانت صلة فلا حاجة لي فيها.

وبنىٰ معاوية قصره الخضراء بدمشق، فقال: يا معاوية! إن كانت هذه الدار من مال الله فهي الخيانة، وإن كانت من مالك فهذا الإسراف، فسكت معاوية.

---

(١) منها قصّة أُخرىٰ له مع عبادة بن الصامت عندما كان بانطرسوس، أخرجها في تهذيب ابن عساكر ٧ / ٢١٣؛ ومنها قصّته مع عبدالله بن الحارث بن أُميّة بن عبد شمس ٧ / ٣٤٦، وأشار إليه ابن حجر بترجمته في الإصابة ٢ / ٢٨٢.

وكان أبو ذر يقول: والله لقد حدثت أعمال ما أعرفها، والله ما هي في كتاب الله ولا سنّة نبيّه، والله إنّي لأرىٰ حقّاً يطفأ وباطلاً يحيىٰ، وصادقاً يكذّب، وأثرة بغير تقيّ، وصالحاً مستأثراً عليه[1]، وكان الناس يجتمعون عليه، فنادىٰ منادي معاوية ألّا يجالسه أحد[2].

وفي رواية أنّ معاوية بعث إليه بألف دينار في جنح اللّيل فأنفقها، فلمّا صلّىٰ معاوية الصبح، دعا رسوله فقال: اذهب إلىٰ أبي ذر، فقل انقذ جسدي من عذاب معاوية، فإنّي أخطأت. قال: يا بني، قل له: يقول لك أبو ذر: والله ما أصبح عندنا منه دينار ولكن أنظرنا ثلاثاً حتىٰ نجمع لك دنانيرك.

فلمّا رأىٰ معاوية أن قوله صدق فعله؛ كتب إلىٰ عثمان: أما بعد؛ فإن كان لك بالشام حاجة أو بأهله؛ فابعث إلىٰ أبي ذر، فإنّه وغل صدور الناس... الحديث[3].

وفي أنساب الأشراف: فكتب عثمان إلىٰ معاوية: أمّا بعد، فاحمل جندباً علىٰ أغلظ مركب وأوعره.

فوجّه معاوية من سار به اللّيل والنّهار[4].

وفي تاريخ اليعقوبي[5]: فكتب إليه أن احمله علىٰ قتب بغير وطاء؛ فقدم به إلى المدينة وقد ذهب لحم فخذيه.

وفي مروج الذهب[6]: فحمله علىٰ بعير عليه قتب يابس. معه خمس من

---

(١) أنساب الأشراف ٥ / ٥٤ ـ ٥٥، ط. بغداد.

(٢) طبقات ابن سعد ٤ / ٢٢٩.

(٣) سير أعلام النبلاء ٢ / ٦٩ ـ ٧٠، ط. بيروت سنة ١٤٠١هـ.

(٤) ترجمة عثمان في الجزء الخامس من أنساب الأشراف ٥ / ٥٤ ـ ٥٥.

(٥) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٧٢.

(٦) مروج الذهب ٢ / ٣٤٠، ط. بيروت سنة ١٣٨٥هـ، وقد ذكر هناك تفصيل قصّة أبي ذر.
«والصقالبة»: قوم كانت بلادهم تتاخم بلاد الخزر.

الصقالبة يطيرون به حتىٰ أتوا به المدينـة وقد تسلّخت أفخاذه وكاد أن يتلف.

وفي الأنساب: فلمّا قدم أبو ذر المدينـة، جعل يقول: تستعمل الصـبيان، وتحمي الحمىٰ، وتقرب أولاد الطّلقاء! فسيّره إلى الربذة، فلم يزل بها حتىٰ مات.

وكان مكث أبي ذر في الشام سنة واحدة، فقد ذكر المؤرخون أن تسفيره من المدينة إلى الشام كان سنة تسع وعشرين؛ وفي سنة ثلاثين شكاه معاوية إلىٰ عثمان، فجلبه إلى المدينة، ثمّ نفاه إلى الربذة، فتوفي بها سنة إحدىٰ وثلاثين أو اثنتين وثلاثين[1].

ولمعاوية ـ أيضاً ـ قصص طويلة مع قراء أهل الكوفة الّذين سيرهم عثمان إلى الشام أوردها البلاذري في أنساب الأشراف[2] وقال في آخر خبرهم ما موجزه:

بلغ معاوية أن قوماً من أهل دمشـق يجالسونهم، فكتب إلىٰ عـثمان انّك بعثت إلي قوماً أفسدوا مصرهم وانغلوه، ولا آمن أن يفسدوا طاعة من قـبلي ويعلموهم ما لا يجيدونه حتّىٰ تعود سلامتهم غائلة واستقامتهم اعوجاجاً.

فكتب ـ عثمان ـ إلىٰ معاوية يأمره أن يسيرهم إلىٰ حمص، ففعل.

وإنما كان معاوية يشكو من بقاء صـحابة النـبي كأبي ذر، وعـبادة بـن الصامت وغيرهما من التابعين وقرّاء المسلمين وأخيارهم في الشام خشـية أن يعرِّفوا أهل الشام ما خفي عنهم من الإسلام وأحكامه، فلا يسـتطيع مـعاوية آنذاك أن يعيش فيهم عيشة كسرىٰ وقيصر.

وكان الخليفـة عثمان عند حسن ظنّ أبنـاء عمومتـه الّذين ولّاهـم على المسلمين كما شرحنا ذلك في فصل (في عصر الصهرين) من كتاب أحاديث أُمّ المؤمنين عائشة، وأطلق لهم العنان، ففعلوا في ولاياتهم ما شاؤوا، وكان منهم معاوية، الّذي استطاع أن يربِّي أهل الشام مدّة اثنتي عشرة سنة (٢٤ ـ ٣٦هـ)

---

(١) أنساب الأشراف ٥ / ٤٣.

(٢) ٥ / ٤٣.

زمان خلافة عثمان كما شاء أن يكونوا.

وعندما قتل عثمان كان أهل الشام أطوع له من بنانه واستطاع أن يقاتل بهم الإمام عليّاً كما سندرسه في ما يأتي إن شاء الله تعالىٰ.

ب ـ الكـوفة:

عزل الخليفة عثمان في السنة الثانية من خلافته سعد بن أبي وقاص عن الكوفة وولّىٰ عليها الوليد بن عقبة.

وكان سعد هو الّذي كوّف الكوفة بأمر عمر وأسكنها جيوش المسلمين، وكان هو قائدهـم في فتح إيران، فكانوا يحبّـونه ويحـترمونه، فلمّا قدم الوليـد الكوفة والياً قال له سعد: والله ما أدري أكست بعدنا أم حمقنا بعدك؟

فقال: لا تجزعنّ أبا إسـحاق، فانّما هـو المـلك يـتغدّاه قـوم، ويـتعشّاه آخرون[1].

فقال سعد: أراكم والله ستجعلونها ملكاً[2].

قال له ابن مسعود: ما أدري أصلحت بعدنا أم فسد الناس بعدك!

ترجمة الوليد[3]:

الوليد بن عقبة بن أبي معيط وكان جد أبيه ذكوان علجاً من صـفورية

(١) وروىٰ البلاذري ٥ / ٢٩، قال له سعد: يا أبا وهب أأمير أم زائر؟ قال: بل أمير، فـقال سعد: ما أدري أحمقتُ بعدك؟ قال ما حمقتَ بعدي ولا كِسْتُ بعدك، ولكن القوم ملكوا فاستأثروا، فقال سعد: ما أراك إلّا صادقاً.

(٢) الاستيعاب ٢ / ٦٠٤.

(٣) أُسد الغابـة ٥ / ٩٠ ـ ٩١، الإسـتيعاب ٢/ ٦٠٣، تهذيب التهذيب ١١ / ١٤٢ ـ ١٤٣، وشرح نهج البلاغة ١ / ٣٦٤، والبلاذري ٥ / ٣٥، ومروج الذهب للمسعودي ٢ / ٣٣٦.

وعبداً لأُميّة، فتبنّاه واستلحقه بنسبه، وكان أبوه من أشدّ أعـداء النبيّ بمكّـة، وقتله صبراً في غزوة بدر، وأسلم الوليد بعد فتح مكة وبعثه النبيّ (ص) مصدقاً إلىٰ بني المصطلق، فعاد وأخبر النبيّ إنّهم ارتدّوا ومنعـوا الصّدقة، فبعث إليهـم الرسول(ص) من استعلم حالهم فأخبروه بأنّهم متمسّكون بالإسلام ونزلت فيه:

﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾. (الحجرات / ٦)

وقال البلاذري:

واستقرض من بيت المال مائة ألف، وكان علىٰ بيت المال عـبدالله بـن مسعود، ولما اقتضاه المال، كتب الوليد إلىٰ عثمان، فكتب عثمان إلىٰ ابن مسعود (إنما أنت خازن لنا فلا تعرض للوليد في ما أخذ من المال) فطرح ابن مسعود المفاتيح وقال: كنت أظن أني خازن للمسلمين فاما إذا كنت خازناً لكم، فـلا حاجة لي في ذلك[1].

قال صاحب الاغاني:

وقدم عليه أبو زبيد الشاعر النصراني فوهب له داراً كانت لعقيل بن أبي طالب علىٰ باب مسجد الكوفة، فكان يخرج من منزله حتىٰ يشق الجـامع إلى الوليد، فيسمر عنده، ويشرب معه، ويعود إلىٰ بيته يشق المسجد وهو سكران.

وأجرىٰ عليه وظيفة من خمر وخنازير في كل شهر فاستنكروا عليه ذلك فقوم ما كان وظف له دراهم وضمها إلىٰ رزق كان يجري عليه.

وأعطاه ما بين القصور الحمر من الشام إلى القصور الحمر من الحيرة جعله له حمىً[2].

---

(١) أنساب الأشراف ٥ / ٣٠ ـ ٣١.

(٢) الأغاني ٤ / ١٨٠ ـ ١٨١، والبلاذري ٥ / ٣١ ـ ٣٢.

وقال المسعودي:

بلغه عن رجل يهودي في قرية من قرى الكوفة انّه يعمل أنواعاً من السحر والشعبذة يعرف ببطروني، فأحضره، فأراه في المسجد الاعظم ضرباً من التخييل: أظهر له في اللّيل فيلاً[1] عظيماً علىٰ فرس يركض في صحن المسجد ثمّ صار اليهودي ناقة يمشي علىٰ حبل ثمّ أراه صورة حمار دخل من فيه ثمّ خرج من دبره ثمّ ضرب عنق رجل ففرّق بين جسده ورأسه، ثمّ أمَرّ السيف عليه فقام الرجل، وكان جماعة من أهل الكوفة حضوراً منهم جندب بن كعب الأزدي، فخرج إلى السوق ودنا من بعض الصياقلة، وأخذ سيفاً واشتمل عليه، وجاء إلى الساحر، فضربه ضربة فقتله، ثمّ قال: أحي نفسك وقرأ ﴿جَاءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَاطِلُ إِنَّ ٱلْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾.

فأنكر عليه الوليد ذلك، وأراد أن يقيّده به ـ أي يقتله به ـ فمنعه الأزد فحبسه وأراد قتله غيلة فسجنه، ولمّا رأى السجّان قيامه بالعبادة في اللّيل قال له: انج بنفسك، فقال له جندب: تقتل بي.

قال: ليس ذلك بكثير في مرضاة الله والدفع عن ولي من اولياء الله.

فلمّا أصبح الوليد دعا به وقد استعد لقتله، فلم يجده، فسأل السجان، فأخبره بهربه، فضرب عنق السجان وصلبه بالكناسة[2].

وقال المؤرّخون[3]:

كان الوليد يشرب مع ندمائه ومغنيه من اول اللّيل إلى الصبح، فلما آذنه

---

(١) وفي الأصل قيلاً ولعله تصحيف.

(٢) مروج الذهب للمسعودي ٢ / ٣٣٨ ـ ٣٣٩، وترجمة جندب من أُسد الغابة ١ / ٣٠٥، والاغاني ٤ / ١٨٣، والبلاذري ٥ / ٣١.

(٣) الأغاني ٤ / ١٧٦ ـ ١٧٨، المسعودي ٢ / ٣٣٥ ـ ٣٣٦، والبلاذري ٥ / ٣٢ ـ ٣٥.

المؤذنون بالصلاة خرج في غلائله ـ شعار يلبس تحت الثوب ـ فتقدم إلى المحراب في صلاة الصبح وصلّىٰ بهم أربعاً وقال: أتريدون أن ازيدكم وقرأ بهم:

علق القلب الربابا بعد أن شابت وشابا

وأطال سجوده وقال في سجوده: اشرب واسقني.

فقال له من كان بالصف الاوّل:

ما تريد لا زادك الله مزيد الخير، والله لا أعجب إلّا ممن بعثك الينا والياً وعلينا أميراً، فحصبه الناس بحصباء المسجد، فدخل قصره يترنح، ويتمثل:

ولست بعيداً عن مُدامٍ وقينةٍ ولا بصفا صلد عن الخير معزل

الأبيات

وأخذوا خاتمه من يده وهو سكران ما يعقل وقاء خمراً وذهب خمسة من أهل الكوفة للشهادة عليه عند الخليفة، فضرب بعضهم، ودفع في صدر بعضهم وأوعدهم وتهددهم فذهبوا إلى الإمام عليّ وأخبروه بالقصّة فأتىٰ عثمان وقال له: دفعت الشهود وأبطلت الحدود...

وأراد الخليفة أن ينكّل بهم، فاستجاروا بعائشة، فسمع عثمان من حجرتها صوتاً وكلاماً فقال: أما يجد مُرّاق أهل العراق وفسّاقهم ملجأ إلّا بيت عائشة، فسمعت فرفعت نعلاً وقالت: تركت سنة رسول الله (ص) صاحب هذا النعل؟

فتسامع الناس فجاؤوا حتّىٰ ملأوا المسجد فمن قائل: ما للنّساء ولهذا؟ حتّىٰ تحاصبوا وتضاربوا بالنعال...

وفي رواية: إنّ عائشة أغلظت لعثمان، وأغلظ لها.

وأتاه طلحة والزّبير وقالا له: قد نهيناك عن تولية الوليد شيئاً من أُمور المسلمين فأبيت وقد شهد عليه بشرب الخمر والسكر فاعزله.

وقال له عليّ: اعزله وحدّه إذا شهد عليه الشهود في وجهه.

فولّىٰ عثمان سعيد بن العاص بن أُميّة الكوفـة واستقدم الوليد، ولمّا شهد الشهود في وجه الوليد انّه شرب الخـمر، وأراد عثمان أن يحده البسـه جبّة خز ـ ضرب من برود اليمن ـ وقال: مَنْ يضربه؟ فأحجم الناس لقرابته من الخليفة، فقام عليّ وضربه، وبعد اجراء الحد عليه لم يحلقه الخليفة كما كان يفعل مع من يجري عليه الحد، وولّاه بعد ذلك علىٰ جباية صدقات قبيلتي كلب وبلقين، وغزا الوليد زمان ولايته على الكوفة اذربيجان إلىٰ ارمينية، ففتح، وقـتل، وسـبىٰ، وملأ يديه من الغنائم.

ولمّا قدم سعيد الكوفـة ابىٰ ان يصعد منبر المسجد الجامع حتىٰ غسلوه، وعزل عثمان أبا موسى الأشعري عن البصرة وجندها، وعثمان بن أبي العـاص الثقفي عن عمان والبحرين وجندهما، وولىٰ عليهما ابن خاله عبدالله بن عامر بن كريز، وكتب عثمان إلىٰ عبدالله بن عامر وسعيد بن العاص أيّكما سبق إلىٰ خراسان فهو أمير عليها، فسبق إليها ابن عامر وافتتح نيسابور وابرشهر وهـراة ومـرو الروذ، وصالح اهل تلك البلاد علىٰ ثلاثة آلاف ألف درهم وخمسة وسبعين ألف درهم ومائتي ألف أوقية.

وبلغه أنّ أهل مرو يريدون الوثوب عليه، فجرّد فيهم السيف حتّىٰ أفناهم.

تولية سعيد بن العاص وتسيير قرّاء أهل الكوفة:

روى البلاذري بسنده وقال[1]:

عزل عثمان (رض) الوليد بن عقبة عن الكوفة وولّاها سعيد بن العاص وأمره بمداراة أهلها، فكان يجالس قرّاءها ووجوه أهلها ويسامرهم فيجتمع عنده

---

(١) أنساب الأشراف ٥ / ٣٩ ـ ٤٣.

منهم: مالك بن الحارث الأشتر النخعي، وزيد وصعصعة إبنا صوحان العبديّان، وحرقوص بن زهير السعدي، وجندب بن زهير الأزدي، وشريح بن أوفىٰ بن يزيد بن زاهر العبسي، وكعب بن عبدة النهدي، وكان يقال لعبدة بن سعد ذو الحبكة ـ وكان كعب ناسكاً وهو الّذي قتله بُسر بن أبي أرطأة بتثليث ـ وعدي ابن حاتم الجواد الطائي ويكنّىٰ أبا طريف، وكدام بن حضري بن عامر، ومالك ابن حبيب بن خراش، وقيس بن عطارد بن حاجب، وزياد بن خصفة بن ثقف، ويزيد بن قيس الأرحبي، وغيرهم فانّهم لعنده وقد صلّوا العصر إذ تذاكروا السّواد والجبل ففضلوا السواد وقالوا: هو ينبت ما ينبت الجبل وله هذا النخل، وكان حسّان بن محدوج الذهلي الّذي ابتدأ الكلام في ذلك. فقال عبدالرّحمٰن بن خنيس الأسدي صاحب الشرطة: لوددت أنّه للأمير وانّ لكم أفضل منه. فقال له الأشتر: تمنّ للأمير أفضل منه، ولا تمنّ له أموالنا.

فقال عبد الرحمن: ما يضرك من تمني حتىٰ تزوي ما بين عينيك، فوالله لو شاء كان له.

فقال الأشتر: والله لو رام ذلك ما قدر عليه.

فغضب سعيد وقال: إنّما السّواد بستان لقريش.

فقال الأشتر: أتجعل مراكز رماحنا وما أفاء الله علينا بستاناً لك ولقومك؟ والله لو رامهُ أحدٌ لقُرع قرعاً يتصأصأ منه.

ووثب بابن خنيس فأخذته الأيدي.

فكتب سعيد بن العاص بذلك إلىٰ عثمان وقال: إنّي لا أملك من الكوفة مع الأشتر وأصحابه الّذين يُدعون القرّاء وهم السفهاء شيئاً. فكتب إليه أن سيّرهم إلى الشام. وكتب إلى الأشتر: إنّي لأراك تضمر شيئاً لو أظهرته لحلّ دمك وما أظنك منتهياً حتىٰ يصيبك قارعة لا بُقيا بعدها. فإذا أتاك كتابي هذا فسر إلى الشام لإفسادك من قبلك وإنّك لا تألوهم خبالا. فسيّر سعيد الأشتر ومن كان

وثب مع الأشتر وهم: زيد وصعصعة إبنا صوحان، وعائذ بن حملة الطهوي من بني تميم، وكميل بن زياد النخعي، وجندب بن زهير الأزدي، والحارث بن عبدالله الأعور الهمداني، ويزيد بن المكفف النخعي، وثابت بن قيس بن المنقع النخعي، وأصعر[1] بن قيس بن الحارث الحارثي.

فخرج المسيّرون من قرّاء أهل الكوفة، فاجتمعوا بدمشق نزلوا مع عمرو ابن زرارة فبرّهم معاوية وأكرمهم، ثمّ إنّه جرىٰ بينه وبين الأشتر قولٌ حتىٰ تغالظا فحبسه معاوية فقام عمرو بن زرارة فقال: لئن حبسته لتجدنّ من يمنعه. فأمر بحبس عمرو فتكلّم سائر القوم فقالوا: أحسن جوارنا يا معاوية! ثمّ سكتوا فقال معاوية: ما لكم لا تكلمون؟ فقال زيد بن صوحان: وما نصنع بالكلام؟ لئن كنّا ظالمين فنحن نتوب إلى الله، وإن كنّا مظلومين فإنّا نسأل الله العافية. فقال معاوية: يا أبا عائشة! أنت رجل صدق. وأذن له في اللحاق بالكوفة، وكتب إلىٰ سعيد بن العاص: أمّا بعد: فإني قد أذنت لزيد بن صوحان في المسير إلىٰ منزله بالكوفة لما رأيت من فضله وقصده وحسن هديه، فأحسن جواره، وكفّ الأذىٰ عنه وأقبل إليه بوجهك وودّك، فإنّه قد أعطاني موثقاً أن لا ترىٰ منه مكروهاً.

فشكر زيد معاوية وسأله عند وداعه إخراج من حبس، ففعل.

وبلغ معاوية أنّ قوماً من أهل دمشق يجالسون الأشتر وأصحابه، فكتب إلىٰ عثمان: إنّك بعثت إليّ قوماً أفسدوا مصرهم وأنغلوه، ولا آمن أن يفسدوا طاعة من قبلي ويعلموهم ما لا يحسنونه، حتّىٰ تعود سلامتهم غائلة، واستقامتهم اعوجاجاً.

فكتب إلىٰ معاوية يأمره أن يسيّرهم إلىٰ حمص، ففعل وكان واليها

---

(١) في أنساب الأشراف: أصعر، وفي الإصابة: أصغر.

عبدالرّحمٰن بن خالد بن الوليد بن المغيرة، ويقال: إنّ عثمان كتب في ردّهم إلى الكوفة فضجّ منهم سعيد ثانية، فكتب في تسييرهم إلىٰ حمص فنزلوا الساحل.

وذكر الواقدي والطبري[1] وغيرهما ما دار بينهم وبين معاوية من كلام حول قريش وسياستهم على الناس وان معاوية كتب اثر ذلك إلىٰ عثمان:

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم، لعبد الله عثمان أمير المؤمنين من معاوية بن أبي سفيان، أمّا بعد، يا أمير المؤمنين! فانّك بعثت إليَّ أقواماً يتكلّمون بألسنة الشياطين وما يملون عليهم ويأتون الناس ـ زعموا ـ من قبل القرآن فيشبهون على الناس، وليس كلّ النّاس يعلمَ ما يريدون وإنّما يريدون فرقة، ويقربون فتنة، قد أثقلهم الإسلام وأضجرهم، وتمكنت رُقى الشيطان من قلوبهم، فقد أفسدوا كثيراً من النّاس ممّن كانوا بين ظهرانيهم من أهل الكوفة، ولست آمن إن قاموا وسط أهل الشام أن يغرّوهم بسحرهم وفجورهم فارددهم إلىٰ مصرهم، فلتكن دارهم في مصرهم الّذي نجم فيه نفاقهم، والسلام.

فكتب إليه عثمان يأمره أن يردّهم إلىٰ سعيد بن العاص بالكوفة فردهم إليه فلم يكونوا إلّا أطلق ألسنة منهم حين رجعوا.

وكتب سعيد إلىٰ عثمان يضج منهم، فكتب عثمان إلىٰ سعيد أن سيّرهم إلىٰ عبدالرّحمٰن بن خالد بن الوليد وكان أميراً علىٰ حمص وهم: الأشتر، وثابت بن قيس الهمداني[2] وكميل بن زياد النخعي، وزيد بن صوحان وأخوه صعصعة، وجندب بن زهير الغامدي، وحبيب بن كعب الأزدي، وعروة بن الجعد[3]

---

(١) تاريخ الطبري ٤ / ٣١٧ ـ ٣٢٦، ط. القاهرة، دار المعارف.

(٢) في تاريخ الطبري: النخعي. بدل: الهمداني.

(٣) أُسد الغابة ٣ / ٤٠٣ كان ممّن سيره عثمان إلى الشام من أهل الكوفة، وتاريخ الطبري ٥ / ٨٨ ـ ٩٠، والكامل لابن الأثير ٣ / ٥٧ ـ ٦٠، طبعة بولاق ٢ / ٥٥، وشرح ابن أبي الحديد ١ / ١٥٨ ←

وعمرو بن الحمق الخزاعي.

وكتب عثمان إلى الأشتر وأصحابه: أمّا بعد، فاني قد سيرتكم إلىٰ حمص فإذا أتاكم كتابي هذا فاخرجوا إليها، فإنكم لستم تأتون الإسلام وأهله شرّاً، والسلام.

فلمّا قرأ الأشتر الكتاب قال: اللّهمّ أسوأنا نظراً للرعيّة، وأعلمنا فيهم بالمعصية، فعجِّل له النقمة.

فكتب بذلك سعيد إلىٰ عثمان، وسار الأشتر وأصحابه إلىٰ حمص، فأنزلهم عبدالرّحمٰن بن خالد الساحل، وأجرىٰ عليهم رزقاً.

وروى الواقدي أنّ عبدالرّحمٰن بن خالد جمعهم بعد أن أنزلهم أيّاماً وفرض لهم طعاماً ثمّ قال لهم: يا بني الشيطان! لا مرحباً بكم ولا أهلاً، قد رجع الشيطان محسوراً وأنتم بعد في بساط ضلالكم وغيكم، جزى الله عبدالرّحمٰن إن لم يؤذكم، يا معشر من لا أدري أعربٌ هم أم عجم، أتراكم تقولون لي ما قلتم لمعاوية؟ أنا ابن خالد بن الوليد، أنا ابن من عجمته العاجمات، أنا ابن فاقئ عين الردّة، والله يا ابن صوحان! لأطيرن بك طيرة بعيدة المهوىٰ إن بلغني أن أحداً ممّن معي دقّ أنفك فأقنعت[1] رأسك.

قال: فأقاموا عنده شهراً كلّما ركب أمشاهم معه ويقول لصعصعة: يا ابن الخطية! إنّ من لم يصلحه الخير أصلحه الشر، ما لك لا تقول كما كنت تقول لسعيد ومعاوية؟

فيقولون: نتوب إلى الله، أقلنا أقالك الله، فما زال ذاك دأبه ودأبهم حتىٰ

← ـ ١٦٠ ورأىٰ هذه الصورة أصحّ ما ذكر في القضيّة، وتاريخ ابن خلدون ٢ / ٣٨٧ ـ ٣٨٩، وتاريخ أبي الفداء ١ / ١٦٨ في حوادث سنة ٣٣.

(١) قنع رأسه بالسيف: علاه به.

قال: تاب الله عليكم، فكتب إلىٰ عثمان يسترضيه عنهم ويسأله فيهم فردهم إلى الكوفة[1].

نرىٰ أنّ معاوية اجتهد حتىٰ أرضى الخليفة بإعادة القرّاء المـذكورين إلى الكوفة، ومن ذلك ما رواه ابن ابي شيبة بسنده وقال:

إنّ رجلاً من حمص يقال له كريب بن سيف ـ أو سيف بن كريب ـ جاء إلىٰ عثمان فقال: ما جاء بك؟ أبإذن جئت أم عاص؟

قال: بل نصيحة أمير المؤمنين، قال: وما نصيحتك؟ قال: لا تكل المؤمن إلىٰ إيمانه حتىٰ تعطيه من المال ما يصلحه ـ أو قال: ما يـعيشه ـ ولا تكـل ذا الأمانة إلىٰ أمانته حتىٰ تطالعه في عملك، ولا ترسل السقيم إلى البريء ليبرئه، فإنّ الله يبرئ السقيم، وقد يسقم السقيم البريء، قال: ما أردت إلّا الخير، قال: فردّهم، وهم زيد بن صوحان وأصحابه[2].

نرىٰ أن معاوية هو الّذي أرسل الرجل الحمصي المذكور إلى الخليفة وعلّمه أن يقول للخليفة ما قاله.

تراجم المذكورين في الخبر:

أصغر بن قيس بن الحارث الحارثي له ادراك. كان صاحب راية قومه يوم القادسية، الإصابة ١ / ١١٧.

ثابت بن قيس بن منقع النخعي أبو المنقع. من الطبقة الوسطىٰ من التابعين روىٰ له النّسائي حديثاً واحداً. من الثقات، تهذيب التهذيب ٢ / ١٣. وتقريب

---

(١) ابن أبي الحـديد ١ / ١٦٠، وط. القاهرة تصحيح محـمّد أبي الفضل إبراهيم (٢ / ١٣٤)، وتاريخ الطبري، ط. أوربا ١ / ٢٩١٤.

(٢) مصنّف ابن أبي شيبة ١١ / ٣٣٤، رقم الحديث ٢٠٦٩٥.

التهذيب ١ / ١١٧.

جندب بن زهير الازدي ثمّ الغامدي. كان فيمن سيّره عثمان عنه من الكوفة إلى الشام. وكان علىٰ رجالة عليّ في صفين وقتل فيها. الإصابة ١ /٢٤٩ تهذيب التهذيب ٢ / ١١٨، أُسد الغابة ١ / ٣٠٣.

الحارث بن عبدالله الأعور الهمداني. ثقة. أفقه الناس، أحسبُ الناس وأفرض الناس (ت: ٦٥هـ)، تهذيب التهذيب ٢ / ١٤٥.

زيد بن صوحان بن حجر الربعي العبدي. كان فاضلاً ديناً سيداً في قومه وصحب النبي (ص)، أُسد الغابة ٢ / ٢٣٣ ـ ٢٣٤.

سعيد بن العاص بن أُميّة. أمّه أُمّ كلثوم بنت عمرو العامرية، كتب المصحف لعثمان وكان عامله على الكوفة، ولي المدينة لمعاوية (ت: ٥٩هـ)، أُسد الغابة ٢ / ٣٠٩ ـ ٣١٠.

صعصعة بن صوحان بن حجر العبدي. ثقة. كان سيداً فصيحاً خطيباً ديناً، أسلم علىٰ عهد رسول الله (ص)، وشهد صفين مع عليّ، نفاه معاوية إلى البحرين فمات بها (ت: ٣٧هـ)، الإستيعاب بهامش الإصابة ٢ / ١٨٩، وأُسد الغابة ٣ / ٢٠، والإصابة ٢ / ١٩٢.

عدي بن حاتم الطائي: أسلم سنة سبع للهجرة، نزل الكوفة، أخرج حديثه أصحاب الصحاح. شهد مع عليّ الجمل وصفين، توفّي بالكوفة زمن المختار سنة ٦٨هـ، طبقات ابن سعد ٦ / ٢٢، والإستيعاب بهامش الإصابة ٣ / ١٤٢، وأُسد الغابة ٣ / ٣٩٢ ـ ٣٩٤، وتهذيب التهذيب ٧ / ١٦٦، والإصابة ٢ / ٤٦١.

عروة بن عياض بن أبي الجعد البارقي. استعمله عمر قاضياً على الكوفة. أخرج حديثه أصحاب الصحاح الستّة. كان فيمن سيره عثمان من الكوفة إلى الشام، الإستيعاب، ص ٤٩١، وأُسد الغابة ٣ / ٤٠٤، والإصابة ٢ / ٤٦٨.

كميل بن زياد بن نهيك. كان شريفاً مطاعاً في قومه. شهد مع عليّ صفين ولما قدم الحجّاج الكوفة قتله سنة ٨٢هـ، ابن سعد ٦ / ١٧٩، وتهذيب التهذيب ٨ / ٤٤٧ ـ ٤٤٨.

عمرو بن الحمق الخزاعي. صحب الرسول (ص) بعد الحديبية. شهد مع عليّ الجمل وصفين والنهروان، رحل إلى الموصل هرباً وخوفاً من زياد، فقطع عامل الموصل رأسه وحمله إلىٰ زياد، وزياد إلىٰ معاوية، وكان أول رأس حمل في الإسلام من بلد إلىٰ بلد، وكان ذلك سنة ٥٠ هجرية. الإستيعاب ٢ / ٤٠٤، وأُسد الغابة ٤ / ١٠٠ ـ ١٠١، والإصابة ٢ / ٥٢٦.

مالك بن الحارث النخعي. أدرك الرسول (ص). كان رئيس قومه، شهد اليرموك فشترت عينه بها ولقب بالأشتر، شهد الجمل وصفين مع عليّ وولاه عليّ مصر فدس إليه معاوية السم بالعسل. وتوفِّي متأثراً منه سنة ٣٨هـ، أُسد الغابة والإصابة ٣ / ٤٥٩.

يزيد بن قيس الأرجي، أدرك حياة الرسول (ص)، كان رئيساً كبيراً عند الناس شهد مع عليّ صفين. الإصابة ٣ / ٦٧٥.

ج ـ البصرة:

عزل عن البصرة وما تبعها من بلاد إيران الصحابي أبا موسى الأشعري مقرئ أهل البصرة وفاتح جنوب ايران، وعثمان بن أبي العاص عن فارس وولىٰ عليهما ابن خاله عبدالله بن عامر بن كريز العبشمي وكان عمره أربعاً وعشرين أو خمساً وعشرين سنة، روى الطّبري وابن عساكر واللّفظ لإبن عساكر قال:

وفد يزيد بن خرشة الضبي إلىٰ عثمان فقال: ما فيكم وضيع فترفعونه أو فقير فتجبرونه عمدتم إلىٰ نصف سلطانكم فأطعمتموه هذا الأشعري. فاستعمل

عثمان عبدالله بن عامر بن كريز وكان ابن خاله...[1].

دراسة الخبر:

لعلّ التعصّب القبلي العدناني كان دافع يزيد إلىٰ ما قال، فانّ ضبّة من تميم وتميماً من العدنانيين والأشعريين من اليمانيين القحطانيين، وإنّما قال (نصف سلطانكم) لأنّ أبا موسىٰ كان قد فتح من بلاد إيران كوري الأهواز: سوق الأهواز ونهر تيري وغيرهما، ثمّ فتح مناذر والسوس ورامهرمز وتستر وجنديسابور وقم وكاشان ودينور وماسبذان وكورمهر جانقذف[2].

إكرام آخر من الخليفة لابن خاله:

مرّ بنا في بحث جمع القرآن أنّ الرسول (ص) ولّىٰ عثمان بن أبي العاص علىٰ قومه بالطائف لأنّه كان أقرأهم للقرآن فكان يصلّي بهم ويقرئهم القرآن إلىٰ عهد الخليفة عمر حين كتب إليه أن يستخلف على الطائف ويقبل إليه، فاستخلف أخاه فولّاه على البحرين وعمان والبلاد الخليجية الأُخرىٰ، ثمّ أمره أن يغزو فارس، فاستخلف أخاه، وغزا بجيشه فارس، وفتح في طريقه بعض الجزر في البحر ثمّ استولىٰ علىٰ سواحل البلاد وفتح البلاد بلدة بعد أُخرىٰ حتّىٰ انتهىٰ إلىٰ توج (بلدة قريبة من كازرون شديدة الحرّ بينها وبين شيراز ثلاثون فرسخاً) فجعلها داراً للمسلمين وبنىٰ بها المساجد يشتي فيها، وفي غير الشتاء يغزو البلاد

---

(١) تاريخ الطبري، ط. أوربا ١ / ٢٨٢٨ في أوّل ذكره أخبار سنة سبع وعشرين، وترجمة عبدالله بن عامر من تاريخ ابن عساكر، مصوّرة مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق ٢٣٢/٢/٩ /ب، وقد حذف الخبر ابن منظور في ترجمة عبدالله بن عامر من مختصر تاريخ دمشق.

(٢) راجع أخبار فتوح هذه البلاد بفتوح البلدان للبلاذري، ص ١٧٧. وط. بيروت سنة ١٣٧٧هـ، القسم الخامس، ص ٥٣١ ـ ٥٣٨.

ويفتتحها. وأمر الخليفة عمر أبا موسىٰ أن يعينه فتعاونا علىٰ فتح البلاد حتى اتّصلت في ما بينهما، وعلىٰ عهد الخليفة عثمان أراد أن يكرم ابن خاله عبدالله بن سعد بن أبي سرح فعزل عثمان بن سعيد وجمع لابن خاله الولاية علىٰ ما افتتحها عثمان بن سعيد وأبو موسى الأشعري، وكان عبدالله بن عامر من فتيان قريش جواداً من بيت مال المسلمين، ومن أخباره في ذلك ما رواه ابن عساكر بترجمته من تاريخه وقال:

ارتجّ علىٰ عبدالله بن عامر بالبصرة يوم أضحىٰ فمكث ساعة ثمّ قال: والله لا أجمع عليكم عيّاً ولؤماً. من أخذ شاة من السوق فهي له وثمنها عليّ. (ولم تحتمله البصرة فكتب إلىٰ عثمان يستأذنه الغزو فأذن له)[1].

لعلّ المراد: لم يحتمل بيت مال البصرة نفقاته في العطاء لمن أمر فانّه بعدما فتح بلاداً كثيرة حج فأفشىٰ في قريش والأنصار الصلات والكساء فأثنوا عليه.

وبسبب ذلك لمّا استعتب عثمان من عماله كان في ما شرطوا عليه أن يقرّ ابن عامر على البصرة، لتحبّبه إليهم وصلته هذا الحي من قريش، وبعد قتل الخليفة عثمان حمل بيت مال البصرة وذهب إلىٰ مكة ثمّ إلى الشام ومات قبل معاوية بسنة.



كان ذلكم أمثلة من أخبار بعض الولاة علىٰ عهد الخليفة عثمان، وكان لسروات قريش والصحابة مواقف في تلك الأحداث، نذكر بعضها في ما يأتي:

---

(١) تاريخ ابن عساكر، مخطوطة الظاهرية، مصورة المجمع العلمي ٩/ق ٢٣١/٢ب و٢٣٣ب.

موقف الصحابي المقرئ ابن مسعود ومآل أمره:

أمّا ابن مسعود فهو أبو عبد الرّحمٰن عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي وأُمّه أُمّ عبد ودّ الهذلي. وكان أبوه حليف بني زهرة، أسلم قديماً وجهر بالقرآن في مكة ولم يكن قد جهر به أحد من المسلمين قبله فضربته قريش حتىٰ أدمته، ولمّا أسلم أخذه رسول الله (ص) إليه وكان يخدمه، وقال له: «اذنك عليّ أن تسمع سوادي[1] ويرفع الحجاب حتّىٰ أنهاك»، فكان يلج عليه ويلبسه نعليه ويمشي معه وأمامه ويستره إذا اغتسل ويوقظه إذا نام، وكان يعرف في الصحابة بصاحب السواد والسواك.

هاجر الهجرتين جميعاً إلى الحبشة وإلى المدينة وشهد بدراً وما بعدها.

وقالوا فيه: كان أشبه الناس هدياً ودلاً وسمتاً برسول الله[2].

سيّره عمر في عهده إلى الكوفة، وكتب إلىٰ أهل الكوفة: وقد آثرتكم بعبدالله علىٰ نفسي[3]، فكان ابن مسعود يعلّمهم القرآن ويفقّهم في الدِّين.

وكان ابن مسعود في بادئ أمره من عصبة الخلافة وانتقل بعد ذلك إلىٰ جماعة المعارضين، ووقع بينه وبين أمير الكوفة الأموي ما ذكرنا تفصيله في كتابنا أحاديث أُمّ المؤمنين عائشة، باب (مع الصِّهرين)، وكان يتكلّم بكلام لا يدعه وهو:

(إنّ أصدق القول كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمّد (ص)، وشرّ الأُمور محدثاتها، وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النار).

---

(١) ساوده سواداً أي: ساوره مساورة، ولذلك كان يُقال له: صاحب سرّ رسول الله.

(٢) راجع مسند أحمد ٥ / ٣٨٩؛ ومناقبه في البخاري والمستدرك ٣ / ٣١٥ و ٣٢٠؛ وحلية أبي نعيم ١ / ١٢٦ و ١٢٧؛ وكنز العمال ٧ / ٥٥.

(٣) راجع ترجمته في أُسد الغابة، الترجمة ٣١٧٧، ٣ / ٢٥٨.

فكتب الأمير الأموي الوليد إلىٰ عثمان بذلك وقال: إنّـه يـعيبك ويـطعن عليك، فكتب إليه عثمان يأمره بإشخاصه، فاجتمع الناس فـقالوا: أقـم ونحـن نمنعك أن يصل إليك شيء تكرهه، فقال: (إنّها ستكون أُمور وفتن لا أُحبّ أن أكون أوّل مَنْ فتحها). فردّ الناس وخرج إليه[1].

وشيّعه أهل الكوفة فأوصاهم بتقوى الله ولزوم القرآن[2].

فقالوا له: جزيت خيراً فلقد علّمت جاهلنا، وثـبّت عـالمنا، وأقـرأتـنا القرآن، وفقّهْتنا في الدِّيـن، فنِعْمَ أخو الإسلام أنتَ ونِـعْمَ الخـليل، ثمّ ودّعـوه وانصرفوا، وقدم ابن مسعود المدينة وعثمان يخطب علىٰ منبر رسـول الله (ص) فلمّا رآه قال:

ألا انّه قد قدمت عليكم دويبة سوء من يمشي علىٰ طعامه يقيء ويسلح.

فقال ابن مسعود: لست كذلك ولكني صاحب رسول الله (ص) يوم بدر ويوم بيعة الرضوان[3].

ونادت عائشة: «أي عثمان! أتقول هذا لصاحب رسول الله؟!».

ـ وفي رواية بعـده: «فقال عثمان: أُسكتي» ـ ثمّ أمر عثمان به فأُخرج من المسجد اخراجاً عنيفاً، وضرب به عبدالله بن زمعة الأرض، ويقال: بل احتمله «يحموم» غلام عثمان ورجلاه تختلفان علىٰ عنقه حتىٰ ضرب به الأرض فـدقّ ضلعه.

وقام عليّ بأمر ابن مسعود حتىٰ أتىٰ به منزله، فأقام ابن مسعود بالمدينة لا يأذن له عثمان في الخروج منها إلىٰ ناحية من النـواحي، وأراد ـ حين برئ ـ

(١) الإستيعاب، ترجمة ابن مسعود.

(٢) رجعنا إلىٰ رواية البلاذري.

(٣) في كلامه هذا تعريض بعثمان حيث غاب عن بدر وبيعة الرضوان.

الغزو فمنعه من ذلك.

وقال له مروان: انّ ابن مسعود أفسد عليك العراق أفتريد أن يفسد عليك الشام؟

فلم يبرح المدينة حتّىٰ توفّي قبل مقتل عثمان بسنتين.

وكان مقيماً بالمدينة ثلاث سنين.

ولما مرض ابن مسعود مرضه الّذي مات فيه أتاه عثمان عائداً، فقال: ما تشتكي؟

قال: ذنوبي.

قال: فما تشتهي؟

قال: رحمة ربي.

قال: ألا أدعو لك طبيباً؟

قال: الطبيب أمرضني.

قال: فلا آمر لك بعطائك ـ وكان قد تركه سنتين ـ[1]؟

قال: منعتنيه وأنا محتاج إليه وتعطينيه وأنا مستغن عنه.

قال: يكون لولدك.

قال: رزقهم على الله.

قال: استغفر لي يا أبا عبدالرّحمٰن.

قال: أسأل الله أن يأخذ لي منك بحقّي.

وأوصىٰ أن يصلّي عليه عمّار بن ياسر، وأن لا يصلّي عليه عثمان، فدُفِنَ بالبقيع وعثمان لا يعلم فلمّا علم غضب، وقال: سبقتموني به.

---

(١) تاريخ ابن كثير ٧ / ١٦٣؛ وراجع اليعقوبي ٢ / ١٩٧؛ ومستدرك الحاكم ٣ / ١٣.

فقال عمار بن ياسر: إنّه أوصىٰ أن لا تصلّي عليه.

فقال ابن الزّبير:

لأعرفنك بعد الموت تندبني   وفي حياتي ما زوّدتني زادي

وتوفّي ابن مسعود سنة ٣٢ ودفنه الزّبير ليلاً ولم يؤذن به عثمان. وكان عمره بضعاً وستين[1].

كان ذلك شأن الخليفة ووالي الكوفة مع مقرئ أهل الكوفة ابن مسعود وسوف يأتي في محلّه من هذا البحث شأنهم معه عند حرق المصاحف.

موقف عمّار بن ياسر:

من أخباره مع عمّار:

أ ـ ما رواه البلاذري وقال: انّه لما بلغ عثمان موت أبي ذر بالربذة، قال: رحمه الله. فقال عمّار بن ياسر: نعم، فرحمه الله من كلِّ أنفسنا، فقال عثمان: يا عاض أير أبيه! أتراني ندمت علىٰ تسييره؟ وأمر فدفع في قفاه وقال: إلحق بمكانه، فلمّا تهيّأ للخروج جاءت بنو مخزوم إلىٰ عليّ فسألوه أن يكلّم عثمان فيه. فقال له عليّ: يا عثمان! اتق الله فإنّك سيّرت رجلاً صالحاً من المسلمين فهلك في تسييرك، ثمّ أنت الآن تريد أن تنفي نظيره، وجرىٰ بينهما كلام حتّىٰ قال عثمان: أنت أحق بالنفي منه. فقال عليّ: رم ذلك إن شئت، واجتمع المهاجرون فقالوا: إن كنت كلّما كلّمك رجل سيّرته ونفيته فإنّ هذا شيء لايسوغ. فكفّ عن عمّار[2].

---

(١) لقد رجعنا في ما ذكرنا من قصّة ابن مسعود إلى البلاذري في أنساب الأشراف ٥ / ٣٦، وفي بعضه إلىٰ ترجمته في طبقات ابن سعد ٣ / ١٥٠ ـ ١٦١، طبعة دار صادر بيروت؛ والإستيعاب ١ / ٣٦١؛ وأُسد الغابة ٣ / ٣٨٤، رقم الترجمة ٣١٧٧؛ وتاريخ اليعقوبي ٢ / ١٧٠؛ وراجع تاريخ الخميس ٢ / ٢٦٨؛ وابن أبي الحديد، طبعة دار إحياء الكتب العربية بمصر ١ / ٢٣٦ ـ ٢٣٧.

(٢) أنساب الأشراف ٥ / ٤٩ و ٥٤؛ وتاريخ اليعقوبي ٢ / ١٧٣؛ والعقد الفريد ٢ / ٢٧٢.

ب ـ ما رواه البلاذري وغيره في حملة كتاب استنكار الصحابة علىٰ عثمان وقالوا:

إنّ المقداد بن عمرو، وعمّار بن ياسر، وطلحة، والزّبير في عدّة من أصحاب رسول الله (ص) كتبوا كتاباً عدّدوا فيه أحداث عثمان وخوّفوه ربّه وأعلموه أنّهم مواثبوه إن لم يقلع؛ فأخذ عمار الكتاب وأتاه به فقرأ صدراً منه فقال له عثمان: أعليّ تقدم من بينهم؟ فقال عمار: لأنّي أنصحهم لك. فقال: كذبت يا ابن سميّة! فقال: أنا والله ابن سميّة وابن ياسر، فأمر غلمانه فمدّوا بيديه ورجليه ثمّ ضربه عثمان برجليه وهي في الخُفّين علىٰ مذاكيره فأصابه الفتق، وكان ضعيفاً كبيراً فغشي عليه[1].

وفي خبر آخر:

فضربه حتىٰ غشي عليه ثمّ أُخرج فحُمِلَ حتىٰ أُتي به منزل أُمّ سلمة زوج رسول الله (ص) فلم يصلّ الظهر والعصر والمغرب، فلمّا توضأ وصلّىٰ قال: الحمد لله ليس هذا أوّل يوم أُوذينا فيه في الله. وبلغ عائشة ما صنع بعمار فغضبت وأخرجت شعراً من شعر رسول الله (ص) وثوباً من ثيابه ونعلاً من نعاله ثمّ قالت: ما أسرع ما تركتم سنّة نبيكم وهذا شعره وثوبه ونعله لم يبل بعد، فغضب عثمان غضباً شديداً حتىٰ ما درىٰ ما يقول، فالتج المسجد وقال الناس: سبحان الله، سبحان الله، وكان عمرو بن العاص واجداً علىٰ عثمان لعزله إيّاه عن مصر فجعل يكثر التعجّب والتسبيح[2].

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) نفس المصدر السابق.

موقف عمرو بن العاص:

في تاريخ الطبري وأنساب الأشراف ما موجزه والسياق للطبري:

(... فخرج عمرو من عند عثمان وهو محتقد عليه يأتي عليّاً مرة فيؤلّبه علىٰ عثمان ويأتي الزّبير مرّة فيؤلبه علىٰ عثمان ويأتي طلحة مرة فيؤلبه علىٰ عثمان ويعترض الحاج فيخبرهم بما أحدث عثمان، فلمّا كان حصر عثمان الأوّل خرج من المدينة حتّى انتهىٰ إلىٰ أرض له بفلسطين يقال لها السبع فنزل في قصر له يقال له العجلان وهو يقول: العجب ما يأتينا عن ابن عفان! قال: فبينا هو جالس في قصره ذلك إذ مرّ بهم راكب فناداه عمرو من أين قدم الرجل؟ فقال من المدينة، قال ما فعل الرجل ـ يعني عثمان ـ؟ قال تركته محصوراً شديد الحصار، قال عمرو: أنا أبو عبدالله قد يضرط العير والمكواة في النار، فلم يبرح مجلسه ذلك حتّىٰ مرّ به راكب آخر فناداه عمرو: ما فعل الرجل ـ يعني عثمان ـ؟ قال قتل، قال: أنا أبو عبدالله إذا حككت قرحة نكأتها، إن كنت لأُحرِّض عليه حتىٰ إنّي لأُحرِّض عليه الرّاعي في غنمه علىٰ رأس الجبل[1].

موقف معاوية:

بعد أن بلغ السيل الزبىٰ، وثار المسلمون بعثمان في المدينة كتب عثمان إلىٰ معاوية فيمن كتب إليه من ولاته يستمدّه ويقول:

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم، أمّا بعد فإنّ أهل المدينة كفروا، وأخلفوا الطاعة، ونكثوا البيعة، فابعث إليَّ من قِبَلَكَ من مقاتلة أهل الشام علىٰ كلّ صعب وذلول.

فلمّا جاء معاوية الكتاب تربّص به وكره إظهار مخالفة أصحاب رسول الله (ص)، وقد علم اجتماعهم، فلمّا أبطأ أمره علىٰ عثمان، كتب إلىٰ أهل الشام

---

(١) الطبري ١ / ٢٩٦٧ ـ ٢٩٧٢؛ وأنساب الأشراف ٤ /ق ١ / ٥٦٤ ـ ٥٦٩ و ٥٩٨.

يستنفرهم...[1] الحديث.

قال البلاذري: ولمّا أرسل عثمان إلىٰ معاوية يستمدّه بعث يزيد بن أسد القسري[2] وقال له: إذا أتيت ذا خُشُب[3] فأقم بها، ولا تتجاوز، ولا تقل: يرى الشاهد ما لا يرى الغائب، فإنّني أنا الشاهد وأنت الغائب، قال: فأقام بذي خُشُب حتىٰ قُتل عثمان، فاستقدمه حينئذ معاوية، فعاد إلى الشام بالجيش الّذي كان أُرسل معه؛ وإنّما صنع ذلك معاوية ليقتل عثمان، فيدعو إلىٰ نفسه[4]. إنتهىٰ.

وجاء في تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٧٥:

فكتب عثمان إلىٰ معاوية يسأل تعجيل القدوم عليه، فتوجّه إليه في اثني عشر ألفاً، ثمّ قال: كونوا بمكانكم في أوائل الشأم، حتىٰ آتي أمير المؤمنين لأعرف صحّة أمره، فأتىٰ عثمان، فسأله عن المدّة، فقال: قد قدمت لأعرف رأيك وأعود إليهم فأجيئك بهم. قال: لا والله، ولكنّك أردت أن أُقْتَل فتقول: أنا وليّ الثأر. ارجع، فجئني بالناس! فرجع، فلم يعد إليه حتىٰ قُتل.

ولمّا بويع لعليّ ندم معاوية علىٰ ما فرط في جنب عثمان؛ ورأىٰ أنّ الخلافة قد زويت عنه، فكتب لطلحة والزّبير يمنّيهما الخلافة، ويدفعهما إلىٰ قتال عليّ، حتىٰ قُتلا بالبصرة[5].

موقف عبدالرّحمٰن بن عوف:

روى البلاذري بسنده في أنساب الأشراف:

---

(١) الطبري ٥ / ١١٥ ـ ١١٦.

(٢) اختلفوا في إدراكه صحبة النبيّ، راجع ترجمته بأُسد الغابة ٥ / ١٠٣.

(٣) «خُشُب» بضم أوّله وثانيه: واد علىٰ مسير ليلة من المدينة. معجم البلدان.

(٤) شرح النهج ٤ / ٥٧ ـ ٥٨.

(٥) صفين لنصر بن مزاحم، ص ٥٢؛ وشرح النهج ٢ / ٥٨٠ ـ ٥٨١.

أ ـ قال: لمّا تُوفّي أبو ذر بالرَّبَذة، تذاكر عليّ وعبدالرّحمٰن بن عوف فعل عثمان، فقال عليّ: هذا عَمَلُك، فقال عبدالرّحمٰن: إذا شئت فخُذ سيفك وآخُـذُ سيفي، إنّه قد خالف ما أعطاني.

ب ـ قال: ذُكر عثمان عند عبدالرّحمٰن بن عوف في مرضه الّذي مات فيه فقال عبد الرحمن: عاجلوه قبل أن يتمادىٰ في ملكه، فبلغ ذلك عثمان، فبعث إلىٰ بئر كان يُسقىٰ منها نَعَمُ عبدالرّحمٰن بن عوف فمنعه إيّاها، فقال عبدالرّحمٰن: اللّهمّ اجعل ماءها غَوْراً، فما وُجدت فيها قَطْرة.

ج ـ إنّ عبدالرّحمٰن بن عوف كان حلف ألا يكلم عثمان أبداً.

د ـ إنّ عبدالرّحمٰن أوصىٰ أن لا يصلّي عليه عثمان، فصلّىٰ عليه الزّبير أو سعد بن أبي وقّاص، وتُوفّي سنة اثنتين وثلاثين[1].

موقف أمّ المؤمنين عائشة من تلكم الأحداث:

قال البلاذري في أنساب الأشراف:

أنّه وصلت من أمّ المؤمنين (كتب إلى البلاد تحرض المسلمين على الخروج عليه)[2].

وذكر اليعقوبي في تاريخه وقال:

كان عثمان يخطب، إذْ دلّت عائشــة قميص رســول الله، ونادت «يا معشر المسلمين! هذا جلباب رسول الله لم يبل وقد أبلىٰ عثمان سنّته»، فقال عثمان: «ربّ اصرِف عنّي كيدهنّ إنّ كيدهنّ عظيم»[3].

---

(١) أنساب الأشراف ط. بيروت ١٤٠٠هـ (ق ٤ / ١ / ٥٤٦ ـ ٥٤٧).
(٢) أنساب الأشراف للبلاذري ٥ / ١٠٣.
(٣) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٧٥.

وقال ابن أعثم:

ولمّا رأت أمّ المؤمنين اتّفاق الناس علىٰ قتل عثمان، قالت له:

أي عثمان! خصّصت بيت مال المسلمين لنفسك، وأطلقت أيدي بني أميّة علىٰ أموال المسلمين، وولّيتهم البلاد، وتركت أمّة محمّد في ضيق وعسر، قطع الله عنك بركات السماء وحرمك خيرات الأرض، ولولا أنك تصلّي الخمس لنحروك كما تُنحَر الإبل[1].

فقرأ عليها عثمان: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّاخِلِينَ﴾[2] انتهىٰ.

إنّ هذه الكلمات القارصة من الخليفة في أمّ المؤمنين عائشة ذات الطبع الحادّ والّتي لم تكن لتملك نفسها عند سورة الغضب، والكتاب الّذي عثر عليه أخوها محمّد في طريقه إلىٰ مصر والّذي فيه أمر صريح بقتله وآخرين من رفقته ممّن أدركوا صحبة النبيّ وغيرهم من المسلمين؛ قد دفعت أمّ المؤمنين ـ الّتي كانت تذهب نفسها في سبيل الدفاع عن ذوي قرباها ـ أن تصدر الفتوى الصريحة بقتل الخليفة عثمان وكفره، فتقول فيه:

اُقتلوا نعثلاً فقد كفر.

---

(١) كتاب الفتوح، ٢ / ٢٢٥.

وينبغي أن تكون هذه المحاورة قبل عثور أخيها محمّد علىٰ كتاب عثمان في طريق مصر يأمر فيه بقتلهم، فإنّها بعد ذلك كانت تفتي بقتله غير مبالية بصلاته.

(٢) الآية العاشرة من سورة التحريم وكان عثمان يعرض بها إلىٰ ما أطبق عليه المفسّرون من أنّ منشأ قصّة التحريم ما قامت به أمّ المؤمنين عائشة وأُخرىٰ معها من أُمّهات المؤمنين، فنزلت فيهما سورة التحريم.

وقالت: أشهد أن عثمان جيفة على الصراط[1].

انطلقت هذه الكلمة من فمِ أُمّ المؤمنين، فانتشرت بين الناس[2].

ولمّا آشتدّ الأمر علىٰ عثمان أمر مروان بن الحكم وعبدالرّحمٰن بن عتاب بن أُسيد فأتيا عائشة وهي تريد الحجّ فقالا لها:

لو أقمت، فلعلّ الله يدفع بك عن هذا الرجل، «وقال مروان: ويـدفع لك بكل درهم أنفقتيه درهمين»[3].

فقالت: قد قرنت ركائبي وأوجبت الحجّ علىٰ نفسي ووالله لا أفعل! فنهض مروان وصاحبه، ومروان يقول:

وحرّق قيسُ عـليّ البـلاد   فـلمّا اضـطرمت أحـجما

ورد البيت في الأنساب ٥ / ٧٥ هكذا:

وحَـرَّقَ قـيسٌ عـليَّ البـلا   د حتّىٰ إذا اضْطَرَمتْ أَجذَما

فقالت عائشة: يا مروان! «لعلك ترىٰ أنّي في شكّ من صاحبك»[4]، والله لوددتُ أنّه في غرارة من غرائري هذه وأنّي طوقت حمله حتى اُلقيه في البحر[5].

---

(١) الطبري ٤ / ٤٧٧، ط. القاهرة سنة ١٣٥٧، وط. أوربا ١ / ٣١١٢؛ وابن أعثم، ص ١٥٥؛ وابن الأثير ٣ / ٨٧؛ وابن أبي الحديد ٢ / ٧٧؛ ونهاية ابن الأثير ٤ / ١٥٦؛ وشرح النهج ٤ / ٤٥٨.

وراجع لغة نعثل في النهاية لابن الأثير وتاج العروس ولسان العرب.

(٢) راجع خبر انتشار كلمة أُمّ المؤمنين في بحث علىٰ عهد عثمان من المجلّد الأوّل من كتابنا أحاديث أُمّ المؤمنين عائشة.

(٣) الزيادة ما بين القوسين في تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٢٤، وط. بيروت ٢ / ١٧٦.

(٤) نفس المصدر السابق.

(٥) أخرج هذه الرواية كل من البلاذري في الأنساب ٥ / ٧٥؛ وابن أعثم ٢ / ٢٢٥؛ وابن ←

خرجت أُمّ المؤمنين من المدينة متوجهة إلىٰ مكة وخرج ابن عباس أميراً على الحاج من قبل عثمان، فمرّ بعائشة في الصلصل وهي في طريقها إلىٰ مكّـة، فقالت: يا ابن عباس! أنشدك الله فإنّك أُعطيت لساناً أزعيلاً أن تخذِّل عن هذا الرجل. وفي الأنساب: إيّاك أن تردّ عن هذه الطاغية[1] وأن تشكك فيه الناس فقد بانت لهم بصائرهم وأنهجت ورفعت لهم المنار وتحلّبوا من البلدان لأمر قد جمّ، وقد رأيت طلحة بن عبيد الله قد اتّخذ علىٰ بيوت الأموال والخزائن مفاتيح، فإن يلِ يَسرْ بسيرة ابن عمه أبي بكر.

قال: قلت: يا أُمّهْ لو حدث بالرجل ما حدث ما فزع الناس إلّا إلىٰ صاحبنا.

فقالت: إيهاً عنك إنِّي لست أُريد مكابرتك ولا مجادلتك[2].

تراجم المذكورين في الخبر:

أ ـ عبد الرّحمٰن بن عتاب بن أُسيد بن أبي العيص بن أُميّة بن عبد شمس قتل يوم الجمل تحت راية عائشـة، وقطعت يده، فاختطفها نسر وفيها خاتمه، فطرحها ذلك اليوم باليمامة، فعرفت يده بخاتمه، (جمهرة نسب قريش، ص: ١٨٧ ـ ١٩٣).

ب ـ عبدالله بن العـباس بن عبدالمطلّـب بن هاشم القرشي، كنِّي بأبـيه

← سعد في الطبقات، ط. ليدن ٥ / ٢٥ بترجمة مروان، وذكر من أتىٰ عائشة زيد بن ثابت.

والغرارة: الجوالق.

(١) في الأنساب ٥ / ٧٥.

(٢) الطـبري ٥ / ١٤٠، وط. أوربا ١ / ٣٠٤٠؛ وابن أعـثم، ص ١٥٦، واللّـفظ للـطبري والبلاذري.

والصلصل: من نواحي المدينة علىٰ مسيرة أميال منها. معجم البلدان.

والأزعيل: الذلق، وفي القاموس: النشيط.

العبّاس وهو أكبر ولده، وأُمّه لبابة الكبرىٰ بنت الحارث بن حزن الهلالية، ولد والنبيّ بالشعب من قبل الهجرة بثلاث. شهد مع عليّ الجمل وصفين والنهروان ثمّ ولّاه البصرة، وترك البصرة في آخر خلافة عليّ وذهب إلىٰ مكّة، ولمّا وقعت الفتنة بين عبدالله بن الزّبير وعبدالملك ألحّ ابن الزّبير عليه وعلىٰ محمّد بن الحنفية أن يبايعا فأبيا، فجمع الحطب علىٰ داريهما حتّىٰ بلغ رؤوس الجدر ليحرقهم، فجاءتهم أربعة آلاف فارس من الكوفة وأنقذتهم، وخاف ابن الزّبير فتعلّق بأستار الكعبة وقال: أنا عائذ بالبيت فمنعهم عنه ابن عباس. وتوفّي بالطائف سنة ثمان وستين أو سبعين ـ كما ذكره ابن عبدالبرّ وابن الأثير وابن حجر ـ وهو ابن سبعين أو إحدىٰ وسبعين سنة، (الإستيعاب/٣٧٢ـ٣٧٤، الترجمة رقم ١٥٩١؛ وأُسد الغابة، الترجمة رقم ٣٠٣٥، ٣ / ١٩٢ ـ ١٩٥؛ والإصابة، الترجمة رقم ٤٧٨١، ٢ / ٣٢٢ ـ ٣٢٦).

د ـ مصر وتولية عبدالله بن سعد بن أبي سرح عليها:

كان عمرو بن العاص فاتح مصر عاملاً عليها حتّىٰ عزله الخليفة عثمان عن الخراج واستعمله على الصلاة، واستعمل عبدالله بن سعد على الخراج ثمّ جمعهما لعبدالله بن سعد[1].

روى البلاذري أنّ محمّد بن أبي حذيفة ومحمّد بن أبي بكر حين أكثر الناس في أمر عثمان قدما مصر وعليها عبدالله بن سعد بن أبي سرح، ووافقا بمصر محمّد بن طلحة بن عبيد الله وهو مع عبدالله بن سعد؛ وإنّ ابن أبي حذيفة شهد صلاة الصبح في صبيحة الليلة الّتي قدم فيها، ففاتته الصلاة فجهر بالقراءة فسمع ابن أبي سرح قراءته فأمر إذا صلّىٰ أن يؤتىٰ به. فلمّا رآه قال: ما جاء بك

---

(١) الطبري ٥ / ١٠٨، وط. أوربا ١ / ٢٢٦٦.

إلىٰ بلدي؟ قال: جئت غازياً، قال: ومن معك؟ قال: محمّد بن أبي بكر، فقال: والله ما جئتما إلّا لتفسدا الناس، فأمر بهما فسجنا، فأرسلا إلىٰ محمّد بن طلحة يسألانه أن يكلمه فيهما لئلا يمنعهما من الغزو، فأطلقهما ابن أبي سرح وغزا ابن أبي سرح أفريقيا، فأعدّ لهما سفينة مفردة لئلّا يفسدا عليه الناس فرض ابن أبي بكر فتخلّف، وتخلّف معه ابن أبي حذيفـة، ثمّ انّهما خرجا في جماعة الناس فما رجعا من غزاتهما إلّا وقد أوغرا صدور الناس علىٰ عثمان.

وقال في حديث آخر: وكانت غزوة ذات الصواري في المحرّم سنة ٣٤[١].

وفي تاريخ الطبري وأنساب الأشراف[٢]:

خرج محمّد بن أبي حذيفة ومحمّد بن أبي بكر عام خرج عبدالله بن سعد، فأظهرا عيب عثمان وما غيّر وما خالف به أبا بكر وعمر وأنّ دم عثمان حلال، ويقولان: استعمل عبدالله بن سعد رجلاً كان رسول الله (ص) أباح دمه، ونزل القرآن بكفره [حين قال: سأُنزل مثل ما أنزل الله][٣] وأخرج رسول الله (ص) قوماً وأدخلهم[٤] ـ إلىٰ قوله ـ فأفسدا أهل تلك الغزاة وعابا عثمان أشدّ العيب.

وقال: (ومحمّد بن أبي حذيفـة يقول للرجل: أما والله لقد تركنا خـلفنا الجهاد حقّاً، فيقول الرجل: وأيّ جهاد؟! فيقول: عثمان بن عفان فعل كذا وكذا حتّىٰ أفسد الناس، فقدموا بلدهم وقد أفسدهم، وأظهروا من القول ما لم يكونوا ينطقون به).

---

(١) أنساب الأشراف ٥ / ٥٠.

(٢) الطبري ٥ / ٧٠ ـ ٧١، في ذكره غزوة ذات الصواري في سنة ٣١، وط. أوربا ١ / ٢٨٧٠ ـ ٢٨٧١.

(٣) هذه الجملة في أنساب الأشراف ٥ / ٥٠.

(٤) يقصد بهم الحكم بن أبي العاص وولده.

وممّا ساعد المحمّدين في أمرهم تذمّر المصريين من سيرة ابن أبي سرح فيهم، وظلمه إيّاهم، وقد بلغ الأمر به معهم أن يضرب بعض من شكاه إلىٰ عثمان حتّىٰ يتوفّىٰ، وقد أورد قصّة قدوم المصريين علىٰ عثمان في شكواهم من ابن أبي سرح كلٌّ من الطبري وابن الأثير في حديثهما عن شكوى المصريين من ابن أبي سرح، وقالا:

(وقد قدّموا في كلامهم ابن عديس فذكر ما صنع ابن سعد بمصر وذكر تحاملاً منه على المسلمين وأهل الذمّة واستئثاراً منه في غنائم المسلمين، فإذا قيل له في ذلك قال هذا كتاب أمير المؤمنين إليّ...)[1].

تراجم المذكورين في الخبر:

أ ـ عبدالله بن سعد بن أبي سرح بن الحارث القرشي العامري. وهو أخو عثمان من الرضاعة، أرضعت أُمّه عثمان.

أسلم قبل الفتح وهاجر إلى المدينة، وكتب الوحي لرسول الله، ثمّ ارتدّ مشركاً، وصار إلىٰ قريش بمكّة، فقال لهم: إنّي كنت أصرفُ محمّداً حيث أُريد؛ كان يملي عليَّ: «عزيز حكيم» فأقول: «عليم حكيم»! فيقول: نعم، كلٌّ صواب؛ فأنزل الله تعالىٰ فيه:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ ٱلظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُوْنِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾. (الأنعام/٩٣)

فلمّا كان يوم الفتح، أهدر رسول الله دمه، وأمر بقتله ولو وُجِدَ متعلّقاً

---

(١) الطبري ٥/١١٨، وط. أوربا ١/٢٩٩٤؛ وابن الأثير ٣/٥٩ ـ ٧٠.

بأستار الكعبة. ففرّ عبدالله إلىٰ عثمان فغيّبه حتىٰ أتىٰ به إلىٰ رسول الله (ص) فاستأمنه له، فصمت رسول الله (ص) طويلاً ثمّ قال: نعم، فلمّا انصرف عثمان قال لمن حوله: ما صمتُّ إلّا ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه، فقالوا: هلّا أومأت إلينا، فقال: إنّ النبيّ لا ينبغي أن يكون له خائنة الأعين.

ولّاه عثمان مصر سنة ٢٥ هـ، وعزل عنها عمرو بن العاص ففتح أفريقيا فأعطاه عثمان خمس غنائم الغزوة الأُولىٰ، وبقي أميراً علىٰ مصر حتّىٰ سنة ٣٤ حيث ثار ابن أبي حذيفة في مصر، فمضى إلىٰ عسقلان فأقام بها حتّىٰ قُتِلَ عثمان. وتوفّي سنة ٥٧ أو ٥٩ [١].

ب ـ محمّد بن أبي بكر عبدالله بن أبي قحافة عثمان، وأُمّه أسماء بنت عميس الخثعميّة كانت تحت جعفر وتزوجها أبو بكر بعد وفاة جعفر بن أبي طالب فولدت له محمّداً في طريقهم إلىٰ مكّة في حجة الوداع، ولمّا توفّي أبو بكر تزوجها عليّ فنشأ محمّد في حجر عليّ وكان ربيبه، شهد مع عليّ الجمل وصفين، ثمّ ولّاه مصر فدخلها في الخامس عشر من شهر رمضان سنة ٣٧، فجهّز معاوية عمرو بن العاص إلىٰ مصر سنة ٣٨، فتغلّب عليه وقتله معاوية بن خديج صبراً وأدخلوا جثته في بطن حمار ميّت وأحرقوه [٢].

ج ـ أبو القاسم محمّد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة القرشي العبشمي، وأُمّه سهلة بنت سهيل بن عمرو العامرية، ولد بأرض الحبشة علىٰ عهد رسول الله (ص) واستشهد أبوه أبو حذيفة باليمامة فضمّ عثمان ابنه هذا إليه وربّاه.

---

(١) الإستيعاب ٢ / ٣٦٧ ـ ٣٧٠؛ والإصابة ٢ / ٣٠٩ ـ ٣١٠ و ١ / ١١ ـ ١٢؛ وأُسد الغابة ٣ / ١٧٣ ـ ١٧٤؛ وأنساب الأشراف ٥ / ٤٩؛ والمستدرك ٣ / ١٠٠؛ والمفسّرون كالقرطبي وغيره في تفسيرهم الآية ٩٣ من سورة الأنعام؛ وابن أبي الحديد ١ / ٦٨.

(٢) رواه المؤرّخون في ذكرهم حوادث سنة ٣٠ و ٣٨هـ، وبترجمته في الإستيعاب وأُسد الغابة والإصابة.

استأذن عثمان في أن يذهب إلىٰ مصر للغزو فأذن له فأخذ هناك يؤلب النـاس علىٰ عثمان ثمّ وثب علىٰ خليفة عبدالله بن سعد بمصر وأخرجه منها وبايعه أهل مصر بالإمارة، ولمّا استخلف عليّ أقره عليها فبقي عليها حتّىٰ سار إليه معاوية عند مسيره إلىٰ صفين، فخرج إليهم محمّد ومنعه من دخول الفسطاط ثمّ تصالحوا علىٰ أن يخرج محمّد بن أبي حذيفة ومن معه آمنين فخرج محمّد وثلاثون رجلاً فغدر بهم معاوية وحبسه في سجن دمشق ثمّ قتله رشدين مولىٰ معاوية! وكان محمّد ممّن أدركوا صحبة الرسول[1].

د ـ محمّد بن طلحة بن عبيدالله، وأُمّه حمنة بنت جحش، كنيته أبو سليمان، ولد في عصر الرسول (ص)، وقتل يوم الجمل فمرّ عليه عليّ وقال: أبوه صرعه هذا المصرع، ولولا أبوه وبرّه به ما خرج ذلك المخرج[2].

عود علىٰ بدء

قال ابن أعثم: جاء إلى المـدينـة وفد من أشراف مصر يشكون عاملهم عبدالله بن سعد بن أبي سرح، فدخلوا مسجد الرسـول، فرأوا فيها جماعة من أصحاب رسـول الله (ص) من المهاجرين والأنصار، فسلّموا عليهم، فسألتهم الصحابة عمّا أقدمهم من مصرهم، فقالوا: ظلم والينا، وفساده، فقال لهم عليٌّ: لا تعجلوا في أمركم، واعرضوا على الإمام شكواكم، فلعل عاملكم عمل برأيه فيكم. إذهبوا إلى الخـليفة واشرحوا له ما ساءكم من عاملكم، فإن أنكر عليه وعذله أصبتم بغيتكم، وإن لم يفعل وأقرّه علىٰ ما هو عليه؛ رأيتم أمركم، فدعا له المصريون وقالوا: أصبت القول فنرجو أن تحضر مجلسنا عنده، فقال: لا حاجة

---

(١) راجع تاريخ الطبري وابن الأثير في حوادث سنة ٣٠ ـ ٣٦؛ وترجمته في الإستيعاب ٣ / ٣٢١ ـ ٣٢٢، الترجمة رقم ٩٩١؛ وأُسد الغابة ٤ / ٣١٥؛ والإصابة ٣ / ٥٤.

(٢) راجع ترجمته في الطبقات ٥ / ٣٧ ـ ٣٩.

في ذلك فالأمر يتمّ بحضوركم عنده، فقالوا: وإن كان الأمر كذلك غير إنّا نرغب أن تحضر وتشهد، فقال عليٌّ: يشهدكم من هو أقوىٰ منّي وأعظم من جميع المخلوقين وأرحم علىٰ عباده.

فذهب أشراف مصر إلىٰ دار عثمان واستأذنوا للدخول عليه، فلمّا أذن لهم ودخلوا عليه أكرمهم وأجلسهم إلىٰ جنبه، ثمّ سألهم وقال: ما الّذي أقدمكم؟ وماذا دهاكم فقدمتم دونما رخصة منّي أو من عاملي؟!

فقالوا: جئنا نستنكر منك ما يصدر منك، ونؤاخذك بما يصدر من عاملك.

ثمّ ذكر ابن أعثم ما جرىٰ بينهم من حجاج وأقوال[1].

محنة المسلمين وموقف الإمام عليّ منها:

وكان نتيجة شكوىٰ أهل مصر ما ذكره البلاذري[2] حيث قال:

لمّا ولي عثمان كره ولايته نفر من أصحاب رسول الله (ص) لأن عثمان كان يحبّ قومه، فولي الناس اثنتي عشرة حجّة، وكان كثيراً ما يولّي من بني أُميّة من لم يكن له مع النبيّ (ص) صحبةٌ، فكان يجيء من أُمرائه ما ينكره أصحاب محمّد (ص)، وكان يستعتب فيهم فلا يعزلهم، فلمّا كان في الست الأواخر استأثر ببني عمّه فولّاهم، وولّىٰ عبدالله بن سعد بن أبي سرح مصر، فكث عليها سنين، فجاء أهل مصر يشكونه ويتظلّمون منه... فكتب إليه كتاباً يتهدّده فيه فأبىٰ أن ينزع عمّا نهاه عنه وضرب بعض من شكاه إلىٰ عثمان حتىٰ قتله.

ولمّا ضاق الأمر بالمسلمين، كتب مَنْ كان من أصحاب النبيّ (ص) بالمدينة

---

(١) فتوح ابن أعثم، ص ٤٦ ـ ٤٧.

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري ٥ / ٢٥ ـ ٢٦.

إلىٰ إخوانهم في الأمصار يدعونهم إلىٰ غزو عثمان في ما رواه الطبري وغيره[1] واللّفظ للطبري، قال:

لمّا رأى الناس ما صنع عثمان كتب من بالمدينة من أصحاب النبيّ (ص) إلىٰ من بالآفاق منهم وكانوا قد تفرقوا في الثغور:

إنّكم إنّما خرجتم أن تجاهدوا في سبيل الله عزّ وجلّ تطلبون دين محمّد فإنّ دين محمّد قد أُفسِدَ من خلفكم وترك فهلُمُّوا، فأقيموا دين محمّد (ص).

وفي رواية ابن الأثير: فإنّ دين محمّد (ص) قد أفسده خليفتكم؛ وفي شرح ابن أبي الحديد: فاخلعوه؛ فأقبلوا من كلّ أُفق حتىٰ قتلوه.

وروى البلاذري[2] وقال:

لمّا كانت سنة ٣٤، كتب بعض أصحاب رسول الله (ص) إلىٰ بعض، يتشاكون سيرة عثمان وتغييره وتبديله وما الناس فيه من عمّاله، ويكثرون عليه، ويسأل بعضهم بعضاً أن يقدموا المدينة إن كانوا يريدون الجهاد، ولم يكن أحد من أصحاب رسول الله (ص) يدفع عن عثمان ولا ينكر ما يقال فيه إلّا زيد بن ثابت، وأبو أُسيد الساعدي، وكعب بن مالك بن أبي كعب من بني سلمة من الأنصار، وحسّان بن ثابت؛ فاجتمع المهاجرون وغيرهم إلىٰ علي فسألوه أن يكلّم عثمان ويعظه، فأتاه فقال له:

---

(١) الطبري ٥ / ١١٤ ـ ١١٥، وط. أوربا ١ / ٢٩٨٣؛ وابن الأثير ٥ / ٧٠؛ وابن أبي الحديد ١ / ١٦٥.

وإنّما ذكرنا كتب أصحاب النبيّ (ص) إلىٰ أهل الأمصار وموافاتهم بالموسم خلال بحثنا عن تأثير المحمّدين في مصر وتحريضهما أهلها علىٰ عثمان لصلة الحوادث بعد هذا بعضها ببعض.

(٢) أنساب الأشراف ٥ / ٦٠؛ وراجع تاريخ الطبري ٥ / ٩٦ ـ ٩٧، وط. أوربا ١ / ٢٩٣٧ ـ ٢٩٣٩؛ وابن الأثير ٣ / ٦٣؛ وابن أبي الحديد ١ / ٣٠٣؛ وابن كثير ٧ / ١٦٨؛ وأبا الفداء ١ / ١٦٨. والنص ما بين القوسين للطبري.

إنّ الناس ورائي قد كلّموني في أمـرك، ووالله ما أدري ما أقـول لك، ما ُعرّفك شـيئاً تجهله، ولا أدلّك علىٰ أمر لا تعرفـه، وإنّك لتعلم ما نـعلم، ومـا سبقناك إلىٰ شيء فنخبرك عنه، ولقد صحبت رسول الله (ص) وسمعت ورأيت مثل ما سمعنا ورأينا، وما ابن أبي قحافـة وابن الخـطّاب بأولىٰ بـالحقّ مـنك؛ ولأنت أقرب إلىٰ رسول الله (ص) رحماً، ولقد نلت من صهره ما لم ينالا، فالله الله في نفسك؛ فإنّك لا تبصَّر من عمى؛ ولا تعلَّم من جهل.

فقال له عثمان: والله لو كنت مكاني ما عنّفتك، ولا أسلمتك، ولا عتبت عليك إن وصلت رحماً وسـددت خلّة وآويت ضائعاً، ووَلّيتَ مَنْ كان عــمر يولّيه؛ نشدتك الله: ألم يولِّ عمر المغيرة بن شعبة وليس هناك...

قال: نعم.

قال: فلم تلومني إن وَلَّيتُ ابن عامر في رحمه وقر.

قال عليٌّ: سـأُخبرك. إنّ عمر بن الخطاب كان كلّما ولّىٰ فإنّما يطأ عـلىٰ صماخه، إن بلغه حرف جلبه، ثمَّ بلغ به أقصى الغاية، وأنت لا تـفعل. ضـعفت ورفقت علىٰ أقربائك.

قال عثمان: هم أقرباؤك أيضاً.

فقال عليٌّ: لعمري إنّ رحمه منّي لقريبة ولكنّ الفضل في غيرهم.

قال: أوَلَم يولّ عمر معاوية؟

فقال عليٌّ: إنّ معاوية كان أشدّ خوفاً وطاعة لعمر من يرفأ، وهو الآن يبتزّ الأُمور دونك ويقطعها بغير علمك ويقول للناس: هذا أمر عثمان، ويبلغك فلا تغيّر، ثمّ خرج، وخرج عثمان بعده، فصعد المنبر فقال:

أمّا بعد، فإنّ لكلّ شيء آفة، ولكلّ أمر عاهة، وإنّ آفة هذه الأُمّة وعاهة هذه النعمة، عيّابون طعّانون يرونكم ما تحبّون، ويسرّون لكم ما تكرهون، مثل النعام يتّبعون أوّل ناعق... الحديث.

تراجم المذكورين في الخبر

أ ـ زيد بن ثابت ذكرنا ترجمته في بحث جمع القرآن.

ب ـ أبو أُسيد الساعدي مالك بن ربيعة بن البدن الأنصاري الخزرجي شهد بدراً وما بعدها، عَمِيَ قبل أن يقتل عثمان. اختلفوا في وفاته.

ج ـ كعب بن مالك الخزرجي وأُمّه ليلىٰ بنت زيد من بني سلمة. شهد المشاهد مع رسول الله (ص)، خلا بدراً وتبوك.

د ـ يرفأ: اسم غلام الخليفة عمر.

راجع تراجمهم في الإستيعاب وأُسد الغابة والإصابة، أمّا حسان فستأتي ترجمته إن شاء الله تعالىٰ.

مسير أهل الأمصار إلىٰ عثمان:

روىٰ البلاذري[1] وقال: التقىٰ أهل الأمصار الثلاثة: الكوفة والبصرة ومصر في المسجد الحرام قبل مقتل عثمان بعام، وكان رئيس أهل الكوفة كعب بن عبدة النهدي، ورئيس أهل البصرة المثنىٰ بن مخَرِّبَة العبدي، ورئيس أهل مصر كنانة ابن بشر بن عتّاب بن عوف السكوني ثمّ التجيبي، فتذاكروا سيرة عثمان وتبديله وتركه الوفاء بما أعطىٰ من نفسه، وعاهد الله عليه، وقالوا لا يسعنا الرضا بهذا، فاجتمع رأيهم علىٰ أن يرجع كل واحد من هؤلاء الثلاثة إلىٰ مصره، فيكون رسول من شهد مكّة من أهل الخلاف علىٰ عثمان إلىٰ من كان علىٰ رأيهم من أهل بلده، وأن يوافوا عثمان في العام المقبل في داره ويستعتبوه، فإن أعتب وإلّا رأوا رأيهم فيه، ففعلوا ذلك.

---

(١) أنساب الأشراف ٥ / ٥٩.

ولمّا كانت مصر[1] أشدّ علىٰ عثمان من غـيره وأراد عثمان أن يخـفّف من غلوائهم، أرسل إلىٰ رئيسهم ابن أبي حذيفة بمال في ما رواه البلاذري[2] أيضاً وقال: وبعث عثمان إلىٰ ابن أبي حذيفة بثلاثين ألف درهم وبحمل عليه كسوة، فأمر به فوضع في المسجد وقال: يا معشر المسلمين! ألا ترون إلىٰ عثمان يخادعني عن ديني ويرشوني عليه!!؟ فازداد أهل مصر عيباً لعثمان وطعناً عليه واجتمعوا إلىٰ ابن أبي حذيفة، فرأسوه عليهم.

إنّ دراهم عثمان لم تمنع المصريين من موافاة المدينة في موعدهم مع أهل الأمصار بل خرجوا من مصر مع محمّد بن أبي بكر في ما رواه الطبري وقال[3]:

فقدمَ محمّد بن أبي بكر، وأقام محمّد بن أبي حذيفـة بمصر، فلمّا خـرج المصريون خرج عبدالرّحمٰن بـن عـديس البـلوي في خمـسمائة وأظـهروا أنّهـم يريدون العمرة وخرجوا في رجب، وبعث عبدالله بن سعد رسولاً سار إحـدىٰ عشرة ليلة يخبر عثمان أن ابن عديس البلوي وأصحابه قد وُجّهوا نحـوه، وأن محمّد بن أبي حذيفة شيّعهم إلىٰ عجرود ثمّ رجع، وأظهر محمّد أن قـال خـرج القوم عُمّاراً وقال في السرّ: خرج القوم إلىٰ إمامهم، فإن نزع وإلّا قتلوه، وسار القوم المنازل لم يعدوها حتىٰ نزلوا ذا خشب.

وقال في حديث آخر له: ثمّ إنّ عبدالله بن سعد خرج إلىٰ عثمان في آثار المصريين وقد كان كتب إليه يستأذنه في القدوم عليه فأذن له فقدم ابن سعد حتىٰ إذا كان بايلة بلغه أنّ المـصريين قد رجعوا إلىٰ عثمان وأنّهم قد حـصروه ومحمّد بن أبي حذيفة بمصر، فلمّا بلغ محمّداً حصر عثمان وخروج عبدالله بن سعد

---

(١) الطبري ٥ / ١١٤ و١١٥، وط. أوربا ١ / ٢٩٨٤.

(٢) أنساب الأشراف ٥ / ٥٩.

(٣) الطبري ٥ / ١٠٩، وط. أوربا ١ / ٢٩٦٨.

عنه غلب علىٰ مصر فاستجابوا له، فأقبل عبدالله بن سعد يريد مصر فمنعه ابن أبي حذيفة فتوجّه إلىٰ فلسطين فأقام بها حتىٰ قتل عثمان (رض).

وروى الطبري[1] بسنده إلى الزّبير بن العوّام، قال: كتب أهل مصر بالسقيا[2] أو بذي خشب إلىٰ عثمان بكتاب، فجاء به رجل منهم حتىٰ دخل به عليه، فلم يردّ عليه شيئاً، فأمر به فأُخرج من الدار، وكان أهل مصر الّذين ساروا إلىٰ عثمان ستمائة رجل علىٰ أربعة الوية لها رؤوس أربعة، مع كل رجل منهم لواء، وكان جماع أمرهم جميعاً إلىٰ عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي، وكان من أصحاب النبيّ (ص)، وإلىٰ عبدالرّحمٰن بن عديس التجيبي، فكان في ما كتبوا:

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

أمّا بعدُ، فاعلم أنّ الله لا يغيِّر ما بقوم حتّىٰ يغيِّروا ما بأنفسهم، فالله الله، ثمّ الله الله فانّك علىٰ دنيا فاستتمّ إليها معها آخرة ولا تنس نصيبك من الآخرة فلا تسوغ لك الدنيا، واعلم أنّا والله لله نغضب، وفي الله نرضىٰ، وإنّا لن نضع سيوفنا عن عواتقنا حتىٰ تأتينا منك توبة مصرّحة أو ضلالة مجلّحة مبلجة[3]، فهذه مقالتنا لك وقضيّتنا إليك، والله عذيرنا منك والسلام.

وروى البلاذري[4] وقال:

---

(١) الطبري ٥ / ١١١ ـ ١١٢، وط. أوربا ١ / ٢٩٨٦ ـ ٢٩٨٧؛ والبلاذري ٥ / ٦٤ ـ ٦٥؛ وابن الأثير ٣ / ٦٨؛ وشرح النهج ١ / ١٦٣ ـ ١٦٤؛ وابن كثير ٧ / ١٧٢؛ وابن أعثم في ذكره ما نقم علىٰ عثمان؛ وابن خلدون ٢ / ٣٩٦ ـ ٣٩٧.

(٢) السقيا: من أسافل أودية تهامة.

(٣) جلح على الشيء: أقدم عليه إقداماً شديداً. وجلح في الأمر: صمّم وركب رأسه. مبلجة: واضحة، بينة.

(٤) أنساب الأشراف ٥ / ٦٣ ـ ٦٤.

وأتى المغيرة بن شعبة عثمان فقال له: دعني آت القوم فأنظر ماذا يريدون، فمضىٰ نحوهم، فلمّا دنا منهم صاحوا به:

يا أعور وراءك! يا فاجر وراءك! يا فاسق وراءك!

فرجع ودعا عثمان عمرو بن العاص، فقال له: إئت القوم فادعهم إلىٰ كتاب الله والعتبىٰ ممّا ساءهم، فلمّا دنا منهم سلّم، فقالوا: لا سلّم الله عليك! إرجع يا عدوّ الله! إرجع يا ابن النابغة! فلست عندنا بأمين ولا مأمون.

فقال له ابن عمر، وغيره: ليس لهم إلّا عليّ بن أبي طالب، فلمّا أتاه قال: يا أبا الحسن! إئت هؤلاء القوم فادعهم إلىٰ كتاب الله وسنّة نبيه.

قال: نعم، إن أعطيتني عهد الله وميثاقه علىٰ أنّك تفي لهم بكلّ ما أضمنه عنك.

قال: نعم، فأخذ عليّ عهد الله وميثاقه علىٰ أوكد ما يكون وأغلظ وخرج إلى القوم.

فقالوا: وراءك!

قال: لا. بل أمامي، تعطون كتاب الله وتعتبون من كل ما سخطتم. فعرض عليهم ما بذل.

فقالوا: أتضمن ذلك عنه؟

قال: نعم.

قالوا: رضينا. وأقبل وجوههم وأشرافهم مع عليّ حتىٰ دخلوا علىٰ عثمان وعاتبوه، فأعتبهم من كلّ شيء.

فقالوا: أُكتب بهذا كتاباً، فكتب:

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

هذا كتاب من عبد الله عثمان أمير المؤمنين، لمن نقم عليه من المؤمنين

والمسلمين؛ أنّ لكم أن أعمل فيكم بكتاب الله وسنّة نبيّه. يُعطى المحروم. ويؤمن الخائف. ويردّ المنفيّ. ولا تجمّر في البعـوث، ويوفر الفيء، وعليّ بن أبي طالب ضمين للمؤمنين والمسلمين علىٰ عثمان بالوفاء بما في هذا الكتاب.

شهد الزّبير بن العوام	وطلحة بن عبيدالله
وسعد بن مالك أبي وقاص	وعبدالله بن عمر
وزيد بن ثابت	وسهل بن حنيف
وأبو أيّوب خالد بن زيد.	

وكتب في ذي القعدة سنة ٣٥.

فأخذ كلّ قوم كتاباً فانصرفوا.

ويظهر من رواية البـلاذري وغيره، أنّ الخليفة كان قد كتب للمصريين خاصّة كتاباً آخر غير هذا عزل فيه ابن أبي سرح عنهم وولّىٰ عليهم بدله محمّد ابن أبي بكر، فقد جاء في رواية للبلاذري:

فقام طلحة إلىٰ عثمان فكلّمه بكلام شديد، وأرسلت إليه عائشة (رض) تسأله أن ينصفهم من عامله، ودخل عليه عليّ بن أبي طالب وكان متكلّم القوم فقال له: إنّما يسألك القوم رجلاً مكان رجل، وقد ادّعوا قبله دماً فاعزله عنهم واْقض بينهم، فإن وجب عليه حقّ فأنصفهم منه. فقال لهم: اختاروا رجلاً أُولّيه عليكم مكانه. فأشار الناس عليهم بمحمّد بن أبي بكر الصِّدِّيق[1]، فقالوا: استعمل علينا محمّد بن أبي بكر. فكتب عهده وولّاه ووجّـه معهم عدّة من المـهاجرين والأنصار ينظرون في ما بينهم وبين ابن أبي سرح.

---

(١) يغلب على الظن أنّ أُمّ المؤمنين عائشة أُخت محمّد، وطلحة ابن عمّها وغيرهما من بني تيم لم يكونوا بعيدين عن هذه الإشارة.

وقال عليّ بن أبي طالب[1] لعثمان: أُخرج فتكلّم كلاماً يسمعه الناس منك ويشهدون عليه، ويشهد الله علىٰ ما في قلبك من النزوع والإنابة فإنّ البلاد قد تمخّضت عليك، فلا آمن ركباً آخرين يقدمون من الكوفة فتقول: يا عليّ! إركب إليهم. ولا أقدر أن أركب إليهم، ولا أسمع عذراً، ويقدم ركب آخرون من البصرة فتقول: يا عليّ! إركب إليهم؛ فإن لم أفعل رأيتني قطعت رحمك، واستخففت بحقك.

قال: فخرج عثمان فخطب الخطبة الّتي نزع فيها، وأعطىٰ من نفسه التوبة، فقام فحمد الله، وأثنىٰ عليه بما هو أهله ثمّ قال:

أمّا بعد، أيُّها الناس! فوَالله ما عابَ مَنْ عاب منكم شيئاً أجهله وما جئت شيئاً إلّا وأنا أعرفه، ولكنّي منّتني نفسي وكذبتني وضلّ عنّي رشدي، ولقد سمعتُ رسول الله (ص) يقول: مَنْ زلَّ فليتب، ومن أخطأ فليتب، ولا يتماد في الهلكة. إن تمادىٰ في الجور كان أبعد من الطريق وأنا أوّل من اتّعظ. أستغفر الله ممّا فعلتُ وأتوب إليه فمثلي نزع وتاب، فإذا نزلت فليأتني أشرافكم فليروني رأيهم، فوَالله لئن ردّني الحقّ عبداً لأستنّ بسنّة العبد، ولأذلّنّ ذلّ العبد، ولأكوننّ كالمرقوق؛ إن ملك صبر، وإن عتق شكر، وما عن الله مذهب إلّا إليه، فلا يعجزنّ عنّي خياركم أن يدنوا إليّ، فان أبت يميني لتتابعنّ شمالي.

قال: فرقّ الناس له يومئذ وبكىٰ من بكىٰ منهم، وقام إليه سعيد بن زيد، فقال: يا أمير المؤمنين! ليس بواصل لك من ليس معك، الله الله في نفسك، فأتمم علىٰ ما قلت، فلما نزل عثمان وجد في منزله مروان وسعيداً ونفراً من بني أُميّة، ولم يكونوا شهدوا الخطبة. فلمّا جلس قال مروان: يا أمير المؤمنين! أتكلّم أم أصمت؟

---

(١) تتمّة الرّواية في أنساب الأشراف ٥ / ٦٤ ـ ٦٥، والطّبري، ط. أوربا ١ /٢٩٧٣ ـ ٢٩٧٥.

فقالت نائلة بنت الفرافصة إمرأة عثمان الكلبية: لا بل اصمت فإنّهم والله قاتلوه ومؤثّموه. إنّه قد قال مقالة لا ينبغي له أن ينزع عنها. فأقبل عليها مروان وقال:

ما أنت وذاك فوالله لقد مات أبوك وما يحسن يتوضّأ. فقالت له: مهلاً يامروان عن ذكر الآباء؛ تخبر عن أبي وهو غائب تكذب عليه، إنّ أباك لا يستطيع أن يدفع عنه، أما والله لولا أنّه عمّه وأنّه يناله غمّه لأخبرتك عنه ما لن أكذب عليه. قال: فأعرض عنها مروان ثمّ قال: يا أمير المؤمنين! أتكلّم أم أصمت؟ قال: بل تكلّم. فقال مروان: بأبي أنت وأُمّي والله لوددت أن مقالتك هذه كانت وأنت ممتنع منيع فكنت أوّل من رضي بها وأعان عليها، ولكنّك قلت ما قلت حين بلغ الحزام الطبيّين(*)، وخلّف السّيل الزّبىٰ(**)، وحين أعطى الخطّة الذليلة الذليل، والله لإقامة علىٰ خطيئة تستغفر الله منها أجمل من توبة تخوّف عليها وإنّك إن شئت تقرّبت بالتوبة ولم تقرر بالخطيئة، وقد اجتمع عليك بالباب مثل الجبال من الناس، فقال عثمان: فاخرج إليهم فكلّمهم فإنّي أستحيي أن أُكلّمهم، قال: فخرج مروان إلى الباب والناس يركب بعضهم بعضاً، فقال: ما شأنكم قد اجتمعتم! كأنّكم قد جئتم للنّهب؟! شاهت الوجوه! كلّ إنسان آخذ بإذن صاحبه إلّا من أُرِيدَ، جئتم تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا!؟ أُخرجوا عنّا. أما والله لئن رمتمونا ليمرّن عليكم منّا أمر لا يسرّكم ولا تحمدوا غِبَّ رأيكم، إرجعوا إلىٰ منازلكم فإنّا والله ما نحن مغلوبين علىٰ ما في أيدينا. قال: فرجع الناس وخرج بعضهم حتىٰ أتىٰ عليّاً فأخبره الخبر، فجاء عليّ (ع) مغضباً حتّىٰ دخل علىٰ عثمان، فقال:

(*) أصل المثل: جاوز الحزام الطبيين. والطّبي: حلمة الضّرع، وهو كناية عن المبالغة في تجاوز حدّ الشرّ والأذىٰ.

(**) أصل المثل: بلغ السيل الزّبىٰ، وهي جمع زبية وهي الرابية الّتي لا يعلوها الماء.

أمّا رضيت من مروان ولا رضي منك إلّا بتحرُّفك عن دينك وعن عقلك مثل جمل الظعينة يقاد حيث يسار به! والله ما مروان بذي رأي في دينه ولا في نفسه، وأيم الله إني لأراه سيوردك ثمّ لا يصدرك، وما أنا بعائد بعد مقامي هذا لمعاتبتك، أذهبت شرفك وغلبت علىٰ أمرك.

فلمّا خرج عليٌّ دخلت عليه نائلة بنت الفرافصة إمرأته، فقالت: أتكلّم أم أسكت؟ فقال: تكلّمي. فقالت: قد سمعت قول عليّ لك، وإنّه ليس يعاودك وقد أطعت مروان يقودك حيث شاء. قال: فما أصنع؟ قالت: تتّقي الله وحده لا شريك له وتتبع سنّة صاحبيك من قبلك؛ فانّك متىٰ أطعت مروان قتلك، ومروان ليس له عند الناس قدر ولا هيبة ولا محبّة، وإنّما تركك الناس لمكان مروان، فأرسل إلىٰ عليّ فاستصلحه، فإنّ له قرابة منك وهو لا يُعصىٰ. قال فأرسل عثمان إلىٰ عليّ فأبىٰ أن يأتيه، وقال: قد أعلمته أنّي لست بعائد. فبلغ مروان مقالة نائلة فيه فجاء إلىٰ عثمان فجلس بين يديه فقال: أتكلّم أو أسكت؟ فقال: تكلّم. فقال: إن بنت الفرافصة. فقال عثمان: لا تذكرنّها بحرف فأسوء لك وجهك، فهي والله أنصح لي منك. فكفَّ مروان.

وأخرج الطبري[1] بسنده إلىٰ عبدالرّحمٰن بن الأسود بن عبد يغوث يذكر مروان بن الحكم قال:

قبّح الله مروان! خرج عثمان إلى الناس فأعطاهم الرضا وبكىٰ على المنبر وبكى الناس حتىٰ نظرت إلى لحية عثمان مخضلّة من الدموع وهو يقول:

اللّهمّ إنّي أتوب إليك، اللّهمّ إنّي أتوب إليك، اللّهمّ إنّي أتوب إليك. والله لئن ردّني الحقّ إلىٰ أن أكون عبداً قِنّاً لأرضين به، إذا دخلت منزلي فادخلوا

---

(١) الطبري ٥ / ١١٢، وط. أوربا ١ / ٢٩٧٧ ـ ٢٩٧٩؛ وراجع ابن الأثير ٣ / ٥٨ ـ ٦٤. وقد أخرج البلاذري قسماً منه في الأنساب ٥ / ٦٥.

عليٍّ، فوَالله لا أحتجب منكم، ولأُعطينّكم، ولأزيدنّكم على الرضا، ولأُنحين مروان وذويه.

قال: فلمّا دخل أمر بالباب ففتح ودخل بيته ودخل عليه مروان، فلم يزل يفتله في الذروة والغارب حتّىٰ فتله عن رأيه، وأزاله عمّا كان يريد. فلقد مكث عثمان ثلاثة أيّام ما خرج استحياءً من الناس، وخرج مروان إلى الناس فقال: شاهت الوجوه إلّا مَنْ أُرِيدَ، إرجعوا إلىٰ منازلكم فإن يكن لأمير المؤمنين حاجة بأحد منكم يرسل إليه وإلّا قرّ في بيته، قال عبدالرّحمٰن: فجئت إلىٰ عليّ فأجده بين القبر والمنبر، فأجد عنده عمار بن ياسر ومحمّد بن أبي بكر[1] وهما يقولان: صنع مروان بالناس وصنع، قال: فأقبل عليَّ عليٌّ.

فقال: أحضرت خطبة عثمان؟

قلت: نعم.

قال: أفحضرت مقالة مروان للناس؟

قلت: نعم.

قال عليّ: عياذ الله يا للمسلمين، إنِّي إنْ قعدت في بيتي قال لي: تركتني وقرابتي وحقّي، وإنِّي إن تكلّمت فجاء ما يريد يلعب به مروان فصار سَيِّقةً له يسوقه حيث شاء بعد كبر السنّ وصحبة رسول الله (ص).

قال عبدالرّحمٰن بن الأسود: فلم يَزُل حتىٰ جاء رسول عثمان إئتني، فقال عليٌّ بصوت مرتفع عال مغضب:

قل له: ما أنا بداخل عليك ولا عائد.

قال: فانصرف الرسول، فلقيت عثمان بعد ذلك بليلتين جائياً، فسألت «ناتلاً» غلامه: من أين جاء أمير المؤمنين؟ فقال: كان عند عليّ، فقال

(١) يظهر من هذه الرواية انّ هذه المحاورة في المسجد وقعت بعد رجوع المصريين.

عبدالرّحمٰن بن الأسود: فغدوت فجلست مع عليّ (ع) فقال لي: جاءني عثمان بارحة فجعل يقول: إنّي غير عائد وإنّي فاعل، قال: فقلت له: بعدما تكلّمت به علىٰ منبر رسول الله (ص) وأعطيت من نفسك، ثمّ دخلت بيتك، وخرج مروان إلى الناس فشتمهم علىٰ بابك ويؤذيهم؟ قال: فرجع وهو يقول: قطعت رحمي وخذلتني وجرّأت الناس عليّ، فقلت: والله إنّي لأذبّ الناس عنك، ولكنّي كلّما جئتك بهنة أظنّها لك رضا جاء بأُخرىٰ فسمعت قول مروان عليَّ واستَدْخَلتَ مروان. قال: ثمّ انصرف إلىٰ بيته فلم أزل أرىٰ عليّاً منكّباً عنه لا يفعل ما كان يفعل... الحديث.

أخرج الطبري[1] بسنده إلىٰ عكرمة مولىٰ ابن عباس عن ابن عباس قال: لمّا حصر عثمان الحصر الآخر، قال عكرمة: فقلت لابن عبّاس: أَوَكانا حصرين؟ فقال ابن عباس: نعم، الحصر الأوّل حصر اثنتي عشرة، وقدم المصريون فلقيهم عليّ بذي خشب فردّهم عنه، وقد كان والله عليّ له صاحب صدق حتىٰ أوغر نفس عليّ عليه، جعل مروان وسعيد وذووهما يحملونه علىٰ عليّ، فيتحمّل ويقولون: لو شاء ما كلّمك أحدٌ، وذلك أنّ علياً كان يكلّمه وينصحه، ويغلظ عليه في المنطق في مروان وذويه، فيقولون لعثمان هكذا يستقبلك وأنت إمامه وسلفه وابن عمّه وابن عمّته، فما ظنك بما غاب عنك منه، فلم يزالوا بعليّ حتّىٰ أجمع ألّا يقوم دونه، فدخلت عليه اليوم الذي خرجت فيه إلىٰ مكّة فذكرت له أنّ عثمان دعاني إلى الخروج، فقال لي: ما يريد عثمان أن ينصحه أحد؛ اتّخذ بطانة أهل غش، ليس منهم أحد إلّا قد تسبّب بطائفة من الأرض، يأكل خراجها ويستذلّ أهلها. فقلت له: إنّ له رحماً وحقّاً فإن رأيت أن تقوم دونه فعلت، فإنّك لا تُعذر إلّا بذلك، قال: قال ابن عباس: فالله يعلم أنّي رأيت فيه الإنكسار والرقّة لعثمان، ثمّ إنّي لأراه يؤتىٰ إليه عظيم... الحديث.

---

(١) الطبري ٥ / ١٣٩، وط. أوربا ١ / ٣٠٣٨ـ ٣٠٣٩.

وأخرج[1] في حديث آخر له: أن عثمان صعد يوم الجمعة المنبر، فحمد الله وأثنىٰ عليه، فقام رجل فقال: أقم كتاب الله، فقال عثمان: إجلس فجلس حتّىٰ قام ثلاثاً، فأمر به عثمان فجلس، فتحاثّوا بالحصباء حتىٰ ما ترى السماء وسقط عن المنبر وحمل فأُدخل داره مغشيّاً عليه، فخرج رجل من حجّاب عثمان ومعه مصحف في يده وهو ينادي: «إنّ الّذين فارقوا[2] دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء إنّما أمرهم إلى الله».

ودخل عليّ بن أبي طالب علىٰ عثمان رضي الله عنه وهو مغشيٌّ عليه وبنو أُميّة حوله، فقال: ما لك يا أمير المؤمنين؟ فأقبلت بنو أُميّة بمنطق واحد فقالوا: يا عليّ! أهلكتنا وصنعت هذا الصنيع بأمير المؤمنين، أما والله لئن بلغت الّذي تريد لنمرّنّ عليك الدنيا. فقام عليٌّ مغضباً.

وأخرج في حديث آخر[3] وقال: كتب أهل المدينة إلىٰ عثمان يدعونه إلى التوبة، ويحتجّون ويقسمون له بالله لا يمسكون عنه أبداً حتىٰ يقتلوه أو يعطيهم ما يلزمه من حقّ الله، فلمّا خاف القتل شاور نصحاءه وأهل بيته فقال لهم: قد صنع القوم ما قد رأيتم فما المخرَج؟ فأشاروا عليه أن يرسل إلىٰ عليّ بن أبي طالب، فيطلب إليه أن يردّهم عنه، ويعطيهم ما يرضيهم ليطاولهم، حتىٰ يأتيه إمداده.

فقال: إنّ القوم لن يقبلوا التعليل وهم محمّلي عهداً، وقد كان منّي في قدمتهم الأُولىٰ ما كان، فمتىٰ أُعطهم ذلك يسألوني الوفاء به.

---

(١) الطبري ٥ / ١١٣، وط. أوربا ١ / ٢٩٧٩ ـ ٢٩٩٠.

(٢) كذا وردت الكلمة في الطبري ٥ / ١١٣، أمّا في القرآن الكريم فقد جاءت: فرَّقوا.

(٣) الطبري ٥ / ١١٦ ـ ١١٧، وط. أوربا ١ / ٢٩٨٧ ـ ٢٩٨٩؛ وابن الأثير ٣ / ٧١ ـ ٧٢؛ وابن أبي الحديد ١ / ١٦٦.

فقال مروان بن الحكم: يا أمير المؤمنين! مقاربتهم حتّىٰ تقوىٰ أمثل من مكاثرتهم على القرب، فأعطهم ما سألوك، وطاولهم ما طاولوك فإنّما هم بغوا عليك فلا عهد لهم، فأرسل إلىٰ عليّ فدعاه، فلمّا جاءه قال:

يا أبا حسن! إنّه قد كان من الناس ما قد رأيت وكان منّي ما قد علمت، ولست آمنهم علىٰ قتلي، فارددهم عنّي، فإنّ لهم الله عزّ وجلّ أن أعتبهم من كل ما يكرهون، وأن أُعطيهم من نفسي ومن غيري وإن كان في ذلك سفك دمي. فقال له عليّ: الناس إلىٰ عدلك أحوج منهم إلىٰ قتلك، وإنّي لأرىٰ قوماً لا يرضون إلّا بالرِّضا، وقد كنتَ أعطيتهم في قدمتهم الأُولىٰ عهداً من الله لترجعنّ عن جميع ما نقموا، فرددتهم عنك، ثمّ لم تف لهم بشيء من ذلك، فلا تَغُرَّني هذه المرّة من شيء، فإنّي معطيهم عليك الحقَّ.

قال: نعم، فأعطهم فوالله لأفينّ لهم.

فخرج عليٌّ إلى الناس فقال: أيُّها الناس! إنّكم إنّما طلبتم الحقّ فقد أُعطيتموه؛ إنّ عثمان زعم أنّه منصفكم من نفسه ومن غيره، وراجع عن جميع ما تكرهون، فاقبلوا منه ووكّدوا عليه.

قال الناس: قد قبلنا. فاستوثق منه لنا فإنّا والله لا نرضى بقول دون فعل.

فقال لهم عليّ: ذلك لكم، ثمّ دخل عليه فأخبره الخبر.

فقال عثمان: إضرب بيني وبينهم أجلاً يكون لي فيه مهلة فإنّي لا أقدر علىٰ ردّ ما كرهوا في يوم واحد.

قال عليّ: ما حضر بالمدينة فلا أجل فيه، وما غاب فأجله وصول أمرك.

قال: نعم، ولكن أجّلني في ما بالمدينة ثلاثة أيّام.

قال عليّ: نعم. فخرج إلى الناس فأخبرهم بذلك، وكتب بينهم وبين عثمان كتاباً أجّله فيه ثلاثاً علىٰ أن يردَّ كلَّ مظلمة، ويعزل كل عامل كرهوه، ثمّ أخذ

عليه في الكتاب أعظم ما أخذ الله علىٰ أحد من خلقه من عهد وميثاق، وأشهد عليه ناساً من وجوه المهاجرين والأنصار، فكفّ المسلمون عنه ورجعوا إلىٰ أن يفي لهم بما أعطاهم من نفسه، فجعل يتأهّب للقتال ويستعدّ بالسلاح، وقد كان اتّخذ جنداً عظيماً من رقيق الخمس، فلمّا مضت الأيّام الثلاثة وهو علىٰ حاله لم يغيّر شيئاً ممّا كرهوا، ولم يعزل عاملاً، ثار به الناس، وخرج عمرو بن حزم الأنصاري حتّىٰ أتى المصريين وهم بذي خشب، فأخبرهم الخبر وسار معهم حتّىٰ قدموا المدينة فأرسلوا إلىٰ عثمان:

ألم نفارقك علىٰ أنّك تائب من أحداثك، وراجع عمّا كرهنا منك وأعطيتنا علىٰ ذلك عهد الله وميثاقه؟

قال: بلىٰ أنا علىٰ ذلك.

قالو: فما هذا الكتاب الّذي وجدنا مع رسولك وكتبت به إلىٰ عاملك؟!

قال: ما فعلت ولا لي علم بما تقولون!

قالوا: بريدك علىٰ جملك، وكتاب كاتبك عليه خاتمك!

قال: أمّا الجمل فمسروق، وقد يشبه الخطّ الخطّ، وأمّا الخاتم فقد انتقش عليه.

قالوا: فإنّا لا نعجل عليك وإن كنّا قد اتّهمناك؛ اعزل عنّا عمّالك الفسّاق، واستعمل علينا من لا يتهم علىٰ دمائنا وأموالنا، واردد علينا مظالمنا.

قال عثمان: ما أراني إذاً في شيء إن كنت أستعمل من هويتم وأعزل من كرهتم. الأمر إذاً أمركم.

قالوا: والله لتفعلنّ، أو لتعزلنّ، أو لتقتلنّ. فانظر لنفسك أو دع، فأبىٰ عليهم وقال:

لم أكن لأخلع سربالاً سربلنيه الله.

وقصة عثور المصريين على الكتاب في ما أخرجه البلاذري وغيره[1] واللّفظ للبلاذري عن أبي مخنف قال: لمّا شخص المصريون بعد الكتاب الذي كتبه عثمان، فصاروا بأيلة[2] أو بمنزل قبلها رأوا راكباً خلفهم يريد مصر فقالوا له: مَنْ أنت؟ فقال: رسول أمير المؤمنين إلىٰ عبدالله بن سعد، وأنا غلام أمير المؤمنين وكان أسود. فقال بعضهم لبعض: لو أنزلناه وفتّشناهُ ألّا يكون صاحبه قد كتب فينا بشيء، ففعلوا فلم يجدوا معه شيئاً، فقال بعضهم لبعض: خلّوا سبيله، فقال كنانة بن بشر: أمّا والله دون أن أنظر في إداوته فلا. فقالوا: سبحان الله أيكون كتاب في ماء؟ فقال: إنّ للناس حيلاً. ثمّ حلّ الإداوة فإذا فيها قارورة مختومة ـ أو قال مضمومة ـ في جوف القارورة كتاب في أُنبوب من رصاص فأخرجه فقرئ فإذا فيه:

أمّا بعد، فإذا قدم عليك عمرو بن بديل فاضرب عنقه، واقطع يدي ابن عديس، وكنانة، وعروة، ثمّ دعهم يتشحّطون في دمائهم حتّىٰ يموتوا. ثمّ أوثقهم علىٰ جذوع النخل.

فيقال: إنّ مروان كتب الكتاب بغير علم عثمان، فلمّا عرفوا ما في الكتاب، قالوا: عثمان محلٌّ، ثمّ رجعوا عودهم علىٰ بدئهم حتّىٰ دخلوا المدينة فلقوا علياً بالكتاب، وكان خاتمه من رصاص، فدخل به عليٌّ علىٰ عثمان فحلف بالله ما هو كتابه ولا يعرفه، وقال: أما الخط فخط كاتبي وأمّا الخاتم فعلىٰ خاتمي، قال عليّ: فَمَن تتّهم؟ قال: أتّهمك وأتّهم كاتبي. فخرج عليٌّ مغضباً وهو يقول: بل هو أمرك.

---

(١) أنساب الأشراف ٥ / ٢٦ ـ ٦٩ و ٩٥؛ والطبري ٥ / ١١٩ ـ ١٢٠، وط. أوربا ١ / ٢٩٨٤ ـ ٢٩٩٧؛ والرياض النضرة ٢ / ١٢٣ ـ ١٢٥؛ وراجع المعارف لابن قتيبة، ص ٨٤؛ والعقد الفريد ٢ / ٢٦٣؛ وابن الأثير ٣ / ٧٠ ـ ٧١؛ وابن أبي الحديد ١ / ١٦٥ ـ ١٦٦؛ وابن كثير ٧ / ١٧٣ ـ ١٨٩؛ وتاريخ الخميس ٢ / ٢٥٩.

(٢) آخر الحجاز وأوّل الشام.

قال أبو مخنف: وكان خاتم عثمان بدءاً عند حمران بن أبان، ثمّ أخذه مروان حين شخص حمران إلى البصرة فكان معه.

وفي رواية أُخرىٰ: ثمّ وجدوا كتاباً إلىٰ عامله علىٰ مصر أن يضرب أعناق رؤساء المصريين، فرجعوا ودفعوا الكتاب إلىٰ عليّ، فأتاه به، فحلف له أنّه لم يكتبه ولم يعلم به.

فقال له عليّ: فمن تتّهم فيه؟

فقال: أتّهم كاتبي وأتّهمك يا عليّ! لأنّك مُطاع عند القوم ولم تردّهم عنّي.

وجاء المصريون إلىٰ دار عثمان فأحدقوا بها، وقالوا لعثمان وقد أشرف عليهم:

يا عثمان! أهذا كتابك؟ فجحد وحلف.

فقالوا: هذا شرٌّ، يكتب عنك بما لا تعلمه، ما مثلك يلي أُمور المسلمين، فاختلع من الخلافة.

فقال: ما كنت لأنزع قميصاً قمّصنيه الله.

وقالت بنو أُميّة: يا عليّ! أفسدت علينا أمرنا ودسست وألّبت.

فقال: يا سفهاء! إنّكم لتعلمون أنّه لا ناقة لي في هذا ولا جمل، وإنّي رددت أهل مصر عن عثمان ثمّ أصلحت أمره مرّة بعد أُخرىٰ، فما حيلتي؟ وانصرف وهو يقول: اللّهمّ إنّي بريء ممّا يقولون ومن دمه إن حدث به حدث.

قال: وكتب عثمان حين حصروه كتاباً قرأه ابن الزّبير على الناس ـ وقيل بل قرأه الزّبير والأوّل أصحّ ـ يقول فيه:

والله ما كتبتُ الكتاب، ولا أمرتُ به، ولا علمتُ بقصّته، وأنتم معتبون من كلّ ما ساءكم، فأمّروا علىٰ مصركم مَنْ أحببتم وهذه مفاتيح بيت مالكم، فادفعوها إلىٰ مَنْ شئتم.

فقالوا: قد اتّهمناك بالكتاب فاعتزلنا.

وفي رواية أخرىٰ للطبري[1]: حتّىٰ إذا كانوا بالبويب وجدوا غلاماً لعثمان معه كتاب إلىٰ عبدالله بن سعد فكرُّوا وانتهوا إلى المدينة وقد تخلّف بها من الناس الأشتر وحكيم بن جبلة، فأتوا بالكتاب فأنكر عثمان أن يكون كتبه وقال: هذا مفتعل.

قالوا: فالكتاب كتاب كاتبك.

قال: أجل، ولكنّه كتبه بغير أمري.

قالوا: فإنّ الرسول الّذي وجدنا معه الكتاب غلامك.

قال: أجل ولكنّه خرج بغير إذني.

قالوا: فالجمل جملك.

قال: أجل ولكنّه أُخذ بغير علمي.

قالوا: ما أنت إلّا صادق أو كاذب. فإن كنت كاذباً فقد استحققت الخلع لما أمرت به من سفك دمائنا بغير حقّها، وإن كنت صادقاً فقد استحققت أن تخلع لضعفك وغفلتك وخبث بطانتك، لأنّه لا ينبغي لنا أن نترك علىٰ رقابنا من يقتطع مثل هذا الأمر دونه لضعفه وغفلته، وقالوا له: إنّك ضربت رجالاً من أصحاب النبيّ (ص) وغيرهم حين يعظونك ويأمرونك بمراجعة الحقّ عندما يستنكرون من أعمالك، فأقد من نفسك من ضربته وأنت له ظالم.

فقال: الإمام يُخطئ ويُصيب، فلا أُقيد من نفسي لأنّي لو أقدت كلّ من أصبته بخطأ آتي علىٰ نفسي.

قالوا: إنّك قد أحدثت أحداثاً عظاماً فاستحققت بها الخلع، فإذا كلّمت فيها أعطيت التوبة، ثمّ عدت إليها وإلىٰ مثلها، ثمّ قدمنا عليك فأعطيتنا التوبة

---

(١) الطبري ٥ / ١٢٠ ـ ١٢١، وط. أوربا ١ / ٢٩٩٥ ـ ٢٩٩٧.

والرجوع إلى الحق، ولامنا فيك محمّد بن مسلمة وضمن لنا ما حدث من أمر فأحضرته فتبرّأ منك وقال: لا أدخل في أمره، فرجعنا أوّل مرّة لنقطع حجّتك ونبلغ أقصى الإعذار إليك نستظهر بالله عزّ وجلّ عليك، فلحقنا كتاب منك إلىٰ عاملك علينا تأمره فينا بالقتل والقطع والصلب وزعمت أنّه كتب بغير علمك وهو مع غلامك وعلىٰ جملك وبخطّ كاتبك وعليه خاتمك، فقد وقعت عليك بذلك التُّهمة القبيحة مع ما بلونا منك قبل ذلك من الجور في الحكم والأثرة في القسم، والعقوبة للأمر بالتبسّط من الناس، والإظهار للتوبة ثمّ الرجوع إلى الخطيئة، ولقد رجعنا عنك وما كان لنا أن نرجع حتّىٰ نخلعك ونستبدل بك من أصحاب رسول الله (ص) من لم يحدث مثل ما جرّبنا منك، ولم يقع عليه من التّهمة ما وقع عليك فاردد خلافتنا واعتزل أمرنا، فإنّ ذلك أسلم لنا منك، وأسلم لك منّا.

فقال عثمان: فرغتم من جميع ما تريدون؟

قالوا: نعم.

قال ـ بعد الحمد والثناء ـ: أمّا بعد، فانّكم لم تعدلوا في المنطق ولم تنصفوا في القضاء، أمّا قولكم: تخلع نفسك؛ فلا أنزع قميصاً قمّصنيه الله عزّ وجلّ وأكرمني به وخصّني به علىٰ غيري، ولكنّي أتوب وأنزع ولا أعود لشيء عابه المسلمون، فإنّي والله الفقير إلى الله الخائف منه.

قالوا: إنّ هذا لو كان أوّل حدث أحدثته ثمّ تبت منه ولم تقم عليه لكان علينا أن نقبل منك، وأن ننصرف عنك، ولكنّه قد كان منك من الأحداث قبل هذا ما قد علمت ولقد انصرفنا عنك في المرّة الأُولىٰ وما نخشىٰ أن تكتب فينا ولا من اعتللت به بما وجدنا في كتابك مع غلامك، وكيف نقبل توبتك، وقد بلونا منك أنّك لاتعطي من نفسك التوبة من ذنب إلّا عدت إليه؟ فلسنا منصرفين حتّىٰ نعزلك ونستبدل بك، فإن حال من معك من قومك وذوي رحمك وأهل الإنقطاع دونك بقتال قاتلناهم حتّىٰ نخلص إليك فنقتلك أو تلحق أرواحنا بالله.

فقال عثمان: أمّا أن أتبرأ من الإمارة فإن تصلبوني أحبّ إليّ من أن أتبرّأ من أمر الله عزّ وجلّ وخلافته، وأمّا قولكم: تقاتلون من قاتل دوني؛ فإنّي لا آمر أحداً بقتالكم، فمَن قاتل دوني فإنّما يقاتل بغير أمري، ولعمري لو كنت أُريد قتالكم لقد كتبت إلى الأجناد، فقادوا الجنود، وبعثوا الرجال أو لحقت ببعض أطرافي بمصر أو العراق، فالله الله في أنفسكم؛ أبقوا عليها إن لم تبقوا عليّ؛ فإنّكم مجتلبون بهذا الأمر إن قتلتموني دماً. قال: ثمّ انصرفوا عنه وآذنوه بالحرب وأرسل إلىٰ محمّد بن مسلمة فكلّمه أن يردّهم فقال: والله لا أكذب الله في سنة مرّتين.

وفي رواية أُخرىٰ للبلاذري[1]:

إنّ المصريين لمّا قدموا فشكوا عبدالله بن سعد بن أبي سرح، سألوا عثمان أن يولي عليهم محمّد بن أبي بكر. فكتب عهده وولّاه ووجّه معهم عدّة من المهاجرين والأنصار ينظرون في ما بينهم وبين ابن أبي سرح، فشخص محمّد بن أبي بكر وشخصوا جميعاً؛ فلمّا كانوا علىٰ مسيرة ثلاث من المدينة إذا هم بغلام أسود علىٰ بعير وهو يخبط البعير خبطاً كأنّه رجل يَطلبُ أو يُطلبُ.

فقال له أصحاب محمّد بن أبي بكر: ما قصّتك وما شأنك؟ كأنّك هارب أو طالب.

فقال لهم مرّة: أنا غلام أمير المؤمنين، وقال مرّة أُخرىٰ: أنا غلام مروان، وجّهني إلىٰ عامل مصر برسالة.

قالوا: فمعك كتاب؟

قال: لا. ففتّشوه، فلم يجدوا معه شيئاً، وكانت معه إداوة قد يبست فيها شيء يتقلقل فحرّكوه ليخرج فلم يخرج، فشقّوا الإداوة فإذا فيها كتاب من عثمان

---

(١) أنساب الأشراف ٥ / ٦٧ ـ ٦٨.

إلىٰ ابن أبي سرح.

فجمع محمّد من كان معه من المهاجرين والأنصار وغيرهم ثمّ فكّ الكتاب بحضر منهم فإذا فيه:

إذا أتاك محمّد بن أبي بكر وفلان وفلان، فاحتل لقتلهم وأبطل كتاب محمّد وقرَّ علىٰ عملك حتّىٰ يأتيك رأيي، واحبس من يجيء إليّ متظلّماً منك إن شاء الله.

فلمّا قرأوا الكتاب فزعوا وغضبوا ورجعوا إلى المدينة وختم محمّد بن أبي بكر الكتاب بخواتيم نفر مِمَّنْ كان معه، ودفعه إلىٰ رجل منهم وقدموا المدينة، فجمعوا علياً وطلحة والزبير وسعداً ومن كان من أصحاب النبي (ص) ثمّ فَكُّوا الكتاب بمحضر منهم، وأخبروهم بقصة الغلام وأقرأوهم الكتاب، فلم يبق أحد من أهل المدينة إلّا حنق علىٰ عثمان، وزاد ذلك مَنْ كان غَضِبَ لابن مسعود وعمّار ابن ياسر وأبي ذر حنقاً وغيظاً، وقام أصحاب النبيّ (ص) بمنازلهم ما منهم أحد إلّا وهو مغتمّ لما في الكتاب.

وحاصر الناس عثمان، وأجلب عليه محمّد بن أبي بكر ببني تيم وغيرهم، وأعانه علىٰ ذلك طلحة بن عبيد الله، وكانت عائشة تقرصه كثيراً... الحديث.

وفي البدء والتاريخ[1]: كان أشدّ الناس علىٰ عثمان طلحة والزبير ومحمّد بن أبي بكر وعائشة، وخذله المهاجرون والأنصار، وتكلّمت عائشة في أمره، وأطلعت شعرة من شعرات رسول الله (ص) ونعله وثيابه وقالت: ما أسرع ما نسيتم سنّة نبيّكم، فقال عثمان في آل أبي قحافة ما قال وغضب حتّىٰ ما كان يدري ما يقول، إنتهىٰ.

كان أشدّ الناس علىٰ عثمان رؤوس آل تيم الثلاثة: أُمّ المؤمنين عائشة

---

(١) أنساب الأشراف ٥ / ٢٠٥.

وأخوها محمّد بن أبي بكر وابن عمها طلحة بن عبيدالله، وذكروا من مواقف أُمّ المؤمنين مع عثمان شيئاً كثيراً. وقد مرّ بعضها في ذكر موقف أمّ المؤمنين عائشة.

استمداد الخليفة من الإمام عليّ لفكّ الحصار عنه:

ولمّا رأىٰ عثمان استيلاء طلحة علىٰ بيوت الأموال واشتداد الحصار عليه بعث عبدالله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بهذا البيت إلىٰ عليّ:

فإن كنتُ مأكولاً فكن أنت آكلي   وإلّا فأدركني ولمّا أُمَزَّقِ[1]

وكان عليّ عند حصر عثمان بخيبر فقدم المدينة والناس مجتمعون عند طلحة وكان ممن له فيه أثر، فلمّا قدم عليّ أتاه عثمان وقال له:

أمّا بعد، فإنّ لي حقّ الإسلام، وحقّ الإخاء، والقرابة، والصّهر، ولو لم يكن من ذلك شيء وكنّا في الجاهلية لكان عاراً علىٰ بني عبد مناف أن ينتزع أخو بني تيم ـ يعني طلحة ـ أمرهم.

فقال له عليّ: سيأتيك الخبر، ثمّ خرج إلى المسجد فرأىٰ أُسامة[2] فتوكّأ

---

(١) أنساب الأشراف ٥ / ٧٨، وقد أورد محاورة عثمان والإمام عليّ كل من الطبري ٥/ ١٥٤؛ وابن الأثير ٣ / ٦٤؛ وكنز العمال ٦ / ٣٨٩، الحديث ٥٩٦٥، وقد تخيّرنا لفظ ابن الأثير لأنّه أتمّ وأخصر؛ وراجع الكامل للمبرد، ص ١١، ط. ليدن؛ وزهر الآداب ٧٥/١، ط. الرحمانية؛ وابن أعثم ص ١٥٦ ـ ١٥٧.

(٢) أُسامة مولىٰ رسول الله (ص) وابن مولاه زيد بن حارثة وابن مولاته وحاضنته أُمّ أيمن وكان يُسمّىٰ حبّ رسول الله (ص)، أمّره رسول الله في مرض موته علىٰ جيش كان قد انتدبهم لغزو الشام واستوعب في الجيش المهاجرين الأوّلين. توفّي سنة ٥٤، أو ٥٨، أو ٥٩.

ترجمته في الإستيعاب رقم ١٢، وأُسد الغابة ١ / ٦٥ ـ ٦٦، والإصابة.

علىٰ يده حتىٰ دخل دار طلحة وهي رجّاس[1] من الناس فقال له: يا طلحة! ما هذا الأمر الّذي وقعت فيه[2]؟!

فقال: يا أبا الحسن بعدما مس الحزام الطُّبيين، فانصرف عليّ ولم يحر إليه شيئاً حتّىٰ أتىٰ بيت المال، فقال افتحوا هذا الباب، فلم يقدر على المفاتيح فقال: اكسروه فكسر باب بيت المال، فقال: أخرجوا المال، فجعل يعطي الناس فبلغ الّذين في دار طلحة الّذي صنع عليّ، فجعلوا يتسلّلون إليه حتّىٰ ترك طلحة وحده، وبلغ عثمان الخبر فسرّ بذلك، ثمّ أقبل طلحة يمشي عائداً إلىٰ دار عثمان... فلمّا دخل عليه قال: يا أمير المؤمنين! أستغفر الله وأتوب إليه أردت أمراً فحال الله بيني وبينه، فقال عثمان: إنّك والله ما جئت تائباً ولكنّك جئت مغلوباً. الله حسيبك يا طلحة... انتهىٰ.

وروى الطبري وقال: فحصروه أربعين ليلة وطلحة يُصَلّي بالناس[3].

وروى البلاذري وقال: لم يكن أحد من أصحاب النبيّ (ص) أشدّ علىٰ عثمان من طلحة[4].

مقتل الخليفة:

روى البلاذري[5] وقال: وكان الزبير وطلحة قد استوليا على الأمر ومنع طلحة عثمان أن يدخل عليه الماء العذب فأرسل عليّ إلىٰ طلحة وهو في أرض له

---

(١) رجّاس، الرجس: الصوت الشديد. سحاب ورعد رجّاس: شديد الصوت.

(٢) وفي رواية الطبري، ط. أوربا ١ / ٣٠٧١ منه، أنّ عليّاً قال لطلحة: أُنشدك الله إلّا رددت الناس عن عثمان، قال: لا والله حتىٰ تعطي بنو أُميّة الحق من أنفسها.

(٣) الطبري ٥ / ١١٧، وط. أوربا ١ / ٢٩٨٩.

(٤) أنساب الأشراف ٥ / ٨١.

(٥) أنساب الأشراف ٥ / ٩٠.

علىٰ ميل من المدينة أن دع هذا الرجل فليشرب من مائه ومن بئره، يعني من رومة ولا تقتلوه من العطش فأبىٰ... الحديث.

وقال الطبري[1]: (ولمّا اشتدّ الحصار بعثمان ومنع عنه الماء أرسل عثمان إلىٰ عليّ يستسقيه، فجاء فكلّم طلحة في أن يدخل عليه الروايا، وغضب غضباً شديداً حتّىٰ دخلت الروايا علىٰ عثمان).

وقال البلاذري[2]: (فحاصر الناس عثمان ومنعوه، فأشرف على الناس فقال: أفيكم عليّ؟ فقالوا: لا، فقال: أفيكم سعد؟ فقالوا: لا، فسكت، ثمّ قال: ألا أحد يبلّغ عليّاً فيسقينا، فبلغ ذلك عليّاً فبعث إليه بثلاث قرب مملوءة فما كادت تصل إليه، وجرح بسببها عدّة من موالي بني هاشم وبني أُميّة، حتّىٰ وصلت إليه) ومرّ مجمّع بن جارية الأنصاري[3] بطلحة بن عبيدالله فقال: يا مجمّع ما فعل صاحبك؟

قال: أظنكم والله قاتليه!

فقال طلحة: فان قُتِل فلا ملك مقرب ولا نبيّ مرسل[4].

وروى الطبري[5] عن عبدالله بن عياش بن أبي ربيعة أنّه قال: دخلت علىٰ عثمان فتحدّثت عنده ساعة. فقال: يا ابن عياش! تعال. فأخذ بيدي فأسمعني كلام من علىٰ باب عثمان فسمعنا كلاماً؛ منهم من يقول: ما تنظرون به؟

---

(١) الطبري ٥ / ١١٣.

(٢) أنساب الأشراف ٥ / ٦٨ ـ ٦٩.

(٣) مجمع بن جارية بن عامر الأنصاري الأوسي، وكان أبوه ممّن اتّخذ مسجد الضرار وكان هو غلاماً حدثاً قد جمع القرآن علىٰ عهد رسول الله (ص) إلّا سورة أو سورتين. ترجمته في أُسد الغابة ٥ / ٣٠٣ ـ ٣٠٤.

(٤) أنساب الأشراف ٥ / ٧٤.

(٥) الطبري ٥ / ١٢٢، وط. أوربا ١ / ٣٠٠٠؛ وابن الأثير ٣ / ٧٣.

ومنهم من يقول: أنظروا عسىٰ أن يراجع. فبينا أنا وهو واقفان إذ مرّ طلحة بن عبيدالله فوقف فقال: اين ابن عديس[1].

فقيل: ها هو ذا.

قال: فجاءه ابن عديس فناجاه بشيء، ثمّ رجع ابن عديس فقال لأصحابه: لا تتركوا أحداً يدخل علىٰ هذا الرجل ولا يخرج من عنده. فقال عثمان: اللّهمّ اكفني طلحة بن عبيدالله فإنّه حمل عليَّ هؤلاء وألّبهم. والله إني لأرجو أن يكون منها صفراً وأن يسفك دمه، إنّه انتهك منّي ما لا يحلّ له... قال ابن عياش: فأردت أن أخرج فمنعوني حتّىٰ مرّ بي محمّد بن أبي بكر، فقال: خلّوا سبيله فخلّوني...

وبلغ عليّاً أنّ القوم يريدون قتل عثمان... فقال للحسن والحسين: إذهبا بسيفيكما حتّىٰ تقوما علىٰ باب عثمان فلا تدعا أحداً يصل إليه...

فخضب الحسن بالدماء علىٰ بابه وشجّ قنبر مولىٰ عليّ، فلمّا رأىٰ ذلك محمّد بن أبي بكر خشي أن يغضب بنو هاشم لحال الحسن والحسين فيثيروها فتنة، فأخذ بيد رجلين فقال لهما: إن جاءت بنو هاشم فرأت الدماء علىٰ وجه الحسن كشفوا الناس عن عثمان وبطل ما تريدون ولكن مروا بنا حتىٰ نتسوّر عليه الدار فنقتله من غير أن يُعلم، فتسوّر محمّد وصاحباه من دار رجل من الأنصار حتّىٰ دخلوا علىٰ عثمان وما يعلم أحد ممّن كان معه لأنّهم كانوا فوق البيوت ولم يكن معه إلّا امرأته، فقال محمّد بن أبي بكر: أنا أبدأكما بالدخول فإذا أنا ضبطته فادخلا فتوجّآه حتىٰ تقتلاه، فدخل محمّد فأخذ بلحيته، فقال عثمان: لو رآك

---

(١) هو عبدالرّحمٰن بن عديس البلوي.

وكان ممّن بايع النبيّ تحت الشجرة وشهد الشجرة وشهد فتح مصر واختط بها. وكان ممّن سار إلىٰ عثمان من مصر. وسجنه معاوية بعد بفلسطين وقتل سنة ٣٦هـ بعد أن هرب من السجن.

الإصابة، حرف العين، القسم الأوّل ٢ / ٤٠٣، رقم الترجمة ٥١٦٥.

أبوك لساءه مكانك منّي، فتراخت يده ودخل الرجلان فتوجّآه حتىٰ قتلاه[1].

وفي رواية لابن أبي الحديد: أنّ طلحة كان يوم قتل عثمان مقنعاً بثوب استتر به عن أعين الناس يرمي الدار بالسهام.

وروىٰ أيضاً: أنّه لما امتنع على الّذين حصروه الدخول من باب الدار حملهم طلحة إلىٰ دار لبعض الأنصار فأصعدهم إلىٰ سطحها وتسوّروا منها علىٰ عثمان داره فقتلوه[2].

وروى الطبري[3]: أنّهم دخلوا دار عمرو بن حزم ـ وكانت إلىٰ جنب دار عثمان ـ فناوشوهم شيئاً منه مناوشة؛ وقال: فوالله ما نسينا أن خرج سودان بن حمران فأسمعه يقول: أين طلحة بن عبيدالله؟ قد قتلنا ابن عفان.

وقال البلاذري[4]: إنّ عليّاً لمّا بلغه الخبر جاء وقال لابنيه: كيف قتل وأنتما على الباب؟! فلطم هذا وضرب صدر ذاك وخرج وهو غضبان يرىٰ أنّ طلحة أعان علىٰ ما كان، فلقيه طلحة، فقال: ما لك يا أبا الحسن؟ فقال: عليك لعنة الله، أيقتل رجل من أصحاب رسول الله... فقال طلحة: لو دفع مروان لم يقتل... وخرج عليّ فأتىٰ منزله... إنتهىٰ.

دفن الخليفة:

اتّفقت الروايات علىٰ أنّ عثمان ترك ثلاثاً لم يدفن، حتّىٰ توسّط عليٌّ في ذلك. روى الطبري: أنّهم كلّموا عليّاً في دفنه وطلبوا إليه أن يأذن لأهله ذلك،

---

(١) أنساب الأشراف ٥/٦٩؛ وذكر فعل محمّد بن أبي بكر هذا بألفاظ أُخرىٰ، كلّ من الطبري في ٥ / ١١٨، وط. أوربا ١ / ٣٠٢١؛ وابن الأثير في تاريخ الكامل ٣ / ٦٨ ـ ٧٠.

(٢) ابن أبي الحديد ٢ / ٤٠٤.

(٣) الطبري ٥ / ١٢٢.

(٤) أنساب الأشراف ٥ / ٦٩ ـ ٧٠.

ففعل وأذن لهم عليٌّ، فلمّا سُمِعَ بذلك قعدوا له في الطريق بالحجارة وخرج به ناس يسيرٌ من أهله وهم يريدون به حائطاً بالمدينة يقال له حَشُّ كوكب كانت اليهود تدفن فيه موتاهم؛ فلمّا خرج به على الناس رجموا سريره وهمّوا بطرحه؛ فبلغ ذلك عليّاً، فأرسل إليهم يعزم عليهم ليكفّن عنه ففعلوا، فانطلق به حتّى دفن في حشّ كوكب؛ فلمّا ظهر معاوية بن أبي سفيان على الناس أمر بهدم ذلك الحائط حتىٰ أفضىٰ به إلى البقيع؛ فأمر الناس أن يدفنوا موتاهم حول قبره حتىٰ اتّصل ذلك بمقابر المسلمين.

وفي حديث آخر له قال: دفن عثمان (رض) بين المغرب والعتمة ولم يشهد جنازته إلّا مروان بن الحكم وثلاثة من مواليه وابنته الخامسة، فناحت ابنته ورفعت صوتها تندبه، وأخذ الناس الحجارة وقالوا: نعثل، وكادت ترجم... الحديث[1].



أوردنا حوادث عصر الخليفة عثمان بشيء من التفصيل؛ لأنّ درك الحوادث التّي جرت بعده يتوقف علىٰ استيعاب الحوادث الّتي جرت في عصره باتقان وتدبّر، وكان من خصائص المجتمع في عصره أن القرّاء ورواة حديث الرسول (ص) تلقوا من الذلّ والهوان والتشريد وكسر الأضلاع والحرمان من عطائهم السنوي ما لم يتلقوه قبل عصره. ونشر في عصره من تفسير القرآن ورواية حديث الرسول (ص) ما كان محظوراً نشره قبل عصره، وقد مرّ بنا أن محمّد بن أبي بكر ومحمّد بن أبي حذيفة أخبرا أهل مصر بأنّ واليهم عبدالله بن سعد بن أبي سرح كان رسول الله (ص) أباح دمه ونزل القرآن بكفره حين قال

---

(١) الطبري ٥ / ١٤٣ ـ ١٤٤، وط. أوربا ١ / ٣٠٤٦؛ وابن الأثير ٣ / ٧٦؛ وابن أعثم ص ١٥٩؛ وراجع الرياض النضرة ٢ / ١٣١ ـ ١٣٢.

(سأنزل مثل ما أنزل الله) ولابدّ أنّ عبدالله بن مسعود ـ أيضاً ـ في خلافه، قرأ عليهم من مصحفه ان والیهم الولید نزل في حقّه ﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهالَةٍ﴾ وكان ذلك سبب جمعه للمصاحف الّتي كانت عند الصحابة وفيها أمثال هذه الأخبار كما سنبينه في آخر هذا البحث إن شاء الله تعالىٰ:

أخبار القرآن والسنّة علىٰ عهد الخليفة عثمان

متابعة الخليفة عثمان من سبقه في شأن رواية حديث الرسول (ص):

بدأ الخليفة عثمان في أوّل عهده هيّناً ليناً في سلوكه، ويسمح لكبار الصحابة بالإنتشار في البلاد الإسلامية، واتيحت لكبار الصحابة في هذا العصر فرصة رواية الحديث وكتابة مصاحف جمعوا فيها آيات القرآن مع ما كان عندهم من بيان الرسول (ص) لبعض الآيات، فانتشرت من مصاحفهم وممّا تحدّثوا عن رسول الله (ص) روايات كان نشرها محظوراً في زمن الخليفة عمر.

وكان في ما نشر ما يخالف سياسة الخلافة ويعارض سلوك الولاة من آل اُميّة علىٰ بلاد المسلمين، فاستنكر القرّاء من الصحابة علىٰ ولاته سيرتهم وسلوكهم مثل استنكار عبادة بن الصامت وأبي الدرداء علىٰ معاوية في الشام وابن مسعود على الوليد في الكوفة فبلغ أنباء ذلك إلى الخليفة فجلب من كان منهم في الشام إلى المدينة[1]، ونكتفي هنا بإيراد خبر الصحابي أبي ذر علىٰ عهده في ما يأتي بإذنه تعالىٰ.

أبو ذر في موسم الحج بمنىٰ:

في سنن الدارمي وطبقات ابن سعد بسندهما عن أبي كثير عن أبيه، (قال: أتيت أبا ذرّ وهو جالس عند الجمرة الوسطىٰ وقد اجتمع النّاس عليه يستفتونه، فأتاه رجل، فوقف عليه، ثمّ قال: أوَلم تُنْه عن الفتيا؟ فرفع رأسه إليه فقال:

---

(١) مرّت مصادر هذا البحث وتفصيله في خصائص المجتمع الإسلامي علىٰ عهد عثمان.

أرقيبٌ أنتَ عليَّ؟ لو وضعتم الصمصامة علىٰ هذه ـ وأشار إلىٰ قفاه ـ ثمّ ظننتُ أنِّي أُنفذ كلمة سمعتها من رسول الله (ص) قبل أن تجيزوا عليّ لأنفذتها)[1].

اختزل هذا الخبر البخاري في صحيحه وقال:

(وقال أبو ذرّ: لو وضعتم الصمصامة علىٰ هذه ـ وأشار إلىٰ قفاه ـ ثمّ ظننتُ أنِّي أُنفذ كلمة سمعتها من النبيّ (ص) قبل أنْ تجيزوا عليَّ لأنفذتها)[2].

وفي شرحه من فتح الباري قال ابن حجر:

(إنّ الّذي خاطبه رجل من قريش والّذي نهاه عثمان (رض))[3].

وقال: (ونكّر [كلمة] ليشمل القليل والكثير، والمراد به يبلغ ما تحمله في كلّ حال، ولا ينتهي عن ذلك ولو أشرف على القتل). انتهىٰ كلام شارح البخاري وفسّر في ما قال كلام أبي ذرّ بأنّه أراد أنّه سيُبَلِّغ ما سمعه عن رسول الله (ص) وإنْ كان كلمة واحدة ولا ينتهي عن ذلك، ولو أشرف على القتل.

وفي تذكرة الحفاظ للذهبي:

(وعلىٰ رأسه فتىٰ من قريش، فقال: أما نهاك أمير المؤمنين عن الفتيا...) الحديث[4].

أبو ذرّ في بيت الله الحرام:

في مستدرك الحاكم[5] بسنده عن حنش الكنائي[6]، قال: سمعتُ أبا ذرّ

---

(١) سنن الدارمي ١ / ١٣٦ـ١٣٧، وطبقات ابن سعد ٢ / ٣٥٤.

(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل ١ / ١٦.

(٣) فتح الباري ١ / ١٧٠ ـ ١٧١.

(٤) ١ / ١٨.

(٥) ٢ / ٣٤٣.

(٦) حنش في الإصابة، رجل من غفار.

يقول وهو آخذ بباب الكعبة:

أيُّها النّاس! مَنْ عرفني، فأنا مَنْ عرفتم، ومَنْ أنكرني فأنا أبو ذرّ، سمعت رسول الله يقول:

«مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق».

قال الحاكم: هذا حديث صحيح علىٰ شرط مسلم.

أبو ذرّ في مسجد الرسول (ص) وغيره:

ذكر اليعقوبي تفصيل خبر أبي ذرّ مع السلطة في تاريخه[1] وقال:

(وبلغ عثمان أنّ أبا ذرّ يقعد في مسجد رسول الله، ويجتمع إليه النّاس[2]، فيحدّث بما فيه الطعن عليه. وأنّه وقف بباب المسجد، فقال:

أيُّها النّاس! من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أبو ذرّ الغفاري، أنا جندب بن جنادة الرّبذي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ محمّد الصفوة من نوح، فالآل[3] من إبراهيم، والسلالة من إسماعيل، والعترة الهادية من محمّد إنّه شرف شريفهم، واستحقّوا الفضل في قوم هم فينا كالسماء المرفوعة وكالكعبة المستورة، أو كالقبلة المنصوبة، أو كالشمس الضاحية، أو كالقمر الساري، أو كالنجوم الهادية، أو كالشجر الزيتونيّة أضاء زيتها، وبورك زبدها، ومحمّد وارث علم آدم

---

(١) ٢ / ١٧١ـ١٧٣.

(٢) يظهر من سياق الخبر أنّ أبا ذرّ كان يفعل ذلك في مسجد الرسول في موسم الحجّ كفعله في منىٰ وبباب الكعبة، فإنّه لو كان في غير موسم الحجّ لم يكن بحاجة إلىٰ أن يُعرِّف نفسه لإخوته الّذين كانوا يعاشرونه في المدينة.

(٣) في النسخة المطبوعة: (فالأوّل)، تصحيف.

وما فُضّل به النبيّون، وعليّ بن أبي طالب وصيّ محمّد، ووارث علمه.

أيّتها الأُمّة المتحيرة بعد نبيّها! أما لو قدّمتم من قدّم الله، وأخّرتم من أخّر الله، وأقررتم الولاية والوراثة في أهل بيت نبيكم لأكلتم من فوق رؤوسكم ومن تحت أقدامكم، ولما عال وليّ الله، ولا طاش سهم من فرائض الله، ولا اختلف اثنان في حكم الله، إلّا وجدتم علم ذلك عندهم من كتاب الله وسنّة نبيّه.

فأمّا إذ فعلتم ما فعلتم، فذوقوا وبال أمركم، وسيعلم الّذين ظـلموا أيّ منقلب ينقلبون).

وقال:

«وبلغ عثمان أيضاً أنّ أبا ذر يقع فيه، ويذكر ما غيّر وبدّل من سنن رسول الله وسنن أبي بكر وعمر، فسيّره إلى الشّام إلىٰ معاوية، وكان يجلس في المسجد، فيقول كما كان يقول، ويجتمع إليه النّاس، حتّىٰ كثر من يجتمع إليه، ويسمع منه ...» الحديث.

وقال بعد ذلك ما موجزه:

(إنّ معاوية كتب إلىٰ عثمان أنّك قد أفسدت الشّام علىٰ نفسك بأبي ذرّ.

فكتب إليه أن احمله علىٰ قتب بغير وطاء.

فقدم به المدينة وقد ذهب لحم فخذيه وجرىٰ له مع عثمان ما أدّىٰ بعثمان أنْ ينفيه إلى الرّبذة)[1].

دراسة الخــبر:

قال القرشي لأبي ذر: أَوَلم تنـه عن الفتيا؟!

فكان في جواب أبي ذر له: «والله لو وضعتم الصمصامة علىٰ هذه ـ وأشار

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٧١ ـ ١٧٢.

إلىٰ قفاه ـ ثمّ ظننت أني أُنفذ كلمة سمعتها من النبيّ قبل أن تجيزوا عليّ لأنفذتها».

اذاً فقد كان الافتاء الممنوع عنه هو رواية حديث الرسول (ص)، وكان في رواية أبي ذرّ تفسير ﴿إنّ الله اصطفىٰ آدم ونوحاً ...﴾ بقوله: محمّد الصفوة من نوح والآل ابراهيم والسلالة من اسماعيل والعترة الهادية من محمّد.

ومن هنا ندرك أن سبب منعهم من نشر حديث الرسول وبيان تفسير آي الذكر الحكيم بأحاديث الرسول، المنع من نشر أحاديث الرسول الّتي فيها ثناء علىٰ مَنْ لا ترغب أُسرة الخلافة نشرها، وكذلك نشر أحاديث الرسول (ص) الّتي فيها ذمّ لذوي الجاه والسلطة من قريش.

ولذلك قاموا بتجريد القرآن من حديث الرسول (ص) ونسخوا عليها سبع نسخ وأحرقوا سائر المصاحف كما سيأتي ذكره في آخر الكتاب في بحث خلاصة أخبار القرآن بعد الرسول (ص)، أمّا سياسة الإمام عليّ في ذلك فسندرسها بإذنه تعالىٰ في البحث الآتي.

خصائص المجتمع الإسلامي علىٰ عهد الإمام عليّ (ع)

قتل عثمان، وعاد إلى المسلمين أمرهم، وانحلّوا من كل بيعة سابقة توثقهم، فتهافتوا علىٰ ابن أبي طالب يطلبون يده للبيعة؛ قال الطبري[1]:

فأتاه أصحاب رسول الله (ص)، فقالوا:

إنّ هذا الرجل قد قتل ولابدّ للناس من إمام، ولا نجد اليوم أحقّ بهـذا الأمر منك، لا أقدم سابقة، ولا اقرب من رسول الله (ص).

فقال: لا تفعلوا فإنّي أكون وزيراً خير من أن أكون أميراً.

فقالوا: لا، والله ما نحن بفاعلين حتّىٰ نبايعك.

قال: ففي المسـجد، فإنّ بيعتي لا تكون خفـياً، ولا تكون إلّا عن رضـا المسلمين.

وروىٰ بسند آخر وقال:

اجتمع المهاجرون والأنصار فيهم طلحة والزّبير، فأتوا عـليّـاً، فـقالوا: يا أبا الحسن! هلُمَّ نبايعك.

فقال: لا حاجة لي في أمركم، أنا معكم، فمن اخترتم فقد رضـيت بـه، فاختاروا.

---

(١) الطبري ٥ / ١٥٣، ط. أوربا ١ / ٣٠٦٦، وراجع الكنز ٣ / ١٦١، ح ٢٤٧١ فإنّه يروي تفصيل بيعة عليّ ومجيء طلحة والزّبير إليه وامتناعه عن البيعة ... وكذلك حكاه ابن أعثم بالتفصيل في ص ١٦٠ ـ ١٦١ من تأريخه، وط. الثانية، ٢ / ٢٥٠ ـ ٢٥٢.

فقالوا: والله ما نختار غيرك.

قال: فاختلفوا إليه بعدما قتل عثمان (رض) مراراً، ثمّ أتوه في آخر ذلك، فقالوا له:

إنّه لا يصلح الناس إلّا بإمرة وقد طال الأمر.

فقال لهم: إنّكم قد اختلفتم إليّ وأتيتم وإنّي قائل لكم قولاً إن قبلتموه قبلت امركم وإلّا فلا حاجة لي فيه.

قالوا: ما قلت قبلناه إن شاء الله. فجاء فصعد المنبر، فاجتمع الناس إليه.

فقال: إنّي قد كنت كارهاً لأمركم فأبيتم إلّا أن أكون عليكم. ألا وإنّه ليس لي أمر دونكم، ألا إنّ مفاتيح مالكم معي. ألَا وإنّه ليس لي أن آخذ منه درهماً دونكم. رضيتم؟

قالوا: نعم.

قال: اللّهمّ اشهد عليهم. ثمّ بايعهم علىٰ ذلك.

وروى البلاذري[1] وقال:

وخرج عليّ، فأتىٰ منزله، وجاء الناس كلّهم يُهرَعون إلىٰ عليّ، أصحاب النبيّ وغيرهم، وهم يقولون: (إنّ أمير المؤمنين عليّ) حتّىٰ دخلوا داره، فقالوا له: نبايعك، فمدَّ يدك فإنّه لا بدّ من أمير.

فقال عليّ: ليس ذلك إليكم إنّما ذلك إلىٰ أهل بدر، فمن رضي به أهل بدر فهو خليفة. فلم يبق أحد من أهل بدر إلّا أتىٰ عليّاً، فقالوا: ما نرىٰ أحداً أحقّ بهذا الأمر منك... فلمّا رأىٰ عليّ ذلك صعد المنبر، وكان أوّل من صعد إليه فبايعه طلحة بيده، وكانت إصبع طلحة شلّاء، فتطيّر منها عليّ. وقال: ما أخلقه أن ينكث.

---

(١) الأنساب ٥ / ٧٠. وقد روى الحاكم في المستدرك ٣ / ١١٤ تشاؤم عليّ من بيعة طلحة.

روى الطبري[1]: (أنّ حبيب بن ذؤيب نظر إلىٰ طلحة حين بايع، فقال: أوّل من بدأ بالبيعة يد شلّاء؛ لا يتمّ هذا الأمر...) انتهىٰ.

وقال الذهبي: لما قتل عثمان صبراً سعى الناس إلىٰ دار عليّ، فأخرجوه وقالوا: لا بدّ للناس من إمام، فحضر طلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص والأعيان فأوّل مَنْ بايعه طلحة، ثمّ سائر الناس[2].

وفي تاريخ اليعقوبي ما موجزه:

واستخلف عليّ بن أبي طالب يوم الثلاثاء لسبع ليال بقين من ذي الحجة سنة ٣٥ ...[3].

سياسة حكم الإمام عليّ وآثارها:

في شرح ابن أبي الحديد أنّ الإمام عليّاً خطب بعد بيعته، وقال: ألا لا يقولنّ رجال منكم غداً قد غمرتْهم الدنيا فاتخذوا العَقار، وفَجّروا الأنهار، وركبوا الخيول الفارهة، واتخذوا الوصائف الرّوقة[4]؛ فصار ذلك عليهم عاراً وشناراً؛ إذا ما منعتُهم ما كانوا يخوضون فيه، وأصرتُهم إلىٰ حقوقهم الّتي يعلمون، فينقِمون ذلك، ويستنكرون ويقولون: حرمنا ابنُ أبي طالب حقوقنا! ألا وأيّما رجلٍ من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله (ص) يرىٰ أن الفضل له علىٰ مَنْ سواه لصحبته، فإنّ الفضل النيِّر غداً عند الله، وثوابه وأجره على الله، وأيّما رجلٍ استجاب لله وللرسول، فصدق ملّتنا، ودخل في ديننا، واستقبل قبلتنا، فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده؛ فأنتم عباد الله، والمال مال الله، يقسّم

---

(١) الطبري ٥ / ١٥٣، وط. أوربا ١ / ٣٠٦٨.

(٢) دول الإسلام للذهبي، ط. الهيئة المصرية بمصر عام ١٩٧٤، ص ٢٨.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٧٨ ـ ١٧٩.

(٤) الروقة: الحسان.

بينكم بالسّـويّة، لا فضلَ فيه لأحد علىٰ أحدٍ؛ وللمتقـين عند الله غداً أحسنُ الجزاء، وأفضل الثّواب؛ لم يجعل الله الدنيا للمتقين أجراً ولا ثواباً، وما عند الله خير للأبرار. وإذا كان غداً إن شاء الله فاغدُوا علينا؛ فإن عندنا مالاً نـقسِّمه فيكم، ولا يتخلّفنّ أحدٌ منكم؛ عربيّ ولا عجميّ، كان من أهل العـطاء أو لم يكن؛ إلّا حَضَر؛ إذا كان مسلِماً حرّاً. أقولُ قولي هذا وأسـتغفر الله لي ولكم، ثمّ نزل.

ثمّ نقل ابن أبي الحديد عن أستاذه أبي جعفر انّه قال: وكان هذا أوّل ما أنكروه من كلامه (ع)، وأورثهم الضِّغن عليه؛ وكرهوا إعطاءه وقَسْمه بالسويّة.

فلمّا كان من الغـد، غدا وغَدا الناس لقبض المـال؛ فقال لعبيدالله بن أبي رافع كاتبه: ابدَأْ بالمهاجرين فنادِهم، وأعطِ كلّ رجل ممّن حضر ثلاثة دنانير، ثمّ ثَنِّ بالأنصـار فافْعل معهم مثل ذلك؛ ومن يحضر من الناس كلّهم؛ الأحمـر والأسود فاصنع به مثل ذلك.

فقال سهل بن حَنِيف: يا أمير المؤمنين! هذا غلامي بالأمس؛ وقد أعتقتُه اليوم؛ فقال: نعطيه كما نعطيك، فأعطىٰ كلّ واحد منهما ثلاثة دنانير؛ ولم يفضّل أحداً علىٰ أحد؛ وتخلّف عن هذا القَسم يومئذ طلحـة، والزّبير، وعـبدالله بـن عمر، وسعيد بن العاص، ومروان بن الحكم؛ ورجال من قريش وغيرها.

وسمع عبيدالله بن أبي رافع عبدالله بن الزّبير يقول لأبيه وطلحة ومروان وسعيد: ما خفي علينـا أمس من كلام عليّ ما يريـد؛ فقال سعيد بن العـاص ـ والتفت إلىٰ زيد بن ثابت ـ: إيّاكِ أعني واسمعي يا جارة؛ فقال عبيدالله بن أبي رافع لسعيد وعبدالله بن الزّبير: إنّ الله يقولُ في كتابه: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَـرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾[1].

---

(١) سورة الزخرف / ٧٨.

ثمّ إنّ عبيدالله بن أبي رافع أخبرَ عليّاً (ع) بذلك، فقال: والله إن بقيت وَسلِمت لهم لأُقيمنّهم على المحجّة البيضاء، والطريق الواضح، قاتل الله ابنَ العاص! لقد عرَفَ من كلامي ونظري إليه أمسِ، أنّي أريده وأصحابه ممّن هلك فيمن هَلَك.

قال: فبينا الناس في المسجد بعد الصبح إذ طلع الزّبير وطلحة، فجلسا ناحية عن عليّ (ع)، ثمّ طلع مروان وسعيد وعبدالله بن الزّبير؛ فجلسوا إليهما، ثمّ جاء قوم من قريش فانضمُّوا إليهم، فتحدّثوا نجيّاً ساعة؛ ثمّ قام الوليد بن عقبة ابن أبي معيط، فجاء إلىٰ عليّ (ع)؛ فقال: يا أبا الحسن! إنّك قد وَترْتَنا جميعاً؛ أمّا أنا فقتلتَ أبي يوم بدر. ونحن نبايعك اليوم علىٰ أن تضعَ عَنّا ما أصبناه من المال في أيّام عثمان، وأن تقتل قتلته؛ وإنّا إن خفناك تركناك؛ فالتحقنا بالشام.

فقال: أمّا ما ذكرتم من وِتْرِي إياكم فالحقّ وتركم، وأمّا وضعي عنكم ما أصبتم فليس لي أن أضع حق الله عنكم ولا عن غيركم.

وأمّا قتلي قتلة عثمان فلو لزِمَني قتلُهم اليوم لقتلتُهم أمس؛ ولكنْ لكم عليّ إن خفتموني أن أؤمِّنَكم وإن خفتُكم أنْ أُسيِّركم[1].

وقال اليعقوبي:

وبايع الناس إلّا ثلاثة نفر من قريش: مروان بن الحكم، وسعيد بن العاص، والوليد بن عقبة، وكان لسان القوم. فقال: يا هذا إنّك قد وترتنا جميعاً. أمّا أنا فقتلت أبي صبراً يوم بدر، وأمّا سعيد فقتلت أباه يوم بدر، وكان أبوه ثور قريش، وأمّا مروان فشتمت أباه وعبت علىٰ عثمان حين ضمّه إليه، فتبايعنا علىٰ أن تضع عنّا ما أصبنا وتعفي لنا عمّا في أيدينا، وتقتل قتلة صاحبنا، فغضب عليّ وقال: أمّا ما ذكرت من وتري إيّاكم، فالحق وتركم، وأما وضعي عنكم ما

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ط. مصر ٧ / ٣٧ ـ ٣٩.

أصبتم، فليس لي أن أضع حقّ الله تعالىٰ؛ وأمّا قتلي قتلة عثمان، فلو لزمني قتلهم اليوم لزمني قتالهم غداً، ولكن لكم أن أحملكم علىٰ كتاب الله وسنّة نبيّه، فمن ضاق عليه الحقّ، فالباطل عليه أضيق، وإن شئتم فالحقوا بملاحقكم. فقال مروان: بل نبايعك، ونقيم معك، فترىٰ ونرىٰ[1].

كان هذا خبر أهل المدينة في شأن بيعة الإمام عليّ(ع)، وعندما بلغ الخبر أُمّ المؤمنين عائشة في طريق عودتها إلى المدينة من الحج وهي تمني نفسها بمبايعة الناس ابن عمّها طلحة بالخلافة، قالت: والله ليتَ هذه انطبقت علىٰ هذه ـ أي السماء على الأرض ـ وصاحت ردُّوني ردُّوني، فانصرفت إلىٰ مكّة وهي تقول: قُتل والله عثمان مظلوماً، لأطلبنّ بدمه. لليلة من عثمان خير من عليّ الدهر كلّه[2].

وفي مكّة التحق بها بنو أُميّة وحلفاؤهم وانتشر خبرهم واظهر ذلك في من أظهر في المدينة وروىٰ في شأنهم ابن أبي الحديد وقال:

ظهر ذلك من أمرهم، قال عمار بن ياسر لأصحابه: قوموا بنا إلىٰ هؤلاء النّفَر من إخوانكم، فإنّه قد بلغنا عنهم ورأينا منهم ما نكره من الخلاف، والطعن علىٰ إمامهم؛ وقد دخل أهلُ الجفاء بينهم وبين الزّبير والأعسر العاقّ ـ يعني طلحة ـ.

فقام أبو الهيثم وعمّار وسَهْل بن حنيف وجماعة معهم، فدخلوا علىٰ عليّ (ع)، فقالوا: يا أمير المؤمنين! انظر في أمرِك، وعاتِبْ قومك، هذا الحيّ من قريش فإنّهم قد نَقَضُوا عهدك، وأخلفوا وعْدَك، وقد دعونا في السرّ إلىٰ رفضك، هداك الله لرشدك! وذاك لأنّهم كَرِهوا الأُسوة، وفقدوا الأثرة، ولما آسيت بينهم وبين الأعاجم أنكروا، واستشاروا عدوك وعظّموه، وأظهروا الطلب بدم عثمان

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٧٩.

(٢) تاريخ فتوح أعثم ٢ / ٢٤٨.

فرقةً للجماعة، وتألّفاً لأهل الضلالة. فرأيك!

فخرج عليّ (ع) فدخل المسجد، وصعد المنبر مرتدياً بطاقٍ، مؤتزراً ببُردٍ قَطَريّ، متقلّداً سيفاً، متوكئاً علىٰ قوس، فقال:

أمّا بعد، فإنّا نحمد الله ربنا وإلهنا وولينا، وولي النعم علينا، الّذي أصبحت نعمه علينا ظاهرة وباطنة، امتناناً منه بغير حَوْل منا ولا قوة، ليبلُوَنا أنشكرُ أم نكفر؛ فمن شكر زاده ومَن كَفَر عذّبه؛ فأفضلُ الناس عند الله منزلة، وأقربهم من الله وسيلة، أطوعهم لأمره، وأعملهم بطاعته؛ وأتبعهم لسنّة رسوله (ص)، وأحياهم لكتابه؛ ليس لأحد عندنا فَضلٌ إلّا بطاعة الله وطاعة الرسول (ص). هذا كتاب الله بين أظهرنا، وعهد رسول الله (ص) وسيرته فينا، لا يجهلُ ذلك إلّا جاهلٌ عاند عن الحقّ، منكر، قال الله تعالىٰ:

﴿يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (١).

ثمّ صاح بأعلىٰ صوته: أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول، فإن تَولَّيتُمْ فإنَّ اللهَ لا يحبُّ الكافرين.

ثمّ قال: يا معشر المهاجرين والأنصار! أتمنّونَ على الله ورسوله بإسلامكم، بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للإيمان إنْ كنتم صادقين.

ثمّ قال: أنا أبو الحسن ـ وكان يقولها إذا غضب ـ ثمّ قال: ألا إنّ هذه الدنيا الّتي أصبحتم تَمنّونها وترغبون فيها، وأصبحت تغضِبُكم وترضيكم، ليست بداركم ولا منزلكم الّذي خُلقتم له؛ فلا تغرّنّكم فقد حذرتموها، واستتموا نعم الله عليكم بالصّبر لأنفسكم علىٰ طاعة الله، والذّلّ لحكمه، جل ثناؤه؛ فأمّا هذا

---

(١) سورة الحجرات / ١٣.

الفيء فليس لأحدٍ علىٰ أحد فيه أثَرة؛ وقد فرغ الله من قسمته؛ فهو مال الله، وأنتم عباد الله المسلمون؛ وهذا كتاب الله به أقررنا وله أسلمنا، وعهدُ نبينا بين أظهرنا، فمَن لم يرْض به فليتَولَّ كيف شاء فإن العامل بطاعة الله والحاكم بحكم الله لا وحْشة عليه.

ثمّ نزل عن المنبر، فصلّىٰ ركعتين، ثمّ بعث بعمار بن ياسر، وعبدالرّحمٰن بن حسل القرشّي إلىٰ طلحة والزّبير؛ وهما في ناحية المسجد فأتياهما فدعواهما؛ فقاما حتىٰ جلسا إليه (ع)؛ فقال لهما: نشدتكما الله؛ هل جئتماني طائعين للبيعة، ودعوتماني إليها، وأنا كارهٌ لها! قالا: نعم، فقال: غير مُجبرين ولا مقسورين، فأسلمتما لي بيعتكما وأعطيتماني عهدكما! قالا: نعم، قال: فما دعاكما بعدُ إلىٰ ما أرىٰ؟ قالا: أعطيناك بيعتنا على ألّا تقضي الأُمور ولا تقطعها دوننا؛ وأن تستشيرنا في كلّ أمر ولا تستبدّ بذلك علينا، ولنا من الفضل علىٰ غيرنا ما قد علمت؛ فأنت تقسم القَسم وتقطع الأمر، وتمضي الحكم بغير مشاورتنا ولا علمنا.

فقال: لقد نقمتما يسيراً؛ وأرجأتما كثيراً؛ فاستغفرا الله يغفر لكما. ألا تخبرانني، أدفعتُكما عن حقٍّ وجب لكما فظلمتكما إيّاه؟ قالا: معاذ الله! قال: فهل استأثرتُ من هذا المال لنفسي بشيء؟ قالا: معاذ الله! قال: أفوقع حُكم أو حقّ لأحد من المسلمين فجهلته أو ضعفت عنه؟ قالا: معاذ الله! قال: فما الّذي كرهتما من أمري حتىٰ رأيتُما خلافي؟ قالا: خلافك عمر بن الخطاب في القَسم؛ أنّك جعلتَ حقّنا في القَسم كحقّ غيرنا، وسوّيت بيننا وبين من لا يماثلنا في ما أفاء الله تعالىٰ علينا بأسيافنا ورماحنا وأوجَفنا[1] عليه بخيلنا ورجلنا، وظهرت عليه دعوتنا، وأخذناه قسراً قهراً، ممّن لا يرى الإسلام إلّا كرهاً.

فقال: فأمّا ما ذكرتماه من الإستشارة بكما فوالله ما كانت لي في الولاية

---

(١) ما أوجفنا: ما أعملنا.

رغبة؛ ولكنكم دعوتموني إليها، وجعلتموني عليها؛ فخفت أن أردّكم فتختلف الأُمّة. فلمّا أفضت إليّ نظرتُ في كتاب الله وسنّة رسوله فأمضيت ما دلّاني عليه واتبعته، ولم أحتج إلى آرائكما فيه؛ ولا رأي غيركما، ولو وقع حكمٌ ليس في كتاب الله بيانه ولا في السنّة برهانه، واحتيج إلى المشاورة فيه لشاورتُكما فيه؛ وأمّا القسم والأُسوة؛ فإنّ ذلك أمر لم أحكُم فيه باديَ بدء! قد وجدت أنا وأنتما رسول الله (ص) يحكم بذلك، وكتاب الله ناطق به؛ وهو الكتاب الّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. وأمّا قولكُما: جعلت فيئنا وما أفاءته سيوفنا ورماحنا؛ سواء بيننا وبين غيرنا، فقديماً سبق إلى الإسلام قوم ونصروه بسيوفهم ورماحهم، فلم يفضِّلهم رسول الله (ص) في القسم، ولا آثرهم بالسبق، والله سبحانه موفٍ السابق والمجاهد يوم القيامة أعمالهم؛ وليس لكما والله عندي ولا لغيركما إلّا هذا، أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحق، وألهمنا وإياكم الصبر. ثمّ قال: رحم الله آمرأً رأىٰ حقّاً فأعان عليه، ورأىٰ جَوراً فردّه؛ وكان عونا للحق علىٰ من خالفه.

قال ابن أبي الحديد:

قال شيخنا أبو جعفر: وقد روي أنّهما قالا له وقت البيعة: نُبايعك علىٰ أنّا شركاؤك في هذا الأمر؛ فقال لهما: لا، ولكنّكما شريكاي في الفيء؛ لا أستأثر عليكما ولا علىٰ عبد حبشي مجدّع بدرهم فما دونه، لا أنا ولا وَلداي هذان؛ فإن أبيتُما إلّا لفظ الشركة، فأنتما عونان لي عند العجز والفاقة، لا عند القوّة والإستقامة.

قال أبو جعفر: فاشترطا ما لا يجوز في عقد الإمامة وشرط (ع) لهما ما يجب في الدِّين والشريعة.

قال ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: وقد روي أيضاً أنّ الزّبير قال في ملأ من الناس: هذا جزاؤنا من عليّ! قمنا له في أمر عثمان حتىٰ قُتل؛ فلمّا بلغ بنا ما أراد جعل فوقنا من كنّا فوقه.

وقال طلحة: ما اللّوم إلّا علينا؛ كنّا معه أهل الشورىٰ ثلاثة؛ فكرهه أحدنا ـ يعني سعداً ـ وبايعناه، فأعطيناه ما في أيدينا، ومنعنا ما في يده؛ فأصبحنا قد أخطأنا اليوم ما رجونا أمس؛ ولا نرجو غداً ما أخطأنا اليوم[1].

وقال الطبري: وسأل طلحة والزّبير أن يؤمّرهما على الكوفة والبصرة فقال: «تكونان عندي فأتجمّل بكما فإنّي وحش لفراقكما»[2].

وقال اليعقوبي: أنّ طلحة قال: «ما لنا من هذا الأمر إلّا كلحسة الكلب أنفه»[3].

بقي طلحة والزّبير في المدينة أربعة أشهر يراقبان عليّاً من قريب، حتّىٰ إذا أيسا منه وبلغهما موقف أُمّ المؤمنين بمكّة، عزما على الخروج من المدينة، فأتيا عليّاً، فقالا:

إنّا نريد العمرة، فأذن لنا في الخروج، فقال عليّ لبعض أصحابه: «والله ما أرادا العمرة، ولكنّهما أرادا الغدرة».

فأذن لهما في الخروج بعد ان جدّدا له البيعة فخرجا من المدينة والتحقا بموكب أُمّ المؤمنين عائشة، وساروا جميعاً مع مَنْ تبعهما من بني أُميّة وأعراب البادية إلى البصرة، وأقاموا حرب الجمل على الإمام عليّ باسم الطّلب بدم عثمان، وبعدما انتصر فيها الإمام عليّ عليهم في النصف من جمادى الثانية سنة ٣٦ هـ قسم بيت المال في البصرة.

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ٢ / ١٧٢ ـ ١٧٣.

وطبعة تحقيق محمّد أبي الفضل إبراهيم. القاهرة، دار إحياء الكتب العربية ٧ / ٢٩ ـ ٤٢.

(٢) الطبري، ط. القاهرة، دار المعارف ٤ / ٤٢٩، وط. أوربا ١ / ٣٠٦٩؛ وابن كثير ٦ / ٢٢٧ ـ ٢٢٨.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٨٠.

أعطى الناس بالسّويّة لم يفضّل أحداً على أحد، وأعطى الموالي كما أعطى الصلبيّة، وقيل له في ذلك، فقال: قرأت ما بين الدفّتين، فلم أجد لولد إسماعيل علىٰ ولد إسحاق فضل هذا، وأخذ عوداً من الأرض، فوضعه بين إصبعيه[1].

ثمّ سار إلى الكوفة واتخذها كرسي دولته، وسار منها إلى الشام لإخضاع معاوية الّذي أظهر العصيان عليه، والتقى الجيشان بصفين سنة ست وثلاثين للهجرة، وجرت تسعون واقعة في عشرة أيام ومائة يوم كما أوردنا تفصيلها في كتاب أحاديث أُمّ المؤمنين عائشة، ونورد في ما يأتي من أخبارها ما يلزمنا دراسته في بحوث القرآن الكريم وروايات المدرستين، ونقول بحوله تعالىٰ:

وكان على عهد معاوية ما رواه المجلسي عن الواقدي وقال:

إنّ عمر بن ثابت كان يركب بالشام، ويدور في القرىٰ بالشام، فإذا دخل قرية جمع أهلها ثمّ يقول: أيُّها الناس! إنّ عليّ بن أبي طالب كان رجلاً منافقاً أراد أن ينخس برسول الله (ص) ليلة العقبة فالعنوه، فلعنه أهل تلك القرية، ثمّ يسير إلى القرية الأُخرىٰ فيأمرهم بمثل ذلك[2].

ومن أخبار صفين روى الطبري بسنده، وتابعه ابن الأثير، واللّفظ للأوّل عن ليلة الهرير وقال في ذكره خبر هاشم بن المرقال، قال:

ثمّ انّه مضىٰ في عصابة معه من القرّاء فقاتل قتالاً شديداً هو وأصحابه عند المساء حتىٰ رأوا بعض ما يسرون به.

قال: فإنّهم لكذلك إذ خرج عليهم فتىٰ شاب وهو يقول:

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٨٣.

(٢) عمر بن ثابت بن الحارث الخزرجي من التابعين، تهذيب التهذيب ٧ / ٤٣٠، والغارات للثقفي، ص ٣٩٧، والبحار، ط. الكمباني ٨ / ٧٣٥.

أنا أرباب الملوك غســان والدائن اليوم بدين عثمان

إنّي أتاني خبر فأشـجان أن عليّاً قتل ابـن عـفان

ثمّ يشدّ فلا ينثني حتىٰ يضرب بسيفه، ثمّ يشتم ويلعن ويكثر الكلام، فقال له هاشم بن عتبة: يا عبد الله! ان هذا الكلام بعده الخصام، وان هذا القتال بعده الحساب، فاتق الله فانك راجع إلى الله، فسائلك عن هذا الموقف وما أردت به.

قال: فإنّي أُقاتلكم لأنّ صاحبكم لا يصلّي كما ذكر لي وأنتم لا تصلّون أيضاً. وأُقاتلكم لأنّ صاحبكم قتل خليفتنا وأنتم أردتموه علىٰ قتله.

فقال له هاشم: وما أنت وابن عفان، إنّما قتله أصحاب محمّد وأبناء أصحابه وقراء الناس حين أحدث الأحداث وخالف حكم الكـتاب، وهم أهل الدِّيـن وأولىٰ بالنظر في أُمور الناس منك ومن أصحابك، وما أظنّ أمر هذه الأُمّة وأمر هذا الدِّين أُهمل طرفة عين.

فقال له: أجل والله لا أكذب، فإن الكذب يضر ولا ينفع.

قال: فان أهل هذا الأمر أعلم به فخله وأهل العلم به.

قال: ما أظنك والله إلّا نصحت لي.

قال: وأمّا قولك إن صاحبنا لا يصلّي فهو أوّل من صلىٰ وأفقه خلق الله في دين الله وأولىٰ بالرسول، وأمّا كل من ترىٰ معي، فكلهم قارئ لكتاب الله لا ينام الليل تهجّداً، فلا يغوينك عن دينك هؤلاء الأشقياء المغرورون.

فقال الفتىٰ: يا عبد الله! إنّي أظنك آمرأً صالحاً، فتخبرني هل تجد لي من توبة؟

فقال: نعم، يا عبد الله تب إلى الله يتب عليك، فإنّه يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات، ويحبّ المتطهّرين. قال: فجشر(*) والله الفتى الناس راجعاً.

(*) جشر الناس: أي تركهم وتباعد عنهم. وفي ابن الأثير: «فرجع الفتى».

فقال له رجل من أهل الشام: خدعك العراقي، خدعك العراقي، قال: لا، ولكن نصح لي[1].

ولمّا ان عضت الحرب معاوية كرّر علىٰ عليّ طلب الشام، فأبىٰ عليه، ثمّ بان الإنكسار في جيش معاوية، فأشار عليهم عمرو بن العاص برفع المصاحف على الرماح يطلبون الرجوع إلىٰ كتاب الله.

وقد أورد أخبارها الطبري وابن الأثير وابن كثير في تواريخهم، واخترنا لفظ ابن الأثير لإيجازه، قال:

فلمّا رأىٰ عمرو ان أمر أهل العراق قد اشتد، وخاف الهلاك، قال لمعاوية: هل لك في أمر أعرضه عليك لا يزيدنا إلّا اجتماعاً، ولا يزيدهم إلّا فرقة؟

قال: نعم.

قال: نرفع المصاحف، ثمّ نقول لما فيها هذا حكم بيننا وبينكم، فإن أبىٰ بعضهم أن يقبلها وجدت فيهم من يقول ينبغي لنا أن نقبل فتكون فرقة بينهم وان قبلوا ما فيها رفعنا القتال عنا إلىٰ أجل، فرفعوا المصاحف بالرماح وقالوا: هذا حكم كتاب الله عزّ وجلّ بيننا وبينكم، من لثغور الشام بعد أهله، من لثغور العراق بعد أهله.

وروىٰ نصر بن مزاحم بسنده عن تميم بن حذلم أنّه قال:

لمّا أصبحنا من ليلة الهرير نظرنا، فإذا أشباه الرايات أمام صفّ أهل الشام وسط الفيلق من حيال موقف معاوية، فلما أسفرنا إذا هي المصاحف قد رُبطتْ علىٰ أطراف الرِّماح، وهي عِظامُ مصاحف العسكر، وقد شدُّوا ثَلاثة أرماحٍ جميعاً وقد ربطوا عليها مصحفَ المسجد الأعظم يُمْسِكه عشرةُ رهط. وقال أبو جعفر وأبو الطفيل: استقبَلُوا عليّاً بمائة مصحفٍ، ووضعوا في كل مجنَّبةٍ مائتي مصحف،

---

(١) الطبري، ط. أوربا ١ / ٣٣٢٣، تاريخ الكامل لابن الأثير ٣ / ١٢٤ ـ ١٢٥.

وكان جميعها خمسمائة مصحف(*).

قال الطبري:

فلمّا رآها الناس، قالوا: نجيب إلىٰ كتاب الله، فقال لهم عليّ:

عباد الله امضوا علىٰ حقكم وصدقكم وقتال عدوكم فان معاوية وعمراً وابن أبي معيط وحبيباً وابن أبي سرح والضحاك ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن أنا أعرف بهم منكم، قد صحبتهم أطفالاً ثمّ رجالاً فكانوا شرّ أطفال وشرّ رجال، ويحكم والله ما رفعوها إلّا خديعة ووهناً ومكيدة.

فقالوا له: لا يسعنا أن ندعى إلىٰ كتاب الله فنأبىٰ أن نقبله.

فقال لهم عليّ: فإنّي أُقاتلهم ليدينوا لحكم الكتاب، فإنّهم قد عصوا الله في ما أمرهم ونسوا عهده ونبذوا كتابه.

فقال له مسعر بن فدكي التيمي وزيد بن حصين الطائي في عصابة من القرّاء الّذين صاروا خوارج بعد ذلك:

يا عليّ! أجب إلىٰ كتاب الله عزّ وجلّ إذ دعيت إليه، وإلّا دفعناك برمتك إلى القوم أو نفعل بك ما فعلنا بابن عفان.

قال: فاحفظوا عنّي نهيي إيّاكم، واحفظوا مقالتكم لي، فإن تطيعوني فقاتلوا، وإن تعصوني فاصنعوا ما بدا لكم.

قالوا: ابعث إلى الأشتر فليأتك.

(*) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم، ط. مصر سنة ١٣٨٢هـ، ص ٤٧٨.

تميم بن حذلم بالحاء المهملة والدال المعجمة وزان جعفر ـ ويقال حذيم ـ الناجي الضبي. الكوفي، أبو سلمة، شهد مع عليّ وكان من خواصه. قال ابن حجر: «ثقة، مات سنة مائة». (تهذيب التهذيب والتقريب). والجنبة، بكسر النون المشدّدة: ميمنة الجيش وميسرته؛ وبفتحها: مقدمة الجيش.

فبعث عليّ يزيد بن هانئ إلى الأشتر يستدعيه.

فقال الأشتر: ليست هذه الساعة الّتي ينبغي لك أن تزيلني عن موقفي، إنّي قد رجوت أن يفتح الله لي، فرجع يزيد فأخبره وارتفعت الأصوات وارتفع الرهج من ناحية الأشتر.

فقالوا: والله ما نراك إلّا أمرته أن يقاتل.

فقال عليّ: هل رأيتموني ساررته؟ أليس كلّمته علىٰ رؤوسكم وأنتم تسمعون؟

قالوا: فابعث إليه فليأتك وإلّا والله اعتزلناك. فقال له:

ويلك يا يزيد! قل له أقبل إلي فإنّ الفتنة قد وقعت، فأبلغه ذلك، فقال الأشتر: ألرفع المصاحف؟

قال: نعم، قال: والله لقد ظننت أنّها ستوقع اختلافاً وفرقة، إنّها مشورة ابن العاهر، ألا ترى إلى الفتح؟ ألا ترىٰ ما يلقون؟ ألا ترىٰ ما صنع الله لنا؟ لن ينبغي أن أدع هؤلاء وأنصرف عنهم.

فقال له يزيد: أتحبّ أن تظفر وأمير المؤمنين يسلّم إلىٰ عدوّه أو يقتل؟

قال: لا والله، سبحان الله، فأعلمه بقولهم، فأقبل إليهم الأشتر، وقال: يا أهل العراق يا أهل الذل والوهن؛ أحينَ علوتم القوم وظنّوا أنّكم لهم قاهرون، رفعوا المصاحف يدعونكم إلىٰ ما فيها وهم والله قد تركوا ما أمر الله به فيها وسنّة من أُنزلت عليه؟ فأمهلوني فواقاً، فإنّي قد أحسست بالفتح.

قالوا: لا.

قال: أمهلوني عدو الفرس فإني قد طمعت في النصر.

قالوا: إذاً ندخل معك في خطيئتك.

قال: فخبروني عنكم متىٰ كنتم محقين، أحين تقاتلون وخياركم يقتلون؟

فأنتم الآن إذا أمسكتم عن القتال مبطلون، أم أنتم الآن محقون، فقتلاكم الّذين لا تنكرون فضلهم وهم خير منكم في النار!

قالوا: دعنا منك يا أشتر قاتلناهم لله وندع قتالهم لله.

قال: خدعتم وانخدعتم، ودعيتم إلىٰ وضع الحرب فأجبتم، يا أصحاب الجباه السود، كنّا نظن صلاتكم زهادة في الدنـيا وشوقاً إلىٰ لقاء الله فلا أرىٰ مرادكم إلّا الدنيا، ألا قبحاً يا أشباه النيب الجلالة ما أنتم برائين بعدها عزاً أبداً فابعدوا كما بعد القوم الظالمون، فسبّوه وسبّهم وضربوا وجه دابته بسياطهم وضرب وجوه دوابهم بسوطه. فصاح به وبهم عليّ فكفوا.

وقال الناس: قد قبلنا أن نجعل القرآن بيننا وبينهم حكماً، فجاء الأشعث ابن قيس إلىٰ عليّ، فقال: أرى الناس قد رضوا بما دعوهم إليه من حكم القرآن فإن شئت أتيت معاوية فسألته ما يريد؟

قال: ائته. فأتاه فقال لمـعاوية: لأيّ شيء رفعتم هذه المصاحف؟ قال: لنرجع نحن وأنتم إلى ما أمر الله به في كتابه؛ تبعثون رجلاً ترضون به، ونبعث نحن رجلاً نرضىٰ به، نأخذ عليهما أن يعملا بما في كتاب الله لا يعدوانه ثمّ نتبع ما اتّفقا عليه.

قال له الأشعث: هذا الحق، فعاد إلىٰ عليّ، فأخبره.

فقال الناس: قد رضينا وقبلنا.

فقال أهل الشام: قد رضينا عَمْراً.

وقال الأشعث وأولئك القوم الّذين صاروا خوارج: إنّا قـد رضـينا بأبي موسى الأشعري.

فقال عليّ: قد عصيتموني في أوّل الأمر فلا تعصوني الآن، لا أرىٰ أن أُولي أبا موسىٰ.

فقال الأشعث وزيد بن حصين ومسعر بن فدكي: لا نرضىٰ إلّا به، فإنّه قد حذّرنا ما وقعنا فيه.

قال عليّ: فانّه ليس بثقة؛ قد فارقني، وخذّل الناس عنّي ثمّ هرب منّي حتّىٰ أمنته بعد أشهر، ولكن هذا ابن عباس أُوليه ذلك.

قالوا: والله لا نبالي أنت كنت أم ابن عباس، لا نريد إلّا رجلاً هو منك ومن معاوية سواء.

قال: فإنّي أجعل الأشتر.

قالوا: وهل سعر الأرض غير الأشتر.

فقال: قد أبيتم إلّا موسىٰ؟

قالوا: نعم.

قال: فاصنعوا ما أردتم.

فبعثوا إليه وقد اعتزل القتال وهو بعرض، فأتاه مولىٰ له.

فقال: إنّ الناس قد اصطلحوا، فقال: الحمد لله، قال: قد جعلوك حكماً، قال إنّا لله وإنّا إليه راجعون، وجاء أبو موسىٰ حتىٰ دخل العسكر وجاء الأشتر عليّاً.

فقال: ألزّني بعمرو بن العاص، فوالله لئن ملأت عيني منه لأقتلنّه.

وجاء الأحنف بن قيس.

فقال: يا أمير المؤمنين! انّك قد رميت بحجر الأرض وإنّي قد عجنت أبا موسىٰ وحلبت أشطره فوجدته كليل الشفرة قريب القمر، وانّه لا يصلح لهؤلاء القوم إلّا رجل يدنو منهم حتىٰ يصير في أكفهم ويبعد حتىٰ يصير بمنزلة النجم منهم، فإن أبيت أن تجعلني حكماً فاجعلني ثانياً أو ثالثاً فإنّه لم يعقد عقدة إلّا حللتها ولا يحل عقدة أعقدها لك إلّا عقدت أُخرىٰ أحكم منها، فأبى الناس إلّا أبا موسىٰ والرضا بالكتاب.

فقال الأحنف: إن أبيتم إلّا أبا موسىٰ فأدفئوا ظهره بالرِّجال، وحضر عمرو بن العاص عند عليّ ليكتب القضية بحضوره فكتبوا:

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم، هذا ما تقاضىٰ عليه أمير المؤمنين.

فقال عمرو: هو أميركم وأما أميرنا فلا.

فقال الأحنف: لاتمح اسم أمير المؤمنين، فإنِّي أخاف إن محوتها أن لاترجع إليك أبداً، لاتمحها وإن قتل الناس بعضهم بعضاً، فأبىٰ ذلك عليٌّ مليّاً من النهار، ثمّ أنّ الأشعث بن قيس قال: امح هذا الاسم فمحاه.

فقال عليّ: الله أكبر، سنّة بسنّة، والله إنِّي لكاتب رسول الله (ص) يوم الحديبية فكتب: محمّد رسول الله (ص)، وقالوا لست برسول الله، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك، فأمرني رسول الله (ص) بمحوه فقلت: لا أستطيع، فقال: أرنيه فأريته فمحاه بيده وقال انّك ستدعى إلىٰ مثلها فتجيب.

فقال عمرو: سبحان الله أنشبّه بالكفار ونحن مؤمنون.

فقال عليّ: يا ابن النابغة ومتىٰ لم تكن للفاسقين وليّاً وللمؤمنين عدواً.

فقال عمرو: والله لايجمع بيني وبينك مجلس بعد هذا اليوم أبداً.

فقال عليّ: إنِّي لأرجو ان يطهر الله مجلسي منك ومن أشباهك، وكتب الكتاب:

هذا ما تقاضىٰ عليه عليّ بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان قاضىٰ عليّ علىٰ أهل الكوفة ومن معهم وقاضىٰ معاوية علىٰ أهل الشام ومن معهم انّنا ننزل عند حكم الله وكتابه وأن لايجمع بيننا غيره وان كتاب الله بيننا من فاتحته إلىٰ خاتمته نحيي ما أحيىٰ ونميت ما أمات، فما وجد الحكمان في كتاب الله وهما أبو موسىٰ عبدالله بن قيس وعمرو بن العاص عملا به وما لم يجداه في كتاب الله، فالسنّة العادلة الجامعة غير المفرِّقة، وأخذ الحكمان من عليّ ومعاوية ومن

الجندين من العهود والمواثيق انّهما آمنان علىٰ أنفسهما وأهليهما والأُمّة لهما أنصار على الّذي يتقاضيان عليه، وعلىٰ عبدالله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه أن يحكما بين هذه الأُمّة لا يردّانها في حرب ولا فرقة حتّىٰ يعصيا وأجل القضاء إلىٰ رمضــان، وان أحبّا أن يؤخّرا ذلك أخّراه، وانّ مكان قضيتهما مكان عدل بين أهل الكوفة وأهل الشام.

وشهد الأشعث بن قيس وسعيد بن قيس الهمداني وورقاء بن سمي البجلي وعبدالله بن محل العجلي وحجر بن عدي الكندي وعبدالله بن الطفيل العامري وعقبة بن زياد الحضرمي ويزيد بن حجبة التميمي ومالك بن كعب الهــمداني، ومن أصحاب معاوية أبو الأعور السلمي وحبيب بن مسلمة وزمل بن عمرو العذري وحمرة بن مالك الهمداني وعبدالرّحمٰن بن خالد المخزومي وسبيع بن يزيد الأنصاري وعتبة بن أبي سفيان ويزيد بن الحر العبسي.

وقيل للأشتر ليكتب فيها فقال: لا صحبتني يميني ولا نفعتني بعدها شمالي إن خط لي في هذه الصحيفة ولست علىٰ بينة من ربّي من ضلال عدوي، أَوَلستم قد رأيتم الظفر؟

فقال له الأشعث: والله ما رأيت ظفراً، هلمّ إلينا لا رغبة بك عنا، فقال: بلىٰ والله الرغبة عنك في الدنيا للدنيا وفي الآخرة للآخرة، لقد سفك الله بسيفي دماء رجال ما أنتَ خير عندي منهم ولا أحرم دماً.

قال: فكأنّما قصع الله علىٰ أنف الأشعث الحمم.

وخرج الأشعث بالكتاب يقرأه على الناس حتّىٰ مر علىٰ طائفــة من بني تميم فيهم عروة بن ادية أخو أبي بلال فقرأه عليهم فقال عروة: تحكّمون في أمر الله الرِّجال، لا حكم إلّا لله، ثمّ شدّ بسيفه فضرب به عجز دابة الأشعث ضربة خفيفة واندفعت الدابة وصاح به أصحاب الأشعث فرجع، وغضب للأشعث قومه وناس كثير من أهل اليمن، فمشى اليه الأحنف بن قيس ومسعر بن فدكي وناس

من تميم فاعتذروا فقبل وشكر. وكتب الكتاب يوم الاربعاء لثلاث عشرة خلت من صفر سنة سبع وثلاثين.

واتفقوا علىٰ ان يوافي أمير المؤمنين علىٰ موضع الحكمين بدومة الجندل أو باذرح في شهر رمضان، وقيل لعليّ: انّ الأشتر لا يقرّ بما في الصحيفة ولا يرىٰ إلّا قتال القوم.

فقال عليّ: وانا والله ما رضيت ولا احببت ان ترضوا فإذا أبيتم إلّا ان ترضوا فقد رضيت وإذ رضيت فلا يصلح الرجوع بعد الرضا ولا التبديل بعد الإقرار إلّا ان يعصى الله ويتعدىٰ كتابه فقاتلوا من ترك أمر الله، وأمّا الّذي ذكرتم من تركه أمري وما أنا عليه فليس من أُولئك فلست أخاف علىٰ ذلك، يا ليت فيكم مثله اثنين، يا ليت فيكم مثله واحداً يرىٰ في عدوّي ما أرىٰ، إذاً لخفّت عليَّ مؤونتكم ورجوت أن يستقيم لي بعض أودكم وقد نهيتكم فعصيتموني، فكنت أنا وأنتم كما قال أخو هوازن:

وهل أنا إلّا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد

والله لقد فعلتم فعلة ضعضعت قوة وأسقطت منة وأورثت وهناً وذلّة، ولمّا كنتم الأعلين وخاف عدوّكم الإجتياح وأستحرّ بهم القتل ووجدوا ألم الجراح رفعوا المصاحف فدعوكم إلىٰ ما فيها ليفتنوكم عنهم ويقطعوا الحرب ويتربصوا بكم المنون خديعة ومكيدة، فأعطيتموهم ما سألوا وأبيتم إلّا أن تدهنوا وتجيروا وأيم الله ما أظنكم بعدها توفقون الرشد ولا تصيبون باب الحزم.

ثمّ رجع الناس عن صفين، فلمّا رجع عليّ خالفت الحرورية وخرجت، وكان ذلك أوّل ما ظهرت وأنكرت تحكيم الرجال، ورجعوا علىٰ غير الطريق الذي أقبلوا فيه أخذوا علىٰ طريق البرّ وعادوا وهم أعداء متباغضون وقد فشا فيهم التحكيم يقطعون الطريق بالتشاتم والتضارب بالسياط. يقول الخوارج يا

أعداء الله ادهنتم في أمر الله، ويقول الآخرون فارقتم إمامنا وفرقتم جماعتنا[1].

وقال:

ولمّا رجع عليّ من صفين فارقه الخوارج، وأتوا حروراء، فنزل بها منهم اثنا عشر ألفاً ونادىٰ مناديهم انّ أمير القتال شبث بن ربعي التميمي، وأمير الصلاة عبدالله بن الكوّاء اليشكري، والأمر شورىٰ بعد الفتح والبيعة لله عزّ وجلّ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[2].

كان ذلكم لفظ ابن الأثير ونورد باقي الخبر من ترجمة الإمام عليّ بتاريخ ابن عساكر؛ روىٰ بسنده وقال:

أنّ عليّاً لما كاتب معاوية وحكّم الحكمين خرج عليه ثمانية آلاف من قراء الناس حتىٰ نزلوا بأرض يقال لها حروراء من جانب الكوفة عتبوا عليه وقالوا: انسلخت من قميص ألبسك الله واسم سمّاك الله به، ثمّ انطلقت فحكّمت في دين الله الرجال، فلا حكم إلّا لله.

فلمّا أن بلغ عليّاً ما عتبوا عليه وفارقوا أمره، أذن مؤذن أن لا يدخل علىٰ أمير المؤمنين إلّا رجل قد قرأ القرآن، فلما امتلأت الدار من قراء الناس جاء بالمصحف إماماً عظيماً، فوضعه عليّ بين يديه فطفق يحركه بيده ويقول: أيها المصحف حدّث الناس!!! فناداه الناس: ما تسأل عنه؟ إنّما هو مدادٌ وورق ونحن نتكلّم بما روينا منه فماذا تريد؟ فقال: أصحابكم الّذين خرجوا بيني وبينهم كتاب الله، يقول الله في كتابه في امرأة ورجل:

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحاً يُوَفِّقِ ٱللهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً﴾. (النّساء / ٣٥)

---

(١) بايجاز الطّبري من تاريخه، ط. أوربا ١ / ٣٣٢٩ ـ ٣٣٤٩.

(٢) تاريخ الكامل لابن الأثير ٣ / ١٢٦ ـ ١٣٠.

فأُمّة محمّد (ص) أعظم حقاً وحرمة من امرأة ورجل، ونقموا[1] عليَّ أنّي كاتبتُ معاوية وكتبتُ عليّ بن أبي طالب، وقد جاءنا سهيل بن عمرو ونحن مع رسول الله (ص) بالحديبية حين صالح قومه قريشاً فكتب رسول الله (ص): بسم الله الرّحمٰن الرّحيم، قال سهيل: لا أكتب كذا بسم الله الرّحمٰن الرّحيم. فقال: كيف تكتب؟ فقال: بسمك اللّهمّ. فقال رسول الله (ص): اكتب محمّد رسول الله. فقال: لو نعلم أنّك رسول الله ما خالفناك. فكتب هذا ما صالحَ عليه محمّد بن عبدالله قريشاً. يقول الله في كتابه:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَٱلْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ ٱللهَ كَثِيراً﴾ (الأحزاب / ٢١)[2].

ولمّا كان الّذين أقاموا حرب الجمل وصفين على الإمام عليّ هم رجالات قريش وعادوا الإمام بسبب الغائه امتيازاتهم الّتي حصلوا عليها بعد رسول الله (ص) وتسويتهم مع غيرهم من المسلمين كما مرّ بنا بعض ذلك واستمر في مدّة حكمه في الكوفة علىٰ نفس النهج، وقد ذكروا في سياسته في المال ما رواه الثقفي في كتاب الغارات وقال:

عن عليّ (ع) قال: كان خليلي رسول الله (ص) لا يحبس شيئاً لغدٍ، وكان أبو بكر يفعل ذلك وقد رأىٰ عمر بن الخطاب في ذلك رأياً أنْ دوّن الدّواوين وأخّر المال من سنة إلىٰ سنة، وأمّا أنا فأصنع كما صنع خليلي رسول الله (ص)[3].

وقال: إنّ عليّاً (ع) كان ينضح بيت المال ثمّ يتنفل فيه ويقول: إشهد لي

---

(١) ونقموا ـ في النص ـ: نقما والصواب كما أثبتناه من مصورة المجمع العلمي الإسلامي ١٢ / ٢ ورقة ١٨٢ / أ.

(٢) تاريخ ابن عساكر، ترجمة الإمام عليّ (ع) ٣ / ١٥٣ ـ ١٥٤، الحديث ١١٩٤.

(٣) الغارات للثقفي، ط. بيروت سنة ١٤٠٧هـ، ص ٣٢، وط. طهران، ص ٤٨.

يوم القيامة أنّي لم أحبس فيك المال على المسلمين[1].

وقال: أتىٰ عليّاً (ع) مالٌ من اصفهان فقسمه فوجد فيه رغيفاً، فكسره سبع كُسرٍ ثمّ جعل علىٰ كلّ جزءٍ منه كُسرةً ثمّ دعا أُمراء الاسباع فأقرع بينهم أيّهم يعطيه أوّلاً وكانت الكوفة يومئذٍ أسباعاً[2].

ورویٰ ان الشّعبي قال: دخلت الرّحبة وأنا غلام في غلمان، فإذا أنا بأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب(ع) قائماً علىٰ صبرتين من ذهب وفضة ومعه مخفقة فجعل يطرد النّاس بمخفقته ثمّ يرجع إلى المال فيقسمه بين النّاس حتّىٰ لم يبق منه شيءٌ ورجع ولم يحمل إلىٰ بيته منه شيئاً، فرجعت إلىٰ أبي فقلت: لقد رأيت اليوم خير النّاس أو أحمق النّاس، قال: ومن هو يا بنيَّ؟

قلت: رأيت أمير المؤمنين عليّاً (ع)، فقصصت عليه الّذي رأيته يصنع، فبكىٰ وقال: يا بنيّ بل رأيت خير النّاس[3].

وقال: كان عليّ (ع) يقسم فينا الأبزار، يصرّه صرراً والحرف والكمون وكذا وكذا[4].

وفي الغارات للثقفي:

---

(١) الغارات ص ٣٣، وفي ط. طهران، ص ٥٠.

(٢) الغارات ص ٣٤، وفي ط. طهران، ص ٥٠.

(٣) الغارات ص ٣٦، وط. طهران، ص ٥٥؛ وشرح نهج البلاغة ١ / ١٨٠.

والشعبي هو أبو عمرو عامر بن شراحيل بن عبد أو عامر بن عبدالله بن شراحيل الشعبي ـ من شعب همدان ـ الحميري الكوفي الفقيه المعروف (انظر تهذيب التهذيب ٥ / ٦٥ وجامع الرواة ١ / ٤٢٧).

(٤) الغارات، ص ٣٨، وفي ط. طهران، ص ٦٠.

والأبزار جمع بزر وهو كل حب ينثر للنبات أو المراد به ما يطيب به الغذاء، والحرف ـ بالضم ـ حبّ الرّشاد، والكمون كتنور: حبّ معروف.

قدم عقيل علىٰ عليٍّ (ع) وهو جالسٌ في صحن مسجد الكوفـة، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله.

قال: وعليك السلام يا أبا يزيد.

ثمّ التفت إلى الحسن بن عليٍّ فقال: قم وأنزل عمّك. فذهب بـه فأنـزله وعاد إليه، فقال له: اشتر له قميصاً جديداً وإزاراً جديداً ونعلاً جديدة فغدا علىٰ عليٍّ (ع) في الثياب، فقال: السّلام عليك يا أمير المؤمنين.

قال: وعليك السلام يا أبا يزيد.

قال: يا أمير المؤمنين! ما أراك أصبت من الدّنيا شيئاً إلّا هذه الحصباء؟!

قال: يا أبا يزيد يخرج عطائي فأُعطيكه... الحديث[1].

وقال: قال عبدالله بن جعفر بن أبي طالب لعليّ (ع): يا أمير المؤمنين! لو أمرت لي بمعونة أو نفقة فوالله ما عندي إلّا أن أبيع بعض علوفتي.

قال له: لا والله ما أجد لك شيئاً إلّا أن تأمر عمّك أن يسرق فيعطيك[2].

كان عليّ (ع) يقول: يا أهل الكوفـة! إذا أنا خرجت من عنـدكم بـغير

---

(١) الغارات، باب سيرة عليّ (ع) في المال، وفي الأصل (فأُعطيكاه) تحـريف، ص ٤١، وط. طهران، ص ٦٤.

(٢) الغارات ص ٤٣، وط. طهران، ص ٦٧.

(علوفتي) والعلوفة: الناقة أو الشاة تعلفها ولا ترسلها يستوي بهذا الاسم الواحد والجميع.

عبدالله بن جعفر بن أبي طالب. يكنّىٰ أبا جعفر، أمّه أسماء بنت عميس ولدته بالحبشة وهو أوّل مولود في الإسلام بأرض الحبشة، وقدم مع أبيه المدينة وحفظ عن رسـول الله (ص) وروىٰ عـنه وكان كريماً جواداً حليماً يُسمّىٰ بحر الجود وقطب السّخاء، وأخباره في جوده وحلمه وكرمه كثيرة لا تحصىٰ، توفِّي سنة ٨٠ عام الحجاف (وعام الحجاف سمِّي بذلك لأنّه جاء سيل عظيم ببطن مكّة فحجف الحاج وذهب بالإبل عليها أحمالها)، ودُفن بالبقيع وقيل: توفِّي سنة أربع أو خمس وثمانين وله تسعون سنة (الإستيعاب ٢ / ٢٥٧، أُسد الغابة ٣ / ١٣٤، الإصابة، حرف العين، ق ١).

رحلي وراحلتي وغلامي فأنا خائن، وكانت نفقته تأتيه من غلّته بالمدينة من ينبع. وكان يطعم الناس الخبز واللحم ويأكل هو الثريد بالزيت ويكللها بالتمر من العجوة، وكان ذلك طعامه، وزعموا أنّه كان يقسم ما في بيت المال فلا يأتي الجمعة وفي بيت المال شيءٌ، ويأمر ببيت المال في كلّ عشيّة خميس فينضح بالماء ثمّ يصلّي فيه ركعتين[1].

وأنّه كان يضع يده علىٰ بطنه ويقول: والّذي فلق الحبّة وبرأ النسمة لا تنطوي ثميلتي علىٰ قلّةٍ من خيانة، ولأخرجنّ منها خميصاً[2].

وروىٰ عن أبي رجاء[*] أنّه قال: ان عليّاً (ع) أخرج سيفاً له إلى السّوق فقال: مَنْ يشتري منّي هذا؟ فلو كان معي ثمن إزار ما بعته.

قال أبو رجاء فقلت له: يا أمير المؤمنين! أنا أبيعك إزاراً وأُنسئك ثمنه إلىٰ عطائك فبعته إزاراً إلىٰ عطائه، فلمّا قبض عطاءه أعطاني حقّي[3].

تقسيم الإمام عليّ بالسويّة وغضب الأشراف من ذلك:

روى الثقفي بسنده وقال:

---

(١) الغارات، ص ٤٥، و ط. طهران، ص٦٩. وفي معجم البلدان: «ينبع حصن به نخيل وماء وزروع وبها وقوف لعلي بن أبي طالب (رض)». وفي مجمع البحرين: «قيل لمّا قسم رسول الله (ص) الفيء أصاب عليّ (ع) أرضاً فاحتفر عيناً فخرج ماء ينبع في الماء كهيئة عنق البعير فسماها ينبع».

العجوة ـ بفتح العين وسكون الجيم ـ ضرب من أجود التمر بالمدينة ونخلتها تسمىٰ لينة بكسر اللّام.

(٢) الغارات، ص ٤٠، وط. طهران، ص ٦٣.

والثميلة ـ كسفينة ـ: ما يكون فيه الطعام والشراب من الجوف، والخميص: الجائع، يُقال: خمص إذا جاع فهو خميص.

(*) هو أبو رجاء التيمي من تيم الرباب الضبي.

(٣) نفس المصدر السابق.

إنّ امرأتين أتتا عليّاً (ع) عند القسمة إحداهما من العرب والأُخرىٰ من الموالي، فأعطىٰ كلّ واحدة خمسة وعشرين درهماً وكرّاً من الطّعام، فقالت العربيّة: يا أمير المؤمنين! إنّي من العرب وهذه امرأةٌ من العجم؟! فقال عليٌّ (ع): إنّي لا أجد لبني إسماعيل في هذا الفيء فضلاً علىٰ بني إسحاق[1].

وقال: كان الإمام عليّ (ع) يخطب فجاء الأشعث، فجعل يتخطى الناس فقال: يا أمير المؤمنين! غلبتنا هذه الحمراء علىٰ وجهك، فغضب، فقال ابن صوحان: ليبين اليوم من أمر العرب ما كان يخفىٰ، فقال عليٌّ (ع):

مَنْ يعذرني من هؤلاء الضّياطرة، يقبل أحدهم يتقلّب علىٰ حشاياه ويهجد قومٌ لذكر الله؟! فيأمرني أن أطردهم فأكون من الظالمين؟

والّذي فلق الحبّة وبرأ النسمة، لقد سمعت رسول الله محمّداً (ص) يقول: (ليضربنّكم والله على الدين عوداً كما ضربتموهم عليه بدءاً).

قال المغيرة: كان عليٌّ (ع) أميل إلى الموالي وألطف بهم، وكان عمر أشدّ تباعداً منهم.

عن النعمان بن سعد قال: رأيت عليّاً (ع) على المنبر يقول: أين الثمودي؟ فطلع الأشعث؛ فأخذ كفّاً من الحصىٰ وضرب وجهه فأدماه وانجفل، وانجفل الناس معه ويقول: ترحاً لهذا الوجه، ترحاً لهذا الوجه[2].

---

(١) الغارات، ص ٣٤١، وط. طهران، ص ٧٠.

(٢) شرح نهج البلاغة لمحمّد عبده ٤ / ٥٤٤، ط. مصر؛ والغارات ط. طهران، ص ٥٠١.

الحمراء: الموالي، قال ابن الأثير في النهاية، مادّة حمر في حديث عليّ: غلبتنا عليك هذه الحمراء يعنون العجم والروم، والعرب تسمي الموالي: الحمراء.

قال ابن الأثير في النهاية، مادّة ضيطر، بعد أن ذكر حديث الإمام: «الضياطرة: الضخام الّذين لا غناء عندهم، الواحد ضيطار»، والحشايا: الفراش واحدها حشيّة بالتشديد.

والمراد المغيرة الضّبّي. وانجفل الناس: أسرعوا الهرب. والمراد بالترح هنا الهلاك والإنقطاع.

وقال: كان أشراف أهل الكوفة غاشّين لعليّ(ع) وكان هواهم مع معاوية، وذلك أنّ عليّاً كان لا يعطي أحداً من الفيء أكثر من حقّه، وكان معاوية بن أبي سفيان جعل الشّرف في العطاء ألفي درهمٍ[1].

وقال ما موجزه:

خاطب معاوية من عنده من أهل الشام وقال: يا أهل الشّام قد عرفتم حبي لكم، وسيرتي فيكم، وقد بلغكم صنيع عليّ بالعراق، وتسويته بين الشّريف وبين من لا يُعرف قدره.

فقال رجلٌ منهم: لا يهدُّ الله ركنك، ولا يهيض جناحك، ولا يعدمك ولدك، ولا يرينا فقدك.

فقال: فما تقولون في أبي تراب؟ قال: فقال كلُّ رجلٍ منهم ما أراد، ومعاوية ساكتٌ وعنده عمرو بن العاص ومروان بن الحكم فتذاكرا عليّاً (ع) بغير الحق... الحديث[2].

وقال:

حدّثنا محمّد قال: حدّثنا الحسن قال: حدّثنا إبراهيم قال: وحدّثني عبدالله ابن محمّد بن عثمان الثقفي قال: حدّثنا عليّ بن محمّد بن أبي سيف عن فضيل بن الجعد عن مولى الأشتر قال: شكا عليّ (ع) إلى الأشتر فرار النّاس إلىٰ معاوية، فقال الأشتر: يا أمير المؤمنين! إنّا قاتلنا أهل البصرة بأهل البصرة وأهل الكوفة والرأي واحد وقد اختلفوا بعد، وتعادوا وضعفت النيّة وقلّ العدد، وأنت تأخذهم بالعدل وتعمل فيهم بالحقّ وتنصف الوضيع من الشّريف، وليس للشّريف عندك فضل منزلةٍ على الوضيع، فضجّت طائفة ممّن معك من الحق إذ عمّوا به، واغتمّوا

---

(١) الغارات، ص ٢٩، وط. طهران، ص ٤٤ ـ ٤٥.

(٢) الغارات، ص ٣٧٧، وراجع تمام الخبر في الكتاب.

من العدل إذ صاروا فيه، وصارت صنائع معاوية عند أهل الغنىٰ والشّرف؛ فتاقت أنفس النّاس إلى الدّنيا وقلّ من النّاس مَن ليس للدنيا بصاحب، وأكثرهم من يجتوي الحقّ ويستمرئ[1] الباطل ويؤثر الدُّنيا، فإن تبذل المال يا أمير المؤمنين، تمل إليك أعناق النّاس وتَصْفُ نصيحتهم وتستخلص ودّهم، صنع الله لك[2] يا أمير المؤمنين وكَبَتَ[3] عدوّك وفضّ جمعهم وأوهن كيدهم وشتّت أُمورهم إنّه بما يعملون خبير.

فأجابه عليّ (ع)، فحمد الله وأثنىٰ عليه وقال: أمّا ما ذكرت من عملنا وسيرتنا بالعدل؛ فإنّ الله يقول: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[4] وأنا من أن أكون مقصّراً في ما ذكرت أخوف.

وأمّا ما ذكرت من أنّ الحقّ ثقل عليهم ففارقونا لذلك، فقد علم الله أنّهم لم يفارقونا من جور، ولم يدعوا[5] ـ إذ فارقونا ـ إلىٰ عدل، ولم يلتمسوا إلّا دنياً زائلة عنهم كأن قد فارقوها، وليُسألنّ يوم القيامة: أَلِلدّنيا أرادوا، أم لله عملوا؟!

وأمّا ما ذكرت من بذل الأموال واصطناع الرّجال[6]، فإنّا لا يسعنا أن نؤتي امرأً من الفيء أكثر من حقّه، وقد قال الله وقوله الحقّ: ﴿كَمْ مِن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللهِ وَٱللهُ مَعَ ٱلصَّابِرِينَ﴾[7] وبعث الله محمّداً (ص) وحده فكثّره بعد القلّة، وأعزّ فئته بعد الذلّة، وإن يرد الله أن يولّينا هذا الأمر يذلّل لنا

---

(١) يجتوي: يكره، ويستمرئ: يجد مريئاً أي هنيئاً سائغاً.

(٢) صنع الله للعبد: ما يفعله سبحانه له من الخير.

(٣) كبت الله العدو كبتاً: أذله وأهانه، وبابه ضرب.

(٤) سورة فصلّت / ٤٦.

(٥) ظ «ولم يلجأوا»، وفي شرح نهج البلاغة، م ١ / ١٨٠ «ولا لجأُوا إذ فارقونا».

(٦) الإصطناع ـ هنا ـ: الإستمالة بالمال.

(٧) سورة البقرة / ٢٤٩.

صعبه ويسهّل لنا حَزنه، وأنا قابلٌ من رأيك ما كان لله رضا، وأنت من آمن أصحابي وأوثقهم في نفسي وأنصحهم وأرآهم[1] عندي.

وقال: إنّ طائفة من أصحاب عليّ (ع) مشوا إليه فقالوا: يا أمير المؤمنين! أعط هذه الأموال وفضّل هؤلاء الأشراف من العرب وقريشٍ على الموالي والعجم ومَنْ تخاف خلافه من النّاس وفراره.

قال: وإنّما قالوا له ذلك، للّذي كان معاوية يصنع بمن أتاه، فقال لهم عليّ: (ع) أتأمرونّي أن أطلب النّصر بالجور؟! والله لا أفعل ما طلعت شمسٌ وما لاحَ في السّماء نجم، والله لو كان مالهم لي لواسيت[2] بينهم، فكيف وإنّما هي أموالهم... الحديث[3].

وقد كان النّاس كرهوا عليّاً، ودخلهم الشّك والفتنة، وركنوا إلى الدُّنيا، وقلّ مناصحوه، فكان أهل البصرة علىٰ خلافه والبغض له، وجلُّ أهل الكوفة وقرّاؤهم، وأهل الحجاز واهل الشام وقريشٌ كلّها[4].

وبما أنّ قريشاً هي الّتي بدأت في قتاله، وحرضت الناس عليه وقادتهم في حرب الجمل وصفين، ثمّ بعث معاوية مَن شنّ الغارة علىٰ اطراف البلاد الّتي كانت تحت حكم الإمام مثل عبدالله بن عامر الحضرمي الّذي بعثه إلى البصرة وسفيان بن قيس الغامدي إلى الأنبار والنعمان بن بشير إلى الأنبار والضحّاك بن قيس الفهري إلى الحيرة وبسر بن أبي أرطأة إلىٰ مكّة والمدينة واليمن[5] فتزعزع

---

(١) وأرآهم: أسدهم رأياً.

(٢) والمواساة بالشيء: الاشتراك فيه، يقال: آساه بماله مواساة أي جعله أُسوته فيه، كما يقال: واساه أيضاً.

(٣) الغارات، ص ٤٧ـ٤٨، وط. طهران، ص ٧١ ـ ٧٥.

(٤) الغارات، ص ٤٨.

(٥) راجع الغارات للثقفي، ص ٣٠٧ فما بعد.

حكم الإمام عليّ، وخرجت الخوارج عليه بنهروان، وتجرّأ الناس عليه، فكان الإمام يشكو قريشاً بمثل قوله (ع):

اللّهمّ إنّي استعديك(*) علىٰ قريشٍ ومَن أعانهم! فإنّهم قطعُوا رَحمي، وصغّروا عظيم منزلتي، وأجمعوا علىٰ مُنازعتي أمراً هو لي[1].

وقال:

اللّهمّ إنّي استعديك علىٰ قريش ومن أعانهم، فانّهم قد قطعوا رحمي، وأكفأوا إنائي[2].

واستعديك: استعينك، واكفاء الاناء أو قلبه مجاز عن تضييع حقه.

وكتب في جواب أخيه عقيل بن أبي طالب:

فدع عنك قريشاً وتركاضهم في الضلال، وتجوالهم في الشِّقاق، وجماحهُم في التِّيه، فإنّهم قد أجمعوا علىٰ حربي كإجماعهم علىٰ حرب رسول الله (ص) قبلي، فجزت قريشاً عنّي الجوازي! فقد قطعوا رحمي، وسلبُوني سُلطان ابن أُمّي[3].

موجز أخبار المجتمع الإسلامي علىٰ عهد الإمام عليّ (ع)

قتل الخليفة عثمان دون أن يعين خليفة من بعده فملك جماهير المسلمين

(*) في الأصل: أستعينك، والصّواب ما أثبتناه، كما قال ذلك محمّد عبده في هامش الخطبة في شرحه لنهج البلاغة.

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٧٠ و ٢١٥، والغارات، ص ٢٠٤ و ٣٩٢.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ١٧٠ و ٢١٥، والغارات، ص ٢٠٤ و ٣٩٢.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد طبعة دار إحياء الكتب العربية ١٦ / ١٤٨، والطبعة المصرية الأُولىٰ ٤ / ٥٥. ونهج البلاغة، شرح محمّد عبده ٣ / ٦٧ ـ ٦٨، (الكتاب / ٣٦).

وتركاضهم: مبالغة في الركض واستعارة لسرعة خواطرهم في الضّلال، وكذلك التجوال من الجول والجولان، والشّقاق: الخلاف، وجماحهم: استعفاؤهم علىٰ سابق الحق، والتيه: الضّلال والغواية، والجوازي: جمع جازية بمعنى المكافأة؛ دعاء عليهم بالجزاء علىٰ أعمالهم.

أمرهم، وهرعوا إلىٰ عليّ يتقدمهم صحابة رسول الله (ص) يطلبون بيعته فأبىٰ عليهم، وألحّت الجماهير عليه، حتى اضطرّ إلىٰ تلبية طلبهم، فسبق الصحابيان طلحة والزّبير إلىٰ بيعته، ليكون لهما الدالّة عليه في حكمه، وبدأ الإمام حكمه بتقسيم بيت المال بالسويّة، وأعطىٰ كلّاً من المهاجرين والأنصار ومواليهم ثلاثة دنانير ولم يفضّل أحداً علىٰ احد في العطاء.

فقال الأنصاري اليماني: هذا غلامي بالأمس وقد اعتقته اليوم، فقال له: نعطيه كما نعطيك.

وعاتبه القرشي المهاجري علىٰ مخالفته عمر بن الخطاب في تقسيم الاموال وقال له قائلهم: انّك جعلت حقّنا في القسم كحقّ غيرنا، وسوّيت بيننا وبين من لا يماثلنا في ما افاء الله علينا بأسيافنا.

فقال: ان ذلك أمر لم احكم به بادئ ذي بدء! قد وجدت أنا وأنتما رسول الله (ص) يحكم بذلك وكتاب الله ناطق به...

وقد ربح الأنصاري اليماني في حكم الإمام ما خسره في السابق، فقد ولّىٰ على المدينة سهل بن حنيف[1]، وعلى البصرة عثمان بن حنيف، وعلىٰ مصر قيس ابن سعد بن عبادة[2]، وفي مقابل ذلك خسر المهاجري القرشي الّذي كان يعيش علىٰ رأس الهرم في النظام الطبقي كلّ امتيازاته، فاتفقت سادات قريش بعضها مع بعض واجتمعوا مع الموتورين من بني أُميّة في مسجد الرسول (ص) وأسرّوا القول في ما بينهم ثمّ اجهروا القول، وطلب بنو أُميّة من الإمام أن يضع عنهم ما أصابوا من المال علىٰ عهد الخليفة عثمان، فقال: ليس لي أن أضع حق الله عنكم ولا عن غيركم.

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي، سنة ست وثلاثين ٢ / ١٤٨.

(٢) تاريخ اليعقوبي (٢ / ١٧٨).

فسكتوا علىٰ مضض وبقي طلحة والزّبير في المدينة أربعة أشهر يراقبان حكم الإمام بعد أن لم يحقق رغبتهما في توليتهما البصرة والكوفة.

وبلغ أخبار المدينة أُمّ المؤمنين عائشة وهي في طريق عودتها من الحج إلى المدينة فرجعت إلىٰ مكة وأظهرت الطلب بدم عثمان وانقلبت من مفتية بقتله إلىٰ طالبة بدمه، فالتحق بها الساخطون على الإمام لتسويته في العطاء من قريش يقدمهم طلحة والزّبير وبنو أُميّة وذهبوا جميعاً إلى البصرة وأقاموا على الإمام حرب الجمل باسم الطلب بدم عثمان، فسار إليهم الإمام من المدينة في جيش جلّه من الأنصار، ولمّا انتصر عليهم في القتال وملك البصرة قسّم ما في بيت المال في البصرة عليهم بالسويّة ولم يفضّل أحداً علىٰ أحد، ثمّ اتجه إلى الكوفة واتخذها عاصمةً لحكمه.

وقادت قريش بزعامة معاوية أهل الشام لحربه في صفين باسم الطلب بدم عثمان، ولمّا بان الإنكسار عليهم، رفعوا القرآن حيلة، يطلبون من الإمام تحكيمه في ما بينهم، فانطلت الحيلة علىٰ جيش الإمام، وأكرهوا الإمام علىٰ قبول التحكيم، وأن يعيّن من قبله أبا موسى الأشعري، وعين معاوية عمرو بن العاص فخدع عمرو أبا موسىٰ فخلع الإمام ومعاوية، وتقدّم بعده عمرو فنصب معاوية وخلع الإمام، فأدرك المتنسكون في جيش الإمام خطأهم، وقالوا: كفرنا بقبولنا التحكيم وتبنا، وكفّروا عامّة المسلمين وأحلّوا دماءهم، فحاربهم الإمام في نهروان وقتل منهم من حضر القتال، وعاد إلى الكوفة.

وألحّ علىٰ تهديم النظام الطبقي الّذي شيّده الخلفاء قبله واعتاده المجتمع الإسلامي في ربع قرن، وساوىٰ في العطاء ذات مرّة بين امرأة من الموالي وأُخرىٰ عربية فقالت: يا أمير المؤمنين! إنّي امرأة من العرب وهذه امرأة من العجم! فقال: إنّي لا أجد لبني إسماعيل ـ أي العرب ـ فضلاً علىٰ بني إسحاق ـ أي العجم ـ، وغضب على الأشعث بن قيس ـ وكان من ملوك كندة في الجاهلية ـ لمّا تخطّى

الموالي مرّة، وتقدّم إلىٰ مجلس أمير المؤمنين، ووبّخه وعنّفه. ولمّا كان معاوية يُفضِّل في العطاء الرؤساء وأهل الشّرف من قبائل العرب علىٰ غيرهم، مالَ الرؤساء إليه وهاجروا إليه، فمشى إلى الإمام أصحابه وقالوا له: يا أمير المؤمنين! فضّل في العطاء الأشراف من العرب وقريش على الموالي والعجم!

فقال: أتأمرونّي أن أطلب النّصر بالجور؟! والله لا أفعل.

هكذا استطاع الإمام أن يهدّم ذلك النظام الطبقي الّذي شيّده الخلفاء قبله واستمرّ زهاء ربع قرن، وأن يعيد إلى المجتمع العدل الإسلامي الإنساني الّذي جاء به الرسول (ص)، وكان ذلكم من خصائص المجتمع الإسلامي في ظل حكم الإمام.

ولمّا كانت قريش علىٰ رأس هرم ذلك النظام الطّبقي، حيث كانت قد حصلت على امتيازات في المجتمع الإسلامي وترىٰ أنّ لها ميزة علىٰ سائر البشر كما يرىٰ بنو إسرائيل أنّ لهم ميزة علىٰ سائر البشر وساواهم الإمام بغيرهم من المسلمين الموالي وغير الموالي، قادت قريش الناس إلىٰ قتاله في الجمل وصفين وفي الغارات علىٰ بلاده.

ومن ثمّ كان الإمام يشكو قريشاً ويذكرهم بذلك ويقول: اللّهمّ إنّي أستعديك علىٰ قريش ومن أعانهم، فإنّهم قطعوا رحمي، وأكفأوا إنائي وأجمعوا علىٰ حربي كإجماعهم علىٰ حرب رسول الله (ص).

أخبار القرآن علىٰ عهد الإمام عليّ(ع)

أ ـ القراءة والإقراء:

بعد أن نجح الخلفاء الثلاثة قبل الإمام عليّ بتجريد القرآن من حديث الرسول (ص) وأوصدوا هذا الباب في وجوه المسلمين، وأمروا بتلاوة النص فقط، فتح وصي الرسول(ص) هذا الباب على مصراعيه، وأعاد أمر اقراء القرآن علىٰ ما كان عليه في عهد الرسول(ص)، وحث علىٰ نشر حديث الرسول (ص)، وحث الناس على السؤال عن القرآن مرّة بعد أُخرىٰ كما نراه في الأخبار الآتية:

دعوة عامّة للسؤال عن تفسير القرآن

أهم أخبار الوصي في دعوته للسؤال عن تفسير القرآن قوله على المنبر: (سلوني...) كما رواه ابن عساكر وغيره، واللّفظ لابن عساكر عن أبي الطفيل قال:

أقبل عليّ بن أبي طالب ذات يوم، حتىٰ صعد المنبر، فحمد الله، وأثنىٰ عليه ثمّ قال: «يا أيُّها الناس! سلوني قبل أن تفقدوني، فوَالله ما بين لوحَي المصحف آية تخفىٰ عليَّ في ما أُنزلت ولا أين نزلت ولا ما عني بها»[1].

---

(١) ترجمة الإمام عليّ(ع) من تاريخ ابن عساكر ٣ / ٢٠.

وأبو الطفيل عامر بن واثلة اللّيثي ولد عام أُحُد (ت ١١٠ هـ)، وهو آخر من مات من الصحابة. أخرج الحديث جميع أصحاب الصحاح. تقريب التهذيب ١ / ٣٨٩.

وفي رواية قال: سمعت عليّاً وهو يخطب الناس، فقال: يا أيُّها الناس! سلوني، فإنّكم لاتجدون أحداً بعدي هو أعلم بما تسألونه منِّي، ولا تجدون أحداً أعلَم بما بين اللّوحين منِّي، فسلوني[1].

وفي ترجمة الإمام عليّ من الإستيعاب وتاريخ ابن عساكر والإصابة، واللفظ للأوّل عن أبي الطفيل قال: شهدت عليّاً يخطب وهو يقول: سلوني فوَالله لا تسألوني عن شيء إلّا أخبرتكم، وسلوني عن كتاب الله فوَالله ما من آية إلّا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل[2].

وروىٰ ابن سعد في الطبقات وابن عساكر بسندين آخرين وقالا: قال عليّ: والله ما نزلت آية إلّا وقد علمت في ما نزلت، وأين نزلت وعلىٰ من نزلت، إنّ ربي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً طلقاً[3].

وروىٰ ابن عساكر عن عمير بن عبدالله، قال: خطبنا عليّ بن أبي طالب علىٰ منبر الكوفة فقال: أيها الناس! سلوني قبل أن تفقدوني فبين الجنبين مني علم جم[4].

وروىٰ ـ أيضاً ـ عن أبي الطفيل قال:

خطب عليّ بن أبي طالب في عامه ـ أي عامه الّذي قتل فيه ـ فقال:

---

(١) ترجمة الإمام عليّ من تاريخ ابن عساكر ٣ / ٢٢.

(٢) ترجمة الإمام عليّ من الإستيعاب ٢ / ٤٦٣، وتاريخ ابن عساكر ٣ / ٢٢، وشواهد التنزيل ١ / ٣١، وأنساب الأشراف ٢ / ٩٩، والإصابة ٤ / ٢٦٩ ـ ٢٧٠.

(٣) طبقات ابن سعد ٢ / ٣٣٨؛ وتاريخ ابن عساكر ٢ / ٢١؛ وحلية الاولياء ١ / ٦٧ـ٦٨؛ وشواهد التنزيل ١ / ٣٣.

(٤) ترجمة الإمام عليّ (ع) من تاريخ ابن عساكر ٣ / ٢٤.

وعمير بن عبدالله الهلالي أبو عبدالله المدني مولىٰ أُمّ الفضل ويقال له مولىٰ ابن عباس، أخرج حديثه البخاري ومسلم وغيرهما. (تقريب التهذيب ٢ / ٨٦).

يا أيُّها الناس! إنّ العلم يقبض قبضاً سريعاً، وإنّي أُوشك أن تفقدوني فاسألوني، فلن تسألوني عن آية من كتاب الله إلّا نبأتكم بها وفيما أُنزلت وانّكم لن تجدوا أحداً من بعدي يحدِّثكم[1].

وروىٰ ابن عساكر عن ابن شبرمة انّه قال: ما كان أحد على المنبر يقول: سلوني عن ما بين اللّوحين إلّا عليّ بن أبي طالب[2].

عن سعيد بن المسيب قال: لم يكن أحد من أصحاب النبيّ (ص) يقول: «سلوني» إلّا عليّ[3].

وذات مرّة تعرض له ابن الكواء كما رواه الطبري وغيره عن أبي الطفيل.

قال: رأيتُ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (رض) قام على المنبر فقال: سلوني قبل أن لا تسألوني ولن تسألوا بعدي مثلي، فوَالله لا تسألوني عن شيء يكون إلىٰ يوم القيامة، إلّا حدثتكم به، سلوني عن كتاب الله، فوَالله ما مِن آية إلّا أنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار، أم في سهل نزلت أم في جبل.

قال: فقام ابن الكواء فقال: يا أمير المؤمنين! ما الذاريات ذرواً؟

قال: ويلك! سَلْ تفقُّهاً، ولا تسَلْ تعنُّتاً.

والذاريات ذرواً: الرياح.

---

(١) ترجمة الإمام عليّ (ع) من تاريخ ابن عساكر ٣ / ٢٠.

(٢) تاريخ ابن عساكر ٣ / ٢٤.

وعبدالله بن شبرمة الضبي (ت ١٤٤ هـ) ثقة فقيه، أخرج حديثه أصحاب الصحاح. تقريب التهذيب ١ / ٤٢٢.

(٣) تاريخ ابن عساكر ٣ / ٢٤.

وسعيد بن المسيب بن حزن المخزومي قال ابن حجر في ترجمته في تهذيب التهذيب ١ / ٣٠٥: أحد العلماء الاثبات. أخرج حديثه جميع أصحاب الصحاح. مات بعد التسعين.

قال: فما الحاملات وقراً؟

قال: السحاب.

قال: فما الجاريات يسراً؟

قال: السفن.

قال: فما المقسمات أمراً؟

قال: الملائكة.

قال: فمن الّذين بدّلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دارَ البوار جهنم؟

قال: منافقو قريش[1].

الإمام يُحيي سنّة الرسول (ص) في إقراء القرآن

في شرح ابن أبي الحديد لنهج البلاغة بسنده عن أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر (ع) قال: كان عليّ (ع) إذا صلّى الفجر لم يزل معقّباً إلىٰ أن تطلع الشمس، فإذا طلعت اجتمع إليه الفقراء والمساكين وغيرهم من الناس فيعلّمهم الفقه

---

(١) قد جاء في تفسير أوّل سورة ﴿والذاريات﴾: وكلّ من كتب الحديث الآتي، ذكر طرفاً من هذه الرواية، فجمعنا بعضها إلى بعض، وأوردناها في سياق واحد في تفسير الذاريات.

تفسير الطبري ٢٦ / ١١٦؛ ومستدرك الحاكم وتلخيصه ٢ / ٤٦٦ ـ ٤٦٧ وصحّحاه.

وفي فتح الباري أخطأ فقد ذكر بدل المقسمات أمراً، والمدبرات امراً ١٠ / ٢٢١؛ وتهذيب التهذيب ٧ / ٣٣٨؛ وكنز العمال ٢ / ٣٥٧.

وابن الكواء: عبدالله بن عمرو اليشكري من عتاة الخوارج، قرأ في صلاة الجماعة جهراً ﴿... لئن أشركت ليحبطنّ عملك ...﴾ الزُّمر / ٦٥. فسكت الإمام حتّىٰ أنهى الآية فاستمر الإمام في قراءته، فأعاد ابن الكواء قراءة الآية جهراً إلىٰ ثلاث مرّات، فقرأ الإمام: ﴿فاصْبر إنّ وعدَ اللهِ حقّ ولا يستخفنّك الّذين لا يوقنون﴾ الروم / ٦٠.

نسبه في جمهرة أنساب العرب، ط. القاهرة عام ١٣٨٢ هـ، ص ٣٠٨؛ والاشتقاق لابن دُريد، ط. القاهرة سنة ١٣٧٨ هـ، ص ٣٤٠؛ والكنىٰ والألقاب، ط. بيروت سنة ١٣٥٢ هـ، ١ / ٢٨٣.

والقرآن وكان له وقت يقوم فيه من مجلسه ذلك[1].

دراسة الخبر:

مرّ بنا في تاريخ القرآن علىٰ عهد الرسول (ص) أنّه كان من سيرته ـ في تعليم القرآن ـ:

أن يعلم أصحابه بمسجده عشر آيات لا يتعدّونها حتىٰ يعلموا ما فيها من العلم والعمل.

وعيّن عبادة بن الصّامت لإقراء الفقراء من أهل الصفّة وكان يرسل القرّاء إلى المسلمين خارج المدينة لتعليمهم القرآن والفقه.

وبناءً علىٰ ذلك كانت سنّته في إقراء القرآن تعليمهم القرآن مع بيان ما فيه من العلم والعمل مع التفقّه في الدِّين. وإنّما يتحقّق ذلك بتعليم ما جاء من حديث الرسول (ص) في بيان القرآن. وعلىٰ عهد الخليفة عمر أمر بتجريد القرآن من حديث الرسول (ص) وتعليمهم تلاوة لفظ القرآن فقط. وبقي الأمر علىٰ ذلك زهاء عشرين عاماً. وعلىٰ عهد الإمام أحييٰ سنّة الرسول (ص) في إقراء القرآن فقام بنفسه بتعليم القرآن والفقه للفقراء وغيرهم بمسجده، وتعليم الفقه مع القرآن يتحقق بتعليم ما جاء من حديث الرسول (ص) في بيان الآيات. وهكذا أحيى الإمام سنّة الرسول (ص) في الإقراء.

وأيضاً شابه مسجده مسجد الرسول (ص) في سماع ضجّة من يقرأ القرآن فيه، كما جاء في كنز العمّال عن كليب قال:

كنت مع عليّ، فسمع ضجّتهم في المسجد يقرأون القرآن فقال: طوبىٰ

---

(١) شرح نهج البلاغة، تحقيق محمّد أبي الفضل إبراهيم، ط. الحلبي، القاهرة سنة ١٣٧٩ هـ ٤ / ١٠٩.

هؤلاء كانوا أحبّ الناس إلىٰ رسول الله (ص)[1].

إهتمام الإمام بأمر القرّاء:

في كنز العمال:

عن عليّ قال: من وُلدَ في الإسلام فقرأ القرآن، فله في بيت المال في كل سنة مائتا دينار، إن أخذها في الدنيا، وإلّا أخذها في الآخرة.

وعن سالم بن أبي الجعد:

أنّ عليّاً فرضَ لمن قرأ القرآن ألفين ألفين[2].

دراسة الأخبار:

علىٰ عهد الخلفاء الثلاثة قبل الإمام، أمروا بتجريد القرآن من حديث الرسول (ص) وبلغ بهم الأمر أن نكّلوا بصبيغ بن عسل، لسؤاله عن معنى (الذاريات ذرواً) بينما الإمام يحرّض المسلمين علىٰ تعلّم تفسير القرآن، وفي ذلك العصر كان تفسير القرآن في ما روي عن رسول الله (ص)، وبناءً علىٰ ذلك فقد كانت سياسة الحكم علىٰ عهد الإمام نشر حديث الرسول (ص).

---

(١) كنز العمال، ط. بيروت سنة ١٤٠٩ هـ ٢ / ٢٨٨، رقم الحديث ٤٠٤٥، وط. حيدر آباد الدكن الثانية ٢ / ١٨٥، رقم الحديث ٢٠٤٣.

وكليب بن وائل بن هبّار التيمي اليشكري الكوفي أخرج حديثه البخاري وأبو داود والترمذي. ترجمته في تهذيب التهذيب ٨ / ٤٤٦ ـ ٤٤٧؛ وتقريب التهذيب ٢ / ١٣٦.

(٢) كنز العمال ٢ / ٣٣٩، الحديث رقم ٤١٨٥ و ٤١٨٦، وطبعة حيدر آباد الدكن الثانية ٢ / ٢١٩.

وسالم بن أبي الجعد واسم الجعد رافع الأشجعي ـ مولاهم ـ الكوفي، تابعي، روىٰ عن الإمام عليّ وصحابة آخرين، ثقة، كثير الحديث (ت: ٩٩ أو ١٠٠ أو ١٠١ هـ) ترجمته بتهذيب التهذيب ٣ / ٤٣٢.

وإنّما سأل ابن الكوّاء عن معنىٰ و(الذاريات ذرواً) وقال له الإمام: ويلك سل تفقهاً لأنّه ظنّ أن تفسير هذه الآية معضلة كان يسأل عنها صبيغ في أجناد المسلمين ولم يتلق جواباً فأراد ان يحرج الإمام بسؤاله عن تفسيرها.

وكان أمثال تفسير قول الإمام للآية: ﴿وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ * جَهَنَّمَ ...﴾ (إبراهيم/٢٨ ـ ٢٩)، (منافقو قريش) هي السبب في تجريد حكومة الخلافة القرشية القرآن من حديث الرسول (ص).

ب ـ أمر تدوين القرآن:

روى السيوطي في الإتقان[1] وقال:

«مرَّ بي عليّ وأنا أكتب مصحفاً، فقال: أُجلُ قلمك.

فقضمت من قلمي، ثمّ جعلت أكتب، فقال: نعم هكذا نوِّره كما نوّره الله».

جلاه: كشف صدأه وصقله، وقضمه: كسره بأطراف أسنانه.

قال المؤلف: ويظهر من الخبر أنّ رأس القلم كان قد تشعّب وكان يكتب الحروف مشوشة ولما كسر رأس القلم الّذي كان من القصب كتب جلياً، وكنا نكتب قديماً بهذا القلم وإذا كتبنا به كثيراً وتشعب رأس القلم قططناه بالسكين فيجلو الخط.

كان هذا إرشاد الإمام في تحسين خط القرآن وكتابته واضحة وجلية، وقد أسّس نظاماً يصان به اللسان عن الخطأ في تلاوة القرآن كالآتي بيانه بحوله تعالىٰ.

---

(١) الإتقان ٢ / ١٧٠.

أسس الإمام نظاماً يصان به القرآن عن الخطأ في التلاوة:

مرّ بنا تصوير قلم المصحف في عصر الرسول (ص) وكيف كانت الحروف فيها مجرّدة من التنقيط والحركات والسكنات الّتي تميّز الحروف عن مثيلاتها، وتبين نوع الإعراب في أواخر الكلمات، ولم يكن العربي يومذاك بحاجة إليها فقد تعلم كل ذلك مع تعلمه النطق والتلفظ وهو في حضن أُمّه، وأتقنها كلّما تقدّمت سنّه ومارس التكلم مع أقرانه، حتىٰ اذا انتشر الإسلام، ودخل فيه أقوام من العجم وسكن من الفرس عشرات الأُلوف في بلد الكوفة المركز الإداري لبلاد فارس واتخذها الإمام عليّ (ع) عاصمة له دعاه ما رآه من حاجة تقويم لسانهم أن يلقي علىٰ تلميذه أبي الأسود أُصول علم النحو تعليماً للفرس، تعليماً لهم ما يقوّم به لسانهم أو حفظاً للعربي من انتشار اللّحن من لسان هؤلاء إلىٰ لسانهم علىٰ مرّ الزمن، وهذا الخبر مشهور بين العلماء.

قال أبو بكر محمّد بن الحسن الزبيدي (ت ٣٧٩ هـ)[١]:

«سُئل أبو الأسود الدؤلي عمّن فتح له الطريق إلى الوضع في النحو، وأرشده اليه فقال: تلقيته من عليّ بن أبي طالب رحمه الله.

وفي حديث آخر قال: ألقىٰ إليّ عليّ أُصولاً احتذيت عليها».

وقال النديم (ت: ٣٨٠ هـ): «إنّ النحو أُخذ عن أبي الأسود الدؤلي وإنّ أبا الأسود أخذ ذلك عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب(ع)، ولمّا ألقى اليه شيئاً في أُصول النحو، قال أبو الأسود: فاستأذنته أن أصنع نحو ما صنع، فسمّي ذلك نحواً»[٢].

---

(١) طبقات النحويين، بترجمة أبي الأسود، ص ١٣.

(٢) الفهرست للنديم، المقالة الثانية، الفن الأوّل من أخبار النحويين، ص ٥٩ ـ ٦٠، وط. الجديدة، ص ٤٥.

وقال ابن خلكان (ت ٦٨١هـ) بترجمة أبي الأسود الدؤلي: (إنّ علياً (رض) وضع له «الكلام كله ثلاثة أضرب: اسم وفعل وحرف» ثمّ دفعه اليه، وقال له: تمّم علىٰ هذا)[1].

وتواتر نقل هذا الخبر بين العلماء وكل نقل طرفاً منه مع اختلاف في اللفظ وبعد دراسة رواياتهم دراسة مقارنة وجدت أصدقهم قولاً أبا الفرج حين قال في الأغاني، أوّل خبر أبي الأسود الدؤلي:

وأملىٰ عليه ـ الإمام علي (ع) ـ الكلام كلّه لا يخرج عن اسم وفعل وحرف جاء لمعنىٰ. قال: وهذا المنقول أوّل كتاب سيبويه. وقال: ثمّ رسم اصول النحو كلها، فنقلها النحويون، وفرعوها، ثمّ قال: هذا حفظته وأنا حديث السن فكتبته من حفظي واللفظ يزيد وينقص وهذا معناه[2].

وفي ترجمة أبي الأسود من تاريخ دمشق لابن عساكر:

قال: كتب معاوية إلىٰ زياد يطلب عبيد الله، فلمّا قدم عليه كلمه، فوجده يلحن فرده إلىٰ أبيه، وكتب إليه كتاباً يلومه فيه، ويقول: أمثل عبيد الله يضيع؟

فبعث زياد إلىٰ أبي الأسود فقال: يا أبا الأسود! إنّ هذه الحمراء ـ أراد بهم العجم لغلبة الحمرة علىٰ ألوانهم ـ قد أفسدت من ألسُن العرب، فلو وضعت شيئاً يصلح به الناس كلامهم، ويعربون به كتاب الله.

فأبىٰ ذلك أبو الأسود فوجّه زياد رجلاً، فقال له: اقعد في طريق أبي الأسود، فاذا مر بك، فاقرأ شيئاً من القرآن، وتعمد اللحن فيه، ففعل ذلك، فلمّا مرّ به أبو الأسود رفع الرّجل صوته يقرأ (ان الله بريء من المشركينَ وَرَسُولِه) فاستعظم ذلك أبو الأسود وقال: عزّ وجه الله أن يبرأ من رسوله، ثمّ رجع من

---

(١) وفيات الأعيان ٢ / ٢١٦؛ والبداية والنهاية لابن كثير ٨ / ٣١٢.

(٢) الأغاني ١٢ / ٣٠٢، وط. ساسي ١١ / ١٠١.

فوره إلىٰ زياد، وقال: قد جئتك إلىٰ ما سألت ورأيت أن أبدأ بإعراب القرآن، فابعث إلىٰ ثلاثين رجلاً.

فأحضرهم زياد فاختار منهم أبو الأسود عشرة، ثمّ لم يزل يختارهم حتّىٰ اختار منهم رجلاً من عبدالقيس، فقال: خذ المصحف وصبغاً يخالف لون المداد، فاذا فتحتُ شفتي، فانقط واحدة فوق الحرف، واذا ضممتها، فاجعل النقطة إلىٰ جانب الحرف، فإذا كسرتها، فاجعل النقطة في أسفله، فإن اتبعت شيئاً من هذه الحركات نقطة فانقط نقطتين.

فابتدأ بالمصحف، حتىٰ أتىٰ علىٰ آخره، ثمّ وضع المختصر المنسوب إليه بعد ذلك[1].

وقال القفطي (ت ٦٢٤ هـ) في كتابه إنباه الرّواة:

ذكر أوّل من وضع النحو وما قاله الرواة في ذلك:

الجمهور من أهل الرواية علىٰ أنّ أوّل من وضع النحو أمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب (ع)؛ قال أبو الأسود الدؤلي: دخلت علىٰ أمير المؤمنين عليّ (ع) فرأيته مطرقاً مفكراً، فقلت: فيمَ[2] تفكّر يا أمير المؤمنين؟

فقال: سمعت ببلدكم لحناً، فأردت أن أصنع كتاباً في أُصول العربية.

فقلت له: إن فعلت هذا أبقيت فينا[3] هذه اللّغة العربيّة، ثمّ أتيته بعد أيّام،

---

(١) تاريخ ابن عساكر، ترجمة أبي الأسود الدؤلي. مصوّرة المجمع العلمي بدمشق، ٨ / ٢ / ٢٠٨.

(٢) في الأصل: «فيما تفكر».

(٣) في رواية ياقوت عن الزجاج: «إن فعلت هذا يا أمير المؤمنين أحييتنا، وبقيت فينا هذه اللّغة». معجم الأُدباء ١٤ / ٤٩.

فألقى إليَّ صحيفة فيها:

(بسم الله الرّحمٰن الرّحيم، الكلام كلّه اسم وفعل وحرف، فالاسم ما أنبأ عن المسمّىٰ، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمَّىٰ، والحرف ما أنبأ عن معنىٰ ليس باسم ولا فعل).

ثمّ قال: «تتبعه وزد فيه ما وقع لك. واعلم أنّ الأشياء[1] ثلاثة: ظاهر، ومضمر، وشيء ليس بظاهر ولا مضمر، وإنّما يتفاضل العلماء في معرفة ما ليس بمضمر ولا ظاهر».

فجمعت أشياء وعرضتها عليه، فكان من ذلك حروف النصب، فذكرت منها: إنَّ وأن، وليت، ولعلَّ، وكأنَّ، ولم أذكر لكن، فقال: لم تركتها؟ فقلت: لم أحسبها منها. فقال: بلىٰ هي منها، فزدها فيها.

هذا هو الأشهر من أمر ابتداء النحو. وقد تعرض الزجّاجي أبو القاسم إلىٰ شرح هذا الفصل من كلام عليّ، كرم الله وجهه.

ورأيت بمصر في زمن الطلب بأيدي الوراقين جزءاً فيه أبواب من النحو، يجمعون علىٰ أنّها مقدمة عليّ بن أبي طالب الّتي أخذها عنه أبو الأسود الدؤلي.

وروي أيضاً عن أبي الأسود قال: دخلت علىٰ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (ع)، فأخرج لي رقعة فيها: (الكلام كلّه اسم وفعل وحرف جاء لمعنىٰ). قال: فقلت: ما دعاك إلىٰ هذا؟

قال: رأيت فساداً في كلام بعض أهلي، فأحببت أن أرسم رسماً يعرف به الصواب من الخطأ.

فأخذ أبو الأسود النحو عن عليّ (ع) ولم يظهره لأحد.

---

(١) وكذا في معجم الأدباء ١٤ / ٤٩؛ وفي نزهة الألباء، ص ٥: «أنّ الأسماء»، وهو أوفق.

ثمّ إنّ زياداً سمع بشيء ممّا عند أبي الأسود[1]، ورأى اللّحن قد فشا، فقال لأبي الأسود: أظهر ما عندك ليكون للناس إماماً. فامتنع من ذلك، وسأله الإعفاء، حتّىٰ سمع أبو الأسود قارئاً يقرأ: (إنّ الله بريء من المشركين ورسوله) بالكسر، فقال: ما ظننتُ أمر الناس آلَ إلىٰ هذا. فرجع إلىٰ زياد فقال: أنا أفعل ما أمر به الأمير، فليبغني[2] كاتباً لقناً[3] يفعل ما أقول، فأُتي بكاتب من عبدالقيس[4]، فلم يرضه، فأُتي بكاتب آخر ـ قال المبرد: أحسبه منهم ـ فقال له أبو الأسود: إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه علىٰ أعلاه، وإن ضممت فمي، فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت، فاجعل نقطة من تحت الحرف، وإن مكنت[5] الكلمة بالتنوين فاجعل أمارة ذلك نقطتين، ففعل ذلك، وكان أول ما وضعه لهذا السبب.

وأهل مصر قاطبة يرون بعد النقل والتصحيح أنّ أوّل من وضع النحو عليّ بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ وأخذ عنه أبو الأسود الدؤلي، وأخذ عن أبي الأسود الدؤلي نصر بن عاصم البصري، وأخذ عن نصر أبو عمرو بن العلاء البصري، وأخذ عن أبي عمرو الخليل بن أحمد، وأخذ عن الخليل[6] سيبويه

---

(١) أي علم النحو الّذي أخذه عن الإمام عليّ كما مرّ بنا خبره.

(٢) يقال: أبغني الشيء، أي أعني علىٰ طلبه.

(٣) اللّقن: سريع الفهم.

(٤) عبدالقيس: قبيلة من أسد، وكانت ديارهم في تهامة، ثمّ خرجوا منها إلى البحرين.

(٥) في أخبار النحويين للسيرافي، ص ١٦: «فإن أتبعت شيئاً من ذلك غنّة، فاجعل مكان النقطة نقطتين».

(٦) زيادة تقتضيها صحّة الرواية، ولم يذكر أحد من واضعي التراجم أن سيبويه أخذ عن أبي عمرو بن العلاء. والروايات تجمع علىٰ أنّه أخذ عن الخليل، وهذا أخذ عن أبي عمرو بن العلاء. أُنظر ابن خلكان ٣ / ١٣٣؛ وابن كثير ١١ / ٧٠.

أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر[1]، وأخذ عن سيبويه أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط، وأخذ عن الأخفش أبو عثمان بكر بن محمّد المازني الشيباني وأبو عمر الجرمي، وأخذ عن المازني والجرمي أبو العباس محمّد بن يزيد المبرد، وأخذ عن المبرد أبو إسحاق الزجاج وأبو بكر بن السراج، وأخذ عن ابن السراج أبو عليّ الحسن بن عبدالغفار الفارسي[2].

وكذلك وجدت أتمّ الروايات وأصوبها ما رواها أبو عبدالله ياقوت الحموي بسنده عن أبي الأسود الدؤلي، قال: دخلت علىٰ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (ع) فرأيته مطرقاً مفكّراً، فقلت: فيمَ تفكّر يا أمير المؤمنين؟ قال: إنّي سمعت ببلدكم هذا لحناً، فأردت أن أضع كتاباً في أُصول العربية.

فقلت: إن فعلت هذا يا أمير المؤمنين أحييتنا، وبقيت فينا هذه اللّغة.

ثمّ أتيته بعد أيام فألقى إليَّ صحيفة فيها:

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم: الكلام كلُّه اسم وفعل وحرف، والاسم ما أنبأ عن المسمّىٰ، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمَّىٰ، والحرف ما أنبأ عن معنىً ليس باسم ولا فعل. ثمّ قال لي: تتبعه وزد فيه ما وقع لك، واعلم يا أبا الأسود أن الأشياء ثلاثة: ظاهر ومضمر وشيء ليس بظاهر ولا مضمر. قال: فجمعت منه أشياء، وعرضتها عليه، وكان من ذلك حروف النصب، فكان منها إنّ وأنّ وليت ولعلّ وكأنّ ولم أذكر لكنّ. فقال لي: لِمَ تركتها؟ فقلت: لم أحسبها منها. فقال: بل هي منها فزدها فيها[3].

---

(١) قنبر، بضم ثمّ فتح وسكون. كذا ضبطه في تاريخ العروس ٣ / ٥٠٨.

(٢) إنباه الرواة، تأليف أبي الحسن عليّ بن يوسف القفطي ١ / ٤ ـ ٦، ط. القاهرة سنة ١٣٦٩.

(٣) معجم الأُدباء (١٤ / ٤٩ ـ ٥٠)؛ وراجع إنباه الرواة للقفطي ١ / ٤.

سـبب وضع النحـو:

وسـبب وضع عليّ (ع) لهذا العلم ما روىٰ أبو الأسـود قال: دخلتُ علىٰ أمير المؤمنـين عليّ بن أبي طالب (ع)، فوجدتُ في يده رقعـة. فقلت: ما هذا يا أمير المؤمنـين؟ فقال: إنّي تأمّلتُ كلام الناس فوجدته قد فسر بمخالطة هذه الحمراء «يعني الأعاجم»، فأردت أن أضع لهم شيئاً يرجعون إليـه ويـعتمدون عليه. ثمّ ألقىٰ إليَّ الرقعة وفيها مكتوب «الكلام كله اسم وفعل وحرف، فالإسم ما أنبأ عن المسمّىٰ، والفعل ما أُنبئ به، والحرف ما جاء لمعنىٰ» وقال لي: أَنحُ هذا النحو وأضف إليه ما وقع إليك. واعلم أنّ الأسماء ثلاثة: ظاهر ومـضمر واسم لا ظاهر ولا مضمر، وانما يتفاضل الناس يا أبا الأسود في ما ليس بـظاهر ولا مضمر، وأراد بذلك الاسم المبهم.

ثمّ قال: وضعت بابي العطف والنعت، ثمّ بابي التعجب والإستفهام إلىٰ أن وصلت إلىٰ باب (إنّ وأخواتها) ما خلا لكنّ، فلمّا عرضتها علىٰ عليّ (ع) أمرني بضمّ لكنّ إليها، وكنت كلّما وضعت باباً من أبواب النحو عرضته عليه (ع) إلىٰ أن حصلت على ما فيه الكفاية قال: «ما أحسن هذا النحو الّذي قد نحـوت» فلذلك سمّي النحو.

وكان أبو الأسود ممّن صحب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (ع)، وكان من المشهورين بصحبته ومحبّته ومحبّة أهل بيته، وفي ذلك يقول:

يـقول الأرذلون بـنو قشـير ... طـوال الدهـر لا تـنسىٰ عـليا
فقلت لهم فكيف يكـون تـركي ... من الأشـياء مـا يحـصىٰ عـليا
أُحب محـمّداً حُـبّاً شـديداً ... وعـبّاساً وحـمزة والوصـيا
فـإن يك حـبُّهم رشـداً أُصبه ... وفـيهم اسـوة إن كـان غـيا
فكَم رشداً أصبت وحزت مجداً ... تـقاصر دونـه هـامُ الثُّريـا

وكان ينزل البصرة في بني قشير، وكانوا يرجمونه بالّليل لمحبّته عليّاً وأهل بيته، فإذا ذكر رجمهم له قالوا: ان الله يرجمك.

فيقول لهم تكذبون، لو رجمني الله أصابني، ولكنّكم ترجمون فلا تصيبون.

وروىٰ انّ سبب وضع عليّ (ع) لهذا العلم انّه سمع اعرابياً يقرأ: لا يأكله إلّا الخاطئين، فوضع النحو.

وفي نزهة الألباء في طبقات الأُدباء، ذكر من نسب وضع علم النحو لغير الإمام عليّ، ثمّ قال:

والصحيح انّ أوّل مَنْ وضع النحو عليّ بن أبي طالب (ع)؛ لأنّ الروايات كلّها تسند إلىٰ أبي الأسود، وأبو الأسود يسنده إلىٰ عليّ، فانّه روي عن أبي الأسود انّه سئل فقيل له: من أين لك هذا النحو؟ قال: لفقت حدوده من عليّ ابن أبي طالب[١].

* * *

وبعد أن علّم الإمام عليّ (ع) أبا الأسود علم النحو، أخذ من أبي الأسود مَنْ جاء بعده جيلاً بعد جيل، ورجح عندنا تسلسل طبقات النحويين كما رسمناه في الجدول الآتي بعيد هذا.

مَنْ أخذ النحو عن أبي الأسود؟

قال ابن الأنباري:

وأخذ عن أبي الأسود عنبسة الفيل[٢]، وميمون الأقرن[٣]، ونصر بن

---

(١) نزهة الألبّاء في طبقات الأُدباء، ص ١٨ ـ ٢٢.

(٢) عنبسة بن معدان الفيل، أُنظر الزبيدي، طبقات النحويين: ٢٤، ياقوت الحموي، معجم الأُدباء ٦ / ٩١.

(٣) ميمون الأقرن النحوي، أُنظر السيوطي، بغية الوعاة ٤٠١، الزبيدي، طبقات: ٢٤ با، أبو الطيب اللغوي، مراتب النحويين ٢٠، ياقوت، إرشاد، ١٩ / ٢٠٩.

عاصم وعبدالرّحمٰن بن هرمز[١]، ويحيىٰ بن يعمر...[٢]. وقال في آخر الكتاب...

وأخذه سيبويه عن الخليل بن أحمد، وأخذه الخليل[٣] عن عيسىٰ بن عمر، وأخذه عيسىٰ بن عمر عن ابن أبي إسحاق، وأخذه ابن أبي إسحاق عن ميمون الأقرن، وأخذه ميمون الأقرن عن عنبسة الفيل عن أبي الأسود الدؤلي، وأخذه أبو الأسود الدؤلي عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (رض) علىٰ ما قدّمناه في أوّل الكتاب[٤].

ج ـ القـرّاء:

من أخبار القرّاء في عصر الإمام عليّ:

وبلغ كثرة القرّاء في البلاد الإسلامية إلىٰ حد أنّه خرج على الإمام عليّ بعد تحكيم الحكمين ثمانية آلاف من قرّاء الناس من بلد الكوفة[٥].

وبسبب كلّ ما ذكرنا، ولم يكن يولد مولود في أي بقعة أرض من أراضي

---

(١) عبدالرّحمٰن بن هرمز المتوفّىٰ ١١٧ هـ، أُنظر السيرافي، أخبار النحويين البصريين: ٢١؛ السمعاني، الأنساب: ١٤٤؛ السيوطي، البغية: ٣٠٣؛ ابن الأثير، الكامل ٤ / ٢٢٤، ابن عساكر ٢٣ / ٤٦٣؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ ١ / ٩١؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب ٦ / ٢٠٩؛ ابن العماد، شذرات الذهب ١ / ١٥٣؛ الزبيدي، طبقات: ٢٠؛ ابن سعد، طبقات ٥ / ٢٠٩؛ ابن الجزري، طبقات القراء ١ / ٣٨١؛ النديم، الفهرست ٣٩.

(٢) نزهة الألبّاء في طبقات الأُدباء، ص ٢٢.

(٣) الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي، الأزدي كان إماماً في النحو وهو أوّل من استخرج علم العروض وله من الكتب: كتاب العين في اللّغة، وكتاب العروض، وكتاب النقط والشكل، ومنه أخذ سيبويه علم النحو وكان رجلاً صالحاً عاقلاً حليماً وقوراً، توفّي سنة ١٧٠ هـ، كما في ترجمته في الفهرست، ص ٤٨ وقال غير ذلك ابن خلكان في ترجمته في وفيات الأعيان ٢ / ١٥ ـ ١٩.

(٤) نزهة الألبّاء في طبقات الأُدباء، ص ٣٠٢.

(٥) تاريخ الإسلام للذهبي ٢ / ١٨٥، في ذكر حوادث سنة ٣٨هـ.

المسلمين ولا يعتنق الإسلام انسان ما علىٰ وجه الأرض منذ عصر الرسول (ص) حتىٰ عصر الإمـام عليّ (ع) إلّا ويشـترك مع سائر المسـلمين في حلبة السـباق في تقارؤ القرآن مؤمناً كان أم منافقاً ؛ فالمؤمـن طلباً لرضا الله، والمنافق طلباً للشهرة في مجتمع كان القرآن فيه ميزاناً للمفاضلة بين أهله، ولذلك لما انتشرت الفتوح في عصر الخليفة عمر، بلغ عدد القرّاء بين المسـلمين عدداً لا يحصيه غير الله سبحانه.

د ـ حصيلة الأخـبار:

آثار تأسيس علم النحو:

أ ـ حفظ النص القرآني من التحريف والتغيير منذ عصره إلى اليوم وإلىٰ أبد الدهر.

ب ـ استفادة الأُمم الإسلامية من ضبط الكلمات بالحركات الإعرابية في لغاتها أبد الدّهر كما يرىٰ ذلك في الجدول الآتي:

جدول تأسيس علم النحو وطبقات النحويين

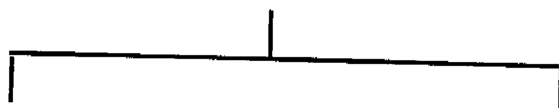
المؤسِّس الإمام عليّ (ع) (ت: ٤٠ هـ)

المتعلِّم الأوّل من الإمام عليّ



أبو الأسود الدؤلي (ت: ٦٩ هـ)

وعلّم أبو الأسود بعد ذلك



علمياً ونظرياً تلاميذه من الطبقة الأُولى:

أ ـ نصر بن عاصم (ت: ٨٩ هـ)

ب ـ عبد الرّحمٰن بن هرمز (ت: ١١٧ هـ)

ج ـ يحيى بن يعمر (ت: ١٢٩ هـ)

د ـ ميمون الأقرن

هـ ـ عنبسة بن معدان (الفيل)

وتعلّم من الطبقة الأُولى الطبقة الثانية الآتية أسماؤهم:



أ ـ عبد الله بن اسحاق الحضرمي (ت: ١١٧ هـ)

ب ـ عيسى بن عمر الثقفي (ت: ١٤٩ هـ)

ج ـ أبو عمرو بن العلاء الحارثي (ت: ١٥٤ هـ)

وتعلّم من الطبقة الثانية الطبقة الثالثة مثل:

الخليل بن أحمد (ت: ١٧٥ هـ)

وتعلّم من الطبقة الثالثة جميع علماء النحو جيلاً بعد جيل حتّى اليوم

عملياً بوضع نقاط علامات الإعراب في آخر كلمات القرآن

الطبقة الأُولىٰ من أذكياء قبيلة عبد القيس

وتعلّم منهم:

الطبقة الثانية ممن كتب القرآن إلى عصر الخليل



وفي الطبقة الثالثة بدّل الخليل بن أحمد (ت: ١٧٥هـ) نقاط علامات الإعراب في آخر الكلمات بخطوط صغيرة، وتعلّم من عمل الخليل



جميع كتّاب القرآن في جميع القرون وجميع من أعرب الكلمات في كتابة اللغة العربية وكتابة سائر لغات المسلمين حتّى اليوم

خلاصة أخبار المجتمع والقرآن على عهد الإمام عليّ (ع)

بيعة الإمام عليّ (ع):

قتل عثمان ورجع إلى المسلمين أمرهم وانحلّوا من كل بيعة سابقة توثقهم فأتاه أصحاب رسول الله (ص)، فقالوا: إنّ هذا الرّجل قد قتل ولا بدّ للناس من إمام ولا نجد اليوم أحقّ بهذا الأمر منك، لا أقدم سابقة، ولا أقرب من رسول الله (ص) فقال: لا تفعلوا فإنّي أكون وزيراً خير من أن أكون أميراً، فقالوا: لا، والله ما نحن بفاعلين حتّىٰ نبايعك. قال: ففي المسجد فإنّ بيعتي لاتكون خفيّاً ولا تكون إلّا عن رضا المسلمين...

فأُسقط في يد طلحة والزّبير وجاءا مع المهاجرين والأنصار وسبقهم طلحة في البيعة، وبعدما تمّت البيعة أمر أن يوزّع ما في بيت المال عليهم بالسويّة وأن يعطي كلّاً منهم ثلاثة دنانير، وأخذ لنفسه مثلهم، ولم يفضّل المهاجرين والأنصار على الموالي، فلم يقبل ذلك جماعة في مقدمتهم طلحة والزّبير ودخلا المسجد وجلسا ناحية عن الإمام عليّ وأنضمّ إليهم بنو أُميّة؛ وبلغ أُمّ المؤمنين عائشة خبر قتل عثمان في طريق عودتها من الحجّ إلى المدينة وكانت واثقة أن يلي الأمر ابن عمّها طلحة وحثّت على السير وإذا بها تخبر بأنّ الإمام عليّاً بويع فنادت ردّوني ردّوني إنّ عثمان قُتِلَ مظلوماً، قتله عليّ.

وفي المدينة طلب طلحة والزّبير أن يوليها الإمام البصرة والكوفة فأبىٰ أن يفعل، فخرجا مع ثلّة من بني أُميّة والتحقوا بعائشة وذهبوا جميعاً إلى البصرة يطالبون عليّاً بدم عثمان، ولمّا قامت الحرب رمىٰ مروان طلحة بسهم فقتله طلباً بثأر عثمان، ولمّا انتهت أرجع الإمام أُمّ المؤمنين بكل احترام إلىٰ بيتها في المدينة وذهب إلى الكوفة واتخذها كرسي دولته.

وطلب معاوية من الإمام أن يوليه الشام كي يأخذ البيعة له، فأبى الإمام ذلك، فنشر معاوية بين أهل الشّام أنّ الإمام قتل عثمان، وباسم الطلب بدم الخليفة عثمان، أقام على الإمام حرب صفين. ولمّا بانَ النصر لجيش الإمام كرّر طلبه بامارة الشام فأبىٰ ذلك، فأمر برفع المصاحف على الرِّماح يدعو الإمام وجيشه للرجوع إلىٰ حكم القرآن، فانخدع بذلك قرّاء أهل الكوفة وأجبروا الإمام علىٰ قبول ذلك فأخبرهم الإمام أنّها خدعة من معاوية، فأصرّوا علىٰ ذلك وانّهم سيقتلون الإمام إن لم يقبل بحكم القرآن، فاضطر إلىٰ قبوله، وكتب بين الجانبين بذلك كتاب أن يعيِّن كل فريق حكماً يجتمعان ويقرران ما يحكم به القرآن، فعيّن معاوية من جانبه عمرو بن العاص، وأراد الإمام أن يعيِّن من جانبه ابن عباس، فأبى القرّاء، وأراد ـ أيضاً ـ أن يعيِّن الأشتر، فأبوا ورشّحوا أبا موسى الأشعري، فأخبرهم الإمام أنّه لا يثق به، فأبوا إلّا أن يعيِّنه حكماً، ففعل ولمّا اجتمع الحكمان خدع عمرو، أبا موسىٰ واتفقا علىٰ أن يخلعا عليّاً ومعاوية ويتركا الأمر للمسلمين ليعيِّنوا الخليفة بالشورىٰ، فقدّم عمرو أبا موسىٰ للكلام فقال: خلعت عليّاً ومعاوية وتركت الأمر شورىٰ بين المسلمين، فتقدّم عمرو وقال: إنّ أبا موسىٰ خلع عليّاً وأنا أخلعه وأُعيِّن معاوية خليفة، فأدرك أبو موسى الخدعة وتفرّقا يتسابّان، ولمّا بانَ للقرّاء خطأهم قالوا: أخطأنا بتحكيم الرجال وكفرنا ولا حكم إلّا لله، ونتوب إلى الله من الكفر، ثمّ رموا الجانبين بالكفر، وطلبوا من الإمام عليّ أن يعترف بأنّه كفر ثمّ يتوب إلى الله، ولمّا أبىٰ كفّروه وكفّروا عامّة المسلمين، وخرجوا إلى النّهروان ـ بين بغداد وواسط ـ بقصد قتال المسلمين، فخرج إليهم الإمام وحاججهم، فرجع منهم فريق وقاتل مَنْ بقيَ وقتلهم، ثمّ رجع إلى الكوفة.



كيفيّة حكم الإمام عليّ في الكوفة وشأنه مع القرّاء والقرآن وحديث الرسول:

ساوى الإمام عليّ في حكمه بين المسلمين، ولم يفضّل أحداً علىٰ أحد، وخالفه معاوية، ففضّل أشراف القبائل علىٰ مَنْ دونهم ووزّع فيهم الصِّلات والجوائز؛ فانتشر التذمّر من حكمه بين وجهاء القبائل وأشرافها، فتفرّقوا عنه، والتحق بعضهم بمعاوية.

وكان الإمام يوزِّع بيت المال عليهم بالسويّة في كلِّ أُسبوع.

نشر الإمام تفسير القرآن:

تكرر خطاب الإمام للناس وهو على المنبر بأمثال قوله:

سلوني قبل أن تفقدوني فوالله ما بين لوحي المصحف آية تخفىٰ عليّ في ما أُنزلت ولا أين نزلت ولا ما عني بها.

وأقاموا على الإمام حَرْبَي الجمل وصفّين. وأيضاً بسبب عدله، اجتمع عليه أصحاب الورع والتُّقىٰ من صحابة الرسول (ص)؛ فقد روىٰ ابن أعثم عن سعيد بن جبير وغيره أنّه كان مع عليّ في حرب صفين ثمانمائة رجل من الأنصار وتسعمائة ممّن بايع تحت الشجرة فيهم ثمانون بدريّاً[1]، ولم يكن مع معاوية من الأنصار غير نعمان بن بشير ومسلمة بن مخلّد[2]. وبعد صفين جاور هؤلاء مع الإمام عليّ في الكوفة وأتاح لهم الإمام فرصة نشر حديث الرسول (ص) بعد أن منعوا من روايته خمساً وعشرين سنة، وحرّضهم علىٰ ذلك. فسمع حديث الرسول (ص) من أفواه الصحابة آلاف التابعين، ومن التابعين أتباع التابعين وهكذا دواليك حتىٰ عصر التأليف بمدرسة الخلفاء، حيث دُوِّنت تلك الأحاديث

---

(١) فتوح ابن أعثم ٢ / ٨٨، في ذكره حرب صفين.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٨٨.

في كتب الحديث وأصبحت الكوفة منذ عصر الإمام عاصمة العلم، ولولا حكم الإمام وفتحه أبواب الحديث الّتي كانت موصدة خمساً وعشرين سنة لما بلغتنا تلك الأحاديث أبد الدهر، وأصبحت الكوفة بانتشار خطب الإمام فيها ونشر أحاديث الصحابة علوية ومنها انتشر التشيع لعلي في امتداد البلاد الإسلامية وخاصّة البلاد الإيرانية الّتي كانت الكوفة حاضرتها.

نتيجة البحوث:

كان الإقراء علىٰ عصر الرسول (ص) تعليم عشر آيات لا يتعدّون العشرة حتىٰ يتعلّموا ما فيها من العلم والعمل أي يتعلّموا ما أُوحي إلى الرسول (ص) في بيان الآيات وكذلك جاء في وصف من كان يبعثهم الرسول(ص) للإقراء ليقرئهم القرآن ويفقههم في الدين. أي: يعلمهم ما جاء في تفسير الآيات عن الرسول (ص) من فقه الدِّين أي: فهم الدِّين، وعلىٰ ذلك فإنّ القرّاء الّذين تعلّموا القراءة في عصر الرسول (ص) كانوا فقهاء في الدين، ولمّا جرّدوا القرآن بعد الرسول (ص) من حديث الرسول (ص)، أصبح القرّاء بعد الرسول (ص) يتعلّمون تلاوة لفظ القرآن ويتلونها ولهم دويّ في تلاوة القرآن كدويّ النحل، وفي القرآن آيات متشابهات بحاجة إلىٰ أخذ تفسيرها من حديث الرسول (ص)، ولمّا منعوا من بيان حديث الرسول (ص) في الإقراء تخرّج جيل من القرّاء لم يتفقّهوا في الدِّين ورموا عامّة المسلمين بالشرك.

ولمّا جُرحَ الإمام في محرابه واستشهد، تغلّب على الحكم بطن أُميّة من قريش، وأسّست في الإسلام ملكاً عضوضاً كحكم القياصرة والأكاسرة يرثه الخلف عن السلف، كما أوصاهم بذلك شيخهم أبو سفيان عندما دخل على الخليفة عثمان أوّل ما استخلف، وكان ذلك من خصائص حكمهم إلىٰ خصائص أُخرىٰ سندرسها بإذنه ـ تعالىٰ ـ في ما يأتي.

خصائص المجتمع الإسلامي علىٰ عهد بني أُميّة

أوّلاً ـ علىٰ عهد الخليفة معاوية:

سياسة معاوية مع الأنصار:

أ ـ دخول الأنصار علىٰ معاوية:

قال أبو الفرج الأصفهاني ما موجزه:

حضرت وفود الأنصار باب معاوية بن أبي سفيان، فخرج إليهم حاجبه سعد أبو درّة، فقالوا له: استأذن للأنصار. فدخل إليه وعنده عمرو بن العاص، وقال: الأنصار بالباب. فقال عمرو: ما هذا اللّقب الّذي قد جعلوه نسباً يا أمير المؤمنين؟ أُردد القوم إلىٰ أنسابهم، فقال [له معاوية: إنّي أخاف من ذلك الشّنعة، فقال]: هي كلمة تقولها إن مضت عرّتهم ونقصتهم وإلّا فهذا الاسم راجع إليهم. فقال له: اخرج فقل: من كان هاهنا من ولد عمرو بن عامر فليدخل، فقالها الحاجب، فدخل ولد عمرو بن عامر كلّهم إلّا الأنصار، فنظر معاوية إلىٰ عمرو نَظَرَ منكر، فقال له: باعدتَ جدّاً، فقال: اخرج فقل: من كان هاهنا من الأوس والخزرج فليدخل. فخرج فقالها [فلم يدخل أحدٌ، فقال معاوية: أُخرج فقل: من كان هاهنا من الأنصار فليدخل، فخرج فقالها] فدخلوا يقدمهم النعمان وهو يقول:

يا سعد لا تُعِد الدُّعاءَ فما لنا ... نسبٌ نجيب به سوى الأنصارِ
نسبٌ تخيّره الإلٰـهُ لِقومنا ... أَثْقِلْ به نسباً على الكُفّارِ
إنّ الّذين ثَوَوْا بِبَدْرٍ منكمُ ... يَومَ القليبِ هُمُ وقُودُ النارِ

وقام مغضباً فانصرف. فبعث معاوية فردّه وترضّاه، وقضىٰ حوائجه وحوائج من كان معه من الأنصار.

فقال معاوية لعمرو: كنّا أغنياء عن هذا[1].

ب ـ سفر معاوية إلى المدينة:

ولمّا صار إلى المدينة أتاه جماعة من بني هاشم، وكلّموه في أُمورهم، فقال: أما ترضون يا بني هاشم أن نقرّكم علىٰ دمائكم وقد قتلتم عثمان حتىٰ تقولوا ما تقولون؟ فوَالله لأنتم أحلّ دماً من كذا وكذا، وأعظم في القول. فقال له ابن عباس: كلّ ما قلت لنا يا معاوية من شرّ بين دفتيك، أنت والله أولىٰ بذلك منّا، أنت قتلت عثمان، ثمّ قمت تَغمص على الناس أنّك تطلب بدمه. فانكسر معاوية... الحديث. ثمّ كلّمه الأنصار، فأغلظ لهم في القول، وقال لهم: ما فعلت نواضحكم؟ قالوا: أفنيناها يوم بدر لمّا قتلنا أخاك وجدّك وخالك؛ ولكنّا نفعل ما أوصانا به رسول الله (ص). قال: ما أوصاكم به؟ قالوا: أوصانا بالصبر. قال: فاصبروا.

ثمّ أدلج معاوية إلى الشام ولم يقض لهم حاجة[2].

سياسة معاوية مع الإمام عليّ بن أبي طالب (ع)

قال ابن عساكر:

كتب معاوية إلىٰ عليّ بن أبي طالب:

يا أبا الحسن ان لي فضائل كثيرة، وكان أبي سيداً في الجاهلية، وصرت ملكاً في الإسلام وأخا صهر رسول الله (ص) وخال المؤمنين وكاتب الوحي،

---

(١) الأغاني، ط. ساسي ١٤ / ١٢٠ و١٢٢، وط. بيروت ١٦ / ١٣ و١٧.

(٢) تاريخ اليعقوبي، ط. بيروت ٢ / ٢٢٣، والنواضح، مفردها الناضح: البعير يستقىٰ عليه.

فقال عليّ:

أبالفضائل يفخر عليَّ ابن آكلة الأكباد؟ ثمّ قال اكتب يا غلام:

محمّد النبيّ أخي وصهري وحمزةُ سيد الشهداء عمّي

وجعفر الّذي يمسي ويضحي يطير مع الملائكة ابنُ أُمّي

وبنت محمّد سكني وعرسي منوط لحمُها بدمي ولحمي

وسبطا أحمد ولداي منها فأيكم له سهم كسهمي

سبقتكم إلى الإسلام طراً صغيراً ما بلغت أوان حلمي

فقال معاوية: اخفوا هذا الكتاب لا يقرأه أهل الشام فيميلون إلىٰ ابن أبي طالب[1].

حتىٰ إذا استشهد الإمام عليّ وصفا له الجوّ عاش عيشة كسرىٰ وقيصر كما رواه المؤرخون، مثل اليعقوبي الّذي قال بترجمة معاوية من تاريخه (٢ / ٢٣٢ ـ ٢٣٤) ما موجزه:

وكان معاوية أوّل من أقام الحرس والشرط والبوابين في الإسلام وأرخى الستور، واستكتب النصارىٰ، ومُشي بين يديه بالحراب، وأخذ الزكاة من الأعطية، وجلس على السرير والناس تحته، وشيّد البناء، وسخر الناس في بنائه، ولم يسخّر أحد قبله، واستصفىٰ أموال الناس، فأخذها لنفسه، وكان يقول: أنا أوّل الملوك.

وأخرج من كل بلد ما كانت ملوك فارس تستصفيه لأنفسها من الضياع العامرة، وجعله صافية لنفسه، فأقطعه جماعة من أهل بيته، وكان صاحب العراق يحمل إليه من مال صوافيه مائة ألف ألف درهم.

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر، مخطوطة مصوّرة المجمع العلمي الإسلامي ١٢/٢/ص١٩٩ب ـ ٢٠٠أ.

وفعل بالشام والجزيرة واليمن مثل ما فعل بالعراق من استصفاء ما كان للملوك من الضياع وتصييرها لنفسه خالصة، وكان أوّل من كانت له الصوافي في جميع الدنيا، حتىٰ بمكّة والمدينة.

وقال ما موجزه:

(وولّىٰ معاوية عبدالله بن درّاج مولاه خراج العراق، فكتب إليه: أنّ الدهاقين اعلموه أنّه كان لكسرىٰ وآل كسرىٰ صوافي يجتبون مالها لأنفسهم ولاتجري مجرى الخراج، فكتب إليه: أن أحصِ تلك الصوافي، واستصفها، واضرب عليها المسنّيات.

فأمر فَأُتي بالديوان من حلوان، واستخرج منه كلّ ما كان لكسرىٰ وآل كسرىٰ، وضرب عليه المسنّيات، واستصفاه لمعاوية، فبلغت جبايته خمسين ألف ألف درهم من أرض الكوفة وسوادها، وكتب إلىٰ واليه بالبصرة بمثل ذلك وأمرهم أن يحملوا إليه هدايا النيروز، والمهرجان، فكان يحمل إليه في النيروز وغيره وفي المهرجان عشرة آلاف ألف)[1].

وإنّما استطاع معاوية ان يفعل في سلطانه ما يشاء نتيجة إبعاده عن الشام صحابة الرسول (ص) ولم يكن في جيشه عندما قاتل الإمام عليّاً في صفين من أنصار الرسول الله (ص) غير اثنين، فقد روى اليعقوبي في تاريخه (٢ / ١٨٨) وقال:

وكان مع عليّ يوم صفين من أهل بدر سبعون رجلاً، وممّن بايع تحت الشجرة سبعمائة رجل، ومن سائر المهاجرين والأنصار أربعمائة رجل، ولم يكن مع معاوية من الأنصار إلّا النعمان بن بشير، وسلمة بن مخلد.

* * *

---

(١) اليعقوبي ٢ / ٢١٨.

اتخذ معاويـة بديلاً من أصحاب رسـول الله (ص) بطانة مثل ابن أُثـال الطبيب النصراني.

قال اليعقوبي في تاريخه:

واستعمل معاوية ابن أُثال النصراني علىٰ خراج حمص، ولم يستعمل النصارىٰ أحد من الخلفاء قبله.

وقد وصفه ابن عبد البرّ: الطبيب اليهودي.

وقال في ترجمة عبد الرّحمٰن بن خالد من الإستيعاب[1] ما موجزه:

إنّ معاوية لمّا أراد البيعة ليزيد، ورأىٰ رغبة أهل الشام في عبد الرّحمٰن بن خالد أمر طبيباً عنده يهودياً ـ وكان عنده مكيناً ـ أن يأتيه، فيسقيه سقية يقتله بها ففعل.

وكان الأخطل الشاعر النصراني شاعر الأمويين منذ عهد معاوية، وأمره يزيد أن يهجو الأنصار فهجاهم في أبيات قال فيها[2]:

ذهبت قريش بـالمكارم كـلّها   واللّؤم تحت عمائم الأنصار[3]

* * *

كان ما ذكرناه جزءاً من خصائص المجتمع علىٰ عهد معاوية.

ويتصل ببحث خصائص المجتمع علىٰ عهد معاوية سياسة حكمه في رواية حديث الرسول (ص)، ولعلّ ممّا بدأ عهده ما رواه الخطيب البغدادي أن معاوية قال على المنبر بدمشق: أيُّها الناس! إيّاكم وأحاديث رسول الله (ص) إلّا حديثاً كان يذكر علىٰ عهد عمر[*].

---

(١) الإستيعاب ٢ / ٣٩٦.

(٢) الأغاني ١٤ / ١١٨.

(٣) الأغاني ١٦ / ٨.

(*) الخطيب البغدادي في كتابه شرف أصحاب الحديث، ص ٩١.

ولم يكتفِ بهذا، بل كان من أمر الحديث علىٰ عهـده ما رواه الطبري[1] وقال: استعمل معاوية المغيرة بن شـعبة على الكوفة سنة إحدىٰ وأربعين، فلمّا أمّره عليها دعاه، وقال له: قد أردت إيصاءك بأشياء كثيرة أنا تاركها اعـتماداً علىٰ بصرك، ولست تاركاً إيصاءك بخصلة، لا تترك شتم عليّ وذمّه، والترحّم علىٰ عثمان والإستغفار له، والعيب لأصحاب عليّ، والإقـصاء لهـم، والإطـراء لشيعة عثمان، والإدناء لهم. فقال له المغيرة: قد جُرِّبتُ وجرَّبتُ وعملتُ قـبلك لغيرك، فلم يذممني، وستبلو فتَحمدُ أو تَذُمُّ، فقال: بل نَحْمَدُ إن شاء الله.

وروىٰ ابن أبي الحديد عن المدائني في كتاب الأحداث، وقال:

(كتب معاوية نسخة واحدة إلىٰ عمّاله بعد عام الجماعة: أن برئت الذمّة ممّن روىٰ شـيئاً من فضل أبي تراب، وأهل بيتـه...، وكان أشدّ البلاء حـينئذ أهل الكوفة[2].

وقال: كتب معاوية[3] إلىٰ عمّاله في جميع الآفاق: ألّا يجـيزوا لأحد مـن شيعة عليّ وأهل بيته شهادة، وكتب إليهم أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبّيه، وأهل ولايته، والّـذين يـروون فـضائله ومـناقبه، فأدنـوا مجـالسهم، وقربوهم وأكرموهم، واكتبوا إليَّ بكل ما يروي كلُّ رجل منهم، واسمه، واسم أبيه، وعشيرته.

ففعلوا ذلك، حتىٰ أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه، لما كان يبعث إليهـم معاوية من الصِّلات والكساء والحباء والقطائع، ويُفضيه في العرب منهم والموالي،

---

(١) في حوادث سنة إحدىٰ وخمسين من الطّبري في ذكر مقتل حجر بن عدي ٦ / ١٠٨، وط. أوربا ٢ / ١١٢ ـ ١١٣ وابن الأثير ٣ / ٢٠٢.

(٢) شرح الخطبة (٥٧) من نهج البلاغـة لابن أبي الحديد، ط. مصر الأُولىٰ، ٣ / ١٥ ـ ١٦. ومنه ننقل كلّ ما ننقل من شرح ابن أبي الحديد.

(٣) قد نقل كتاب معاوية هذا أيضاً أحمد أمين في فجر الإسلام، ص ٢٧٥.

فكثر ذلك في كلّ مصر، وتنافسوا في المنازل والدنيا، فليس يجيء أحد مردود من الناس عاملاً من عمّال معاويـة، فيروي في عثمان فضيلة أو منقبة إلّا كتب اسمه وقرّبه وشفّعه، فلبثوا بذلك حيناً، ثمّ كتب إلىٰ عماله أنّ الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كلّ مصر، وفي كلّ وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأوّلين، ولا تتركوا خبراً يرويه أحدٌ من المسلمين في أبي تراب إلّا وأتوني بمناقض له في الصحابة فإنَّ هذا أحبّ إليّ وأقرّ إلىٰ عيني، وأدحض لحجّة أبي تراب وشيعته، وأشدّ عليهم من مناقب عثمان، وفضله، فَقُرِئت كتبه على الناس، فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها، وجرى الناس في رواية ما يجري هذا المجرىٰ حتىٰ أشادوا بذكر ذلك على المنابر، وأُلقي إلىٰ معلّمي الكتاتيب، فعلّموا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير الواسع، حتىٰ رووه، وتعلّـموه كما يتعلّمون القرآن، وعلّموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم، فلبثوا بذلك إلىٰ ما شاء الله... فظهرت أحاديث كثيرة موضوعة، وبهتان منتشر، ومضىٰ علىٰ ذلك الفقهاء والقضاة والولاة...) الحديث[1].

وقد روىٰ ابن عرفة المعروف بنفطويه، وهو من أكابر المحدّثين وأعلامهم، في تاريخه ما يناسب هذا الخبر وقال: «إنّ أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة، افتعلت في أيّام بني أُميّة تقرّباً إليهم بما يظنّون أنّهم يرغمون به أُنوف بني هاشم»[2].

---

(١) في شرح (من كلام له، وقد سأله سائل عن أحاديث البدعة) من شرح النهج ٣ / ١٥ ـ ١٦، ذكر ابن أبي الحديد الروايتين المرويتين عن (المدائني). وهو أبو الحسن عليّ بن محمّد بن عبدالله (ت ٣١٥هـ) ذكر له النديم في الأحداث ٢٥ كتاباً. (الفهرست، ص ١١٥).

(٢) المصدر السابق؛ وص ٢١٣ من فجر الإسلام.

←

وروىٰ ابن أبي الحديد عن أبي جعفر الإسكافي[1] وقال: «إنّ معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين علىٰ رواية أخبار قبيحة في عليّ (ع) تقتضي الطعن فيه، والبراءة منه، وجعل لهم علىٰ ذلك جُعلاً يرغب في مثله».

وروىٰ في هذا الصدد عن الصحابة عن عمرو بن العاص، الحديث الذي أخرجه البخاري[2] ومسلم في صحيحيهما مسنداً متصلاً بعمرو بن العاص، قال: سمعت رسول الله يقول جهاراً غير سرّ[3]: «إنّ آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء، إنّما وليّي الله وصالح المؤمنين».

وفي البخاري بعده بطريق آخر عنه: (ولكن لهم رحماً أبلّها ببلالها) ـ يعني أصلها بصلتها ـ انتهىٰ.

← ونفطويه هو إبراهيم بن محمّد بن عرفة الأزدي، قال في ترجمته بتاريخ بغداد: كان صدوقاً له مصنّفات كثيرة.

وقال المسعودي في ذكر المؤرخين وأصحاب الأخبار في أوّل كتابه مروج الذهب، ١ / ٢٣: وكذلك تاريخ أبي عبدالله الملقب بنفطويه فحشو من ملاحة كتب الخاصّة مملوء من فوائد السادة وكان أحسن أهل عصره تأليفاً وأملحهم تصنيفاً، وذكر أسماء مؤلفاته في هديّة العارفين، ص ٥ وقال (ت: ٣٢٣ هـ).

(١) شرح النهج، ط. مصر الأولىٰ، ١ / ٣٥٨. والإسكافي نسبة إلى الإسكاف من نواحي النهروان بين بغداد وواسط. وأبو جعفر الإسكافي في مادّة الإسكاف من معجم البلدان، عداده في أهل بغداد أحد المتكلّمين من المعتزلة (ت: ٢٤٠ هـ)، وقال ابن حجر في ترجمته:

محمّد بن عبدالله الإسكافي، من متكلّمي المعتزلة وأحد أئمتهم، وإليه تنسب الطائفة الإسكافية منهم، وهو بغدادي أصله من سمرقند، قال ابن النديم: كان عجيب الشأن في العلم والذكاء والصيانة ونبل الهمة والنزاهة، بلغ في مقدار عمره ما لم يبلغه أحد، وكان المعتصم يعظمه. وله مناظرات مع الكرابيسي وغيره. توفّي سنة ٢٤٠، لسان الميزان، ٥ / ٢٢١.

(٢) قد ذكر البخاري هذا الحديث في صحيحه ٤ / ٣٤، كتاب الأدب، باب يبل الرحم ببلالها بطريقين عن ابن العاص. وفي ط البخاري كنّىٰ عن آل أبي طالب قال آل أبي فلان.

(٣) هذه الزيادة في رواية البخاري الثانية عن ابن العاص وكنىٰ ـ أيضاً ـ وقال آل أبي فلان. ومسلم ١ / ١٣٦، كتاب الإيمان، موالاة المؤمنين ومقاطعة غيرهم.

كانت تلكم رواية ابن أبي الحديد عن صحيح البخاري، وفي طبعات البخاري في عصرنا بدل لفظ (آل أبي طالب) بـ: (آل أبي فلان).

وروى الطبري انّ المغيرة بن شعبة أقام سبع سنين وأشهراً في الكوفة لا يدع ذمّ عليّ والوقوع فيه، والعيب لقتلة عثمان واللعن لهم، والدعاء لعثمان بالرحمة والإستغفار له والتزكية لأصحابه[1]، غير أنّ المغيرة كان يداري، فيشتدّ مرّة، ويلين أخرىٰ.

وروى الطبري: أنّ المغيرة بن شعبة قال لصعصعة بن صوحان العبدي وكان المغيرة أميراً على الكوفة من قبل معاوية: «إيّاك أن يبلغني عنك أنك تعيب عثمان عند أحد من الناس، وإيّاك أن يبلغني عنك أنّك تظهر شيئاً من فضل عليّ علانية، فإنّك لست بذاكر من فضل عليّ شيئاً أجهله، بل أنا أعلم بذلك، ولكنّ هذا السلطان قد ظهر، وقد أخذنا بإظهار عيبه للناس، فنحن ندع كثيراً ممّا أُمِرنا به، ونذكر الشيء الّذي لا نجد منه بدّاً ندفع به هؤلاء القوم عن أنفسنا تقيّة، فإن كنت ذاكراً فضله، فاذكره بينك وبين أصحابك، وفي منازلكم سرّاً، وأمّا علانية في المسجد، فإنّ هذا لا يحتمله الخليفة لنا ولا يعذرنا به...»[2] الحديث.

وقال اليعقوبي[3] ما موجزه:

وكان حجر بن عدي الكندي، وعمرو بن الحمق الخزاعي وأصحابهما من شيعة عليّ بن ابي طالب، إذا سمعوا المغيرة وغيره من أصحاب معاوية، وهم يلعنون عليّاً على المنبر، يقومون فيردون عليهم، ويتكلّمون في ذلك.

فلمّا قدم زياد الكوفة، وجّه صاحب الشرطة إليهم، فأخذ جماعة منهم

---

(١) الطبري، ط. أروبا ٢ / ١١٢.

(٢) الطبري، ط. أروبا ٢ / ٣٨؛ وابن الأثير ٣ / ١٧١، ط. مصر.

(٣) اليعقوبي ٢ / ٢٣٠.

فقتلوا، وهرب عمرو بن الحمق الخزاعيّ إلى الموصل وعدّة معه، وأخذ زياد حجر بن عديّ الكنديّ وثلاثة عشر رجلاً من أصحابه، فأشخصهم إلىٰ معاوية، فكتب فيهم أنّهم خالفوا الجماعة في لعن أبي تراب، وزَرَوْا على الولاة، فخرجوا بذلك من الطاعة، وأنفذ شهادات قوم، فلمّا صاروا بمرج عذراء من دمشق علىٰ أميال، أمر معاوية بإيقافهم هناك، ثمّ وجه إليهم من يضرب أعناقهم، فكلّمه قوم في ستّة منهم، فأخلىٰ سبيلهم، وأمر أن يعرض على الباقي البراءة من عليّ واللّعن له فقالوا: إن فعلتم تركناكم، وإن أبيتم قتلناكم، فابرأوا منه نخلِّ سبيلكم!

قالوا: اللّهمّ لسنا فاعِلي ذلك!

فحفروا لهم قبورهم وأُدنيت أكفانهم، فقاموا اللّيل كلّه يصلّون، فلمّا أصبحوا عرضوا عليهم البراءة من عليّ، فقالوا: نتولاّه ونتبرّأ ممّن تبرّأ منه. فأخذ كل رجل منهم رجلاً يقتله فقال حجر: دعوني أتوضّأ وأُصلي.

فلمّا أتمّ صلاته قتلوه وأقبلوا يقتلونهم واحداً واحداً حتىٰ قتلوا ستة مع حجر. فلمّا بلغوا عبدالرّحمٰن بن حسان العنزي وكريم بن العفيف الخثعمي قالا: ابعثوا بنا إلىٰ أمير المؤمنين، فنحن نقول في هذا الرجل مقالته. فبعثوا بهما إلىٰ معاوية فلما دخلا عليه، قال معاوية للخثعمي: ما تقول في عليّ؟ قال: أقول فيه قولك! قال أتبرّأ من دين عليّ؟ فسكت، فقام ابن عمّ له فاستوهبه من معاوية، فحبسه شهراً ثمّ خلّىٰ سبيله علىٰ أن يذهب إلى الكوفة.

أمّا العنزي فقد قال له: يا أخا ربيعة! ما قولك في عليّ؟ قال: أشهد أنّه كان من الذاكرين الله كثيراً ومن الآمرين بالحقّ والقائمين بالقسط والعافين عن الناس.

قال: فما قولك في عثمان؟ قال: هو أول من فتح باب الظلم وأرتج أبواب الحقّ. قال: قتلت نفسك. قال: بل إياك قتلت، فبعث به معاوية إلىٰ زياد وكتب إليه: أمّا بعد، فإن هذا العنزي شرُّ من بعثت، فعاقبه عقوبته الّتي هو أهلها واقتله

شرّ قتلة.

فلمّا قدم به علىٰ زياد بعث زياد به إلىٰ قسّ الناطف فدفن به حيّاً[1].

ومن قصص زياد بن أبيه في هذه المعركة أيضاً ما وقع بينه وبين صيفي بن فسيل، فإنّه أمر فجيء به إليه، فقال له: يا عدوّ الله! ما تقول في أبي تراب؟

قال: ما أعرف أبا تراب.

قال: ما أعرفَك به!

قال: ما أعرفه.

قال: أما تعرف عليّ بن أبي طالب؟!

قال: بلىٰ.

قال: فذاك، ـ وبعد محاورة بينهما ـ قال: عليّ بالعصا، فقال: ما قولك في عليّ؟

قال: أحسن قول أنا قائله في عبد من عبيد الله أقوله في أمير المؤمنين، قال: اضربوا عاتقه بالعصا حتىٰ يلصق بالأرض؛ فضرب حتىٰ أُلصق بالأرض، ثمّ قال: أقلعوا عنه، فتركوه، فقال له: إيه ما قولك في عليّ؟

قال: والله لو شرطتني بالمواسي والمُدىٰ ما قلت إلّا ما سمعت منّي، قال لتلعننّه أو لأضربنّ عنقك، قال: إذاً والله تضربها قبل ذلك، فأُسعد وتشقىٰ، قال: ادفعوا في رقبته، ثمّ قال: أوقروه حديداً واطرحوه في السجن، ثمّ قتل مع حجر[2].

وكتب إلىٰ معاوية في رجلين حضرميّـين[3] أنّهما علىٰ دين عليّ ورأيـه،

---

(١) أوردناها موجزة من عبدالله بن سبأ ٢ / ٢٨٤ ـ ٣٠٣، وفي ترجمة حجر من تاريخ دمشق لابن عساكر وتهذيبه تفصيل الخبر.

(٢) الطبري، ط. أوربا، ٢ / ١٢٩، وابن الأثير ٣ / ٢٠٤، والأغاني ١٦ / ٧، وابن عساكر ٦ / ٤٥٩.

(٣) نسبة إلىٰ حضرموت من بلاد اليمن.

فأجابه: من كان علىٰ دين عليّ ورأيه فاقتله، ومثِّل به. فصلبها علىٰ باب دارهما بالكوفة[1].

كما أمره بدفن الخثعميّ ـ الّذي مدح عليّاً وعاب عثمان ـ حيّاً، فدفنه حيّاً[2].

وختم حياته بما ذكره المسعودي، وابن عساكر، قال ابن عساكر:

جمع أهل الكوفة، فملأ منهم المسجد والرُّحبة والقصر، ليعرضهم على البراءة من عليّ[3].

وقال المسعودي: وكان زياد جمع الناس بالكوفة بباب قصره يحرّضهم علىٰ لعن عليّ، فمن أبىٰ ذلك عرضه على السيف، ثمّ ذكر أنّه أُصيب بالطاعون في تلك الساعة فأُفرج عنهم.

وكان عمرو بن الحمق الخزاعيّ ممّن أصابه التشريد والقتل في هذه المعركة، فإنّه فرَّ إلى البراري، فبحثوا عنه حتىٰ عثروا عليه، فحزّوا رأسه، وحملوه إلىٰ معاوية، فأمر بنصبه في السوق، ثمّ بعث برأسه إلىٰ زوجته في السجن ـ وكان قد سجنها في هذا السبيل ـ فالقي في حجرها[4].

عمّت هذه السياسة البلاد الإسلامية، واتّبعها ونفّذها غير من ذكرنا من الأُمراء أيضاً، كبسر بن أبي أرطأة في ولايته البصرة، وابن شهاب في الرّي[5].

---

(١) المحبر، ص ٤٧٩.

(٢) راجع قصّة حجر بن عدي في عبدالله بن سبأ.

(٣) المسعودي في أيام معاوية ٣ / ٣٠، وابن عساكر ٥ / ٤٢١.

(٤) المعارف لابن قتيبة ٧ / ١٢، والإستيعاب ٢ / ٥١٧، والإصابة ٢ / ٥٢٦، وتاريخ ابن كثير ٨ / ٤٨، والمحبر، ص ٤٩٠.

(٥) خبر بسر بن أرطأة وابن شهاب في حوادث سنة ٤١ هـ من الطبري، ط. أوربا، ٢ / ١٢ ←

فقد كانت لهم قصص في ذلك ذكرها المؤرخون، ثمَّ أصبحت هذه سياسة بني أُميّة التقليدية، ولُعن عليّ بن أبي طالب علىٰ منابر الشرق والغرب ما عدا سجستان، فإنّه لم يُلعَن علىٰ منبرها إلّا مرة، وامتنعوا علىٰ بني أُميّة، حتىٰ زادوا في عهدهم أن لا يُلعن علىٰ منبرهم أحدٌ في حين كان يلعن علىٰ منابر الحرمين مكّة والمدينة[1].

وقد كانوا يلعنون عليّاً على المنابر بمحضر من أهل بيته، وقصصهم في ذلك كثيرة نكتفي منها بذكر واحدة أوردها ابن حجر[2] في تطهير اللّسان، وقال:

إنّ عَمْراً صعد المنبر، فوقع في عليّ، ثمَّ فعل مثله المغيرة بن شعبة، فقيل للحسن: إصعد المنبر لتردّ عليهما، فامتنع إلّا أن يعطوه عهداً أن يصدقوه إن قال حقّاً، ويكذبوه[3] إن قال باطلاً.

فأعطوه ذلك، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثمَّ قال: أُنشدك الله يا عمرو! يا مغيرة! أتعلمان أنَّ رسول الله (ص) لعن السائق والقائد أحدهما فلان؟ قالا: بلىٰ، ثمَّ قال: يا معاوية! ويا مغيرة! ألم تعلما أنَّ النبي (ص) لعن عمراً بكل قافية قالها لعنة؟ قالا: اللّهمّ بلىٰ... الحديث.

ولمّا كان الناس لا يجلسون لاستماع خطبهم لما فيها من أحاديث لا يرتضونها، خالفوا السنّة، وقدّموا الخطبة على الصلاة.

← ـ ١٦، وابن الأثير ٣ / ١٦٥ و ١٧٩، في ذكر استعمال المغيرة على الكوفة من (حوادث سنة إحدىٰ وأربعين).

(١) أوردتها ملخّصة من معجم البلدان ٥ / ٣٨، ط. المصرية الأُولىٰ في لغة سجستان، وهي من بلاد إيران.

(٢) تطهير اللّسان، ص ٥٥، قال: وجاء بسند رجاله رجال الصحيح إلّا واحداً فمختلف فيه لكن قواه الذهبي بقوله: إنّه أحد الاثبات، وما فيه جرح أصلاً، ثمّ ذكر الحديث.

(٣) وفي الأصل تصحيف في اللفظ.

قال ابن حزم في المحلّى[1]:

أحدث بنو أُميّة تقديم الخطبة على الصلاة، واعتلّوا بأنّ الناس كانوا إذا صلّوا تركوهم، ولم يشهدوا الخطبة، وذلك لأنّهم كانوا يلعنُون عليّ بن أبي طالب (ع)، فكان المسلمون يفرُّون، وحقّ لهم ذلك.

وروى المسعودي وقال ما موجزه:

لمّا حجّ معاوية طافَ بالبيت ومعه سعد، فلمّا فرغ انصرف معاوية إلىٰ دار الندوة، فأجلسه معه علىٰ سريره، ووقع في عليّ وشرع في سبّه، فزحف سعد، ثمّ قال: أجلستني معك علىٰ سريرك، ثمّ شرعت في سبِّ عليّ؟!

والله لأن يكون فيَّ خصلة واحدة من خصال علـيّ أحبّ إليَّ، ثمّ ساق الحديث باختلاف يسير، وذكر في آخره أنّه قال: وأيم الله لا دخلت لك داراً ما بقيت، ثمّ نهض[2].

أمّا ابن عبد ربّـه، فقد أورده باختصار في أخبار معاوية من العقد الفريد وقال[3]:

«ولمّا مات الحسـن بن عليّ حجّ معاوية، فدخل المدينة، وأراد أن يلعن علياً علىٰ منبر رسول الله (ص) فقيل له: إنَّ هاهنا سعد بن أبي وقّاص، ولا نراه يرضىٰ بهذا، فابعث إليه وخذ رأيه، فأرسل إليه وذكر له ذلك، فقال: إن فعلت لأخرجنّ من المسجد ثمّ لا أعود إليه، فأمسك معاوية عن لعنه حتىٰ مات سعد.

فلمّا مات لعنه على المنبر، وكتب إلىٰ عمّاله أن يلعنوه على المنابر، ففعلوا، فكتبت أُمّ سَلمة زوجة النبيّ (ص) إلىٰ معاوية: انّكم تلعنون الله ورسوله علىٰ

---

(١) المحلّى لابن حزم، تحقيق أحمد محمّد شاكر ٥ / ٨٦، وراجع كتاب الأمّ للشافعي ١ / ٢٠٨.

(٢) مروج الذهب للمسعودي ٣ / ٢٤ في ذكر أيّام معاوية.

(٣) العقد الفريد ٣ / ١٢٧.

منابركم، وذلك أنّكم تلعنون عليّ بن أبي طالب، ومن أحبّه، وأنا أُشهد الله أنَّ الله أحبّه، ورسوله، فلم يلتفت إلىٰ كلامها» انتهىٰ[1].

وقال ابن أبي الحديد:

روىٰ أبو عثمان ـ الجاحظ ـ أيضاً أنّ قوماً من بني أُميّة قالوا لمعاوية: يا أمير المؤمنين! إنّك قد بلغت ما أملت، فلو كففت عن لعن هذا الرجل!

فقال: لا والله، حتىٰ يربو عليه الصغير، ويهرم عليه الكبير، ولا يذكر له ذاكر فضلاً[2].

روى الزّبير بن بكار وقال:

قال المطرف بن المغيرة بن شعبة: دخلت مع أبي علىٰ معاوية، فكان أبي يأتيه، فيتحدّث معه، ثمّ ينصرف إليَّ فيذكر معاوية وعقله، ويعجب بما يرىٰ منه، إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء ورأيته مغتمّاً، فانتظرته ساعةً، وظننتُ أنّه لأمر حدث فينا، فقلت: ما لي أراك مغتمّاً منذ الليلة؟

فقال: يا بنيّ! جئت من عند أكفر الناس وأخبثهم. قلت: وما ذاك؟

قال: قلت له وقد خلوت به: إنّك بلغت سنّاً يا أمير المؤمنين، فلو أظهرت عدلاً، وبسطت خيراً، فإنّك قد كبرت، ولو نظرت إلىٰ إخوتك من بني هاشم، فوصلت أرحامهم، فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه، وإنّ ذلك مما يبقىٰ لك ذكره وثوابه.

فقال: هيهات هيهات! أي ذكر أرجو بقاءه! ملك أخو تيم، فعدل وفعل ما فعل، فما عدا أن هلك حتىٰ هلك ذكره إلّا أن يقول قائل: أبو بكر، ثمّ ملك

---

(١) نقلته باختصار من كتاب (أحاديث أُمّ المؤمنين عائشة)، بحث دواعي وضع الحديث من فصل (مع معاوية).

(٢) شرح الخطبة (٥٧) من شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد.

أخو عدي فاجتهد وشمّر عشر سنين، فما عدا أن هلك ذكره، إلّا أن يقول قائل: عمر.

وإنّ ابن أبي كبشة ليصاح به كلَّ يوم خمس مرات (أشهد أنّ محمّداً رسول الله) فأي عمل يبقىٰ؟ وأي ذكر يدوم بعد هذا لا أباً لك؟

لا والله إلّا دفناً دفناً[1].

أثر تربية معاوية لأهل الشام خاصّة:

استطاع معاوية أن يفعل في سلطانه ما يشاء نتيجة ابعاد اهل الشام عن فهم الإسلام، ومن الشواهد علىٰ ذلك ما رواه المسعودي في مروج الذهب (٣ / ٣٢):

(قد بلغ من طاعتهم له ـ لمعاوية ـ أنّه صلّىٰ بهم عند مسيرهم إلىٰ صفين الجمعة يوم الأربعاء، وأعاروه رؤوسهم عند القتال، وحملوه بها، وركنوا إلىٰ قول عمرو بن العاص: إن عليّاً هو الّذي قتل عمّار بن ياسر حين أخرجه لنصرتهم، ثمّ ارتقىٰ بهم الأمر في طاعته إلىٰ أن جعلوا لعن عليّ سنّة ينشأ عليها الصغير، ويهلك عليها الكبير).

وصيّة معاوية لابنه يزيد:

قال ابن عبد ربّه في خبر وفاة معاوية من العقد الفريد:

لمّا حَضرت معاوية الوفاةُ، ويزيد غائب، دعا الضحاك بن قيس الفهري ومسلم بن عقبة المري، فقال: أبلغا عني يزيد وقولا له: انظر إلىٰ أهل الحجاز

---

(١) الموفقيات، ص ٥٧٦ ـ ٥٧٧، ومروج الذهب ٢ / ٤٥٤، وابن أبي الحديد ١ / ٤٦٢، وط. مصر تحقيق محمّد أبي الفضل إبراهيم ٥ / ١٢٠. وكانت قريش تكنّي رسول الله (ص) أبا كبشة استهزاءً به.

فهم أصلك وعترتك، فمن أتاك منهم فأكرمه، ومن قعد عنك فتعاهده، وانـظر أهل العراق، فإن سألوك عزل عامل في كل يوم فاعزله، فإن عزل عامل واحد أهون من سل مائة ألف سيف، ولا تدري علىٰ من تكون الدائرة، ثمّ انظر إلىٰ أهل الشام فاجعلهم الشعار دون الدثار، فإن رابك من عدوك ريب فارمه بهم، ثمّ اردد أهل الشام إلىٰ بلدهم، ولا يقيموا في غيره، فيتأدّبوا بغير أدبهم[1].

نتيجة البحث:

يظهر من سيرة معاوية أنّه كان أشدّ تعلّقاً بنشر فضائل أُرومته وعصبته وإلصاق المثالب بخصـومه ومَنْ ناوأه ممّن سـبقه من أسـلافه في الجاهلية. فهو يفاخر ابن عم الرسـول بأبيه وتملّكه بلاد المسلمين، ويقتدي بكسرىٰ وقيصر في حكمه، ويهجو الأنصار شاعره النصراني، ويأمر ولاته بشتم عليّ وذمّه ولعـنه علىٰ منابر المسلمين في خطب صلاة الجمعة، وأن يدعوا الناس إلىٰ رواية الحديث في فضائل عثمان والخليفتين من قبله، وأن يأتوا بمناقض لروايات فضائل عليّ، وأن ينشروا ذلك على العرب والموالي، فانتشر في حكمـه روايات كثيرة مفتعلة لا حقيقة لها في فضائل الصحابة وما ينتقص به على الإمام.

وكشف عن دخيلته للمغيرة بن شعبة حين قال له المغيرة: انّك قد بلغت سنّاً يا أمير المؤمنين، فلو أظهرت عدلاً وبسطت خيراً ولو نظرت إلىٰ إخوتك من بني هاشم، فوصلت أرحامهم، فوَالله ما عندهم اليوم شيء تخافه، وإن ذلك ممّا يبقىٰ لك ذكره وثوابه، فقال: هيهات هيهات! أي كيف أرجو بقاء ذكر الأعمال وقد ملك أخو تيم فعدل وفعل ما فعل فما عدا أن هلك حتّىٰ هلك ذكره إلّا أن يقول قائل: أبو بكر، ثمّ ملك أخو عديّ فاجتهد وشمّر عشر سنين، فما عدا أن

---

(١) العقد الفريد ٤ / ٣٧٢ و ٣٧٣.

هلك حتىٰ هلك ذكره؛ إلاّ أن يقول قائل: عمر إلىٰ قوله: وانّ ابن أبي كبشة ليصاح به كل يوم خمس مرّات (أشهد أنّ محمّداً رسول الله).

فأيّ عمل يبقىٰ؟ وأيّ ذكر يدوم بعد هذا لا أباً لك، ولا والله إلّا دفناً دفناً!

من كلّ ذلك نعرف أنّ خصائص المجتمع علىٰ عهد معاوية كانت من جانب الحاكم تملكه باسم الإسلام وتخلّقه بأغلظ العصبيّات الجاهليّة، ثمّ توظيفه مَنْ يضع الأحاديث في فضائل ذوي أُرومته وعصبته، وذمّ مَنْ يخاصمهم من بني هاشم ولا سيّما الإمام عليّ، وبقيت تلكم الأحاديث منتشرة بين المسلمين حتىٰ عصر تدوين الحديث، حيث انتشرت في أنواع كتب الحديث، وسوف ندرس بعضها ممّا رويت في شأن القرآن الكريم في البحوث الآتية إن شاء الله تعالىٰ.

ثانياً ـ علىٰ عهد خلفاء آل العاص:

سار علىٰ نهج معاوية مَنْ جاء بعده من خلفاء بني أُميّة، فقد روى اليعقوبي في أيّام مروان من تاريخه (٢ / ٢٦١) ما موجزه:

إنّ عبدالملك منع أهل الشام من الحجّ أيام ابن الزبير بمكة وقال لهم: مسجد بيت المقدس يقوم لكم مقام المسجد الحرام، وهذه الصخرة الّتي يروىٰ أن رسول الله (ص) وضع قدمه عليها لمّا صعد إلى السماء، تقوم لكم مقام الكعبة، فبنىٰ على الصخرة قبّة، وعلق عليها ستور الديباج، وأقام لها سدنة، وأخذ الناس بأن يطوفوا حولها كما يطوفون حول الكعبة، وأقام بذلك أيّام بني أُميّة.

وبلغ أمر إبعادهم أهل الشام عن فهم الحقيقة إلىٰ حدّ أنّهم لم يرضوا أن تنشر بين أهل الشام سيرة الرسول (ص)، وقد روىٰ في ذلك الزّبير بن بكار: في الموفقيات (ص ٣٣٢ ـ ٣٣٣)، وقال ما موجزه:

(إنّ سليمان بن عبدالملك مرّ بالمدينة حاجّاً في عصر أبيه، وأمر أبان بن

عثمان أن يكتب له سِير النّبيّ (ص) ومغازيه.

فقال أبان: هي عندي أخذتها مصححة ممّن أثق به.

فأمر عشرة من الكتاب بنسخها، فكتبوها في رِقّ، فلما صارت إليه نظر، فإذا فيها ذكر الأنصار في بدر، فقال سليمان: ما كنت أرىٰ هؤلاء القوم هذا الفضل فإمّا أن يكون أهل بيتي ـ أي الخلفاء الأمويون ـ غمصوا عليهم، وإمّا أن يكونوا ليس هكذا، فقال أبان بن عثمان: أيّها الأمير! لا يمنعنا ما صنعوا بالشهيد المظلوم ـ يقصد الخليفة عثمان ـ من خذلانه أن نقول الحق، هم علىٰ ما وصفنا لك في كتابنا هذا. قال سليمان: ما حاجتي إلىٰ أن أنسخ ذلك حتىٰ أذكره لأمير المؤمنين ـ يقصد والده عبد الملك ـ لعلّه يخالفه، فأمر بذلك الكتاب فحرِّق، ولمّا رجع أخبر أباه بما كان.

فقال عبدالملك: وما حاجتك أن تقدم بكتاب ليس لنا فيه فضل تعرِّف أهل الشام أُموراً لا نريد أن يعرفوها؟

قال سليمان: فلذلك أمرت بتحريق ما نسخته، حتىٰ أستطلع رأي أمير المؤمنين، فصوّب رأيه).

وأنتجت سياسة الخلافة الأموية ما رواه المسعودي في ذكره أيام مروان الحمار بمروج الذهب (٣ / ٣٣) وقال:

بعد مقتل مروان آخر الخلفاء الأمويين نزل عبدالله بن عليّ ـ أوّل الخلفاء العباسيين ـ الشام، ووجّه إلىٰ أبي العباس السفاح أشياخاً من أهل الشام من أرباب النعم والرئاسة من سائر أجناد الشام ـ أي حواضر البلاد الشامية ـ فحلفوا لأبي العباس السفاح أنّهم ما علموا لرسول الله (ص) قرابة ولا أهل بيت يرثونه غير بني أُميّة حتىٰ وليتم الخلافة.

روىٰ ابن الأثير في ذكر ترك سبّ أمير المؤمنين عليّ (ع) عن عمر بن

عبدالعزيز أنّه قال:

(كان أبي إذا خطب فنال من عليّ (رض) تلجلج، فقلت: يا أبت! إنّك تمضي في خطبتك فإذا أتيت علىٰ ذكر عليّ عرفت منك تقصيراً! قال: أَوَفطنت لذلك؟ قلت: نعم، فقال: يا بنيّ! إنّ الّذين حولنا لو يعلمون مِن عليّ ما نعلم تفرّقوا عنّا إلىٰ أولاده. فلمّا ولي الخلافة، لم يكن عنده من الرغبة في الدنيا ما يرتكب هذا الأمر العظيم لأجله، فترك ذلك وكتب بتركه وقرأ عوضه: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ (النّحل / ٩٠)[١].

وممّا ينبغي أن ندرسه من سياسة الخلافة الأموية بعض أخبار الحجّاج أمير القسم الشرقي للبلاد الإسلامية يومذاك.

أ ـ الحجّاج في عصره:

لمّا استشهد الحسين (ع) ظهر ابن الزّبير بمكّة ودعا لنفسه، وبعد موت يزيد بن معاوية سنة ٦٤ هـ بايعه بالخلافة أهل الحجاز واليمن والعراق ومصر وتوابعها مع بعض بلاد الشام[٢].

وفي عام ٧٢ هجرية ولّى الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان الحجّاج لحرب ابن الزّبير وجهّزه بجيش من الشام، وفي عام ٧٣ حاصر الحجّاج ابن الزّبير ومَنْ معه بمكّة، فالتجأوا بالحرم، فنصب الحجّاج المجانيق ـ واحده المنجنيق، آلة حرب شبيهة بالمدفع في عصرنا ـ علىٰ جبال مكّة، وأخذ يرمي أهل المسجد بالحجارة والنيران، وراجزهم يقول:

خطّارة مثل الفنيق الملبد   نرمي بها عوّاذ أهل المسجد

---

(١) تاريخ الكامل لابن الأثير ٥ / ١٦ في ذكر خلافة عمر بن عبدالعزيز.

(٢) راجع ترجمة ابن الزّبير بتاريخ الإسلام للذهبي ٣ / ١٧٠ ـ ١٧٤؛ وتاريخ الطبري، ط. أوربا ٢ / ٨٤٤ ـ ٨٤٥؛ والأخبار الطوال، ص ٣١٤؛ والبداية والنهاية لابن كثير ٨ / ٣٤١.

يعني نرمي بها العائذين بالمسجد.

وجعلت الحجارة تقع في الكعبة، حتّى انصدع الحائط الّذي علىٰ بئر زمزم عن آخره، وانقضت الكعبة من جوانبها.

فرعدت السماء وبرقت، وعلا صوت الرعد والبرق على الحجارة، وقتلت الصاعقة اثني عشر رجلاً فانكسر أهل الشام وأمسكوا بأيديهم، فرفع الحجّاج بركة قبائه، فغرزها في منطقته ورفع حجر المنجنيق، فوضعه فيه ثمّ قال: ارموا ورمىٰ معهم.

وجعل الحجّاج يصيح بأصحابه: يا أهل الشام: الله الله في الطاعة، فجعل أهل الشام يرتجزون ويقولون:

خطّارة مثل الفنيق الملبّد نرمي بها عوّاذ أهل المسجد

فنزلت صاعقة على المنجنيق فأحرقته، فتوقّف أهل الشام عن الرّمي، فخطبهم الحجّاج، فقال: ألم تعلموا أنّ النار كانت تنزل علىٰ من قبلنا، فتأكل قربانهم إذا تقبل منهم فلولا أنّ عملكم مقبول ما نزلت النار فأكلته، ثمّ أمرهم الحجّاج، فرموا بكيزان النفط والنار، حتى احترقت الستارات كلّها فصارت رماداً، فجعل الحجّاج يرتجز ويقول:

أما تراها ساطعاً غبارها والله في ما يزعمون جارها
فقد وهت وصدعت أحجارها وحان من كعبتها دمارها

ولمّا غلب الحجّاج علىٰ ابن الزّبير وقتله، قطع رأسه وصلبه مُنكساً، حتّىٰ تفسخ جسده[1]. وبعث برأسه ورؤوس آخرين إلى الشام، وأمرهم إذا مرّوا بالمدينة أن ينصبوا الرؤوس بها.

وأراد الحجّاج أن يُبرِّر قتاله لابن الزّبير وما صنعت يداه في تلك الحرب

---

(١) راجع ترجمة ابن الزّبير بتاريخ الإسلام للذهبي (٣ / ١١٤، ١٧٠ ـ ١٧٤).

القذرة ولم يكن له أن يرمي ابن الزّبير بخذلانه للخليفة عثمان كما احتج به لما فعل مع من بقي من صحابة الرسول (ص) في المدينة المنوّرة؛ لأنّ ابن الزبير كان من رؤساء جيش الجمل الّذي قاتل الإمام عليّاً باسم الطلب بدم عثمان، فكيف برّر صنيعه؟ انّه صعد المنبر بمكّة وخطب الناس وقال: ان ابن الزّبير غيّر كتاب الله!

فقال ابن عمر: ما سلّطه الله علىٰ ذلك ولا انت معه، ولو شئت أن اقول: كذبتَ فعلتُ[1].

هكذا جابه الصحابي عبدالله ابن الخليفة عمر الحاكم الغشوم سفّاك الدماء مهدّم بيت الله الحرام الحجّاج علىٰ الملأ بمكة وقال له: (ما سلّطه الله علىٰ ذلك ولا أنت معه) أي: لو اجتمع سلطانك وسلطانه علىٰ تغيير كتاب الله ما آستطعتم، لأنّ الله ما سلّطكم علىٰ ذلك وأنّه قد حفظ كتابه العزيز من ذلك، وكان نتيجة تجرّؤ ابن عمر على الحجّاج انّه أمر رجلاً معه حربة مسمومة فلصق بابن عمر عند دفع الناس ـ من منى إلى المشعر ـ فوضع الحربة علىٰ ظهر قدمه فمرض منها أيّاماً، فأتاه الحجّاج يعوده، فقال له: مَنْ فعل بك؟ قال: وما تصنع؟ قال: قتلني الله إن لم أقتله.

قال: ما أراك فاعلاً. أنت أمرت الّذي نخسني بالحربة. فقال: لا تفعل يا أبا عبدالرّحمٰن[2].

الحجّاج في المدينة:

سار الحجّاج بعد ان جدّد بناء البيت إلىٰ مدينة الرسول (ص) وأقام بها ثلاثة أشهر يتعنت أهلها، واستخفّ ببقايا الصحابة، وختم في أيديهم وأعناقهم يذلهم بذلك كما صنع بالصحابي سهل بن سعد الساعدي عندما أرسل إليه، وقال

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٩ / ١٢١.

(٢) أُسد الغابة ٣ / ٣٤٤.

له: ما منعك ان تنصر أمير المؤمنين عثمان؟ قال: قد فعلت! قال: كذبت! ثمّ أمر به فختم في عنقه برصاص[1].

وفي سنة ٧٥ هجرية، توفّي حاكم العراق، فولّاه الخليفة الأموي عبدالملك على العراق، وبقي والياً على العراق عشرين عاماً يقتل أبناءهم، ويستحيي نساءهم فخرج عليه عبدالله بن جارود فقاتله، وقتله مع طائفة ممّن كانوا معه وخرج عليه جماعة أُخرىٰ بنواحي البصرة وآخرون بالمدينة، فقاتلهم، وقتلهم وجمّر البعوث لقتال الخوارج عاماً بعد عام، وساءت سيرة الحجّاج مع الجميع ومن ضمنهم محمّد بن عبدالرّحمٰن بن الأشعث بن قيس وجيشه، الّذين كانوا يغيرون في الثغور الشرقية بما وراء سجستان، فقد كان الحجّاج يكره محمّد بن عبدالرّحمٰن بن الأشعث، فخلعوا الحجّاج جميعاً، ثمّ أقبلوا إلى الحجّاج كالسيل المنحدر، وانضمّ إلى ابن الأشعث جيش عظيم[2].

والتحق به علماء وفقهاء صالحون خرجوا معه طوعاً على الحجّاج حتىٰ بلغ عدد جيشه ١٢٠ ألف راجل و ٣٣ ألف فارس، فعجز عنهم الحجّاج، واستصرخ عبدالملك، فأرسل إليه العساكر الشاميّة، فوقعت بين الحجّاج وابن الأشعث أربع وثمانون وقعة في مائة يوم فكانت منها ٨٣ على الحجّاج وواحدة له وتغلّب ابن الأشعث على الكوفة وخلعوا عبدالملك، وكان فيهم قرّاء العراق وقتل منهم خلق في القتال، وكانت الوقعات بينهما ما بين الكوفة والبصرة، فانكشف ابن الأشعث وقتل من أصحابه ناس كثير وأسر الحجّاج ناساً كثيراً ذبحهم جميعاً كما يُذبَح الغنم، ذبح منهم بمسكن وحده خمسة آلاف أو أربعة آلاف

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٣ / ١١٦ في ذكره حوادث سنة (٧٤هـ).

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي، ذكر حوادث سنة (٧٥ هـ) ٣ / ١١٧، وسنة (٨٠ هـ) ٣ / ١٢٧ ـ ١٢٩، وسنة (٨١ هـ) ٣ / ٢٢٦.

أسير مسلم، وفرّ ابن الأشعث مع خواصّـه إلى البلاد الإيرانيـة، فـظفروا بـه، وذبحوه، وقطعوا رأسه، وطافوا به في الأقاليم[1].

بقيّة ترجمة الحجّاج:

سنورد من هنا إلىٰ آخر ترجمة الحجّاج روايات ابن عساكر وابن كثير في ترجمته بتاريخيهما ونصرح باسم من طابقهما في الرواية كالآتي:

قالا مع الذهبي:

كان أنس بن مالك يؤلِّب على الحجّاج أيام عبدالرّحمٰن بـن الأشـعث فبيتوه، وأتوا به الحجّاج، فوسم في يده عتيق الحجّاج[2].

وفي رواية: دخل أنس عليه وهو يعرض الناس لقتال ابن الأشعث، فقال له: يا خبيث جوال في الفـتن مرّة مع عليّ، ومرّة مع ابن الزّبير، ومرّة مع ابـن الأشعث.

أما والّذي نفسي بيده لاستأصلنّك كما تستأصل الصمغة، ولأجردنّك كما يجرّد الضب، أي: لأسلخنّك سلخ الضب إذا شوي.

فقال أنس: من يعني الأمير؟ قال: إيّاك أعني، أصمّ الله سمعك.

فاسترجع أنس وشغل الحجّاج، وخرج أنس فتبعوه إلى الرحبة فـقال:

---

(١) تاريخ الإسلام ٣ / ٢٢٦ ـ ٢٣٤، ذكر حوادث سنوات ٨١ ـ ٨٤هـ.

ومَسْكِن: موضع على نهر دجيل، والدجيل بلد قريب من بغداد. معجم البلدان.

(٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٣ / ١٥١؛ والبدايـة والنهـاية لابـن كـثير ٩ / ١٣٣ واللـفظ للذهبي، تاريخ الذهبي ٣ / ٣٤٢.

وروى الذهبي وابن عساكر وقالا: كان أنس بن مالك أبرص وبه وضح شديد، وتوفِّي سنة ٩٠ أو ٩١ واختلفوا في عمره يوم توفِّي.

لولا أني ذكرت ولدي وخشيته عليهم بعدي لكلمته بكلام في مقامي لا أستحيي بعده أبداً.

وروىٰ ابن كثير وقال:

فكتب إلىٰ عبدالملك بن مروان يخبره بما قال له الحجّاج، فلمّا قرأ عبدالملك كتاب أنس استشاط غضباً، وشفق عجباً، وتعاظم ذلك من الحجّاج، وكان كتاب أنس إلىٰ عبدالملك:

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم، إلىٰ عبدالملك بن مروان أمير المؤمنين من أنس ابن مالك، أمّا بعد: فإنّ الحجّاج قال لي هُجراً، وأسمعني نكراً، ولم أكن لذلك أهلاً، فخذ لي علىٰ يديه، فإني أمتُّ بخدمتي رسول الله (ص) وصحبتي إيّاه، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

فبعث عبدالملك إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر[1] ـ وكان مصادقاً للحجّاج ـ فقال له: دونك كتابيّ هٰذين، فخذهما واركب البريد إلى العراق، وابدأ بأنس بن مالك صاحب رسول الله (ص)، فارفع كتابي إليه وأبلغه منّي السّلام، وقل له: يا أبا حمزة قد كتبت إلى الحجّاج الملعون كتاباً، إذا قرأه كان أطوع لك من أمتك، وكان كتاب عبدالملك إلىٰ أنس بن مالك:

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم، من عبدالملك بن مروان إلىٰ أنس بن مالك خادم رسول الله (ص)، أمّا بعد فقد قرأت كتابك، وفهمت ما ذكرت من شكايتك الحجّاج، وما سلطته عليك ولا أمرته بالإساءة إليك، فإن عاد لمثلها اكتب إليَّ بذلك أُنزل به عقوبتي، وتحسن لك معونتي، والسّلام.

---

(١) اسماعيل بن عبيدالله بن أبي المهاجر الدمشقي المخزومي ولاءً (ت: ١٣١هـ) تقريب التهذيب ١ / ٧٢. وتهذيب الكمال، الترجمة ٤٦٥، ٣ / ١٤٣.

فلمّا قرأ أنس كتاب أمير المؤمنين وأُخبر برسالته، قال: جزى الله أمير المؤمنين عني خيراً وعافاه وكفاه وكافأه بالجنة، فهذا كان ظني به والرجاء منه.

فقال إسماعيل بن عبيدالله لأنس: يا أبا حمزة! إنّ الحجّاج عامل أمير المؤمنين، وليس بك عنه غنىٰ، ولا بأهل بيتك، ولو جعل لكِ في جامعة ثمّ دفع إليك فقاربه وداره تعش معه بخير وسلام.

فقال أنس: أفعل إن شاء الله.

ثمّ خرج إسماعيل من عند أنس فدخل على الحجّاج، فقال الحجّاج: مرحباً برجل أُحبّه وكنت أُحبّ لقاءه، فقال إسماعيل: أنا والله كنت أُحبّ لقاءك في غير ما أتيتك به، فتغيّر لون الحجّاج وخافَ وقال: ما أتيتني به؟ قال: فارقت أمير المؤمنين وهو أشدّ الناس غضباً عليك، ومنك بعداً، قال: فاستوى الحجّاج جالساً مرعوباً، فرمى إليه إسماعيل بالطومار، فجعل الحجّاج ينظر فيه مرّة ويعرق، وينظر إلىٰ إسماعيل أُخرىٰ، فلمّا فضّه قال: قُم بنا إلىٰ أبي حمزة نعتذر إليه ونترضّاه، فقال له إسماعيل: لا تعجل! فقال: كيف لا أعجل وقد أتيتني بآبدة؟ وكان في الطومار:

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم، من أمير المؤمنين عبدالملك بن مروان إلى الحجّاج ابن يوسف، أمّا بعد، فإنّك عبد طمت بك الأُمور، فسموتَ فيها، وعدوتَ طورك، وجاوزتَ قدرك، وركبتَ داهية إدّاً، وأردت أن تبدو لي، فإن سوّغتكها مضيت قدماً، وإن لم أُسوِّغها رجعت القهقرىٰ، فلعنك الله من عبد أخفش العينين، منقوص الجاعرتين.

أنسيت مكاسب آبائك بالطائف، وحفرهم الآبار، ونقلهم الصخور علىٰ ظهورهم في المناهل؟ يا ابن المستفرية بعجم الزبيب، والله لأغمرنك غمر اللّيث الثعلب، والصقر الأرنب.

وثبت علىٰ رجل من أصحاب رسول الله (ص) بين أظهرنا، فلم تقبل له إحسانه، ولم تتجاوز له عن إساءته، جرأة منك على الرب ـ عزّ وجلّ ـ واستخفافاً منك بالعهد[1].

وقالا: وأخبر عن تأخيره الصلاة عن وقتها ومعارضته ابن عمر وغيره أعرضنا عن ذكرها روماً للايجاز في ترجمته.

وقالا:

ذكروا الحسين (رض) عند الحجّاج فقال: لم يكن من ذرِّيّة النبيّ (ص) فقال يحيىٰ بن يعمر: كذبت أيُّها الأمير!

فقال: لتأتيني علىٰ ما قلت ببينة من كتاب الله او لأقتلنّك.

فقال: قوله تعالىٰ: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ ـ إلىٰ قوله ـ ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ﴾، فأخبر الله ان عيسىٰ من ذريّة آدم بامّه.

قال: صدقت، فما حملك علىٰ تكذيبي في مجلسي؟

قال: ما أخذ الله على الأنبياء لتبيِّنّنه للناس ولا تكتمونه.

فنفاه إلىٰ خراسان[2].

وقالا:

إنّ الحجّاج قرأ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾ فقال: هذه

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية ٩ / ١٣٣ ـ ١٣٤، تهذيب ابن عساكر (٤ / ٧٦ ـ ٧٨).

وإدّاً: أمراً داهية منكراً. والخفش: ضعف في الإبصار يظهر في النور الشديد. والجاعرة: حرف الورك المشرف على الفخذ وهما جاعرتان.

(٢) ابن عساكر، تاريخه، مصوّرة المجمع ٤ / ١ / ١١٦ ب، وتهذيب ابن عساكر ٤ / ٦٨، وابن كثير ٩ / ١٢٦، ووفيات الأعيان ٥ / ٢٢٢.

يحيىٰ بن يعمر البصري، مات قبل المائة أو بعدها. أخرج حديثه جميع أصحاب الصحاح. تقريب التهذيب (٢ / ٣٦١).

ـ أي اسمعوا وأطيعوا ـ لعبد الله لأمين الله وخليفته ليس فيها مثنوية ـ أي لا ثاني له أو لا استثناء له ـ والله لو أمرت رجلاً يخرج من باب هذا المسجد، فأخذ من غيره لحلّ لي دمه، والله لو أخذت ربيعة بدم مضر لكان لي حلالاً.

وقال في شأن الصحابي عبدالله بن مسعود:

كان ابن مسعود رأس المنافقين لو أدركته لأسقيت الأرض من دمه.

وفي رواية قال فيه: يا عجباً من عبد هذيل لو أدركته لضربت عنقه.

وقال عن مصحفه: لأحكّنّها من المصحف ولو بضلع خنزير.

قال الأعمش: لمّا سمعت ذلك منه، قلت في نفسي: والله لأقرأنها علىٰ رغم أنفك.

وقالا: ختم الحجّاج في عنق أنس بن مالك أراد أن يذلّه، وانّه فعل ذلك بغير واحد من الصحابة يريد أن يذلّهم بذلك[1].

أخبار سجون الحجّاج:

مرّ الحجّاج في يوم جمعة، فسمع استغاثة، فقال: ما هذا؟ قيل: أهل السجون يقولون: قتلنا الحرّ. فقال: قولوا لهم: ﴿اخْسَأُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾.

فما عاش بعد إلّا أقل من جمعة.

وقالا: وعرضت السجون بعد موت الحجّاج، فوجدوا فيها ثلاثة وثلاثين ألفاً لم يجب علىٰ أحد منهم قطع ولا صلب.

وقالا: احصوا ما قتل الحجّاج صبراً، فبلغ مائة ألف وعشرين ألفاً.

وقالا: اطلق سليمان بن عبدالملك في غداة واحدة واحداً وثمانين ألف أسير

---

(١) ابن عساكر، مصوّرة المجمع ٤ / ١ / ١٢٢ب، تهذيب تاريخ ابن عساكر (٤ / ٧٢)، ابن كثير (٩ / ١٢٨ ـ ١٣٠).

كانوا في سجن الحجّاج[1].

وقالا: مات الحجّاج وفي سجنه ثمانون ألفاً منهم ثلاثون ألف امرأة.

وكان فيمن حبس أعرابي وُجِد يبول في أصل ربض مدينة واسط، وكان فيمَن أُطلق فأنشأ يقول:

إذا نحنُ جاوزنا مدينة واسط   خرينا وصلّينا بغير حساب

موت الحجّاج ودفنه:

وقالا: اخبر أهل السجن بموت الحجّاج في مرضه هذا في ليلة كذا وكذا، فلمّا كانت تلك الليلة لم ينم أهل السجن فرحاً، جلسوا ينظرون، حتّىٰ يسمعوا الناعية. مات سنة ٩٥ هجرية بواسط، وعفي قبره، وأُجري عليه الماء، لكيلا ينبش ويحرق.

أقوال الحجّاج وأحداثه:

قال ابن عساكر:

وقال عوف، سمعت الحجّاج يخطب وهو يقول: إنّ مثل عثمان عند الله كمثل عيسىٰ بن مريم، ثمّ قرأ هذه الآية يقرأها ويفسّرها ﴿قَالَ ٱللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ويشير بيده إلىٰ أهل الشام[2].

وروىٰ ابن كثير وقال:

كان الحجّاج مع فصاحته وبلاغته يلحن في حروف من القرآن، أنكرها يحيىٰ بن يعمر، منها: انّه كان يبدل (إن) المكسورة بـ(أن) المفتوحة وعكسه،

---

(١) تهذيب ابن عساكر (٣ / ٣٥٣ ـ ٣٥٤)، وفي ط. أُخرىٰ ٤ / ٨٣. وابن كثير ٩ / ١٣٦.

(٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ / ٧٢.

وكان يقرأ ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ﴾ إلىٰ قوله ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم﴾ فيقرأها برفع (أحب)[1].

وخطب الحجّاج وقال في خطبته: رسول أحدكم في حاجته أكرم عليه أم خليفته في أهله؟ فقلت في نفسي: لله عليَّ أن لا أُصلِّي خلفك صلاة أبداً، وإن وجدت قوماً يجاهدونك لأُجاهدنّك معهم. فقاتل يوم الجماجم حتىٰ قتل[2].

أخبار الحجّاج بعد موته:

تمهيد:

أ ـ علىٰ عهد سليمان بن عبدالملك:

ولي يزيد بن المهلب الأزدي خراسان بعد وفاة أبيه (سنة ٨٣ هـ)، فمكث نحواً من ست سنين، ثمّ عزله عبد الملك في سنة تسعين برأي الحجّاج، وكان الحجّاج يخشىٰ بأسه فسجنه مع اخويه، وجعل الحرس عليهم من اهل الشام وطلب منه ستة آلاف ألف، وأخذ يعذّبهم، فكان يزيد يصبر صبراً حسناً، وكان ذلك يغيظ الحجّاج منه، فقيل للحجّاج: انّه رمي في ساقه بنشابة، فثبت نصلها فيه، فهو لا يمسّها إلّا صاح.

فأمر أن يعذّب في ساقه، فلما فعلوا به ذلك صاح واخته هند بنت المهلّب عند الحجّاج، فلما سمعت صوته، صاحت وناحت، فطلقها الحجّاج.

ثمّ هرب يزيد من سجن الحجّاج وذهب إلى الشام واستجار بسليمان بن عبدالملك، فأجاره، وكتب الوليد بن عبد الملك الخليفة إلى الحجّاج يأمره بالكفّ عن أهل يزيد بن المهلب، فكف عنهم، وأراد الوليد أن يخلع أخاه سليمان

---

(١) تاريخ ابن كثير ٩ / ١٢٦، تهذيب ابن عساكر ٤ / ٦٨.

(٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ / ٧٣، تاريخ ابن كثير ٩ / ١٣١.

من ولاية العهد، ويبايع لولده عبد العزيز فأبىٰ سليمان، فكتب إلىٰ عماله ودعا الناس إلىٰ ذلك، فلم يجبه إلّا الحجّاج وقتيبة وخواص من الناس، ومات الوليد في سنة (٩٦ هـ) ولم يتم له خلع سليمان.

وولي بعده سليمان بن عبدالملك وولىٰ يزيد بن المهلّب العراق، ثمّ خراسان، وأمره بمعاقبة آل الحجّاج بن يوسف، ودفع إليه أصحاب الحجّاج، وأمره أن يعذّبهم حتىٰ يستخرج الأموال منهم، وتتبّع سليمان أصحاب الحجّاج يسومهم سوء العذاب، وقام يزيد بن المهلب في العراق يعذب عمّال الحجّاج، وأشخص إلى الخليفة سليمان يزيد بن أبي مسلم وكان الحجّاج قد استخلفه من بعده علىٰ إمرة العراق، ولمّا ادخل يزيد على الخليفة سليمان وكان يزيد قصيراً، خفيف البدن، فلمّا رآه قال له: أنت يزيد؟ قال: نعم.

قال: صاحب الحجّاج والأفعال الّتي بلغتني مع ما أرىٰ من دمامة خلقتك؟

قال: ذاك والله أنّك رأيتني والدنيا عليك مقبلة، وهي عنّي مدبرة، ولو رأيتها وهي إلي مقبلة، وعنك مدبرة، لاستعظمت ما استصغرت، واستجللت ما استحقرت.

قال: أين ترى الحجّاج يهوي في النار؟

قال: لا تقل هذا يا أمير المؤمنين لرجل يحشر عن يمين أبيك وشمال أخيك، وأنزله حيث شئت تنزلها معه.

فقال ليزيد بن المهلب: خذه إليك، فعذّبه بألوان العذاب، حتىٰ تستخرج منه الأموال[1].

---

(١) ترجمة يزيد بن المهلّب في وفيات الأعيان ٥ / ٢٢٢، رقم الترجمة ٧٨٧. وفي تاريخ ابن الأثير (٤ / ٢٠٨) ذكر حوادث سنة ٩٠ هـ، وابن كثير ٩ / ٧٨، واليعقوبي (٢ / ٢٩٠ ـ ٢٩٥).

ب ـ علىٰ عهد عمر بن عبدالعزيز:

قال عمر بن عبد العزيز: لو تخابثت الأمم فجاءت كل أُمّة بخبيثها وجئنا بالحجّاج لغلبناهم، وما كان الحجّاج يصلح لدنيا ولا لآخرة، لقد وُلِّيَ العراق وهو أوفر ما يكون في العمارة، فأخسّ به إلىٰ أن صيّره إلىٰ أربعين ألف ألف، ولقد أدّىٰ إليَّ عمّالي في عامي هذا ثمانين ألف ألف، وإن بقيت إلىٰ قابل رجوت أن يؤدّىٰ إليَّ ما أُدِّي إلىٰ عمر بن الخطاب مائة ألف ألف وعشرة آلاف ألف.

وقال أبوبكر بن المقري: حدّثنا أبو عروبة حدّثنا عمرو بن عثمان حدّثنا أبي: سمعت جدّي قال: كتب عمر بن عبدالعزيز إلىٰ عدي بن أرطاة: بلغني أنك تستنّ بسنن الحجّاج، فلا تستنّ بسننه، فإنّه كان يصلّي الصلاة لغير وقتها، ويأخذ الزّكاة من غير حقِّها، وكان لما سوىٰ ذلك أضيع.

وقال يعقوب بن سفيان: حدثنا سعيد بن أسد حدثنا ضمرة عن الريان ابن مسلم، قال: بعث عمر بن عبدالعزيز بآل بيت أبي عقيل ـ أهل بيت الحجّاج ـ إلىٰ صاحب اليمن وكتب إليه: أما بعد فاني قد بعثت بآل أبي عقيل وهم شرّ بيت في العمل، ففرقهم في العمل علىٰ قدر هوانهم على الله وعلينا، وعليك السلام.

ج ـ أقوال في الحجّاج:

قال ابن عساكر وابن كثير:

إنّ عليّاً (ع) كان على المنبر، فقال: إنِّي ائتمنتهم، فخانوني، ونصحتهم فغشوني. اللّهمّ فسلّط عليهم غلام ثقيف يحكم في دمائهم وأموالهم بحكم الجاهلية. وفي رواية قال: يملك عشرين سنة أو بضعاً وعشرين سنة، لا يدع لله معصية إلّا ارتكبها[1].

---

(١) تهذيب ابن عساكر ٤ / ٧٥، تاريخ ابن كثير ٩ / ١٣٢.

وقالا: وقيل لسعيد بن جبير: خرجت على الحجّاج.

فقال: والله ما خرجتُ عليه حتّىٰ كفر[1].

وقالا: لمّا بلغ خبر موته إبراهيم النّخعي، بكىٰ من الفرح[2].

وقالا: سُئل إبراهيم عن الحجّاج أو بعض الجبابرة، فقال: أليْسَ الله يقول: ﴿ألَا لَعنةُ اللهِ على الظّالمين﴾ وكفىٰ بالرّجل عمى أن يعمىٰ عن أمر الحجّاج[3].

وقالا: أُخبر الحسن البصري بموت الحجّاج، فسجد.

وفي رواية قال: اللّهمّ أمِته، فأذهب عنا سنّته[4].

وقالا: قال القاسم بن المخيمرة[5]: وكان الحجّاج ينقض عرى الإسلام وذكر حكاية.

قال المؤلف: إنّهما سكتا عن ذكر الحكاية.

وقالا: قال عاصم:[6] لم يبق لله حرمة إلّا ارتكبها الحجّاج.

وقالا: اختلفوا في الحجّاج فسألوا مجاهداً[7]، فقال: تسألون عن الشيخ

---

(١) تهذيب ابن عساكر ٤ / ٨٢، تاريخ ابن كثير ٩ / ٩٧ و١٣٦.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٩ / ١٣٨.

وإبراهيم بن سويد النخعي من الطبقة السادسة من الرواة. تقريب التهذيب، الترجمة رقم ٢٠٩، ١ / ٣٦.

(٣) البداية والنهاية ٩ / ١٣٧.

(٤) المصدر السابق ٩ / ١٣٨.

(٥) القاسم بن مخيمرة، أبو عروة الهمداني، الكوفي، نزيل الشام، من الطبقة الثالثة. (ت: ١٠٠ هـ). تقريب التهذيب، الترجمة رقم ٥٥، ٢ / ١٢٠.

(٦) عاصم بن عبدالله بن عاصم العدوي المدني من آل الخليفة عمر بن الخطاب من الطبقة الرابعة. تقريب التهذيب، الترجمة ١٥، ١ / ٣٨٤.

(٧) مجاهد بن جبر، أبو الحجّاج المخزومي المكّي، ثقة، إمام في التفسير، من الطبقة الثالثة. (ت: ١٠١هـ). الترجمة رقم ٩٢٢، ٢ / ١٢٩.

الكافر؟

قال المؤلِّف: قد نقلا كثيراً من أخبار الإمام عليّ عن الحجّاج، ولكنّا اقتصرنا بما أوردنا إيجازاً في الترجمة.

وفي تاريخ ابن كثير:

عن أبي البختري قال: قالوا لعليّ: حدِّثنا عن أصحاب محمّد (ص).

قال: عن أيّهم؟

قالوا: حدِّثنا عن ابن مسعود. قال: عَلِمَ القرآن والسنّة.

وقال ابن كثير: فهداتنا الصحابة العالمون به، العارفون بما كان عليه، فهم أولىٰ بالإتّباع، وأصدق أقوالاً من أصحاب الأهواء الحائدين عن الحق، مثل اقوال الحجّاج وغيره من اهل الاهواء: هذيانات وكذب وافتراء، وبعضها كفر وزندقة، فانّ الحجّاج كان عثمانياً أموياً، يميل اليهم ميلاً عظيماً. ويرىٰ أنّ خلافهم كفر. ويستحل بذلك الدماء. ولا تأخذه في ذلك لومة لائم[1].

وقال ـ أيضاً ـ:

قد ذكرنا كيفية دخول الحجّاج الكوفة في سنة خمس وسبعين وخطبته إيّاهم بغتة، وتهديده ووعيده اياهم، وانّهم خافوه مخافة شديدة، وأنّه قتل عمير ابن ضابئ وكذلك قتل كميل بن زياد صبراً، ثمّ كان من أمره في قتال ابن الأشعث ما قدمنا، ثمّ تسلط علىٰ من كان معه من الرؤساء والأُمراء والعباد والقرّاء، حتىٰ كان آخر من قتل منهم سعيد بن جبير[2].

وقد كان ناصبياً يبغض عليّاً وشيعته في هوى آل مروان من بني أُميّة، وكان جبّاراً عنيداً، مقداماً علىٰ سفك الدماء بأدنىٰ شبهة.

---

(١) تاريخ ابن كثير ٩ / ١٣١.

(٢) نفس المصدر ٩ / ١٣٢ ـ ١٣٦.

وقد روي عنه ألفاظ شنيعة ظاهرها الكفر[1].



نتيجة البحث:

ضرب الكعبة بالمنجنيق وحرقها بنو العاص من الأمويين كما فعله قبلهم يزيد السفياني الأمـوي، وأضافوا إلىٰ ذلك أمرهم بالطواف حول صخرة بـيت المقدس بدلاً من الطواف حول الكعبة، وقتلوا المسلمين، وسجنوهم وعذبوهم في الحجاز والعراق وإيران واليمن. ويهمّنا في دراستنا الآتية ما صنعوا من حرقهم ما كتب من سنّة الرسول (ص) لما حوت مواقف مشرّفة للأنصار في غزوة بدر، واستمرارهم علىٰ لعن الإمام عليّ علىٰ منابر المسلمين في ما عدا عصر عمر بن عبدالعزيز، وبلغ بحكّامهم الأمر أن ينكر أحـدهم بنـوّة السبط الشهيد لجـدِّه الرسول (ص).

وبناءً علىٰ ما ذكرنا كان لهم أثر بليغ في منع نشر حديث الرسول (ص) في فضل مخالفيهم، وكان أعظم من يخشون منهم علىٰ حكمهم الإمام عليّاً، فلذلك لم يكتفوا بمنع نشر فضائل الإمام بل سنّوا لعنه (ع).

وكذلك لم يتغـيّر تهالكهم علىٰ ذكر الفضائل لعصبتهم وبلغ الأمر بهم في ذلك إلىٰ أن يقول واليهم الحجّاج على المنبر في مدح خليفتهم: (أرسول أحدكم في حاجته أكرم عليه أم خليفته في أهله)؟

يقصد في قوله أنّ الخليفة الأموي هو خليفة الله، وخليفة الله أكرم عنده من رسول الله (ص) والعياذ بالله.

ولهذا السبب منعوا من كتابة حديث الرسول (ص) طوال حكمهم كما مرّ

---

(١) المصدر السابق ٩ / ١٣٢.

بنا في خبر حرق سليمان سيرة الرسول (ص) الّتي كتبها أبان بن عثمان لما فيها من فضائل الأنصار.



كانت تلكم خصائص المجتمع علىٰ عهد معاوية وسار علىٰ نهجه من جاء بعده من الخلفاء. أمّا أخبار القرآن علىٰ عهدهم فإنّ الخلفاء من بني أُميّة لم يكن لهم أي اهتمام بأمر إقراء القرآن وقرّائه، بعد حرق المصاحف الّتي كان فيها من تفسير القرآن ما يخالف سياسة حكمهم كما سنتحدث عنه إن شاء الله تعالىٰ في دراسة أخبار اختلاف المصاحف، وبعد إهمال الحكام أمر القرآن قيّض الله في المسلمين صنفين من العلماء ممّن اهتموا بأمر القرآن:

أ ـ مَنْ أخذ قراءة لفظ القرآن من أصحاب رسول الله (ص) وقام في المجتمع بتعليمه كذلك في سبيل الله.

ب ـ مَنْ تخرّج من مدرسة أبي الأسود الدؤلي، تلميذ الإمام عليّ في تأسيس علم النحو، وسار في تكميل وضع علامات الإعراب، وسندرس كلا الأمرين في ما يأتي بإذنه تعالىٰ.

أخبار القرآن علىٰ عهد معاوية فما بعده من الأمويين

أ ـ أخبار القراءة والقرّاء:

بقيت القراءة والإقراء بنفس معناهما عند التابعين الّذين قرأوا القرآن على الصحابة، غير انّهم كانوا يجرّدون القرآن من حديث الرسول (ص) بعد عصر عثمان، كما يعرف ذلك من خبر مقرئ الكوفة الآتي:

قال الذهبي في معرفة القرّاء الكبار، ص ٤٥ ـ ٤٩:

مقرئ الكوفة أبو عبدالرّحمٰن عبدالله بن حبيب السّلمي: وُلِدَ في حياة النبيّ (ص)، وقرأ القرآن، وجوّده، وبرعَ في حفظه وعرض ـ القرآن ـ علىٰ عثمان وعليّ وابن مسعود وزيد بن ثابت وأُبيّ بن كعب، وكان يقرئ الناس في مسجد الكوفة الأعظم أربعين سنة منذ خلافة عثمان إلىٰ أن توفّي في إمرة الحجّاج سنة ثلاث أو أربع وسبعين. وكان يعلّمهم القرآن خمس آيات خمس آيات.

وكان رجل يقرأ عليه، فأهدىٰ له قوساً، فردّها وقال: ألا كان هذا قبل القراءة.

وأقرأ ابن رجل منهم، فأهدىٰ له جلالاً وجزراً، فردّها، وقال: إنّا لا نأخذ علىٰ كتاب الله أجراً.

لم يكن بعد عصر عثمان وتجريده القرآن من حديث الرسول في المصاحف ومنع الصحابة من رواية الحديث وكتابته، يُعلّم القرآن مع التفسير، بل كان يدرس مجرّداً، وفي هذا العصر سمّي تعليم القرآن مجرّداً من بيان الرسول بالقراءة، وفي أُخرىٰات هذا العصر عصر الترّف العقلي وانصراف المسلمين عن تدارس

سُنّة الرسول للسبب الّذي ذكرناه اخترع علماء العربية علم قراءة القرآن المحرّفة للقرآن الكريم كما درسناه في بحث القراءات ولله الحمد.

* * *

درسنا كيفية تنقيط المصاحف من قبل أبي الأسود الدؤلي، وقد جاء كيفية التنقيط في اختلاف المصاحف.لابن أبي داود كالآتي نصّــه:

ب ـ كيف تُنقّط المصاحف؟

قال أبو حاتم السجستاني: ونقطه بيده هذا كتاب يستدلّ به علىٰ علم النقط ومواضعه. إذا كان الحرف مرفوعاً غير منون نقطته قدامه واحدة مثل قوله « العلمُ الحكمُ »، وإذا كان منصوباً غير منون نقطته واحدة فوقه كقوله « العلمَ الحكمَ »، وإذا كان مجروراً غير منون نقطته واحدة تحته كقوله « العلمِ الحكمِ »، وأمّا ما كان منوناً فنقطتان مثل قوله في الرفع « علمٌ حكمٌ » وفي النصب « علماً حكماً » وفي الجر « علمٍ حكمٍ » وربّما تركوا في النصب، لأنّ الألف تدلّ على النصب، فخفّفوا على الايجاز، إلّا أنّهم ينونون عند الحروف الستة، وإنما النقط على الايجاز لأنّهم لو تتبّعوا كما ينبغي أن ينقط عليه فنقطوه لفسد المصحف، لو نقطوا قوله « فتله » «فَـتَلَهُ» على الفاء والميم والثاء واللّام والهاء ونحو ذلك فسد، ولكنّهم ينقطون على الميم واحدة فوقها وواحدة من بين يدي اللّام، لأنّ اللّام حرف الإعراب وقد تنصب اللام وترفع وتجر، وفتحوا الميم لئلا يظن القارئ أنها «فمثل»، وإذا جاء شيء يستدلّ بغيره عليه ترك مثل قوله «قُتِلُوا[1] في سَبِيلِ اللهِ» ينقط بين يدي القاف واحدة ولا ينقط على التاء شيء، لأنّ ضمتها تدلّ علىٰ أنّهم فعلوا.

---

(١) قتلوا: يعني في الخط الكوفي « قتلوا ».

وأمّا قوله «قُتّلوا[1] تقتيلاً»، فإنّك تنقط تحت التاء واحدة، لأنّ هذه مشدّدة، فتفرّق بين المخفّف والمشدّد، فقس كل شيء بهذا إن شاء الله.

وأمّا الهمزة فإذا كانت مفتوحة غير ممدودة نقطتها في قفا الألف، وإذا كانت ممدودة نقطتها بين يدي الألف، فأما غير الممدود فمثل قوله « بَلْ أَتَيْنَاهُمْ[2] بِذِكْرِهِمْ» لأنّها بمعنىٰ جئناهم، وأما «وَلَقَدْ آتَيْنَاهُمْ[3]» فبين يدي الألف وترفعها قليلاً إلىٰ رأس الألف، لأنّ آتيناهم معناه أعطيناهم، وكذلك إن كانت الممدودة والمقصورة في آخر الكلمة، فأمّا المقصور غير المنون، فمثل قوله «أَنْ لَا مَلْجَأَ[4] من اللهِ»، وإن كان منوناً فنقطتان مثل قوله «لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً»، ومثل قوله «مِنْ سَبَأٍ بِنَبَأٍ[5] يَقينٍ».

وأمّا الممدود الّذي ليس بمنوّن فمثل قوله «كُلَّمَا أَضَاءَ[6] لَهُمْ» و«جَاءَ» و«لَوْ شاءَ رَبُّكَ»، والمنوّن مثل قوله «وَالسَّماءَ بِنَاءً»[7] وقوله «جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً».

وإذا أشكل عليك الهمزة، فقس الهمزة بالعين، فإن كانت العين تقع قبل الواو أو الألف، جعلتها في قفاها نقطة بعد الواو والألف جعلتها بين يديها نقطة، وإن كانت هي الواو والألف جعلت النقطة في جبهتها، وكان حدها أن تكون في نفس الواو، ولكنّها جعلت في الجبهة، لتنحىٰ عن السواد.

---

(١) قتلوا: هي في الخط الكوفي « ٯٮلوا ».
(٢) أتيناهم: وهي في الخط الكوفي: « اٮٮهم ».
(٣) آتيناهم: في الخط الكوفي « اٮٮهم ».
(٤) ملجأ: في الخط الكوفي « ملحا »، وفي (س ٩ آ ٥٧) « ملحا ».
(٥) سبأ بنبأ: وهي في الخط الكوفي « سٮا ٮٮا ».
(٦) أضاء: في الخط الكوفي « اصا » و« حا » و« سا ».
(٧) والسّماء بناء: في الخط الكوفي « والسما ٮٮا » وكذلك « حرا مں ربک عطا ».

فالممدود مثل قوله «السُّوء»[1] تقديره السوع، فهي بعد الواو، و«السَّماءَ» تقديره[2] السّماع وهي بعد الألف، وإذا كانت متحركة بالنصب فالنقطة فوق الواو مثل قوله « ويُؤَخِّرَكُمْ»[3] و«لَا تُؤَاخِذْنَا»، وأمّا الهمزة الّتي تقع في قفا الواو إذا كانت قبلها فمثل «يستهزئون»[4] وكذلك «لِيُوَاطِئُوا» لأنّ قياسها يستهزئون، فالعين قبل الواو، وكذلك ليواطعوا لأن العين قبل الواو، ومثله «أُوتوا[5] الْعِلْمَ» لأنّ قياسها عوتوا ولأنّه من الواو ووزنها افعلوا.

وأمّا «وَأُتُوا[6] بِهِ مُتَشَابِهاً» فالنقطة قدام الألف، وكذلك «أُولئك» الهمزة في الألف، فالواو ليس لها موضع، لأن قياسها عُلائك، فالواو كتبت، لأنّ الهمزة مرفوعة، وقال قوم كتبوها ليفصلوا بينها وبين «إِلَيْكَ» في الخطِّ، وأما «الأُولىٰ»[7] فإن الهمزة في قفا الواو، لأن قياسها العولىٰ فكذلك «أُوفِ[8] بِعَهْدِكُمْ».

وإذا كانت الهمزة منتصبة نحو «القرآن» و«نَبّأَنَا[9] اللهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ»، وقوله «قَرَآهُ حَسَناً»[10]، فإنّها تنقط عليها ثنتان: واحدة قبل الألف، والأُخرىٰ

(١) «السوء»: فشكلها في الخط الكوفي « [illegible] » وكذلك في السماء « [illegible] ».
(٢) تقديره: في الأصل تقدير.
(٣) ويؤخركم: هي في الخط الكوفي « [illegible] » وكذلك « [illegible] ».
(٤) يستهزئون: هي في الخط الكوفي « [illegible] » وكذلك « [illegible] ».
(٥) أُوتوا: وهي في الخط الكوفي « [illegible] ».
(٦) وأُوتُوا: هي في الخط الكوفي « [illegible] » وكذا أُولئك « [illegible] ».
(٧) الأُولىٰ: هي في الخط الكوفي « [illegible] ».
(٨) (٢ آ ٤٠): في الخط الكوفي « [illegible] ».
(٩) نبأنا: وشكلها في الخط الكوفي « [illegible] » وكذا القرآن « [illegible] ».
(١٠) (س ٣٥ آ ٨): هي في الخط الكوفي « [illegible] ».

بعدها، إلّا أن الّتي بعدها أرفع من الأُولىٰ سنّاً، وهي تُسمّى المقيدة.

وإنّمـا نقطت بثنتين، لأنّ واحدة للهمزة والأُخرىٰ للنصب وهي الثـانية، وإن كانت جزماً فلا تنقط إلّا واحدة مثل قوله «وَأْتُوا[1] ٱلْبُيُوتَ» و«إِن امْرُؤٌ هَلَكَ» واحدة قبل الألف.

وأمّا قولهم «أَنْذَرْتُهُمْ» «أنت قلت للناس»، فمن جعلها مدة أنذرتهم، وهي لغة العرب الفصحاء، فانك تنقطها واحدة بين يديها كما تنقط «آتَـيْنَا إِبْـراهِـيمَ رُشْدَهُ»، ومن همزها همزتين نقطها مقيدة علىٰ ما وصفنا في «نبأنا الله» ونحوها، لأنّها لا بدّ من تقييدها للهمزتين بغيرها مثل «نبأنا الله».

وأمّا «آمنوا» و«آدم» و«آخر» فواحدة بعد الألف في أعلاها.

وأمّا إذا كانت الهمزتان مختلفتين فانّ همزتها نقطت عـلى الألف الأُولىٰ نقطة بين يديها وعلى الأُخرىٰ نقطة فوقها مثل «السفهاء»[2].

وإن شئت تركت همزة الأُولىٰ، وهو قول أبي عمرو بن العلا، إذا اختلفتا تركت الآخرة ولم تنقط عليها، وإن أحببت فانقط عليها بخضرة ليعرف أنها تقرأ علىٰ وجهين.

وكلّ ما كان فيه وجهان، فانقط بالخضرة والحمرة، فإذا كانت الهمزتان متفقتين وهما في كلمتين مثل «جاء أمرنا» و«شَاءَ أَنشَرَهُ»، فان أبا عمرو يدع الهمزة الأُولىٰ، ولا يشـبه هذا عنده إذا اختلفتا بزعم أنهـما إذا اتّـفقتا خـلفت احداهما الأُخرىٰ، وإذا اختلفتا لم تخلف احداهما الأُخرىٰ، فمن ثمّ همز أبو عمرو الآخرة في اختلافهما.

---

(١) وأتوا: فشكلها في الخط الكوفي « [illegible] » وكذلك « [illegible] » امرؤ.

(٢) السفهاء: وشكلها في الخط الكوفي « [illegible] ».

وإذا جاءتا متفقتين علىٰ ما ذكرت، فمن همز همزتين نقطها جميعاً على ألف «جاء» من بعدها في أعلاها لأنها ممدودة، وعلى ألف «أَمرنا» في قفاها لأنهـا مقصورة.

ومن قال بقول أبي عمرو لم ينقط على ألف «جاء» شيئاً إلّا بالخضرة.

وقد جاءت في القرآن حروف كتبت علىٰ غير الهجاء:

فمثل «ٱلْعُلَمٰٓؤُا ومثل «بُرَءَاؤُا»، فاذا نقطت «مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمٰٓؤُا»[1] جعلتها في جبهة الواو، لأن الواو مكان الألف الّتي ينبغي لها أن تكتب، وإنما صيرتها في جبهتها، لأنّ الهمزة في الواو ونظيرتها العلماع، وكذلك برواع إلّا أنك تنقط بين الراء والواو واحدة «برءوا»[2] وترفعها شـيئاً للنصـبة لأنّها هي الهـمزة وهـي منتصبة، فمن ثمّ دفعتها بينهما وتنقط أُخرىٰ في جبهة الواو لأن قياسها برعاع، فتجمعها الهمزة بين الراء والألف الّتي كان ينبغي لهـا أن تكـتب والواو بمـنزلة الألف. وكان بشار الناقط ينقط «بروا» بواحدة قبل الألف والأُخرىٰ قبل الألف مرفوعة من قدامها وهو خطأ.

وممّا يكتب في المصحف علىٰ غير القياس في الهجاء «نَشَؤُا» كتبوا بعضها بالألف وبعضها بالواو، وهي في هود «أَوْ أَنْ نَفْعَل فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَؤُا»، فالنقطة تقع في جبهة الواو، لأنّ الواو بدل الألف.

ومن ذلك «الضُّعَفَؤُا» في بعض القرآن، و«الْمَلَـؤُا[3] من قَوْمِهِ» في مواضع تنقطها في الجبهة، و«الْمَوْءدَةُ سُئِلَتْ» بواو واحدة وكان ينبغي لهم أن يكـتبوها بواوين، لأنّ قياسها الموعودة، فلو كتبوها بواوين نقطت الهـمزة في قـفا الواو

(١) العلمٰؤا: فهي في الخط الكوفي « ».

(٢) برءوا: وشكلها في الخط الكوفي « ».

(٣) الملؤا: في مصحفنا «الملؤا الّذين كفروا من قومه». انظر أيضاً (س ٢٧ آ ٢٩ ر ٣٢ ر ٣٨).

الثانية، فلمّا تركت نقطت بين الواو والدال، لأنّ موضعها بينهما، ولو نقطت في قفا الواو لاختلطت وظن المنقوط له أنها المودة علىٰ قياس المعودة. ومما يكتب أيضاً في المصحف «لِيَسُؤُا وُجُوهَكُمْ»، من قرأها على الجماع[1] كتب بواو واحدة فاذا نقطها نقطها في قفا الواو لأنّ قياسها ليسوعوا، فقد ذهبت عين الفعل والواو الساقطة من المودّة الّتي بعد الواو الّتي فيها، والواو واو الجمع، ولابدّ من إثباتها فهذا فرق ما بينهما. ومن قرأ «ليسؤا» ويرفعها شيئاً للنصبة لأنّ قياسها ليسوع، فالهمزة بعد الواو، فليس على الألف منها شيء، لأنّ الألف ليست من الحرف، وكذلك « إنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوأَ بإِثْمِي»، وكذلك «شيئا». وأمّا أبو محمّد فقال في هذه النقطة «تَبُوأَ بِإِثْمِي» و«لِيَسُؤُا وُجُوهَكُمْ» تقع على الألف واحدة ويحتج في ذلك بقوله لو قلت أمرتهما أن تبوا الآيتين لم يكن بد من تقييدها وإن كانت النقطة تقع على الألف مقيّدة، فالألف أولىٰ بها في غير التقييد، وإنما نقطت «وَجِيء»[2] فتحتها بعد الياء ورفعتها، لأنّها غير مكتوبة بالألف، فالهمزة مكان الألف، وكذلك «سيءَ بِهِمْ».

فأمّا إذا كانت الهمزة مجزومة وما قبلها مكسور مثل «يَئِسَ» نقطت الهمزة من أسفل لا تجعلها قبل الياء لأنّ قياسها يعس والهمزة هي الياء. وأمّا «باءُو بِغَضَبٍ» و«جَاءُو» فكتبت في المصحف بغير ألف وقياسها جاعوا وباعوا، فإذا نقطتها في قفا الواو كان ينبغي أن يكتب الألف بعد الواو ودخول الألف وخروجها في النقط من هذا سواء، لأنّ الهمزة قبل الواو.

وقوله «وَرَأَوْ»[3] كتبت أيضاً بغير ألف ونقطتها تقع قبل الألف، لأنّها مثل «اتو» مقصورة، وإذا جاءت الهمزة في مثل «ائْتُونِي بِهِ» و«ائْذَنْ لي»، فانّ الهمزة

---

(١) الجماع: كذا هي في الأصل والمراد الجمع.

(٢) وجيء: وهي في المصاحف الحديثة «وجاىء».

(٣) ورأوا: وهي في مصحفنا بالألف.

في الياء وينظر إلىٰ ما قبلها، فان كان مرفوعاً نقَطت الهمزة مرفوعة، وإن كان منصوباً نقطت الهمـزة فوقها، وإن كانت مجـرورة نقطتها من تحتها مثل «وقال الملك أئْتُونِي بِهِ» قدام الياء، والنصب «قَالَ ائْتُونِي بِأخٍ لَكُمْ» النصب في اللّام، قال والخفض في قوله «في السَّمٰوات أئْتُوني» وليس علىٰ الألف الّتي في «ائتوني» شيء من ذاك، إنّ هذه الألف الّتي قبلها تسقط في الوسط وهي مختلفة كـتبت للابتداء. فاذا كانت في معنىٰ جيئوني كتبوا بالواو، وإذا كانت في معنىٰ أعطوني كتبوا بغير ياء، وقرأ الأعمش «أتُوني[1] أُفْرِغْ» علىٰ معنىٰ جيئوني[2].

تبديل النقاط بالحروف:

استـمرّ الأمر على التنقيط كما مرّ بنا، ثمّ بدّل الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٠هـ) النقط بالحركات كما رواه السيوطي في الإتقان (٢ / ١٧١) وقال: «والّذي اشـتهر الآن في القرن التاسع الهجري الضبط بالحركات المأخـوذة من الحروف وهو الّذي أخرجه الخلـيل وهو أكثر وأوضح وعليه العمل، فـالفتح شكلة مستطيلة فوق الحروف والكسر كذلك تحـته والضم واو صـغرىٰ فـوقه والتنوين زيادة مثلها...».

الأمر بكتابة تفسير الآيات في المصاحف:

ذكرنا خبر تنقيط المصاحف من أمر التدوين، أمّا أمر كتابة بيان الرسول مع القرآن في المصاحف مع التفسير اللغوي، فكان خبره كالآتي:

بعد منع الخلفاء من نشر حديث الرسول (ص) وكتابته كما مرّ بنا شجع خلفاء الأمويين الشعراء وعلماء الأنساب، فأصبح كل متخصِّص بهما مقرّباً إلىٰ

---

(١) آتوني: وهي في القراءة المشهورة «ءاتوني».

(٢) المصاحف، ص ١٤٤ ـ ١٥٠.

ديوان الخلفاء ومبجلاً في المجتمع، ويكفي لمعرفة ذلك مراجعة كتاب الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني في هذا الصدد.

ولما ولي منهم عمر بن عبدالعزيز، أمر بكتابة حديث الرسـول (ص)، والّذي كان من ضمنه تفسـير الآيات، غير ان ذلك لم يتـم، لأنّه حكم قرابـة سنتين وتوفّي مسموماً، وبقي الحكم بعده، حتّىٰ قامت الخلافة العباسية وانتهىٰ أبو جعفر المنصور من إبادة المعارضين للحكم.

ولما استتب له الأمر أمر في سنة ١٤٣ هجرية بتدوين العلوم كما سيأتي خبره في خصائص المجتمع الإسلامي علىٰ عهد العباسيين.

* * *

بهذا نُنهي ذكر أخبار القرآن علىٰ عهد بني أُميّة لندرس في ما يأتي بإذنه تعالىٰ خصائص المجتمع الإسلامي علىٰ عهد بني العباس.

خصائص المجتمع الإسلامي علىٰ عهد العباسيين

اختلفت سياسة الخلفاء العباسيين في أوّل عهدهم عمّا كان عليه الأمويون من تفسخ خلقي وتجاهر بمخالفة الأحكام الإسلامية، غير أنّ التعصّب القبلي بين أبناء الأُمّة لم يتغير، بل آتسع في آخر العهد الأموي وآشتدّ حتىٰ عمّ جميع قبائل الأنصار اليمانيين القحطانيين من جانب وجميع قبائل النزاريين والعدنانيين من جانب آخر، وبقي الأمر كذلك إلى العهد العباسي.

وجرت بين القبيلتين مفاخرات ومنافرات عادت على اللغة العربيّة بأدب غزير شعراً ونثراً في الحماسة والهجاء وغيرهما، وكان أبطالها الشعراء من أبناء القبيلة كالكميت ودعبل، أو من مواليها وأدعيائها كأبي نواس الحسن بن هانئ.

وكانت المفاخرة تقوم علىٰ ذكر بطولات أفراد القبيلة، ومن ثمّ كان احياء أيّام العرب في الجاهليّة والإسلام، وذكر أمجادها وأمجاد من يمتّ إليها بنسب، أو سبب.

ومن ذلك ما ذكره المسعودي في التنبيه والإشراف، وقال:

من أشعار ولد معد بن عدنان في افتخارهم بالفرس على اليمانيّة، وانّهم من وُلد أبيهم إبراهيم، كقول جرير بن عطيّة الخطفي التميمي مفتخراً لنزار على اليمن:

أبونا خليل الله لا تنكرونه ... فأكرم بإبراهيم جدّاً ومفخرا

وأبناء إسحاق الليوث إذا ارتدوا ... حمائل موت لابسين السنوّرا [1]

---

(١) السنوّر: الدّرع أو جملة السّلاح.

إذا افتخروا عـدّوا الصـبهبذ مـنهم   وكسرىٰ، وعدوا الهـرمزان وقيصرا
أبـــونا أبـــو إسـحاق يجـمع بـيننا   أب كـــان مـــهدياً نـــبياً مـــطهرا
ويجـــمعنا والغـــرّ أبـــناء فـــارس   أب لا نـــبالي بـــعده مـــن تأخّـــرا

وكقول إسحاق بن سويد العدوي عديّ قريش:

إذا افتخرت قحطان يوماً بسؤود   أتىٰ فخرنا أعـلىٰ عـليها وأسـودا
مـلكناهم بـدءاً بـإسحاق عـمّنا   وكانوا لنا عوناً على الدّهر اعـبدا
ويجـــمعنا والغـــرّ ابـــناء فـــارس   أب، لا نبالي بعده مـن تـفرّدا[1]

وكقول بعض النزارية:

وإســـحاق وإسماعـــيل مـــدّا   معالي الفخر والحسب اللّـبابا
فـوارس فـارس وبـنو نـزار   كلا الفرعين قد كبرا وطابا[2]

وقال في ص ٧٦ منه:

واليمانية من العرب تدّعي الضحاك[3]، وتزعم أنّه من الأزد[4]، وقد ذكرته الشعراء في الإسـلام، فافتخر به أبو نواس الحسن بن هانئ مولىٰ بني حكم بن سعد العشيرة بن مالك بن أدد بن... يعرب بن قحطان في قصيدته الّتي هجا فيها قبائل نزار بأسرها، وافتخر بقحطان وقبائلها، وهي قصـيدته المـشهورة الّـتي أطال الرشيد حبسه بسببها.

وقيل: إنّه حدّه لأجلها، فقال فيها مفتخراً باليمن وذاكراً للضحّاك:

---

(١) أعبد جمع عبد: المملوك.
(٢) التنبيه والأشراف للمسعودي، ط. مصر عام ١٣٠٧هـ، ص ٩٤ـ ٩٥.
(٣) الضحاك: من ملوك الفرس ويسمىٰ الـ(بيوراسب) ملك ألف سنة.
(٤) الأزد: هو أدد بن الغوث من سبأ.

فنحنُ أرباب نـاعط ولنـا　　صنعاء والمسك في محاربها

وكان منّا الضحّاك يعبده الـ　　ـخابل والطير في مساربها

ويقول فيها يهجو نزاراً:

واهـج نـزاراً وافـر جـلدتها　　وكشف الستر عن مثالبها[1]

* * *

كان ذلك من خصائص المجتمع الإسلامي في جانب أفراد الأُمّة الإسلامية.

ومن جانب الخلفاء اشتدّت المنافسة بين خلفاء بني العباس وذرِّيّة الإمام عليّ بدءاً بزمان المنصور، وأثّر ذلك في ما بقي من ذلك العصر من تراث علمي وأدبي كما يوضح ذلك بعض الأمثلة الّتي نوردها في ما يأتي بإذنه تعالىٰ:

قال الخليفة العباسي ابن المعتزّ (ت ٢٩٦هـ) يخاطب ذرية الإمام عليّ:

يا بني عـمنا إلىٰ كـم وحـتىٰ　　ليس مـا تـطلبونه يسـتقيم

أأبـو طـالب كـمثل أبي الفـ　　ـضل أما مـنكم بهـذا عـليم

سائلوا مالكاً ورضوان عن ذا　　أيـن هـذا وأيـن هـذا مـقيم

يقصد أنّ أبا الفضل مقيم في الجنّة وأبا طالب مقيم في النار علىٰ حدِّ زعمه، وقال:

دعوا آل عباس وحق أبيهم　　وإيّـاكم منهـم فإنّهـم هـم

يقصد وحق أبيهم العباس في خلافة الرسول (ص) الّتي ورثوها منه، وقال:

أبى الله إلّا مـا تـرون فـما لكـم　　عتاب على الأقدار يا آل طالب

عطيّة ملك قـد حـبانا بـفضله　　وقدّره ربّ جزيل المـواهب[2]

---

(١) ناعط: قصر بالقرب من عدن باليمن، والخابل: الجنّي، الشّيطان، والمسارب: جمع المسرب: وهو الطريق أو المسلك، وافر: أي واقطع.

(٢) ديوان ابن المقفع، دار صادر، بيروت، ص ١٦ و٥١.

وقد أثمرت جهود الأمويين في عصرهم في تربية الناس كما شاؤوا، وبقيت آثارها إلى العهد العباسي وما بعده، كما نلاحظ ذلك في الخبرين الآتيين:

أوّلاً: في الشام:

روى الذهبي وابن خلكان في ترجمة النِّسائي ما موجزه:

الحافظ، الإمام، شيخ الإسلام، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النِّسائي، كان إمام أهل عصره في الحديث وله كتاب السنن تفرّد بالمعرفة وعلوّ الإسناد، واستوطن مصر.

وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً، ويجتهد في العبادة ليلاً. وخرج مع أمير مصر إلى الغزو، وكان يحترز عن مجالسه والانبساط في المأكل، وخرج آخر عمره حاجّاً وبلغ دمشق، وصنّف في دمشق كتاب الخصائص في فضل عليّ بن أبي طالب (رض) وأهل البيت، وأكثر رواياته فيه عن أحمد بن حنبل، فأنكروا عليه ذلك، فقال: دخلت دمشق والمنحرف عن عليّ بها كثير، فصنفتُ كتاب الخصائص رجوت أن يهديهم الله بهذا الكتاب.

فقيل له: ألا تُخْرِجُ فضائل معاوية؟

فقال: أيُّ شيء أُخرج؟ حديث اللّهمّ لا تشبع بطنه؟

فسكت السائل، وسُئل ـ أيضاً ـ عن معاوية وما جاء من فضائله، فقال: ألا يرضىٰ رأساً برأس حتّىٰ يُفضل، فما زالوا يدفعون في خصيبه وداسوه، حتىٰ أُخرج من المسجد وحمل إلى الرملة.

قال الحافظ أبو نعيم: مات بسبب ذلك الدوس وهو منقول.

وقال الدارقطني: أُمتحن بدمشق وادرك الشهادة. كان ذلك سنة ٣٠٣هـ[1].

---

(١) تذكرة الحفاظ، ص ٦٩٨، ووفيات الأعيان ١ / ٥٩.

ثانياً: في العراق:

روى الذهبي في ترجمة ابن السقا من تذكرة الحفاظ، وقال:

الحافظ الإمام محدّث واسط، أبو محمّد، عبدالله بن محمّد بن عثمان الواسطي (ت: ٣٧٣هـ).

اتّفق أنّه أملىٰ حديث الطير، فلم تحتمله نفوسهم، فوثبوا بـه فأقـاموه، وغسلوا موضعه، فمضىٰ ولزم بيته. فكان لا يحدّث أحداً من الواسطيين، فلهذا قلّ حديثه عندهم[١].

وهكذا بقيت آثار السياسة الأموية بين أبناء الأُمّة في المجتمع الإسلامي كما أرادوها من بعدهم، ومَنْ راجع بحثي (كتمان فضائل الإمام عليّ ونشر سبِّه ولعنه والسبب فيهما) و(عشرة أنواع من الكتمان والتحريف لسنّة الرسول (ص)) في المجلّد الأوّل من كتاب «معالم المدرستين» يدرك أنّ آثار سياستهما لم تزل سارية في المجتمع الإسلامي، غير أنّ سياسة الحكم عند الخليفة أبي جعفر المنصور، اقتضت الأمر بكتابة جميع فنون المعرفة في عصره، كما سندرس خبره بإذنه تعالىٰ في ما يأتي.

---

(١) تذكرة الحفاظ، ص ٩٦٦.

وحديث الطير أن رسول الله (ص) أُهدي إليه طير مشوي فوضع بين يديه فقال: اللّهمّ ائتني بأحب الخلق إليك يأكل معي، فجاء عليّ بن أبي طالب وأكل معه. وراجع أسانيد حديث الطّير في: ٢ / ١٠٥ ـ ١٥٥، من سيرة الإمام عليّ في تاريخ دمشق لابن عساكر، تحقيق البحّاثة المحقق المحمودي ط. بيروت سنة ١٣٩٥هـ.

عصر تدوين الحديث

تمهيد:

في أُخرىٰات العهد الأموي وأوائل العصر العباسي، وانشغال الطرفين بالحروب بينهما فسح المجال للناس أن يأخذوا أحاديث الرسول (ص) من الإمام الباقر والإمام الصادق (ع) من أئمّة أهل البيت، وفسح المجال للإمام جعفر بن محمّد الصادق (ت: ١٤٨هـ) أن يروي الحديث مسلسلاً عن آبائه عن رسول الله (ص) كما بيّنّا الخبر بهذا السند في الفصل الرابع من المجلّد الثاني من كتابنا «معالم المدرستين» بحث (القرآن والسنّة هما مصدرا التشريع لدىٰ مدرسة أهل البيت)، ولما فسح المجال للإمام الصادق أن يروي الحديث لانصراف آخر الأمويين إلى الحرب مع العباسيين، اجتمع على الإمام الصادق آلاف الرواة، وقد كتب ابن عقدة (ت: ٣٣٣هـ) أسماء الّذين رووا عن الصادق أربعة آلاف رجل كما جاء ذلك في ترجمته في الكنىٰ والألقاب للقمي، وراجع ترجمة ابن عقدة في ميزان الإعتدال للذهبي. لذا اقتضى الدافع السياسي لأبي جعفر المنصور (ت: ١٥٨هـ) أن يأمر بكتابة العلم كالآتي بيانه:

ذكرنا في بحث منع كتابة سنّة الرسول (ص) من المجلّد الثاني من معالم المدرستين كيف منع الخلفاء من تدوين سنّة الرسول (ص) إلىٰ عصر عمر بن عبدالعزيز والذي أمر بتدوينها.

غير أنّه لم يتم الأمر لوفاة عمر بن عبدالعزيز بالسمّ عام (١٠١هـ)، وفُقد ما كان دوّن في عصره. فقد روىٰ ابن حجر في ترجمة أبي بكر بن محمّد بن عمرو ابن حزم (ت: ١١٧هـ) ما موجزه:

كتب إليه عمر بن عبدالعزيز، أن يكتب له العلم. وقال ابنه بعد وفاته: ضاعت تلك الكتب[1].

---

(١) راجع تهذيب التهذيب ١٢ / ٣٩.

وكذلك لم يبق ما دوّن غيره من العلم، حتىٰ ولي أبو جعفر المنصور وحرض العلماء على التدوين، قال الذهبي في ذكر حوادث سنة ١٤٣:

وفي هذا العصر شرع علماء الإسلام في تدوين الحديث والفقه والتفسير فصنّف ابن جريج التصانيف بمكّة؛ وصنّف سعيد بن أبي عروبة وحماد بن سلمة وغيرهما بالبصرة؛ وصنّف الأوزاعي بالشام؛ وصنّف مالك الموطأ بالمدينة؛ وصنّف ابن إسحاق المغازي؛ وصنّف معمر باليمن؛ وصنّف أبو حنيفة وغيره الفقه والرأي بالكوفة؛ وصنّف سفيان الثوري كتاب الجامع؛ ثمّ بعد يسير صنف هشيم كتبه؛ وصنّف اللّيث بمصر وابن لهيعة ثمّ ابن المبارك وأبو يوسف وابن وهب. وكثر تدوين العلم وتبويبه، ودوّنت كتب العربية واللّغة والتاريخ وأيام الناس. وقبل هذا العصر كان سائر الأئمة يتكلّمون عن حفظهم أو يروون العلم من صحف صحيحة غير مرتبة. فسهل ولله الحمد تناول العلم وأخذ الحفظ يتناقص، فللّه الأمر كلّه[1].

ونقل الخبر عنه السيوطي في تاريخ الخلفاء، ص ٢٦١.

وجاء في موسوعة الفقه الإسلامي:

ولمّا حجّ المنصور سنة ١٤٣ رغب إلىٰ مالك في تأليف (الموطأ) كما رغّب هو وولاته العلماء في التدوين.

وقد دوّن ابن جريج، وابن عروبة، وابن عيينة وغيرهم، ودوّن سائر فقهاء الأمصار وأصحابهم[2].

قال المؤلّف:

---

(١) راجع تاريخ الإسلام للذهبي ٦/٦.

(٢) موسوعة الفقه الإسلامي (جمال عبدالناصر)، إصدار المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في القاهرة ١/٤٧.

ولا يناقض ما ذكرناه هنا ما نقلوا عن وجود مدوّنات حديثية لبعضهم قبل هذا العصر مثل ما قالوا: إنّه كان للصحابي عبدالله بن عمرو بن العاص الصحيفة الصادقة، وكذلك قالوا: كان للتابعي الزهري أحاديث مدوّنة. فإنّ أمثال ذينك المدوّنتين بلغ أسماؤها إلى العلماء في عصر تدوين الحديث فحسب.

ثمّ تسابق المحدّثون بمدرسة الخلفاء بعد ذلك ـ وعلىٰ عهد المنصور العباسي ـ في تدوين ما بقي في ذاكرتهم من سنّة الرسول (ص).

تراجم المذكورين في الأخبار:

ابن جريج: عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج المكّي، سمع جمعاً من العلماء. يُقال: إنّه أول من صنّف الكتب وكان أحمد بن حنبل يقول: كان ابن جريج من أوعية العلم. توفّي سنة ١٥١.

تذكرة الحفاظ ١ / ١٦٠؛ وابن خلكان ١ / ٢٨٦؛ وتاريخ بغداد ١٠ / ٤٠٠؛ ودول الإسلام للذهبي ١ / ١٩.

وسعيد بن أبي عروبة أبو نظر العدوي ولاءً البصري، وهو أوّل من صنّف الأبواب بالبصرة. قال أحمد بن حنبل:

لم يكن له كتاب إنّما كان يحفظ وتغير حفظه قبل موته بعشر سنين (توفّي: ١٥٦ للهجرة).

راجع ترجمته بتذكرة الحفاظ للذهبي ١ / ١٧٧ ـ ١٧٨.

وحماد بن سلمة بن دينار البصري الرّبعي بالولاء، أبو سلمة، مفتي البصرة، وأحد رجال الحديث وهو أوّل من صنّف التصانيف المرضية (ت: ١٦٧ هـ).

تهذيب التهذيب ٢ / ١١؛ وميزان الإعتدال ١ / ٢٧٧؛ وحلية الأولياء ٦ / ٢٤٩؛ والأعلام للزركلي.

والأوزاعي: أبو عمرو عبدالرّحمٰن بن عمرو بن يحمد كيكرم إمام أهل الشام، ولم يكن بالشام أعلم منه، وكان يسكن بيروت، وكانت وفاته ١٥٧ هـ. والأوزاعي نسبة إلىٰ أوزاع بطن من همدان ينسب إليه الأوزاعي المذكور لا القرية الواقعة بدمشق خارج باب الفراديس.

الفهرست لابن النديم ١ / ٢٢٧؛ والوفيات ١ / ٢٧٥؛ وحلية الأولياء ٦ / ١٣٥؛ وتهذيب الأسماء واللغات، القسم الأوّل من الجزء الأوّل، ص ٢٩٨.

مالك بن أنس الأصبحي (ت: ١٧٩هـ) كتب الموطأ للخليفة المنصور وسمعه منه المهدي وأخوه الهادي. مقدمة الموطأ بتصحيح محمّد فؤاد عبدالباقي ص (ز ـ حك) وترجمته بتذكرة الحفاظ ١ / ٢٠٧ ـ ٢١٣.

وابن إسحاق محمّد بن ياسر صاحب السيرة ومؤلفات أُخرىٰ (ت: ١٥١هـ).

ومعمر بن راشد بن أبي عمرو الأزدي بالولاء، أبو عروة، فقيه، حافظ للحديث، من أهل البصرة. ولد واشتهر فيها وسكن اليمن. وهو عند مؤرخي رجال الحديث أوّل من صنّف باليمن (ت: ١٥٣هـ).

تذكرة الحفاظ ١ / ١٧٨؛ وتهذيب التهذيب ١٠ / ٢٤٣؛ وميزان الإعتدال ٣ / ١٨٨.

وسفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبدالله، وصفوه بأنّه أمير المؤمنين في الحديث. ولد ونشأ في الكوفة. له من الكتب: الجامع الكبير (ت: ١٦١هـ).

تهذيب التهذيب ٤ / ١١١ ـ ١١٥؛ وابن سعد ٦ / ٢٥٧؛ وابن النديم ١ /٢٢٥؛ ودول الإسلام ١ / ٨٤؛ وحلية الأولياء ٦ / ٣٥٦؛ وابن خلكان ١ /٢١٠.

واللّيث بن سعد بن عبدالرّحمٰن الفهمي بالولاء. أبو الحارث، إمام أهل مصر في عصره حديثاً وفقهاً.

كان كبير الديار المصرية ورئيسها. وأمير من بها في عصره، بحيث أنّ القاضي والنائب من تحت أمره ومشورته. أصله من خراسان ووفاته في القاهرة وله تصانيف (ت: ١٧٥هـ).

تذكرة الحفاظ ١ / ٢٠٧؛ وتهذيب التهذيب ٨ / ٤٥٩؛ ووفيات الأعيان ١ / ٤٢٨.

وابن لَهِيعَة: أبو عبدالرّحمٰن، عبدالله بن لهيعة الحضرمي المصري، كان كثير الرواية في الحديث والأخبار، تولّىٰ قضاء مصر بأمر المنصور الدوانيقي سنة ١٥٥، وصرف عن القضاء سنة ١٦٤، وحديثه مذكور في صحيحي الترمذي وأبي داود وغيرهما، توفّي بمصر سنة ١٧٤هـ.

ميزان الإعتدال ٢ / ٤٧٥؛ ووفيات الأعيان ٢ / ٢٤٢.

وابن المبارك: أبو عبدالرّحمٰن عبدالله بن المبارك المروزي العالم الزاهد العارف المحدث، كان من تابعي التابعين. وروي عن أبي أُسامة، قال: ابن المبارك في أصحاب الحديث مثل أمير المؤمنين في الناس.

تاريخ بغداد ١٠ / ١٥٢؛ والكنىٰ والألقاب ١ / ٤٠١.

وعبدالله بن وهب بن مسلم الفهري بالولاء، المصري أبو محمّد، فقيه من الأئمة، من أصحاب مالك. جمع بين الفقه والحديث. له كتب منها: الجامع.

تذكرة الحفاظ ١ / ٢٧٩؛ ووفيات الأعيان ١ / ٢٤٩.

كان ذلكم خبر تدوين الحديث وعصره، وينبغي لنا أن ندرس في ما يأتي بإذنه تعالىٰ كيفية رواية الحديث في عصر منع تدوين الحديث وأثرها على الحديث في عصر تدوينه.

كيفية رواية الحديث في عصر منع تدوينه وعصر الأمر بتدوينه

أ ـ في عصر الصحابة:

قال ابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) في كتاب الموضوعات، الباب الثالث، في الأمر بانتقاد الرجال والتحذير من الرواية عن الكذابين والبحث عن الحديث المباين للأُصول:

كان السرب الأوّل صافياً، فكان بعض الصحابة يسمع من بعض ويقول: قال رسول الله (ص) من غير ذكر رواة له، لأنّه لا يشك في صدق الراوي. ودليل ذلك رواية أبي هريرة وابن عباس قصة «وأنذر عشيرتك الأقربين» وهذه قصة كانت بمكّة في ـ بدو ـ [بدء] الإسلام وما كان أبو هريرة قد أسلم، وكان ابن عباس يصغر عن ذلك. وكذلك روىٰ ابن عمر وقوف رسول الله (ص) علىٰ قليب بدر وابن عمر لم يحضر. وروى المسور بن ـ محرمة ـ [مخرمة] ومروان بن الحكم قصة الحديبية وسنهما لا يحتمل ذلك لأنّهما ولدا بعد الهجرة بسنين. وروىٰ أنس بن مالك حديث انشقاق القمر بمكّة، وقال البرّاء بن عازب: ليس كلّ ما يحدِّثكموه [سمعناه] من رسول الله (ص)، ولكن حدثنا أصحابنا، ثمّ لم تزل الآفات تدب حتىٰ وقعت التهم فاحتيج إلى اعتبار العدالة[1].

هكذا قال ابن الجوزي وسائر العلماء في شأن روايات الصحابة، ومنشأ قولهم هذا إنّما هو اعتقادهم بعصمة الصحابة عن الزلل والخطأ والنسيان، وسوف

---

(١) كتاب الموضوعات، ط. المدينة المنوّرة سنة ١٣٨٦هـ (١ / ٩٩).
وسمعناه، في الأصل: سعمناه.

نناقش هذا القول في ما يأتي إن شاء الله، ونقتصر هنا على إيراد ما نقله كلّ من ابن عساكر وابن كثير في تاريخيهما:

بسندهما عن بسر بن سعيد أنّه قال: اتّقوا الله وتحفظوا من الحديث، فوالله لقد رأيتنا نجالس أبا هريرة فيحدّث عن رسول الله (ص)، ويحدّثنا عن كعب الأحبار ثمّ يقوم فأسمع بعض من كان معنا يجعل حديث رسول الله (ص) عن كعب، وحديث كعب عن رسول الله (ص)، وفي رواية يجعل ما قاله كعب عن رسول الله (ص)، وما قاله رسول الله (ص) عن كعب، فاتّقوا الله وتحفّظوا في الحديث.

وقال يزيد بن هارون: سمعت شعبة يقول: أبو هريرة كان يدلس ـ أي يروي ما سمعه من كعب وما سمعه من رسول الله (ص) ولا يميز هذا من هذا ـ ذكره ابن عساكر.

وكان شعبة يشير بهذا إلىٰ حديثه «من أصبح جنباً فلا صيام له» فإنّه لما حوقق عليه قال: أخبرنيه مخبر ولم أسمعه من رسول الله (ص). وقال شريك عن مغيرة عن إبراهيم، قال: كان أصحابنا يدعون من حديث أبي هريرة، وروى الأعمش عن إبراهيم. قال: ما كانوا يأخذون بكل حديث أبي هريرة، وقال الثوري عن منصور عن إبراهيم قال: كانوا يرون في أحاديث أبي هريرة شيئاً، وما كانوا يأخذون بكل حديث أبي هريرة، إلّا ما كان من حديث صفة جنّة أو نار، أو حث علىٰ عمل صالح، أو نهي عن شرٍّ جاء القرآن به[1].

---

(١) تاريخ ابن كثير، ط. بيروت سنة ١٤٠١هـ(٨/١١٧ـ١١٨)؛ وترجمة الصحابي أبي هريرة في تاريخ ابن عساكر، مصوّرة مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق ١٩ / ١٢٢ / أ ـ ب؛ وتفسير النّسائي بتفسير آية ﴿إنّ في خلق السّمٰوات والأرض﴾ من سورة البقرة ١ / ٢٠٤.

ب ـ كيفية رواية الحديث بعد عصر الصحابة:

قال ابن الجوزي في كتاب الموضوعات[1] في تعداده الوضاعين:

القسم الثالث: قوم تعمّدوا الكذب الصريح لا لأنّهم أخطأوا ولا لأنّهم رووا عن كذاب فهؤلاء تارة يكذبون في الأسانيد فيروون عمّن لم يسمعوا منه وتارة يسرقون الأحاديث الّتي يرويها غيرهم، وتارة يضعون أحاديث، وهؤلاء الوضّاعون انقسموا سبعة أقسام:

القسم الأوّل: الزنادقة الّذين قصدوا إفساد الشريعة وإيقاع الشك فيها في قلوب العوام والتلاعب بالدين، كعبدالكريم بن أبي العوجاء، وكان خال معن ابن زائدة وربيب حماد بن سلمة؛ وكان يدس الأحاديث في كتب حماد، فلمّا أُخِذ ابن أبي العوجاء أُتِيَ به محمّد بن سليمان بن عليّ فأمر بضرب عنقه، فلمّا أيقن بالقتل، قال: والله لقد وضعت فيكم أربعة آلاف حديث أحرِّم فيها الحلال وأُحلّ فيها الحرام، ولقد فطّرتكم في يوم صومكم وصوّمتكم في يوم فطركم.

وفي رواية أُخرىٰ قال:

وضعت الزنادقة علىٰ رسول الله (ص) أربعة عشر ألف حديث.

وفي رواية أُخرىٰ قال المهدي العباسي:

(أقرّ عندي رجل من الزنادقة أنّه وضع أربعمائة حديث فهي تجول في أيدي الناس).

وروىٰ ـ أيضاً ـ وقال:

قد كان في هؤلاء الزنادقة من يأخذ من شيخ مغفل كتابه فيدس في كتابه ما ليس من حديثه فيرويه ذلك الشيخ ظناً منه أن ذلك من حديثه.

---

(١) الموضوعات ١ / ٣٧ـ٣٨.

كان ذلكم حديث العلّامة ابن الجوزي عن الوضاعين وأثرهم التخريبي على الحديث.

ج ـ الزنادقة وعملهم التخريبي في الإسلام:

درسنا شيئاً من عمل الزنادقة التخريبي في كتب مدرسة الخلفاء في البحث التمهيدي الثاني من الجزء الأوّل من (خمسون ومائة صحابي مختلق) وكان منهم:

أ ـ عبدالكريم بن أبي العوجاء:

كان من تلامذة الحسن البصري (ت: ١٠١هـ)، ثمّ انحرف عن الإسلام. وكان يذهب إلىٰ مكّة للاجتماع بالحجّاج وإضلالهم، وكيف كان الإمام جعفر الصادق (ع) يناظره ويكشف أباطيله، وأنّه كان في البصرة يفسد الأحداث، فهدده عمرو بن عبيد، فلحق بالكوفة. ودلّ عليه محمّد بن سليمان والي الكوفة فقتله سنة ٥٥[1].

ولمعرفة منزلة حماد في الحفّاظ راجع ترجمته بتذكرة الحفاظ للذهبي[2].

ب ـ سيف بن عمر:

قد تتبّعت تخريب زنديق واحد من الزنادقة في كتب مدرسة الخلفاء، هو سيف بن عمر في مجلّدات عبدالله بن سبأ، وخمسون ومائة صحابي مختلق، وأشرتُ إليه في بحث الوصي والوصيّة من كتاب معالم المدرستين بما فيه عبرة للمعتبر.

---

(١) الطبري، ط. أوربا ٣ / ٣٧٦؛ وابن الأثير ٦ / ٣؛ وابن كثير ١٠ / ١١٣؛ وذكرها الذهبي في ميزان الإعتدال، ط. دار إحياء الكتب العربية، تحقيق عليّ محمّد البجاوي ٢ / ٦٤٤؛ وابن الجوزي في كتاب الموضوعات ١ / ٣٧. وترجمته بلسان الميزان أوفىٰ.

(٢) تذكرة الحفاظ للذهبي ١ / ٢٠٢.

ونذكر في ما يأتي مثالاً واحداً من تخريب الزنادقة في أمر الوحي والقرآن ممّا انتشر في كتب التفسير والسيرة بمدرسة الخلفاء، ورووا في ذلك عدّة روايات ملخّصها كالآتي:

إنّ الرسول (ص) تمنّىٰ ذات يوم في قلبه أن لو نزل الوحي عليه في القرآن بما يقرّبه إلىٰ قومه، ويكون سبباً لهدايتهم، فأنزل الله تعالىٰ عليه سورة النجم وهو في بيت الله الحرام فأخذ يتلوها بمسمع من المسلمين والمشركين إلىٰ أن انتهىٰ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ ٱللَّاتَ وَٱلْعُزَّىٰ * وَمَنَاةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰ﴾ وهاهنا تدخّل الشيطان في قراءته وألقىٰ علىٰ لسانه [تلك الغرانيق العلىٰ منها الشفاعة ترتجىٰ] فقرأها النبيّ (ص) كذلك ثمّ تلا بقية السورة. وبعد الانتهاء من قراءة السورة سجد النبيّ (ص) والمسلمون لذكر الله، وسجد المشركون لما سمعوا من الثناء علىٰ أصنامهم (اللّات والعزّىٰ ومناة الثالثة الأُخرىٰ)، ولمّا أمسى الرسول (ص) أتاه جبرائيل وأنبأه بأن جملتي [تلك الغرانيق العلىٰ منها الشفاعة ترتجىٰ] الّتي قرأهما الرسول (ص) ضمن السورة، لم يتلُهما جبرائيل عليه وإنّما ذلكم الشيطان الّذي ألقاهما علىٰ لسانه. فحزن النبيّ (ص) لذلك فأنزل الله عليه قوله تعالىٰ:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى ٱلشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ...﴾ (الحجّ / ٥٢). ثمّ انتشر هذا الخبر حتّىٰ بلغ المسلمين المهاجرين إلى الحبشة بأنّ المشركين أسلموا وسجدوا مع المسلمين، فرجع بعضهم إلىٰ مكّة المكرّمة وشاهدوا خلاف ما بلغهم، فبقي البعض منهم ورجع الآخرون إلىٰ مهجرهم. ونسجل هاهنا صورة رواية واحد منها في تفسير الطبري[1] بسنده:

(١) تفسير الطبري، تفسير سورة النجم ١٧ / ١٣.

عن محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس قالا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في نادٍ من أندية قريش كثير أهله فتمنى يومئذ أن لا يأتيه من الله شيء فينفروا عنه فأنزل الله عليه والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا بلغ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألقى عليه الشيطان كلمتين تلك الغرانقة العلى وإن شفاعتهن لترجى فتكلم بها ثم مضى فقرأ السورة كلها فسجد في آخر السورة وسجد القوم جميعا معه ورفع الوليد بن المغيرة ترابا إلى جبهته فسجد عليه وكان شيخا كبيرا لا يقدر على السجود فرضوا بما تكلم به وقالوا قد عرفنا أن الله يحيي ويميت وهو الذي يخلق ويرزق ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده إذ جعلت لها نصيبا فنحن معك قالا فلما أمسى أتاه جبرائيل عليه السلام فعرض عليه السورة فلما بلغ الكلمتين اللتين ألقى الشيطان عليه قال ما جئتك بهاتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افتريت على الله وقلت على الله ما لم يقل فأوحى الله إليه وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره إلى قوله ثم لا تجد لك علينا نصيرا فما زال مغموما مهموما حتى نزلت عليه وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم قال فسمع من كان من المهاجرين بأرض الحبشة أن أهل مكة قد أسلموا كلهم فرجعوا إلى عشائرهم وقالوا هم أحب إلينا فوجدوا القوم قد ارتكسوا حين نسخ الله ما ألقى الشيطان

* * *

لقد بيّنّا زيف هذه الأُسطورة السخيفة بتفصيل وافٍ في الجزء الثاني من أحاديث أمّ المؤمنين عائشة بما بهرج الباطل وأزاحه، وأظهر الحق وأجلاه. فقد برهنا ـ مثلاً ـ أنّ أسانيد الأُسطورة تنتهي إلىٰ كلٍّ من:

أ ـ عبدالله بن عباس، ولد في السنة الثالثة قبل هجرة الرسول (ص) إلى المدينة.

ب ـ أبي العالية رفيع بن مهران؛ أسلم بعد وفاة رسول الله (ص) بسنتين ويعد من الطبقة الثانية من التابعين (ت: ٩٠ أو ٩٣ أو ١١٠ أو ١٢٦هـ).

ج ـ عبد الرّحمٰن بن الحارث؛ ولد في عصر عمر (ت: ٩٤هـ).

د ـ أبي الحجّاج، مجاهد بن جبر المكي، ولد سنة ٢١هـ (ت: ١٠٣ أو ١٠٤ أو ١٠٥هـ).

هـ ـ محمّد بن سعد من سلالة يهود بني قريظة. ولد سنة ٤٠ هجرية.

و ـ سعيد بن جبير، قتله الحجّاج سنة ٩٠ أو ٩٤ أو ٩٥ هـ. وعمره تسع وأربعون سنة.

ز ـ ضحّاك بن مزاحم (ت: ١٠٥ أو ١٠٦هـ). ويعدّ من الطبقة الخامسة من الرواة.

ح ـ محمّد بن قيس (ت: ١٢٦هـ).

ط ـ أبي محمّد إسماعيل بن عبدالرّحمٰن السدّي (ت: ١٢٧هـ). ويعدّ من الطبقة الرابعة من الرواة[1].

وهؤلاء ليس فيهم من شهد الواقعة المفتراة ليخبرنا عنها. وأقدمهم ولادة ابن عباس الّذي ولد لثلاث سنين قبل هجرة رسول الله (ص)، فأنّىٰ له أن يشهد الواقعة ليخبرنا عنها.

نقول هذا ونحن نعلم أنّ القصة مفتراة من أساسها. وافتري على الصحابة روايتها وقد اختلقت في عصر نشاط الزنادقة في أواخر القرن الأوّل وأوائل القرن الثاني الهجري، كما بيّنّا ذلك في بحث ما افتري روايتها علىٰ أُمّ المؤمنين عائشة وعلىٰ غيرها من الصحابة من المجلّد الثاني من كتاب أحاديث أُمّ المؤمنين عائشة.

ونظير هذه الأُسطورة المفتراة علىٰ رسول الله (ص) وعلى الوحي والقرآن، الخبر المفترىٰ علىٰ رسول الله (ص) في كيفيّة تلقّيه أوّل وحي نزل عليه بغار حراء. وقد كشفنا عن زيف الخبرين في الجزء الثاني من أحاديث أُمّ المؤمنين عائشة. وإنّ الخبر الأوّل اقتصر نقله علىٰ مصادر دراسات مدرسة الخلفاء، والخبر الثاني انتشر منها إلىٰ بعض كتب أتباع مدرسة أهل البيت (ع).

---

(١) ذكرنا مصادر التحقيق لأسانيد هؤلاء الرواة في الجزء الرابع من قيام الأئمّة بإحياء السنّة ص ٤٠٩ـ٤١٦.

واستفاد خصوم الإسلام من روايات الزيادة والنقيصة وأخبار اختلاف المصاحف لأغراضهم في نفي ثبوت النص القرآني، كما سنشير إليه في بحث «المستشرقون والقرآن الكريم» في آخر الكتاب إن شاء الله تعالىٰ.



وذكر ابن الجوزي وغيره قسماً آخر من المحدِّثين ممّن افترىٰ علىٰ رسول الله (ص) احتساباً للخير ودفاعاً عن الخلفاء مثل ما جاء في الخبر الآتي:

وضع الحديث والدسّ فيه صوناً لمقام الخلافة

روى الخطيب البغدادي وغيره واللفظ للخطيب، قال:

قدم على المهدي بعشرة محدثين فيهم الفرج بن فضالة وغياث بن إبراهيم وكان المهدي يحبّ الحمام ويشتهيها، فأُدخل عليه غياث بن إبراهيم فقيل له حدّث أمير المؤمنين فحدّثه بحديث أبي هريرة «لا سبق إلّا في حافر أو نصل» وزاد فيه «أو جناح» فأمر له المهدي بعشرة آلاف. قال فلمّا قام، قال: أشهد أن قفاك قفا كذاب علىٰ رسول الله (ص) إنّما استجلبت ذاك أنا. فأمر بالحمام فذُبحت فما ذكر غياثاً بعد ذلك[1].

ومن الروايات ما وضعت تزلفاً للحكام وتحقيقاً لغاياتهم، مثل الرواية الآتية:

روى الاصبهاني بسنده عن الفضل بن إياس الهذليّ الكوفي أنّ المنصور

---

(١) تاريخ بغداد ١٢ / ٣٢٣ ـ ٣٢٤، الترجمة رقم ٦٧٦٧؛ والموضوعات لابن الجوزي ٣ / ٧٨؛ والبداية والنهاية ١٠ / ١٥٣؛ واللآلئ المصنوعة ٢ / ٤٦٨؛ وميزان الاعتدال ٣ / ٣٣٧، الترجمة رقم ٦٦٧٣.

وقال الذهبي في ترجمته: كان يضع الحديث. وفي البداية والنهاية عتاب بن إبراهيم تصحيف.

كان يريد البيعة للمهدي، وكان ابنه جعفر يعترض عليه في ذلك، فأمر بإحضار الناس فحضروا، وقامت الخطباء فتكلّموا، وقالت الشعراء فأكثروا في وصف المهدي وفضائله، وفيهم مطيع بن إياس، فلمّا فرغ من كلامه في الخطباء وإنشاده في الشعراء قال للمنصور: يا أمير المؤمنين! حدّثنا فلانٌ عن فلان أنّ النبيّ (ص) قال: «المهديُّ منّا محمّد بن عبدالله وأُمّه من غيرنا، يملأها عدلاً كما ملئت جوراً» وهذا العباس بن محمّد أخوك يشهد علىٰ ذلك. ثمّ أقبل على العباس، فقال له: أُنشدُك الله هل سمعتَ هذا؟ فقال: نعم. مخافةً من المنصور. فأمر المنصور الناس بالبيعة للمهدي.

قال: ولما انقضى المجلس، وكان العباس بن محمّد لم يأنس به، قال: أرأيتم هذا الزنديق إذ كذب على الله عزّ وجلّ ورسوله (ص)، حتى استشهدني علىٰ كذبه، فشهدتُ له خوفاً، وشهد كلُّ من حضر عليَّ بأنّي كاذب؟! وبلغ الخبر جعفر بن أبي جعفر، وكان مطيع منقطعاً إليه يخدمه، فخافه، وطرده عن خدمته ... الحديث[1].



في ختام هذه الدراسة الواسعة ينبغي لنا أن نورد خلاصة أخبار القرآن بعد عصر الرسول (ص) إلىٰ عصر الحجّاج فنستعين الله ونقول:

خلاصة أخبار القرآن بعد الرسول (ص):

ذكرنا في أخبار عهد الخليفة أبي بكر، أنّه أمر بكتابة قرآن مجرّد من حديث الرسول (ص)، وتمّ العمل علىٰ عهد الخليفة عمر، فأودعه عند أُمّ المؤمنين حفصة، فاستعار الخليفة عثمان ذلك المصحف منها، ونسخ منها نسخاً وزّعها في بلاد المسلمين وأمر بجميع مصاحف الصحابة الّتي كانوا قد كتبوا في بعضها بيان

(١) الأغاني لأبي الفرج الاصبهاني، ط. ساسي ١٢ / ٨١.

الرسول (ص) إلىٰ جنب آيات القرآن الكريـم، فأُحرقت[1]، وأمر بمن خـالف أوامره مثل الصحابي ابن مسعود فَجُلب إلى المدينة وأُهين وأُمر به، فضُرب على الأرض وحُرم من العطاء ـ راتبه السنوي من بيت المال ـ[2].

وكان الخليفة عثمان في فعله مقـتدياً بالخليفة أبي بكر في نسـخه القـرآن مع حذف بيان الرسـول (ص)، غير أنّ الخليفـة أبا بكر ترك مصاحف الصحابة بأيديهم ولم يأخذها ويحرقها كما فعل عثمان.

وكذلك في إحراقـه المصـاحف، اقتدىٰ بسـلفه عمر حين جمـع ما كتـبه الصحابة من حديث الرسول وإحراقها غير انّه لم يكن في ما أحرق الخليفة الثاني القرآن الكريم كما فعله الخليفة الثالث.

وأبى الصّحابي المُقرئ ابن مسـعود أن يدفع إليهم مصحفه ليحرقـوه، وفي ما يأتي بعض هذا الخبر:

المقام الوحيد لحرق المصاحف:

قال ابن أبي داود: أبىٰ ابن مسعود أن يسلم مصحفه، وقال لأهل الكوفة:

يا أهل الكوفة! أو يا أهل العراق! اكتموا المصاحف الّتي عندكم وغلوها فإنّ الله يقول ﴿... وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ...﴾ فالقوا الله بالمصاحف[3].

وفي رواية أُخرىٰ:

---

(١) مرّت مصادر حرق عثمان للمصاحف في بحث روايات جمع القرآن وتناقضها، باب من قال ان الخليفة عثمان جمع القرآن في مصحف، ونضيف إلىٰ ذلك المصاحف لابن أبي داود، ص ١٩ ـ ٢٣؛ واليعقوبي ٢ / ١٧٠؛ وأنساب الأشراف للبلاذري، تحقيق احسـان عـباس، ط. بـيروت سـنة ١٤٠٠هـ/٤/١/٥٥٢.

(٢) راجع تفصيل خبر ابن مسعود في كتاب «أحاديث أُمّ المؤمنين عائشة» ١ / ٩٨.

(٣) مصاحف ابن أبي داود ١٧/١، باب كراهية (عبدالله بن مسعود ذلك). (آل عمران/١٦١).

قال عبدالله حين صنع بالمصاحف ما صنع: والذي لا إله غيره ما أُنزلت من سورة إلّا أعلم حيث أُنزلت وما من آية إلّا أعلم في ما انزلت ولو إنّي أعلم أحداً أعلم بكتاب الله منّي تبلغنيه الإبل لأتيته[1].

وفي رواية: وقد قرأت من في رسول الله (ص) بضعاً وسبعين سورة وان زيد بن ثابت ليأتي مع الغلمان له ذؤابتان، والله ما نزل من القرآن إلّا وأنا أعلم في أي شيء نزل.

قال الراوي: فلمّا نزل عن المنبر، جلست في الحلق، فما أحد ينكر ما قال[2].

وفي رواية بعده قال الراوي: فجلست في حلق من أصحاب محمّد (ص) فما سمعت أحداً منهم يعيب عليه شيئاً ممّا قال ولا ردّه[3].

وفي رواية: لمّا أمر بالمصاحف ساء ذلك عبدالله... الحديث[4]. وفي رواية أُخرىٰ قال: انّي غالّ مصحفي، مَنِ استطاع منكم أن يغل مصحفاً فليغلل... لقد أخذت من في رسول الله (ص) سبعين سورة... أفأنا أدَعُ ما أخذت من في رسول الله (ص) [5].

كان هذا شأن ابن مسعود ومصحفه، وكان مصحف الإمام عليّ قد أُخفي بعد أن لم يقبلوه بعيد وفاة الرسول (ص)، ولم يبق بعد إحراق المصاحف مصحفٌ في متناول يد المسلمين كتب فيه بيان الرسول (ص) وتفسير القرآن إلىٰ جنب الآيات.

---

(١) نفس المصدر، ص ١٦.

(٢) نفس المصدر، ص ١٦.

(٣) نفس المصدر، ص ١٦.

(٤) نفس المصدر، ص ١٥.

(٥) نفس المصدر، ص ١٥.

وأنتج كل ما ذكرناه تبدّل معنى القـراءة في المجـتمع الإسـلامي من تعلُّم اللّفظ والمعنى إلىٰ تعلُّم تلاوة النصّ القرآني مجرّداً من حديث الرسول (ص)، ثمّ اجتهد علماء العربية بمدرسة الخلفاء وبدّلوا النصوص القرآنية بلهجات العـرب المختلفة، وسُمِّيت بعد ذلك تلك التحريفات بالقراءات ومختلقوها بالقرّاء الكـبار وأصبح القارئ من تعلم تلك التحريفات، والمقرئ من يعلم تلك التحريفات في القرآن عن ظهر قلب بعد ان كان علىٰ عهد الرسول (ص) الإقراء بمـعنىٰ تـعليم النص القرآني ومعناه؛ والإقتراء بمعنىٰ: تعلم النص القرآني ومعناه؛ كما مرّ بنا في خبر نظام تعليم القرآن علىٰ عهد الرسول (ص)، واستمرّ المسـلمون بـعد ذلك يستعملون القراءة والقارئ والإقراء في جزء معنى الكلمة وهو تلاوة النص وحده بعد أن كان يستعمل في تلاوة النص وتعلم المعنىٰ.

وعلىٰ ذلك فإنّ القراءة ومشـتقاتها كانت في المصطلح الإسـلامي بمـعنىٰ تلاوة النص مع تعلم المعنىٰ وتفهمه في مقابل التلاوة الّتي كانت ولا تزال بمـعنىٰ تلاوة النص وحده، ثمّ أصبحت القراءة ومشتقاتها في مصطلح المسلمين بعد عهد الخليفة عثمان إلى اليوم بمعنىٰ تلاوة التحريف الّذي جرىٰ على النـص القـرآني، ونسي المسلمون بعد ذلك معنى المصطلح الإسلامي، ومن ثمّ كلّما وردت القراءة ومشـتقاتها في القرآن وحديث الرسول (ص) فسروها بمعناها في مـصطلحهم، وكذلك اصبح المصحف عندهم بمعنى الكتاب الّذي دون فيه القرآن وحده بعد أن كان قبل تحريق المصاحف بمعنى الكتاب الّذي دون فيه القرآن مع شيء من تفسيره كما مرّ تفصيله في بحث روايات اختلاف المصاحف.

خاتمة بحوث تاريخ القرآن علىٰ عهد الخلفاء الثلاثة:

أنزل الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ تفصيل شرائع الإسلام في الكتابين التـوراة والإنجيل، فكتمَ المسيطرون عليهما من اليهود والنصارىٰ بعضاً ممّا كان يخـالف أهواءهم في الكتابين وحرّفوا بعضاً آخر منهما، فأخبر الله ـ سبحانه وتـعالىٰ ـ

عن ذلك وقال:

أ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَاتِ وَٱلْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّاعِنُونَ﴾. (البقرة / ١٥٩)

ب ـ ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَاقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾.

(آل عمران / ١٨٧)

ج ـ ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَوَاضِعِهِ ...﴾. (النّساء / ٤٦)

د ـ ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾. (البقرة / ٧٥)

واقتضت حكمة الله ـ جلّ آسمه ـ أن تبق الشريعة الخاتمة أبد الدهر، فأنزل القرآن العظيم هدىً للناس وقال تبارك وتعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر / ٩)، ومن أجل حفظ القرآن من التحريف والكتمان أنزل فيه أُصول الإسلام وأوصى إلىٰ رسوله (ص) بيانه الّذي كان فيه ما يخالف أهداف المسيطرين وقال جل ذكره: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ (النّحل / ٤٤)، وأخبر سبحانه وتعالىٰ عنه (ص) وقال: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (النّجم / ٣. ٤)، وقال جلّ ذكره: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ * فَمَا مِنكُم مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ (الحاقة / ٤٤ـ٤٧)، فيبيّن رسول الله (ص) ما آحتاج من الذّكر الحكيم إلىٰ بيان في حديثه الّذي هو بعض من سنّته الّتي يبلغها الناس كما أُوحيت إليه وفي هذا الصّدد روىٰ حسّان بن ثابت[1]، كما في مقدّمة الدارمي وقال:

(١) سنن الدارمي ١ / ١٤٥ (باب السنّة قاضية علىٰ كتاب الله).

←

(كان جبريل ينزل علىٰ رسول الله (ص) بالسنّة كما ينزل عليه بالقرآن).

ومن البديهي في أمر الشريعة الإسلامية أنّ الله سبحانه وتعالىٰ بلغها في القرآن الكريم وسنّة رسوله (ص)، والجزء الأكبر من سنّة الرسول (ص) بلّغها الرسول (ص) في حديثه، غير أنّ سياسة الخلفاء الثلاثة، اقتضت كتمان نشر حديث الرسول (ص) وتجريد القرآن من حديثه (ص)، وفي ما يأتي نذكر بإذنه تعالىٰ سبب تجريدهم القرآن من حديث الرسول (ص) مفصّلاً:

سبب تجريدهم القرآن من حديث الرسول (ص) ونهيهم عن كتابة حديثه

مرّ بنا في المجلّد الأوّل[1]:

أ ـ إنّ أبا سفيان أتىٰ علىٰ سلمان وصهيب وبلال في نفر فقالوا ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها!

فقال أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيّدهم.

ب ـ إنّ عبدالله بن عمرو بن العاص قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله (ص)، فنهتني قريش وقالوا: (تكتب كل شيء سمعته من رسول الله

← وأبو عبدالرّحمٰن أو أبو الوليد، حسّان بن ثابت بن المنذر الأنصاري الخزرجي، شاعر النبيّ (ص)، وكان يُفاخر عنه في مسجده وقال فيه النبيّ (ص):

«إنّ الله يؤيد حسّاناً بروح القدس ما نافح عن رسول الله»، وكان من أجبن الناس ولم يشهد مع النبيّ (ص) شيئاً من مشاهده لجبنه، ووهب له النبيّ (ص) جاريته سيرين أُخت مارية، فولدت له عبدالرّحمٰن. روىٰ عن رسول الله (ص) حديثاً واحداً أخرجه أصحاب الصحاح ما عدا الترمذي ومات قبل الأربعين أو سنة خمسين أو أربع وخمسين من الهجرة وهو ابن مائة وعشرين سنة.

أُسد الغابة ٢ / ٥ ـ ٧؛ وجوامع السيرة، ص ٣٠٨؛ وتقريب التهذيب ١ / ١٦١.

(١) كل ما نذكره في هذا الموجز مرّت مصادره في ما مضىٰ من بحوث المجلّد الأوّل، الفصل الأوّل، ص ١٤٤.

(ص) ورسول الله (ص) بشر يتكلم في الغضب والرضا)، فأمسكت عن الكتابة فذكرت ذلك لرسـول الله (ص) فأومأ باصبعه إلىٰ فيـه وقال: «اكتب فوَالّذي نفسي بيده ما خرج منه إلّا حق».

دراسة الخبرين:

كان مرور أبي سفيان علىٰ أُولئكم الصحابة في مجيئه للمدينة قبل فـتح مكّة لتجديد صلح الحديبيـة[1] ولم يكن بعد إسلامه، فإنّه كان قد أصبح بـعد إسلامه أخاهم في الإسلام ولم يكونوا يقولون له (عدوّ الله).

والخبر الأوّل يفسّر لنا من الخبر الثاني مقصود قريش وهم المهاجرون في قولهم لعبدالله (ورسول الله بشر يتكلم في الغضب والرضا) أي: إنّ الرسول (ص) كسائر البشر إن كره أحداً ذمّه وإن رضي عنه مدحه، وكان حديث الرسـول (ص) في المدح والذمّ في تعليم الصـحابة معاني الآيـات الّـتي فـيها مـدح وذمّ لأشخاص لم يسمّوا في تلك الآيات وبيان شأن نزولها وأحياناً الحوادث الّـتي جرت عند تبليغها، وفي ما يأتي نشير بإذنه تعالى إلىٰ بعض ما مرّ بنا في المجلّد الأوّل ونضيف إليه بعض ما نحتاج إليه في التوضيح.

وإنّ أحاديث الرسول (ص) الّتي وصـفها المـهاجرون مـن قـريش بأنّ الرسول (ص) قالها في حال الرضا والغضب وقالوا تكتب كل شيء، هي:

أوّلاً ـ كانت أحاديثه في تفسير الآيات الّتي نزلت بمكّة كالآتي بيانه:

أ ـ في مدح الإمام عليّ:

لمّا نزلت: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء / ٢١٤) جمع النـبيّ (ص)

---

(١) راجع هامش صحيح مسلم، تحقيق محمّد فؤاد عبدالباقي، باب فضائل سلمان.

عشيرته الأقربين وقال لهم: إنِّي قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه فأيكم يؤازرني علىٰ هذا الأمر يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟ فأحجمَ القوم عنها جميعاً فقام عليّ بن أبي طالب، وقال: أنا يا نبيّ الله أكون وزيرك عليه، فأخذ برقبته ثمّ قال: إنّ هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا. فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع.

ب ـ في ذمِّ الوليد بن المغيرة في خبر وصفه للقرآن الكريم:

﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ... فَقَالَ إِنْ هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ * إِنْ هٰذَا إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ * سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾. (المدّثر / ١٨ ـ ٢٦)

ج ـ في ذمِّ الأسود بن المطلب والوليد بن المغيرة وأُميّة بن خلف والعاص ابن وائل السّهمي عندما قالوا لرسول الله (ص):

يا محمّد! هلمّ فلنعبد ما تَعبد وتعبد ما نعبد فنشترك نحن وأنت في الأمر. فأنزل الله في ردّ اقتراحهم:

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا ٱلْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ...﴾.

د ـ في ذمِّ عتبة وشيبة وأبي سفيان وأبي البختري والأسود بن المطلب وزمعة بن الأسود والوليد بن المغيرة وأبي جهل وعبدالله بن أبي أُميّة وأُميّة بن خلف والعاص بن وائل ونبيه ومنبه ابني الحجّاج عندما اجتمعوا عند ظهر الكعبة فبعثوا إلىٰ رسول (ص) فأتاهم فقالوا: يا محمّد! إنّا بعثنا إليك لنعذر فيك... لقد شتمت الآباء وعبت الدين وشتمت الآلهة فإن كنت تطلب مالاً جمعنا لك حتىٰ تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تطلب الشّرف فينا سوّدناك علينا، وإن كنت تريد به ملكاً ملّكناك علينا، وإن كان الّذي يأتيك من الجنِّ بذلنا في طلب الطبِّ لك حتّىٰ نبرئك.

فقال (ص): ما بي ما تقولون وما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشّرف فيكم ولا الملك، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً فبلّغتكم رسالة ربِّي؛ فإن تقبلوا فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردّوه عليّ أصبر حتىٰ يحكم الله بيني وبينكم.

فقالوا: فإن كنت غير قابل ما عرضنا عليك فسل ربّك فليسيّر عنا هذه الجبال الّتي ضيقت علينا ويبسط بلادنا ويفجر فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق، وليبعث لنا من مضىٰ من آبائنا وفيهم قصي فنسألهم عمّا تقول، فإن صـدّقوك صدّقناك وعرفنا انّه بعثك بالحق رسولاً كما تقول.

فأجابهم بالجواب الأوّل.

فقالوا: فإن لم تفعل هذا فسل ربّك يبعث ملكاً يصدِّقك ويجعل لك جناناً وكنوزاً وقصوراً من ذهب وفضّة، فإنّك تقوم بالأسـواق وتلتمس المعاش كـما نلتمس.

وقالوا في ما قالوا له: لن نؤمن لك حتىٰ تأتينا بالله والملائكة قبيلاً. فقام عنهم فقال له عبدالله بن أبي أُميّة: لا أُؤمن لك حتىٰ ترقى إلى السماء وأنا أنظر وتأتي معك بنسخة منشورة وأربعة من الملائكة يشهدون لك، ولو فعلت ذلك لظننت أن لا أُصدقك، فأنزل الله تعالىٰ فيهم:

﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ ٱلإِنْسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هٰذَا ٱلْقُرْآنِ ... وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلأَرْضِ يَنْبُوعاً﴾ (الإسراء / ٨٨ـ ٩٠).

هـ ـ في ذمّ العاص بن وائل وأبي جهل وغيرهما من عتاة قريش لما أتوا بعظم حائل أمام الرسول (ص) فذروه في الريح وقالوا: ﴿قَالَ مَن يُحْيِي ٱلْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ أنزل الله فيهم ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ ...﴾ (يس / ٧٨).

و ـ في العاص بن وائل عندما شنأ رسول الله (ص)، بعد وفاة ابنه القاسم

وقال له الأبتر، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾.

ز ـ في الأسود بن المطلب والأسود بن عبد يغوث والوليد بـن المـغيرة والعاص بن وائل والحرث بن الطلاطلة الّذين كانوا يستهزئون برسول الله وأهلك كل واحد منهم بما أهلكه ﴿...إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِئِينَ...﴾ (الحجر ٩٤ـ٩٦).

ثانياً ـ كانت أحاديثه الّتي نزلت بالمدينة كما يأتي بيانها:

أ ـ في ذم عبدالله بن سعد بن أبي سرح:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ ٱللهُ﴾ (الأنعام / ٩٣).

فإنّه كان يكتب لرسول الله (ص) في المدينة فارتدّ ورجع إلىٰ مكّة وقال للمشركين إنّي آتي بمثل ما يأتي به محمّد...

ب ـ في مدح الرسول (ص) وابن عمة عليّ وابنته فاطمة وولديهما الحسن والحسين:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (الأحزاب / ٣٣).

ج ـ في شأن الرسول وأهل بيته:

﴿...فَقُلْ تَعَالَوا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ ٱللهِ عَلَى ٱلْكَاذِبِينَ﴾ (آل عمران / ٦١)، في قصّة المباهلة مع نصارىٰ نجران.

د ـ في شأن الإمام عليّ:

١ ـ ﴿يَا أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ

رِسَالَتَهُ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ (المائدة / ٦٧)، في الجحفة في مرجع الرسول (ص) من حجّة الوداع، فجمع الحجيج في غدير خم وخطب وقال في خطبته:

أَلَسْتُ أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم؟

قالوا: بلىٰ، يا رسول الله.

ثمّ أخذ بيد عليّ فرفعها حتىٰ نظر الناس إلىٰ بياض إبطيهما، ثمّ قال:

أيُّها الناس! الله مولاي وأنا مولاكم؛ فمَن كنتُ مولاه فهذا عليٌّ مولاه، اللّهمّ والِ مَنْ والاه، وعادِ مَنْ عاداه، وانصر مَنْ نصره، واخذل مَنْ خذله..

ثمّ لم يتفرّقوا حتىٰ نزلت هذه الآية:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلإِسْلَامَ دِيناً﴾ (المائدة / ٣).

٢ـ ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَاة وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (المائدة / ٥٥).

بعد أن دخل فقير مسجد الرسول (ص) وسأل وكان عليّ راكعاً في صلاة غير فريضة فأومأ عليّ إليه باصبعه وفيها خاتم عقيق يماني أحمر فنزعه ودعا له فنزلت فيه الآية.

٣ـ ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَاجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَام كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَٱلْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللهِ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ ٱللهِ ... ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ ٱللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللهِ ...﴾ (براءة / ١٩، ٢٠).

في العباس عمّ النبيّ عندما افتخر علىٰ عليّ بن أبي طالب بأنّه كان ساقي الحجيج وطلحة بن شيبة أنّه صاحب البيت معه مفتاحه، فقال عليّ: ما أدري ما تقولان! لقد صلّيت إلى القبلة قبل الناس وأنا صاحب الجهاد. فأنزل الله تعالىٰ فيهم الآيات.

٤ـ حول تبليغ الآيات (١ ـ ٥) من سورة براءة إلى الكفار في الحج.

عندما نزلت الآيات (١ ـ ٥) من سورة براءة دعا النبيّ (ص) أبا بكر، فبعثه ببراءة لأهل مكّة: لا يحجّ بعد العام مشرك... والله بريء من المشركين ورسوله، فسار بها ثلاثاً ثمّ قال لعلي: الحقه فردّ عليَّ أبا بكر وبلّغها أنت ففعل فلمّا قدم على النبيّ أبو بكر بكىٰ وقال: يا رسول الله! حدث فيّ شيء؟

قال: ما حدث فيك إلّا خير ولكنّي أُمرت أن لا يبلّغه إلّا أنا أو رجل منّي.

وأيضاً ما نزلت في حق:

أ ـ الصحابي الوليد بن عقبة:

﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (الحجرات / ٦)، عندما بعثه إلىٰ بني المصطلق يصدق أموالهم فسمع القوم فتلقوه يعظّمون أمر رسول الله (ص) فحدّثه الشيطان أنّهم يريدون قتله، فرجع إلىٰ رسول الله (ص) فقال: إنّ القوم منعوا صدقاتهم... الحديث.

ب ـ الصحابيين أبي بكر وعمر:

﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (الحجرات / ٢)، وذلك عندما قدم ركب من بني تميم على النبيّ (ص) فقال أبو بكر: أمّر القعقاع ابن معبد وقال عمر: بل أمّر الأقرع بن حابس، فقال أبو بكر: ما أردت إلّا خلافي، فتماريا حتّىٰ ارتفعت أصواتهما... الحديث.

ج ـ الصحابة عثمان بن عفان القرشي الأموي وسعد بن عثمان وعقبة بن عثمان الأنصاريّين ثمّ الزرقيّين:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا

كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (آل عمران / ١٥٥)، عندما انهزموا عن رسول الله (ص) يوم أُحد حتّىٰ بلغوا الجلعب جبل بناحية المدينة فأقاموا بها ثلاثاً ثمّ رجعوا إلىٰ رسول الله (ص) فقال لهم: (لقد ذهبتم فيها عريضة).

د ـ أمّي المؤمنين حفصة وعائشة:

﴿إِن تَتُوبَا إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ * عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ عَابِدَاتٍ ... ﴾ إلىٰ تمام سورة التحريم.

هـ ـ بني أُميّة:

﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّؤْيَا ٱلَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِي ٱلْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَاناً كَبِيراً ﴾ (الإسراء/٦٠)، عندما رأىٰ رسول الله (ص) بني أُميّة ينزون علىٰ منبره نزو القردة فساءه ذلك فأوحىٰ الله إليه الآية وإنّه إنّما هي دنياً أُعطوها.

* * *

بسبب بيان رسول الله (ص) في تفسير هذه الآيات ما فيه مدح لبعض وذم لبعض آخر وعقاب لآخرين قال القرشيون المهاجرون لعبدالله بن عمرو بن العاص إنّ رسول الله (ص) بشر يتكلّم في الرِّضا والغضب، وكان دافعهم في ذلك التعصب القبلي لذوي أرومتهم قريش ولبعض من يتصل بهم بسبب أو نسب، وكان الدافع الأهم سياسياً كي لا يصل إلى الحكم بعده الإمام عليّ وأولاده.

وبعد تقديم هذه البحوث يلزمنا إيراد موجز عام لأخبار القرآن منذ عصر الرسول حتّىٰ عصر الخليفة عمر كي نستطيع بعدها دراسة أخبار جمع القرآن.

موجز عام

لأخبار القرآن والسنّة

أ ـ في عصر الرسول (ص)

ب ـ بعد عصر الرسول (ص)

موجز عام لأخبار القرآن في عهد الرسول (ص)

نورد في ما يأتي موجزاً من تاريخ القرآن عن المجلّد الأوّل مع إضافات تقتضيها الدراسة المستوعبة لروايات جمع القرآن، ونقول بإذنه تعالىٰ:

قال الله سبحانه:

أ ـ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون﴾. (الحجر / ٩)

ب ـ ﴿إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فإذا قَرَأْناهُ فاتَّبِع قُرْآنَهُ * ثُمّ إنَّ عَلَيْنا بَيَانَهُ﴾. (القيامة / ١٧ ـ ١٩)

ج ـ ﴿وَأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾. (النّحل / ٤٤)

د ـ ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَىٰ﴾. (الأعلىٰ / ٦)

هـ ـ ﴿وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾. (الإسراء / ١٠٦)

وصدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم فقد أنزل القرآن متدرجاً ليتيسر للمؤمنين حفظه عن ظهر قلب، وأوحىٰ لفظه ومعناه إلىٰ رسوله (ص)، وأوحىٰ مع كل آية معنىٰ كل آية يحتاج فهم معناها إلىٰ بيان بوحي غير قرآني مثل معنىٰ (آية التيمّم وآية أقم الصلاة لدلوك الشمس) أي بيان كيفية التيمم وكيفية الصلوات اليومية الخمس.

إذاً فقد كان الله جلّ ٱسمه أوّل مقرئ للقرآن وأوّل جامع له، وكان رسوله (ص) أوّل قارئ للقرآن.

والقارئ وجمعه القرّاء من تعلّم تلاوة لفظ القرآن مع تعلّم معناه.

والمُقرئ مَنِ آمتهنَ تعليم القرآن كذلك، كما برهنّا علىٰ ذلك في بحث المصطلحات القرآنية في الجزء الأوّل من القرآن الكريم وروايات المدرستين، والحمد لله.

والجامع من حفظ جميع القرآن عن ظهر قلب، وقد جمع الله القرآن أوّلاً في قلب رسوله (ص)، وكان الرسول (ص) أوّل جامع للقرآن فقد حفظ القرآن عن ظهر قلب مع كلّ ما أُوحي إليه في بيان آياته، وكان جبرائيل (ع) يقارئه في كلّ شهر رمضان كلّ ما أنزل الله من القرآن إلىٰ تاريخه، وعارضه القرآن في آخر سنة من حياته مرّتين، وقام الرسول (ص) بإقراء القرآن كذلك مصداقاً لقوله تعالىٰ: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْآنُ لأُنْذِرَكُم بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾. (الأنعام / ١٩)

ونهض الرسول (ص) بأعباء التبليغ بكل ما استطاع إليه سبيلاً في نوعين من التبليغ:

أ ـ نشر تلاوة القرآن في صلاته (ص) في البيت في مواسم الحج:

لمّا كان دأب القبائل العربية الإجتماع في أسواقهم حول مكة: ذي المجاز وعكاظ وعرفات وغيرها في الأشهر الحرم، والإستماع إلىٰ قصائد شعرائهم وحفظهم إياها عن ظهر قلب وترديدها علىٰ مسامع من لم يحضر الموسم منهم وكانت السور المكية أقصر من تلك القصائد وأعلىٰ بلاغة منها وفيها من المعاني الرفيعة ما لم يسمعوها قبل ذلك، لذا كانوا يتهافتون إلى استماع تلاوة الرسول (ص) في صلاته ويحفظونها عن ظهر قلب وينقلونها إلىٰ حيث ما بلغ بهم المسير، كما مرّ بنا قول عمرو بن سلمة الجرمي:

كنت أتلقّ الركبان فيقرئوني حتّىٰ جمعت قرآناً كثيراً، وكان يومذاك صغير السنّ، وإذا كان هذا شأن صغيرهم في شبه الجزيرة العربية، فكيف كان حال ذوي السنّ والشأن منهم في هذا الأمر.

ب ـ إقراء الرسول (ص) القرآن لمن أسلم بمكّة:

كان لإقراء المؤمنين بمكّة مرحلتان:

١ ـ مرحلة الإقراء السريّة: في هذه المرحلة كان الرسول (ص) يجتمع بالمؤمنين سرّاً في دار الأرقم بن أبي الأرقم بأصل الصفا لإقرائهم في دور سريّة الدعوة، ولم يكن الإجتماع بهم لحياكة مؤامرة ضدّ قريش، ولعلّ في هذا الدور كان ما أخبره الصحابي عمر بن الخطاب وقال:

كان رسول الله (ص) يجمع الرجل والرجلين إذا أسلما عند الرجل به قوّة ـ وفي رواية من أهل اليسار ـ فيكونان معه ويصيبان من طعامه، وقد كان ضمّ إلىٰ زوج أُختي رجلين، فدخلت عليهم وكان القوم جلوساً يقرأون القرآن في صحيفة، وفي لفظ آخر بكتاب.

وعن الإقراء في مكّة قال ابن مسعود:

بينا نحن عنده علىٰ حرّاء إذ نزلت عليه سورة المرسلات فأخذتها وإن فاه ليرطب بها[1].

٢ ـ مرحلة الإقراء العلنية: ونرىٰ انّ في دور التبليغ العلني كان من خبر الضرير ابن أُم مكتوم في ما جاء في روايات تفسير «عبس وتولّىٰ أن جاءه الأعمىٰ» أن الإقراء كان بعد ذلك علناً، ويظهر من قراءة عبدالله بن مسعود سورة الرّحمٰن في الحرم علىٰ قريش وقراءة جعفر بن أبي طالب خبر عيسىٰ بن مريم من سورة مريم على النجاشي في الحبشة أنّهم في مكّة كانوا يحفظون القرآن عن ظهر قلب.

* * *

(١) بترجمة ابن مسعود من مختصر تاريخ ابن عساكر ١٤ / ٤٧.

كانت تلكم بعض أخبار الإقراء في العصر المكّي، ولمّا أسلم من حجّاج أهل المدينة من أسلم أرسل إليهم قبل أن يهاجر إليها مصعب بن عمير وابن أُم مكتوم يقرئان من أسلم منهم القرآن، وكان مصعب بن عمير يسمّىٰ في المدينة بالمقرئ.

قال زيد بن ثابت: أتى النبي (ص) المدينة وقد قرأت سبع عشرة سورة فقرأت علىٰ رسول الله (ص) فأعجبه ذلك[1].

ومن الأنظمة الّتي سنّها الرسول (ص) في المدينة لإقراء القرآن وتدوينه:

أوّلاً ـ إقراء القرآن:

أ ـ كيفية الإقراء:

عن عثمان وابن مسعود وأُبيّ أنّ الرسول (ص) كان يـقرئهم في مسـجده العشر فلا يجاوزونها إلىٰ عشر أُخرىٰ حتّىٰ يتعلّموا ما فيها من العـلم والعـمل فيعلّمنا القرآن والعمل جميعاً.

وفي رواية:

... لم نتعلّم العشر الّتي بعدها حتّىٰ نعرف حلالها وحرامها وأمرها ونهيها.

وفي رواية:

ولا يأخذون في العشر الأُخرىٰ حتّىٰ يعلموا ما في هذه من العلم والعمل فعلّمنا العلم والعمل[2].

كانوا لا يأخذون في تعلم آيات أُخرىٰ حتّىٰ يعلموا ما فيها من العلم وانّها

---

(١) بترجمة زيد في الإصابة. وانّ السور الّتي قال زيد انّه كان قد حفظها كانت من السور المكية.

(٢) كنز العمال، ط. بيروت سنة ١٤٠٩هـ، ٢ / ٣٤٧، الحديث ٤٢١٥.

في أية حادثة نزلت؟ وفي شأن من نزلت؟ وكذلك يعلموا ما أوحى الله إلىٰ رسوله في بيانها من فنون المعرفة من بدء الخلق إلى المعاد وشرح ما فيها من الحلال والحرام، أي: يعلموا كل ما فيها من العلم والعمل جميعاً، وكذلك كان الصحابة يعلِّمون جميع ذلك لمن يقرئونه القرآن في عصر الرسول (ص).

ب ـ المتعلِّمون هم:

١ ـ جميع أصحاب الرسول (ص) من الرسول (ص) نفسه وأحياناً من القرّاء الّذين عيّنهم الرسول (ص) للإقراء.

٢ ـ جميع أهل بيت الصحابة في بيوتهم من أزواجهم وآبائهم من الصحابة كما قال الصحابي لرسول الله (ص): (نحن نقرأ القرآن ونقرئه أبناءنا ويقرئه أبناؤنا أبناءهم إلىٰ يوم القيامة).

٣ ـ بعض أعضاء الوفود إلى المدينة الذين تعلموا من قرّاء الصحابة الذين تعلموا القراءة من الرسول (ص).

ج ـ أماكن الإقراء:

١ ـ مسجد الرسول (ص) لإقراء الرسول (ص) أصحابه.

٢ ـ صفة مسجده لتعليم أصحابه من لا مأوىٰ له.

٣ ـ جميع دور الصحابة بلا استثناء لتعليم الصحابة أهل بيتهم وأحياناً من يفوّض إليهم الرسول (ص) تعليمه من أعضاء الوفود.

ثانياً ـ نظام المفاضلة:

جعل أقرأهم للقرآن إماماً للجمعة والجماعة ووالياً عليهم في المدينة وإن كان أصغرهم سنّاً، ونشر الاهتمام بحفظ السور الطِّوال وخاصّة سورة البقرة

وجعلها شعاراً في غزوة حنين، وأمر العباس أن ينادي عند فرارهم: يا أصحاب سورة البقرة! وكذلك تنادوا بها بعد وفاة الرسول (ص) في حرب مسيلمة فتجمهروا في المعركتين وكرّوا وانتصروا، ولم يجر هذا النظام في تعيين قوّاد الجيوش بل اتخذ من أكثرهم دراية لادارة دفة الحرب لامارة الجيوش في الحروب.

وسمّى الرسول (ص) البقرة وآل عمران بالزهراوين، وكان يقرأهما في صلاة اللّيل وأحياناً يقرأهما مع سورة النِّساء.

وكذلك اهتمّ الصحابة بحفظ سورة البقرة عن ظهر قلب مثل الصحابي عمر بن الخطّاب.

وممّا عمله الرسول (ص) في المفاضلة، أن جعل أكثر الشهداء في أُحد حفظاً للقرآن أمام أصحابه في القبر.

وقال (ص) في فضل من حفظ القرآن عن ظهر قلب يوم القيامة عدّة أحاديث مثل قوله (ص): من تعلّم القرآن فاستظهره وحفظه أدخله الله الجنّة وشفّعه في عشرة من أهل بيته.

وقال في فضل تعليم القرآن: يا عليّ! تعلّم القرآن وعلِّمه الناس فلك بكل حرف عشر حسنات، فإن متّ متّ شَهيداً... حجّت الملائكة إلىٰ قبرك كما تحجّ الناس إلىٰ بيت الله العتيق.

وقوله (ص): ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلّا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفظتهم الملائكة وذكرهم الله في من عنده.

ونتيجة كلّ ذلك، كان يسمع لمسجد رسول الله (ص) ضجّة بتلاوة القرآن حتىٰ أمرهم رسول الله (ص) أن يخفضوا أصواتهم لئلّا يتغالطوا، وأصبحت دور

المهاجرين والأنصار أماكن لإقراء القرآن، وعلىٰ أثر ذلك كثر في الصحابة من حفظ القرآن عن ظهر قلب، وبلغ عدد القرّاء منهم درجة لا يمكن حصرهم وعدّهم إلّا من ذكر اسمهم لمناسبة؛ مثل خبر القرّاء السبعين من شبّان الأنصار يقال لهم القرّاء، يتدارسون القرآن ليلاً، فأرسلهم الرسول (ص) ليقرئوا بعض القبائل العربية خارج المدينة، فاستشهدوا جميعاً غير واحد منهم، ووجدنا ذكر قرابة أربعين صحابياً ذكرت أسماؤهم في مناسبات في عداد القرّاء وجامعي القرآن، وكان فيهم مثل عبدالله بن عمرو بن العاص، الّذي أراد أن يختم القرآن في ليلة، فنهاه الرسول (ص) عن ذلك، وأرشده إلىٰ أن يقرأه في سبع ليال، وكل ذلك يناقض ما رواه أنس من أنّه حصر من جمع القرآن علىٰ عهد الرسول (ص) في الأنصار دون المهاجرين، و ـ أيضاً ـ جعل هذه الميزة لقبيلته من الخزرج دون قبيلة الأوس من الأنصار.

اهتمام الرسول (ص) بسور خاصّة:

اهتمّ الرسول (ص) بذكر سورة هود وأخواتها الواقعة والحاقة وإذا الشمس كورت والمرسلات وعمّ يتساءلون والقارعة وسأل سائل لما جاء فيها من تخويف، وأمثلة ممّا جرىٰ على الأمم السالفة من العذاب.

وقال ـ أيضاً ـ: أُعطيت مكان التوراة السّبع الطِّوال وأُعطيت مكان الزبور المئين، وأُعطيت مكان الإنجيل المثاني وفضلت بالمفصل.

والسبع الطوال: البقرة وآل عمران والنِّساء والمائدة والأنعام والأعراف والكهف، والمئون: ما وليها سمِّيت بذلك لأنّ كل سورة منها تزيد علىٰ مائة آية أو تقاربها، والمثاني: ما ولي المئين، والمفصل: ما ولي المثاني في قصار السور إلى آخر سورة الناس بلا نزاع [1].

---

(١) الإتقان للسيوطي ١ / ٦٥.

وسنّ نظاماً للمفاضلة بحفظ القرآن، وخاصّة السور الطِّوال، وعيّن ممّن حفظ السور الطِّوال الولاة، وكذلك كان شأنه وشأن سائر المسلمين في مجتمعاتهم خارج المدينة، حيث أرسل لكل مجتمع إسلامي مقرئاً يقرئهم القرآن ويحذون حذوه في أمر نشر تعليم القرآن في تلكم المجتمعات، ولا يتيسر إحصاء من حفظ القرآن عن ظهر قلب من المسلمين في عصر الرسول (ص)، وكذلك من كتبه مع بيان الرسول حوله والّذي تلقاه بواسطة الوحي.

وما روي عن أنس في حصر من جمع القرآن من أقربائه عن ظهر قلب بأربعة أو خمسة فإنّه مردود بما تواتر من أخبار من جمع القرآن وكتبه من غير أفراد قبيلته، وما بلغنا من أخبار من جمع القرآن أو كتبه أو حفظ منه ما حفظ إنّما ذكر لمناسبة استدعت ذكر من حفظه عن ظهر قلب أو جمعه؛ مثل خبر عبدالله بن عمرو الّذي كان قد جمع القرآن وكان يريد أن يتلوه في أقل من سبع ليال، فنهاه الرسول (ص) عن ذلك؛ ومثل خبر المصحف الّذي كان في بيت الرسول (ص) وجمعه الإمام عليّ وعرضه عليهم في مسجد الرسول (ص) فأبوا أن يقبلوه؛ وخبر إملاء ابن مسعود القرآن في الكوفة عن ظهر قلب وعدم تسليمه مصحفه لوزعة الخليفة عندما أحرقوا نسخ القرآن عند الصحابة، أو خبر الشهيدة أُمّ ورقة من النِّساء، أو خبر من كان كتب في مصحفه مع كل آية تفسيرها ـ أي ما بيّن الرسول (ص) في حديثه حولها ـ فقرض الخليفة عمر تفسير الآيات بالمقراضين، أو خبر حفظ زيد بن ثابت سبع عشرة سورة من القرآن قبل أن يهاجر الرسول (ص) إلى المدينة، أو قول ابن مسعود أخذت من في رسول الله (ص) نيفاً وسبعين سورة وزيد له ذؤابتان، أو نحر الصحابي جزوراً عند إتمامه حفظ سورة البقرة عن ظهر قلب، أو مثل خبر اشتراك ثلاثة آلاف قارئ في معركة اليمامة قرابة سنة بعد وفاة الرسول (ص) في جيش بلغ عدد أفراده ثلاثة عشر ألف مقاتل أكثرهم من أعراب البوادي.

وإذا كان في هذا الجـيش وحده ثلاثة آلاف قارئ فكم كان عدد القرّاء الّذين لم يشتركوا مع هذا الجيش ممن كانوا في المدينة ومكة والطـائف وسـائر المجتمعات الإسلامية يومذاك؟ مثل الإمام عليّ من الرجال والقارئة الشهيدة أُم ورقة من النِّساء في المدينة، وصرّح المؤرخون انّ عدد القتلىٰ من المسلمين كان أربعمائة وخمسين أو خمسمائة وفي الشهداء خمسون أو ثلاثون من حملة القرآن. ذكر خليفة بن خياط في تاريخـه أسماءهم وأنسابهم كما ذكروا في سائر كـتب السيرة أسماء الشهداء في غزوة بدر وأُحُد وغيرهما من غزوات الرسول (ص).

وبناءً علىٰ ذلك بقي من القـرّاء في ذلك الجيش وحده خمسون وتسعمائة وألفا قارئ علىٰ أقل تقدير، وان هذه الأخبار تناقض ما رووا.



كان ذلكم موجزاً عامّاً لأخبار القرآن في عـصر الرســول (ص)، وفي ما يأتي نورد بإذنه تعالىٰ موجز أخبار تدوين القرآن في ذلك العصر.

أوّلاً ـ اهتمام الرسول (ص) بأمر تدوين القرآن:

عندما هاجر الرسول (ص) إلى المدينة كان فيها مـن الأوس والخـزرج أحد عشر رجلاً يكتب بالإضافة إلىٰ سـبعة عشر رجلاً من القرشـيين الّـذين كانوا يكتبون في مكّة وهاجروا متدرِّجاً إلى المدينة، ومن النِّسـاء المـهاجرات الشّفاء بنت عبدالله القرشية العدوية وهي الّتي علّمت حفصة الكتابة[1].

وفي ترجمة الحكم عبدالله بن سعيد بن العاص الأموي مـن أُسـد الغـابة

(١) بترجمتها من الاستيعاب ٢ / ١٨٥ ـ ١٨٦، والإصابة. أسلمت الشّفاء قبل الهـجرة وهي من المهاجرات الأوائل، وبايعت النبيّ قبل الهجرة، وكانت من عقلاء النِّسـاء، وراجع أمر الخط في فتوح البلدان.

والإصابة: أنّه قدم على النبيّ (ص) مهاجراً وكان آسمه الحكم، فسمّاه النبيّ (ص) عبدالله، وكان يكتب في الجاهلية، فأمره رسول الله (ص) أن يعلّم الكتاب بالمدينة، وكان كاتباً محسناً. وجعل فدية من يعرف الكتابة من أسرىٰ قريش في غزوة بدر تعليم كل واحد منهم الكتابة لعشرة من صبيان المدينة.

وانتشرت القراءة والكتابة في المدينة بين الكبار والصغار والرجال والنِّساء، فقد كان في النِّساء ممّن تكتب: حفصة زوجة الرسول (ص) وأُمّ كلثوم بنت عقبة وعائشة ابنة سعد بن أبي وقاص وقد علّمها أبوها الكتابة وكريمة ابنة المقداد وزوجتا الرسول (ص) عائشة وأُم سلمة كانتا تقرآن ولا تكتبان.

ثانياً ـ كيفية تدوين القرآن:

كان تدوين القرآن بوحي من الله وتعليم الرسول (ص) مصداقاً لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾، قال الصحابي عثمان بن أبي العاص: كنتُ عند رسول الله (ص) إذ شخص ببصره... فقال: أتاني جبرائيل فأمرني أن أضع هذه الآية بهذا الموضع من هذه السورة ﴿إِنَّ ٱللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَٱلإِحْسَانِ ...﴾.

وكان رسول الله (ص) يأتي عليه الزمان ينزل عليه من السور ذوات العدد ـ الآيات الكثيرة ـ وكان إذا نزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنده فيقول: ضعوا هذا في السورة الّتي تقول فيها كذا وكذا...

وكان الرسول (ص) يهتم بانتشار تعلّم الكتابة في المسلمين لتدوين القرآن إلىٰ جنب جمعهم القرآن حفظاً عن ظهر قلب، ولا يتيسّر إحصاء من جمع القرآن حفظاً عن ظهر قلب في عصر الرسول (ص) من الصحابة فقد مرّ بيان أنّه كان يسمع لمسجد رسول الله (ص) ضجّة بتلاوة القرآن فأمرهم رسول الله (ص) أن يخفضوا أصواتهم لئلّا يتغالطوا، وكان حفظهم للقرآن عن ظهر قلب حفظ نصّ كلام الله سبحانه.

كلام الله سبحانه.

وكذلك كان من تعلّم الكتابة يتسابق إلىٰ تدوين القرآن علىٰ ما حضره يكتب عليه كما تعلّمه من الرسول (ص)، أي أنّه كان يكتب النص القرآني مع بيان الرسول (ص) ممّا أُوحي إليه في تفسير الآيات؛ فإنّ ابن مسعود مثلاً كان ممّن تعلّم من الرسول (ص) عشر آيات عشر آيات من القرآن مع ما أُوحي إلى الرسول (ص) حولها من العلم، وعندما قال: (أخذتُ من في رسول الله (ص) سبعين سورة وإنّ زيد بن ثابت له ذؤابتان)، أي أخذها من في رسول الله (ص) مع ما أُوحي إليه في بيانها، وعندما كتب نسخته من المصحف كتب فيه ما أخذه من كلام الله الّذي أوحاه إلىٰ رسوله (ص) مع بيانه الّذي ـ أيضاً ـ أوحاه إلىٰ رسوله (ص)، ولم ينحصر ما أخذه من في رسول الله (ص) بالسبعين سورة، وانّما استمرّ أخذه من في رسول الله (ص) بعد ذلك ـ أيضاً ـ حتّىٰ كتب المصحف كاملاً علىٰ عهد الرسول (ص) كذلك، و ـ أيضاً ـ لم ينحصر أمر أخذ القرآن وتفسيره من في رسول الله (ص) وكتابته كذلك بالصحابي ابن مسعود وإنّما قام بذلك كل من استطاعه والّذي مرّ بنا ذكره.

ومن هنا نعتقد أنّه لا يمكن التكهن بعدد من جمع القرآن عن ظهر قلب من المسلمين في المدينة وخارجها قبيل وفاة الرسول (ص) بالمئات ولا بالألوف، وكذلك لا يمكن حصر من كتبه منهم بالمئات ولا الأُلوف.

موجز عام لأخبار القرآن والسنّة بعد الرسول (ص)

علىٰ عهد الخليفتين الصحابيين القرشيين أبي بكر وعمر

أوّل قرآن جمع بعد الرسول (ص)

أوصى الرسول (ص) ابن عمّه عليّاً أن لا يرتدي رداءه حتّىٰ يجمع القرآن الّذي كان في بيته مكتوباً على الورق والخشب والجلد وغيرها، وكان مكتوباً مع آيات ذلك القرآن ما أُوحي إلى الرسول (ص) في معناه وأملاه الرسول (ص) بلفظه، فلمّا أتمّ جمعه وجاء به مع غلامه قنبر إلى المسجد يحملانه قالوا له: إرفعه لا حاجة لنا به فأرجعه إلىٰ بيته.

قال فيه ابن سيرين إنّه كتبه علىٰ تنزيله، فلو أُصيب ذلك الكتاب كان فيه علم.

وقال له الصحابي عمر: ما أغنانا بما معنا من القرآن بما يدعونا إليه.

العمل بشعار (حسبنا كتاب الله)

مرّ بنا أنّ الصحابي عمر منع من كتابة وصيّة الرسول (ص) في آخر ساعة من حياته (ص) وقال: حسبنا كتاب الله.

ولمّا ولي الخلافة الصحابي القرشي أبو بكر جمع الناس وقال في حديثه معهم: (... فلا تحدّثوا عن رسول الله شيئاً فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه).

وكان الرسول (ص) قد أنبأ عن هذا الموقف في قوله (ص):

(أيحسب أحدكم مُتّكئاً علىٰ أريكته قد يظنّ أنّ الله لم يحرّم شيئاً إلّا ما في هذا القرآن، ألا وإنّي قد أمرت ووعظت ونهيت عن أشياء إنّها لمثل القرآن أو أكثر)[1].

إنّها لمثل القرآن؛ لأنّه تلقّاها عن طريق الوحي من الله وأكثر من القرآن في شرح أحكام الإسلام وشأن نزول القرآن وذم أُناس والثناء علىٰ آخرين، كما مرّ بنا في ما سبق.

ومن أخبار القرّاء في عصر الخليفة أبي بكر أنّه بعد وفاة رسول الله (ص) بما يقارب سنة بعث خالد بن الوليد لقتال مسيلمة ومعه ثلاثة عشر ألف مقاتل فلمّا التقوا انكشف الجيش الإسلامي لكثرة ما فيه من الأعراب، وكان في الجيش ثلاثة آلاف من قرّاء القرآن فنادوا: يا خالد خلصنا ـ يقولون ميزنا ـ من هؤلاء الأعراب، فميّزوا وصدقوا الحملة وقاتلوا قتالاً شديداً، وجعلوا يتنادون يا أصحاب سورة البقرة فلم يزل ذلك دأبهم حتىٰ فتح الله.

وفي تاريخ خليفة بن خياط: كان جميع القتلىٰ من المسلمين أربعمائة وخمسين رجلاً أو خمسمائة رجل، وكان ممن قتل من المهاجرين والأنصار مائة وأربعون رجلاً فيهم خمسون أو ثلاثون من حملة القرآن[2].



كانت تلكم أخبار القرّاء والقرآن علىٰ عهد الخليفة الأوّل، ولم يطل به الزمن وتوفّي لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ١ / ١٤٩.

(٢) تاريخ خليفة بن خياط (ت: ٢٣٠ أو ٢٤٠هـ) ط. النجف سنة ١٣٨٦، ص ٧٧ ـ ٨٣، وذكر أسماء من استشهد وقبائلهم فرداً فرداً.

النبويّة[1] بعد أن ولّىٰ على المسلمين الصحابي القرشي عمر بن الخطاب، وكان من أخبار الكتاب والسنّة في عهده ما يأتي ذكره بإذن الله تعالىٰ.

أخبار الكتاب والسنّة علىٰ عهد الخليفة القرشيّ عمر

ذكرنا أنّ الخليفة عمر هو الصحابي الّذي رفع ـ حسب اجتهاده ـ بكل صلابة، شعار: حسبنا كتاب الله في وجه رسول الله (ص) وفي آخر ساعة من حياته، وعلىٰ أثر ذلك وقع ما وصفه ابن عم الرسول (ص) عبدالله بن عباس بقوله: (الرزيّة كل الرزيّة ما حال بين رسول الله (ص) وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب) و(بكىٰ حتّىٰ خضّب دمعه الحصباء) (فلمّا أكثروا اللغط قال رسول الله (ص): قوموا عنّي لا ينبغي عند نبي تنازع)[2].

وعمل باجتهاده في عصر خلافته بكلّ شدّة وقوّة ورفع شعار: جـرِّدوا القرآن من حديث الرسول، كما مرّ بنا نقلاً عن تاريخ الطبري في ذكر بعض سيرة الخليفة عمر أنّه كان إذا استعمل العمال خرج يشيعهم ويقول لهم: (جردوا القرآن

---

(١) عهد الخلفاء الراشدين من تاريخ الإسلام للذهبي، ط. القاهرة سنة ١٣٦٧، ١ / ٣٨٧.

(٢) راجع صحيح البخاري، كتاب العلم، باب كتابة العلم، ١ / ٢٢، وكتاب الجـزية، بـاب إخراج اليهود من جزيرة العـرب، ٢ / ١٣٦، وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة، بـاب كـراهـة الخلاف، ٤ / ١٨٠، وكتاب المرضىٰ، باب قول المريض: قوموا عنّي، ٤ / ٥، وكتاب المغازي، باب مرض النبي (ص)، ٣ / ٦٢، وكتاب الجهاد والسير، باب: هل يستشفع إلىٰ أهل الذمة ومعاملتهم، ٢ / ١٢٠؛ وصحيح مسلم، كتاب الوصية، باب ترك الوصية بآخر الباب، ٥ / ٧٥، وراجع سائر مصادره في أوّل بحث السقيفة من (عبدالله بن سبأ، ج ١).

وينبغي لي أن أُسـجِّل هنا وأقول: يحز في نفسي أن أذكر أمثال هذه الحـوادث مـن تـاريخنا الإسلامي وأنا أعلم ان بسبب ذكرها تنقبض عني نفوس كريمة عليّ ولكن لا بدّ ممّا لا بدّ منه، فإنّه لن يتيسّر لنا دراسة الروايات الّتي تبعث الشك في ثبوت النصّ القرآني كما أُوحي إلى الرسـول (ص) دون دراسة أسباب انتشار تلكم الروايات، كما قمنا به في هذه البحوث بمنّه تعالىٰ.

وأقلوا الرواية عن محمّد وأنا شريككم). وكان من الولاة الّذين أوصاهم بذلك:

أ ـ أبو موسى الأشعري، كما رواه ابن كثير في تاريخه وقال: لما بعث أبا موسى إلى العراق قال له: إنك تأتي قوماً لهم في مساجدهم دوي بالقرآن كدوي النحل فدعهم علىٰ ما هم عليه ولا تشغلهم بالأحاديث وأنا شريكك في ذلك، قال ابن كثير: (وهذا معروف عن عمر)[1].

ب ـ قرظة بن كعب الّذي قال ما موجزه: لما سيّرنا عمر إلى العراق خرج يشيّعنا وقال لنا ـ خارج المدينة ـ: إنّكم تأتون أهل قرية لهم دويّ بالقرآن كدويّ النحل، فلا تصدوهم بالأحاديث عن رسول الله (ص) وأنا شريككم! قال قرظة: فما حدّثت بعده حديثاً عن رسول الله (ص)، وكان إذا قالوا له: حدّثنا، يقول: نهانا عمر.

ونكل بصبيغ بن عسل من أشراف قبيلة تميم حيث كان يدور في الأجناد، الكوفة والبصرة يسأل عن تفسير آيات القرآن حتىٰ بلغ جند الاسكندرية فأخبر والي الاسكندرية عمرو بن العاص الخليفة بذلك فطلب منه إرساله إلى المدينة. فلمّا أُخبرَ الخليفة بوصوله، أحضر رطائب من جريد نخل وضربه حتىٰ دمي رأسه فقال: يا أمير المؤمنين! حسبك قد ذهب الّذي كنت أجده، ثمّ تركه حتىٰ برئ ثمّ عاد حتّى اضطربت الدماء في ظهره ثمّ تركه حتّىٰ برئ.

وفي الثالثة قال له صبيغ: إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلاً جميلاً وإن كنت تريد أن تداويني فقد والله برئت[2]. أرسله علىٰ قتب إلى أبي موسى الأشعري وكتب ألّا يجالس صبيغاً وأن يحرم عطاءه ورزقه. قال الراوي: فلو جاءنا ونحن

---

(١) تاريخ ابن كثير ٨ / ١٠٧.

(٢) سنن الدارمي ١/٥٤ ـ ٥٥؛ وتفسير آية (الذاريات) بتفسير القرطبي والإتقان للسيوطي. وقد مرّت مصادره مفصّلاً.

مائة لتفرقنا عنه. وفي رواية أُخرىٰ: رأيت صبيغ بن عسل بالبصرة كأنّه بعير أجرب يجيء إلى الحلقة ويجلس وهم لا يعرفونه فتناديهم الحلقة الأُخرىٰ عزمة أمير المؤمنين عمر فيقومون ويدعونه، فلم يزل كذلك حتّىٰ أتىٰ أبا موسىٰ، فحلف له بالأيمان المغلظة أنّه لا يجد في نفسه ممّا كان شيئاً فكتب في ذلك إلى الخليفة، فكتب إليه ما أخاله إلّا قد صدق فخل بينه وبين مجالسة الناس، فلم يزل وضيعاً في قومه بعد أن كان سيّداً فيهم[1].

كان ذلكم عمله مع من يسأل عن تفسير القرآن، وفي الخبر الآتي عن عمله في من كان معه مصحف فيه تفسير:

في كنز العمال عن عامر الشعبي قال: كتب رجل مصحفاً وكتب عند كل آية تفسيرها فدعا به عمر فقرضه بالمقراضين[2].

كل ما ذكرناه كان يخص أمر تفسير القرآن وكان مهتماً بأمر تعليم تلاوة القرآن، وكان ممّن يعلم تلاوة القرآن من عمّاله أبو موسى الأشعري، كما جاء بترجمته من حلية الأولياء (١ / ٢٥٦) بسنده عن أبي رجاء العطاردي أنّه قال: كان أبو موسى الأشعري يطوف علينا في هذا المسجد، مسجد البصرة يقعد حلقاً، فكأنّي أنظر إليه بين بردين أبيضين يقرئني القرآن ومنه أخذت هذه السورة ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ قال أبو رجاء: فكانت أوّل سورة أُنزلت علىٰ محمّد رسول الله (ص).

ومرّ بنا أنّ ابن مسعود كان يملي القرآن على الناس في الكوفة عن ظهر قلبه.

وأنّ الخليفة كتب إلىٰ امراء الأجناد أن ارفعوا إلي كل من حمل القرآن (أي

(١) تاريخ ابن عساكر، مخطوطة الظاهرية بدمشق، مصوّرة المجمع العلمي الإسلامي (٨/ق ١ / ورقة ١١٧ ـ ١١٨).

(٢) كنز العمال، ط. دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد سنة ١٣٦٤هـ، ٢ / ٢٠٤، ح: ٣٠٢٣.

حفظه عن ظهر قلب) حتّى أُلحقهم في الشرف من العطاء وأُرسلهم في الآفاق يعلّمون الناس، فجمع أبو موسى الأشعري القرّاء وقال: لا تدخلوا عليَّ إلّا من جمع القرآن، فدخل عليه زهاء ثلاثمائة قارئ جمع القرآن.

وأنّ عبدالرّحمٰن بن ملجم كان من قرّاء القرآن فكتب عمر إلىٰ عمرو بن العاص: قرِّب داره من المسجد ليعلّم الناس القرآن والفقه[1].

وأنّه أرسل إلىٰ مدن الشام للإقراء معاذ بن جبل وأبا الدرداء وعبادة بن الصامت، وأن أبا الدرداء كان إذا صلى الغداة في جامع دمشق اجتمع الناس للقراءة عليه فكان يجعلهم عشرة عشرة وعلىٰ كل عشرة عريفاً ويقف وهو في المحراب يرمقهم ببصره فإذا غلط أحدهم رجع إلىٰ عريفه، فإذا غلط عريفهم رجع إلىٰ أبي الدرداء يسأله، وأنّه ناف عددهم على ألف وستمائة، ويظهر من الرواية الآتية انّ بعضهم كان يسافر إلى المدينة لأخذ القرآن من منبعه مباشرة.

جاء في مصاحف ابن أبي داود السجستاني:

عن عطية بن قيس قال: انطلق ركب من أهل الشام إلى المدينة يكتبون مصحفاً لهم فانطلقوا معهم بطعام وادام فكانوا يطعمون الذين يكتبون لهم، قال وكان أُبيّ بن كعب يمرّ عليهم يقرأ عليهم القرآن. قال: فقال له عمر: يا أُبيّ بن كعب كيف وجدت طعام الشامي؟ قال: لاوشك إذا ما نشبت في أمر القوس ما أصبت لهم طعاماً ولا إداماً[2].

---

(١) راجع أخبار القراءة والإقراء في عصر عمر في هذا الكتاب.

(٢) مصاحف ابن أبي داود، ط. مصر سنة ١٣٥٥هـ، ص ١٥٧.

وعطية بن قيس الكلابي أبو يحيى الحمصي ويقال الدمشقي، وقال عبدالواحد بن قيس كان الناس يصلحون مصاحفهم علىٰ قراءة عطية بن قيس، وتوفّي سنة ١١٠هـ. تهذيب التهذيب ٧ / ٢٢٨.

علىٰ عهد الخليفة الصحابي عثمان

أمر بكتابة سبعة مصاحف مجرّدة من حديث الرسول (ص)، ووزّعها علىٰ أُمّهات البلاد الإسلامية، وبحرق ما عداها من مصاحف الصحابة.

فأحرقوا ما تمكّنوا من إحراقه من مصاحف الصحابة ونسخ المسلمون المصاحف في شتى البلاد الإسلامية على النسخ السبع في عصر عثمان والعصور الّتي كانت بعده وإلىٰ عصرنا الحاضر.

علىٰ عهد الإمام عليّ (ع)

بعد تجريد القرآن من حديث الرسول (ص) في عصر الخلفاء الصحابة القرشيين الثلاثة، وأمرهم بقراءة القرآن مجرّداً من حديث الرسول (ص)، ومنعهم الشديد من كتابة حديث الرسول (ص) ونشره، فتح الإمام عليّ علىٰ عهده باب نشر سنّة الرسول (ص) علىٰ مصراعيه سواء في تفسير القرآن وغيره من فنون المعارف الإسلامية أو في خطبه وكتبه إلىٰ ولاته، وحثّ من كان معه من الصحابة علىٰ نشر حديث الرسول (ص).

وأملىٰ علىٰ تلاميذه خاصّة أمثال ميثم التمار وابن عباس ما حملوه عنه في تفسير القرآن عن الرسول (ص).



وأجرىٰ لمن ولد في الإسلام وقرأ القرآن في كلّ سنة مائتي دينار وفرض للكبار الذين قرأوا القرآن ـ أصبحوا من القـرّاء ـ ألفين ألفين، وعلىٰ أثـر ذلك تنامىٰ عدد القرّاء في عصره، وكان يسمع من مسجد الكوفة ضجّة تلاوة القرآن، كما كان ذلك شأن مسجد الرسول (ص) في عصره، وبلغ عدد القرّاء معه وفي جيشه بصفين عشرين ألف قارئ.

وأسّس لحفظ القرآن من الخطأ في القراءة، علم النحو، وسلّم ما كتبه إلىٰ تلميذه أبي الأسود الدؤلي.

علىٰ عهد بني أُميّة

أعادوا سيرة الخلفاء الصحابة الثلاثة قبل الإمام عليّ في أمر القرآن والحديث غير أنّ زياداً دفع أبا الأسود إلىٰ نشر علم النحو، الّذي تعلّمه من أستاذه الإمام عليّ فوضع علامات الاعراب في أواخر كلمات القرآن، وأبدل الخليل بن أحمد تلك النقاط بعلامات الاعراب المتداولة إلىٰ عصرنا الحاضر.

علىٰ عهد العباسيين

أمر أبو جعفر المنصور سنة ١٤٣هـ العلماء بكتابة العلم فكتبوا السيرة والحديث وتفسير القرآن، وحرّض مالك بن أنس فكتب الموطّأ وأشهره بين المسلمين، وكذلك فعل في بادئ الأمر مع أبي حنيفة وانتشر منذ ذلك العصر حتى اليوم كتابة تفسير القرآن، أمّا القرآن فقد بقي ينسخ في عصره حتىٰ عصرنا الحاضر كما نسخ علىٰ عهد عثمان.



إلىٰ هنا أوردنا بحوثاً مفصّلة لتمهّد لنا السبيل لدراسة روايات المجموعات الأربع الآنفة، وبعد هذا ينبغي تقديم خلاصة بحوث المجلّدين، ثمّ المقارنة بينها وبين تلكم الروايات، فنستعين الله ونقول:

خلاصة بحوث المجلّدين حسب تسلسلها الزمني مضافاً إلىٰ ماينبغي تقديمه في هذا المقام:

كان العربي الجاهلي مغرماً بالأدب الرفيع نظماً ونثراً ويستعمل ذاكرته لحفظ القصيدة الرائعة الطويلة أو الخطبة البليغة إذا سمعها لأوّل مرّة فيحفظها عن ظهر قلب وامتاز بذينك علىٰ غيره من أفراد البشر أبد الدهر، وكانوا يجتمعون في أسواقهم بنواحي مكّة في الأشهر الحرم، ويتبارىٰ شعراؤهم فيها بإنشاد قصائدهم، ويحمل الحاضرون ما سمعوه إلىٰ قبائلهم ومن يمرون عليهم من أهل المنازل في طريقهم، وبذلك تنتشر تلك القصائد والخطب إلىٰ جميع القبائل في شبه الجزيرة العربية، وقد مرّ بنا خبر الصبي الجرمي عمرو بن سلمة الّذي حفظ قرآناً كثيراً ممّا سمعه من الحجّاج المشركين لدىٰ عودتهم من الحجّ وكانوا يخبرون مَنْ يمرون عليهم من أهل المنازل بمبعث النبيّ (ص) ويتلون عليهم ما سمعوه منه في تلاوته القرآن بصلاته في البيت الحرام، ولم يكونوا قد اجتمعوا بالرسول (ص) ليتعلّموا منه القرآن ويحفظوا ما علّمهم منه، بل كان حفظهم للقرآن بمجرّد سماعهم تلاوته للقرآن مرّة واحدة.

كان ذلكم شأن العرب في حفظ القرآن قبل أن يؤمنوا بالقرآن ويُسلموا علىٰ يد رسول الله (ص)، وكان شأنهم وشأن الرسول (ص) معهم في أمر القرآن بعد إسلامهم ما مرّ بنا أخبارهم. ومرّ بنا من أخبار القرآن أنّ الرسول (ص) كان يوحى إليه لفظ القرآن ومعناه وانّه (ص) كان يعلّم أصحابه في مسجده عشر آيات عشر آيات لا يتعدّون العشرة حتّىٰ يتعلّموا ما فيها من العلم والعمل، أي: يتعلّموا تفسيرها مع تلاوتها.

وعرفنا أنّهم كذلك كانوا يكتبـون القرآن مع ما تعلّمـوه في تفسـيره في مصاحفهم وأن الخليفة أبا بكر قال: لا تحدثوا عن رسول الله شيئاً فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه.

وأفصح الخليفة عمر عن الهدف ورفع شعار جرّدوا القرآن من حـديث الرسول، وبدأوا بتدوين القرآن مجرّداً من حديث الرسـول (ص) في عـهد أبي بكر، وتمّ الأمر علىٰ عهد الخليفة عمر، فأودعه عند ابنته أمّ المؤمنين حـفصة، ونهىٰ عن نشر حديث الرسول (ص)، وأحرق المكتوب منه، وعاقب ونكّل بمَن سأل عن تفسير القرآن، وأخذ مصحفاً كان لرجل قد كتب عند كل آية تفسيرها، فقرض التفسير بالمقراضين.

وعلىٰ عهد الخليفة عثمان، استعار المصحف المودع عند أمّ المؤمنين حفصة، ونسخ عليه سـبع نسخ، ووزّعها علىٰ أمّهات البلاد الإسـلامية، وأمر بإحراق سائر المصاحف، وأبىٰ ابن مسعود أن يسلّم مصحفه، فجرىٰ بينه وبينهم ما جرىٰ.

ومرّ بنا أنّ سـبب تجريد القرآن من حديث الرسـول (ص) والنهي عـن رواية حديثه ما كان فيه من مدح لأشخاص وذمّ لآخرين ممّا يخالف سـياسة الحكم، ولهذا السبب كان الخليفة عمر والخليفة معاوية يقولان: لا تحـدّثوا عن رسول الله (ص) إلّا في ما يعمل به.

وكان في الصحابة من يسمع من غيره ويقول: قـال رسـول الله (ص)، وكان فيهم مثل الصحابي الراوية أبي هريرة الّذي كان يروي ما سمعه من كعب الأحبار عن رسول الله (ص)، ولذلك ما كانوا يأخذون بكل حديث أبي هريرة.

وعلىٰ عهد معاوية كتب إلىٰ عماله أن يدعوا الناس إلىٰ رواية فضائل عثمان ويدنوا مجالس من يروي فضائله ومناقبه ويقربوهم ويكرموهم ويكـتبوا إليـه بكل ما يروي كل رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشـيرته، فـفعلوا ذلك حـتّىٰ

أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه لما كان يبعث إليهم معاوية من الصّلات والكساء والحباء والقطائع ويفضيه في العرب منهم والموالي، فكثر ذلك في كل مصر وفي كل وجه وناحية وتنافسوا في المنازل والدنيا، فكتب إلىٰ عمّاله: إنّ الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر فإذا جاءكم كتابي فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأوّلين ولا تتركوا خبراً يرويه أحد في أبي تراب إلّا وتأتوني بمناقض له، فرويت أخبار كثيرة في مناقبهم ثمّ حدّث بها علىٰ صهوات المنابر وأُلقيت إلىٰ معلّمي الكتاتيب فعلّموه كما يُعلّمون القرآن وعلّموها أبناءهم ونساءهم وخدمهم ومضىٰ علىٰ ذلك الفقهاء والقضاة، وسار علىٰ نهجه سائر الخلفاء من بني أُميّة ما عدا عمر بن عبدالعزيز.

وكان في من جاء بعد الصحابة من الرواة من يكذب في أسانيد الأحاديث، وفي أُخريات القرن الثاني انتشرت الزندقة، وقصدوا إفساد الشريعة وإيقاع الشك فيها في قلوب العوام، ووضعوا من الأحاديث ما الله به عليم، وتتبّعنا عمل واحد منهم، وذكرنا بعض ما وضعه في مجلّدات (عبدالله بن سبأ) و(خمسون ومائة صحابي مختلق)، ونرىٰ أن روايات اسطورة الغرانيق وروايات خنق جبرائيل للنبي (ص) عند أوّل مرّة يلق الوحي من عملهم.

وفي عصر التدوين كان في الزنادقة من يأخذ من شيخ مغفل كتابه فيدسّ فيه ما ليس من حديثه فيرويه ذلك الشيخ ظنّاً منه أنّ ذلك من حديثه.

وعلىٰ عهد أبي جعفر المنصور لمّا أراد تنصيب ابنه المهدي وليّاً للعهد تبرّع منهم مطيع بن اياس بوضع حديث قال فيه: ان الرسول (ص) قال: (المهدي منّا محمّد بن عبدالله وأُمّه من غيرنا...) قال ذلك لأنّ أُمّ المنصور المكنّاة أُم موسىٰ كانت ابنة منصور بن شهر الحميري ولم تكن هاشمية.

وقال مطيع: وهذا العباس بن محمّد أخوك يشهد بذلك وصدّقه العباس

مخافة من المنصور[1].

وكان في المحدّثين من غير الزنادقة ـ أيضاً ـ من يضع الأحاديث تزلّفاً إلى الحكام مثل غياث بن إبراهيم الّذي دخل على الخليفة العباسي المهدي وألحق بحديث (لا سبق إلّا في خفٍّ أو حافرٍ أو نصل) (أو جناح) لأنّ الخليفة كان مولعاً بحبِّ الحمام فأمر له المهدي بعشرة آلاف درهم، فلمّا قام قال المهدي: أشهد أن قفاك قفا كذّاب علىٰ رسول الله (ص) وإنّما استجلبت أنا ذلك فأمر بالحمام فذبحت[2].

إذاً فإنّ الراوي الأوّل المتهم بالزندقة افترىٰ حديثاً علىٰ رسول الله (ص) تزلّفاً للخليفة، والمحدِّث الثاني ألحق بالحديث ما لم يكن فيه تزلّفاً إلى الخليفة، واختلطت الأحاديث الموضوعة بالأحاديث الصحيحة وأوجدت تناقضاً، ندرس شيئاً منها في دراستنا المقارنة لروايات المجموعات الآنفة في ما يأتي بإذنه تعالىٰ:

---

(١) راجع الأغاني، ط. بيروت سنة ١٩٥٨م، ١٣ / ٢٨٨؛ وترجمة المهدي من التنبيه والإشراف للمسعودي، ط. مصر سنة ١٣٥٧، ص ٢٩٦.

(٢) مرّ ذكر مصدره في ص ٦٤٦ من هذا الكتاب.

أوّلاً ـ دراسة روايات البسملة وزمان روايتها ومكانها:

وجدنا في روايات الصحيحين وسائر كتب الحديث عن الصحابي أنس بن مالك أن رسول الله (ص) والخلفاء كانوا يجهرون بقراءة البسملة في سورة الحمد من الصلاة الجهرية.

ووجدنا ـ أيضاً ـ فيها عن الصحابي أنس أنّه قال: صليت خلف النبيّ (ص) وأبي بكر وعمر وعثمان فكانوا يستفتحون بالحمد لله ربّ العالمين لا يذكرون بسم الله الرّحمٰن الرّحيم.

ولم نجد أي سبيل لحلّ هذا التناقض في معرفة الروايات الصحيحة منها إلّا في ضوء البحوث السابقة. فقد رأينا كيف تبرّع المتهم بالزندقة باختلاق رواية افترىٰ بها علىٰ رسول الله تزلّفاً للخليفة، وتبرع المحدّث الثاني احتساباً للخير بإلحاق (الجناح) بالحديث تزلّفاً إلى الخليفة وتبريراً لولعه بلعب الحمام.

وكذلك كان شأن من روىٰ أنّ النبيّ (ص) والخلفاء كانوا يستفتحون بالحمد ولا يقرأون البسملة، فإنّهم لمّا رأوا أنّ الخليفة معاوية عندما أسقط البسملة عن الحمد في صلاته بالصحابة في مسجد الرسول (ص)، ثار عليه الصحابة وقالوا له: أسرقت الصلاة أم نسيت؟ تبرعوا بوضع روايات عدم قراءة الرسول (ص) والخلفاء بعده البسملة في الحمد احتساباً للخير وحفظاً لكرامة خليفة المسلمين معاوية!!

وبما أنّ المدينة لم تكن ـ في عصر الصحابة والتابعين الذين أنكروا علىٰ معاوية تركه قراءة البسملة ـ محلّاً مناسباً لوضع روايات عدم قراءة الرسول (ص) والخلفاء البسملة؛ نرىٰ أن تلكم الروايات بادئ بدء رويت في غير المدينة مثل بلاد الشام الّتي استطاع معاوية ان يبعد الصحابة عنها ليخفي عن أهلها معالم

الإسلام، بعد ذلك انتشرت تلكم الروايات في سائر البلاد خارج المدينة، ثمّ انتقلت إلى المدينة بعد عصر الصحابة والتابعين وقبل عصر التدوين. وفي عصر التدوين دوّنت المجموعتان المتناقضتان في شأن البسملة في باب ذكر البسملة من كتب الحديث.

وهكذا انتشرت الروايات المتناقضة الّتي رويت في شأن القرآن.

ثانياً ـ دراسة روايات جمع القرآن وزمان روايتها ومكانها:

جاء في روايات صحيحي البخاري ومسلم وغيرهما من كتب السنن والمسانيد والمعاجم الحديثية ما خلاصته:

أ ـ أنّ الرسول (ص) وجميع الصحابة أهملوا تدوين القرآن، وعندما استحرّ القتل بالقرّاء يوم اليمامة خشي الخليفة أبو بكر أو الصحابيان زيد وعمر أن يذهب كثير من القرآن فعزموا علىٰ جمع القرآن، ولست أدري كيف استحر القتل بالقرّاء وكان عددهم قريباً من ثلاثة آلاف قارئ فقتل منهم علىٰ أكثر تقدير خمسون قارئاً !؟

لست أدري كيف رووا أن القرآن لم يجمع قبل ذلك ومرّ بنا أن ختن الخليفة عمر بن الخطاب وأُخته كان في بيتهما بمكّة القرآن مكتوباً يتدارسونه، وفي المدينة كان رسول الله (ص) كلما نزل عليه شيء من القرآن أمر من حضر من كتّابه أن يكتبه في محلّه من السورة كما عيّنه جبرائيل بوحي من الله.

وقد مرّ بنا في بحث المصطلحات أنّ الكتاب مصدر سُمّي به المكتوب، وبناءً علىٰ ذلك، فإنّ القرآن الكريم كان مجموعاً في كتاب في زمن الرسول (ص)، وإلىٰ هذا أشار أستاذ الفقهاء السيّد الخوئي وقال:

(وقد أُطلِق لفظ الكتاب على القرآن في كثير من آياته الكريمة، وفي قول

النبيّ (ص): «إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي» وفي هذا دلالة علىٰ انّه كان مكتوباً مجموعاً، لأنّه لا يصح إطلاق الكتاب عليه وهو في الصدور، بل ولا علىٰ ما كتب في اللخاف، والعسب، والأكتاف، إلّا علىٰ نحو المجاز والعناية، والمجاز لا يحمل اللفظ عليه من غير قرينة، فان لفظ الكتاب ظاهر في ما كان له وجود واحد جمعي، ولا يطلق على المكتوب إذا كان مُجزّأً غير مجتمع، فضلاً عمّا إذا لم يكتب، وكان محفوظاً في الصدور فقط)[1].

وأمر رسول الله (ص) عليّاً من بعده أن لا يرتدي رداءه حتىٰ يجمعه، ففعل كما مرّ بنا خبره، وإنّما اهتمّ الرسول (ص) بنشر الكتابة في المدينة ليكتب المسلمون القرآن وحث أصحابه علىٰ جمع القرآن حفظاً وتدويناً وحرّضهم علىٰ تلاوة القرآن في المصحف وإن كانوا قد جمعوه حفظاً عن ظهر قلب.

فتسابقوا علىٰ تدارسه وحفظه وتدوينه في المصحف وذكروا أن عبدالله بن مسعود كان له مصحفٌ ومع ذلك كان يملي القرآن عن ظهر قلب، وكان لكلّ من أُمّهات المؤمنين عائشة وحفصة وأُم سلمة مصحفٌ، وكذلك كان لغيرهم من الصحابة مصاحف، ولا يمكن إحصاء مَنْ كان عنده مصحفٌ من الصحابة، وإنّما ذكر أسماء بعض من كان عنده مصحفٌ منهم لمناسبة في بعض أخباره، وقد مرّ بنا أنّ جيش معاوية رفعوا يوم صفين خمسمائة مصحف على الرِّماح، فكَم كان عدد المصاحف الّتي كانت في بلاد الشام وعند غير من حضر منهم في جيش معاوية، وكَمْ كان عدد المصاحف في جيش الإمام عليّ، وكَمْ عدد المصاحف في الكوفة والبصرة والمدينة ومكّة وبلاد اليمن والاسكندرية وفي آلاف البلاد الإسلامية الأُخرىٰ، ومتىٰ كُتبت تلك المصاحف؟

ب ـ جاء في الروايات أنّهم عندما قاموا بجمع القرآن كانوا لا يقبلون شيئاً

---

(١) تفسير البيان للسيِّد الخوئي، ص ٢٧١.

إلّا بشهادة اثنين، ووجدوا (لقد جاءكم رسول...) في آخر سورة براءة عند خزيمة، ولم يجدوها عند غيره فكتبوها؛ لأنّ الرسول(ص) جعل شهادته بشهادة رجلين.

وأنّ زيداً قال: فقدنا آية من الأحزاب حتىٰ نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله (ص) يقرأ بها فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ الآية / ٢٣، فألحقناها بها.

أو أنّهم علىٰ عهد عثمان ربّما اختلفوا في كتابة آية فيذكرون الرجل قد تلقاها من رسول الله (ص)، ولعلّه يكون غائباً في بعض البوادي، فيكتبون ما قبلها وما بعدها ويدعون موضعها حتىٰ يجيء أو يرسل إليه فيأخذونها منه.

لست أدري، كيف رووا في ما وصفوه بالصحيح كلّ ذلك؟ أَوَلم يكن في المدينة من الصحابة أمثال عبدالله بن عمرو الّذي أراد أن يقرأ القرآن بصلاة الليل ليلة واحدة، فنهاه الرسول (ص) عن ذلك! وأين كان عنهم الإمام عليّ ومصحفه الّذي جمعه من بيت الرسول (ص)، وعبدالله بن مسعود الّذي كان يملي القرآن عن ظهر قلب وله مصحف لم يسلّمه لوزعة الخليفة عندما أرادوا حرق المصاحف؟ وأين كان عنهم آلاف القرّاء الذين كانوا قد جمعوا القرآن علىٰ عهد الرسول (ص) ممّن ذكرنا أسماء بعضهم في ما سبق؟ وألم يكن زيد بن ثابت نفسه ممّن جمع القرآن علىٰ عهد الرسول (ص) وكان قد حفظ من القرآن قبل هجرة الرسول (ص) إلى المدينة سبعاً وثلاثين سورة؟

لست أدري كيف يروون ما رووا وقد كان في البصرة وحدها علىٰ عهد الخليفة عمر ثلاثمائة قارئ ممّن جمع القرآن، وكان في الشام من الصحابة من يملي القرآن على ألف وستمائة متعلّم؟

وأخيراً كيف يروون أنّ بعض آيات القرآن لم يجدوها عند غير خزيمة

وأخذوها منه وحده وبعضها كان عند من كان خارج المدينة فيكتبون ما قبلها وما بعدها ويتركون كتابتها حتىٰ يأتي الرجل ويملي عليهم الآية.

وإنّ الخليفة عمر سأل عن آية فقيل له: كانت مع فلان واستشهد يوم اليمامة وأين كان منهم ثلاثة آلاف من القرّاء الذين اشتركوا في قتال اليمامة ولم يقتل منهم أكثر من خمسين؟

ليس من المعقول أن تجري تلك المحاورات بين الصحابة ومنهم زيد جامع القرآن علىٰ عهد الرسول ومعهم في المدينة آلاف القرّاء وما لانعرف عدده من المصاحف، فلابدّ إذاً أن تلكم الروايات رويت بادئ بدء خارج المدينة وانتشرت في غيرها من البلاد ثمّ انتقلت متدرجاً إلى المدينة بعد عصر الصحابة والتابعين ودوّنت في عصر التدوين في كتب الحديث، ولعلّ سبب التناقض في روايات جمع القرآن أن بعض الرواة أسند جمع القرآن إلى الخليفة عثمان عملاً بأمر الخليفة معاوية في رواية الحديث في فضائله، وبعد أمره الثاني أن يرووا من فضائل الخليفتين الأوّلين أسند بعضهم ذلك إلى الخليفة أبي بكر وآخرون إلى الخليفة عمر، وهكذا وجدت الروايات المتناقضة في شأن القرآن.

لست أدري كيف يفترىٰ على الله أنّه أهمل التوصية بجمع القرآن وتدوينه وعلىٰ رسوله (ص) وأصحابه أنّهم أهملوا جمع القرآن وتدوينه وأضافوا إلىٰ ذلك ما رووه عنهم في ضياع آيات من القرآن وقد قال الله سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾؟ والأنكىٰ من كل ذلك أنّهم يسمّون هذه الروايات بالصحيحة لأنّهم يرون عصمة صحيحي البخاري ومسلم عن إيراد غير الصحيح فيها ولا يرون ذلك لكتاب الله العظيم ولرسوله الكريم، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

ثالثاً ـ دراسة روايات اختلاف المصاحف والزيادة والنقيصة في القرآن ـ معاذ الله ـ :

تنقسم روايات اختلاف مصاحف الصحابة إلىٰ أربعة أنواع:

أ ـ ما لم يفهم معنى الرواية فيه لتغيير معنى المصطلح الإسلامي الّذي جاء فيه في عصرنا عن معناه في عصر الصحابة.

ب ـ ما افتري بها على الله وكتابه ورسوله (ص) وأصحابه أو زيد في الرواية الصحيحة وحرّفت.

ج ـ ما لم يفهم منها معنىٰ كلام الصحابي وفي بعض منها لم ترو الرواية بلفظ الصحابي نسياناً أو تعمداً.

د ـ ما افتري بها علىٰ كتاب الله وأحد ولاة الجور.

أ ـ ما لم يفهم فيه معنى الرواية لتغيير معنى المصطلح الّذي جاء فيه في عصرنا

أ ـ في صحيح مسلم وغيره: إنّ أُمّ المؤمنين عائشة أمرت أن يكتب مولاها لها مصحفاً وقالت له: إذا بلغت ﴿حافِظُوا عَلَى ٱلصَّلَوَاتِ وَٱلصَّلَاةِ ٱلْوُسْطىٰ﴾ آذني فلمّا بلغها وآذنها أمرته أن يكتب (حافظوا على الصّلوات والصّلاة الوسطىٰ وصلاة العصر).

وجاء نظيره عن أُمّ المؤمنين حفصة وعن أُمّ المؤمنين أُمّ سلمة وابن عباس.

وجاء في رواية انّ أُمّ المؤمنين حفصة قالت: (لا تكتبها حتّىٰ أُمليها عليك كما سمعت رسول الله (ص) يقرأها...).

ب ـ ما جاء في تفسير الطبري: إنّ ابن عباس أعطى الراوي مصحفاً وقال: هذا علىٰ قراءة أُبيّ وفيه (فما استمتعتم به منهنّ ـ إلىٰ أجل مسمّىً ـ).

ج ـ ما جاء في تفسير السيوطي عن ابن مسعود: كنّا نقرأ علىٰ عهد رسول الله (ص): (يا أيُّها الرسول بلِّغ ما أُنزل إليكَ من ربِّك ـ إن عليّاً مولى المؤمنين ـ وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته).

دراسة الروايات الآنفة:

جاء في روايات مصاحف أُمّهات المؤمنين: أنّ كل واحدة منهن قالت لمن يكتب لها المصحف: إذا بلّغت (والصلاة الوسطىٰ) آذني فلمّا بلغها وآذنها أمرته أن يكتب بعدها: (وصلاة العصر).

وفي رواية قالت أُمّ المؤمنين حفصة: (ولا تكتبها حتّىٰ أُمليها عليك كما سمعت رسول الله (ص) يقرأها...).

يظهر من هذه الروايات أنّ كلّ واحدة من أُمّهات المؤمنين كان لديها مصحف ليس فيه (وصلاة العصر) المبيّنة للصلاة الوسطىٰ وأمرت الكاتب أن يكتبها في مصحفها.

وأبانت أُمّ المؤمنين حفصة أنّها سمعته من رسول الله (ص).

إذاً فقد كان القرآن مدوّناً في مصاحف يكتب فيها أصحابها ما سمعوه من رسول الله (ص) في بيان الآيات. وبهذا المعنىٰ جاء في رواية ابن عباس أنّه أعطى الراوي مصحفاً وقال هذا علىٰ قراءة أُبيّ، وفيه: (فما آستمتعتم به منهنّ ـ إلىٰ أجلٍ مسمّىً ـ فآتوهنّ أُجورهنّ) في قوله تعالىٰ: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ (النّساء / ٢٤).

وما جاء عن ابن مسعود أنّه قال:

كنّا نقرأ علىٰ عهد رسول الله (ص): (يا أيُّها الرّسول بلِّغ ما أُنزلَ إليك من ربِّك ـ إنّ عليّاً مولى المؤمنين ـ وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته) بزيادة إنّ عليّاً مولى المؤمنين في الآية ٦٧ من سورة المائدة.

فإنّ كلّاً من (إلى أجل مسمّىً) في الآية الأُلىٰ و(إنّ عليّاً مولى المؤمنين) في الآية الثانية كان بياناً للآية ممّا سمعه صاحب المصحف عن رسول الله (ص).

وبناءً علىٰ ذلك لم يكن اختلاف مصاحف الصحابة بمعنى اختلافها في النصّ القرآني بل كان اختلافاً في تدوين بعضهم في مصحفه ما تلقاه عن رسول الله (ص) في بيان الآيات وعدم تسجيل الآخر في مصحفه ذلك البيان لعدم سماعه من رسول الله (ص) ذلك البيان أو لعدم رغبته في تسجيل ذلك النصّ في مصحفه.

ونرىٰ أنّ ما جاء في رواية: أنّه كان في مصحف ابن عباس علىٰ قراءة أُبيّ (إلىٰ أجل مسمّىً) بعد قوله تعالىٰ: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ﴾.

وما جاء في رواية أُخرىٰ انّ ابن مسعود قال: كنّا نقرأ علىٰ عهد رسول الله (ص) إنّ عليّاً مولى المؤمنين بعد قوله تعالىٰ: ﴿بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ﴾ هما نظيرا ما جاء انّ أُمّهات المؤمنين كتبن في مصاحفهنّ بعد (والصلاة الوسطىٰ): وصلاة العصر وإن ذلك كان ممّا سمعنه من رسول الله (ص).

ونستنتج من ذلك انّ قولهم: جاء في قراءة أُبيّ أو ابن مسعود أو غيرهما هو مثل قولهم: جاء في مصحف الصحابي فلان وكلاهما بمعنىً واحد سواء أكان في الرواية: (في قراءة أُبيّ كذا) أو جاء (في مصحف أُبي كذا).



في ضوء ما تقدّم بيانه، ندرس روايات اختلاف المصاحف بإذنه تعالىٰ.

نتيجة البحث:

مرّ بنا في بحث المصطلحات من المجلّد الأوّل: أنّ القرآن اسمه في المصطلح القرآني (القرآن) وليس غيره، وانّ الأسماء الّتي استخرجها العلماء للقرآن من الآيات الكريمة مثل الكتاب والنور والموعظة وغيرها إنّما هي صفات للقرآن.

وأنّ المصحف في اللّغة اسم للصحف الّتي تجمع بين الدفتين، مثل مصحف خالد بن معدان، الّذي كان علمه في مصحف له أزرار وعرىٰ، وبهذا المعنى استعمل في عصر الصحابة، وبناءً علىٰ ذلك كان المصحف في عصر الصحابة يستعمل في كل صحف جمعت بين الدفتين قرآناً كان أو غير قرآن وفي عصرنا أصبح المصحف إسماً علماً للقرآن وحده.

وأنّ الإقراء كان في المصطلح القرآني بمعنىٰ تعليم لفظ القرآن مع تعليم معناه، والمقرئ من يقوم بتعليم القرآن كذلك، والقارئ وجمعه القرّاء من تعلّم القرآن كذلك. وبناءً عليه فإنّ جزءاً من معنى الإقراء تعليم لفظ القرآن وجزءاً آخر منه تعليم تفسير القرآن، ونقلنا عن مفردات القرآن للراغب انّه إذا كان لمعنى اللّفظ جزءان جاز استعماله في كليهما معاً وجاز استعماله في أحد المعنيين منفرداً مثل المائدة الّتي هي اسم للخوان مع الطعام ويجوز استعماله فيهما معاً وفي أحدهما بالإنفراد.

وأنّ في أُخرىٰات عهد الخليفة عمر استُعمِل الإقراء في تعليم معنى القرآن وبهذا المعنىٰ ـ أيضاً ـ استعمل في حديث جاء في صحيح البخاري وغيره من أنّ ابن عباس كان يقرئ عبدالرّحمٰن بن عوف وأمثاله من الصحابة في آخر سنة حج فيها عمر بن الخطاب القرآن في منىٰ أي في السنة الثالثة والعشرين من الهجرة ولم يكن صحابة مهاجرون أسلموا قريباً من السنة الخامسة بعد البعثة مثل عبدالرّحمٰـن بن عوف يتعلمون تلاوة ألفاظ القرآن يومذاك بعد أن مضىٰ علىٰ إسلامهم بمكة ثماني سنوات وفي المدينة ثلاث وعشرون سنة بل كانوا يتعلمون منه تفسير القرآن، وقد مرّ بنا انّ الخليفة عمر كان يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن وكان ممّن رشّحه الخليفة لتفسير القرآن علىٰ عهد خلافته، ونجد كثيراً من تفسير معنى اللّفظ من ابن عباس في الدر المنثور للسيوطي، مثل قوله في (١ / ٢٥) منه:

﴿الَّذِين يُؤمنون بالغَيب﴾ البقرة / ٣: ما غاب عنهم من أمر الجنّة والنار.

وفي (١ / ٢٩) منه:

﴿ختمَ اللهُ علىٰ قُلُوبِهِم﴾ البقرة / ٧: طبع الله عليها.

وفي (١ / ٣٠) منه:

﴿في قُلوبِهِم مرض﴾ البقرة / ١٠: النفاق، إلىٰ ثلاثين مورداً آخر.

وثلاثين مورداً في الجزء الثاني وأربعة وأربعين مورداً في الجزء الثالث وفي الجزء الخامس ستة وخمسين مورداً وفي الجزء السادس أربعة وسبعين مورداً.

هكذا كان يقرئ ابن عباس القرآن وإن شئت فقل في كل مورد منه هكذا كانت قراءة ابن عباس، فتقول مثلاً:

«يؤمنون بالغيب» في قراءة ابن عباس: (ما غابَ عنهم) من أمر الجنّة والنار.

«ختم الله علىٰ قلوبهم» في قراءة ابن عباس: طبع الله عليها.

ومن هذا القبيل ما رواه الطبري: كان ابن مسعود يقول: الياس هو إدريس، فقرأ: وان ادريس لمن المرسلين. وقرأ: سلام علىٰ ادراسين[1].

قال مجاهد: كنا لاندري ما الزخرف، حتىٰ رأيناه في قراءة ابن مسعود: أو يكون لك بيت من ذهب[2].

وفسّر الزمخشري اليدين في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ باليمينين، لأن ابن مسعود قرأ: فاقطعوا أيمانهما[3].

---

(١) تفسير الطبري ٢٣ / ٩٦. والآية في سورة الصافات / ١٢٣ و ١٣٠.

(٢) تفسير الطبري ١٥ / ١٦٣. والآية في سورة الإسراء / ٩٣.

(٣) الكشاف ١ / ٤٥٩. والآية في سورة المائدة / ٣٨.

وقرأ: (إنّي نذرت للرحمٰن صمتاً فلن أُكلِّم اليوم إنسيّا)[1] بدل «صوماً» لأنّ الصوم المنذور كان صوم صمت.

وقرأ: (يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنـوا أمهلـونا نقتبس من نوركم) [2] بدل «انظرونا» لأنّ المقصود هو الإمهال.

وقرأ: (إن كانت إلّا زقية واحدة)[3] بدل «صيحة واحدة».

ب ـ ما افتري بها على الله وكتابه ورسوله (ص) وأصحاب رسوله أو زيد في الرواية الصحيحة وحرّفت كالآتي:

١) جاء في صحيح مسلم وغيره: أنّ أبا موسى الأشعري بعث إلىٰ قرّاء البصرة، فدخل عليه ثلاثمائة رجل فقال لهم:... وإنّا كنّا نقرأ سورة نشبهـها في الطول والشدّة ببراءة فأنسيتها غير أنّي حفظتُ منها (لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغىٰ وادياً ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلّا التراب).

٢) وكنّا نقرأ سورة نشبهها باحدى المسبحات فأُنسيتها غير أنّي حفظت منها: (يا أيُّها الّذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون فتكتب شهادة في أعناقكم).

٣) و ٤) وفي الباب عن أنس وابن عباس: (لو كان لابن آدم واديان...).

وفي سنن الترمذي عن أُبيّ بلفظ آخر وفي مسند أحمد بلفظ آخر.

٥) وقال أُبيّ: هكذا أقرأنيها رسول الله (ص).

٦) وأنّه كان في مصحف ابن عباس قراءة أُبيّ وأبي موسىٰ سورتي الحفد والخلع.

---

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي ١ / ٣٤٠. والآية في سورة مريم / ٢٦.

(٢) الإتقان ١ / ٤٧. والآية في سورة الحديد / ١٣.

(٣) سورة يس / ٢٩ و ٥٣.

وأنّه أمّهم الوالي الأموي بخراسان فقرأ السورتين.

وأنّ الإمام عليّاً علّم الراوي تلك السورتين وقال: علّمنيها رسول الله (ص)، وهما (اللّهمّ إنّا نستعينك...).

وأنّ جبرائيل نزل بذلك علىٰ رسول الله (ص).

وأنّهما كانتا مكتوبتين في مصحف أُبيّ.

وقال الحافظ ابن المنادي(*) في كتابه ناسخ القرآن ومنسوخه: لا خلاف بين الماضين والغابرين أنهما مكتوبتان في مصحف أُبيّ.

وقد أوردهما السيوطي في آخر تفسيره الدر المنثور علىٰ صورة سورة قرآنية!!!

٧) وأنّ ابن مسعود كان يحكّ المعوذتين من المصحف ويقول: لا تخلطوا القرآن بما ليس فيه، انّهما ليستا من كتاب الله، ولم يكتب في مصحفه سورة الحمد!!!

٨) وأنّ حذيفة قال: قرأت سورة الأحزاب على النبيّ (ص) فنسيت منها سبعين آية.

٩) وأنّ عائشة قالت: كانت تقرأ في زمان النبيّ (ص) مائتي آية، فلمّا كتب عثمان المصاحف لم يقدر علىٰ أكثر ممّا هو الآن.

وأنّ الخليفة عمر والصحابي أُبيّاً قالا: كانت تعدل سورة البقرة وكان فيها آية الرجم.

وأنّ مالكاً قال: لمّا سقط أوّله سقط معه البسملة وانها كانت تعدل سورة البقرة.

(*) مرّت ترجمته في هذا الكتاب.

دراسة روايات الزيادة والنقصان:

إنّ روايات الزيادة والنقيصة هنا مثل روايات جمع القرآن الآنفة في ما افتري بها على الله وكتابه ورسوله (ص) وأصحابه، وما أوردناه في نقضها هناك يصدق علىٰ روايات الزيادة والنقيصة هنا، وبالإضافة إليها نُذَكِّر هنا مرّة أُخرىٰ بأخبار جمع القرآن وتدوينه ونقول: كان الرسول (ص) قد جعل من مسجده معهداً لإقراء القرآن يقرئ فيه الصحابة ويقرئ الصحابة فيه الوافدين إلى المدينة واهل الصفة وكان يسمع من مسجده (ص) ضجتهم بتلاوة القرآن.

وكان الصحابة يقرئون نساءهم وأولادهم في بيوتهم حتّىٰ أصبحت بيوت المدينة ما عدا بيوت المنافقين كلّها مدارس لإقراء القرآن، وأرسل الرسول (ص) إلىٰ كل بقعة من الأرض خارج المدينة يسكنها المسلمون من يقرئهم القرآن، وتسابق المسلمون علىٰ عهده في كل مكان في حفظ القرآن عن ظهر قلب، ونتيجة لكلّ ذلك بلغ القرّاء عدداً اشترك منهم في السنة الثانية من وفاة الرسول (ص) في جيش واحد ثلاثة آلاف قارئ وكان الإقراء في عصر الرسول (ص) بتعليم اللفظ والمعنىٰ، وبعد عصر الرسول (ص) أمر الخليفة أبو بكر بالإقتصار على إقراء لفظ القرآن دون تعليم حديث الرسول (ص) في تفسير آياته.

وعلىٰ عهد الخليفة عمر أمر بتجريد القرآن من حديث الرسول (ص)، وأرسل للبلاد المفتوحة القرّاء لتعليم القرآن كذلك، وكان من جملتهم الصحابي عبادة بن الصامت الّذي بعثه في السنة الثامنة عشرة أو قبلها إلى الشام تلبية لطلب واليها يزيد بن أبي سفيان، والّذي توفّي في طاعون عمواس في السنة الثامنة عشرة، وبقي يقرئ فيها القرآن إلىٰ أن توفّي سنة أربع وثلاثين، وجاء في خبر إقرائه أنّه كان يقرئ في جامع دمشق ألفاً وستمائة شخص علىٰ كلّ مائة منهم عريف.

وفي السنة السابعة عشرة بعث أبا موسىٰ الأشعري إلى البصرة مقرئاً لهم ووالياً وبقي فيها إلى السنة السابعة والعشرين يقرئ أهلها في مسجدهم القرآن وعندما طلب منه الخليفة أن يعرف القرّاء ممّن تعلموا منه ليبعثهم قرّاء في الآفاق طلب أبو موسىٰ ألّا يأتيه منهم إلّا من جمع القرآن أي من حفظ القرآن عن ظهر قلب فدخل عليه منهم ثلاثمائة ممّن حفظ القرآن عن ظهر قلب.

وكذلك بعث الخليفة ابن مسعود بعد تمصير الكوفة مقرئاً لأهلها، وبقي فيهم يقرئهم ويفقههم في الدِّين إلىٰ سنة حرق الخليفة عثمان المصاحف، حيث لم يسلِّمهم مصحفه، وكان يملي القرآن من حفظه وتخرّج عليه القرّاء الذين نفاهم الوالي الأموي سعيد إلى الشام والقرّاء الذين حضروا صفين في جيش الإمام عليّ، وخرج منهم على الإمام ثمانية آلاف في حروراء، وكان لهم علىٰ عهد الخليفة عمر دويّ في قراءة القرآن بمساجد البلاد، وفي عهد الإمام عليّ كانت لهم ضجّة بمساجدهم في قراءة القرآن كما كان ذلك علىٰ عهد رسول الله (ص).

ولم يقتصر الإقراء على الصحابة، بل قام بالإقراء في عصر الصحابة وبعدهم من قرأ القرآن عليهم، كما عرفنا ذلك من خبر الثلاثمائة قارئ ممّن تخرّج علىٰ أبي موسىٰ وطلبهم الخليفة للإقراء في الآفاق، ويقال لمن أخذ من الصحابة ولم ير الرسول (ص) في علم الدراية التابعون، ولدراسة كيفية إقراء التابعين نذكر خبر إقراء مقرئ أهل الكوفة التابعي أبي عبدالرّحمٰن السلمي، الّذي وُلِدَ في حياة النبيّ (ص)، وقرأ القرآن علىٰ عثمان وعليّ وابن مسعود وزيد بن ثابت وأُبيّ بن كعب، وجوّد القرآن وبرع فيه، وكان يقرئ الناس في مسجد الكوفة الأعظم أربعين سنة منذ خلافة عثمان إلىٰ أن توفِّي في زمن الحجّاج سنة ثلاث أو أربع وسبعين، وكان يعلِّمهم خمس آيات خمس آيات.

دراسة الخبر:

أ ـ يظهر أنّ هذا التابعي أقرأ أهل الكوفة القرآن بعد مغادرة ابن مسعود منها علىٰ أثر امتناعه من تسليم مصحفه لوزعة الخليفة ليحرق، واستمر علىٰ إقرائهم إلىٰ عهد استاذه الإمام عليّ وبعده كذلك إلىٰ عهد الحجّاج.

ب ـ كان يعلّمهم خمس آيات خمس آيات أي يعلّمهم تلاوة لفظ القرآن مع أنّه كان ممّن روىٰ أنّ رسول الله (ص) كان يقرئ أصحابه عشر آيات عشر آيات لا يتعدّونها حتّىٰ يعلموا ما فيها من العلم والعمل، والسبب في ذلك أنّ الخلفاء منعوا من تعليم القرآن مع بيان الرسول (ص) في تفسيره. وبما ان أهل الكوفة كانوا خليطاً من الموالي والعرب الّذين ابتعدوا عن موطنهم الأصلي واحتاجوا لتصحيح كلامهم أن يضع لهم الإمام عليّ(ص) علم النحو، لهذا السبب كان لا بدّ له أن يعلمهم تلاوة خمس آيات ولا يتعدّونها حتّىٰ يتقنوا تلاوتها.

هكذا استمرّ إقراء القرآن منذ عصر الرسول (ص) بإقرائه الصحابة وإقراء من قرأ على الرسول (ص) لغيره بإشراف الرسول (ص) وإقراء آلاف الصحابة للتابعين بعد عصر الرسول (ص) وإقراء عشرات الأُلوف من التابعين في عصر الصحابة لمئات الأُلوف بل للملايين من المسلمين تحت إشراف الصحابة، وهكذا استمرّ إقراء الأجيال المتعاقبة بلا انقطاع إلىٰ عصرنا الحاضر، ويدلّ علىٰ ما ذكرنا في عدد القرّاء في عصر الصحابة وما بعدهم ما جاء في خبر إقراء الصحابي أبي الدرداء أنّه كان يقرئ ستمائة وألف شخص وعليهم ستون ومائة عريف، وأنّه بقي علىٰ ذلك زهاء سبعة عشر عاماً منذ العام الثامن عشر هجرية قبل طاعون عمواس وإلىٰ سنة وفاته عام أربعة وثلاثين بعد الهجرة. فكم كان عدد التابعين الذين تخرّجوا عليه في إقراء القرآن؟ وإذا قسنا عليه أمر آلاف الصحابة الذين بعثهم الخليفة لإقراء القرآن في أنحاء البلاد، علمنا أنّ عدد القرّاء كان يتجاوز

ماذكرناه.

هكذا كان شأن إقراء القرّاء مدى القرون، وكان أمر التدوين كالآتي:

أمر تدوين القرآن في عصر الرسول (ص) وما بعده

بسبب أنّ الرسول (ص) نشر تعليم الكتابة في المدينة وحثّ عليها لم نعلم صحابياً بقي أُمّيّاً ما عدا الصحابي أبا هريرة، وبما أنّه حرّض وأكّد علىٰ قراءة القرآن على المصحف انتشر بين الصحابة كتابة المصحف، كما ذكروا ذلك لابن مسعود وغيره، وكانوا قد كتبوا في مصاحفهم القرآن مع حديث الرسول (ص) في بيانه، ويؤيّد ذلك ما مرّ بنا من أخبار اختلاف مصاحف الصحابة وأُمّهات المؤمنين بعضها عن البعض الآخر، ولذلك انتشر بين المسلمين كتابة المصاحف حتّىٰ بلغ في جيش واحد ـ جيش معاوية في صفين ـ وعلىٰ عهد الصحابة خمسمائة مصحف، غير أنّ المصاحف بعد حرق عثمان المصاحف كتب فيها القرآن مجرّداً من حديث الرسول (ص)، وأصبح تعليم القرآن ـ أيضاً ـ تعليم تلاوة لفظ القرآن وحده.

وإذا قارنا بين الحقائق الدامغة المذكورة وبين ما جاء في ما افتري بها على الله وكتابه ورسوله (ص) وأصحابه مثل قولهم:

(١) و (٢) إنّ أبا موسى الأشعري قال لثلاثمائة من قرّاء البصرة: وإنّا كنا نقرأ سورة نشبهها في الطّول والشدّة ببراءة فأُنسيتها غير أنّي حفظت منها: (لو كان...).

وكنّا نقرأ سورة نشبهها بإحدى المسبّحات فأُنسيتها غير أنّي حفظت منها: (يا أيُّها الّذين آمنوا لِمَ تقولونَ ما لا تفعلون...).

(٣) و (٤) عن الصحابيين أنس وابن عباس مثل البهتان رقم (١).

(٥) عن الصحابي أُبيّ أنّه قال: هكذا أقرأنيها رسول الله (ص).

(٦) إنّ رسم السورتين ـ الحفد والخلع ـ كانتا في مصحف ابن عباس بقراءة الصحابيين أُبيّ وأبي موسىٰ.

وبلغ من الشهرة مبلغاً قال فيه الحافظ المقرئ ابن المنادي في كتابه ناسخ القرآن ومنسوخه: (لا خلاف بين الماضين والغابرين أنّهما مكتوبتان في المصاحف المنسوبة إلىٰ أُبيّ بن كعب) كما مرّ بنا قوله.

(٧) وكذلك ما افتري بها علىٰ أحد الصحابة مثل قولهم: إنّ الصحابي ابن مسعود كان يحك المعوذتين من المصحف ويقول: لا تخلطوا القرآن بما ليس فيه، و ـ أيضاً ـ ما افتري بها علىٰ كتاب الله وأحد ولاة الجور مثل قولهم: إنّ الحجّاج بدّل من المصحف أحد عشر حرفاً.

(٨) وإنّ الصحابي حذيفة قال: قرأت سورة الأحزاب على النبيّ (ص) فنسيت منها سبعين آية.

(٩) إنّ أُمّ المؤمنين عائشة قالت: كانت سورة الأحزاب تقرأ في زمان النبيّ (ص) مائتي آية، فلمّا كتب عثمان المصاحف لم يقدر علىٰ أكثر ممّا هو الآن.

إذا قارنا بين تلكم الحقائق من أخبار القرآن وهذه المفتريات علمنا أنّه يستحيل أن يصدر مثل هذه الأقوال من الصحابة ويستحيل أن يفعل الصحابي ابن مسعود ما نسب إليه والوالي الجائر الحجّاج ما نسب إليه، فإنّ ما نسب إلىٰ ابن مسعود من أنّه (كان لا يكتب فاتحة الكتاب في مصحفه ويحك المعوذتين من المصحف ويقول: لا تخلطوا القرآن بما ليس منه انهما ليستا من كتاب الله) يدلّ علىٰ أنّه لم يكن يخصّ بفعله هذا مصحفه بل كان يفعل ذلك مع مصاحف الآخرين وإلّا لقال: (كان يحك المعوذتين من مصحفه) ويؤيد ذلك ما جاء بعده: (لا تخلطوا القرآن) فإنّه خطاب للآخرين، وإذا علمنا أنّ الخليفة عمر بعثه معلّماً

للقرآن لأهل الكوفة بعد تمصيرها، وبقي معلّماً لأهلها إلىٰ عام حرق المصاحف علىٰ عهد الخليفة عثمان، وبناءً علىٰ هذا كان يقتضي أن ينتشر هذا الحذف في مصاحف أهل الكوفة ولا يقتصر علىٰ مصحف ابن مسعود.

لست أدري كيف يُفترىٰ ذلك على الصحابي ابن مسعود والّذي قالوا في ترجمته: كان من السابقين الأوّلين إلى الإسلام وسادس من أسلم وهاجر الهجرتين وشهد بدراً والمشاهد كلّها مع رسول الله (ص)، وأنّه كان يلزم رسول الله (ص) ويحمل نعليه وأنّ رسول الله (ص) قال: مَنْ سرّه أن يقرأ القرآن غضّاً كما أُنزل فليقرأ علىٰ قراءة ابن أم عبد؟

كيف يفترىٰ علىٰ ابن مسعود ذلك؟ ألم يكن أخذ من في رسول الله (ص) سبعين سورة؟ ألم يكن فيها سورة الحمد؟ ألم يصلِّ خلف رسول الله (ص) ويسمعه يقرأها في صلاته؟ وكيف قال الرسول (ص) في شأنه: مَنْ سرّه أن يقرأ القرآن غضّاً كما أُنزل فليقرأ علىٰ قراءته وهو لا يقرأ أمّ الكتاب في صلاته ولا يكتبها في المصاحف (القرآن) ويمحو المعوذتين من المصاحف؟

ولست أدري هل خفي ما نسبوه إلى الصحابي ابن مسعود على الخليفتين عمر وعثمان وسائر الصحابة ولم يعلموا به وقد مرّ بنا أنّهم أخبروا الخليفة عمر باملائه القرآن من حفظه. إذ لم يكن يخفىٰ عليه مثل هذا العمل الشنيع؟ أم أُخبروا ولم ينكروا عليه ذلك؟ لأنّه لم يرد خبر بأنّهم أنكروا عليه حذفه سور الحمد والمعوذتين من المصاحف، في حين أنّ الصحابة أنكروا على الخليفة معاوية عدم قراءته البسملة مع الحمد والسورة في الصلاة، و ـ أيضاً ـ مرّ بنا كيف أنكر الصحابي عبدالله بن عمر بن الخطاب على الوالي الجائر الحجّاج عندما صعد المنبر بمكّة بعد قتله ابن الزبير وقال في خطبته: (انّ ابن الزّبير غيّر كتاب الله) فجابهه ابن عمر في الملأ الحاشد وقال له: (ما سلّطه الله علىٰ ذلك ولا أنت معه ولو شئت أن أقول كذبت فعلت)، ومعنىٰ قول الصحابي ابن عمر ما سلطه الله

علىٰ ذلك ولا أنت: أنّ الصحابي ابن الزّبير الّذي بويع بالخلافة والوالي الجبار الحجّاج ليست لهما قدرة علىٰ تبديل شيء من القرآن، وقوله هذا مصداق لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَافِظُونَ﴾.

ج ـ ما لم يفهم فيها كلام الصحابي وفي بعضها لم ترو الرواية بلفظ الصحابي نسياناً أو تعمّداً:

وأمّا ما لم يفهم فيها كلام الصحابي وفي بعض منها لم ترو الرواية بلفظ الصحابي نسياناً أو تعمّداً، فقد جاءت تلكم الروايات في صحيحي البخاري ومسلم وسائر كتب الحديث والتفسير مثل:

أ ـ روايات جاء فيها نقصان سور وآيات مثل ما جاء في كتب الحديث والتفسير ما موجزه:

انّ أبا موسى الأشعري بعث إلىٰ قرّاء أهل البصرة فدخل عليه ثلاثمائة رجل فقال في حديثه لهم:... وإنّا كنا نقرأ سورة كنا نشبهها في الطول والشدة ببراءة فانسيتها غير أنّي حفظت منها: (لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغىٰ وادياً ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلّا التراب). وكنّا نقرأ سورة نشبهها بإحدى المسبحات فأنسيتها، غير أنّي حفظت منها: (يا أيُّها الّذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون فتكتب في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة).

دراسة الخبر:

من المحال عادة أن يقول ذلك أبو موسىٰ، مع وجود آلاف القرّاء من الصحابة وعشرات الأُلوف منهم في التابعين يومئذ بل مئات الأُلوف، ومع وجود عشرات الأُلوف من المصاحف المكتوبة لديهم، كما ثبت لنا ذانك في ما مرّ بنا من بحوث.

وكيف يقول ذلك لمن تخرجوا عليه في القراءة ودرسهم آيات بعد آيات وسورة بعد سورة حتىٰ أصبحوا قرّاءً جمعوا القرآن أي: حفظوه عن ظهر قلب وجمعهم ليرسلهم إلى الخليفة للإقراء في البلاد؟

ب ـ ما جاء في صحيحي البخاري ومسلم وسائر كتب الحديث:

إنّ الخليفة عمر قال علىٰ منبر مسجد الرسول (ص):... كان ممّا أنزل الله آية الرجم فقرأناها وعقلناها ووعيناها. رجم رسول الله (ص) ورجمنا بعده فأخشىٰ ان طال بالناس زمان أن يقول قائل والله ما نجد آية الرجم.

وكنا نقرأ من كتاب الله (ان لا ترغبوا عن آبائكم فإنّه كفر بكم...).

دراسة الرواية:

قد مرّ بنا ان الصحابة ثاروا على الخليفة معاوية في مسجد الرسول (ص) لعدم قراءته البسملة في سورتي الحمد وما بعدها في الصلاة، وأنّ الصحابي عبدالله بن عمر ثار على الحجّاج في بيت الله الحرام عندما قال في خطبته: إنّ ابن الزّبير غيّر كتاب الله وقال له: ما سلّطه الله علىٰ ذلك ولا أنت معه، ولو شئت أن أقول كذبت فعلت، وكان ذلك في سنة ثلاث وسبعين هجرية، ونعرف من ذلك أنّ صحابياً واحداً لا يتحمل سماع القول بتبديل شيء من القرآن في سنة ثلاث وسبعين من الهجرة، فكيف يسمع قول الخليفة عمر جميع الصحابة الّذين كانوا حضروا خطبة الخليفة يوم الجمعة، ولم ينكر أحد من أُولئك الصحابة عليه وفيهم أُلوف القرّاء الّذين جمعوا القرآن علىٰ عهد الرسول(ص)، ولجلّهم مصاحف كتب فيها جميع القرآن؟ إنّ ذلك من الأُمور المحالة عادة.

ج ـ في صحيح مسلم وغيره من كتب الحديث واللفظ لمسلم عن عائشة أنّها قالت:

١ـ كان في ما نزل من القرآن: (عشر رضعات معلومات يحرمن) ثمّ نسخن بـ(خمس معلومات) فتوفّي رسول الله (ص) وهنّ في ما يقرأ من القرآن.

٢ـ في سنن ابن ماجة أنّها قالت: نزلت آية الرجم ورضاع الكبير عشراً، ولقد كان في صحيفة تحت سريري، فلمّا مات رسول الله (ص) تشاغلنا بموته، فدخل داجن فأكلها.

دراسة الروايات الآنفة:

قولنا في هذه الروايات كقولنا في الروايات السابقة أنّه من المحال عادة أن يقال مثل هذه الأقوال في عصر الصحابة في مكة والمدينة وبمحضر من الصحابة ونضيف إلىٰ ذلك هنا أنّه سبق ذكر مصحف أمّ المؤمنين عائشة وأنّها أمرت بأن يكتب فيه بعد الصلاة الوسطىٰ وصلاة العصر بياناً للصلاة الوسطىٰ، وأنّه فعلت مثل ذلك غيرها من أمّهات المؤمنين. هذا ما رأينا في كل هذه الروايات، والصحيح في الأمر ما يأتي بإذنه تعالىٰ:

١ـ الصحيح في روايات المجموعة الأولىٰ:

نرىٰ في بعض الروايات انّه لم يفهم فيه كلام الصحابي وفي بعض الآخر أنّ ألفاظ الرواية حرّفت فيه نسياناً أو تعمّداً، ونستند في قولنا: نسياناً إلىٰ أنّ الرواية كانت تنقل من فم إلىٰ أذن أكثر من نيف ومائة سنة لمنعهم من كتابة الحديث منذ عهد الخليفة عمر وإلىٰ سنة ١٤٣ هجرية وعلىٰ عهد الخليفة العباسي المنصور، ما عدا سنتين من خلافة عمر بن عبدالعزيز، وقد مرّ بنا ما ذكروا من خلط بعض الصحابة حديث الرسول (ص) بحديث كعب الأحبار خطأً. وفي قولنا تعمّداً نستند إلىٰ ما مرّ بنا من عمل الزنادقة أنّهم يأخذون كتاب المحدِّث ويدسون في الأحاديث ما لم يكن فيها، ولا ينتبه الشيخ المحدِّث إلى الدس فيرويها كذلك.

وفي اختلاف الأحاديث الّتي نوردها في ما يأتي أقوىٰ دليل علىٰ قولنا هذا:

جاء في باب لو أنّ لابن آدم واديين، لابتغىٰ وادياً ثالثاً من كتاب الزكاة بصحيح مسلم عن الصحابي أنس أنّه قال: قال رسول الله: لو كان لابن آدم واديان من مال، لابتغىٰ وادياً ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلّا التراب ويتوب الله علىٰ من تاب. إذاً فهذا الكلام قول رسول الله (ص) وليس من القرآن.

وجاء في تفسير السيوطي:

أ ـ بينما رسول الله (ص) يدعو علىٰ مضر إذ جاء جبريل فأومأ إليه أن اسكت فسكت فقال: يا محمّد إنّ الله لم يبعثك سبّاباً ولا لعّاناً، وإنّما بعثك رحمة للعالمين، ولم يبعثك عذاباً ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذّبهم فإنّهم ظالمون، ثمّ علّمه هذا القنوت: اللّهمّ إنّا نستعينك ونستغفرك ونؤمن بك ونخضع لك، ونخلع ونترك من يفجرك، اللّهمّ إيّاك نعبد ولك نصلّي ونسجد، وإليك نسعىٰ ونحفد، نرجو رحمتك ونخشىٰ عذابك إنّ عذابك الجد بالكفار ملحق.

ب ـ عن عبدالله بن عبدالرّحمٰن عن أبيه قال: صلّيت خلف عمر بن الخطاب فلمّا فرغ من السورة الثانية قال: اللّهمّ إنّا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك الخير كلّه ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك، اللّهمّ إيّاك نعبد ولك نصلّي ونسجد، وإليك نسعىٰ ونحفد، نرجو رحمتك ونخشىٰ عذابك إنّ عذابك بالكفار ملحق.

ج ـ إنّ عمر بن الخطاب قنت بعد الركوع فقال: بسم الله الرّحمٰن الرّحيم اللّهمّ إنّا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك، بسم الله الرّحمٰن الرّحيم، اللّهمّ إيّاك نعبد ولك نصلّي ونسجد، ولك نسعىٰ ونحفد، نرجو رحمتك ونخشىٰ عذابك إنّ عذابك بالكفار ملحق، وزعم عبيد أنّه بلغه أنّهما سورتان من القرآن في مصحف ابن مسعود.

د ـ إنّ عليّاً قنت في الفجر بهاتين السورتين: اللّهمّ إنّا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك، اللّهمّ إيّاك نعبد ولك نصلّي ونسجد، وإليك نسعىٰ ونحفد، نرجو رحمتك ونخشىٰ عذابك، إنّ عذابك بالكفار ملحق.

في هذه الروايات:

في الأُولىٰ: إنّ جبرائيل (ع) علّم الرسول (ص) أن يدعو بهذا الدعاء بدلاً من اللّعن علىٰ مضر، وجاء في أخبار أُخرىٰ أنّه كان يذكر في لعنه الّذين قتلوا القرّاء السبعين الذين مضت أخبارهم.

في الثانية: وجدنا أنّ الخليفة الثاني كان يدعو بعد السورة الثانية بهذا الدعاء ومعنىٰ ذلك أنّه كان يدعو بذلك في قنوته.

في الثالثة: إنّه قنت بعد الركوع وقرأ الدعاء بعد البسملة وفي آخرها زعم عبيد أنّه بلغه أنّهما سورتان من مصحف ابن مسعود.

وفي الرابعة: إنّ علياً قنت بهاتين السورتين.

إذاً فإنّ أصل الروايات: إنّ جبرائيل علّم الرسول (ص) هذا القنوت واتبعه في ذلك الخليفة عمر والإمام عليّ والوالي الأموي في خراسان كما مرّ بنا خبره وأنّهم جميعاً قنتوا بهذا الدعاء، ومن الجائز أن يكون ابن مسعود كتب القنوت في مصحفه في تفسير بعض الآيات. وإنّ أبا موسىٰ أخبر القرّاء أنّ هذا الدعاء كان مكتوباً في المصاحف قبل أن تجرد المصاحف من حديث الرسول (ص)، غير أنّه أضيف إليه في بعض الروايات: البسملة وفي بعضها التسمية باسم السورة. فشوّش ذلك على المتأخرين وظنّوا أنّهما كانتا سورتين في مصاحف بعض الصحابة دون بعض، والسبب في هذه الإضافة أمّا أن يكون نسيان ألفاظ الحديث لرواية الخبر شفهاً في أكثر من مائة عام أو بدس الزنادقة البسملة ولفظ

السورة في بعض الروايات للتشكيك بالنصّ القرآني، وكذلك الشأن في الخبرين الآتيين:

٢ـ ما جاء في كلام الخليفة عمر:

كان ممّا أنزل الله آية الرجم فقرأناها و... ورجم رسول الله (ص) ورجمنا بعده... وكنّا نقرأ من كتاب الله أن لا ترغبوا عن آبائكم...

في هذا الخبر: (ممّا أنزل الله آية الرجم) ومن الجائز أن يكون حكم الرجم قد نزل بوحي غير قرآني وأمر الرسول بتدوينه في المصاحف في تفسير الآية الثانية من سورة النور ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا ...﴾ وانّ الخليفة أخبر أنّ الحكم كان موجوداً في المصاحف قبل تجريدها من حديث الرسول (ص) غير أنّه حرّف لفظ (حكم الرجم) بلفظ (آية الرجم) نسياناً أو تعمّداً، كما ذكرنا ذلك آنفاً، ولفظ (نقرأ في المصحف) بلفظ نقرأ من كتاب الله ـ أيضاً ـ تعمّداً أو نسياناً.

أمّا قوله (فقرأناها) و(نقرأ) فقد مرّ بنا في أوّل البحث ان مادّة الإقراء مصطلح قرآني بمعنىٰ تعليم اللفظ مع تعليم المعنىٰ وانّه يجوز استعمال اللفظ في جزء معناه، وبناءً علىٰ ذلك يكون قصد الخليفة في المورد الأوّل أنّنا تعلّمنا ذلك من الرسول (ص) في تفسيره للآية الثانية من سورة النور، وفي المورد الثاني قصد تعلّمناه من الرسول (ص)، وكان مكتوباً في المصاحف، ولمّا كانت المصطلحات القرآنية لديهم تستعمل في معناها الإصطلاحي فهو معنىٰ كلام الخليفة، وبعد تغير معنى المصطلحات القرآنية عمّا كان عليه في عصرهم، لم يفهم معنىٰ كلام الخليفة علىٰ حقيقته.

٣ـ ما جاء في كلام أمّ المؤمنين عائشة:

نزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن، ثمّ نسخن بخمس

معلومات فتوفِّي رسول الله (ص) وهنّ في ما يقرأ من القرآن... ولقد كان في صحيفة تحت سريري، فلمّا توفِّي رسول الله (ص) تشاغلنا بموته فدخل داجن فأكلها.

من الجائز أنّها قالت: (نزل عشر رضعات معلومات يحرمن ثمّ نسخن بخمس معلومات) أي نزل الحكم بوحي غير قرآني واُضيف بعد قولها (نزل): (من القرآن) سهواً أو تعمّداً وقالت: (وهنّ في ما يقرأ من المصحف...) فـأُبدل المصحف بالقرآن سهواً أو تعمّداً، وحصلت بذلك الشبهة بأنّها قالت سقط من القرآن بعضه والعياذ بالله.

وقد ناقشنا روايتها لحكم رضاع الكبير في بحث (فتواها في رضاع الكبير) من المجلّد الأوّل من كتاب أحاديث أُمّ المؤمنين عائشة، وانّها تناقض الروايات المتواترة في حكم الرضاع، غير أنّه من الجائز أن تقول: إنّ الرسول (ص) قال: عشر رضعات يحرمن ثمّ نسخ بوحي غير قرآني بخمس رضعات في بيان آية الرضاع وانّ الصحيفة كانت تحت سريرها إلىٰ آخر الحديث، ويكون قولها ذلك نظير أمرها بكتابة (وصلاة العصر) بعد (والصلاة الوسطىٰ) في مصحفها بياناً لصلاة العصر ولم تقصد بأنّه جزء من الآية.

د ـ ما افتري بها علىٰ كتاب الله وعلىٰ أحد ولاة الجور:

وذلك ما رووا أن الحجّاج بدّل من مصحف عثمان أحد عشر حرفاً.

دراسة الخبر:

أمّا ما نسب إلى الحجّاج الوالي الجائر من أنّه بدل من مصحف الخليفة عثمان أحد عشر حرفاً فنقول بالإضافة إلىٰ ما ذكرناه آنفاً:

مرّ بنا في ذكر تاريخ الحجّاج: انّه رمى الكعبة بالمنجنيق وأحرقها، وقتل

ابن الزّبير ومَنْ معه وبعثَ برؤوسهم إلى الشـام، واستخفّ ببقايا الصـحابة في المدينة وختم أيديهم وأعناقهم وأساء السيرة في ولايته على الكوفة، فخرج عليه ١٢٠ ألف راجل و٣٣ ألف فارس من العلماء والفقهاء والقرّاء والصالحين بقيادة ابن الأشعث، وقتل من الجانبين في أربع وثمانين معركة خلق كثير، ولما غلبهم الحجّاج قتل منهم خلقاً كثيراً، ثمّ أسر منهم خلقاً كثيراً ذبحهم جميعاً كما يُذبح الغنم، ذبح منهم بمسكن وحـدة قريباً من خمسة آلاف أسـير مسلم، ونال من الصحابي أنس فشكاه إلىٰ عبد الملك فكتب إليه: (... أمّا بعد، فإنّك عبد طمت بك الأُمور، فسموت فيها وعدوت طورك، وجاوزت قدرك، وركـبت داهـية إدّاً، وأردت أن تبدو لي فإن سوّغتكها مضيت قدماً، وإن لم أُسوّغها رجـعت القهقرىٰ، فلعنك الله من عبد أخفش العـينين، مـنقوص الجـاعرتين. أنسـيت مكاسب آبائك بالطائف، وحفرهم الآبار، ونقلهم الصخور عـلىٰ ظـهورهم في المناهل؟ يا ابن المسـتفرية بعجم الزبيـب، والله لأغمرنك غمر اللّيث الثـعلب، والصقر الأرنب...).

وقالوا عنه: انّه قتل صبراً مائة وعشرين ألفاً ومات وفي سـجنه ثمانون ألفاً منهم ثلاثون ألف امرأة، ومات سنة ٩٥هـ بواسط وعفي قبره وأُجري عليه الماء لكيلا ينبش، ولمّا مات الوليد بن عبد الملك سنة ٩٦ وولي بعده سليمان بن عبدالملك، ولّىٰ على العراق يزيد بن المهلّب، وأمره بمعاقبة آل الحجّاج وأصحابه، وأن يعذّبهم حتىٰ يستخرج منهم الأموال، وتتبّعهم سليمان بنفسه وسامهم سوء العذاب.

وقد قال سعيد بن جبير في حق الحجّاج: والله ما خرجت عليه حتىٰ كفر!

وقالوا في حقّه ـ أيضاً ـ:

أ ـ كان الحجّاج ينقض عرى الإسلام!

ب ـ لم يبق لله حرمة إلّا ارتكبها!

ج ـ الشيخ الكافر!

أمثل هذا الخبيث اللّحنة(*) يقبل منه المسلمون تبديل كلمات من القرآن في مصحف انتشر إلىٰ أقاصي أفريقيا وبلاد الهند وجميع بلاد العالم؟

إنّ كل ما أشرنا إليه هو من الأُمور المستحيلة عادة.

إذاً فمن أين انتشرت تلك الروايات المختلقة في كتب الحديث والسيرة والتفسير بمدرسة الخلفاء؟

يتضح لنا بجلاء ووضوح أمرها ومصادرها بالتدبر في ما مرّ بنا من قيام الزنادقة بوضع الأحاديث، ودسّها في كتب الحديث.

فقد جاء في رواية أنّه كان في الزنادقة من يأخذ من شيخ مغفل كتابه فيدس فيه ما ليس من حديثه فيرويه ذلك الشيخ ظناً منه أنّه من حديثه.

وكان منهم الزنديق عبد الكريم بن أبي العوجاء ربيب حماد بن سلمة الّذي كان يدس الأحاديث في كتب حماد، وكان يذهب في موسم الحج إلىٰ مكة للإجتماع بالحجّاج وإضلالهم، وكان في البصرة يفسد الأحداث فهدده عمرو بن عبيد فلحق بالكوفة، ودلّ عليه والي الكوفة فقتله، فلمّا أرادوا أن يقتلوه قال: لقد وضعت فيكم أربعة آلاف حديث، أُحرّم فيها الحلال وأُحلّ فيها الحرام.

وقال المهدي العباسي: أقرّ عندي زنديق أنّه وضع أربعمائة حديث.

وكان في الزنادقة من يستغل رغبة أتباع مدرسة الخلفاء في استماع فضائل ذوي السلطة والدفاع عنهم في ما انتقدوا عليه.

وقد مرّ بنا كيف وضع الزنديق مطيع بن اياس في سبيل رضا الخليفة المنصور رواية يصدق علىٰ ابنه المهدي أنّه المهدي الموعود، وأشهد علىٰ صدق

(*) اللّحنة: كثير اللّحن والخطأ في كلامه.

قوله واحداً من أُسرة الخليفة فصدقه ولم يجرؤ علىٰ تكذيبه.

وقد كشفنا في المجلّدات الأربعة من كتاب (عبدالله بن سبأ والاسطورة السبئية) وكتاب (خمسون ومائة صحابي مختلق) عن آلاف المختلقات الّتي اختلقها الزنديق سيف بن عمر، تحت غطاء نشر فضائل ذوي السلطة من الصحابة والدفاع عنهم، من جملة ما ذكرنا من مختلقاته ترجمة:

أ ـ ثلاثة وتسعين صحابياً مع ما اختلق لهم من فتوحات ومعارك حربية ومعجزات و... و... و...

ب ـ اثنين وسبعين راوياً مع ذكر بعض رواياتهم.

ج ـ خمسة من قادة الكفار في الحروب مع بعض ما اختلق لهم من أخبار في الحروب.

د ـ شاعرين مع ذكر بعض ما اختلق لهما من شعر.

هـ ـ سبعة من التابعين مع ذكر بعض ما اختلق لهم من أخبار.

اختلق هذا الزنديق كل ذلك، ونشره تحت غطاء الدفاع عن ذوي السلطة من بني أُميّة؛ أمثال سعيد والوليد وابن أبي سرح، واتّهم فيها أبرار الصحابة والتابعين أمثال عمار بن ياسر وأبي ذر ومحمّد بن أبي بكر ومحمّد بن أبي حذيفة و... و...

إذاً فإن وضع الحديث تحت غطاء فضفاض من نشر فضائل ذوي السلطة والدفاع عنهم (شنشنة أعرفها من أخزم) ـ الزنادقة ـ (*).

(*) الفضفاض من الثياب: الواسع و (شنشنة أعرفها ...) من بيت جرىٰ مجرى الأمثال وهو قول الشاعر: (ان بني رملوني بدمي شنشنة أعرفها من أخزم) الشنشنة: العادة. وأخزم: أحد أولاد الشاعر.

وفي ما افتري علىٰ ابن مسعود تحقيق ثلاث غايات للزنادقة:

١ ـ تهديم شخصية صحابي من خواص أصحاب الرسول (ص).

٢ ـ الدفاع عن ولاة أمثال الوليد الفاسق السكير.

٣ ـ والأهم من كل ذلك نشر التشكيك بثبوت النصّ القرآني.

وأتقنوا عملهم التخريبي بنشر نسخ باسم مصحف ابن مسعود كما أخبر عن ذلك النديم في فهرسته وقال:

قال محمّد بن إسحاق (ت: ٣٨٥هـ): رأيت عدّة مصاحف ذكر نساخها أنّها مصحف ابن مسعود، ليس فيها مصحفين متفقين[1] وأكثرها في رقٍّ كثير النسخ وقد رأيت مصحفاً قد كتب منذ مائتي سنة فيه فاتحة الكتاب[2].

يا ترىٰ من نسخ تلك المصاحف المختلقة ونسبها إلىٰ ابن مسعود، غير الزنادقة الّذين كانوا يحاربون الإسلام ويشككون المسلمين في عقائدهم؟ ولم يقتصر عملهم في التهديم على ما افتروا به على الصحابة، بل افتروا علىٰ وال جائر مثل الحجّاج، وقالوا انّه بدّل أحد عشر حرفاً من مصحف عثمان.

وهكذا لم يبقوا نوعاً من أنواع التحريف يتصوّر إلّا ورووا أنّه جرىٰ على القرآن الكريم وأخرجها في كتبهم أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد وسائر المجاميع الحديثية وكتب التفسير وغيرها من مصادر الدراسات الإسلامية، ومع كل تلكم الإفتراءات والزور والبهتان على الله وكتابه ورسوله وأصحاب رسوله كيف لا يقول محدِّث كالشيخ النوري بتحريف كتاب ربّ الأرباب والعياذ بالله ولسنا في صدد الدفاع عنه، فإنّه أساء بجمعه تلك الروايات في كتاب واحد غير أنّا نقول: البادئ أظلم!

---

(١) هكذا في الأصل.

(٢) الفهرست، ص ٢٩.

رابعاً ـ روايات نزول القرآن علىٰ سبعة أحرف:

لقد برهنا في البحث الرابع أنّه من المحال عادة أن يقال في مجتمع في الجزيرة العربية قبل اختلاطهم بغير العرب مثل مجتمع الصحابة في المدينة: يجوز استعمال كلمات أقبل وتعال وحيّ هلّا وهلمّ وأسرع وعجّل بعضها مكان بعض.

ويجوز استعمال توّاب غفور وعزيز حليم وسميع عليم وقيّوم بعضها مكان بعض.

ومن الجائز أن يقال ذلك في مجتمع بعد زماناً ومكاناً عن المجتمع العربي في وسط الجزيرة العربية، واختلط فيه العربي بغير العربي وتزاوجا وتناسلا، ولم تنتشر بينهم الثقافة الإسلامية لإبعاد حكّامه الصحابة عنهم ومنعهم الصحابة من نشر المعارف الإسلامية، كما كان ذلك شأن مجتمع أهل الشام في أواسط الحكم الأموي فيه.

في مثل هذا المجتمع تستطيع الزنادقة أن تنشر بعيداً عن الصحابة زماناً ومكاناً أمثال روايات المجموعات الأربع الماضية وتنتقل منه إلىٰ سائر البلاد الإسلامية متدرِّجاً ومنها تنتقل بعد عصر التدوين أو قبله بقليل إلىٰ مهبط الوحي المدينة المنوّرة.



درسنا إلىٰ هنا روايات البسملة وجمع القرآن واختلاف المصاحف والزيادة والنقصان في القرآن الكريم والأحرف السبعة، ودرسنا أخبار القراءات والنسخ ذيل البحثين المذكورين، وفي ما يأتي نسجل نتائج البحوث بإذنه تعالىٰ:

نتائج البحوث:

ثبت ممّا برهنا عليه أنّ عدد القرّاء من الصحابة الّذين جمعوا القرآن علىٰ عهد الرسول (ص) بلغ الأُلوف وكان لجلّهم مصاحف دونوا فيها القرآن.

وعلىٰ عهد الخليفة عمر تجاوز عددهم مئات الأُلوف.

وعلىٰ عهد الخليفة عثمان لا يعلم أحد عددهم غير الله؛ ثمّ أن الخليفة عثمان استعار من أُمّ المؤمنين حفصة المصحف الّذي تمّ نسخه مجرّداً من حديث الرسول (ص) علىٰ عهد الخليفة عمر وأودعه عندها ونسخ عليه سبعة مصاحف وزعت علىٰ أمّهات البلاد الإسلامية وسميت بمصحف الإمام، فنسخ عليها المسلمون مصاحفهم حتى اليوم وكان فيها أخطاء في رسم الخط، وهذا ما عناه الخليفة بقوله (فيه ـ أي في رسم خط المصحف ـ لحن ستقيمه العرب بألسنتها) وسمّي رسم الخط ذلك بـ: رسم خط مصحف عثمان. وإلىٰ يومنا هذا كتب المسلمون مصاحفهم وفق رسم خط مصحف عثمان الملحون غير انهم اتبعوا العرب في التلاوة وأقاموا لحن رسم الخط بألسنتهم مثل ما كتب في سورة آل عمران برسم خط مصحف عثمان لحناً:

أ ـ يٰعيسىٰ، الآية: ٥٥.

ب ـ يٰأهل الكتاب، الآية: ٧٠.

ج ـ أيمٰنهم، ويوم القيٰمة، الآية: ٧٧.

وأقامها المسلمون بألسنتهم واتبعوا العرب وقرأوها: يا عيسىٰ ويا أهل الكتاب وأيمانهم ويوم القيامة. كما درسنا هذا الأمر في بحث القراءات المختلفة.

وبناءً علىٰ ما ذكرناه من المحال أن يقول صحابي علىٰ عهد الخلفاء الثلاثة بنقصان سورة أو آية من القرآن الكريم ممّا كان علىٰ عهد رسول الله (ص) أو يقول أحد من الصحابة إنّ سورة أو آية نسيت من القرآن الكريم، أو يحذف أحدهم آية أو سورة من مصحفه أو يزيد سورة أو آية في مصحفه، وكل رواية جاءت في مصادر الدراسات الإسلامية بمدرسة الخلفاء تدل علىٰ وقوع شيء ممّا نفينا وقوعه، فهي إمّا أن تكون:

أ ـ مفتراة من قبل الزنادقة على الله وكتابه ورسوله (ص) وأصحاب رسوله (ص).

ب ـ ممّا بدل الرواة ألفاظ الصحابة في الروايات نسياناً أو تعمداً.

ج ـ ممّا لم يفهم معنى الرواية لتبدّل معنى المصطلح القرآني بعد عصر الصحابة عمّا كان عليه في عصرهم وكذلك الشأن في الروايات الّتي رويت في مصادر الدراسات الإسلامية بمدرسة أهل البيت، غير أن المفترين هنا على الله وكتابه ورسوله (ص) وأصحاب رسوله (ص) والأئمة من أهل البيت (ع) هم الغلاة بمدرسة أهل البيت وليسوا الزنادقة كما سنبين ذلك إن شاء الله تعالىٰ عند دراسة تلك الروايات في الجزء الثالث من هذا الكتاب.

وأنتج قبول تلك الروايات بمدرسة الخلفاء والتصديق بها أن يرويها المحدِّثون بعد عصر الصحابة والتابعين في الجاميع الحديثية، وأنتج كلّ ذلك أمرين:

أ ـ الإعتقاد بوجود القراءات المختلفة للقرآن الواحد.

ب ـ الإعتقاد بوقوع النسخ والإنساء للقرآن الكريم ـ والعياذ بالله من القول بهما ـ.

وأنتج قبولها بمدرسة أهل البيت من قبل المحدِّثين أمثال السيِّد الجزائري والشيخ النوري أن يقولوا ما قالوا ويكتبوا ما كتبوا، وقابلهم العلماء والمحققون منهم مثل الشيخ المفيد (ت: ٤١٣هـ) والشيخ جواد البلاغي (ت: ١٣٥٢هـ) وأستاذ الفقهاء الخوئي (ت: ١٤١٣هـ)، وردّوا أقوالهم وقالوا: انّ الله حفظ كتابه الكريم وصانه عن كلِّ زيادة ونقيصة وتحريف إلىٰ يومنا هذا، وسيحفظه كذلك أبد الدهر.



بعد انتهائنا من دراسة روايات مدرسة الخلفاء حول القرآن الكريم، نورد في ما يأتي ـ بإذنه تعالىٰ ـ استناد المستشرقين إلىٰ بعضها في ما تقوّلوه حول القرآن الكريم.

البحث الثامن

المستشرقون والقرآن الكريم

- بداية الطعن في الإسلام والقرآن بعد الرسول (ص).
- المستشرق الانجليزي د. آرثر جفري.
- المستشرق هنري ماسيه.
- المستشرق اليهودي كولد زيهر.
- المستشرقون في دائرة المعارف الإسلامية.

قال الله سبحانه وتعالىٰ:

أ ـ ﴿يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ ٱللهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾.

﴿وَدَّت طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿يَا أَهْلَ ٱلكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ * وَقَالَت طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَآكْفُرُواْ آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ﴾.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ ٱللهِ وَٱللهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ * قُلْ يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجاً وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا ٱللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ * يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾.

(آل عمران / الآيات ٧٠، ٦٩، ٧١ ـ ٧٣ و٩٨ ـ ١٠٠)

ب ـ ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾. (البقرة / ١٣٥، ١٣٦)

ج ـ ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى

ٱللهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾. (البقرة / ١٢٠)

د ـ ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا ٱلَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نصارىٰ ذٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾. (المائدة / ٨٢)

هـ ـ ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي ٱلدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلٰكِن لَعَنَهُمُ ٱللهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلاً * يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُم ... ﴾.

(النِّساء / ٤٦، ٤٧)

و ـ ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَن يُرِدِ ٱللهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ ٱللهِ شَيْئاً أُولٰئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي ٱلآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾. (المائدة / ٤١)

ز ـ ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آياتِ اللهِ آنَاءَ ٱللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَاتِ وَأُولٰئِكَ مِنَ ٱلصَّالِحِينَ ﴾. (آل عمران/ ١١٣، ١١٤)

وصدق الله العظيم، فقد استمرّت عداوة بعض أهل الكتاب للإسلام والمسلمين بعد رسول الله (ص) وإلىٰ عصرنا الحاضر، وفي ما يأتي نستعرض بإذنه تعالىٰ اتجاههم العدواني على القرآن الكريم وآثاره مدى العصور.

بداية الطّعن في الإسلام والقرآن بعد عصر الرسول (ص)

لقد مرّ بنا في المجلّد الأوّل من هذا الكتاب، ما عاناه الرسول (ص) من كفّار قريش بمكّة ومن اليهود في المدينة في أمر تبليغ الإسلام ولاسيما القرآن، وخصّصنا هذا البحث لدراسة ما عاناه حفظة الإسلام وحملته في شأنهما بعد الرسول (ص) منهم.

وفي مقدّمتهم يوحنا الدمشقي ـ الّذي كان يعيش في كنف البلاط الأموي ـ أوّل من تصدى للإسلام هو وخليفته ثيودر أبو قرة وبدأ بالتلاعب الجدلي البيزنطي الّذي كان يتقنه المسيحيون المتأثرون بالفلسفات اليونانية وأثار مسائل جدلية مثل: هل كلام الله مخلوق أم غير مخلوق؟ وهل روح الله مخلوق أم غير مخلوق؟ والّذي انتشر بعد ذلك بين المسلمين. وأنّ الوحي الّذي ادعاه الرسول (ص) (كذا) كان يصاغ حسب رغباته الجنسية مشيراً إلىٰ قصة زيد وزينب والّتي اعتبرت بعد ذلك عند المسيحيّين من الأساليب الجدلية الّتي يتفننون بها كيداً للإسلام.

ومثل قوله ان المفاهيم منقولة من التوراة والإنجيل، وتأثر به بيزنطينيون حاقدون على الإسلام رافضون للقرآن مثل نيكيتاس وزيجابينوس في كتاباتهما المتأثرة بالدمشقي ثمّ أخذ منه اللاّتين الغربيون وردّدوا أقواله بأساليب مختلفة وكان ذلك إبان الحروب الصليبية، وعندما أدرك المسيحيون قوّة المسلمين الّذين يدينون بالإسلام ويحملون القرآن شنوا حملة ضدّهم، وكان الرائد لهذه الحملة بطرس الكلوني الّذي ذهب إلىٰ اسبانيا وترأس إدارة دير كلوني سنوات (١٠٩٤ ـ ١١٥٦م) ونادىٰ بحرب المسلمين عسكرياً وفكرياً، ويكتب للملوك الصليبيين: انّ الراهب ينبغي أن يكون مسيحياً في فضائله عسكرياً في أعماله، وانّ تنصير

المسلمين أنفع للمسيحية من قتلهم، وبينما كان الصليبي همّه فتح بيت المقدس وذبح المسلمين كان يتمنىٰ أن يصحب هذا الفتح العسكري المجيد فتحاً روحياً بتنصير المسلمين، ويرىٰ أنّ سيف الكنيسة الحقيقي سيف التبشير بالإنجيل والتنصير وليس سيف القتل فحسب، وانّ الحروب الصليبية كانت تهدف أوّلاً وأخيراً تنصير المسلمين، وتحوّلت أخيراً إلىٰ عمل سياسي وعسكري فقط، فاقدة بذلك مهمّتها الأساسية، وانّ السبب في ذلك عدم معرفة المسيحيين بحقيقة الدين الإسلامي ولذلك أوجب علىٰ نفسه ومن استطاع أن يؤثر فيه دراسة الدين الاسلامي ومحاجة المسلمين واقناعهم بالتخلي عن الإسلام والدخول في المسيحية بدلاً من شعار الحروب الصليبية (ذبح المسلمين في محبّة الربّ)، ورفع شعار (الكلمة بدلاً من السيف) و (أنا أقترب منك وأقول بالكلمات وليس بالقوّة، ولكن بالتفاهم وليس بالكره بل بالمحبّة، لا كما يفعل قومنا دائماً بالسلاح).

وقد درست الحرب الصليبية الّتي انتهت وأهملت دراسة الحرب الفكرية والّتي لا زالت قائمة.

وفي هذا السبيل سافر بطرس الكلوني إلىٰ اسبانيا سنة ١١٤٢م، وتفقد شؤون أديرتها وحصل من الامبراطور الفونسَ السابع، الّذي كان يحاصر المرابطين (*Coria*) لمشاريعه أملاكاً واسعة وأموالاً جمّة، ولمعرفة الإسلام كلّف بطرس في هذه السفرة جمعاً من المترجمين لدراسة بعض الكتب وترجمتها وموّل مشروع الترجمة واختار لذلك كتباً ألفها يهود متنصّرون ونصارىٰ مستعربون والّتي كانت أبعَد ما تكون عن الإسلام الحقيقي بل كانت أساطير ملفّقة، كما وصّىٰ بترجمة القرآن الكريم استعداداً للهجوم عليه وتفنيده وتحريف كلماته ومعانيه والإستهزاء بما جاء فيه والتشفي من المسلمين.

وكان من الكتب التّي اختارها بطرس للترجمة كتب من مدرسة للترجمة من العربية إلى اللّاتينية أسسها القس رايموند في كنيسة بطليطلة سنوات (١١٢٥ ـ ١١٥١م) بعد سقوط المدينة بيَد الفونس السادس، بعد أن كانت مركزاً حضارياً

إسلامياً سنوات (٧١٢ ـ ١٠٨٥م)، وكان من جملة ما ترجموا كتب الفارابي وابن سـينا والغزالي وارسطاطاليس وغيرهم.

واجتمع بطرس الكلوني عام ١١٤٢م مع القس رايـوند في سـلامانكا، وموّل مشروعه للترجمة، وكلّف بطرس خمسة مترجمين بترجمة مجموعة طليطلة وحفظت بدير كلوني أربعمائة سنة، ونشرت المجموعة بعد اختراع الطـباعة في بازل عام ١٥٤٣م.

المترجمون في طليطلة وأعمالهم:

١ ـ المعلم بطرس الطليطلي *Peter of Toledo* :

كان بطرس من عائلة مسيحية مستعربة *Mozarabs* يتقن العربية وعلىٰ معرفة بالعادات العربية والإسلامية وساهم في ترجمة القرآن الكريم إلى اللّاتينية، وقد يكون هو الّذي اختار مجموعة الكتب الّتي ترجمت مع القرآن الكريم لتنفيذ مشروع بطرس الكلوني ويمكن اعتباره عميد فريق المترجمين. وقد قام بترجمة رسالة عبدالله بن إسماعيل الهاشمي إلىٰ عبدالمسيح بن إسحاق الكندي *Epistola Saraceni et Rescripum*، والّتي كتـبها ردّاً علىٰ رسـالة عبدالله بن إسماعيل الهاشمي إليه، وفيها دفاع حار عن عقيدة التثليث، وقد لاقت هذه الرسالة إهتماماً كبيراً من النصارىٰ وترجمت إلى التركية والإنجـليزية عـلاوة عـلى اللّاتـينية، والرسالة عبارة عن كتاب من مسلم في عصر المأمون موجه إلىٰ مسيحي يدعوه فيها إلى الإسلام ورد المسيحي عليه، ويقال إنّ المأمـون استمع إلى الرسالتين، ويظنّ أنّ الرسالتين من خيال المؤلف المسيحي وهو حوار مسيحي متطرّف، طالما فرح به المنصرون حتىٰ أيّامنا هذه.

٢ ـ روبرت الكيتوني *Robert Of Ketton*:

وهو انجليزي الأصل قام برحلات كثيرة قبل أن يستقر في برشلونة عام

١١٣٦م لدراسة الفلك والهندسة وكان مولعاً بهما وكان يشارك بلاتو من تيفولي أحد تراجمة مدرسة طليطلة في ترجمة كتب المسلمين في الفلك والهندسة. وهو المترجم الرئيس للقرآن الكريم إلى اللّاتينية، وقد منح منصب أرشيدوق بامبللونا بعد الإنتهاء من الترجمة وهو منصب كنيسي رفيع ممّا يدل علىٰ أن روبرت كان قسيساً.

وفي عام ١١٤٤م ترجم كتاباً في الكيميـاء، وفي السنة التالية انتهىٰ من ترجمة الخوارزمي في الجبر وكانت هذه الترجمة هي بداية علم الجبر في أوربا. واستعمل الكتاب استعمالاً واسعاً ككتاب دراسي للجبر، ويقال إنّه عاد بعد ذلك إلىٰ لندن حيث راجع كتاباً عن الاسطرلاب في عام ١١٥٠ ورتب جداول فلكية لخط الطول لمدينة لندن وبنيت علىٰ أساس دراسات البتاني والزراكلي، كما راجع جداول الخوارزمي. وكان صديقاً حميماً لمترجم آخر يدعىٰ هرمان الدلماطي.

كتب روبرت عن ترجمته للقرآن الكريم يقول: «لقد كشفت بيدي قانون المدعو محمّد ويسرت فهمه وضممته إلىٰ كنوز اللغة الرومانية لمعرفة أُسس هذا القانون حتىٰ تتجلّىٰ أنوار الربّ على البشرية ويعرف الناس حجر الأساس يسوع».

وكتب يقول: لقد رأت كنيسة كلوني في بطرسها، ما رآه السيد المسيح في رفيقه بطرس، ويجب أن يُشكَر (أي بطرس الكلوني) لتعرية مـبادئ الإسـلام للضوء بعدما سمح الدارسون في الكنيسة لهذا الكفر أن يتسع ويتضخم وينتشر لمدّة نحو خمسمائة وسبعة وثلاثين عاماً. وقد وضحت في ترجمتي في أيٍّ مستنقع فاشل يعشِّش مذهب السراسين (المسلمين)، متمثِّلاً في عملي جندي مشاة يشقّ الطريق لغيره.

لقد قشعت الدخان الّذي أطلقه محمّد، لعلّك تطفئه بنفخاتك[1] (أي بطرس

---

(١) ﴿ومَن أظلم ممّن افترىٰ على الله الكـذب وهو يُدعى إلى الإسـلام والله لا يهدي القـوم ←

الكلوني). هذه هي الروح الّتي سيطرت علىٰ مترجم القرآن إلى اللغة اللّاتينية في خطاباته إلىٰ مُستأجِرِه. وقد استغرقت الترجمة إلى اللّاتينية مدّة سنة فقط. وكانت روح الإستهزاء والسخرية تظهر بوضوح في كتابات روبرت وترجمته للقرآن الكريم وخصوصاً في تسميته للسور، ثمّ في خطاباته إلىٰ بطرس الكلوني.

وجاء علىٰ لسانه أنّه عانىٰ صعوبات كثيرة في ترجمته للقرآن، وأنّه قد تصرّف بحرية مع النص حتىٰ أنجز العمل. فمثلاً سورة البقرة قسّمها إلىٰ ثلاث سور واتّبع هذه القاعدة في أماكن أُخرىٰ. لذلك فقد انتهىٰ بعدد لسور القرآن تزيد تسع سور عن النصّ الأصلي.

٣ ـ بطرس من بواتييه Peter Of Poitiers :

وكان راهباً في دير كلوني وكان يعمل سكرتيراً لرئيس الرهبان بطرس الكلوني، وقد نمت صداقة قوية بينهما. وقد اختير رئيساً للرهبان في سانت مارتيال في ليموج، وكان ذلك قبل وفاة بطرس الكلوني في عام ١١٥٦م.

ويبدو أنّه قام بما يشبه رئاسة التحرير للمجموعة الطليطلية، والّتي اعتبرت من ذخائر الدير، والّتي عكف عليها الرهبان ٤٠٠ سنة يتدارسونها ويستنبطون محاور الجدل والنقد والدحض والإفتراء. فهو الّذي قام بترتيبها عدّة مرّات وتحريرها ووضعها في صورتها النهائية، ورتب فيها كتاب الرسالة للكندي وكتاب[1] آخر كتبه بطرس الكلوني سمّاه الخلاصة *Summma*، بنىٰ عليه ما استخلصه ممّا جاء في المجموعة الطليطلية، وقد كتب بطرس من بواتييه إلىٰ

← الظالمين﴾ الصف / ٧.

﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾ الصف / ٨.

﴿هو الّذي أرسل رسوله بالهدىٰ ودين الحقّ ليُظهره على الدّين كلّه ولو كره المشركون﴾ الصف / ٩.

(١) هكذا في النص.

بطرس الكلوني يقول:

«لقد رتبت الآن المجموعة ترتيباً أفضل من السابق فإن رضيت عنها كان بها وإلّا فلك مطلق الحرية في تصحيح ما تشاء. فأنت وحدك الّذي مزق أعداء المسيحية الثلاثة بسيف الكلمة المقدّسة، وأعني بهم: اليهود والوثنيين والسراسين (المسلمين)[1]... إلىٰ قوله: ويجب علينا أن نكون شاكرين لعدم رغبة برنارد من كليرفو في أن يسخر نفسه لهذا العمل (أي كتابة وجمع المجموعة الطليطلية) كنقطة هجوم على المسلمين».

٤ ـ هرمان الدلماطي *Herman Of Dalmatia*:

الّذي عاش في اسبانيا (ت: ١١٧٢م) وكان علىٰ صداقة حميمة مع روبرت من كيتون وأنهما كانا يدرسان سوياً وبطريقة سرّية لدفع الشبهة عنهما وعن نواياهما. وللدلماطي غير ترجماته في مجموعة طليطلة عدّة ترجمات أُخرىٰ واحدة في الفلك لسهل بن بشير وجداول فلكية للخوارزمي وأبو[2] معشر وللمجريطي وغيرهم. لقد استغلّ القوم الحرية والأمن في ظل الإسلام، فعكفوا علىٰ ترجمة علوم المسلمين إلى اللّاتينية في ما يشبه في عصرنا الحاضر محاولات السوفيت في نقل تكنولوجيا الغرب ومحاولات الغرب في نقل ما توصّل إليه الشرق، وغالباً ما كانت عملية النقل هذه تتم سراً وفي الكنائس بأيدي الرهبان والقسس.

أمّا دوره في مجموعة طليطلة فقد قام بترجمة *Mahumet Liber generationis* وقد استكمل ترجمته في ليون *Leon* عام ١١٤٢م.

وكتاب *Liber generationis Mahumet* وهو كسابقه مملوء بالأساطير

---

(١) دأب الأوربيون علىٰ تحاشي كلمة إسلام ومسلمين وأطلقوا تسميات كثيرة أشهرها سراسين، ومحمديون، ومور، وأتراك ولكن الإسلام الحقيقي مرفوض لسمو معناه.

(٢) هكذا في الأصل.

والإسرائيليات، ويعتقد أنّ أصله في العربية هو كتاب نسب رسول الله (ص)، وهو من أخبار كعب الأحبار وسعيد بن عمر، والكتاب يركز علىٰ مولد الرسول (ص) والنور الّذي انتقل من عهد آدم (ع) جيلاً بعد جيل إلى الرسول (ص).

٥ ـ وهناك شخصية غامضة باسم محمّد، ورد ذكرها مرّة واحدة علىٰ هامش أحد الكتب الخمسة المترجمة، والّتي تُكوِّن المجموعة الطليطلية، ولعلّه كان مخدوعاً في أهداف مشروع الترجمة ذلك وظن أنّه يساهم في التقارب الإسلامي المسيحي، وما أكثر المخدوعين حتىٰ في عصرنا هذا.

والإحتمال الأكبر هو أنّها شخصية وهمية. فقد دأب القوم علىٰ وصف بعض الكتب بأنّ مؤلّفها مسلم ارتد إلى المسيحية لإعطاء الكتاب توثيقاً أكبر وهي حيلة طالما استعملوها وخصوصاً عند ترجمة القرآن الكريم، فكثيراً ما كانوا يدّعون أن الترجمة عن النص العربي في الوقت الّذي لا يعرف فيه المترجم اللغة العربية.

المجموعة الطليطلية *Toledan Collectio* والترجمة اللّاتينية الأُولىٰ للقرآن الكريم:

وهي مجموعة الترجمات الّتي نفذت لحساب بطرس الكلوني. ولعلّ التسمية نسبة إلىٰ بطرس الطليطلي. وقد احتوت علىٰ ترجمات لمسائل أبي الحارث عبدالله ابن سلام وكتاب نسب رسول الله (ص) لسعد بن عمر وكتاب مجهول الأصل والاسم في تاريخ الأنبياء وقصصهم والرسالة لعبدالله بن إسماعيل الهاشمي إلىٰ عبدالمسيح بن إسحاق الكندي، هذا علاوة علىٰ ترجمة للقرآن الكريم وكتابات بطرس الكلوني للرد على المسلمين.

وكتاب «المسائل» لأبي الحارث عبدالله بن سلام وفيه مائة سؤال موجهة من أربعة من اليهود إلى الرسول (ص) كما يزعم صاحبه، يحتوي علىٰ كثير من

الأساطير والتصورات اليهودية والإسرائيليات والأسئلة والأحاجي. وهذه بعض الأمثلة من الأسئلة الّتي ذكرت في هذا الكتاب، وتدلّ علىٰ مدىٰ ضحالة المصادر الّتي اعتمد عليها بطرس الكلوني في محاجّة المسلمين، جاء فيه:

إنّ اليهودي سأل الرسول (ص) (كذا): من هو الابن الّذي هو أقوىٰ من أبيه؟

جواب الرسول: هو الحديد الّذي هو أقوىٰ من الخام المأخوذ منه، والنار الّتي هي أقوىٰ من الحديد، والماء الّذي هو أقوىٰ من النار، والريح الّتي هي أقوىٰ من الماء. (ولعله يلمّح إلى الابن الّذي هو أقوىٰ من الأب عند المسيحيين! أو إسرائيل الّذي صارع الرّبّ وصرعه!).

سؤال: ما هي الأرض الّتي رأت الشمس مرة واحدة ولن تراها إلىٰ آخر الزمان؟

الجواب: قاع البحر الأحمر (تنويهاً بعبور موسىٰ).

سؤال: من هي المرأة الّتي ولدت من رجل والرجل الّذي ولد من عذراء؟

جواب: حواء خلقت من ضلع آدم، والمسيح ولد من عذراء. (وبما أن السائل يهودي فأي مسيح يقصد).

سؤال: ماذا يوجد تحت الأرض السابعة؟

جواب: ثور يقف علىٰ حجر أبيض والحجر علىٰ جبل وتحت الجبل أرض وبحار وسمك.

هذا مثال لأحد الكتب الّتي نقل عنها الإسلام إلىٰ أوربا في هذه المجموعة الّتي تعاونت عليها أيدي اليهود المتنصّرين والنصارى المستعربين والقساوسة الحاقدين والتراجمة المأجورين، ليبلغوا رسالة ربّ العالمين إلى الناطقين باللّاتينية في الأديرة والكنائس، وسُمِّي الكتاب باللّاتينية *Doctrina Mahumet* ، أمّا كتاب نسب الرسول (ص) فهو كسابقه مملوء بالأساطير والإسرائيليات ويعتقد

أنّ أصله في العربيـة هو كتاب نسب رسول الله (ص)، وهو من أخبار كـعب الأحبار وسعيد بن عمر، والكتاب يركز علىٰ مولد الرسول (ص) والنور الّذي انتقل من عهد آدم جيـلاً بعد جيل إلى الرسول (ص)، وباللّاتينية سمّي الكتاب *Liber generationis Mahumet et nutritia eius*.

أمّا كتاب تارخ الأنبياء والمسمّىٰ باللّاتينية *Fabulae Saracenorum*، فلم يعرف له أصل عـربي، وقد تكلم الكتاب عن آدم وخلق الإنسان وعـدد الأنبياء والرّسل، وأنّهم بلغوا ١٢٠ ألف نبي منهم ٣١٥ رسول[١] منهم خمسة من اليهود وخمسة من العرب واعتبر موسىٰ أوّل الخمسة اليهود وعيسىٰ آخـرهم، ويقول الكـتاب أنّه أنزل على الأنـبياء ١٠٤ كـتاب[٢]، وأنّ العـرب والفـرس والرومان واليهود هم أكثر شعوب الأرض حكمة، وأنّ الرسول (ص) قد رأىٰ في المنام أنّ عمر العالم هو سبعة آلاف سنة وأنّه بعث في الألف السـادسة، ثمّ سرد لسيرة حياة الرسول (ص) وسيرة الخلفاء الراشدين، ومن سـياق السرد يمكن للإنسان أن يعرف اليد غير المسلمة الّتي تؤرخ وتكتب.

هذه هي الكتب الّتي جمعها بطرس الكلوني وترجمها بالإضافة إلىٰ ترجمة روبرت من كيتون للقرآن الكريم إلى اللّاتينية، وقد عرفنا أنّه لم يترجم ترجمة أكاديمية ملتزمة في حدود ما يسمح به الإختلاف الشديد بين اللـغتين العـربية واللّاتينية.

فاللّغة السـامية الرفيعة للقرآن الكريم كانت ولا شك مشكلة كبيرة لمن لا يحسن العربية ولمن لا يعرف الإسلام فضلاً عن ذلك لمن يتحامل على الإسلام. وكان علاج روبرت لهذه الصعوبة ـ كما كتب بنفسه إلىٰ بطرس الكلوني ـ هـو التضحية بالدقّة لحساب المعنى الإجمالي، وكما يقول كريتزك أنّه بهذا التحرّر من النص قد وصل إلىٰ نتائج تكاد أن تكون فكاهية.

---

(١) و (٢) هكذا في النص.

فكما ذكرنا سابقاً لم يلتزم بالسور كما جاءت بل قسم بعض السور إلىٰ أكثر من سورة كما أنّه لم يلتزم بالآيات فقد دمجها كما أراد، وغيّر صيغ الكلام علاوة على الأخطاء الفاحشة في ترجمة المعاني نفسها.

ويبدو أنّ ترجمة كتابه «الرسالة» لعبد المسيح بن إسحاق الكندي كانت أكثر الترجمات دقّة؛ لأنّ الكتاب هو دفاع عن المسيحية ومحاجّة للمسلمين، بالأُسلوب الّذي تعرفه المسيحية ممّا سهّل الترجمة. وأضاف بعد ذلك بطرس الكلوني عدّة كتابات ورسائل إلىٰ هذه المجموعة وهي كتابات تنقض وتحاج المسلمين بما سمِّي *Refutation* «أي النقض» ورسائل موجهة إلىٰ برنارد من كليرفو، يشرح له ما وصل إليه مشروعه في نقل أفكار المسلمين ومذهبهم وكتابهم إلى اللّاتينية.

فكتب ما سمِّي بالخلاصة *Summa tatius haeresis Saracenorum* وكتب رسالة سمِّيت *Epistol Peti Ciuniacensis ad Berardum Claravallis* وكتاباً ضدّ الإسلام بعنوان *Libre Contra sectam sive haeresim Saracenor um*.

وحفظت هذه المجموعة ومن ضمنها ترجمة القرآن الكريم بالصورة الّتي ذكرنا في دير كلوني، ووضعت تحت تصرف الدارسين من الرهبان وبقيت سرّاً بينهم لا يطلع عليها غيرهم خشية التأثر بتعاليم القرآن الكريم، وظلّت في صورة مخطوطة حوالي ٤٠٠ سنة حتى اخترعت الطباعة.

طباعة الترجمة الأُولىٰ للقرآن الكريم باللّغة اللّاتينية:

في عام ١٥٤٢م حاول ثلاثة من الدارسين في مدينة بازل أن ينشروا مجموعة الترجمات هذه ولكنّهم جُوبهوا برفض سلطات المدينة للنشر، ولم يحتمل المجلس أن يأخذ علىٰ عاتقه السماح بالنشر لهذه الهرطقة والكفر وتركها لتوزّع وتروّج بين المسيحيين وتشوش أفكارهم وضمائرهم (كذا).

ولكن الدارسين الثلاثة قرروا نشرها ليضعوا مجلس المدينة أمام الأمر الواقع وبدأوا بالطباعة فعلاً ولكن السلطات علمت بالأمر، فأوقفت الطباعة وصادرت ما طبع وسجنت منهم أوبرينوس.

ولكن سرعان ما حالف أوبرينوس الحظ عندما أرسل «مارتن لوثر» إلىٰ مجلس المدينة خطاباً قال فيه: انّه لا يوجد أضّر على الإسلام والمسلمين من نشر هذا الكتاب. وبذلك أنهى المشكلة ووافق المجلس على النشر على ألّا يوزّع في المدينة.

واستكملت طباعة المجموعة وفيها أول ترجمة للقرآن باللّاتينية مع مقدمة لمارتن لوثر وفيليب ميلانختون، في ١١ يناير ١٥٤٣. وسميت طبعة بيبلياندر وكانت بداية لسيل من الترجمات باللّغات الأوربية منذ ذلك التاريخ، وبلغت اللّغات الّتي ترجم إليها القرآن الكريم ترجمة كاملة ٢١ لغة أوربية عدا اللّغة الأفريكانية الّتي كانت تستعمل في جنوب أفريقيا بالإضافة إلىٰ ترجمات غير كاملة ومختارات بلغات أوربية أُخرىٰ.

واللّغات الأوربية الّتي ترجم إليها القرآن الكريم ترجمة كاملة حتى الآن ومرتبة ترتيباً زمنياً (*) هي:

اللّاتينية، الإيطالية، الألمانية، التشيكية، الهولندية، الفرنسية، الإنجليزية، اليونانية، الروسية، البولندية، الهنغارية، السويدية، الأسبانية، البرتغالية، اليوغسلافية، البلغارية، الرومانية، الدنماركية، الألبانية، الفلندية والنرويجية.

وظهرت للترجمة اللّاتينية الّتي طبعها بيبلياندر في بازل عام ١٥٤٣م طبعات أُخرىٰ في أعوام ١٥٥٠م بزيورخ وعام ١٧٢١م في ليبزيج.

ويقال إنّ بيبلياندر هو الّذي قام بالترجمة إلى اللّاتينية، ويقال إنّ طبعة

(*) لا يشترط أن تكون أوّل ترجمة في هذا الترتيب ترجمة كاملة. إنّما أُخذ في الإعتبار التأثّر بالترجمات اللّاتينية الأولىٰ.

بيبلياندر مأخوذة عن ترجمة أُخرىٰ قام بها رهبان كاثوليك في إيطاليا، وعلىٰ أي حال فإن الترجمة الّتي قام بها روبرت من كيتون وحفظت في كلوني كانت أوّل محاولة لترجمة القرآن الكريم إلى اللّغات الأوربية.

وكيف تكتب ترجمة للقرآن الكريم في هذا الجو القاتم من المواجهة والعداء؟

وقد أصبحت هذه الترجمة اللّاتينية بعد طبعها مصدراً ميسراً للمترجمين في إيطاليا وألمانيا وهولندا لعدم معرفتهم باللّغة العربية.

فلم تكد تظهر طبعة بيبلياندر عام ١٥٤٣م في بازل حتّىٰ ظهرت أوّل ترجمة باللّغة الإيطالية عام ١٥٤٧ لأندريا أريفابيني في فينيسيا، وإن كان أريفابيني يدّعي أنّه ترجم عن العربية غير أن الترجمة ما هي إلّا نسخة عن اللّاتينية الّتي نشرها بيبلياندر، ثمّ ان ترجمة أريفابيني كانت مصدراً لأوّل ترجمة بالألمانية قام بها سلمون شفايجر وكان قسيساً واعظاً في كنيسة فراون كيرشه في نورمبرج *Frauen Kirsche am Nurenberg* عام ١٦١٦م، والّتي بدورها أصبحت مصدراً لأوّل ترجمة بالهولندية قام بها مجهول عام ١٦٤١م وطبعت في هامبورج وقد أُعيدت طبعة شفايجر الألمانية مرّة أُخرىٰ عام ١٦٢٣ ثمّ عام ١٦٥٩ ثمّ عام ١٦٦٤م.

وهذا يعني أن هناك ثماني طبعات في أربع لغات كلّها من مصدر واحد، وهي ثلاث طبعات باللّاتينية وثلاث بالألمانية لشفايجر وواحدة بالإيطالية وواحدة بالهولندية [1].

وقد قال جورج سال عن هذه الترجمة اللّاتينية الّتي كانت أساساً للترجمة في أربع لغات: «إنّ ما نشره بيبلياندر في اللّاتينية زاعماً بأنها ترجمة للقرآن الكريم لا تستحق اسم ترجمة؛ فالأخطاء اللّانهائية والحذف والإضافة والتصرّف

---

(١) وأُضيف هنا ترجمة دي ريور الفرنسية، فالأرجح أنّها مُترجَمة عن اللّاتينية أيضاً وليس عن العربية كما يدّعي دي ريور.

بحرّية شديدة في مواضع عـديدة، يصعب حصرها يجعل هذه الترجمة لا تشتمل علىٰ أي تشابه مع الأصل».

وقد زاد أريفابيني الطين بلة بإضافة أخطاء جديدة بـترجمـته الإيـطالية فازدادت الترجمة بعداً وخطأً عن الترجمة اللّاتينية فضلاً عن الأصل العربي.

ترجمة أندريه دي ريور *Ander De Ryer* الفرنسية عام ١٦٤٧م:

أندريه دي ريور سـيور دي ماليزيـه، مستشرق ولد عـام ١٥٨٠م في مارسيني (شـاروليه)، التحق بالبلاط الملكي وعيّن في السـلك الدبـلوماسي في القسطنطينية، ثمّ قنصلاً في الإسكندرية بمصر.

ألّف في النحو التركي باللّغة اللّاتينية ١٦٣٠م، وترجم ديوان «سعدي» المعروف بعنوان كلستان من اللّاتينية إلى الفرنسية (١٦٣٤)[1]. كما ترجم القرآن الكريم إلى الفرنسية في جزءين ويدّعي صاحب الترجمة أنّه علىٰ دراية بالتركية والعربية. وتحمّل هذا القنصل مشقة الترجمـة إلى اللغة الفـرنسية كأوّل تـرجمـة للقرآن الكريم بهذه اللغة. وقال كلود أتين سافاري *Claude Etienne Savary* صاحب الترجمة الفرنسية عن هذه الترجمة:

«القرآن الكريم الّذي شهد الشرق كلّه بكمال أُسلوبه وعـظمة تـصويره يبدو تحت قلم دي ريور مقطوعة مملّة سـقيمة واللّوم يـقع عـلىٰ طـريقـته في الترجمة. فالقرآن منظوم في آيات لها ترنيم يشبه الشعر وليس بالشعر.

ولكن دي ريور لم يلق بالاً إلى النص الّذي يعالجه، فـجمع الآيـات في مقال متواصل ضاعت فيه كرامة المعنىٰ وجمال الأُسلوب تحت وطأة تـركيباته الجامدة وجمله الغامضة حتىٰ ليصعب على الإنسان أن يعرف أن هذه الترجمـة السقيمة لذاك الأصل.

---

(١) أُنظر: نورمان دانييل «الإسلام والغرب»، ص ٢٩٦.

وحتىٰ أن القارئ لهذه الترجمة لا يمكن أن يتصور على الإطلاق أن هـذا القرآن آية في كمال التعبير بالعربية».

ولا ندري هل كتب دي ريور الترجمة حقاً عن العربية أم كانت له مصادر أُخرىٰ يستعين بها علىٰ ترجمة النص العربي بالصورة الرهيبة الممزّقة الّتي وصل إليها؟ فقد كانت تراجم سابقة علىٰ ترجمته في اللغات اللّاتينية والألمانية والإيطالية والهولندية فهل كان دي ريور علىٰ غير علم بهذه اللّغات الأوربية بينما كان يتقن العربية والتركية؟ ومن المؤكد أنّه كان علىٰ معرفة باللّاتينية الّتي ترجم منها شعر سعدي.

وهل اطلع دي ريور علىٰ ترجمة باللغة الأرجوانية لجوناس أنـدرياس، والّتي ظلت علىٰ شكل مخطوط، وهي لطبيب يقال إنّه ارتدّ عن الإسلام وأصبح قسّيساً، وهو من سكان زاتيفافي في مملكة فالينسيا؟

وهل يعتبر عمل دي ريور بداية في ذاته مثل ترجمة دير كلوني دون التأثر بالترجمات الّتي سبقته؟

وفاقت ترجمة دير كلوني في العدوىٰ والإنتشار، فما أن ظهرت عام ١٦٤٧م في الفرنسية حتىٰ ترجمها الكسندر روس عام ١٦٤٩ كأوّل ترجمة في الإنجليزية ثمّ تبعه ر. تيلور عام ١٦٨٨ في الإنجليزية.

وفي نفس العام ترجمها «لانج» إلى الألمانية ثمّ في عام ١٦٥٧ «جلازماخر» إلى الهولندية، وقد طُبعت ترجمة جلازماخر بعد ذلك طبعات عديدة في أعوام ١٦٥٨ ـ ١٦٩٦ ـ ١٦٩٨ ـ ١٧٢١ ـ ١٧٣٤ ـ ١٧٩٩م.

ثمّ انتقلت عدوىٰ دي ريور إلى الروسية عام ١٧١٦م عندما نقل عـنها بوستينكوف (ديمتري كانتماير) ثمّ فريوفكين عام ١٧٩٠م في الروسية.

وينبغي أن نذكر هنا تأسيس البابا غريغوريوس الثالث عشر (١٥٧٢ ـ ١٥٨٧م) المعهد اليـوناني سنة ١٥٧٦م والمعهد الماروني سـنة ١٥٨٤م لتـعليم

الشبان المسيحيين القادمين من الشرق، ليتمكّنوا عند عـودتهم إلىٰ بلدانهم من نشر تعاليم المذهب الكاثوليكي، وقد فـضل بـعض الشـبان المـارونيين مـثل جبرائيل صهيون الإهدني وإبراهيم الحاقلاني وجرجس عميرة وسركيس الرزّي ويوحنا الحصروني البقاء بأوربا بعد إنهاء دراستهم. وقد لعب هؤلاء دوراً كبيراً في نشر الكتب العربية بروما وباريس ودعم الدراسات العربية بأوربا بالتدريس والترجمة ونشر الكتب.

وكان فرانسوا سـافاري دي بران، سـفير فرنسا في اسـتانبول (١٥٩١ ـ ١٦٠٦م) ثمّ في روما (١٦٠٨ ـ ١٦١٤م) ألّف كتيّباً عرض فيه إمكانية استغلال قوّة المسيحيين بالشرق لإزعاج الدولة العثمانية.

وأسّس مطبعة شرقية لنشر الكتب المسيحية في الشرق. وعند عودته إلىٰ باريس عام ١٦١٥م من روما اصطحب معه جبرائيل صهيون الإهدني ويوحنا الحصروني، ومن مطبعته الّتي أسّسها في روما حمل معه القوالب والحروف العربية وهما أثمن ما في المطابع في ذلك العهد بقصد تأسيس مطبعة جديدة في باريس وكانت هذه الحروف والقوالب قد عمل علىٰ حفرها منذ إقامتـه بالقسطنطينية، وهي مجموعات للحروف العربية في ثلاثة أحجام. ونشرت هذه المطبعة كتاباً في صناعة النحو من خمسة أجزاء من تأليف جبرائيل صهيون ويوحنا الحصروني، كما شارك جبرائيل صهيون وجاك دي صولاك في إعداد الأحرف العربية لطباعة الكتاب المقدس المتعدد اللـغات، وكان ذلك في عام ١٦٤٥م، وأعاد صهـيون طباعة كتاب سبعة مزامير التوبة.

واشترك جبرائيل صهيون ويوحنا الحصروني وإبراهيم الحاقلاني في إعداد النصّ العربي للكتاب المقدّس المتعدّد اللّغات (العربية والسمارية والكلدانية واليونانية والسريانية واللّاتينية والعبرية) وأصدره لوجاي (*Lejay*) عام ١٦٤٥م.

وقام جبرائيل صهيون بترجمة جزئية للقرآن الكريم باللّغة اللّاتينية عام

١٦٣٠م، وتعتبر هذه الترجمة ثالث محاولة لترجمة القرآن الكريم بعد ترجمة روبرت من كيتون وترجمة سكاليبه شرشييه (الجزئية) *Scaliger Cherchait* عام ١٥٧٩م.

إذاً فجبرائيل صهيون المتمرّس في أُمور الترجمة والنشر والطباعة وعلى دراية بالكتاب المقدّس والقرآن الكريم واللّغة العربية واللّاتينية، كان يعمل مع سافاري دي براف في باريس وفي المطبعة العربية الوحيدة حينئذ.

وأخرج دي ريور ترجمته الفرنسية للقرآن الكريم عام ١٦٤٧م وكان سفيراً في الإسكندرية وإسطنبول ولابدّ وأنّه علىٰ معرفة بزميله السفير سافاري ولابدّ وأنّه كان يعلم بالمطبعة الّتي أقامها سافاري والطباعة في ذلك الوقت كانت عملية فريدة، كما يعلم بحضور دارسين من الشرق علىٰ دراية بالعربية واللّاتينية، وطالما أنّه بصدد ترجمة القرآن الكريم من العربية، وتوجد ترجمة باللّاتينية (كلوني) وقد نقلت إلى الإيطالية والألمانية والهولندية، فإنّ مصادر دي ريور الممكنة والميسرة له في باريس في ذلك التاريخ هي:

ترجمة كلوني باللّاتينية ـ ترجمة أندريا أريفابيني الإيطالية ـ ترجمة سلمون شفايجر الألمانية ـ ترجمة سلمون شفايجر الهولندية ـ علاوة علىٰ دارسين موارنة يعملون عند سفير زميل له (سافاري) يعرفون العربية كلغة الأُم واللّاتينية بحكم دراستهم في المعهد الماروني في روما علاوة على الإيطالية والفرنسية.

إذاً ليس بصحيح ادعاؤه أنّه ترجم القرآن الكريم «عن العربية» وتعرف مصادره الّتي اعتمد عليها في ترجمته، مع أنّه كان يعرف اللّاتينية.

ولم يقتصر شرّ ترجمته السيئة علىٰ لغة الترجمة وحدها، بل انتقلت عدواها وعمّ شرّها باستعمالها كأصل لترجمات بلغات متعدّدة أُخرىٰ.

والنسخة الموجودة في مجموعة الكاتب طبعة عام ١٧٣٤م بامستردام، تقع في جزءين ويتصدّر كل جزء صورة لرجل يلبس اللباس التركي والعمامة

ويجلس أمام سبيل ماء من الطراز العثماني وحوله مجموعة من المتعممين في أزياء تركية متعددة وخلفهم أشجار يشبه البسفور ويوحي بأن المقصود نبي المسلمين وعلىٰ رأسه هلال، والجملة الوحيدة الّتي كتبت باللّغة العربية في مقدّمة الترجمة كتبت بطريقة تدل علىٰ أن المقدم (دي ريور) لا يعرف العربية يقيناً، فقد كتبت كالتالي:

رسول الله لا إله

إلّا الله محمّد

وإذا كان يعرف العربية حقّاً وكتب لفظ الشهادتين بهذه الصورة فالمصيبة أعظم وهذه الترجمة المحرّفة قد طُبعت ٢٢ مرّة بالفرنسية، وتُرجمت إلى الإنجليزية والروسية، وفي ثماني طبعات بالهولندية كما أسلفنا.

وكتب مقدّمة الترجمة قنصل مرسيليا السلطان مراد، باللغة التركية لترجمته للقرآن الكريم باللغة الفرنسية.

ويمكن القول بأنّ ترجمة دي ريور هذه نسخة من ترجمة دير كلوني اللّاتينية المشوّهة أيضاً رغم زعمه بأنها عن العربية، ففي كلا الترجمتين نرىٰ أن السورة تترجَم ككل وليس هناك آيات، والجديد في الموضوع هو إضافته في الهوامش تعليقات كتب أنّها عن البيضاوي وعن جلال الدين، ممّا يوحي أنّ الكاتب كان يستعمل المراجع العربية لتبحّره في هذه اللّغة، وكان بإمكان الدارسين الموارنة أمثال جبرائيل صهيون ويوحنا الحصروني القيام بذلك.

وقد تكرّرت نفس الصورة في ترجمة جورج سال إلى الإنجليزية، وكما رأينا في ترجمة أريفابيني إلى الإيطالية عندما زعم أنها عن العربية أيضاً وثبت أنّه كان لا يعرف العربية.

ويمكن القول إنّ الترجمات الأوربية إلىٰ ما قبل ظهور ترجمة لودفيجو ماراكيوس عام ١٦٩٨م كانت واقعة تحت تأثير الترجمة اللّاتينية الأُولىٰ لدير

كلوني، وحتىٰ بعد ذلك التاريخ كانت بعض الطبعات لهذه الترجمات ما زالت يعاد طباعتها وذلك بعد ظهور ترجمة ماراكيوس بما يقرب من قرن من الزمان، فترجمة جلازماخر الهولندية كانت ما زالت تطبع حتّىٰ عام ١٧٩٩م.

الترجمة اللّاتينية الثانية[1] للقس لودفيجو ماركيوس[*] (١٦١٢ـ١٧٠٠م):

بعد دراسته الأوّلية دخل سلك الدراسات اللّاهوتية والسريانية وآشتهر بصلاحه وتقواه، وتقلد عدة مناصب درس أثناءها اللغات اليونانية والعبرية والسريانية والكلدانية والعربية ودرّس هذه اللغات في كلية سابينزا بروما ثمّ في كلية بروجاندا بأمر البابا كليمنت السابع. وعندما طلب منه اختبار بعض الوثائق الّتي وردت من أسبانيا وكان يظن أنها للقديس سانت جيمس، بيّن ماراكيوس أنها ليست لذلك القديس بل يمكن أن تكون من عمل بعض المسلمين الذين

---

(١) وقلنا الترجمة اللّاتينية الثانية بغض النظر عن ترجمة سكاليبه شرسييه (عربي ـ لاتيني) (١٥٧٩م) وترجمة جبرائيل الصهيوني (باريس) الجزئية (١٦٣٠م) وترجمة كريستسانوس رافوس (١٦٤٦م)، والّتي كتب فيها النصّ بالحرف العبري، ولم نذكرها بسبب عدم ذيوعها وانتشارها وتأثيرها على الترجمات الأُخرىٰ.

(*) وُلِدَ في لوكا بمقاطعة توسكاني، وهو *Ludovico Marraccio* أو *Ludovicus Marracius*، وذلك باللّاتينية ولويجي مراتشي بالايطالية ولودفيج بالألمانية ولويس مراتشي بالفرنسية ونطق كلمة مراكيوس والّتي تكتب أحياناً مراكشي وأحياناً مراتشي وجد فيه اختلاف. لذلك استعملت التسمية اللّاتينية ماراكيوس، وإذا وجد القارئ إحدى التسميات المذكورة فليعلم أنّها لنفس الشخص.

(طبعة روما ١٦٩٨م).

Volum I Prodromus ad refutationem Alcorani

Volum II Alcorani textus universus.........

exaravico idiomate in latinum traslatus.

.... auctore Ludovico Marracio. Patavii 1698.

أرادوا خداع المسيحيين. ممّا حدا بالبابا أنوسنتي الحادي عشر باختياره للعمل عنده وأسبغ ثقته الكاملة عليه. وكان يمكن أن يرفع لأعلى المناصب الكنيسية لولا تواضع ماراكيوس ورفضه للمناصب. وبتوجيهات من البابا شرع في ترجمة لاتينية جديدة للقرآن الكريم، وذلك للردّ على المسلمين وللجدل الديني. وعندما انتهىٰ من عمله بعد أربعين سنة كان قد سطر (عدّة مجلّدات) وفي هذه المجلدات كتب النصّ القرآني العربي علاوة على الترجمة اللّاتينية الحرفية، وفي هذه المرّة رقم الآيات ثمّ أتبع ذلك برأي المسلمين في شرحها، وأتبع ذلك بالنقد والرفض والهجوم الجدلي على القرآن الكريم.

وقد كانت لماراكيوس حرية الإستعانة بمكتبة الفاتيكان ومجموعات مكتبية أُخرىٰ كثيرة منها المجموعة المارونية ـ المجموعة الكارمالية، مكتبة الكاردينال كاميللي ماكسيميس، مكتبة إبراهيم الماروني وغيرها. وطبعت ترجمته أوّل مرّة في مدينة بدوا الإيطالية عام ١٦٩٨ ثمّ في ليبزج عام ١٧٢١ مع مقدّمة

→ (طبعة ليبزج ١٧٢١م).

Mohamedis filii Abdallae Pseudo - Prophetae Fides islamica i. e.

Al - Coranus ex idiomate arabico, quo primum a Mohammede conscriptus est, Latine Versus per Ludovicum Marraccium......

cura et opera M. Christiani Reineccii Lipsiae 1721.

ذكر دنيس روس في مجلة مدرسة الدراسات الشرقية ١٩٢١ ـ ١٩٢٣، ص ١١٧ ـ ١٢٣، أنّ المجلّدات ثلاثة وذكر النسخة المحفوظة في مركز البحوث للتاريخ والثقافة والفنون الإسلامية باستانبول والمطبوعة في بادوا عام ١٦٩٨ م مطبوعة في جزءين، أي أنّ المجلّدات الثلاث طُبعت في جزءين. وقد يكون سبب هذا الخلاف هو أن الجزء الأوّل من ترجمته طبع مرّتين والجزء الثاني مرّة واحدة، وقد اكتشف ذلك في مؤسسة هارتفورد للاهوت بالولايات المتحدة.

Duncan Brockway, The second edition of Vol. I of Marracci's Alcorani Textus Vniversus.

لكرستيان رنيشي.

كما شارك في ترجمة الإنجيل إلى اللغة العربية بمبادرة من مطران حلب عام ١٦٢٤ ونشرت في روما عام ١٦٧١م.

وإن كان للشر أن يقيّم فإنّه يمكن القول أن ترجمة ماراكيوس كانت أكثر رفضاً وتجريحاً من سابقتها، فهي أشدّ جدلاً وهجوماً على القرآن الكريم وأدق ترجمة وأوسع مصادر وأكثر عمقاً وخبثاً، فشتّان بين عمل يستمر أربعين سنة من عالم زاهد متمكّن من عدّة لغات شرقية، وتحت يده مكتبات الكنائس ومجموعات أُخرىٰ غنية بالكتب، وبين عمل روبرت من كيتون الفلكي الرياضي الّذي ترجم وسبّ وهاجم في سنة واحدة وليس عنده كل تلكم المراجع ولا المعرفة باللغات الشرقية. ولا شكّ أنّ تفنيداً استغرق أربعين سنة يكون أكثر شرّاً من سابقه.

وإذا كان لترجمة دير كلوني اللّاتينية الأُولى الأثر الأكبر على التراجم في اللّغات الأوربية خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، فإنّ ترجمة ماراكيوس كان لها الأثر الأكبر على التراجم في اللّغات الأوربية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وبقدر الفرق بين الترجمتين الأُولىٰ والثانية من الناحية الأكاديمية كان الفرق بين الترجمات الأوربية المتأثرة بالأُولىٰ والترجمات الأوربية المتأثرة بالثانية. فإذا قلنا بتفاهة ترجمة دي ريور، فيمكن إرجاع ذلك للمنبع الّذي أخذت منه وهي ترجمة كلوني، وإذا قيل انّ ترجمة جورج سال أكثر أكاديمية من ترجمات روس وتيلور فهذا بديهي فماراكيوس قدم له ترجمة أكثر دقة من سابقه. وهو نفس الفرق الّذي نجده في الألمانية بين ترجمة سلمون شفايجر (عن الكلوني) وترجمة دافيد نريتر (عن ماراكيوس) وان رجع الصدىٰ يطابق مصدر الصوت.

إنّ مقدمة ترجمة ماراكيوس تشبه مقدمة ترجمة بيتر الكلوني. فقد فصّل وجهة النظر المسيحية ونعى المسيحية إهمالها لمهاجمة الإسلام وجدّد الهجوم بطريقة أكثر إحكاماً وتقدماً من سابقه، والترجمة من الناحية اللغوية أدقّ من ترجمة الكلوني وأصبحت مصدراً لترجمة جورج سال الإنجليزية.

وإنّ روح النقد والشبهات اللّذين أثارهما ماراكيوس ليسا جديدين على الترجمات اللّاتينية فبعضها يصب في بعض.

وما سمّاه *Prodromus* في مقدّمة ترجمته، محاولاً أن يثبت أنّ الإسلام ونبيّ الإسلام لم يذكرا في الكتب السماوية وأنّ الإسلام لم يدعّم بالمعجزات مثل المسيحية، ويدافع عن الفكرة المسيحية في التثليث، وعن استحالة أن يفسد المسيحيون كتابهم بأيديهم، كما يدافع عن تشرذم المسيحية إلىٰ مذاهب كثيرة متعدِّدة بعكس الإسلام، كما يهاجم الإسلام متهماً إيّاه بالعنف والإغراق في الجنس.

أمّا ما سمّاه *Refutationes* والّذي ورد مع نصّ الترجمة آية بآية فإنّه لم يغادر شيئاً إلّا ونقده ويمكن القول أنّه قد جمع فيه كل ما قالته المسيحية في الإسلام. وقال ماراكيوس أنّه عندما سرد سيرة الرسول (ص)، ورجع إلى المصادر العربية فإن ذلك ليس لثقتي بهذه المصادر، ولكن عندما نحارب أعداء الدِّين، فإنّنا نهاجمهم بسلاحهم هم وليس بسلاحنا، لذا فإنّنا عندما ننتصر عليهم تكون سعادتنا أكبر.

أثر الترجمة اللّاتينية الثانية لماراكيوس:

بعد ظهور ترجمة ماراكيوس، قام دافيد نريتر بترجمته إلى الألمانية عام ١٧٠٣م نقلاً عن ماراكيوس. وكانت أوسع ترجمة انتشاراً نقلت عن ماراكيوس

هي الترجمة الإنجليزية لجورج سال[1] عام ١٧٣٤م. وإذا كانت ترجمة دي ريور هي رجع الصدىٰ لترجمة الكلوني اللّاتينية الأُولىٰ والّتي حملت ميكروب التهجم إلى اللّغات الأوربية، فإنّ ترجمة جورج سال كانت رجع الصّدىٰ لترجمة ماراكيوس، وكانت الأداة الّتي نقلت أفكاره إلى اللّغات الأوربية أيضاً.

ويمكن ملاحظة ذلك من الجدول التالي وفيه نرىٰ أن لكل من الترجمتين اللّاتينيتين تابع رئيسي[2] وزع تأثيرهما علىٰ باقي اللّغات الأوربية.

---

(١) جورج سال *George Sale* (١٦٩٧ ـ ١٧٣٦م).

وُلِدَ جورج سال في مقاطعة كنت حوالي عام ١٦٩٧، أبوه صاموئيل سال كان يعمل تاجراً في لندن، وتلقىٰ تعليمه في كنجز سكول في كانتر بري، ثمّ التحق كطالب بمعبد (*Inner Temple*) عام ١٧٢٠.

وفي نفس العام أرسل بطريرك أنطاكية سلمون نجري إلىٰ لندن ليحث جمعية تقدم المعرفة المسيحية الّتي أسّست (المعبد الأوسط *Middle Temple*) بالقيام بإصدار إنجيل باللّغة العربية لاستعمال السوريين المسيحيين، ويظن أن سلمون نجري كان أوّل من علّمه العربية كما أن ترجمان الملك ويدعىٰ داديشي *Dadichi* وهو يوناني من حلب كان يعلمه اللّغات الشرقية.

ومهما كان الكم الّذي تعلمه جورج من العربية فإنّه تقدّم للجمعية عارضاً خدماته ليكون مصححاً للإنجيل العربي المذكور، وسرعان ما أصبح مشرفاً على المشروع كله علاوة علىٰ أنّه أصبح محامياً للجمعية المذكورة.

زعم فوليتر في كتابه «القاموس الفلسفي» *Dictionaire Philosophique* أن جورج أمضىٰ خمسة وعشرين عاماً في بلاد العرب. وهذا الخطأ الّذي وقع فيه فوليتر والّذي لا دليل عليه على الاطلاق تؤكده مدة حياته فقد مات محموماً ولم يبلغ الأربعين من عمره. وظهرت ترجمته للقرآن الكريم عام ١٧٣٤م مع مقدمة مسهبة عن الدين الإسلامي حشاها بالإفك واللّغو والتجريح، وقد نقلها إلى العربية أمين الهاشم العربي وطبعت بالقاهرة عام ١٩١٣م، ومنذ ظهور ترجمته طُبعت حتى الآن ١٠٥ طبعة في لندن وشيكاغو وفيلادلفيا ونيويورك وبوسطن وباريس.

(٢) كذا في الأصل.

القرن	الترجمة اللاتينية	التابع الرئيسي	اللغات الّتي نقلت عن التابع الرئيسي
١٦ و ١٧	ترجمة دير كلوني	دي ريور (فرنسية)	الايطالية ـ الهولندية ـ الالمانية الفرنسية ـ الروسية
١٨ و ١٩	ترجمة ماراكيوس	جورج سال (إنجليزية)	الانجليزية ـ الفرنسية ـ اللاتينية الالمانية ـ الروسية ـ الهولندية الايطالية ـ الالبانية ـ البلغارية المجرية ـ التشيكية

وما أن انتشرت ترجمة جورج سال بالإنجليزية، حتىٰ تلتها ترجمة له بالفرنسية عام ١٧٥٠م، نقل عنها ك. سافاري عام ١٧٨٣م بالفرنسية، وكازيمرسكي عام ١٨٤٠م بالفرنسية، ثمّ أيضاً تيودور أرنولد عن سال بالألمانية عام ١٧٤٦م، ثمّ جورج سال بالروسية عام ١٧٩٢م، ثمّ سافاري بالروسية لمجهول عام ١٨٤٤م، ونيكولاييف عن سال وكازيمرسكي بالروسية عام ١٨٦٤م، ثمّ كولبيه في بتافيا بالهولندية عام ١٨٥٩م وجيوفاني بانزيري[1] بالايطالية عام ١٨٨٢م.

ثمّ فينسنت إدرتيز ديلابويبلا بالأسبانية عام ١٨٢٢م، ثمّ الوميتكو قافزيزي بالألبانية عام ١٩٢١م، فنيكولاس ليتزا عام ١٩٠٢، ١٩١٠م بالبلغارية، ثمّ تيموفوف بالبلغارية عام ١٩٣٠م، وهكذا نجد أن أفكار ماراكيوس قد حطّمت حاجز المكان والزمان وأخذت تزرق دماً فاسداً في

---

(١) شوفان يعتقد أن هذه الترجمة عن ك. سافاري وليس عن سال، وفي كلا الحالين فإنّ الأصل هو ماراكيوس.

ـ أوّل ترجمة مجرية *Szdmajer, lmre* عام ١٨٣١م مأخوذة عن ماراكيوس.

ـ يقول آرثر جفري ان أوّل ترجمة إلى اللغة التشيكية كانت عن ماراكيوس أيضاً وكانت لـ فيسلي إجناز عام ١٩١٣م *Vesly lgnac*.

رؤوس الأوربيين بشتى اللّغات كالوباء الّذي يستشري حتىٰ لا يجد ما يطحنه فينتقل إلىٰ مكان آخر أو يظهر بعد عدة سنوات.

ويقول جورج سال عن ترجمة ماراكيوس: «إن ترجمة ماراكيوس بصفة عامة مضبوطة ولكنها حرفية سهلة الفهم إن لم أكن قد خدعت بمن ليسوا علىٰ علم بدين محمّد. والشروح الّتي أضافها كانت ذات فائدة كبيرة ولا شكّ، ولكنّ ردّه ونقده للقرآن ضخّم عمله إلىٰ مجلّد كبير لا طائل منه وغير شاف وأحياناً خارج عن الموضوع.

وعموماً فالعمل بكل أخطائه كان مفيداً، وأشعر بالذنب وعدم العرفان بالجميل إن لم أعترف بفضله عليّ...».

أما ك. سافاري فيقول: «ماراكيوس هذا الراهب المثقف، والّذي أمضىٰ أربعين سنة في الترجمة والرد على القرآن، سار في ترجمته المسار الصحيح في تقسيم عمله إلىٰ ترجمة الآيات كما في النص الأصلي، غير أنّه ترجمها ترجمة حرفية، ونسي أنّ النص الّذي في يده عمل فريد غير عادي.

فهو لم يعبر عن معاني القرآن بل نقل الكلمات إلىٰ لغة لاتينية بربرية، وبعد أن فقد الأصل كل جماله فإن ترجمته ما زالت أفضل من ترجمة دي ريور».

هذه أقوال من استفادوا واعتمدوا علىٰ ماراكيوس في ترجماتهم، وعلى الرغم من ادعاء جورج سال بأن ترجمته كانت عن العربية إلّا أنّه يشعر بالذنب إن لم يعترف بفضل ترجمة ماراكيوس، كما أنّه يخشىٰ أن يكون قد خدعه مَنْ لا يعرفون دين محمد. وكأنّه كان هناك من يمده بالمعلومات عن العربية وهو غير متأكّد من تمام معرفتهم بها وخشي أن يكونوا قد ضلّلوه.

إنّ قائمة طبعات جورج سال طويلة في اللغة الإنجليزية وغيرها من اللغات، وأصبحت من العلامات الفارقة كما ذكرت.

ولا شكّ إن أخطأ الدليـل، ضلّ التابـع، وهذا مـا أحـدثـته الترجمـتان اللّاتينيتان، فقد اقتفت أوربا كلّها في شتىٰ لغاتها أثريهما، رغم ادعاء البعض بأنّه نقل عن العربية مباشرة غير أنّه يظهر رجوعه إلى الجذور اللّاتينية في ترجمـته وكما يتضح من الجدول أنّ اللّغات الأوربية علىٰ إطلاقها اعتمدت على الترجمات اللّاتينية إمّا مباشرة أو عن طريق لغة أوربية أُخرىٰ مثل الترجمة باللغة البلغارية ١٩٣٠م الّتي أخرجها المبشر الألماني أنرست ماكس هوبـه، الّتي أخذها عـن الألمانيـة عن الإنجليزية لـ (سال) عن الترجمة اللّاتينية لـ (مـاراكـيوس) عـن الترجمة العربية، ولا شك أن مثل هذه الرحلة الطويلة للكلمة القرآنية بين أيدي الرهبان والمبشرين ستلتوي وتُمزّق حـتىٰ إذا إذا وصـلت إلى اللـغة البـلغارية تعتبرها الكنيسة في ذلك الوقت نصراً سيوقف المسلمين في بلغاريا عن قـراءة النصّ القرآني العـربي، ويسـتعملون بدلاً عن المولود القميء الجـديد، وتـنـوّه الصحف البلغارية بذلك الانجاز فتقول: «لقد فعلها ذلك الألماني هوبه، وسنفصل المسلمين عن قرآنهم بترجمتنا البلغارية الجديدة».

إنّ أكثر ما يثير السخرية أن ترجمة جورج سال بعد أن انتشرت وذاعت قامت البعثات التبشيرية البروتستانتية بترجمتها إلى العربية في مصر تحت اسم «مقالات في الإسلام»[1].

وكيف تكون هذه الترجمة بعد هذه الرحلة الطويلة من العربية إلى اللّاتينية فالإنجليزية فالعربية.

---

(١) *S.M. Zwemmer, Translations of the Koran, The Moslem World, Vol. (1916) 244 - 261p.*

ـ لقد ترجمت ترجمة جورج سال إلى العربية بواسطة البعثات البروتستانتية التبشيرية في مصر عن:

The encyclopaedia of lslam. New Edition vol. V Leiden (1981).

ولم يسمع أن مسلماً قام بترجمة الإنجيل إلى العربية أو إلىٰ أي لغة أُخرىٰ. فالعداء والكراهية والفهم الخاطئ المقصود أو النابع عن الجهل لم يكن من جانب المسلمين وإنّما كان من جانب النصارىٰ.

فلماذا يا ترىٰ يحاول الأوربيون ترجمة القرآن الكريم مرّة بعد أُخرىٰ ودون توقّف منذ ٥٤٨ عاماً؟ هل شعروا بتحدِّي القرآن الكريم لهم؟

قد تكون أوّل ترجمة لاتينية كلونية كانت حباً للإستطلاع وفضولاً أثاره الفزع من الفتح الإسلامي، ولكن هذا الطوفان من التراجم الّذي ما زال يترىٰ حتى الآن، مع ملاحظة أنّ الترجمة ليست بالعمل الهيِّن المُسلِّي، ويـزداد الأمـر صعوبة واستحالة مع نص معجز كالقرآن الكريم.

فـما سـبب هذا الإصرار يا ترىٰ؟ أترك هذا التسـاؤل أمـانة في أعـناق الدارسين، ليكشفوا لنا ماذا يراد بالمسلمين وبقرآنهم.

النتيجة:

يمكن القول بأن الترجمات الأوربية قد مرت بعدة مراحل متداخلة:

١ ـ من القرن الحادي عشر حتّى الثامن عشر:

أ ـ مرحلة الترجمة من العربية إلى اللّاتينية (بذرة الاستشراق).

ب ـ مرحلة الترجمة من اللّاتينية إلى اللّغات الأوربيـة (أكثر الترجمـات سوءاً).

٢ ـ في العصر الحديث:

(ج) مرحلة الترجمة من اللغة العربية مباشرة إلى اللّغات الأوربية بواسطة المستشرقين واضرابهم بعد أن اشتد ساعد الاستشراق وعرف العـربية ودرس كتبها.

(د) مرحلة دخول المسلمين مؤخّراً في ميدان الترجمة إلى اللّغات الأوربية مع ليبرالية العصر والنظرة العلمية المجرّدة لموضوع الترجمة بصرف النظر عن مشاعر المترجم الدينية إن لم يكن مسلماً.

وفي المرحلة الأخيرة فقط يمكن القول بأن هناك بعض الترجمات القليلة تعد علىٰ أصابع اليد الواحدة في ترجمات اللّغات الأوربية مجتمعة، والّتي زادت علىٰ ٤٥٠ ترجمة كاملة غير مئات من الترجمات الجزئية، الّتي يمكن القول بأنها علىٰ شيء من الموضوعية.

والتقسيم السابق يبيّن المراحل الّتي مرّت بها الترجمات في البلدان الأوربية وذلك بدءاً بالترجمة اللّاتينية الأُولى الّتي أشعلت الفتيل.

ولكن هناك تقسيم آخر يمثل وجهة النظر المسيحية اللّاتينية.

فقد مرت الترجمات والكتابات المسيحية المختلفة عن القرآن الكريم بعدة مراحل:

(أ) من عام (١١٠٠ ـ ١٢٥٠م) وفيها ترجم القرآن الكريم إلى اللّاتينية كما سبق، وفي هذه الفترة زاد الاهتمام بدراسة الإسلام بين الرهبان والدارسين.

(ب) من عام (١٢٥٠ ـ ١٤٠٠م) بدأ تراجع الحملات الصليبية واندحارها، ممّا حدا بالكنيسة بأن تزيد من نغمة العداء للإسلام حفاظاً علىٰ شعلة الصليبية متأجّجة، وتعويضاً عن التراجع، ويمكن ملاحظة ذلك في كتاباتهم خلال هذه المدّة.

(ج) من عام (١٤٠٠ ـ ١٥٠٠م) خمدت جذور التحريض إلىٰ حين ثمّ استعرت وتأججت مرة أُخرىٰ عام ١٤٥٣ وهو عام فتح القسطنطينية الّذي نكأ الجروح وأيقظ الحقد الصليبي مرة أُخرىٰ بعد أن هدأ قليلاً بعد انهزاماته في حروبه الصليبية.

ومنذ الترجمة اللّاتينية الكلونية الأُولىٰ والمسيحية تعيش في وهم اكتشفوه بعد اطِّلاعهم على القرآن الكريم. فقد وجدوا أنّ المسلمين يؤمنون بعيسىٰ وموسىٰ ومريم وإبراهيم وآدم وحواء، وأنّ هناك كثيراً من التشابه بين الإسلام والمسيحية، وأنّ الإسلام ما هو إلّا صورة مشوهة من المسيحية (كذا).

ومن هذا المنطلق، فإنّه من الممكن بدراسة القرآن وتنقيته ممّا شابه من انحرافات عن المسيحية فإنّه يمكن العودة بالمسلمين إلىٰ حظيرة المسيحية.

وقد ظهرت هذه الفكرة بصورة واضحة في كتابات نيقولاس الكوزي وخاصّة في كتابه «تنقية القرآن *Cribratio Alcorani*» وقد اعتمد في كتاباته هذه على الترجمة اللّاتينية المحفوظة في دير كلوني في ذلك الوقت والمحفوظة حالياً في مكتبة الأسينال في باريس وممهورة بتوقيع المترجم *Bibliotheque de L Arsenal - Paris*.

كما اعتمد أيضاً علىٰ كتابات أُخرىٰ كثيرة ظهرت عن القرآن الكريم أهمّها كتابه «ريكولدوس الفلورنسي الدومينيكاني» *Ricoldus of monte Crusis* بعنوان *Propunaculum fidei* والمطبوع في فينسيا عام ١٦٠٩م.

وتحت تأثير هذا المفهوم، وهو أنّ المسلم هو قاب قوسين أو أدنىٰ من المسيحية، تجرّأ البابا بيوس الثاني، فأرسل رسالة للسلطان محمّد الثاني يدعوه إلى النصرانية ويصبح خليفة لأباطرة بيزنطة.

ولمّا لم يكلف السلطان خاطره بالرد علىٰ هذه الدعوة أخذ الخيال يداعب الداعي باقتراب نصر سهل في الشرق بعد الكارثة الّتي حاقت بحروبهم الصليبية.

وفي النهاية فإنّه يمكن القول بأن ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة اللّاتينية لغة الكنيسة وبأيدي رجالها لم تكن عملاً أكاديمياً أثاره حبّ الإستطلاع فقط بل كانت عن سابق تخطيط وترصد احتاج إلىٰ تنفيذه إرسال البعثات لسنين

عديدة لدراسة العربية ثمّ اعتكاف طويل للترجمة بتوجيهات أعلىٰ سلطة دينية مسيحية وبمساعدة وإشراف رئيس رهبان أكبر رهبانية في ذلك الوقت وأقصد بها رهبانية كلوني، والأخطر من هذا هو البحث عمّا ظنّوه اختلافاً أو أخطاء أو ما شابه من الظنون، فكان الردّ على القرآن والطّعن فيه أهم عندهم من الترجمة، حتىٰ أنّ ماراكيوس في طعنه للقرآن كان جادّاً في استكمال مطاعنه وردوده الّتي فاقت ترجمة سابقيه وردودهم، وأشار إليها جورج سال مشمئزاً ممّا حوت مفضّلاً عليها موضوعية مهذّبة ماكرة قد تكون أفضل في التعامل مع المسلمين.

قال هذا الماكر في مقدّمة ترجمته:

إنّي لم أسمح لنفسي عند التحدث عن محمّد أو قرآنه أن أستعمل السباب المشين والتعبيرات اللاأخلاقية والّتي ظنّها الكثيرون ممّن كتبوا ضدّه أنّها أقوىٰ أُسلوب للمجادلة.

ولكن العكس هو الصحيح، فقد وجدت أنّه من الملائم معالجة الموضوع بالحكمة والأدب بل والموافقة على الأساسيات الّتي أعتقد أنها تستحق الموافقة، كمدى الجريمة الأبدية الّتي ارتكبها بفرضه ديناً مزيفاً على البشرية... جورج سال (١٨٧٤).

خاتمة:

لقد ترجم القوم كتاب الله العزيز وحرّفوا وهاجموا ونقدوا ورفضوا وأثاروا الشبهات وما زالوا. كل ذلك ليس في لغة واحدة بل في عشرين لغة ونيف.

فما هو موقفنا من كل ذلك، وماذا يجب علينا أن نفعله إزاء هذا الهجوم؟ هل نترك الحبل علىٰ غاربه لكل من أمسك قلماً ليعتدي علىٰ كتاب ربّ العالمين ونحن بما يجري إمّا غافلون أو جاهلون؟

لقد أقامت الترجمات اللّاتينية وتوابعها سداً بين الأوربيين وبين المعاني

الصافية للقرآن الكريم وأورثتهم عداوة وكرهاً شديداً للإسلام والمسلمين.

وقد آنَ الأوان أن نأخذ بزمام المبادرة ونبلِّغ ونبيِّن للعالم ما عندنا من هداية ونور[1].

المراجع العربية:

١ ـ المجلّة المغربية للتوثيق والمعلومات ـ العدد الثالث، تونس، مارس ١٩٨٥م.

٢ ـ لويس يونغ، العرب وأوربا، ترجمة ميشيل أزرق، دار الطليعة، بيروت ١٩٧٩م.

٣ ـ جوزيف رينو ـ الفتوحات الإسلامية في فرنسا وإيطاليا وسويسرا في القرون الثامن والتاسع والعاشر الميلادية ـ تعريب وتعليق الحواشي وتقديم د. إسماعيل العربي ـ دار الحداثة بالتعاون مع ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر ـ ١٩٨٤م.

٤ ـ بلاشير، القرآن: نزوله وتدوينه وترجمته وتأثيره، نقله إلى العربية: رضا سعادة ـ دار الكتاب اللبناني ـ بيروت.

REFERENCES:

1 - Beeston, A. F. L., Johnstone, T. M., Sergent, R. B. & Smith G. R., The Cambridge history of Arabic literature - Arabic literature to the end of the Umayyed period., Cambridge University press, pps. 502 - 520, first ed., cambridge, 1983.

---

١) انتهىٰ ما نقلناه بتصرّف من مقال للدكتور حسن المعايرجي في مجلة المسلم المعاصر، العدد ٤٨، السنة ١٤٠٧هـ، لبنان، بيروت، ص ٥٣ ـ ٩٠، تحت عنوان «الترجمات اللّاتينية الأولىٰ للقرآن الكريم وتأثيرها على الترجمات باللّغات الأوربية».

2 - Brill, E. J., Encyclopaedia of Islam, V pps, 429 - 432, Leiden 1981.

3 - Brockway, D., The second edition of volum l of Marracci Alcorani, Textus universus, M, W. Vol. 64 (1974) 141 - 144p.

4- sale, George The Koran, Philadelphia, J. B. Lippincoff & Co. 1874.

5 - Moslem World Vol. 55 (1965). 195 - 202 p.

6 - Kritzek, J. Peter the venerable and Islam, inceton, 1944.

7 - Ross, D. , Ludvico Marraci, in SOS, ii, 117 - 123 p. , (1921 - 1923).

8 - Kritzeck, J. Robert of Ketton's translation of the Qur'an, islamic Quarterly, Vol. ll, 309 - 312p. (1955).

9 - Daniel, N. , lslam and the west, the making of an image, Edinburgh, 1960.

10 - Shellabear, W.G. ,Is Sale's Koran reliable ? M. W. , xxl (1931), 126 - 142.

11 - The Koran in Slavonic, The New York public library, N. W. 1937.

12 - Work Bibliography of translations of the meanin of the Holy Qur'an - printed translations - (1515 - 1980), Research Centre for Islamic History Art and Culture, Istanbul 1980.

13 - The Oxford Dictionary of Popes, by J. N. D. Kelly, Oxford University press, New York, 1986.

14 - W. Montgomery Watt, The influence of Islam on Medievel Europe, Edinburg University press, 1972.

15 - Haroon Khan Sherawi, Muslim Colonies in France, Northern Italy and Switzerland, Lahore 1955, Orientalia.

16 - Du Ryer, A. L'Alcoran de Mahomet, traduit de L'Arabe, pub. ; Chez pierre Mortier, Amsterdam, 1734.

17 - Muhammed Hamiduallah, Le Saint Coran,pub. ; Hilal yayinlari, Ankara 8 eme ed. Beyrouth 1973.

18 - The New Encyclopeadia Britanica, Roman Catholiciasm & History of Roman Catholicism, 900 - 1020 p.

* * *

إنتهت أيام تلكم الحروب العدوانية على القرآن الكريم بمراودة الشرقيين والغربيين ومعاشرة بعضهم مع بعضهم الآخر بالإضافة إلىٰ كتابات مستشرقين أمثال المستشرق هاملتون جب والسير ادوارد دونون روز وغيرهما، ويقول المثل العربي: حبل الكذب قصير، أضف إليه أنّه لم يكن أي أثر لأكاذيبهم وافتراءاتهم على المسلم الشرقي. لهذا وذاك قاموا بدراسات واسعة وعميقة لأنواع مصادر الدراسات الإسلامية فوجدوا ضالّتهم المنشودة في بعض الكتب وبعض الروايات وبعض الإجتهادات الخاطئة من علماء المسلمين، فاستفادوا منها وأشادوا بذكرها ونشروها في بلاد المسلمين، كما ندرس بعضها في ما يأتي بإذنه تعالىٰ:

أوّلاً ـ المستشرق الإنجليزي د. آرثر جفري

الّذي طبع كتاب المصاحف لابن أبي داود (ت: ٣١٦) في مصر سنة ١٣٥٥هـ، وكتب في مقدمة الكتاب ما يلي:

(نتقدّم بهذا الكتاب للقرّاء علىٰ أمل أن يكون أساساً لبحث جديد في تاريخ تطوّر قراءات القرآن. نشر في أيامنا هذه علماء الشرق كثيراً ممّا يتعلق بتفسير القرآن وإعجازه وأحكامه ولكنهم إلى الآن لم يبيّنوا لنا ما يستفاد منه التطوّر في قراءاته، ولا ندري على التحقيق لماذا كفّوا عن هذا البحث في عصر له نزعة خاصة في التنقيب عن تطور الكتب المقدّسة القديمة وعمّا حصل لها من التغيّر[1] والتحوير ونجاح بعض الكتاب فيها.

فمَن منا يجهل مبلغ سرور علماء الغرب حين أن عثروا علىٰ بعض القطع القديمة من القرطاس والبردي الّتي حفظت لنا آيات وأسفاراً من التوراة أو الإنجيل كانت بفضل رمال مصر محفوظة من البلاء والدثور مع طول الزمن. ولا يخفىٰ على المطّلع أن علماء النصارىٰ وعلماء اليهود قد جدّوا منذ جيلين في طلب تحقيق تاريخ الإنجيل والتوراة وأنّهم فازوا بنتائج باهرة كان لها أثر عظيم في تفسير هٰذين الكتابين وتأويلهما، وأمّا القرآن فلم نجد شيئاً من هذه الأبحاث فيه سوىٰ كتاب واحد بسيط وهو كتاب تاريخ القرآن لأبي عبدالله الزنجاني الّذي طبع حديثاً في مصر.

أدّىٰ هذا الفحص في الغرب كما هو معلوم إلى التنازع والخصام بين المتمسّكين بالنقل وبين المتمشّين مع العقل، أو بعبارة أُخرىٰ أوضح بين أهل

---

(١) كذا في النص.

النقل وبين أصحاب هذه الأبحاث، فقال أهل النقل من اليهود والنصارىٰ إنّ هذا البحث التحليلي وكل فحص في تاريخ الكتاب المقدس ليس إلّا طعناً في الدين، ونسبوا إلىٰ هؤلاء الباحثين عدم الإيمان، وزعموا أنّهم لا يريدون شيئاً غير التشكيك والزندقة والإلحاد، ولكن آراء المفكرين ـ أصحاب هذه المباحث ـ قد ذاعت الآن وانتشرت حتىٰ طغت علىٰ آراء غيرهم ممن يتمسكون بالنقل، فأنت ترى الآن أكثر علماء اليهود وعلماء النصارىٰ يتبعون في أبحاثهم وتدريسهم طريقة هذا البحث التحليلي ولو خالف هؤلاء في بحثهم أهل النقل والطريقة القديمة.

وإذا تبيّنا أصل الإختلاف بينهما وجدناه في غير النص الموجود بين أيدينا الآن، فأمّا أهل النقل فاعتمدوا علىٰ آراء القدماء وعلىٰ هذه التخيّلات الّتي ورثوها عن آبائهم وأجدادهم والّتي نقلها العلماء من دور إلىٰ دور، وإذا ما وجدوا بين هذه الآراء خلافاً اختاروا واحداً منها، وقالوا إنّه ثقة وغيره ضعيف أو كاذب. وأمّا أهل التنقيب فطريقتهم في البحث أن يجمعوا الآراء والظنون والأوهام والتصوّرات بأجمعها، ليستنتجوا بالفحص والإكتشاف ما كان منها مطابقاً للمكان والزمان وظروف الأحوال معتبرين المتن دون الاسناد يجتهدون في إقامة نص التوراة والإنجيل كما أُقيم نص قصائد هوميروس أو نص رسائل أرسطو الفيلسوف.

بدأ نولدكه (*Noldeke*) الألماني باستعمال طريقة البحث هذه في نص القرآن الشريف في كتابه المشهور الجليل المسمّىٰ: تاريخ القرآن. نشر هذا الكتاب سنة ١٨٦٠م وهو الآن أساس كل بحث في علوم القرآن في أوربا، ولم يكن في وسع نولدكه أن يقوم بالطبعة الثانية من كتابه ففوض ذلك إلىٰ تلميذه شوالي (*Schwally*) الّذي ضم إليه نتائج التدقيقات الحديثة، وتوفّي شوالي في أثناء عمله فأخذ برجشتراسر (*Bergstrasser*) في تكميله، وبعد موت برجشتراسر أتمّ تلميذه برتزل (*Pretzl*) طبع الكتاب. ولما ظهرت الطبعة الأُولىٰ من كتاب

نولدكه تجنّىٰ عليه بعض أصحاب النقل في الشرق، واتهموه بالطعن في الدين، وزعموا أن الذين يتتبّعون هذ الطريقة ليسوا خالين من المحاباة في أبحاثهم مع أن انصافهم وصدق نيّتهم وعدم محاباتهم ظاهر ويتبين من كتبهم أنّهم لا يرومون إلّا الكشف عن الحق، وكان عيبهم الوحيد في أعين أهل النقل أنّهم يعتبرون المتن دون الاسناد ويختارون من آراء القدماء ما يطابق ظروف الأحوال من أسانيد متواترة كانت أم ضعيفة، فكثيراً ما تناقض نتائج أبحاثهم بهذه الطريقة تعليم أهل النقل الّذي قد عرف بين العلماء من زمن بعيد.

ولمّا كان في إيضاح كل ما قالوه إطالة لمقدّمتنا هذه المراعىٰ فيها الإختصار بقدر الامكان فنكتفي بعرض بعض نتائج أبحاثهم إفاده: للقراء ومثالاً ينسج عليه الباحثون، ونذكر أهمّ هذه النتائج في ما يأتي:

١ ـ لمّا قبض النبيّ (ص) لم يكن في أيدي قومه كتاب ـ قيل إنّ النبيّ (ص) كان كلّما نزلت عليه آيات أمر بكتابتها وكان يعرض علىٰ جبريل مرّة في كلّ سنة ما كتب من الوحي في تلك السنة وعرضه عليه مرّتين سنة موته، وهكذا جمع القرآن كله في حياة النبي (ص) في صحف وأوراق، وكان مرتباً كما هو الآن في سوره وآياته إلّا أنّه كان في صحف لا في مصحف، وهذا الرأي لا يقبله المستشرقون لأنّه يخالف ما جاء في أحاديث أُخرىٰ أنّه قبض (ص) ولم يجمع القرآن في شيء، وهذا يطابق ما روىٰ من خوف عمر بن الخطاب وأبي بكر الصديق لما استحر القتل بالقرّاء يوم اليمامة وقالا إنّ القتل استحرّ بقرّاء القرآن ونخشىٰ أن يستحرّ القتل بالقرّاء في المواطن كلّها فيذهب قرآن كثير، ويتبين من هذا أن سبب الخوف هو قتل القرّاء الذين كانوا قد حفظوا القرآن، ولو كان القرآن قد جُمع وكُتب لما كانت هناك علة لخوفها، وفضلاً عن ذلك فان علماء الغرب لا يوافقون علىٰ أن ترتيب نص القرآن كما هو اليوم في أيدينا من عمل النبيّ (ص).

٢ـ اختلاف مصاحف الصحابة ـ روىٰ أنّ غير واحد من الصحابة جمع القرآن في مصحف ومنهم عليّ بن أبي طالب، وأُبّي بن كعب، وسالم مولىٰ حذيفة، وعبدالله بن مسعود، وأبو موسى الأشعري، وعبدالله بن الزبير، وأبو زيد، ومعاذ ابن جبل، وغيرهم. وزعم بعض الكتبة ان المراد بالجمع في هذا الحديث الحفظ، ولكنا لا نوافق علىٰ قولهم هذا لأنّ عليّاً حمل ما جمعه علىٰ ظهر ناقته وجاء به إلى الصحابة، وسمى الناس ما جمعه أبو موسىٰ «لباب القلوب»، وحرق عثمان ما جمعه أُبيّ، وأبىٰ عبدالله بن مسعود أن يقدم ما جمع من القرآن إلىٰ عامل عثمان بالعراق، ويلزم علىٰ هذا أنّ ما جمعوه كان مخطوطاً في مصاحف. وكان كل مصحف من هذه المصاحف مصحفاً خاصاً بصاحبه جمع فيه ما عثر عليه من السور والآيات. أما المصحف الّذي كتبه زيد بن ثابت لأبي بكر الصديق فكان أيضاً في رأي المستشرقين مصحفاً خاصاً لا رسمياً كما زعم بعضهم. وكانت هذه المصاحف يختلف بعضها عن بعض، لأنّ كل نسخة منها اشتملت علىٰ ما جمعه صاحبها وما جمعه واحد لم يتفق حرفياً مع ما جمعه الآخرون.

٣ـ أخذ مصاحف بعض الصحابة مقاماً يعتد به في الأمصار ـ لما نشأت الأمصار الإسلامية بعد فتح الشام والعراق كان كل فريق من الناس يحتاج إلىٰ نسخة من القرآن الّذي هو أصل دينهم وحكمهم وعاداتهم الإجتماعية، فاتفق أهل الكوفة علىٰ مصحف ابن مسعود، وأهل البصرة علىٰ مصحف أبي موسى الأشعري، وأهل دمشق علىٰ مصحف المقداد بن الأسود، وأهل الشام علىٰ مصحف أُبيّ بن كعب. وكانت هذه المصاحف يخالف بعضها بعضاً، ولما اجتمع أهل العراق وأهل الشام لغزو مرج أذربيجان كانوا يتنازعون في القراءات حتىٰ أنكر بعضهم علىٰ بعض ما كان يقرأه من غير مصحفه زاعماً أنّه ليس من القرآن، فنشأ عن ذلك الجدل والنزاع، وكان كل هذا من تمسّك كل منهم بالمصحف المقروء في مصره.

٤ـ جمع عثمان الناس علىٰ حرف واحد ـ روىٰ أن حذيفة بن اليمان كان مع الجنـود في فتح أذربيجان وسمع ما كان بين الناس مـن الجـدل والنزاع في قراءاتهم فركب إلىٰ عثمان بن عفان وقال له: يا أمير المؤمنـين! أدرك هذا القوم قبل أن يختلفوا في القرآن اختلاف اليهود والنصارىٰ، فوقف عثمان بـين النـاس وقال: من بيده شيء من كتاب الله فليأت به، فأتـوا بما عـندهم عـلىٰ عسب وأكتاف وأوراق وصحف وما عدا ذلك، وأرسل إلىٰ زيد بـن ثـابت وأعـد له رهطاً من أهل قريش وأمرهم بأن يجمعوا القرآن في مصحف، فجمعوا القـرآن من الصحف ومن شقف مخطوطة ومن صدور الناس، وكانوا لا يتقبلون شيئاً إلّا إذا شهد له شاهدان، وقيل إن عثمان أرسل إلىٰ حفصة أن ترسل إليه الصحف الّتي نسخها زيد بن ثابت بأمر أبي بكر الصديق فكانت هذه الصحف مصدر نـص مصحف عثمان الجديد، ولمّا فرغوا من جمع هذا المصحف وكتابته جعلوه مصحفاً رسمياً. وبعث عثمان بنسخ منه إلى الأمصار وأمر باحراق ما عداها من صحف أو مصاحف.

وزعم بعض العلماء أنّ عثمان إنّما أخذ من حفصة النص الرسمي الّذي كتبه زيد بن ثابت لأبي بكر ونسخ هذا النص الرسمي بلغة قريش لأن العرب كانوا يقرأون القرآن بلغات مختلفة، وقال آخرون ان عثمان إنما أتم ما ابتدأ به عمر بن الخطاب من جمع القرآن، ونحن نرتاب ونشك في هذين الرأيين لأن ما أدى إليه بحثنا في أحاديث جمع القرآن هو أن اختلاف مصاحف الأمصار كان سبباً في أن عثمان أمر زيد بن ثابت بتأليف ما في أيدي أهل المدينة من القرآن لا عـلىٰ أن يكون هذا الجمع والتأليف مصحفاً لأهل المدينة فقط كما كانت نسخة ابن مسعود مصحفاً لأهل الكوفة ونسخة أبي موسىٰ مصحفاً لأهل البصرة، بل جمعه ليكون المصحف الرسمي لجميع أمصار الإسلام.

٥ـ خلو مصحف عثمان من النقط والشكل ـ وجد القرّاء في المـصاحف

الّتي بعثها عثمان للأمصار اختلافاً في بعض الحروف، فكان في مصحف الكوفة «عملت» وفي غيره «عملته» وكذلك في مصحف الشام «وبالزبر» وفي غيره «والزبر»، وفي مصحف المدينة ومصحف الشام «فلا» وفي غيرها «ولا» ومثل ذلك. وكانت هذه المصاحف كلها خالية من النقط والشكل، فكان على القارئ نفسه أن ينقط ويشكل هذا النص علىٰ مقتضىٰ معاني الآيات، ومثال ذلك «علمه» كان يقرأها الواحد «يُعَلِّمُهُ» والآخر «نُعَلِّمُهُ» أو «تُعْلِمُهُ» أو «بِعِلْمِهِ» الخ علىٰ حسب تأويله للآية، فكان حينئذ لكل قارئ اختيار في الحروف وكذلك اختيار في الشكل أيضاً، وفضلاً عن ذلك فقد وقع اختيار بعض القرّاء، كما يتبين ذلك من كتب القراءات، علىٰ كثير ممّا كان في المصاحف الّتي منع عثمان استعمالها. ثمّ بعد ذلك ظهرت بالتدريج في كل مصر من الأمصار قراءة كانت مشهورة معهودة في ذلك البلد وتبعها الناس دون غيرها. فظهرت قراءة أهل الكوفة وقراءة أهل البصرة وقراءة أهل الشام وقراءة أهل حمص وقراءة أهل مكة وقراءة أهل المدينة، وهي اختيار القرّاء المشهورين من هذه الأمصار.

٦ ـ قوّة اختيار بعض القرّاء ـ واتفق بعد حين أن قد قوي اختيار بعض القرّاء دون البعض في هذه الأمصار المذكورة، فصار اختيار هؤلاء القرّاء في ما بعد قاعدة قراءة أهل مدنهم، وأسّس القرّاء اختيارهم علىٰ مبادئ ثلاثة: الأوّل أن تكون القراءة موافقة لنصّ المصحف العثماني، الثاني أن تكون روايتها من الصحابة، الثالث أن تكون مطابقة للعربية. أخيراً في سنة ٣٢٢ اقترع بينها العلّامة أبو بكر بن مجاهد، أعلم أهل عصره في علم القراءات، ورجح اختيار القرّاء السبعة، وهم نافع من أهل المدينة، وابن كثير من أهل مكة، وابن عامر من أهل الشام، وأبو عمرو من أهل البصرة، وعاصم وحمزة والكسائي من أهل الكوفة، بناءً على الحديث المشهور أن النبي (ص) قال: أُنزل القرآن علىٰ سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسّر منه. ولم يقبل جميع العلماء اختيار ابن مجاهد، فاستحسن

بعضهم قراءة أبي جعفر المدني وآخر قراءة يعقوب البصري أو قراءة خلف الكوفي، وحتى الآن يعتمد كثير من العلماء قراءة القرّاء العشرة ويثبتون أن كل قراءة رويت عن العشرة هي قراءة متواترة.

٧ـ ترجيح وتصميم قراءة حفص ـ لكل من القرّاء العشرة رواة كثيرون فانتخب الناس بعد حين من مجموع روايات الرواة روايتين لكل قارئ، فاستحسنوا من روايات رواة نافع رواية ورش ورواية قالون، ومن روايات رواة ابن كثير رواية البزي ورواية قنبل، ومن روايات رواة ابن عامر رواية ابن ذكوان ورواية هشام، ومن روايات رواة أبي عمرو رواية الدوري ورواية السوسي، ومن روايات رواة عاصم رواية حفص ورواية أبي بكر، ومن روايات رواة حمزة رواية خلف ورواية خلاد، ومن روايات رواة الكسائي رواية الدوري ورواية الحارث، وكذا من روايات رواة أبي جعفر رواية ابن جماز ورواية ابن وردان، ومن روايات رواة يعقوب رواية روح ورواية رويس، وبعد ذلك لم يعتمدوا القراءة إلّا إذا كانت من هذه الروايات المختارة. واستمرت هذه الروايات معمولاً بها في كل عصر إلىٰ أن فاقت ثلاثة منها علىٰ غيرها؛ وهي رواية الدوري عن أبي عمرو البصري، ورواية ورش عن نافع المدني، ورواية حفص عن عاصم الكوفي. ثمّ نشرت رواية حفص حتىٰ تغلبت علىٰ رواية الدوري كافة وتغلبت أيضاً علىٰ رواية ورش إلّا في المغرب، فبقيت رواية حفص عن عاصم الكوفي القراءة المشهورة المستعملة في أيامنا في أكثر بلاد العالم الإسلامي.

هذا في رأي المستشرقين تاريخ تطور في قراءات القرآن من بدء المصاحف المختلفة في أيام الصحابة إلى المصحف الرسمي العثماني، ومن وقت حرية الاختيار في الروايات إلىٰ أن اعتمد العلماء رواية رسمية من روايات الرواة الكثيرة المختلفة، وقد حققوا أن نتيجة بحثهم هذه أقرب فهماً للأحاديث المختلفة والروايات المتناقضة وأكثر موافقة لأحوال القرون الأُولىٰ وحوادثها. فبناءً علىٰ هذا نرىٰ

ستة أطوار في تاريخ تطوّر قراءات القرآن وهي:

(١) طور المصاحف القديمة.

(٢) طور المصاحف العثمانية الّتي بعث بها للأمصار.

(٣) طور حرية الاختيار في القراءات.

(٤) طور تسلط السبعة أو العشرة.

(٥) طور الاختيار في روايات العشرة.

(٦) طور تعميم قراءة حفص وهو طور النسخ المطبوعة.

ولا يخفىٰ على القارئ أن نتيجة هذه الأبحاث لا تتفق وما عليه المسلمون من تاريخ القرآن، ولا يهمنا في بحثنا هذا كونه حقاً أو باطلاً وإنّما المهم هو بيان ما وصلنا إليه بعد التحري والتنقيب، فإذاً يجب علينا أن ندقق في دراسة كل طور من هذه الأطوار لتحل المسائل الكثيرة المتعلقة بكل واحد منها لا سيما الطّور الأوّل والطّور الثالث، وبالأخص لنجمع ما بقي من حروف المصاحف القديمة الّتي تقدمت مصحف عثمان، وأن نبحث عن رسم المصاحف العثمانية، وأن نجمع القراءات الّتي عرفت من زمن الاختيار، وأن نكشف عن النص الأصلي لكلٍّ قارئ من القرّاء السبعة أو العشرة، وأن نلم بجميع القراءات المنسوبة إلىٰ رواة القرّاء العشرة. ثم بعد ذلك نسأل متىٰ وكيف ولماذا اختير لكل منهم روايتان من روايات رواتهم الكثيرة، وكيف ظهرت رواية حفص علىٰ روايات أصحابه؟ ونظرة قصيرة في كتاب المصاحف لابن أبي داود تمكننا من الوصول إلى أول مراتب هذا البحث.

كتاب المصاحف

كتب غير واحد من أهل السّلف كتباً وصفوا فيها المصاحف القديمة لا سيّما تلك المصاحف الّتي أبطلها عثمان حينما بعث بمصحفه الرسمي للأمصار، ومن هذه

الكتب كتاب اختلاف مصاحف الشام والحجاز والعراق لابن عامر (المتوفىٰ: ١١٨)، وكتاب اختلاف مصاحف أهل المدينة واهل الكوفة وأهل البصرة عن الكسائي (المتوفىٰ ١٨٩)، وكتاب اختلاف أهل الكوفة والبصرة والشام في المصاحف للفرّاء البغدادي (المتوفىٰ ٢٠٧)، وكتاب اختلاف المصاحف لخلف بن هشام (المتوفىٰ ٢٢٩)، وكتاب اختلاف المصاحف وجامع القراءات للمدائني (المتوفىٰ ٢٣١)، وكتاب اختلاف المصاحف لأبي حاتم (المتوفىٰ ٢٤٨)، وكتاب المصاحف والهجاء لمحمد بن عيسى الأصبهاني (المتوفىٰ ٢٥٣)، وكتاب المصاحف لابن أبي داود (المتوفىٰ ٣١٦)، وكتاب المصاحف لابن الأنباري (المتوفىٰ ٣٢٧)، وكتاب المصاحف لابن اشته الأصبهاني (المتوفىٰ ٣٦٠)، وكتاب غريب المصاحف للورّاق، ولم يصل إلينا من هذه الكتب إلّا كتاب المصاحف لابن أبي داود السجستاني ابن الإمام أبي داود المحدث المشهور صاحب كتاب السنن، ولما كانت هذه المقدمة لكتاب المصاحف لابن أبي داود كان حقاً علينا أن نلمح إلىٰ شيء من تاريخ حياته.

ثمّ أورد تاريخ حياته وجاء فيها قوله:

(ولد عبدالله بن سليمان الأشعث أبو بكر بن أبي داود بسجستان سنة ٢٣٠).

(واشتهر في علم الحديث وفي علوم القرآن ـ أيضاً ـ).

(وألف في هذا الفنّ كتباً كثيرة).

(فضلاً عن كتابه المشهور كتاب المصاحف والمسمىٰ أيضاً كتاب اختلاف المصاحف).

(ومع هذا زعم بعض العلماء أنّه غير ثقة، وقيل إن أباه أبا داود كذّبه، وقال الدارقطني هو ثقة إلّا أنّه كثير الخطأ في الكلام على الحديث، وقال في المغني: عبدالله بن سليمان السجستاني ثقة كذّبه أبوه في غير حديث، وهذه تهمة

لم يرض بها المستشرقون لأنها لم تقم عليها حجّة من الأحاديث الّتي رويت عنه، ولأنّهم اختبروا أحاديثه علىٰ قاعدة البحث الجديدة، فوجدوها صحيحة صادقة).

دراسة أقوال المستشرق د. آرثر جفري:

يا ترىٰ لماذا لم يرضَ المستشرق بالنشر الكثير لتفسير القرآن وبيان أحكامه و... و...؟

لأنّه لا يرضيه من البحث حول القرآن عدا البحث عمّا (حصل له من التغيير والتحوير) لما فيه من التشكيك بثبوت النصّ القرآني الّذي بأيدينا، وقد وجد بغيته في الروايات الّتي أورد خلاصتها واستنتج منها تطور النصّ القرآني وتحوله، وللسبب نفسه نشر كتاب اختلاف المصاحف لابن أبي داود لأن هذا الكتاب يوصله إلىٰ أوّل مراتب هذا البحث كما قال.

ونتيجة هذا البحث عنده: إن القرآن قد تغيّر وتبدّل منذ عصر نزوله إلىٰ عصور الطبع مرّات متعددة، ولتأييد قوله هذا نشر أسماء الكتب الّتي يستفاد منها اختلاف المصاحف بعضها مع بعض علىٰ مرّ العصور، وقد بان لنا زيف ما استند إليه في بحث اختلاف المصاحف بهذا الكتاب.

وللسبب نفسه لم يرض المستشرقون ـ كما قال ـ قول العلماء: (انّه غير ثقة) (كثير الخطأ في الكلام على الحديث) (ان أباه أبا داود كذّبه).

وقال: (لأنّهم ـ المستشرقين ـ اختبروا أحاديثه علىٰ قاعدة البحث الجديدة فوجدوها صحيحة صادقة).

وإنّ قاعدة البحث الجديدة لدى المستشرقين حول القرآن هي صحة كلّ ما يثبت عدم ثبوت النصّ القرآني وتبدّله على مرّ العصور!!!

وللسبب نفسه قال: وأمّا القرآن فلم نجد شيئاً من هـذه الأبحـاث فـيه سوىٰ كتاب واحد بسيط وهو كتاب «تاريخ القرآن» لأبي عبدالله الزنجاني الّذي طبع حديثاً في مصر. انتهىٰ.

* * *

كانت تلكم أقوال د. آرثر جفري حول كتاب الزنجاني، وإليكم في ما يأتي درسها:

الثناء على الزنجاني وكتابه

أ ـ قال الكاتب المصري أحمد أمـين (ت: ١٣٧٣هـ) في مـقدمة تـاريخ القرآن للزنجاني، ط. مصر سنة ١٣٥٦هـ: (إنّ الأُستاذ من أكبر علماء الشـيعة ومجتهديهم).

ب ـ أعضاء لجنة دائرة المعارف ومترجموها:

ترجمة النص الإنجليزي لمقدّمة الكتاب

شعر طلاب الثقافة والتمدن الإسلامي بالخيبة لفقدان عمل علمي بـاللغة العربية حول تاريخ القرآن الكريم، وشعرنا بدورنا بالحاجة الملحة لمثل هذا العمل عند قيامنا بترجمة دائرة المعارف الإسلامية إلى العربية.

ومنذ زمن بعيد عالج المستشرقون هذا الموضوع، منهم المشاهير: نولدكه، برجشتراسر وبرتزل.

ورغم اسلوبهم العلمي في النقد والتحقيق في المصادر، فإنّ آراءهم تكاد تبتعد عن الموضوعية أحياناً. وهذا ممّا يسّر الإطـلاع عـلىٰ رأي عـالم مسـلم وشيعي كالشيخ أبي عبدالله الزنجاني، والّذي لا نرىٰ حاجة لتعريفه لكونه أحد كبار علماء الفرس ومجتهديهم المعاصرين.

ويعتبر تأليفه هذا مشاركة في نشر العلم الحديث بلا شك. ولأكثر مباحث هذا الكتاب الأهمية الكبرىٰ، فقد عالج المؤلف ببراعة مواضيع هامة كحياة الرسول (ص) والأحوال السائدة في الجزيرة العربية في عصره وكيفية قبول رسالته في المجتمع آنذاك وأثرها البليغ في تاريخ الجزيرة العربية. وقد جمع المؤلف وانتقد ببراعة في مؤلفه الموجز مسائل وآراء شتى العلماء العرب وأوربا ومنها: تاريخ القرآن الكريم وترتيب السور وكيفية تعليم الرسول (ص) القرآن لأصحابه وكيف كُتب القرآن الكريم لأوّل مرّة وأشهر قرّاء القرآن الكريم وقراءاتهم ومترجمو القرآن الأوربيون.

ونحن نشعر بالشكر الّذي يدينه كل باحث لتاريخ القرآن الكريم تجاه الشيخ أبي عبدالله الزنجاني لكتابه هذا الّذي لا يستغني عنه الباحثون في هذا المضمار.

١ / جولاي / ١٩٣٥م

لجنة الترجمة لدائرة المعارف الإسلامية

عباس محمود — إبراهيم زكي خورشيد

عبد الحميد يونس — أحمد الشنتناوي

وللسبب الّذي ذكرنا انتخب الزنجاني عضواً في المجتمع العلمي العربي في دمشق والسبب في كل هذا التكريم للزنجاني لما جاء في الفصول السبعة الآتية من الباب الثاني من كتابه[1]:

الفصل الأوّل: القرآن في عهد أبي بكر وعمر (رض)[2]

الفصل الثاني: القرآن في عهد عثمان (رض)[3]

---

(١) رجعنا إلىٰ ط. طهران سنة ١٤٠٤هـ، ص ٦٧ـ٨٦.

(٢) و (٣) كذا في الأصل.

الفصل الثالث: في ترتيب السور في مصحف عليّ (ع)

الفصل الرابع: ترتيب سور القرآن في مصحف أُبيّ بن كعب

الفصل الخامس: ترتيب سور القرآن في مصحف عبدالله بن مسعود (رض)

الفصل السادس: ترتيب السور في مصحف عبدالله بن عباس (رض)

الفصل السابع: ترتيب السور في مصحف الإمام أبي عبدالله الصادق (ع).

الفصل الأوّل

القرآن في عهد أبي بكر وعمر (رض)

ولمّا توفّي رسول الله (ص) ورجعت نفسه الزكية إلىٰ ربها راضية مرضية، وتولّى الأمر أبو بكر بن أبي قحافة (رض) ظهر مسيلمة باليمامة في السنة الأُولىٰ من خلافته، وجهز أبو بكر لقتاله جيشاً يتألّف من القرّاء وحفظة القرآن وغيرهم، وفي هذه الحرب الّتي كان النصر حليف المسلمين، وقتل مسيلمة واشتدّ القتل في يومها لقرّاء القرآن أحس الخليفة عمر بن الخطاب (رض) بضرورة جمع القرآن. في الإتقان عن ابن أبي داود بطريق الحسن أن عمر (رض) سأله عن آية من كتاب الله، فقيل كانت مع فلان، قتل يوم اليمامة؛ فقال: إنّا لله، فأمر بجمع القرآن، فكان أوّل من جمعه في مصحف[1].

روى البخاري بإسناده عن عبيد بن السباق أنّ زيد بن ثابت (رض) قال: أرسل إليّ أبو بكر مقتل (أي عقيب مقتل) أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر (أي اشتد) يوم اليمامة بقرّاء القرآن، وإنّي أخشى أن يستحر القتل بالقرّاء بالمواطن، فيذهب كثير من القرآن، وإنّي أرىٰ أن تأمر بجمع القرآن. قلت لعمر: كيف تفعل (برواية البخاري) وكيف أفعل (برواية محمّد بن إسحاق) ما لم يفعله رسول الله (ص)؟ قال عمر: هذا والله خير، فلم يزل يراجعني حتىٰ شرح الله صدري لذلك، ورأيت في الّذي رأىٰ عمر. قال زيد: قال أبو بكر: إنّك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله (ص)، فتتبّع القرآن فاجمعه، فوَالله لو كلّفوني نقل

---

(١) في قطع الجلد المدبوغ.

جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ ممّا أمرني به من جمع القرآن، قلت: كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله (ص)؟ قال: هو والله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتىٰ شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر، فتتبّعت القرآن أجمعه من العسب[1] واللخاف[2] وصدور الرجال، حتىٰ وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع غيره: ﴿لقد جاءكُم رَسُولٌ مِنْ أنفُسِكُم عَزيزٌ عَليهِ ما عَنِتُّم حَريص﴾ حتّىٰ خاتمة براءة.

يظهر من الرواية أن أبا بكر (رض) خشي فأبىٰ من فعل ما لم يفعله رسول الله (ص)، لشدّة اتباعهم للنبي (ص)، ثمّ اجتهد عمر (رض) وقال هذا والله خير، أي صلاح للأُمّة، لأن القرآن هو أساس معالم الدين الإسلامي، وكذلك زيد بن ثابت أبىٰ أن يفعل ما لم يفعله (ص) خشية الإبتداع في الدين. كأنّ ظاهر الرواية أنّ إنكارهما يرجع إلىٰ جمع القرآن، مع أنّ القرآن بحسب الروايات والأقوال السابقة كان مجموعاً في حضرة النبيّ (ص)، ولكن التأمّل الصادق ـ والشواهد ـ يعطي أنّ اقتراح عمر جمع القرآن إنّما كان لجمعه في الورق، حتىٰ أن الصحابة لشدة احتياطهم وخضوعهم لرسول الله (ص) خافوا أن يكون ذلك من البدع وأجاب الخليفة الثاني أنّ فيه رضا النبيّ (ص) وصلاح الأُمّة.

في الإتقان عن مغازي موسىٰ بن عقبة عن ابن شهاب، قال: لمّا أُصيب المسلمون باليمامة فزع أبو بكر وخاف أن يذهب من القرآن طائفة، فأقبل الناس بما كان معهم وعندهم حتىٰ جمع علىٰ عهد أبي بكر في الورق، فكان أبو بكر أوّل من جمع القرآن في المصحف. ثمّ أعلن عمر في المدينة بأن يأتي كل من تلقىٰ شيئاً من القرآن من رسول الله (ص)، وقال أبو بكر لعمر ولزيد: اقعدا علىٰ باب المسجد

---

(١) جمع عسيب وهو جريد من النخل (لسان العرب).

(٢) جمع لخفة وهي حجارة بيض رقاق (صحاح).

فمن جاءكما بشاهدين علىٰ كتاب الله فاكتباه[1].

والأقرب إلى الظن أنّ الشاهدين كانا يشهدان بأن ما أتوا به كان ممّا عرض على النبيّ (ص) عام وفاته في العرضة الأخيرة، وكتب بين يديه (ص)، ولذلك قال زيد بن ثابت: وجدت آخر سورة براءة مع أبي خزيمة لم أجدها مع غيره. ولولا ذلك لما صحّ معنىٰ لعدم وجدانهم لهذه الآية، لأنّ زيداً كان جمع القرآن وحفظه، وأخذه عن النبيّ (ص)، وقبل قول أبي خزيمة لأنّ النبيّ (ص) جعل شهادته شهادة رجلين، وأتىٰ عمر بآية الرجم فلم تكتب لأنّه كان أتىٰ بها وحده، وكانت حسب بعض الرّوايات نسخة من القرآن المكتوب في العسب والحرير والأكتاف في بيت رسول الله (ص).

وكان هذا الجمع عبارة عن جمع الآيات المكتوبة في الأكتاف والعسب واللخاف، ونسخها في الأديم وهو الجلد المدبوغ، قال ابن حجر في رواية عمارة ابن غزية: إن زيد بن ثابت قال: فأمرني أبو بكر فكتبته في قطع الأديم، فكانت الصحف عند أبي بكر حتىٰ توفّاه الله. ثمّ عند عمر في حياته. ثمّ عند حفصة بنت عمر.

وقال عمر (رض): لا يملين في مصاحفنا إلّا غلمان من قريش وثقيف، وقال عثمان (رض): اجعلوا المملي من هذيل والكاتب من ثقيف[2].

---

(١) هذه الرواية أخرجها ابن أبي داود من طريق هشام بن عروة.

(٢) المزهر ١ / ١٣٧.

الفصل الثاني

القرآن في عهد عثمان (رض)

قد سبق أنّ الصحابة قرأوا بعض كلمات القرآن بألفاظ مختلفة، كانت تدل علىٰ معنىٰ واحد، كامض وأسر وعجل وأسرع وأخر وأمهل، وأن عمر قرأ فامضوا إلىٰ ذكر الله. وأنس قرأ إن ناشئة الليل هي أشد وطأً وأصوب قيلاً. ولم يكن هذا الإختلاف بنظرهم مغيّراً لمعنى القرآن، ولذلك أقرّ النبي (ص) قراءاتهم على اختلاف ألفاظها، وبعد عهد النبي (ص) أخذ يزيد هذا الإختلاف في عهد أبي بكر، واشتد في عهد عثمان حتى اقتتل المعلّمون والغلمان، وتفرق القرّاء والحفاظ في الشام والعراق واليمن وأرمينية واذربيجان، وزاد هذا الإختلاف بتأثير عوامل تحوّل اللغة بمجاورة أُمم غير عربيّة أو عربية غير مضرية، وأصبح بحيث يخشىٰ من تأثيره، فعند ذلك أحسّ حذيفة بن اليمان[1] الصحابي الجليل بسوء تأثيره إن استمر، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأعلم عثمان سوء عاقبة الإختلاف في القرآن.

وفي البخاري ووافقه صاحب الفهرست[2]، قال: حدّثنا إبراهيم، قال: حدّثنا ابن شهاب أن أنس بن مالك حدّثه أن حذيفة بن اليمان قدم علىٰ عثمان (في الفهرست: وكان بالعراق)، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية واذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال لعثمان: يا أمير المؤمنين

---

(١) وهو حذيفة بن حسل بن جابر، صاحب رسول الله (ص)، وكان فتح همدان والري والدينور بيده. توفّي بعد قتل عثمان بأربعين ليلة في سنة ٣٦ هـ.

(٢) قال في الفهرست في نقل هذا الحديث وروى الثقة ... إلخ، ص ٣٧ (طبع مصر).

أدرك هذه الأُمّـة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارىٰ، فأرسل عثمان إلىٰ حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ثمّ نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلىٰ عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبدالله بن الزّبير وسعيد بن العاص وعبدالرّحمٰن ابن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف؛ وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن، فاكتبوه بلسان قريش، فانّما أُنزل بلسانهم[1]. ويظهر من بعض الأسانيد الموثقة أن عثمان لما أراد نسخ القرآن في المصاحف، جمع له اثني عشر رجُلاً من قريش والأنصار.

أخرج ابن أبي داود من طريق محمّد بن سيرين عن كثير بن أفلح، قال: لما أراد عثمان أن يكتب المصاحف جمع له اثني عشر رجلاً من قريش والأنصار، فبعثوا إلى الربعة[2] الّتي في بيت عمر، فجيء بها، وكان عثمان يتعاهدهم إذا تداوروا[3] في شيء أخّروه، قال محمّد: فظننت إنّما كان يؤخّرونه لينظروا أحدثهم عهداً بالعرضة الأخيرة، فيكتبوه علىٰ قوله. وقال ابن حجر: فاتفق رأي الصحابة علىٰ أن كتبوا ما تحقق أنّه قرآن في العرضة الأخيرة، وتركوا ما سوىٰ ذلك[4].

ويدلّ علىٰ قول ابن حجر ذيل حديث البخاري عن خارجة بن زيد بن ثابت، قال: فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله (ص) يقرأ بها، فالتمسناها فوجدناها مع أبي خزيمة بن ثابت الأنصاري ﴿مِنَ

---

(١) وهذا أيضاً يدلّ على الراجح في معنى الأحرف السبعة من أنّ الإختلاف كان في قراءة الكلمات بألفاظ مختلفة تدلّ علىٰ معنىً واحد.

(٢) فتح العطار ربعته وهي جونة الطيب وبها سُمِّيت ربعة المصحف (أساس البلاغة للزمخشري).

(٣) داورت الأُمور: طلبت وجوه مأتاها (أساس البلاغة).

(٤) ماكان بغير لغة قريش على الأظهر.

الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا مَا عاهَدُوا اللهَ عَلَيْه ﴾ فألحقناها في سورتها في المصحف.

يتراءىٰ أنّ التحقيق أرشدهم إلىٰ أن الآية ممّا عرضت على النبيّ(ص) في العرضة الأخيرة في المصحف، ولما نسخوا الصحف في المصاحف ردها عثمان إلىٰ حفصة ونسخوا أربعة مصاحف وأبقىٰ عنده واحداً منها، وأرسل عثمان الثلاثة للبصرة والكوفة والشام، وعين زيد بن ثابت أن يقرئ بالمدني، وبعث عامر بن قيس[1] مع البصري، وأبا عبدالرّحمٰن السلمي مع الكوفي[2]، والمغيرة بن شهاب مع الشامي؛ وقرأ كل مصر بما في مصحفه.

فالجمع الأوّل كان جمع الآيات حين نزولها في الكتب وأمثالها ممّا كانت العرب تكتب عليه وعرضها على النبي (ص)، والجمع الثاني في عهد الخليفة أبي بكر كان جمع القرآن بين لوحين ونسخها في قطع الأديم، والجمع الثالث في عهد عثمان (رض) كان جمع المسلمين علىٰ قراءة واحدة.

ذكر عليّ بن محمّد الطاووس العلوي الفاطمي في كتابه (سعد السعود) نقلاً عن كتاب أبي جعفر محمّد بن منصور ورواية محمّد بن زيد بن مروان في اختلاف المصاحف، أنّ القرآن جمعه علىٰ عهد أبي بكر زيد بن ثابت، وخالفه في ذلك (أُبيّ) و(عبدالله بن مسعود) و(سالم) مولىٰ أبي حذيفة، ثمّ عاد عثمان فجمع المصحف برأي مولانا عليّ بن أبي طالب(ع)، وأخذ عثمان مصاحف أُبيّ وعبدالله ابن مسعود وسالم مولىٰ أبي حذيفة فغسلها (كذا)[3] وكتب عثمان مصحفاً لنفسه، ومصحفاً لأهل المدينة، ومصحفاً لأهل مكّة، ومصحفاً لأهل الكوفة، ومصحفاً

---

١) هو أبو بردة عامر بن قيس الأشعري أخو أبي موسى الأشعري علىٰ ما دلنا الفحص.

(٢) اسمه عبدالله بن حبيب بن ربيعة من القرّاء، سمع عن عثمان (رض). (تهذيب التهذيب لابن حجر ٥ / ١٨٥).

(٣) في بعض النصوص أنّه أحرقها.

لأهل البصرة، ومصحفاً لأهل الشام، (ومصحف الشام رآه ابن فضل الله العمري في أواسط القرن الثامن الهجري). يقول في وصف مسجد دمشق: «وإلىٰ جانبه الأيسر المصحف العثماني بخط أمير المؤمنين عثمان بن عفان (رض)» اهـ [1].

ويظن قوياً أن هذا المصحف هو الّذي كان موجوداً في دار الكتب في لنين غراد وانتقل الآن إلىٰ انجلترا.

ورأيت في شهر ذي الحجة سنة ١٣٥٣هـ في دار الكتب العلوية في النجف مصحفاً بالخط الكوفي كتب علىٰ آخره: كتبه عليّ بن أبي طالب في سنة أربعين من الهجرة، لتشابه أبي وأبو في رسم الخط الكوفي قد يظن من لا خبرة له: أنّه: كتب عليّ بن أبو طالب بالواو.

وفي كلام ابن طاووس (ره) في كتاب سعد السعود أن عثمان عاد وجمع المصحف برأي عليّ (ع) تأييد لما ذكره الشهرستاني في مقدّمة تفسيره برواية سويد بن علقمة قال: سمعت عليّ بن أبي طالب (ع) يقول: أيُّها الناس! الله الله إيّاكم والغلو في أمر عثمان، وقولكم حرّاق المصاحف، فوالله ما حرقها إلّا في ملأ من أصحاب رسول الله (ص). جمعنا وقال: ما تقولون في هذه القراءة الّتي اختلف الناس فيها: يلقى الرجل الرجل فيقول قراءتي خير من قراءتك، وهذا يجر إلى الكفر، فقلنا بالرأي، قال: أُريد أن أجمع الناس علىٰ مصحف واحد، فإنّكم إن اختلفتم اليوم كان من بعدكم أشد اختلافاً. فقلنا نعم ما رأيت، فأرسل إلىٰ زيد بن ثابت وسعيد بن العاص قال: يكتب أحدكما ويُملي الآخر، فلم يختلفا في شيء إلّا في حرف واحد في سورة البقرة فقال أحدهما: (التابوت)، وقال الآخر: (التابوه) واختار قراءة زيد بن ثابت لأنّه كتب الوحي.

---

(١) في كتابه مسالك الأبصار ١ / ١٩٥ (طبع مصر).

الفصل الثالث

في ترتيب السور في مصحف عليّ (ع)

واخترنا ذكر ترتيب السور في مصاحف بعض كبار الصحابة والتابعين عن المدارك المعتبرة القديمة، لما له مساس بتاريخ القرآن، وفهم أنّ ترتيبه كان باجتهاد منهم.

فقد قال ابن النديم في الفهرست: قال ابن المنادي: حدّثني الحسن بن العبّاس قال: أخبرت عن عبدالرّحمٰن بن أبي حماد عن الحكم بن ظهير السدوسي عن عبد خير عن عليّ (ع) أنّه رأىٰ من الناس طيرة عند وفاة النبيّ (ص) فأقسمَ أن لا يضع عن ظهره رداءه حتّىٰ يجمع القرآن، فجلس في بيته ثلاثة أيّام حتّىٰ جمع القرآن، فهو أوّل مصحف جمع فيه القرآن من قلبه، وكان المصحف عند أهل جعفر (رض)، ورأيت أنا في زماننا عند أبي يعلىٰ حمزة الحسني (ره) مصحفاً قد سقط منه أوراق بخط عليّ بن أبي طالب (ع)، يتوارثه بنو حسن علىٰ مر الزمان، وهذا ترتيب السور من ذلك المصحف، وسقط ذكر ترتيب السور من أصل النسخة المطبوعة في (ليبسك ـ *LeiPzig*) من سنة ١٨٧١ إلىٰ سنة ١٨٧٢ ولكن ذكره اليعقوبي[١] في الجزء الثاني من تاريخه، ص ١٥٢ ـ ١٥٤ طبع *Brill* سنة ١٨٨٣.

وقال: وروىٰ بعضهم أن عليّ بن أبي طالب (ع) كان جمعه (يعني القرآن) لما قبض رسول الله (ص) وأتىٰ به يحمله علىٰ جمل فقال: هذا القرآن جمعته وكان

---

(١) وهو أحمد بن أبي يعقوب بن واضح المعروف باليعقوبي، يؤخذ من سياق كتابه أنّه توفّي سنة ٢٨٧ هـ. وله في التاريخ كتاب يعرف بتاريخ اليعقوبي، نشره المستشرق (هوسما) في ليدن.

قد جزّأه سـبعة أجزاء:

الجزء الأوّل	الجزء الثاني	الجزء الثالث	الجزء الرابع
البقرة ...	آل عمران ...	النِّساء...	المائدة...
يوسف ...	هود ...	النحل ...	يونس ...
العنكبوت ...	الحج ...	المؤمنون ...	مريم ...
الروم ...	الحجر ...	يس ...	طسم ...
لقمان ...	الاحزاب ...	حمعسق ...	الشعراء ...
حم السجدة ...	الدُّخان ...	الواقعة ...	الزخرف ...
الذاريات ...	الرحمن ...	تبارك . . الملك . .	الحُجرات ...
هل أتىٰ علىٰ	الحاقة	يا أيُّها المدثر ...	ق والقران المجيد ...
الإنسان...	... ...	... ...	... ...
ألم تنزيل ...	سأل سائل ...	أرأيت ...	اقتربت الساعة. .
السجدة ...	عبس وتولىٰ ...	تبت ...	الممتحنة ...
النازعات .	والشمس وضحاها	قل هو الله أحد . .	والسماء والطارق
إذا الشّمس كوِّرت	إنّا أنزلناه ...	والعصر ...	لا أُقسم بهذا البلد
إذا السماء انفطرت	إذا زلزلت...	القارعة ...	ألم نشرح لك ...
إذا السماء انشقت	ويل لكل همزة...	والسماء ذات البروج	والعاديات ...
سبّح اسم ربك الأعلى	ألم تَرَ كيف . . .	والتين والزيتون ...	إنّاأعطيناك الكوثر
لم يكن ...	لإيلاف قريش ...	طس... النمل ...	قل يا أيهاالكافرون
فذلك جزء البقرة	فذلك جزء آل عمران	فذلك جزء النِّساء	فذلك جزء المائدة

الجزء الخامس	الجزء السادس	الجزء السابع
الأنعام ...	الأعراف ...	الأنفال ...
سبحان ...	ابراهيم ...	براءة...
اقترب ...	الكهف ...	طه ...
الفرقان ...	النور ...	الملائكة ...
موسىٰ ...	ص ...	الصافات ...
فرعون ...	الزمر ...	الأحقاف ...
حم ...	الشريعة ...	الفتح ...
المؤمن ...	الذين كفروا...	الطور...
المجادلة...	الحديد...	النجم ...
الحشر ...	المزمل ...	الصَّف ...
الجمعة ...	لا أُقسم بيوم القيامة	التغابن ...
المنافقون ...	عمّ يتساءلون ...	الطلاق ...
ن والقلم ...	الغاشية ...	المطففين ...
إنا أرسلنا نوحاً. ..	والفجر ...	المعوذتين ...
قل أُوحي إليَّ...	والليل إذا يغشىٰ...	... ...
المرسلات ...	إذا جاء نصر الله...	... ...
والضحىٰ ...	... ...	... ...
الهاكم ...	... ...	... ...
فذلك جزء الأنعام	فذلك جزء الأعراف	فذلك جزء الأنفال

الفصل الرابع

ترتيب سور القرآن في مصحف أُبيّ بن كعب (رض) الصحابي الجليل المتوفّىٰ سنة ٢٠هـ [1]

قال ابن النديم[2]: قال الفضل بن شاذان أخبرنا الثقة من أصحابنا. قال: كان تأليف السور في قراءة أبيّ بن كعب بالبصرة في قرية يقال لها قرية الأنصار علىٰ رأس فرسخين عند محمّد بن عبد الملك الأنصاري أخرج إلينا مصحفاً وقال: هو مصحف أُبيّ رويناه عن آبائنا، فنظرت فيه واستخرجت أوائل السُّور وخواتيم الرّسُل وعدد الآي. فأوله:

١	فاتحة الكتاب	٨	الأنفال ...	١٧	الأحزاب .	٢٦	الرعد ...
٢	البقرة ...	٩	التوبة ...	١٨	بني اسرائيل	٢٧	طسم ...
٣	النّساء ...	١٠	هود ...	١٩	الزمر ...	٢٨	القصص ...
٤	آل عمران ...	١١	مريم ...	٢٠	حم تنزيل ...	٢٩	طس ...
٥	الأنعام ...	١٢	الشعراء ...	٢١	طه ...	٣٠	سليمان ...
٦	الأعراف ...	١٣	الحج ...	٢٢	الأنبياء ...	٣١	الصافات ...
٧	المائدة ...	١٤	يوسُف ...	٢٣	النور ...	٣٢	داود ...
	الّذي التبسته	١٥	الكهف ...	٢٤	المؤمنون ...	٣٣	ص ...
	يونس[3]	١٦	النحل ...	٢٥	حم المؤمن	٣٤	يس ...

(١) الإصابة ١ / ١٦.

(٢) الفهرست، ص ٤٠ (طبع مصر).

(٣) هكذا في طبعة (*Leipzig*).

٣٥	أصحاب الحجر	٥٥	النجم ...	٧٥	الفجر ...	٩٢	اللّهمّ إيّاك نعبد
٣٦	حم عسق ...	٥٦	ن ...	٧٦	الملك ...		وآخرها بالكفار
٣٧	الروم ...	٥٧	الحاقة ...	٧٧	واللّيل إذا يغشى ...		ملحق اللمز ...
٣٨	الزخرف ...	٥٨	الحشر ...	٧٨	إذا السماء	٩٣	إذا زلزلت ...
٣٩	حم السّجدة.	٥٩	الممتحنة ...		انفطرت ...	٩٤	العاديات ...
٤٠	إبراهيم ...	٦٠	المرسلات ...	٧٩	الشمس وضحاها	٩٥	أصحاب الفيل ...
٤١	الملائكة	٦١	عم يتساءلون	٨٠	والسماء ذات	٩٦	التين ...
٤٢	الفتح ...	٦٢	الإنسان ...		البروج ...	٩٧	الكوثر ...
٤٣	محمّد(ص) ...	٦٣	لا أُقسم ...	٨١	الطارق ...	٩٨	القدر ...
٤٤	الحديد ...	٦٤	كُورت ...	٨٢	سبّح اسم ربّك	٩٩	الكافرون ...
٤٥	الظهار[1]	٦٥	النازعات ...		الأعلىٰ ...	١٠٠	النصر ...
٤٦	تبارك ...	٦٦	عَبَسَ ...	٨٣	الغاشية ...	١٠١	أبي لهب ...
٤٧	الفرقان ...	٦٧	المطففين ...	٨٤	عَبَسَ[2] ...	١٠٢	قريش ...
٤٨	ألم تنزيل ...	٦٨	إذا السماء انشقت	٨٥	الصف ...	١٠٣	الصمد ...
٤٩	نوح ...	٦٩	التين ...	٨٦	الضحىٰ ...	١٠٤	الفلق ...
٥٠	الأحقاف ...	٧٠	اقرأباسم ربك	٨٧	ألم نشرح ...	١٠٥	الناس ...
٥١	ق ...	٧١	الحجرات ...	٨٨	القارعة ...		...
٥٢	الرّحمٰن ...	٧٢	المنافقون ...	٨٩	التكاثر ...		...
٥٣	الواقعة ...	٧٣	الجمعة ...	٩٠	الخلع ...		
٥٤	الجن ...	٧٤	النبيّ (ص) ...	٩١	الجيد ...		

(١) في طبعة (*Leipzig*) الطهار بالطاء المهملة.

(٢) وهي أهل الكتاب لم يكن أوّل ماكان الذين كفروا (الفهرست، طبعة *Leipzig*)، ص٣٧، هكذا وردت العبارة في أصل الكتاب المطبوع بمصر. والظاهر انّه اشتباه مطبعي وانّ صحيحه هو «وهي أول لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب». المصحِّح.

الفصل الخامس

ترتيب سور القرآن في مصحف عبدالله بن مسعود (رض) الصحابي الجليل المتوفىٰ سنة ٣٢ أو ٣٣ هـ [١]

رویٰ ابن النديم[٢] عن الفضل بن شاذان أنّه قال: وجدت في مصحف عبدالله بن مسعود تأليف سور القرآن علىٰ هذا الترتيب:

١	نبأ...	١٣	الأنبياء...	٢٥	الفرقان ...	٣٧	حم الزخرف...
٢	النِّساء...	١٤	المؤمنون . .	٢٦	الحجّ...	٣٨	السجدة...
٣	آل عمران...	١٥	الشعراء...	٢٧	الرعد...	٣٩	الأحقاف ...
٤	المص...	١٦	الصّافّات...	٢٨	سبأ...	٤٠	الجاثية...
٥	الأنعام ...	١٧	الأحزاب...	٢٩	الملائكة...	٤١	الدخان...
٦	المائدة ...	١٨	القصص ...	٣٠	ابراهيم ...	٤٢	إنّا فتحنا...
٧	يونس ...	١٩	النور...	٣١	ص...	٤٣	الحديد...
٨	براءة...	٢٠	الأنفال...	٣٢	الذين كفروا	٤٤	سبّح...
٩	النحل ...	٢١	مريم ...	٣٣	القمر...	٤٥	الحشر...
١٠	هود...	٢٢	العنكبوت .	٣٤	الزمر...	٤٦	تنزيل...
١١	يوسف ...	٢٣	الروم ...	٣٥	الحواميم المسبحات[٣]	٤٧	السجدة...
١٢	بني اسرائيل	٢٤	يس...	٣٦	حم المؤمن	٤٨	ق...

---

(١) الإصابة ٣/ ١٣٩.

(٢) الفهرست، ص ٣٩، طبع مصر.

(٣) كذا.

٤٩	الطّلاق...	٦٤	الطور...	٨٠	هل أتاك حديث الغاشية...	٩٥	لم يكن الذين
٥٠	الحجرات ...	٦٥	اقتربت الساعة	٨١	الغاشية...		كفروا من أهل
٥١	تبارك الّذي	٦٦	الحاقة...	٨٢	سبح اسم		الكتاب...
	بيده الملك	٦٧	إذا وقعت...		ربك الأعلى	٩٦	الشمس وضحاها
٥٢	التغابن...	٦٨	ن والقلم...	٨٣	واللّيل اذا يغشى...	٩٧	التين...
٥٣	المنافقون. .	٦٩	النازعات. .	٨٤	الفجر...	٩٨	ويل لكلّ همزة...
٥٤	الجمعة...	٧٠	سأل سائل...	٨٥	البروج...	٩٩	الفيل...
٥٥	الحواريون..	٧١	المدثر...	٨٦	انشقت...	١٠٠	لايلاف قريش...
٥٦	قل أُوحي...	٧٢	المزمل...	٨٧	اقرأ باسم ربّك...	١٠١	التكاثر...
٥٧	انا أرسلنا نوحاً	٧٣	المطفّفين...	٨٨	لا أُقسم بهذا البلد...	١٠٢	إنا أنزلناه...
٥٨	المجادلة . .	٧٤	عَبَسَ...	٨٩	والضّحىٰ ...	١٠٣	والعصر...
٥٩	الممتحنة...	٧٥	الدهر...	٩٠	ألم نشرح...	١٠٤	إذا جاء نصر الله...
٦٠	يا أيّها النبيّ لِمَ تُحرِّم...	٧٦	القيامة...	٩١	والسماء والطارق	١٠٥	الكوثر...
٦١	الرّحمٰن...	٧٧	عمّ يتساءلون	٩٢	والعاديات..	١٠٦	الكافرون ...
٦٢	النجم...	٧٨	التكوير...	٩٣	أرأيت...	١٠٧	المسد...
٦٣	الذاريات...	٧٩	الانفطار...	٩٤	القارعة...	١٠٨	قل هو الله أحد...

فذلك مئة سورة وعشر سور[١]

وفي رواية أُخرىٰ الطور قبل الذاريات.

(١) مع الحواميم المسبحات.

قال الفضل بن شاذان: قال ابن سيرين: وكان عبدالله بن مسعود لا يكتب المعوذتين في مصحفه، ولا فاتحة الكتاب.

وروى الفضل أيضاً باسناده عن الأعمش، قال: في قراءة عبدالله (حمسق)[1].

قال محمّد بن إسحاق: رأيت عدّة مصاحف ذكر نساخها أنّها مصحف ابن مسعود ليس فيها مصحفان متفقان، وأكثرها في رق كثير النسخ، وقد رأيت مصحفاً قد كتب منذ نحو مئتي سنة فيه فاتحة الكتاب؛ والفضل بن شاذان أحد الأئمة في القرآن والروايات. فلذلك ذكرنا ما قاله دون ما شاهدناه ـ انتهىٰ[2].

---

(١) بلا حرف عين.

(٢) الفهرست، ص ٤٠، طبعة مصر.

الفصل السادس

ترتيب السور في مصحف عبدالله بن عباس (رض) الصحابي الجليل المتوفّىٰ سنة ٦٨ هـ [١]

نجـد في التاريخ والحديث للصحابي الجليل ابن عـباس (رض) ـ الّـذي تخصّص في تفسير القرآن ـ صلة خاصة بعليّ (ع)، فما يذكر عـنه في القـرآن له مزيّة كبيرة.

ذكر ابن طاووس[٢] في كتاب سعد السعود أنّه اشتهر بين أهل الإسلام أن ابن عباس كان تلميذ عليّ (ع).

وذكر محمّد بن عمر الرازي في كتاب الأربعين أنّ ابن عـباس رئـيس المفسّرين كان تلميذ عليّ بن أبي طالب (ع)، فآثرنا نقل ترتيب مصحفه كما ذكره الشهرستاني في مقدّمة تفسيره وهو سند أمين.

١	اقرأ...	٧	تبّت يدا...	١٣	الرحمٰن...	١٩	الكافرون...
٢	ن...	٨	كوّرت...	١٤	والعصر...	٢٠	الاخلاص...
٣	والضّحىٰ ...	٩	الأعلىٰ ...	١٥	الكوثر...	٢١	النجم...
٤	المزّمّل ...	١٠	واللّيل ...	١٦	التكاثر...	٢٢	الأعمىٰ ...
٥	المدّثّر...	١١	والفجر...	١٧	الدين...	٢٣	القدر...
٦	الفاتحة...	١٢	ألم نشرح لك	١٨	الفيل...	٢٤	والشمس...

(١) الإصابة ١ / ٩.

(٢) هو عليّ بن موسىٰ بن جعفر الشهير بابن طاووس من أعاظم علماء الشيعة ورجالهم، وُلِدَ سنة ٥٨٩ هـ وتوفّي سنة ٦٦٤هـ.

٢٥	البروج...	٤٨	يونس...	٧١	المؤمنون...	٩٤	الحج...
٢٦	التين...	٤٩	هود...	٧٢	الرعد...	٩٥	الحديد...
٢٧	قريش...	٥٠	يوسف...	٧٣	الطور...	٩٦	محمّد (ص)...
٢٨	القارعة...	٥١	الحجر...	٧٤	الملك ...	٩٧	الإنسان ...
٢٩	القيامة...	٥٢	الأنعام...	٧٥	الحاقة...	٩٨	الطلاق...
٣٠	الهمزة...	٥٣	الصافات...	٧٦	المعارج...	٩٩	لم يكن...
٣١	والمرسلات..	٥٤	لقمان...	٧٧	النِّساء...	١٠٠	الجمعة...
٣٢	ق...	٥٥	سبأ...	٧٨	والنازعات	١٠١	ألم السجدة...
٣٣	البلد...	٥٦	الزُّمر...	٧٩	انفطرت...	١٠٢	المنافقون...
٣٤	الطارق...	٥٧	المؤمن...	٨٠	انشقت...	١٠٣	المجادلة...
٣٥	القمر...	٥٨	حم السجدة.	٨١	الروم...	١٠٤	الحجرات...
٣٦	ص...	٥٩	حم عسق...	٨٢	العنكبوت. .	١٠٥	التحريم...
٣٧	الأعراف...	٦٠	الزّخرف...	٨٣	المطفِّفون...	١٠٦	التغابن...
٣٨	الجن...	٦١	الدّخان...	٨٤	البقرة...	١٠٧	الصّف ...
٣٩	يس...	٦٢	الجاثية...	٨٥	الأنفال ...	١٠٨	المائدة...
٤٠	الفرقان...	٦٣	الأحقاف ...	٨٦	آل عمران. .	١٠٩	التوبة...
٤١	الملائكة...	٦٤	الذاريات. .	٨٧	الحشر...	١١٠	النصر...
٤٢	مريم...	٦٥	الغاشية...	٨٨	الأحزاب . .	١١١	الواقعة...
٤٣	طه...	٦٦	الكهف...	٨٩	النور...	١١٢	والعاديات...
٤٤	الشعراء...	٦٧	النحل...	٩٠	الممتحنة...	١١٣	الفلق...
٤٥	النمل...	٦٨	نوح...	٩١	الفتح...	١١٤	الناس...
٤٦	القصص...	٦٩	ابراهيم...	٩٢	النِّساء...		
٤٧	بني‌اسرائيل	٧٠	الأنبياء...	٩٣	إذا زلزلت...		

الفصل السابع

ترتيب السور في مصحف الإمام أبي عبدالله

جعفر بن محمّد الصادق (ع)

كما ذكره الشهرستاني في مقدمة تفسيره.

١	اقرأ...	١٧	الكافرون . .	٣٣	ق...	٤٩	بني اسرائيل...
٢	ن...	١٨	الفيل...	٣٤	البلد...	٥٠	يونس...
٣	المزّمّل...	١٩	الفلق...	٣٥	الطارق...	٥١	هود...
٤	المدثر...	٢٠	الناس...	٣٦	القمر...	٥٢	يوسف...
٥	تبّت...	٢١	الاخلاص...	٣٧	ص...	٥٣	الحجر...
٦	كوّرت...	٢٢	والنجم...	٣٨	الأعراف...	٥٤	الأنعام...
٧	الأعلىٰ ...	٢٣	الأعمىٰ ...	٣٩	الجن...	٥٥	الصافات...
٨	واللّيل...	٢٤	القدر...	٤٠	يس...	٥٦	لقمان...
٩	والفجر...	٢٥	والشمس...	٤١	الفرقان...	٥٧	سبأ...
١٠	والضّحىٰ...	٢٦	البروج...	٤٢	الملائكة...	٥٨	الزُّمر...
١١	ألم نشرح...	٢٧	والتين...	٤٣	مريم...	٥٩	المؤمن...
١٢	والعصر...	٢٨	قريش...	٤٤	طه...	٦٠	حم السجدة...
١٣	والعاديات...	٢٩	القارعة...	٤٥	الواقعة...	٦١	حم عسق...
١٤	الكوثر...	٣٠	القيامة...	٤٦	الشعراء...	٦٢	الزخرف...
١٥	التكاثر...	٣١	الهمزة...	٤٧	النمل...	٦٣	الدخان...
١٦	الدين...	٣٢	المرسلات. .	٤٨	القصص...	٦٤	الجاثية...

٦٥	الأحقاف...	٧٨	المعارج...	٩١	النّساء...	١٠٤	المنافقون...
٦٦	الذاريات...	٧٩	النبأ...	٩٢	إذا زلزلت...	١٠٥	المجادلة...
٦٧	الغاشية...	٨٠	والنازعات...	٩٣	الحديد...	١٠٦	الحجرات...
٦٨	الكهف...	٨١	انفطرت...	٩٤	محمّد (ص)...	١٠٧	التحريم...
٦٩	النحل...	٨٢	انشقت...	٩٥	الرعد...	١٠٨	الصف...
٧٠	نوح...	٨٣	الروم...	٩٦	الرحمن...	١٠٩	الجمعة...
٧١	إبراهيم...	٨٤	العنكبوت ...	٩٧	الإنسان ...	١١٠	التغابن...
٧٢	الأنبياء...	٨٥	المطفّفون ...	٩٨	الطّلاق ...	١١١	الفتح...
٧٣	المؤمنون...	٨٦	البقرة...	٩٩	لم يكن...	١١٢	التوبة...
٧٤	ألم السجدة...	٨٧	الأنفال...	١٠٠	الحشر...	١١٣	المائدة...
٧٥	الطّور...	٨٨	آل عمران...	١٠١	النصر...		
٧٦	الملك...	٨٩	الأحزاب...	١٠٢	النور...		
٧٧	الحاقّة...	٩٠	الممتحنة...	١٠٣	الحج...		

نتيجة دراسة مؤلف الزنجاني:

نرىٰ أنّ سبب الثناء على الزنجاني والتنويه بمؤلفه انّه كتب فيه:

انّه لما استحرّ القتل بالقرّاء في حرب اليمامة وسأل عمر عن آية فقيل كانت مع فلان فقتل يوم اليمامة وأمر الخليفة أبوبكر زيداً أن يكتب المصحف فجمعه ممّا كان مكتوباً فيه وما شهد عليه شاهدان ووجد آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة فقبلها منه لأنّ الرسول (ص) جعل شهادته شهادة رجلين.

ولمّا كان الصحابة يقرأون القرآن بألفاظ مختلفة مثل امض واسرع ممّا لا يغيِّر المعنىٰ، اشتدّ اختلافهم حولها علىٰ عهد عثمان فأخذ المصحف من أمّ المؤمنين حفصة ونسخ عليها نسخاً ووزّعها على البلاد الإسلامية وجمع المصاحف الّتي كانت عند الصحابة وغسلها.

ثمّ نقل المؤلف في جداول ما روي من ترتيب السور في مصاحف الصحابة وظهر منه ان عدد السور كان:

أ ـ خمساً ومائة سورة في مصحف أُبيّ!

ب ـ عشراً ومائة سورة في مصحف ابن مسعود، ولم يكتب في مصحفه الحمد والمعوذتين وانّه زاد في مصحفه سورة (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب ...).

ج ـ أربع عشرة ومائة سورة في مصحف ابن عباس.

د ـ ثلاث عشرة ومائة سورة في مصحف الإمام جعفر الصادق (ع) ولم يكتب سورة الحمد.

وانتخب الزنجاني عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق، كما انتُخِبَ عضواً فيه أمثال:

لويس ماسينيون *Louis Masignon* من المستشرقين الخطرين (ت: ١٩٦٢م).

ودافيد صموئيل مرجليوث *Davide Samuel Margoliouth* وهو ابن حزقيال الإنجليزي البروتستانتي، متعصّب ضدّ الإسلام (ت: ١٩٤٠م).

وكارل بروكلمان *Carl brocklmann* (ت: ١٩٥٦م).

وايفارست ليفي بروفنسال *Pravencal Evariste* (ت: ١٩٥٥م).

وكارل فلهلم سترستين *Karl Vilhelm Zettersteen* (ت: ١٩٥٣م).

وفرانتس بول (بوهر) *Frantz Buhi* (ت: ١٩٣٢م)[1].

---

(١) راجع بحث (دائرة المعارف الإسلامية، هويّة وخلفية أبرز كتابها) من كتاب: «الإسلام وشبهات المستشرقين» لفضيلة الشيخ كاظم فؤاد المقدادي، نشر المجمع العالمي لأهل البيت (ع)، ط. سنة ١٤١٦هـ، وهو كتاب جيّد في موضوعه.

وأمثالهم من المستشرقين والشرقيين الّذين كان في بحوثهم تهديم لجانب من جوانب الإسلام.

ثانياً ـ المستشرق هنري ماسيه

قال في كتابه الإسلام[1]:

تثبيت نص القرآن ـ عند وفاة محمّد لم يكن هناك أيّة مجموعة للنصوص القرآنية قررت بشكل نهائي. وما من شك في ان عدداً من مجموعة الوحي الأوّل لم تكن قد حفظت؛ ولكن شذرات مهمّة كانت قد سجّلت كتابة علىٰ عظام مسطّحة، وأوراق نخيل أو حجارة. وبسبب الأهمية التجارية للمدن المقدسة كان عدد من سكانها يعرفون القراءة والكتابة دون شك، وتسرد التقاليد أسماء الأشخاص الذين قاموا بوظيفة الكتابة للنبيّ: أُبيّ بن كعب، وعبدالله بن سعد بن أبي سرح، وزيد بن ثابت بشكل خاص.

ويعود فضل جمع هذه الشذرات المبعثرة للمرّة الأولىٰ إلىٰ أبي بكر خليفة محمّد، أو إلىٰ عمر الّذي أشار عليه بذلك. وفي السنة الحادية عشرة والثانية عشرة للهجرة فان عدداً من الناس الذين كانوا يعرفون الآيات القرآنية غيباً قد ماتوا في الحرب ضد النبي الكاذب مسيلمة. وقد خاف عمر حينذاك أن يختفي النص المقدس بكامله فحمل أبا بكر علىٰ جمع الوحي. وتردّد أبو بكر أوّلاً في أن يقوم بعمل لم يحدثه النبيّ عنه، ولكنّه امتثل ودعا الفتىٰ زيد بن ثابت، وهذا جمع بدوره كل ما وجده مكتوباً علىٰ مختلف المواد وكل ما احتفظ به رفاق النبي في ذاكراتهم، ثم صنف هذه الشذرات ونسخها في صحف وأعطاها لأبي بكر.

وهذا الجمع الأوّل لمخطوط القرآن لم يكن ذا صفة رسمية، بل كان فقط

---

(١) ترجمه بهيج شعبان إلى العربية ونشره عويدات. بيروت وعليه ترخيص ماكس لوكير الفرنسي بترجمته لجميع الناطقين باللّغة العربية.

مشروعاً خاصاً من أبي بكر وعمر، ولكنّه اكتسب أهمية كبرىٰ بعد بضع سنوات وذلك عند تثبيت النص القانوني للقرآن في أيام الخليفة عثمان.

وبعد وفاة أبي بكر أصبحت هذه المخطوطات الأُولىٰ الّتي قام بها زيد في حوزة الخليفة عمر الّذي عهد بها إلىٰ ابنته حفصة، أرملة النبيّ؛ وهذا العمل سيؤكد عند الحاجة الصفة النافعة لهذا الجمع الأوّل للقرآن. ولكن من المقبول به انّ هناك مجالاً للتمييز بين جمع المواد الّتي تؤلف الصحف وبين الكتابة الحقيقية المنسوبة إلىٰ زيد ـ الكتابة المرتكزة على الصحف ـ. وفي هذه الحالة فان هذه الصحف، وقد انتفع بها، فقدت أهميتها وأُودعت لدىٰ حفصة أرملة النبيّ كتذكار بسيط.

وفضلاً عن ذلك، فإنّ كتابة زيد هذه لم تكن وحيدة؛ فقد عزيت بعض الكتابات الخاصّة إلىٰ أربعة من رفاق محمّد هم: أُبيّ بن كعب، وعبدالله بن مسعود، وأبو موسى الأشعري، والمقداد بن عمرو. وهذه الكتابات كانت تمثل اختلافات في التفصيل لا نرىٰ من لزوم لذكرها. أمّا ما يهمّنا، فهو أنّ هذه الإختلافات تولد منها انقسامات بين المؤمنين. فقد تبنىٰ أهالي دمشق أُولىٰ هذه الكتابات، وتبنى الثانية أهالي الكوفة، والثالثة أهالي البصرة، والرابعة أهالي حمص. وهكذا أصبحت المنازعات الخطرة تهدد الإسلام. وتقول التقاليد أنّ القائد حذيفة أشار على الخليفة عثمان (نحو عام ٦٥٠م) أن يقرر نصّاً نهائياً للقرآن. وهكذا دعا عثمان زيد بن ثابت كاتب المخطوط الأوّل وضم إليه بعض القرشيين كمساعدين.

ويمكن الإفتراض انّه كان لعثمان هدف سياسي بعمله هذا يعادل الهدف الديني. فقد وصل إلى الخلافة بجهد، وكان أن عزّز مركزه بإقراره نصّاً لا يتغيّر للكتاب المقدّس. وقد صنع منه عدّة نسخ حُفظت واحدة منها في المدينة وأصبحت النسخة النموذجية «الإمام»، وأُرسلت النسخ الأُخرىٰ إلى الكوفة والبصرة ودمشق ـ إلى المدن الّتي توجَد فيها حاميات أو الّتي يتمسّك أهلها

بواحدة من النسخ المتباينة الّتي أُتلِفت على الأثر. وتؤكّد التقاليد أنّ عثمان كتب بيده إحدىٰ هذه النسخ ـ وفي هذه الحالة تكون هذه النسخة هي نسخة المدينة، ولكن الراجح هو انّه ترك هذا الأمر لزيد.

وهذا القرآن الرسمي يضم، وفقاً للتقليد، سورتين أقل من مخطوط أُبيّ، وسورتين أكثر من مخطوط ابن مسعود. وعدا ذلك فهناك بعض الفروق في الإملاء والكلمات تفصل بين النسخ.

ولكن سؤالاً أكثر أهمية يفرض نفسه: هل تحتوي نسخة عثمان علىٰ مقاطع مختلقة؟

لقد رفض الخوارج مثلاً السورة الثانية عشرة، معلنين أنّ اللهجة الغرامية لقصّة يوسف والمرأة المصرية تجعلها متنافرة مع كتاب مقدس! ويعتقدون بالتأكيد أنّ وحياً من هذا النوع لا يأتي من الله. ولكن مع أنّ قسماً من السورة فقط قد خصّص لهذه القصّة، فإنّ التقليد يؤكّد انّها موجودة في أقدم النسخ الخاصة. يُضاف إلىٰ ذلك أنّ نولدكه يلاحظ بحق انها تتلاءم مع بقيّة القرآن من ناحية اللغة والنسق الانشائي.

ومن ناحية أُخرىٰ فإنّ الشيعيين يؤكّدون أنّ المقاطع الّتي تتعلّق بعلي وعائلته قد حذفت بأمر عثمان. ويستندون في ذلك إلىٰ عدم تلاحم بعض المقاطع، ويعتبرون أنّ النصّ الأصلي قد انتقل سرّاً من كلّ إمام إلىٰ خلفه، وسيظهر في النهاية عند ظهور الإمام المختفي.

وما من شك ـ ويجب تكرار ذلك ـ في ان القرآن كما وصل إلينا لا يتضمن الوحي كلّه؛ ومقابل ذلك فقد ظهرت له بعض الإضافات التفسيرية والتذييلات (الّتي لا يستنتج منها شيء)، وكذلك تغيير مكان بعض الجمل. ولكن الأمر لا يتعلق أبداً بتحريفات يعترض عليها المؤمنون. والخلاصة ان أقدم المؤرخين قد صمتوا حول هذه النقطة.

وهناك تسع وعشرون سورة تنتمي كلّها تقريباً إلى العصر الّذي سبق الهجرة مباشرة، وتبتدئ بحروف مفردة لا تزال تحير مفسري القرآن مسلمين وغيرهم. فالعلماء المسلمون بعد أن بحثوا لها عن إيجازات، وجدوا فيها لغزاً لا يعرفه إلّا الله وحده. وعاد بعض المستشرقين إلىٰ فكرة الايجازات هذه. وأراد آخرون أن يجدوا فيها الحروف الأُولىٰ لأسماء المالكين الأول للنسخ الّتي كتبها زيد. أما عناوين السور فقد أعطيت لها في ما بعد، وكذلك التقسيم إلىٰ آيات فإنّه تقرر بعد ذلك.

ولا يجب الإعتقاد ان كتابة القرآن الّتي تمت بأمر الخليفة عثمان قد ظلت دون تغيير. وهذه التغييرات تعود إلىٰ ثلاثة أسباب رئيسة: الأخطاء الّتي ارتكبها الناسخون، ودروس النص المقدس القديمة الّتي احتفظ بها القرّاء والمرتلون المحترفون في ذاكرتهم رغم كل شيء، وعدم كفاية ووضوح الكتابة العربية الّتي تختلط فيها بعض الحروف بسهولة، والّتي تخلو من أي حرف صوتي موجز (الأمر الّذي يمنع معرفة الفعل مثلاً إذا كان للمعلوم أم للمجهول). وزيادة علىٰ ذلك فإنّ الأمويين القليلي الإهتمام بهذه القضايا الدينية لم يعملوا علىٰ حذف مصادر الإختلاف هذه. وقد أصبحت هذه الإختلافات بالتدريج مصدر قلق، وانتهوا في القرن العاشر الميلادي، وبعد شيء من التردد، إلىٰ أن يضعوا نهائياً أساس النص الرسمي، مستنداً إلىٰ حكم سبعة علماء مشهورين أُضيف إلىٰ كل منهم اثنان من القرّاء المجربين. وهذا اختيار تحكمي إلّا انّه أوقف المجادلات. وفي القرن الحادي عشر اعترف بحكمهم هذا تدريجياً. وقد بقي اثنتان قيد الإستعمال من هذه القراءات السبع، واحدة خاصّة بمصر والأُخرىٰ بأفريقيا الشمالية. ومن ناحية أُخرىٰ فإنّ الكتابة قد تحسّنت في النصف الثاني من القرن الثامن، وذلك بإدخال إشارات صوتية كانت في أوّل أمرها نقاطاً ثمّ خطوطاً تمنع كل خطأ في القراءة.

محتوىٰ وتاريخ القرآن:

من المعلوم ان ترتيب السور مؤسس بكل بساطة وفقاً لطول كل سورة. والسور الأكثر قصراً (وهي الأقدم) موجودة في نهاية القرآن. ولم يستطع زيد ورفاقه أن يرتبوا القرآن علىٰ أساس معنى الآيات؛ لأنّ صفة الوحي المتقطعة تعترض ذلك. ولم يستطيعوا التفكير بالترتيب التاريخي لأنّ الوقت كان متأخِّراً لإثبات هذا الترتيب. وعلىٰ كلِّ حال، فإنّ الترتيب النازل وفقاً لطول السور فيه أمران شاذان: فمن ناحية أُولىٰ نرى السورتين الأخيرتين (رقم ١١٣ و ١١٤ الناقصتين بالتأكيد من قرآن ابن مسعود) ليستا هما الأكثر قصراً، ومع ذلك فهما تمثِّلان صفة خاصّة جدّاً لأنّهما، والحق يُقال، قواعد ضدّ الرّقى المؤذية. ومن ناحية أُخرىٰ فانّ السورة الأُولى (الفاتحة) قد وضعت علىٰ رأس الكتاب مع انّها لا تعدّ سوىٰ سبع آيات، وقد كان ذلك دون شك لأن لها شكل الصلاة. وفضلاً عن ذلك فانها تنتهي عادة بعد أن ترتل بكلمة «آمين»، الأمر الّذي لا يحدث في السور الأُخرىٰ؛ وقد أوحي أيضاً بوجوب تلاوتها في أغلب الأحيان (القرآن ١٥، ٨٧).

ولكن هذا الترتيب الإصطناعي، الّذي تبنّاه زيد ورفاقه لا يستطيع أن يرضي النفوس المفكِّرة.

ثالثاً ـ المستشرق اليهودي كولد زيهر

قال في كتابه (تطور العقيدة والشريعة في الإسلام):

(إنّ رسول الله نفسه قد اُضطرّ بسبب تطوّره الداخلي الخاص وبحكم الظروف الّتي أحاطت به، إلىٰ تجاوز بعض الوحي القرآني إلىٰ وحي جديد في الحقيقة وإلىٰ أن يعترف أنّه ينسخ بأمر الله ما سبق أن أوحاه الله إليه.

فإذا كان الأمر كذلك في عصر النبيّ (ص)، فمن الأولىٰ أن يكون كذلك ـ بل أكثر من ذلك ـ عندما تجاوز الإسلام حدود البلاد العربية وتأهّب لكي يصير قوة دولية)[1].



أوردنا أمثلة من أقوال المستشرقين الذين قصدوا في ما نشروا الطعن بالإسلام وبرسوله وكتابه، ومن المستشرقين من لم يقصد الطعن في ما نشر غير ان الروايات والإجتهادات اللاتي درسناها في ما سبق أدت بهم أن ينشروا ما نشروا مثل ما جاء في دائرة المعارف الإسلامية كما يأتي:

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام ـ المستشرق اجناس كولد زيهر، تعريب د. محمّد يوسف، د. عليّ حسن عبد القادر والأُستاذ عبد العزيز عبد الحق. الطبعة الثانية، مصر، بحث محمّد (ص) والإسلام، ص ٤١.

على الأغلـب أنّ ما تذكره المصادر من أنّ قراءة ابن مسـعود وأُبيّ وأبي موسىٰ كانت الغالبة في الكوفة وسوريا والبصرة يقال ان هذه الثلاثة بدأت في عصر الرسـول. عبدالله بن مسعود كان خادماً للرسول ومرافـقاً له في مـعظم الأحداث وأخبر عنه انّه معلم للقرآن.

وبعدها عيِّن في مسؤولية إدارية في الكـوفة في عهد عـمر. وهنا أصبح مسؤولاً عن القرآن والحديث.

ابن مسعود، أخبر عنه انّه رفض اتلاف نسخة القرآن الّتي لديه أو توقيف دراسته لهذه النسخة في حين انّ قرآن عثمان أصبح رسمياً، وكذلك هنالك أخبار عن بعض المسلمين في الكوفة انّهم استمروا في تدريس قرآن ابن مسعود بـعد وفاته ولذلك انقسم المسلمون.

أُبيّ بن كعب، هو مسلم من أهل المدينـة، خدمَ الرّسول كسكـرتير له، والظاهر أنّه كان أكثر تخصّصاً في القرآن من ابن مسعود في عهد الرسول. يُقال أنّ قرآن ابن مسـعود كان يختلف عن كتاب عثمان في نـقاط عـديدة ومـهمّة، المصادر تؤكِّد أنّ كتاب ابن مسعود لا يحتوي على الفاتحة (السورة الأُولىٰ).

واختلف في وجود سورة الفاتحة عند ابن مسعود، ولقد أخبر ابن النديم انّه رأىٰ عدّة نسخ من قرآن ابن مسعود، واحدة منها كان عـمرها ٢٠٠ سنة كانت تحتوي على الفاتحة.

يقال إنّ ترتيب السور عند كتاب أُبيّ يختلف عن نسخة عثمان ونسخة ابن

مسعود، وكذلك هناك اختلاف جزئي بينهم في القرآن[1].

وجاء في دائرة المعارف الإسلامية ما موجزه:

كعب الأحبار: أبو إسحاق بن ماتع، يهودي يمني اعتنق الإسلام عام ١٧هـ (الطبري ١ / ٢٥١٤) ويعتبر من أقدم المتخصصين في حقل الإسرائيليات، كلمة حِبْر أو حَبْر مشتقّة من كلمة حابار العبرية وهي كنية يكنىٰ بها الراباي أو الربّاني، كما هو معهود إلى اليوم بين علماء اليهود في بابل.

لا يُعرف الكثير عن هذا الرجل الّذي قدم إلى المدينة حين خلافة عمر بن الخطاب وصاحب الخليفة إلىٰ أورشليم عام ١٥هـ (الطبري ١ / ٢٤٠٨) وبعد اسلامه أصبح من المقربين للخليفة، وأصبح بعد ذلك من خواص الخليفة عثمان وتنازع أبو ذر معه في مجلس عثمان (الطبري ١ / ٢٩٤٦ ـ ٢٩٤٧). وبعدها حاول معاوية أن يتخذه كمشاور له في دمشق.

كان يشتهر بإلمامه التام بالتوراة والتقاليد الإجتماعية لجنوب الجزيرة العربية وكان ذا سياسة ودهاء (تهذيب النووي / ٥٢٣)، ويُعتبر كعب مصدراً لأحاديث تخصُّ عمر بن الخطاب، ويتّهمُ بإدخال أفكار يهودية في الإسلام. ورويت عنه أحاديث وروايات كثيرة منها: ما تخصّ قصص الأنبياء (ع) كقصّة: ذي الكفل (بروكلمان *sl :101* ط. بولاق ١٢٨٣) أو يوسف (ع)[2].

* * *

بعد هذه الجولة الطويلة في دراسة أعمال المستشرقين وأهدافهم في الإستشراق، نوجزها بإذنه تعالىٰ في ما يأتي:

---

(1) *The Encyclopaedia of Islam, Leiden, 1981. Vol: 5\ 400 - 432.*

(2) *The Encyclopaedia of Islam, Leiden, 1978. Vol: 4\ 316 - 317.*

خلاصة البحث الثامن:

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ * وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ * إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾. (النّحل / ١٠١ ـ ١٠٥)

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾.

(فصّلت / ٢٦)

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾. (الفرقان / ٣٢)

وجدنا المسيحي الشرقي يوحنا الدمشقي الّذي كان يعيش في كنف البلاط الأموي أوّل مَنْ تصدّىٰ هو وخليفته أبو قرة للإسلام والقرآن ونشر الجدل البيزنطي الّذي كان يتقنه المسيحيون المتأثرون بالفلسفة اليونانية مثل: كلام الله هل مخلوق أم غير مخلوق؟ والّذي انتشر في العصر العباسي في المجتمع الإسلامي وأدّىٰ إلىٰ حبس وقتل علماء من المسلمين، وكان أوّل من طعن بالقرآن والرسول (ص) في قصّة زيد وزينب. وقال: إنّ المفاهيم القرآنية منقولة عن التوراة والإنجيل، وأخذ منه بعد ذلك مسيحيون بيزنطيون ثمّ الغربيون الذين أدركوا قوّة الإسلام في الحروب الصليبية واتجهوا لإقامة حرب فكريّة ضدّ الإسلام وكتابه

القرآن، كان في مقدّمتهم بطرس الكلوني في سنوات (١٠٩٤ ـ ١١٥٦م) والّذي أقام الحرب الفكرية بترجمة الكتب الإسلامية وفي مقدّمتها ترجمة القرآن من العربية إلى اللّاتينية محرّفة ومشوهة وبعيدة عن الأصل العربي بما افتروا به علىٰ كتاب الله الكريم، وقد كتب أحد المترجمين يصف ترجمته ويقول:

(لقد كشفت بيدي قانون المدعو محمّد ويسّرت فهمه...).

(ويجب أن يشكر ـ بطرس الكلوني ـ لتعرية مبادئ الإسلام للضوء بعدما سمح الدارسون في الكنيسة لهذا الكفر أن يتّسع ويتضّخم وينشر لمدّة خمسمائة وسبعة وثلاثين عاماً، وقد وضّحتُ في ترجمتي في أي مستنقع فاشل يعشش مذهب السراسيين ـ المسلمين ـ متمثلاً في عملي جندياً من المشاة يشق الطريق لغيره، لقد قشعت الدخان الّذي أطلقه محمد).

(لعلّك ـ الخطاب لبطرس ـ تطفئه بنفخاتك).

وكانت روح الإستهزاء والسخرية ظاهرة في كتاباته وترجمته للقرآن الكريم لا سيما في تسميته للسور وصرّح أنّه تصرف بحرية في ترجمة النصّ وزاد عدد السور في ترجمته أكثر ممّا في القرآن الكريم.

ومن أمثال هذه الترجمة اللّاتينية ترجم إلىٰ ٢١ لغة أوربية، وعندما انتشرت الطباعة جاء في مقدّمة المترجم في نسخة أمستردام بكلمات الشهادتين هكذا:

رسول الله لا إله

إلّا الله محمّد

ومهما كان السبب استهزاءً أو عدم فهم تكون النتيجة أنّ المترجمين الغربيِّين كانوا يحرِّفون ترجمة القرآن الكريم وغيره من الكتب الإسلامية كتحريفهم هذا لكتابة الشهادتين، وانتشرت هذه الترجمات في بلاد الغرب بعد

انتشار الطباعة وأصبحت بمتناول يد عامّة الغربيين بعد أن كان ميسوراً للقساوسة والرّهبان، وامتدّ هذا النوع من العدوان على القرآن الكريم إلىٰ مراودة الشرقيين مع الغربيين وتعرّف بعضهم إلى بعض، وكان لابدّ للمستشرقين من تغيير سلاحهم في حربهم الفكريّة للقرآن الكريم، ووجدوا ضالّتهم المنشودة في الروايات الّتي درسناها في بحوث هذا الكتاب والإجتهادات الخاطئة الّتي استندت إلىٰ تلك الروايات، فقاموا بتسليط الأضواء علىٰ تلك الروايات والإجتهادات أينما كانت وحققوا مصادر المخطوط منها وطبعوها ونشروها ونشروا المطبوع منها وأشادوا بذكر مؤلفيها وأثنوا عليهم، وشاء الله تعالىٰ أن تدرس تلك الروايات والإجتهادات في مجلّدات هذا الكتاب، وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿وَقَدِمنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِن عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً﴾.

وآخر دعوانا أنّ الحمد لله ربّ العالمين.

الفهرست

البحث الأوّل

الدليل المشترك بين المدرستين علىٰ وقوع التحريف في شرائع الأنبياء

البحث الثاني

روايات البسملة وتناقضها ومنشأه

البحث الثالث

روايات جمع القرآن وتناقضها

البحث الرابع

روايات اختلاف المصاحف والزيادة والنقيصة في القرآن

البحث الخامس

روايات نزول القرآن علىٰ سبعة أحرف و «علىٰ سبعة أوجه»

البحث السادس

القراءات المختلفة وقرّاؤها

البحث السابع

بحوث النسخ والإنساء في القرآن الكريم

دراسة الروايات السابقة والاجتهادات الخاطئة

موجز عام لأخبار القرآن والسنّة

البحث الثامن

المستشرقون والقرآن الكريم

مؤلفات العلامة السيد مرتضىٰ العسكري

منشورات كلية أصول الدين

الجمهورية الإسلامية الإيرانية ـ قم المقدسة ـ صندوق البريد ٣٧١٨٥/٨٧٨
الهاتف: ٦ ـ ٧٧٧٣٥٢٥ ـ ٩٨٢٥١ + رقم الفاكس ٧٧٧٣٥٣٨ ـ ٩٨٢٥١ +